دِيوَانُ الأَعْشَى الكَبِير

مَيمون بن قيس

شرح وتعليق

الدكتور م. محمد حسين

أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة فاروق

الناشر

المكتب الشرقي للنشر والتوزيع

بيروت - لبنان

ديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس

شرح وتعليق

الدكتور محمد محمد حسين

أستاذ الأدب العربي بجامعة الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة

الحمد لله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وما توفيقى إلا بالله . وبعد :

هذه هى الطبعة الثانية من ديوان الأعشى أبى بصير ، ميمون بن قيس بن جندل بن عوف بن سعد بن ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . ظهرت طبعته الأولى منذ ثمانية عشر عامًا . وقد أعدت النظر فيها وأكملت ما بدا لى فيها من وجوه النقص ، بعد أن وقعت لى مخطوطة جديدة من الديوان[1] ، استعنت بها على إكمال بعض الفجوات التى جاءت فى الطبعة الأولى .

والأعشى فى اللغة هو الذى لا يبصر فى الليل ويبصر فى النهار . وقد فسره بعض اللغويين بسوء البصر ، وفسره بعضهم بالعمى . ولكن التفسير الأول هو أشهرها .

والملقبون بهذا اللقب من الشعراء كثير ، أحصى منهم الآمدى فى «المولف والمختلف» سبعة عشر شاعرا بين جاهلى وإسلامى . وهم يميزون بينهم بنسبتهم لقبائلهم ، فيقولون أعشى همدان وأعشى باهلة وأعشى تغلب وهكذا . وأشهر هؤلاء جميعًا شاعرنا أعشى بنى قيس بن ثعلبة . فقد كان أحد الذين اختلف فيهم قدماء النقاد ، ففضله بعضهم على سائر شعراء الجاهلية . وكانوا يسمونه «صَنَّاجَة العَرَب» لجودة شعره ، ولما له فى الآذان من دوى ورنين ، حتى ليخيل لسامعه أنه ينشَدُ على جَرْس الصَّنجْ .

وقد نشر المستشرق الألمانى رودلف جاير Rudolf Geyer هذا الديوان للمرة الأولى سنة ١٩٢٨ . نشره عن ست نسخ ، هى كل ما أمكن جمعه من النسخ المخطوطة للديوان[2] . واستعان بعد ذلك بعدد ضخم من الكتب العربية بلغ فى مجموعه خمسمائة وتسعة وستين مؤلفاً ، استخرج منها جميعاً كل ما روى للأعشى من شعر ، وأثبت فى الملحقات رواية كل بيت من أبيات الديوان ، جاء ذكره فى واحد من هذه الكتب ، مع قراءات النسخ المختلفة .

والواقع أن مجهود الناشر فى الديوان يعتبر مثالا للدقة وللأمانة العلمية وللجلد على العمل الطويل الذى اتصل

---

(١) لم تكن هذه المخطوطة تحت يد جاير حين نشر الديوان . وهى من مخطوطات المكتبة المتوكلية اليمنية تحت رقم ٨٢ أدب . وهى مخطوطة غير دقيقة لم يذكر اسم جامعها ولا شارحها . وكثير مما جاء فيها من القصائد واضح الخطأ فى نسبته للأعشى . كما أن كثيرا من القصائد الصحيحة النسبة للأعشى غير موجودة فيها . لذلك لم أعتمد عليها إلا فى إكمال الفجوات التى وردت فى الطبعة الأوروبية كلما تيسر ذلك .

(٢) وهى نسخة من مكتبة الاسكوريال — وعليها كان جل اعتماده — وأخرى من دار الكتب المصرية ، وثالثة من ستراسبورج ، ورابعة من زاخو — والنسختان الأخيرتان منقولتان من نسخة القاهرة — وخامسة من ليون ، وسادسة من باريس .

فى خدمة هذا الكتاب أربعين عاماً . وقد اعتمدت على هذا المجهود القيم فى طبعتى هذه ، فبدأت عملى من حيث انتهى جاير . ولذلك كان من حق هذا المستشرق على أن أعتبر عملى فى الديوان إتماما لمجهوده المضنى ، وثمرة لعمله المتصل الدءوب .

وقد ختم جاير ديوان الأعشى – كما جاء فى رواية ثعلب – بجمع ما عثر عليه مفرقًا فى الكتب مما نسب إلى الشاعر من شعر وأكثره أبيات متفرقة ، نسقها وحاول أن يلائم بينها بضم ما يتفق فى البحر والروى .

على أن كثيرًا من هذه الأبيات واضح الخطإ فى نسبته لأعشى قيس ، مثل القطعة (١٢١) :

تطـرد القُرَّ بِحَرٍّ صـادق ... وعَكِيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُرّْ

فهو لطرفة من قصيدته :

أصحوتَ اليوم أم شاقتك هِرّْ ... ومن الحب جنون مُسْتَعِرْ

والقطعة (١٢٢) :

كأن المُدَامَ وصوبَ الغمام ... وريحَ الخُزامى ونَشْرَ القُطُرْ

فهى لامرئ القيس من قصيدته :

أحَارِ بْنَ عَمْرٍو كأنّى خَمِرْ ... وَيَعْدُو عَلَى المَرْءِ ما يَأْتَمِرْ

والقطعة (١٢٩) :

خَفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بَكَرُوا ... وأزعجتهم نَوًى فى صَرْفِهَا غِيَرُ

فهو أول رائية الأخطل المشهورة .

والقطعة (١٦٢) :

وَلَجَّ بكَ الهجرانُ حتى كأنما ... ترى الموتَ فى البيت الذى كُنْتَ تَعْرِفُ

فهى البيت الثانى من فائية الفرزدق :

عَزَفْتَ بأَعْشَاشٍ وما كِدْتَ تَعْزِفُ ... وأنكرتَ من حَدْرَاءَ ماكنتَ تعرف

وبعض هذه القطع واضح الخطإ فى نسبته للشاعر ، مثل القطعة (١٣٥) التى يشير فيها الشاعر إلى عثمان ومران . ومعظمها رواية محرفة لأبيات فى الديوان ، مثل القطع ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ .

من أجل ذلك ضربت صفحا عن هذا القسم من ملحقات الديوان ، ولم ألتفت إليه . وحصرت عملى فى تقويم نص الديوان – كما رواه ثعلب – وتيسير الانتفاع به .

أما النص فقد كانت الأخطاءُ فيه كثيرة فى الجزء الأخير . ويرجع ذلك لأسباب كثيرة ، منها ما أشار إليه جاير من قدم الخط. وصعوبة قراءته فى نسخة الإسكوريال ، وما أصابه من العطب نتيجة الحريق والبلل . وقد زاد مهمتَه صعوبة إهمالُ الناسخ ورداءة خطه من آثار الملل أو التعب قرب نهاية المخطوط . ومنها إصابة هذا المستشرق الجليل بشلل فى جانب جسمه الأيمن أثناء نشر الديوان . والعجيب حقًّا أن هذا المصاب الخطير لم يصرف الرجل الكبير عن المضى فى عمله ، مستعينا ببعض أصدقائه وتلاميذه . يضاف إلى ذلك أن الشرح الذى يصحب النص فى مخطوط الاسكوريال ، فيساعد على فهمه وتقويمه ، كان يقل بالتدريج ، حتى خلت القصائد الأخيرة منه خلوا تاماً

وقد اعتمدت فى تقويم النص على ملحقات الناشر ، التى أثبت فيها خلافات النسخ ورواية الأبيات كما جاءت فى كتب اللغة والنحو والأدب . ولم أسمح لنفسى بالخروج عن هذه الروايات إلا حين يبدو التصحيف واضحاً .

مثل البيت (٤) من القصيدة (٢٦) :

كأنك لم تشهد قرابين جمة   تَغِيثُ ضِيَاعُ فيهم وعواسل

فقد كان التصحيف واضحاً فى الشطر الأخير وصوابه (تَعِيثُ ضِبَاعٌ) .

ومنها البيت (١١) من القصيدة (٣١) :

تشكّى إلىَّ فلم أشْكِها   مَنَاسِمَ تُرْمَى وخُفًّا رهيصا

وصوابه (مَنَاسِمَ تَدْمَى) .

ومنها البيت (٥٥) من القصيدة (٣٦) :

ولقد أمنح من عاديتُه   كُلَّمَا يَحْسِمْنَ من داء الكَشَحْ

وصوابه (كُلَّ مَا يَحْسِمُ) .

ومنها البيت (٣) من القصيدة (٤٩) .

تراهُمُ غيرَ أثباط بِمَزْرَعَةٍ   توابع للحيم حيثما ذهبوا

وصوابه (غير أثباط بِمَذْرَعَةٍ) .

ومنها البيت (٩) من القصيدة (٥٦) .

فغَبُّوا نحونا لجبا   بهذا السهلَ والأكما

وصوابه (يَهُدُّ السهلَ والأكما) .

والبيت (٢٦) من هذه القصيدة .

بمثلهم غداة الرَّوْ   ح يجلو العزوالكرما

وصوابه (غداة الرَّوْع) .

ومنها البيت (٦) من القصيدة (٦٠) :

ولو أنَّ مَا أسرفتُمُ فى ذِمَائِنَا   لدى قَرَبٍ قد وُكِّدَتْ وأَنى لَهَا

وصوابه (... فى دِمَائِنَا ... قد وُكِّرَتْ ...) .

ومنها البيت (٧) من القصيدة (٦٣) جاء فى طبعة جاير (سَهِرَتْ بالعشاءِ) وصوابه (سَمَرَتْ) . والبيت (٢٥) منها ، كان (غيرِ الصَّدِيفِ) ، نصححتها (غَيْرَ الصَّرِيفِ) . والبيت (٢٦) منها ، كان (ذَاهِبَاتٌ) ، فصححته (ذَاهِبَابِ) . والبيت (١٦) من القصيدة (٦٥) ، كان فيه (القَنْقَرِيَّةُ) ، فصححتها (العَبْقَرِيَّةُ) . والبيت (٣) منها ، كانت قافيته (كَبُودُ) ، وصوابها (كَنُودُ) . والبيت (١٨) منها ، فيه (أَجْزَأَلَّتْ) وصوابه (اَحْزَأَلَّتْ) . والبيت (٢٧) منها ، فيه (والسَّدَلُ القَرِيدُ) ، وصوابه (والسَّدِلُ القَرِيدُ) . والبيت (٣٧) منها ، رسم الشطر الأول منه هكذا (... حانكِ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيْلَ عَنا) وهو (فَانَّكِ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيلَ عَنَّا) ، ولم يسقط من الشعر شيء كما توهم النقط . والبيت (١) من القصيدة (٦٧) ، جاء فى النسخة الأوروبية :

وَإِذَا أَتَيْتَ مُغَنِّيًا فِى دَارِهَا   أَلْفَيْتَ أَهْلَ نَدًى هُنَاكَ خَبِير

وصوابه (... مُعَتِّبًا ...... وَخِيرِ) .

هذه أمثلة لما قومته اعتمادا على المعنى ، مما بدا التصحيف والتحريف فيه واضحا . ولا أرى داعيًا للاستقصاء والإحصاء ، فإنما قصدت إلى التمثيل ، لا الغض من جهد جاير ، الذى هو موضع إعجابى الشديد . أما الذى اعتمدت فيه على ملاحق الديوان فهو كثير لا داعى للإشارة إليه . وقد كان عملى فيه ترجيح رواية على أخرى ، حين يبدو فساد الروايات المثبتة فى النص أو مجانبها للصواب .

ويكثر أمثال هذا التحريف فى النصف الثانى من الديوان ، ابتداء من القصيدة (٣٨) . ولكنه يزيد فى آخر الديوان ، وخاصة حين يقل الشرح أو ينعدم إلى درجة المسخ والتشويه ، بحيث يتعذر فهم النص فى كثير من الأبيات ، ابتداء من القصيدة (٦٠) حتى نهاية الديوان .

أما ما هدفت إليه من تيسير الانتفاع بالديوان ، فقد كان جهدى فيه محصورا فيما يلى :

(أولا) مراجعة الشرح ، وتعقب ما فات الشارح منه[1] . ويقل الشرح – كما أشرت – فى النصف الثانى من الديوان حتى ينعدم تماما فى القصائد الأخيرة .

(ثانيا) التقديم للقصائد بالتعريف للأعلام والأحداث التى تشير إليها ، مع بعض الملاحظات العامة عليها ، والإشارة فى صدر كل قصيدة إلى بحرها .

---

(١) وقد اثبت الناشر فى مقدمته أن هذا الشرح ليس لثعلب ، وان عمل ثعلب فى الديوان لم يتجاوز رواية النص ، لانه لاحظ أن الشرح لا يتمشى مع النص فى بعض الاحيان . ولذلك رجح عنده ان يكون هذاالشرح منقولا عن نسخة اخرى من غير رواية ثعلب .

(ثالثا) تقريب الشعر إلى القارى بتقديم نثر كامل للقصائد يقابل النص الشعرى ، ويربطه ببيئته وبالقيم الأدبية والاجتماعية التى يصورها . فقد بدا لى أن الصعوبة فى ممارسة النصوص القديمة لا تقف عند غرابة الألفاظ والتراكيب . ولكن جزءًا كبيرًا منها يرجع إلى طريقة تصور هؤلاء الشعراء القدماء للأشياء . فمن الواضح أنها تختلف عن طريقة تصورنا لها ، لاختلاف البيئة زماناً ومكاناً ، ولتغير القيم الأخلاقية والاجتماعية تبعا لذلك . ولهذا كان شرح المفردات والأساليب وحده لا يكفى لفهم الشعر وتذوقه . هذا إلى أن بعض الدارسين قد لا يعنيهم الشعر نفسه من ناحيته البلاغية والفنية ، إذا كان قصدهم إلى الدراسات التاريخية أو الاجتماعية . وأمثال هؤلاء يستطيعون الاستغناء عن النص الشعرى بالترجمة النثرية .

وقد حرصت فى نثرى لهذا الشعر على أن أحتفظ ما استطعت بجوه وبتأثيره ، فجربت فى هذا السبيل كثيرًا من الأساليب . حاولت أن أحتفظ فى النثر بقافية الشعر ووحدة البيت ، كما فعلت فى القصيدة (١) . ولكنى رأيت أن التقيد بالقافية يحد من حريتى فى الشرح والتوضيح ، فغيرت القافية كلما استعصى على المضى فيها ، كما فعلت فى القصيدة (٢) .

ولكنى تبينت مع ذلك أن الصعوبة لا تزال قائمة ، وأن مثل هذا النثر على قربه من اللغة الشعرية فى التنغيم لا يؤدى الفائدة المرجوة منه ، بتقريب هذا الشعر من المعاصرين وإعانتهم على تذوقه . ولذلك حاولت محاولتى الثالثة بتقديم النثر فى شكل مجموعات ، تصور كل مجموعة منها عدداً من الأبيات المترابطة المعنى . ورأيت أن هذه الطريقة تسمح لى بإبراز مواطن الجمال ولفت القارئ إلى دلالات بعض الأبيات . وقد فعلت ذلك فى القصائد (٣-١١) . ولكنى عدت آخر الأمر إلى الاحتفاظ فى نثرى بوحدة البيت ، مع الإبقاء على طريقتى السابقة فى إبراز الصلات بين الأبيات ، والتنبيه إلى تنقل الشاعر بين مختلف الأغراض ودلالات هذا الانتقال .

وتركت كل هذه المحاولات ، فلم أعد إليها لتوحيد شكلها وردها إلى نمط واحد ، فقد ظللت حتى الآن مترددا فى التفضيل بينها وفى ترجيح أحد هذه الأساليب على الآخر ، لأن لكل منها مزيته . فعرضتها كما هى ، وتركت الحكم فى المفاضلة بينها للقارئ .

(رابعًا) ووضعت فى آخر الديوان فهارس للمفردات اللغوية وللأعلام والأماكن والأغراض والمعانى ، لتيسير الانتفاع الكامل بالنص الشعرى . كما وضعت جدولا لتصحيفات النسخة الأوروبية ، ولما بينها وبين هذه النسخة من مخالفة ، حتى لا أفرض اجتهادى على القارئ .

* * * *

وقد كان ساعدنى فى إخراج هذا الكتاب فى طبعته الأولى جماعة من الأصدقاء فتفضل الأستاذ شوقى أمين بمعاونتى فى مراجعة مسودات الطبع ، وأسدى إلى كثيرًا من الآراء النافعة التى اقتنعت بكثير منها وأخذت به . وتفضل الزميل

محمد أبو الفرج المعيد بقسم اللغة العربية فى جامعة الإسكندرية بوضع الفهارس اللغوية للديوان * ، كما تفضل مصطفى عبد اللطيف الشويمى الطالب بليسانس الآداب بوضع فهارس الأعلام والأماكن والقبائل والأيام . وتفضلت الآنسة عزة كرارة ، المتخرجة فى قسم اللغة الانجليزية بجامعة الإسكندرية ، بترجمة المقدمة الألمانية للمستشرق جابر فى الطبعة الأوربية . فإلى هؤلاء جميعاً أقدم شكرى الخالص .

وأخيرا ، فقد رأيت إتماماً للفائدة أن أضع بين يدى القارىء ترجمة عربية لمقدمة جاير الألمانية . فهى — على مافيها من نفع — درس خلقى رفيع فى إنكار الذات ، والتفانى فى خدمة العلم ، وحمل أمانته حتى الموت .

والحمد لله أولاً وآخرًا . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما .

محمد محمود حسين

رمل الاسكندرية فى ١٠ جمادى الثانية ١٣٨٨ هـ

(٣ / ٩ / ١٩٦٨ م)

(*) توفى الدكتور محمد أبو الفرج فى خلال العام الدراسى الماضى . أسأل الله الكريم أن يرحمه ويحسن اليه .

مقدمة الطبعة الأوربية لديوان الأعشى

لرودلف جاير

تمكنت فى نفسى فكرة نشر أشعار الأعشى ميمون منذ أكثر من أربعين عاماً . فبدأت وقتئذ فى جمع كل ما يتعلق به ، واستحضرت نسخاً من مخطوطات ديوانه فى ليدن والقاهرة . ولكننى حين علمت أن ثوربيك Thorbecke يستعد لنشر هذا الديوان ، وأنه فوق ذلك يمتلك صورة للمخطوط الإسكوريالى ، حين علمت بذلك وضعت كل ما جمعت تحت تصرفه . فأخذ بعضه ، ثم طلب منى ما جمعته من أساس البلاغة للزمخشرى ، فأرسلته إليه . وهو يكوِّن الآن جزءا من مخلفاته فى هذا الموضوع . ولكنه توفى للأسف بعد ذلك ، قبل أن يتخطى المرحلة الأولى من أبحاثه ، وقبل تكملة مجموعته .

وفى ١٧ فبراير سنة ١٨٩٠ أرسل إلى أوجست موليرAugust Muller من كونجزبرج خطاباً ، يعرض على فيه إتمام ما بدأه ثوربيك من ديوان الأعشى ، إذ أخذ على عاتقه مهمة إصداره بمعاونة سوكين Socin بعد أن عين خلفًا لثوربيك فى هل Halle ، فقبلت عرضه . ثم أحال على رئيس الجمعية الشرقية الألمانية المجموعات المتعلقة بالأعشى والمجموعتين اللتين تعرفان فى مكتبة الجمعية بـ Ms.Th-A.30 ، بعد مشورة مولير وموافقة أرملة ثوربيك ، وبذلك أصبح فى حيازتى المخطوط الاسكوريالى ، الذى هو أساس الجزء الأكبر من هذا الكتاب . وسيأتى الكلام عنه بإسهاب . كما أصبحت فى حيازتى مخطوطات ثوربيك الموجودة بالملزمة الثانية ، وهى تتكون من ٣٦٦ صفحة ، وأكثرها أوراق منفصلة فى حجم الفلسكاب duodez. quart. Oktav . وتكون الأوراق المحصورة بين رقم ٢٧٧ و٣٥٣ كراسة واحدة مجلدة ، فيها مقارنات بين الخطوط فى نسخ باريس وليدن وستراسبورج ، كما تحتوى الصحيفة ٣٥٤ وما بعدها إلى ٣٦٦ على معلومات شتى عن خطوط أخرى . أما الأوراق المنفصلة من ١ إلى ٢٦ ، ومن ١٧١ إلى ٢٧٦ ، فتحتوى على ملاحظات متباينة غير مرتبة . وتحتوى الصحائف من رقم ٢٧ إلى ٢٧٠ على ملاحظات أخرى وبيانات ، قد رتبت ترتيباً أبجديًا حسب قوافى الأبيات . كما أن الجلدة الخارجية للكراسة التى سبق ذكرها ، والتى استعملت بعد انفصالها كغطاء للمجموعة كلها ، تحمل كذلك بعض الملاحظات . وقد كانت جميع هذه الملاحظات توافق فى أغلب الأحيان آرائى الشخصية ، ولكنى مع ذلك سررت ، لأنها أتاحت لى فرصة مراجعة مجموعتى وتمحيصها . ومن الواضح أننى توسعت فى أبحاثى خلال السنوات السبع والثلاثين الماضية ، وأضفت إليها كثيرًا من الزيادات . وقد اجتمع لى من البحث عن آثار الأعشى فى مختلف المصادر قدر لا بأس به ، وظهر لى المركز العظيم الذى يتمتع به هذا الشاعر فى جميع العصور بين العلماء ، فمركزه كشاعر يأتى بعد امرئ القيس مباشرة .

يضاف إلى كل ذلك أن مجموعة من زملائى وضعوا تحت تصرفى كل ما جمعوه عن الأعشى ، كما أنهم أرسلوا إلى مجلدات مكتوبة باليد من مقتطفات صعب على الحصول عليها .

وقد كانت الصعوبة الكبرى التى اعترضتنى ناتجة عن رداءة حالة المخطوط الإسكوريالى العظيم القيمة ، مما وقف عقبة فى سبيل قراءته . وقد تولانى اليأس مراراً بعد ما عانيت فى سبيل قراءته ، فقررت – كمحاولة – أخيرة أن آخذ بعض القصائد المنفردة من المخطوط الاسكوريالى – وكان لدى منها ما يكفى – وأن أقارنها بقصائد أخرى فى نفس المعنى من أشعار الأعشى الأخرى . ثم إننى حاولت ، بفحص الشرح والتوضيح المرافقين للشعر فى نفس المخطوط وفى مخطوطات أخرى ، أن أفهم طريقة الشاعر فى التعبير . وعلى هذا النحو تكون كتابى « قصيدتان للأعشى – فينا ١٩٠٥ ، ١٩١٩ » . ومع ما يبدو لى من النقص فى هذا الكتاب ، فأنا مدين له بالمعلومات الكثيرة التى استفدتها من العمل فيه ، وبأنه كان سبباً فى لفت نظرى إلى عملى الأساسى ، فتشجعت واستأنفته مزوداً بقوى جديدة . وقد كان السير تشالز لايل Sir Charles Lyall هو السبب فى تحمل هيئة جيب التذكارية E. J. W. Gibb Memorial نفقات الطبع . فبدئ به فى خريف ١٩٢٢ ، ولم يصادف أى تعطيل يذكر ، حتى عندما أصبت بشلل فى جانب جسمى الأيمن أقعدنى حتى اليوم . وأنا أرجو أن لا يؤثر هذا المصاب كثيراً فى عملى ، وأن لا يترك به آثاراً ملحوظة .

وإنى لأعجز عن شكر جميع من تكاتفوا معى على إتمام هذا العمل الشاق ، فعددهم الكبير يحول دون تسميتهم ، وإن كان أغلبهم قد ذكروا فى فهرس الكتاب . وأحب أن أعبر عن عظيم امتنانى لهيئة جيب التذكارية ، لتحمل نفقات الطبع . كما أننى أدين بالشكر لرئيس جمعية الشرق الألمانية ، الذى سمح بإبقاء مخلفات ثوربيك لدى لمدة تقرب من أربعين سنة . كما أننى أشكر من أعماق قلبى جميع أصدقائى وتلاميذى الذين ساعدونى فى هذا العمل الشاق بمختلف الوسائل ، وخصوصا الأستاذ الدكتور براو Braw ، الذى أعاننى أنا المقعد بكل ما أوتى من قوة ، والأستاذ الدكتور كوفالسكى Kowalski فى كراكاو Krakau ، الذى راجع النص العربى وأضاف إليه نصائح عملية مفيدة ؛ وكذلك السيد كرنكو Herr Krenkow فى بكنهام Beckenham ، الذى لم يدخر وسعاً فى أن يمنحنى من قراءاته المتعمقة آراء جديدة ، والأستاذ بيفان Bevan من كمبردج Cambridge ، الذى أمدنى بمقترحات جليلة لإصلاح النص الشعرى وتفسيره . فإلى هؤلاء أتقدم مرة ثانية بوافر الشكر ، كما أذكر بالخير مرة أخرى دار هلتزهاوزن للطبع Holzhausen ، التى أتمت عملها بكل عناية ودقة .

ر . جاير R. Geyer

« حاشية »

وصلنى فى يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢٨ ، ومجلدى لم يخرج بعد من المطبعة ، خطاب من عبد العزيز الميمنى مدرس اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بعليكرة بالهند ، يعرفنى فيه بأنه فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٢٧ وجد فى مكتبة المدينة برامبور Rampur مخطوطاً غير مضبوط بالشكل ، يحتوى على ٣٣ قصيدة للأعشى ، وبأنه سيقارن هذا النص بما جاء فى كتابى . وإنى أتمنى أن أخص ملاحظاته فى الطبعة الثانية لكتابى بما تستحقه من التقدير ، وأشكره شكراً صادقاً على صنيعه هذا .

كيفية وضع وإنشاء الكتاب

وضعت تحت تصرفى لهذا المجلد من أشعار ميمون الأعشى الكتب والمخطوطات الآتية :

المخطوط الإسكوريالى : أمكننى استعماله من إحدى الصور الشمسية من مخلفات ثوربيك لدى جمعية الشرق الألمانية . ولقد ساعدنى على قراءة بعض الأوراق غير الظاهرة الصور التى التقطها ب. سانشى P. Sanchez فى الإسكوريال ، والتى وصلتنى عن طريق هيئة جيب التذكارية . ولما كان شرحا كاسيرس Casiris وديرنبورج Derenbourg غير وافيين ، ولا يخلوان من أغلاط ، فقد وجدت نفسى مضطرا إلى الاعتماد – قدر المستطاع – على هذا المخطوط القديم الوافى فى محتوياته ، كى أقدم نسخة دقيقة تعتمد على الشرح السابق ذكره .

ويتكون المخطوط من ١٣٤ ورقة مكتوبة من وجهيها . ويحتوى الوجه الأول والثانى للمخطوط على ١٩ سطرا ، أما الباقى فيتكون من ١٨ سطرا فقط . وعلى ذيل المخطوط الأصلى كتب بين قوسين ( ) بخط يدل على أنه لكاتب أوروبى من القرن الثامن عشر (قد يكون هو كاسيرس) وبأرقام إفرنجية ، تعداد للصفحات يغاير الرقم الصحيح . وقد نتج الخطأ من أن عدد الصفحات فى هذا التعداد – وهو ١٣٩ – قد دخلت فيه أربع صفحات كانت فى مقدمة المخطوط ، ثم سقطت منه الصحيفة رقم ٣١ فلم تلاحظ عند العد . ولم يلاحظ ديرنبورج ذلك ، فنقل الرقم غير الصحيح فى فهرسه . أما انثناءُ الفرخ فلا يظهره فى الصورة الشمسية لعدم وجود أرقام بكل وجه . ولكن الظاهر أن الأفرخ كانت مطوية خماسيا ، كما هو الحال فى كتب الشرق العربى . وعلاقة الورقة ١٠٨ ب (التى هى فى الواقع ١٠٣ ب . انظر ص ١٧٣ س١٤) بالقصيدة ١٨ ، التى تقع فى الكراسة السابعة ، تدل على ذلك . لأن هذه القصيدة تقع فى الورقة ٥٨ (التى هى فى الحقيقة ٦٣) ، أى فى الكراسة الخماسية السابعة ، فى حين أنها تصبح فى الكراسة الثامنة إذا كان الطى رباعيا ، وفى السادسة إذا كان الطى سداسيا[1] . وإذا كان مقياس الصورة الشمسية يطابق الأصل ، كان طول الورقة ٢٣٣ مم وعرضها ١٦٢ مم .

ولا يمكن معرفة مادة الورق من الصورة الشمسية ، ولكن من الجائز جدا أن يكون من ورق الخرق (الكُهنَة) . أما الكتابة ، فقد أصابها ضرر كبير بسبب آثار الحريق ، الذى أدى إلى إخفاء معالم المثلث الأعلى للناحية الخارجية بكل ورقة ، وكذلك الكتابة حتى السطر الرابع من الداخل . ثم إن الماء الذى استعمل فى إخماد النار قد جعل الخط الملاصق للجزء المحروق غير مقروء إلا بصعوبة كبيرة . كما أنه أثر فى بعض المواضع على السطر الأخير من الجزء الأسفل . أما العنوان فقد حفظ من التلف بسبب وجود أوراق فوقه أو جلدة قديمة له . أما الصفحات الست الأخيرة للكراسة ١٤ فكانت فريسة اللهب . وبذلك ضاعت نهاية المخطوط ، وضاع معها إمضاءُ الكاتب وتاريخ الكتابة .

---

(١) الكلام هنا غير مفهوم لى . فالسطر ١٤ من صحيفة ١٧٣ الذى يشير اليه فى الطبعة الاوروبية ، والذى يقع فى ص ١٠٨ فى الأصل ، هو نهاية الحديث عن منافرة عامر وعلقمة . وقد كان الطبيعى ان يلى ذلك القصيدة ١٨ (التى تقع فى ص ٦٨ فى الأصل) ، لانها فى تنفير عامر على علقمة ، فالكلام السابق مقدمة لها . ولست اعرف وجه استدلاله بهذه الصلة على ان الورق مطوى طيا خماسيا .

ويبدأ المخطوط من الصفحة ٥ب (التى هى فى الحقيقة ١ب). وقد وزعت الكتابة على مساحة الصفحة بطريقة تجعل البيت الواحد من الشعر المكتوب بخط كبير يحتل عرض الصفحة كلها (١٣٠مم) فى مجموعات ثنائية غالبا أو أكثر ، بينما يحتل الشرح المرافق للنص مساحة أصغر عرضها ١١٠ مم بخط أصغر. ونهايات السطور فى الشعر وفى الشرح منسقة تنسيقا دقيقا ، مما أدى إلى تطويل القافية فى الأبيات القصيرة ، حتى تتساوى مع السطور الأخرى ، فى حين أن الكاتب لم يعن بالفصل بين الشطرتين فى الأبيات .

أما الملاحظات التمهيدية لكل قصيدة فقد كتبت بنفس الخط الصغير . والخط الذى كتب به المخطوط هو خط النسخ العربى القديم جدا . وهو يدل على يد متمكنة مبدعة . ولكن شيئا من عدم العناية يظهر قرب نهاية المخطوط ، نتيجة الملل أو التعب . وكذلك يظهر عدم العناية فى الخط الذى كتب به العنوان ، وهو يحمل طابع العصور القديمة جدا ، كما يبدو من ملاحظة العين فى لفظ (صنعة) ، مما جعل خبيرا مثل جروهمان Grohmann يحدد تاريخ المخطوط بالقرن الرابع على الأكثر ، ويفضل وضعه فى القرن الثالث الهجرى . كما أن المخطوط الشعرى والمقدمة والتفسير كلها مشكلة تشكيلا تاما حسب المتفق عليه فى العصور الأولى (فتستعمل مثلا العلامة ⌒ بدلا من ٌ ، و ِ بدلا من ً) . وهنا أيضا دليل على ما لوحظ من أن التشكيل يعطى عناية أقل من النص ذاته ، وهذا ظاهر فى التفسير ، حيث يوضع السكون بدلا من حركة الإعراب . كما يلاحظ وضع التشديد بدلا من قاعدة اللومير (؟) Laumir regeln فتطول غالبا بالميم[1] . وتظهر دقة الكاتب فى أنه يترك الكلمات أو الجمل غير المفهومة لديه بدون تشكيل . ومع هذا فلا يجب أن يظن أن التشكيل غير قابل للطعن فى أغلب الأحيان . ويعرض لنا الشك أيضا حينما يتناول التحريف الحروف المتقاربة فى الرسم ، كالتحريف بين الضاد والظاء . وكل هذا دليل قاطع على وجود أصل قديم ، حينما كان رسم الضاد والظاء متقاربين ، إلى أمثال هذا التحريف . ثم إنه من العسير جدا التمييز فى الحالات الفردية بين الدال والراء والواو .

وعنوان المخطوط موزع كالآتى :

سِفْر فيه شِعْرُ الأَعْشَى و (هوميمون)

بن قيس بن جَنْدَلٍ

من صَنْعَةِ أَبِى العَبَّاسِ أَحمَدِ بن يَحْيَ

المَنْبُوز بثَعلَب رحِمَه اللهُ

وهو لعلى بن زيد بن محمد بن يعيش الأسطوانى (؟)

وفقه الله وأرشدهُ

ثم . . . .

---

(١) لا أعرف ماذا يقصد بقاعدة اللومير Laumir regeln

ثم تصير من بعده رحمه الله لحفيده على بن جعفر بن على بن زيد وفقه الله وحرزه (؟) فالشِرَاءُ فى العشر الوسط من ذى القعدة عام أحد وعشرين وستمیئة .

أما السطر الذى يعود على المالك الثانى فقد كشط أولا ثم محى بعد ذلك .

ويحتوى المجلد على ٧٣ قصيدة بالخط الكبير ، من القصيدة رقم ١ إلى ٤٢ ، ومن ٤٧ إلى ٧٦ ، ثم القصيدة ٧٧ إلى البيت ٢٦ منها . (فى حين أن القصائد من ٤٣ إلى ٤٦ كتبت بالخط الصغير). والذى يدل على أن العناية لم تكن فى إيجاد مادة دقيقة الشكل موحدة المنظر هو التشابه الذى يبدو فى بعض القصائد بتكرار بعض الأبيات ، كالذى تجده بين القصيدتين (٥١=٦١) ، (٦٠=٧٢) . وقد ذكر جامعُ الأشعار فى مقدمة بعض القصائد أسماء الرواة الذين اعتمد عليهم فى نقل تلك القصائد ، أمثال أبى عمرو بن العلاء فى القصائد ٦ ، ١١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، وأبى عبيدة فى القصائد ١ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، وأبى عمرو الشيبانى فى القصيدة ٥٦ . أما فى القصيدة ٢٩ فقد أشار فيها إلى اسم راويتين ، وهما أبو عبيدة وأبو عمرو بن العلاء . وهذه الملاحظات مكتوبة بالخط الكبير ، ما عدا الملاحظة المرافقة للقصيدة ٥٥ . أما رواة القصائد الأخرى فلم يشر إليهم جامع الديوان .

والمقدمات التمهيدية والشروح التى ترافق النص الشعرى لقصائد ميمون وافية فى البداية ، وتكثر تدريجيًا بدرجة كبيرة . ولكنها تأخذ فى النقصان عند النهاية ، فلا نجد سوى تفسير لبعض المفردات. وكثيرًا ما نصادف معلومات تاريخية وافية تبعث جدتها على الدهشة ، مثل أسطورة طسم وجديس ، ومنافرة عامر وعلقمة ، ونبأ الحرب بين هراكليوس Heraklios وكسرى أبرويز ، وواقعة ذى قار ، ونحو ذلك. ولا شك أن هذا المخطوط كان يمكن أن يكون كاملا فى نوعه لولا كثرة ما فيه من الفجوات . أما عن تشعب معلومات الجامع وسعة اطلاعه فتظهر فى فهرس الرواة المرافق للمخطوط .

ثم إن الشرح لا يهتم – كما هو الحال فى معظم شروح الدواوين – بالمفردات والإعراب فقط ، بل يتعداهما إلى معلومات فياضة واسعة نادرة . فكثيرًا ما يتمثل فى شرحه بأبيات من شعراء كثيرين فيهم من لا نعرفه. بل لقد يذكر فى نص الديوان الشعرى رجزًا للأعشى فى بعض الأحيان .

وقد ذكر فى عنوان المخطوط أن أشعار ميمون الأعشى من صنعة ثعلب ، فتوهم كاسيرس وديرنبورج أن التفسير من صنع ثعلب أيضاً . ولقد ظننت أنا هذا فى بادئ الأمر ، مما أدى إلى الخطأ فيما ذكرت فى الغلاف الداخلى للكتاب فى الصحيفة رقم ١ . ولكنى لم أكد أتقدم فى عملى بالديوان حتى تبينت أن الشرح لم يكن يرافق النص الشعرى لثعلب . والأسباب التى دفعتنى إلى هذا الرأى جلية إذا درست الملاحظات بدقة . وسأجملها فيما يلى :

١ – كثيرًا ما يتناول التفسير البيت بقراءة مخالفة لنص ثعلب الشعرى ، فمثلا :

القصيد (١) ذكر فيها البيت (٣٣) هكذا (آلت طليحا) بينما هى فى التفسير (آضت طليحا) .

القصيدة (١٢) نجد فى البيت (٢٠) كلمة (وتَبْطُنُ) .
» (١٦) » » (٤٢) (بأسدخفية وصعاد) | ويدل التفسير فى الموضعين على أنه يتبع نصاً آخر غير نص ثعلب[1]

» (١٧) » » (١) نجد (الظهيرة) بينما يتناول التفسير الكلمة على أنها (الوديقة)

والبيت (١١) » (أجرد) » » » » (أحرد)

القصيدة (٢٨) فى البيت (٣٢) » (ديارًا) » » » » (دبارًا)

» (٣٢) » » (٩) » (عانس) » » » » (عابس)

والبيت (٢٩) » (تلاحق) » » » » (تواهق)

القصيدة (٣٥) فى البيت (١١) » (مرجماً) » » » » (مرحلا)

والقصيدة (٣٦) ، يشير فيها عند شرح البيت (٣١) إلى (تخنف) مع أن هذه الكلمة لم تذكر فى النص الشعرى. والخلاف بين النص والشرح على هذا النحو كثير جدا .

٢ – كثيرًا ما يسير الشرح فى سياق القصائد على نظام مخالف لترتيب نص ثعلب . فنجد فى القصيدة (٢٣) مثلا أن تفسير الأبيات يجىء على هذا الترتيب (٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨) . ونجد كذلك فى القصيدة (٣٥) أن البيت (٢٣) يأتى بعد البيت (٢٤) . وكذلك يختلف ترتيب الشرح فى القصيدة (٥٣) فى الأبيات (٩–١٣) . وفى القصيدة (٣٤) نرى البيت ٤ يشابه ٣ ، مما يدل على أن النص الذى يتناوله الشرح ليس به البيت (٤)[2] . ثم إن قصة المنافرة وضعت فى الشرح بين القصيدتين ٣٧ ، ٣٨ مع أنها لا تتصل بهما أدنى اتصال ، وذلك بدلا من جعلها مقدمة للقصيدتين ١٨ ، ١٩ . ومع كل ذلك نرى أنه توجد بعض المطابقة بين التفسير وبين نص ثعلب .

٣ – يلاحظ أن أكثر الرواة وعلماء اللغة الذين ذكروا فى التفسير من البصريين ، مع أن المعروف أن ثعلباً علم من أعلام الكوفيين . وحتى إذا فرضنا أن هذا العالم الكبير لا يتعصب لمذهبه ، فيذكر أسماء رجال لهم منزلتهم فى البصرة ، مثل أبى عمرو ابن العلاء والأصمعى وأبى عبيدة ، تلك الأسماء التى ذكرت مرارًا فى التفسير ، فإنه ليس من المعقول أن يهمل الإشارة إلى أعلام الكوفة أمثال الفرّاء والكِسائى إهمالا كاملا . هذا وليس من السائغ ولا المقبول أن يذكر رئيس المذهب المخالف لمذهبه بمثل هذه الكثرة ، خصوصاً وأن هذا الرئيس (وهو ابن دُرَيْد) يصغره بعشرين عاماً . مع أن اسم ثعلب لم يظهر فى التفسير كله إلا ثلاث مرات فقط . (ص ١٢٩ س ٥ ، ١٦٣ : ٢ ، ١٨٨ : ١) وقد ذكر فى هذه المواضع ذكرًا عابرًا . وفى مقابل ذلك نجد أن الكتاب الوحيد الذى ذكر فيه ثعلب من كتب البصريين هو كتاب العَيْن لليث .

---

(١) لانه يقول فى الشرح ١٢ : ٢٠ (... ويروى وتبطن بفتح التاء عن ابى عبيدة) . ويقول فى الموضع الثانى ١٦ : ٤٢ (.. ويروى باسد خفية وصعاد) ، فهو يفترض فى الحالتين ان رواية الشعر فى النص تخالف هاتين الروايتين ، مع انهما فى الواقع تتفقان معهما . وهذا يدل على ان الشرح يتناول نصا مخالفا لنص ثعلب .

(٢) يقول فى شرح البيت (٣) فى الطبعة الاوروبية (وروى آخر : وارى الغوانى لا يواصلن امرءا فقد الشباب وقد يصلن الامردا) مع أن هذا هو البيت (٤) فى نص ثعلب وهذا يدل على ان البيت الرابع غير موجود فى النص الذى يتناوله الشرح .

على أننا إذا نفينا عن ثعلب أى صلة بالتفسير – على ضوء ما قدمناه من قرائن – فستظل أمامنا مهمة البحث عن صاحب هذا التفسير. وليس يسعنا إلا أن نذكر آسفين عجزنا عن حل هذه المشكلة، لأنه لم يذكر أى اسم مع العنوان، كما أن نهاية الكتاب قد فقدت. ولكن من الجائز أن يكون صاحبه أحد اللغويين الأندلسيين الذين ارتقوا بعلم اللغة فى الغرب عند أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع (مدارس فلوجل اللغوية ص ٢٥٦ وما بعدها Flugel, Gramm, Schulen) وربما كان له يد فى المخطوط الإسكوريالى. فالتأليف بين نص ديوان ثعلب وبين التفسير المبنى على رواية البصريين يلائم الاتجاه الأسبانى، الذى كان يميل إلى جمع المعلومات وتهذيبها. هذا – على ما أرى – هو كل ما يمكن معرفته عن شخصية المفسر. أما عدم موافقة الشرح لنص ثعلب، والخلاف الذى نجده بينهما فى بعض المواضع، فهذا ما لا نعلمه. وعلى العموم، فإن من المرجح جدًا أن يكون هناك نص آخر يسير مع التفسير ويلائمه أكثر مما يلائمه نص ثعلب. وقد يبدو لنا أن نتساءل بعد ذلك إن كان من الجائز اعتبار الخط دليلا على التفرقة بين التفسير والنص، فنعتبر الخط الكبير لثعلب، والخط الصغير للمفسر. ولكن هذا الفرض لا يلبث أن يضعف حين نلاحظ أن المقدمات مكتوبة بالخط الكبير، ومعنى ذلك أنها ينبغى أن تكون لثعلب، وهو ما لا يجوز، لأن الأسماء التى ذكرت للاستشهاد بها ليست من مذهب ثعلب كما أسلفنا. أما عن النص الشعرى فهو لثعلب لا شك فى ذلك. وكل ما عداه فهو من عمل الشارح (عند ذكر الشعر سأرمز له بحرف E – وهذا فيما عدا الخط الصغير – أما الباقى فسأرمز له بحرف ^{E}).

مخطوط دار الكتب المصرية فى القاهرة (فهرست ٤–٢٤٠): وقد أمكننا استعماله من نسختين قام بنقلهما مصريون، الأولى منهما فى مكتبة جامعة ستراسبورج تحت الرمز S P 2، والثانية فى ساخو. وقد وضعت الأولى تحت تصرفى. ولست أرى داعيا للإطالة فى شرح هذا المخطوط، فالفهرس مطبوع وفى متناول اليد. على أن الخط لا يكاد يتميز لقدمه. ويحتوى هذا المخطوط على مجموعة من ١٥ قصيدة لرواة غير معروفين. وترتيبها كالآتى حسب أرقامها فى كتابى هذا: ٦، ١٥، ٥٥، ١٢، ٧٨، ١٧، ٣، ٤١، ٧٩، ٢٨، ٢٩، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢. أما ترتيب الأبيات فى القصائد فيمكن معرفته من الملاحظات المدونة فى ملحقات الديوان. أما القراءة فتتفق غالبا مع ما ورد لأبى عبيدة، ولكنها تخالفه فى بعض الأحيان. ولذلك كان من الصعب البت برأى قاطع فى شخصية الكاتب. والنص غير مضبوط بالشكل. أما مقدمات القصائد فتقتصر على «وقال أيضا»، كما لا يوجد به شرح أو ملاحظات قصيرة. وسأرمز لهذا المخطوط بحرف C بينما أرمز C^{a} لمخطوط ستراسبورج، وبـ C^{b} لمخطوط زاخو.

مخطوط جامعة ليدن (Gr, 2023): لا يختلف هذا المخطوط عن مخطوط القاهرة إلا فى بعض الأخطاء الناتجة عن النقل. وقد نقلت عن الأصل سنة ١٢٩٦ بالمدينة. ولم يذكر شىء آخر عن الأصل الذى نقلت عنه. ومحتوياته هى نفس محتويات مخطوط القاهرة. وسأرمز لهذا المخطوط بالحرف L.

مخطوط مكتبة باريس (Supp. I. Ar 2168) وقد استعنت به فى مخطوط زاخو وثوربيك. وتجئ التعليقات فى هذا المخطوط فى نهاية بعض القصائد. وقد طبعتها فى أول ملحقات هذا الكتاب. وعلى العموم ينطبق هذا المخطوط على

مخطوطى القاهرة وليدن . وسأرمز له بالحرف P . وتكون مخطوطات القاهرة وليدن وباريس تلك المجموعة التى أسميها بالديوان الصغير لتشابه محتوياتها . ولما كان جامع هذه القصائد الخمس عشرة لم يذكر ، نرى أنفسنا مضطرين إلى الترجيح فيما يتعلق بشخصيته . ولقد ذكر ابن النديم صاحب الفهرست أن جامعى أشعار الأعشى ميمون هم ثعلب (ص ٧٤ ، ١٥٨) ، وأبو بكر بن الأنبارى (ص٧٥) ، والسكرى (ص٧٨) ، وأبو عمرو الشيبانى (ص١٥٨) ، والأصمعى (١٥٨) ، وابن السكيت (ص١٥٨) ، والطوسى (ص١٥٨) . وذكر العينى[١] (ج ٢ ص٢٩٣ س ١٤) أبا القاسم الآمدى . وأشار ابن خير[٢] إلى ابن دريد (ط . كودرا ص٣٩١) . وبين هذه المجموعة من الأسماء لا نجد إلا اسما واحدا يمكننا اعتباره إذا فكرنا فى جامع الديوان الصغير ، وذلك هو الأصمعى ، الذى اشتهر بأمانته فى نقل الأشعار القديمة . ولقد أشار ديروف Dyroff فى كتابه عن تاريخ نقل ديوان زهير ص ١٣ إلى أن من بين الـ١٨ قصيدة الموجودة فى شرح الأعلم[٣] يمكنه التصريح بأن الـ١٦ قصيدة الأولى فقط هى الصحيحة ، بينما تحتوى مجموعة ثعلب لديوان زهير على ٤٢ قصيدة . ولذلك يمكننا أن نظن أن الأصمعى هو جامع الديوان الصغير لشعر الأعشى . غير أن القصيدة ٨٢ المشكوك فى صحتها لا يصح أن تلقى تبعتها على عاتق الأصمعى ، لأنها مذكورة فى ذيل المخطوط ، ومن الجائز أن يكون شخص آخر قد أضافها فيما بعد . وتضم هذه المجموعة كذلك فيما تضم القصيدة ١٥ ، وهى تشتمل على بعض الأبيات التى تدل على تبعية قرشية (الأبيات ٣٤-٣٩) ، وهذا دليل على أن القصيدة بحالتها الراهنة قديمة جدًا ، وعلى أن جامع الديوان الصغير قد وجدها على هذه الحالة فنقلها بأمانة . غير أن أحوال جاهلية العرب ليست واضحة كل الوضوح الآن . فإذا صادفتنا أبيات مشكوك فى صحتها ضمن قصيدة مقطوع بصحتها ، كان من المجازفة أن نقطع فيها برأى . والأقرب إلى الصواب عندئذ أن يقتصر عملنا على دراستها . ومع كل ذلك فنحن غير واثقين من أن الأصمعى هو حقيقة جامع الديوان الصغير .

وبعد ، فالأبحاث التى قام بها كرنكوف لم توصله إلى مجموعات أخرى لشعر الأعشى ميمون . وعلى ذلك فالمخطوطات الأربع الذى ذكرتها هى أم كتابى هذا .

غير أن المخطوطات الثلاثة (ثعلب ، E k ، الديوان الصغير) ليست فى حالة جيدة . فالخط الاسكوريالى فى الأولى قديم تصعب قراءته ، والمخطوطة الثانية لا يفهم منها شىء إلا بمساعدة التفسيرات التى تذكر فى بعض الأحيان ، وأما الثالثة فهى غير مضبوطة بالشكل ، ثم هى مع ذلك لا تحتوى إلا على $\frac{1}{8}$ ما فى النسختين الأخريين . لذلك لم أعتمد فى $\frac{7}{8}$ القصائد إلا على المخطوط الاسكوريالى ، الذى يتخلله تفسير لا يطابق سياق الأبيات فى كثير من الأحيان .

---

(١) هو بدر الدين محمود بن احمد بن موسى بن أحمد العينى (٧٦٢ - ٨٥٥ هـ) كان مؤرخا ومحدثا . واصله من حلب ، ومولده فى عينتاب، واليها نسبته . تنقل بين حلب ومصر ودمشق والقدس . وتوفى فى القاهرة . واشهر كتبه (عمدة القارى فى شرح البخارى) طبع فى الاستانة سنة ١٣٠٨ فى ١١ جزء .

(٢) هو محمد بن خير بن عمر من علماء القرن السادس فى الأندلس (٥٠٢ - ٥٧٥ هـ) . كان مقرئا نحويا لغويا أديبا . وكتابه الذى يشير اليه جابر هو فهرست ما رواه من شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وانواع المعارف . طبع ضمن المكتبة الأندلسية فى مدريد .

(٣) هو الاعلم الشنتمرى من علماء اللغة الأندلسيين فى القرن الخامس .

وعلى هذا فإنى أجد أن من المستحيل وضع نص كامل لهذا الكتاب . فالفجوات فى نص ثعلب كثيرة ، والتفسير لا يفيد فى هذه الحالة لأنه لشخص آخر . وقد جعلت الأسبقية لنص الديوان الصغير[١] ، حين تتفق القصائد التى يرويها مع القصائد التى فى نص ثعلب ولكنى قدمت E^k عليه حيث كان يوافق نص ثعلب . على أننى اضطرت فى حالات كثيرة جدًا إلى مراعاة قصائد أخرى منفردة ذكرت فى أجزاء ومجلدات متباينة ، وكان من الواجب فى هذه الحالة أن تطابق إلى حد ما نص ثعلب . والنصوص المروية مختلفة ومتشعبة جدًا .

وعلى العموم فنص ثعلب هو الهيكل الأساسى ، فيما عدا الجزء الذى أدخل فيه E^k بعض القصائد التى لم يعرفها (وهى القصائد ٤٣-٤٦)[٢] ، وفى الجزء الذى انفرد فيه الديوان الصغير برواية قصائد لم تصل إلينا من المخطوط الإسكوريالى[٣] .

وسأميز المواضع التى أكملت فى طبع النص العربى بوضعها بين قوسين ( ) إذا كانت قد أخذت من النص التفسيرى ، أما إذا أخذت من مصادر أخرى فسأضعها بين [ ] . وسأرمز بـ < > لما اعتمدت فيه على الظن . وسأشير فى ملاحظاتى بملاحق الديوان إلى المواضع التى أكمل فيها النص من الديوان الصغير ، مبينًا مبلغ تمشيه مع نص E . أما الفجوات التى تبقى بعد كل ذلك فسأشير إليها بصف من النقط . وقد فضلت أن أفصل النص الشعرى عن تفسير المخطوط الاسكوريالى تيسيرًا للقراءة والفهم . ولقد عثرت أثناء تنقيبى فى المخطوطات والمطبوعات المختلفة على أشعار كثيرة للأعشى لم يذكرها ثعلب أو الديوان الصغير لأسباب مختلفة ، فجمعت هذه القصائد فى ملحق خاص كما جرت عليه العادة فى مثل هذه الأحوال . وهذه القصائد لا تنقص فى كميتها عن النص الشعرى بكثير . على أن كثيرًا من الأشعار التى تنسب للأعشى ليست لميمون ، بل هى لشعراء آخرين يشتركون معه فى هذا اللقب ؛ ولكنهم ينتسبون إلى قبائل أخرى . ولذلك قسمت المقتطفات ، بين ما يرجح أنه للأعشى ميمون ، وما يظن أنه لغيره ، وجعلت هذا الملحق بأقسامه المختلفة ذيلا للديوان ، لعله يفيد القارئ . وقد أثبت البحث الدقيق أن بعض القطع المنسوبة للأعشى هى فى الحقيقة من شعر خاله المسيَّب - وقد كان ميمون روايته - فالخلط فى هذه الحالة قريب غير مستبعد . ولذلك جمعت شعر المسيب ، وضممته إلى ذيل الديوان .

وسوف أشرح القصائد التى جاءت فى الديوان شرحاً أوفى فى كتاب آخر مستقل ، أتناول فيه حياة ميمون وصناعته وشعره وقيمته الفنية ، وأوضح فيه طريقة جمع نص ثعلب ، وأضم إلى كل ذلك فهارس للكلمات وللأعلام وغير ذلك .

انتهت مقدمة جاير

---

(١) يتكون الديوان الصغير كما اشار سابقا من نسخ القاهرة وليدن وباريس (C, L ,P)

(٢) وهى - كما ذكر عند كلامه على مخطوط الاسكوريال - مكتوبة بخط صغير ، يخالف الخط الكبير الذى كتبت به القصائد الاخرى.

(٣) بمقارنة ما جاء فى كلامه عن مخطوط الاسكوريال ومخطوط القاهرة يتبين ان القصائد التى انفرد بها الديوان الصغير هى القصائد ٧٨ الى ٨٢ ، والجزء الاخير من القصيدة ٧٧ ابتداء من البيت ٢٧ الى نهايتها . وقد أشار فى كلامه عن مخطوط الاسكوريال الى ان الصفحات الستة الأخيرة من الكراسة ١٤ كانت قريبة اللهب .

الأعشى

حياته وفنـــه

فى أطراف هضبة نجد الجنوبية الشرقية – بإزاء مكة – واديان كبيران يمتدان من الشمال إلى الجنوب ، يسمى أحدهما وادى (العِرْض) والآخر وادى (قُرّان) ، تجرى فيهما الغدران وتفيض العيون ، فتنتشر السائمة فى المراعى المنبسطة ، ويكثر النخيل. ومن هذين الواديين يتكون الإقليم المعروف باليمامة ، يفصله عن الخليج الفارسى أرض البحرين مسيرة عشرة أيام ، ويتصل جنوبه الغربى بأطراف اليمن ، بينما يتصل فى غربيه بأطراف الحجاز ، يفصله عن مكة مسيرة أربعة أيام . وكان هذا الإقليم مشهورًا بعذوبة مياهه ، وطيب لحومه ، وخصب مراعيه ، ووفرة حنطته ، وحلاوة تمره . وكان يمتاز عما حوله بحياة أقرب إلى الاستقرار . فقد نشأت فيه بعض القرى الصغيرة ، وانبثت خلاله بعض الحصون من عمارة شعبى (طَسْم) و (جَدِيس) البائدين [١] ، كالمُشَقَّر ومُعْنِق والثُّرْمُلِيَّة [٢] .

فى هذا المكان استقرت قبائل بكر – تجاورها بعض بطون من تميم وعبد القيس – منتشرة فيما بينه وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق . وفى قرية من قرى هذا الإقليم تسمى (منفوحة) ، على جانب وادى (العِرْض) ، نشأ شاعرنا ميمون بن قيس بن جندل ، فى بطن من بطون (بكر) ، عرفوا بالفصاحة [٣] اسمهم بنو قيس بن ثعلبة .

ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن نشأة الشاعر الأولى . وجل ما نعرفه أنه نشأ راوية لخاله المسيَّب بن عَلَس ، وهو شاعر رَبَعِىٌّ من شعراء ضُبَيْعَة المقلين . ثم تنقطع عنا أخباره بعد ذلك ، فلا نراه إلا شاعرًا مشهورًا مرهوب الجانب ، يطوف أنحاء الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ، مادحاً الملوك والأشراف . أما محاولاته الشعرية المبكرة ، فلم يبق لنا منها إلا بعض أرجاز فى الهجاء وفى التحضيض على القتال [٤] .

وقد اقترن ذكر الأعشى عند القدماء بشعر الخمر ، فعدوه أشهر شعرائها بين الجاهليين . والواقع أن شعر الخمر لم يحظ بعناية ملحوظة من شعراء الجاهلية ، إذا استثنينا نفرًا قليلا ، منهم حسان بن ثابت وعَدِىٌّ بن زيد وعلقمة ابن عَبْدَة . ولست أقصد بذلك أن الجاهليين لم يقولوا شعرًا فى الخمر ، ولكنى أريد أن أقول إن شعرهم فى الخمر

(١) طسم وجديس من قبائل العرب البائدة كعاد وثمود . وقد أوردنا طرفا من أخبارهم فى شرح القصيدة (١٣) .

(٢) كانوا يسمون هذه البقايا من حصون طسم بتلا (بضمتين ، جمع بتيل على وزن قتيل) . وهو بناء مربع مثل الصومعة ، مستطيل فى السماء ، مبنى من الطين . وقد رآه المسلمون فى القرن الثالث أو الرابع الهجرى ، وذكر أحدهم أنه أدرك بتيلا منها طوله ٥٠٠ ذراعا . ولعل زرقاء اليمامة قد نظرت جيش تبع من أحدها . ومن هذه البتل بتيل حجر (بفتح فسكون) . وقد كان أهل اليمامة يتحصنون بهذه الأبنية فى حروبهم كما نرى ذلك فى حروب الردة (فتوح البلدان ص ١٠٠) . وربما سموا هذه الأبنية قصورا مبالغة فى تقـــديرها ، لأن العرب لم تعرف العمارة والبناء .

(٣) الأغانى ج ٩ ص ١٠٩

(٤) راجع القطع ٣٤ – ٣٦ ، ٥٠ فى الديوان .

لم يكن مقصودًا لذاته ، وإنما كانت تذكر الخمر فى مناسبات عابرة ، حين يشبهون رضاب صواحبهم بها ، أويشبهون ذهولهم عند فراق الصحب والأحباب بذهول شاربها ، فيقولون فى ذلك البيت أو البيتين أو الثلاثة . فهى حمراء كدم الذبيح أو كدم الغزال ، وريحها كالمسك ، وهى معتقة مما حمله التجار من هذا المكان أو ذاك من مصانع الخمر فى الشام أو العراق .

كانت نغمة الفخر تشتمل على سائر الشعر الجاهلى ، وتطغى على أغراضه المختلفة ، فتطبعها بطابع حماسى . ولذلك كانوا يذكرون الخمر أكثرَ ما يذكرونها حين يتمدحون بفتوتهم وبإنفاقهم للمال فى اللذات وبمبالغتهم فى إكرام الضيف . وخير ما يصور هذا اللون من شعر الخمر الحماسى أبيات طرفه فى مطولته :

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً ... وَلٰكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ

فَإِنْ تَبْغِنِى فِى حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقَنِى ... وَإِنْ تَقْتَنِصْنِى فِى الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

...وَمَا زَالَ تَشْرَابِى الْخُمُورَ وَلَذَّتِى ... وَبَيْعِى وَإِنْفَاقِى طَرِيفِى وَمُتْلَدِى

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِى الْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ... وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ الْبَعِيرِ الْمُعَبَّدِ

... أَلَا أَيُّهٰذَا اللَّائِمِى أَحْضُرَ الْوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِى

فَإِنْ كُنْتَ لَاتَسْطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِى ... فَدَعْنِى أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِى

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ حَاجَةِ الْفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِى

فَمِنْهُنَّ سَبْقِى الْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِالْمَاءِ تُزْبِدِ

وَكَرِّى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنَّبًا ... كَسِيدِ الْغَضَا نَبَّهْتَهُ الْمُتَوَرِّدِ

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطِّرَافِ الْمُعَمَّدِ

مَتَى تَأْتِنِى أُصْبِحْكَ كَأْسًا رَوِيَّةً ... وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَاغْنَ وَازْدَدِ

... كَرِيمٌ يُرَوِّى نَفْسَهُ فِى حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا غَدًا أَيُّنَا الصَّدِى

فالصورة التى نتمثلها من الشعر هى صورة رجل يغتصب متعته اغتصاباً من الحياة الفانية ، ويسبق الموت إلى لذته ، ويرى أن حياة الفرسان تقوم على ثلاثة أشياء ، خمر وقتال ونساء . فذكر الخمر هنا مقترن بذكر القتال . والشاعر لم يقصد إلى وصفها ولم يفصِّل فيه ، ولكنه وضعها فى مكانها من حياة الفتيان ، الذين يؤدون للفتوة حقها فى الحرب وفى السلم .

أما الأعشى فقد جاء شعره فى الخمر مغايرًا لسائر الشعر الجاهلى ، تشيع فيه الحياة ، ويشف عن الصلة العاطفية التى تقوم بين الشاعر وبين موضوعه . والواقع أن الأعشى كان مفتوناً بالخمر وبمجالسها ، لا يعدل بها شيئًا ، ولا يستطيع لها فراقًا . حتى لقد يروون فى قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم وعدوله عن الإسلام أنه لم يهتم لتحريم الإسلام للزنا والقمار والربا ، ولكنه جزع أشد الجزع حين علم أنه يحرم الخمر ، فعاد من مكة إلى اليمامة

ليستنفد ما بقى له منها قبل أن يحرمه منها الدخول فى الدين الجديد . بل إنهم ليذهبون فى تصوير ولعه بالخمر إلى أبعد من هذا الحد ، فيزعمون أن بعض ولاة اليمامة سأل عن داره فدل عليها ، وسأل عن قبره فأُخبر بأنه فى فناء الدار . فقصد إلى هذه الدار فإذا هو رطب . فلما سأل عن علة رطوبته أُخبر بأن الفتيان يجتمعون حول القبر فيشربون ، وقد جعلوه مَجْلِسَ رجل منهم ، فإذا جاء دوره صبوا فوقه الكأس .

أطال الأعشى فى شعر الخمر وفصل . وافتنَّ فى وصفها ووصف بيوتها وتصوير أثرها فى النفس . وقدم لنا صوراً دقيقة رائعة لمجالسها فى بيئات منوعة متباينة ، بعضها حضرى مترف ، وبعضها ريفى ساذج . واتسمت خمرياته بالسهولة والسلاسة والخلاعة وتدفق العاطفة . وكان موفقًا غاية التوفيق فى اختيار القوالب الشعرية التى تناسب هذا الفن .

وقد أشار القدماء إلى أثر الأعشى فى شعراء الخمر الذين جاءوا بعده كالأخطل وأبى نواس . ويطول بنا المقام إذا نحن أحصينا معانيه التى تداولها الشعراء من بعده ، ولكنا لا نرى بأسًا من الإشارة إلى بعضها على سبيل المثال :

يشبه الأعشى اندفاع الخمر من الإبريق أو الزِّق باندفاع الدم من عرق مقطوع حين يقول :

فَتَرَى إِبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا ... بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنْ

وحين يقول : وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَا ... طَلَقَ الْأَوْدَاجِ فِيهَا فَانْسَفَحْ

وقد تأثر الأخطل بهذه الصورة فى قوله :

سُلَافَةٌ حَصَلَتْ مِنْ شَارِفٍ خَلَقٍ ... كَأَنَّمَا ثَارَ مِنْهَا أَبْجَلٌ نعِرٌ

وفى قوله : لَمَّا أَتَوْنَا بِمِصْبَاحٍ وَمِبْزَلِهِمْ ... سَارَتْ إِلَيْهِمْ سُؤُورَ الْأَبْجَلِ النَّعِرِ

وتأثر بها أبو نواس فى قوله :

أَنْفَذُوهُنَّ بِطَعْنٍ ... مِثْلِ أَفْوَاهِ الْمَزَادِ

ويتضح أثر الأعشى كذلك بمقارنة الأبيات الآتية :

الأعشى : كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا ... إِذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا

الأخطل : فَجَاء بِهَا كَأَنَّمَا فِى إِنَائِهِ ... بِهَا الْكَوْكَبُ الْمِرِّيخُ تَصْفُو وَتُزْبِدُ

أبونواس : كَأَنَّهَا الشَّمْسُ إِذَا صُفِّقَتْ ... مَسْكَنُهَا الْكَبْشُ أَوِ الْحُوتُ

وقد افتن أبو نواس فى هذا المعنى افتنانًا واسعًا ، فولد منه صورًا عجيبة ، مثل قوله :

قَالَ ابْغِنِى الْمِصْبَاحَ قُلْتُ لَهُ اتَّئِدْ ... حَسْبِى وَحَسْبُكَ ضَوْءُهَا مِصْبَاحَا

فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِى الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً ... كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

الأعشى : تَحْسَبُ الزِّقَّ لَدَيْهَا مُسْنَدًا ... حَبَشِيًّا نَامَ عَمْدًا فَانْبَطَحْ

الأخطل : أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا ... رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا

الأعشى : مِنَ اللاَّئى حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا   كَرِيحِ الْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا

و   مِنْ خَمْرِ عَانَةَ قَدْ أَتَى لِخِتَامِهَا   حَوْلٌ تَسُلُّ غَمَامَةَ الْمَزْكُومِ

الأخطل : وَإِذَا تَعَاوَرَتْ الْأَكُفُّ زُجَاجَهَا   نَفَحَتْ فَشَمَّ رِيَاحَهَا الْمَزْكُومُ

الأعشى : تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دُونِهَا وهْىَ دُونَهُ   إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

الأخطل : وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِى عَلَى لَذَّاتِهَا   صَهْبَاءُ عَالِيَةُ الْقَذَى خُرْطُومُ

الأعشى : وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ   وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

أبونواس : دَعْ عَنْكَ لَوْمِى فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ   وَدَاوِنِى بِالَّتِى كَانَتْ هِىَ الدَّاءُ(١)

الأعشى : فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً   تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا

أبونواس : إِذَا ارْتَعَشَتْ يُمْنَاهُ بِالْكَأْسِ رَقَّصَتْ   بِهِ سَاعَةً حَتَّى يُسَكِّنَهَا الشُّرْبُ

الأعشى : إِذَا انْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاة   تَرَامَوْا بِهِ غَرَباً أَوْ نُضَارًا

أبونواس : فَاسْتَوْسَقَ الشَّرْبُ لِلنِّدَا   مِ وَأَجْرَاهَا عَلَيْنَا اللُّجَيْنُ وَالْغَرَبُ

الأعشى : كُمَيْتٌ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَةٍ   يَكَادُ يُفَرِّى الْمَسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا

أبونواس : تَلْتَهِبُ الْكَفُّ مِنْ تَلَهُّبِهَا   وَتَحْسِرُ الْعَيْنُ أَنْ تَقَصَّاهَا

كَأَنَّ نَارًا بِهَا مُحَرَّشَةً   نَهَابُهَا تَارَةً وَنَغْشَاهَا

والمواضع التى جاء ذكرها فى خمريات الأعشى لا تكاد تخرج فى معظمها عن العراق واليمامة ، مثل (عانة) وهى بلد بين الرَّقَّة وهِيت ، و (بابل) وهى قرية صغيرة قرب الكوفة إلى جانب أنقاض العاصمة القديمة المعروفة بهذا الإسم ، و (الحِيرَة) عاصمة المناذرة وقد كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف، و (دُرْنا) وهى نخيلات لبنى قيس بن ثعلبة – قوم الأعشى – فى اليمامة ، أو هى مدينة دون الحيرة بمراحل كانت باباً من أبواب فارس . ومع ذلك فقد يذكر أنه شربها (تركض حوله تُرْكٌ وكَابُل) . ولعله يقصد بالترك والكابل جوارى أو راقصات ممن استجلب من بلاد الترك ، فما أحسبه قد رحل إلى هناك .

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ تَرْكُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ

وقد يرحل إلى الجنوب فيشربها فى اليمن ، فى قرية ذات كروم تسمى (أَثَافِت) ، يروون أن الأعشى كان له بها معصر خمر .

أُحِبُّ أَثَافِتَ وَقْتَ الْقِطَافْ   وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا

---

(١) وقد تأثر المتنبى بهذا المعنى فنقله للغزل فى قوله :

ففى تغرم الأولى من اللحظ مهجتى   بثانية والمتلف الشىء غارمه

وقد يشربها قرب الأديرة ، أو فى الأديرة نفسها – ولعدى بن زيد شعر يذكر فيه أنه شرب فى الدير حيث يقول :

نادمت فى الدير بنى علقما   مشمولة تحسبها عَنْدَمَا

يقول الأعشى :

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا   بِفِتْيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيصُ تُضْرَبُ

وقد يشربها عند خمار يهودى من أوانى مختومة :

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا   وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خُتُمْ

والأعشى – كما يبدو فى خمرياته – متلاف لايبخل على الخمر بشئ . وإليه تنسب هذه الأبيات التى يقول فيها إن الخمر والنساء والإسراف فى فاخر الطعام قد ذهبت بماله :

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ   مَالِى وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْمًا مُولَعَا(١)

الخَمْرَ واللَّحْمَ السَّمِينَ مَعَ الطِّلَى   بِالزَّعْفَرَانِ وَلَا أَزَالُ مُرَدَّعَا

وهو شديد الولع بها ، لا يكاد يطيق مفارقتها ، يشربها فى حالى فقره وغناه :

عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الْفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا   غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا

ويشربها فى الحل والترحال ، وقد يدأب على شربها فى الريف ليالى وأياما :

فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِـ   ـينَ يَوْمَ الْمُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا   لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَا قَدْ دَجَنْ

وهو ينزل على حكم الخمار حين يغالى فى ثمنها :

تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا   وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا

يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً   فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا

فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا   نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

ولكن المساومة قد تنتهى إلى المنازعة والشجار :

إِذَا سُمْتُ بَائِعَهَا حَقَّهُ   عَنُفْتُ وَأَغْضَبتُ تُجَّارَهَا

وقد تنوعت المجالس التى وصفها فى شعره . فهو يشرب الخمر فى بيئات يغمرها الترف حين يجد المال ، فى مجلس قد تناثرت فيه الورود والرياحين ألواناً ، وانبث السقاة فى أزيائهم الأنيقة ، وصدح المغنون والقيان على ألحان الصنج والعود ، وقامت بنات الحان فى ثيابهن الرقيقة التى تشف عن أجسامهن ، وقد ماج الحانوت بالشاربين : وتمدد بعضهم على أرضه حين غلبه السكر(٢) .

---

(١) شعراء النصرانية ٣٩٨   (٢) راجع القصائد ٦ : ٣٧ — ٤٤ ، ٣٦ : ٣٢ — ٥٤ ، ٥٥ : ١ — ١٢ ، ٧٨ : ١٢ —٢٢ .

وقد يستعيض عن هذه الدور المترفة التي تكلف الشارب باهظ النفقات ، بحوانيت أخرى أقل ترفاً حين يعوزه المال . فيصور مجلس الخمر في خباءٍ كبير تدلت هدبه ، وقد مد الليل من حوله رواقه ، ووقف فيه خمار غير عربي ، يذود الناس عن دن أسود لا يبذله إلا بعد مساومة طويلة . يبكر إليه الأعشى مع صاحب كريم ، في هذا السكون الذي لم يُمزق حُجُبَة صياحُ الديكة ، ولم تنغصه عين الحسود ، فيلحان في طلب هذا الدن العتيق ، ويساومان الخمار في ثمنه ، ثم ينزلان على حكمه فيما يطلب . ويضيء الرجل الخباء بالسراج لينقد الدراهم ويستوثق منها قبل أن يبذل خمره ، والأعشى وصاحبه يستعجلانه . ولا يزالان يشربان وقد حبسا مطيهما بباب الخباء ، حتى تنفذ خمرهم فينطلقان ناعمين[1] . فإذا لم يجد الأعشى من المال ما يفي بهذا أو ذاك استعاض عن الحانات بالريف ، يقيم فيه دائباً على الخمر ، حتى يطول انتظار المترقبين لعودته[2] . وقد يستبدل الغناء المترف بالمزامير ، يحمل إليه الساقي خمره في زق عند ماءِ غدير قرب الفرات ، فينيخ الأعشى ورفاقه إبلهم ويتساقونها جالسين[3] .

ولم يكن حظ الأعشى من النساء بأقل من حظه من الخمر . فابن سلام يقول « وكان من الشعراء من يتألّه في جاهليته ، ويتعفف في شعره ، ولا يستهتر بالفواحش ، ولا يتهكم في الهجاء . ومنهم من كان يبغي على نفسه ويتعهر ، ومنهم امرؤ القيس والأعشى » .

والواقع أن غزل الأعشى يفيض بالشهوة العارمة . ومن أظهر الأمثلة على ذلك أبياته التي يصف فيها صاحبته (قُتَيْلَة) ، فيدقق في وصف جسمها ، ويتتبع بعينه الجائعة ما أخفت ملابسها من مواضع الفتنة المثيرة ، ويتصورها حين تقعد وحين تقوم ، وحين تقبل وحين تدبر ، وحين تلوح بيدها في دلال ، وحين تتفضل في ثياب النوم ، وحين تنبطح على الأرض[4] .

لم تكن المرأة في نظر الأعشى إلا وسيلة من وسائل اللهو . فهو لا يحب بالمعنى الذي نعرفه ويعرفه الشعراء ، ولكنه يحب في المرأة نفسه وشهوته . يقول في (هُرَيْرَة) :

نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا   لِلَذَّةِ ٱلْمَرْءِ لَا جَافٍ وَلَا تَفِلُ

ويقول في (قُتَيْلَة) :

يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لَاهٍ بِهَا   حَوْرَاءُ تُصْبِي نَظَرَ النَّاظِرِ

وفراق المرأة لا يشجيه ولا يؤثر فيه إلى أبعد من تأثر العابث بفقد وسيلة من وسائل عبثه ، ينصرف عنها إلى وسيلة أخرى بعد قليل .

أَجِدَّكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً   فَتَرْقُدَهَا مَعَ رُقَّادِهَا
تَذَكَّرُ (تَيَّا) وَأَنَّى بِهَا   وَقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِهَا

(١) راجع القصيدتين ٨ : ٨ — ٢٤ ، ٣٣ : ١٩ — ٢٤ .
(٢) القصيدة ٢ : ١٤ — ١٥ .
(٣) راجع القصيدة ١٠ : ١٠ — ١٨ .
(٤) القصيدة ٧٧ : ١ — ٢٤ .

فَمِيطِى تَمِيطِى بِصُلْبِ ٱلْفُؤَادْ   وَصُولِ جِبَالٍ وَكَنَّادِهَا
ومِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بِالشَّبَا   بِ صَاكَ ٱلْعَبِيرُ بِأَجْسَادِهَا
تَسَدَّيْتُهَا عَادَنِى ظُلْمَةٌ   وَغَفْلَةَ عَيْنٍ وَإِيقَادِهَا
فَبِتُّ ٱلْخَلِيفَةَ مِنْ زَوْجِهَا   وَسَيِّدَ (تَيَّا) وَمُسْتَادِهَا (١)

كان الأعشى مفطوراً على خلق الفتيان كما صوره طرفة ، لا يفرق فى اللذة بين محرم ومباح . فهى عنده مبذولة لمن يستطيع أن ينالها ، وليس ينالها إلا الفاتك الجرئ .

وَأَقْرَرْتُ عَيْنِى مِنَ ٱلْغَانِيَا   تِ إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أُزَنْ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ   لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ

من أجل ذلك كان يطيب للأعشى أن يصور صاحبته متزوجة ، وأن يظهر نفسه بمظهر الفائز الذى استطاع أن يقهر صاحبها ويغلبه عليها :

وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا   نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا
قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا . وَشَاةِ مُحَاذِرٍ   حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أَغْفَالَهَا
فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا   حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ   فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا (٢)

ويصورها فى أحيان أخرى ممنَّعة محجَّبة ، لا يخلص إليها إلا بعد جهاد عنيف .

وَلَقَدْ أَنَالُ ٱلْوَصْلَ فِى مُتَمَنِّعٍ   صَعْبٍ بَنَاهُ الْأَوَّلُونَ مَصَادِ
مَنَعَتْ قِيَاسُ ٱلْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ   بِسِهَامِ يَثْرِبَ أَوْ سِهَامِ بِلَادِ (٣)

فالحب عنده لون من ألوان المغامرة والصراع ، وطموح للظفر والامتلاك . وليس يحسن برجل أن يذهب قلبه وراء المرأة حسرات ، ولا يجمل بالفتى أن يخرج قياد نفسه من يده ، ليلقيه بين أيدى النساء يعبثن به كيفما أردن . بل عليه أن يكون فى كل حال سيد نفسه ومالك أمره .

وكثير من غزل الأعشى يصور نساء غير عربيات ، بعضهن من القيان كهُرَيْرَة وقُتَيْلَة وجُبَيْرَة ، قيان بشر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكان قد قدم بهن إلى اليمامة حين هرب من النعمان . وبعضهن من البغايا اللاتى يبعن أعراضهن ، وقد صورهن فى مثل قوله :

تُنَازِعُنِى إِذْ خَلَتْ بُرْدَهَا   مُفَضَّلَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا

---

(١) راجع كذلك القصيدة ٢ : ١ — ٢ ، ٢٨ : ١ — ٢ وغيرهما كثير فى الديوان .

(٢) راجع ١٢ : ١١ — ١٩ ، ٦ : ٢٥ .

(٣) راجع كذلك القصيدة ٣٩ : ١٢ — ٢١ .

فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَا ... وَمَدَّتْ إِلَىَّ بِأَسْبَابِهَا
بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا ... وَجَادَتْ بِحُكْمِى لِأُلْهَى بِهَا (١)

وكان الأعشى مع كل ذلك شديد التبذير لا يبخل على صحبه ورفاقه من الفتيان ، يجتمعون إليه فى منزله فيأكلون ويشربون الخمر (٢) . وقد بلغ من وفائهم له بعد موته أنهم كانوا ينادمون قبره فيسقونه الخمر ميتا كما كان يسقيهم إياها حيا (٣) .

* * * *

كانت كل هذه الخصال خليقة أن تجعل الأعشى فى حاجة دائمة إلى المال . فراح يطوف ببلاد العرب بين الشام والعراق واليمن ، قاصدا الملوك والأشراف ، يمدحهم وينال عطاءهم . ولم يكن يجتمع إليه قدر من المال حتى يستنزفه فى لذته ولذة من يجتمع إليه من صحبه ورفاقه ، ثم يعاود الرحلة فى سبيل الحصول على مال جديد ، ينفقه فى لذة جديدة . وأسرف الأعشى فى الترحال ، وابتذل نفسه فى السؤال ، حتى اعتبره مؤرخو الأدب أول من سأل بشعره (٤) . وهو يصرح بذلك فى بعض مدائحه ، كقوله لقيس بن معد يكرب :

وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُهُ ... كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ ٱلْيَمَنْ
فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا ... وَلَوْلَا ٱلَّذِى خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ
فَلَا تَحْرِمَنِّى نَدَاكَ ٱلْجَزِيلْ ... فَإِنِّى ٱمْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

والأعشى نفسه يعترف بحرصه على جمع المال ، ولا يجد فيه غضاضة ، فهو يقول :

وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ ... عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ
أَتَيْتُ ٱلنَّجَاشِىَّ فِى أَرْضِهِ ... وَأَرْضَ ٱلنَّبِيطِ وَأَرْضَ ٱلْعَجَمْ
فَنَجْرَانَ فَٱلسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ... فَأَىَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ (٥)

رحل الأعشى إلى آل جفنة ملوك الشام ، وإلى المناذرة ملوك العراق ، وإلى قيس بن معد يكرب ، وسلامة ذى فائش فى اليمن ، وإلى السيد والعاقب فى نجران . ومدح هوذة بن على الحنفى فى اليمامة (٦) . فأفاضوا عليه من جزيل العطايا ، بين الإبل والجياد والإماء والقيان وأكسية الخز والديباج والكتان وصحاف الفضة (٧) . وقد أتاحت له هذه النعم الجزيلة حياة مترفة فى بعض الأحيان ، ووصلته هذه الرحلات بأسباب الحضارة ، ورفعته فوق مستوى البداوة الخشنة التى تبدو فى شعر معظم الجاهليين . وبدا أثر ذلك فى غزله وفى خمرياته . فهو يصف بعض صواحبه فيقول :

تَرَى ٱلْخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِرًا ... وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذَاكَ ٱلْحَرِيرَا

---

(١) القصيدة ٢٢ : ٥ — ٦ ، وراجع كذلك البيت ٢٢ من القصيدة ٧٨ ، حيث يشير الشاعر الى انطلاقه مع صحبه فى المساء الى بنات الليل ، يمتعون أنفسهم ، ويذيبون همومهم فى هذه البيوت التى لا يعرف الهم اليها سبيلا .

(٢) الأغانى ٩ : ١١٦ .

(٣) الاغانى ٩ : ١٢٧ .

(٤) ابن سلام ٣٠ ، العمدة ١ : ٤٦ .

(٥) راجع كذلك القصيدة ١٧ : ٥ — ٦ .

(٦) راجع فهارس المدح فى آخر الديوان .

(٧) راجع القصائد : ١ : ٤٦ — ٤٩ ، ٢ : ٥٢ ، ٧ : ٨ — ٩ ، ٥٥ : ٣٧ — ٤٠ .

إِذَا قَلَّدَتْ مِعْصَماً يَا رَقِيْـ ... ـنِ فُصِّلَ بِالدُّرِّ فَصْلاً نَضِيرَا
وَجَلَّ زَبَرْجَدَةٌ فَوْقَهُ ... وَيَاقُوتَةٌ خِلْتَ شَيْئًا نَكِيرَا

ويقول فى أخرى :
وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِى ٱلْحَيِّ ذِى ٱلْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ

ويقول :
لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ ... وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ ٱلْمُمَثَّلِ

ويشبه جراحات القلب بصدع الزجاجة الذى لا يلتئم حين يقول :

فَبَانَتْ وَفِى الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَئِمْ

وكل هذا لا يتأتى إلا لمن ألمَّ بقسط من الحضارة ، واتصل ببيئات مترفة منعمة . وخمرياته التى أشرنا إلى بعضها منذ قليل تصور ذلك أوضح تصوير .

وقد أتاحت له أسفاره الكثيرة ، وتنقله بين هذه البيئات ، ثقافة تاريخية قل أن يجاريه فيها شاعر جاهلى ، كالذى نراه فى ثنايا شعره من أخبار طَسْم وجَدِيس ، وعاد وثمود ، وأخبار ملوك الروم والفرس واليمن [١] . وبدت آثار النصرانية واضحة فى بعض صوره ، من أثر اتصاله بالعباديين فى الحيرة وآل جَفْنَة فى الشام ، حتى زعم بعض الذين ترجموا له من القدماء والمحدثين أنه كان نصرانيا ، وأن العباديين هم الذين لقنوه هذا الدين ، حين كان يفد عليهم لشراء الخمر [٢] .

والواقع أن كل ما نجده من آثار النصرانية فى أخبار الأعشى ، هو أن راويته كان نصرانيا اسمه يحيى بن متى ، وأنه كان يزور بعض أشراف النصارى وسادتهم ، مثل بنى الحارث بن كعب فى نجران ، فيمدحهم وينال عطاءهم ، ويقيم عندهم يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومى [٣] . ثم لا نجد بعد هذا فى شعره إلا بعض الصور والتشبيهات ، مثل تشبيهه قيس بن معد يكرب بالرهبان فى عدله وتقواه ، ومثل حلفه برهبان دير هند ، وإشارته إلى عيد الفصح وإلى طوفان نوح ، ومثل هذا التفكير الذى حمل بعض القدماء على أن يقولوا إنه كان قدريا [٤] . ولكن كل ذلك لا ينهض دليلا على نصرانيته ، فهو لا يدل على أكثر من أن الشاعر قد أفاد بعض الثقافة الدينية من أثر تنقله بين البيئات النصرانية فى الجاهلية . ولئن حلف برهبان دير هند ، فلقد حلف فى مواضع أخرى بالكعبة [٥] ، ولئن زار بعض أشراف النصارى فلقد رحل إلى النبى صلى الله عليه وسلم حين ظهر الإسلام [٦] .

ولكن رحلات الأعشى إلى الملوك والأشراف ، لم تصرفه عما ينبغى للشاعر الجاهلى من المشاركة فى شئون قبيلته ، والإخلاص لقومه وعشيرته ، ولم تغلب على صفته الأصيلة التى جعلت منه شاعر بكر ، بل شاعر ربيعة ، الذى يسجل

---

(١) راجع فهرس الأعلام والقبائل فى الديوان .
(٢) الأغانى ٩ : ١٣ ، شعراء النصرانية ج ٣ .
(٣) الأغانى ٦ : ٣٠ .
(٤) راجع القصائد ٥ : ٦٢ — ٦٤ ، ١٥ : ٤٤ ، ٢٣ : ١٦ ، ١٢ : ٦٩ ، ٧٩ : ٢٨ — ٢٩ ، ٣٥ : ١ — ٦ .
(٥) القصيدة ٦ : ٦٢ ، ١٥ : ٣٠ .
(٦) القصيدة ١٧

وقول الأعشى : أَجَدُّو فلمَّا خِفتُ أَنْ يَتفرَّقُوا فَريقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ
طَلَبْتُهُمْ تطوى بِى ٱلْبِيدَ جَسْرَةٌ شُوَيْقِيَةُ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ

وإن كان يذكر صدودها عنه وإعراضها قال (فصرِّمْ حبلها إذ صرمته بالسفر على ناقة شديدة) كما يقول زهير :

فَصَرِّمْ حَبْلَهَا إِذْ صَرَّمَتْهُ وَعَادَى أَنْ تُلَاقِيَهَا ٱلْعَدَاءُ
بِآرِزَةِ ٱلْفَقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِى الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

وقول لبيد : فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا
بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا

وإن ذكر ما كان بينه وبينها من ود قال (فدعها وسل همومك فوق الناقة برحلة فى الصحراء) ، وهو أكثر مذاهبهم شيوعاً . كقول الأعشى :

وَقَدْ أُسَلِّى ٱلْهَمَّ حِينَ ٱعْتَرَى بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ

وقوله : فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ تَزَيَّدُ فِى فَضْلِ الزِّمَامِ وَتَغْتَلِى
وقول امرئ القيس : فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا
وقوله : فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ مُدَاخَلَةٍ صُمِّ ٱلْعِظَامِ أَصُوصِ
وقول علقمة : فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ كَهَمِّكَ فِيهَا بِالرِّدَافِ خَبِيبُ
وقول المثقب العبدى : فَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُذَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ ٱلْقُيُونِ
وقول المرقش الأكبر : لَوْمَا تُسَلِّى حُبَّهَا جَسْرَةٌ وَهَلْ تُسَلِّى حُبَّهَا مِنْ أَمَمْ
وقول المسيب : فَتَسَلَّ حَاجَتَهَا إِذَا هِىَ أَعْرَضَتْ بِخَمِيصَةٍ سُرُحِ ٱلْيَدَيْنِ وَسَاعِ

فإذا أخذ الشاعر فى الكلام عن رحلته ، كان له فى ذلك طريقان . إما أن يشبه ناقته بالنعامة أو الحمار أو الثور على النحو الذى ذكرناه . وإما أن يصفها فينظم معانى الذين سبقوه ، فيتم له بهذا النظم المعاد شعر فى وصف الناقة وفى وصف الصحراء ، لا يرى نفسه مطالباً بأكثر منه . ولهم فى ذلك تشبيهات معروفة ، قد اجتمع لى منها قدر كبير . ولولا خشية الإطالة لعرضتها ليتبين منها مبلغ جمود هذا الفن . ولكنى أكتفى بعرض طرف يسير منها على سبيل المثال . فمن ذلك تشبيههم الطريق فى الصحراء بالكساء المخطط. (البُرْجُد) .

الأعشى : وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرْ مَشَارِبُهَا دَاثِرَاتٌ أُجُنْ
و فَأَفْنَيْتُهَا وَتَعَالَلْتُهَا عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرِّدَنْ
طرفة : أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ ٱلْإِرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ
المثقب العبدى : فِى لَاحِبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ مُنْفَهِقِ ٱلثُّغْرَةِ كَٱلْبُرْجُدِ
النابغة : وَنَاجِيَةٍ عَدَّيْتُ فِى مَتْنِ لَاحِبٍ كَسَحْلِ ٱلْيَمَانِى قَاصِدٍ لِلْمَنَاهِلِ

ومنه تصوير وحشة الصحراء بصوت البوم .

الأعشى : لَا يَسْمَعُ ٱلْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُه ... بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ ٱلْبُومِ وَالضُّوَعَا

المرقش الأكبر : وَتَسْمَعُ تَزْقَاءً مِنَ ٱلْبُومِ حَوْلَنَا ... كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ ٱلْهُدُوءِ النَّوَاقِسُ

المثقب العبدى : أَمَضَى بِهَا ٱلْأَهْوَالَ فِى كُلِّ قَفْرَةٍ ... يُنَادِى صَدَاهَا آخِرَ اللَّيْلِ بُومُهَا

علقمة الفحل : بِمِثْلِهَا تُقْطَعُ ٱلْمَوْمَاةُ عَنْ عُرُضٍ ... إِذَا تَبَغَّمَ فِى ظَلْمَائِهِ ٱلْبُومُ

الأسود بن يعفر : مَهَامِهَا وَخُرُوقًا لَا أَنِيسَ بِهَا ... إِلَّا الضَّوَابِحَ وَٱلْأَصْدَاءَ وَٱلْبُومَا

وتصوير وحشتها كذلك بعزيف الجن :

الأعشى : وَبَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَا ... مَنَاهِلُهَا دَاثِرَاتٌ سُدُمْ

المثقب : فِى لَاحِبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ ... مُنْفَهِقُ الثُّغْرَةِ كَٱلْبُرْجُدِ

طرفة : وَرَكُوبٍ تَعْزِفُ ٱلْجِنُّ بِهِ ... قَبْلَ هٰذَا ٱلْجِيلِ مِنْ عَهْدِ أَبَدْ

ومنه تشبيه الهوادج وقد لاحت من بعيد وسط الصحراء ، بالسفين فى لج البحر .

طرفة : كَأَنَّ حُدُوجَ ٱلْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً ... خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

المرقش الأكبر : لِمَنِ الظُّعْنُ بِالضُّحَى طَافِيَاتٍ ... شِبْهُهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلَايَا سَفِينِ

عبيد بن الأبرص : تَبَيَّنْ صَاحِبِى أَتَرَى حُمُولًا ... يُشَبَّهُ سَيْرُهَا عَوْمَ السَّفِينِ

المثقب العبدى : وَهُنَّ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلْجًا ... كَأَنَّ حُمُولَهُنَّ عَلَى سَفِينِ

النابغة : كَأَنَّ الظُّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْرًا ... سَفِينُ ٱلْبَحْرِ يَمَّمْنَ ٱلْقَرَاحَا

زهير : شَطَّتْ بِهِمْ (قَرْقَرَى) ، (بِرَكٌ) بِأَيْمُنِهِمْ ... (فَٱلْعَالِيَاتُ) ، وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ (خِيَمُ)

عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمُ ... (فَيْدُ ٱلْقُرَيَّاتِ) (فَٱلْعِتْكَانُ) (فَالْكَرَمُ)

امرؤ القيس : فَشَبَّهْتُهُمْ فِى ٱلْآلِ حِينَ زَهَاهُمُ ... عَصَائِبَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا

وأمثال هذه التشبيهات المشتركة كثير شائع فى هذا الفن ، لا أريد أن أطيل بتفصيله . فمنه تشبيه أعلام الطريق — وهى الحجارة المنصوبة على جانبيه — بالرجال ، ووصف الصحراء بأنها مطموسة المسالك ، وبأنها مدفونة المناهل ، وبأن ماء آبارها راكد غير سائغ . وتشبيه الناقة بالبنيان الضخم ، ووصفها بتلاحم الفقار ، وتصويرها قبل السفر وقد علفها صاحبها وأحسن القيام عليها ، وتصويرها بعد الرحلة هزيلا ضامرة ، وتصوير نشاطها فى الهاجرة ، حين يخفق السراب ، وكأن هرًّا قد علق برحلها فهو ينهشها فيهيجها ويبعثها على الإسراع . وتشبيه هيكلها حين تضمر ، وقد ارتفع فوق أرجلها ، بتابوت الميت (الإران) وقد حمل على هام الرجال ، وتشبيه آثار السيور فى جسمها المهزول بآثار المشى أو الماء فى الصحراء حين يترك طرائق واضحة ، وتشبيه ذنبها بشمراخ البلح ، وعينها بالمرآة . وقولهم إنها تستخف بالرِّدْف ، وأنها تمير ولا طعام لها إلا ما تجتر ، وأنها تثير الحصى لسرعتها .

ولهم بعد هذا كثير من القوالب الجامدة والأساليب المأثورة المعادة فى مختلف الأغراض . فمن ذلك تشبيه الأطلال بآثار الوشم وبالكتابة البالية . وتشبيه النساء بالظباء ، وأردافهن بالكثيب ، وبشرتهن الصافية باللؤلؤ وبالبيض المكنون ، ووجهن الوضاء بالقمر ، وأسنانهن باللؤلؤ وبالبلور وبأوراق زهر الأقحوان ، وشعرهن الأسود بالليل وبخطوط الكساء ، وعيونهن بعيون البقر ، وجيدهن بجيد الغزال ، وريقهن بالخمر وبالعسل ، وأناملهن بهداب الحرير ، وقوامهن بغصن البان ، ومشيهن بمشى القطا ، وكنايتهم عن دقة خصر المرأة بقولهم (صفر الوشاح) ، وعن ضخامة الأرداف بقولهم (مِلْءُ الدِّرْع) وعن امتلاء الساق بقولهم (صامته الخلخال) . ومن ذلك تشبيه الوصل بالحبل ، وفيض العيون بفيض الدلاء ، وتشبيه المحب بالأسير وبالسكران . وتشبيه الشجاع بالليث وبالسيف ، والكريم بالبحر وبالغيث ، وتشبيه القامة بالرمح ، والحرب المريرة بالناقة العجوز وبالرحى وبالفحل الشرس ، والذى يثيرها ويؤججها بالذى يمد النار بالحطب ، وتشبيه الموت بالكأس المرة ، والفرس السريع بالعقاب وبالسابح ، والفرس الطويل الظهر بجذع النخلة وبقناة الرمح . وتصويره فى سرعته وكأنه يبارى رمح راكبه محاولا أن يسبقه ، وتشبيه السهام فى سرعتها حين تنطلق بالنحل ، وتشبيه لمعان السيوف والدروع بترقرق صفحة الغدير ، وتشبيه العدو المغير بالضيف ، وتعبيرهم عن التنكيل به بالقرى على سبيل التهكم ، وكنايتهم عن الطويل القامة بأنه طويل النجاد ، وعن الشريف بأنه رفيع العماد ، وعن المنجد ذى المروءة بأنه وارى الزناد .

هذه جملة من الصور والتشبيهات ، نجدها شائعة فى الشعر الجاهلى الذى نتدارسه ، لا يختص بها شاعر دون آخر ، فهى قوالب قد جمدت وتحجرت حتى كادت تفقد قيمتها المجازية وروعتها الفنية . ومن الواضح أن هذه البقية التى نتدارسها من الشعر الجاهلى تصوره فى طور نضوجه الكامل ، وأن المحاولات الأولى قد ضاعت ولم يبق لها أثر ، فلم يصلنا الشعر إلا مقيداً بقوانين يتحتم على الشاعر التزامها . وليس لنا بد من رد هذه القوالب والتقاليد إلى الجنود المجهولين ، وإلى الأجيال المظلمة للمؤسسين الأولين .

وبعد فأنا أخشى أن أكون قد صورت الشاعر الجاهلى نظّاماً ، ينحصر عمله فى صياغة هذه المعانى ورصفها . والواقع أن الشعراء ينفردون بعد ذلك بأساليب خاصة ، فهذا بدوى مسرف فى البداوة خشن العبارة ، وذاك تبدو على شعره آثار الحضارة والرقة . وهذا تغلب عليه الحكمة والتفكير ، وذاك تغلب عليه الصنعة والصقل . ثم هم يتميزون مع ذلك بأساليبهم فى نظم الكلام وصياغته ، ولا نعدم فى شعر كل شاعر كثيراً من التشبيهات المبتكرة الرائعة ، التى تمتاز بالصدق وقوة التصوير . ولأضرب لذلك بعض الأمثلة من شاعرنا (الأعشى) :

من ذلك تصويره للناقة فى قطعها للطريق وكأنها تلتهم الآكام وتغتال الفجاج :

إِذَا مَا الآثِمَاتُ وَنَيْنَ حَطَّتْ ... عَلَى الْعِلَّاتِ تَجْتَرِعُ الإِكَامَا

بِنَاجِيَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْهِجَا ... نِ تَـأْتِى الْفِجَاجَ وَتَغْتَالُهَا

ومنه تصويرها فى جرأتها على السفر فى الليل ، بأنها تحتفر الظلماء ، أو تشق برقبتها الطويلة الليل :

وَلَقَدْ أُخْزِمُ اللُّبَانَةَ أَهْلِي ... وَأُعَدِّيهِمُ لِأَمْرٍ قَذِيفِ

بِشُجَاعِ الْجَنَانِ يَحْتَفِرُ الظَّلْمَا ... ءَ مَاضٍ عَلَى الْبِلَادِ خَشُوفِ

و

تَشُقُّ اللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا ... بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يُشْرِى الزِّمَامَا

ومثل تصويره للميت حين يمضى مخلفاً وراءه كل ما جمع ، فيشبهه بالمغزل الذى يغزل الخيوط ، ثم لا يكاد يتضخم بها حتى يعرّى منها ، فإذا هو سليب .

وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ... كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ الْمَغَازِلُ (١)

على أن شيوع القوالب والأساليب المأثورة المعادة فى الشعر الجاهلى إن عُدَّ لونا من ألوان الجمود ، فهو فى الوقت نفسه يصور عراقة هذا الشعر وإيغاله فى القدم ، بما يسمح برسوخ تقاليد معينة له يصبح لها مع مرور الزمن سلطان قاهر يبلغ بها حد الجمود . ثم إنه فى الوقت نفسه يصور نضج هذا الشعر وبلوغه حدا تصور معه أصحابه أنه غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد . فالجمود لا يجيء إلا بعد النضج ، لأنه فى حقيقة أمره وقوف عند مرحلة من المراحل يجمد عليها أصحابها لتوهم كمالها .

* * * *

أطلت الحديث عن العصر وعن تقاليده ولم يكن من الاطالة بد ، لبيان موضع شاعرنا الصحيح من عصره فى فنه ، ولمعرفة ما انساق فيه وراء التقاليد الموروثة وما جدد فيه وابتكر .

قلت إن كل شاعر ينفرد بأسلوبه الخاص فى التعبير وفى إبراز المعانى . وقد أولع الأعشى ببعض أساليب كثر دورانها فى شعره . وسأخص منها بالحديث أربعة ، بالإضافة إلى ما قدمت ، وهى : وحدة القصيدة ، والاستدارة ، والاستطراد ، والقصص .

وليس المقصود من وحدة القصيدة وحدة الموضوع . فالأعشى كان خاضعا فى بناء قصائده لعرف العصر الذى كان يجمع فى القصيدة الواحدة بين مواضيع مختلفة ، ينتقل بينها الشاعر كيفما تتداعى إلى خاطره ، دون أن تتدخل قواه الواعية فى تحديدها وتوجيهها . ولكنا نتكلم هنا عن وحدة القصيدة ونضعها فى مقابل وحدة البيت التى كان يفضلها الذوق العربى وقتذاك .

فالذى نقصده إذن بوحدة القصيدة هو تماسك أبياتها وترابطها . أى أن الشاعر لا يبالى حين ترد على ذهنه الخاطرة أو تلمح فى خياله الصورة الشعرية ، أن يكون التعبير عنها فى بيت واحد أو فى بيتين أو فى مجموعة من الأبيات .

---

(١) راجع كذلك القصائد : ٩ : ١٤ ، ١٢ : ١٨ — ١٩ ، ١٣ : ٥، ٦، ١٤ : ٣٣ — ٣٤ ، ١٨ : ١٢ ، ٣٢ : ١٩ و ٣٨ و ٤٢ و ٤٤ ، ٢٣ : ٥٢ ، ٣٤ : ٧ ، ٣٥ : ١٧ ، ٣٨ : ٢١ .

كان العرب يحبون فى البيت أن يستقل فى معناه عما قبله وعما بعده . ولذلك شاعت الفكرة القائلة إن ترتيب القصيدة العربية لا يجرى على نظام ، وأن من الممكن أن تقدم الأبيات عن مواضعها أو تؤخر ، دون أن يكون لذلك أثر فى الإخلال بالمعنى ، فكل بيت فى القصيدة وحدة قائمة بنفسها . وقد كان الأعشى مولعا بصياغة المعنى فى مجموعة من الأبيات ، لا يحرص على استيفائه فى البيت الواحد ولا يبالى بذلك . لذلك جاءت معظم قصائده متماسكة تتساوق أبياتها متسقة النسق ، يأخذ بعضها برقاب بعض . ويبدو هذا الترابط قويا محكما فى كثير من المواضع ، حتى يتعذر نقل البيت عن موضعه [١] . وكثيرا ما يأتى الأعشى بالفعل فى بيت ثم يأتى بفاعله أو بمفعوله فى البيت التالى [٢] ، أو يأتى بفعل الشرط فى بيت ويأتى بخبره بعد بيت أو بيتين [٣] . وقد يذهب الأعشى فى ذلك النهج إلى أبعد الحدود ، حتى يعلق قافية البيت بصدر البيت الذى يليه ، وهو ما يسميه علماء القافية بالتضمين ، وهم يعدونه عيبا ، وأكثر ما يستقبحونه إذا قطع الكلام قطعا فى نهاية البيت ، فلم تتم فائدة المعنى بغير البيت التالى ، مثل تضمين الأعشى بصلة الموصول ، وجعل صلته فى البيت التالى [٤] ، أو تضمينه بالفعل الناقص (صار) ، وجعل خبره فى البيت الذى يليه [٥] ، وتضمينه بالفعل وجعل فاعله فى البيت التالى [٦] ، ومثل تعليق الجار والمجرور بقافية البيت السابق [٧] .

والحديث عن وحدة القصيدة يسلمنا إلى الحديث عن الاستدارة ، التى هى صورة من صور الترابط الذى يقوم بين الأبيات . والمقصود بالاستدارة هو توالى مجموعة متلاحمة من الأبيات تجرى على نظام متسق ، يقوم فيه كل بيت بنفسه فى معناه ، ولكن المعنى العام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها . وقد أكثر الأعشى من هذا الأسلوب فى شعره – وتأثر به الأخطل فيه – وهو أسلوب مشوق يثير السامع ، ويبعثه على تتبع الكلام حتى نهايته ومداه . فمن ذلك مثلا قوله فى مدح إياس بن قبيصة الطائى (٢١ : ٣٨–٤١) :

إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً والرِّكَا ... بُ خُوصٌ تَخَضْخَضُ أَشْوَالُهَا

وَتَسْمَعُ فِيهَا هَبِى وَأَقْدِمِى ... وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالُهَا

وَنَهْنَهَ مِنْهُ لَهُ الْوَازِعُو ... نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا

أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ الْقَرَى ... فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

فكل بيت من هذه الأبيات يقوم بنفسه ، ولكن جواب الشرط فى البيت الأول ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير ،

---

(١) القصيدة ٣٤ : ٢٥ – ٣١ ، ٢ : ١٩ – ٢١ ، ٣ : ٣٧ – ٤١ .   (٢) مثل ما فى القصيدة ١ : ١ – ٢ ، ١٦ : ٦ – ٧

(٣) ٢٩ : ٧ – ٩ ، ٣٢ : ٣٩ – ٤١ .

(٤) ٤٠ : ٣ – ٤ .   (٥) ١٢ : ٤ – ٦ .   (٦) ٢٩ : ١٧ – ١٨ .

(٧) ٣٩ : ٢١ – ٢٢ . وتراجع الأمثلة على الفكرة عامة فى ١ : ١ – ٢ و١٥ – ١٦ و٢٣ – ٢٥ ، ٢ : ١٩ – ٢١ و ٥٢ – ٥٤ ، ٣ : ٤ – ٥ و٢٧ – ٢٨ ، ٨ : ٢٢ – ٢٢ ، ٩ : ١٧ – ١٨ ، ١٠ : ٦ – ٧ و١٧ – ١٨ و٣٢ – ٣٣ و ٣٥ – ٣٦ ، ١١ : ٦ – ٧ و٨ – ١٠ ، ١٢ : ٥٣ – ٥٤ ، ١٨ : ١٩ – ٢٠ ، ١٩ : ١٧ – ١٨ ، ٢٠ : ٦٧ – ٦٨ ، ٢١ : ٢٢ – ٢٣ و ٤٢ – ٤٣ ، ٢٨ : ٩ – ١١ ، ٣٣ : ٤٨ – ٤٩ ، ٣٦ : ٢٤ – ٢٦ ، ٣٨ : ٢١ – ٢٣ و ٢٤ – ٢٦ ، ٣٩ : ١٣ – ١٤ و ٣٨ – ٤١ ، ٥٢ : ٢٦ – ٢٨ ، ٥٤ : ٤ – ٨ و ١٦ – ١٨ و ١٩ – ٢٠ ، ٧٣ : ٩ – ١٠

الذى يتم به المعنى . والسامع يظل متتبعا للشاعر ، معلقا انتباهه بما يتوالى من أبيات ، حتى يستريح إلى البيت الأخير ، فيقع من نفسه موقع الخاتمة من القصة المثيرة .

ومن أمثلته كذلك قوله ، من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب (٥ : ٤١ـ٤٣) .

فَيَارُبَّ نَاعِيَةٍ مِنهُمُ   تَشُدُّ اللِّفَاقَ عَلَيْهَا إِزَارَا
تَنُوطُ التَّمِيمَ وَتَأْبَى الْغَبُو   قَ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ إِلَّا نَهَارَا
مَلَكْتَ فَعَانَقْتَهَا لَيْلَةً   تَنُصُّ العُقُودَ وَتَدْعُو يَسَارَا

فخبر المبتدإ فى البيت الأول (ناعية) ، لا يجئ إلا فى البيت الأخير (ملكت . . .) .

ومنه قوله فى مدح هوذة (١٣ : ٥٨ـ٦١) :

وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ   قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى ٱلْجُرْفَيْنِ وَاطَّلَعَا
يَجِيشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلًا   يَكَادُ يَعْلُو رُبَى ٱلْجُرْفَيْنِ مُطَّلِعَا
طَابَتْ لَهُ الرِّيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ   تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ   إِذْ ضَنَّ ذُو ٱلْمَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْخَدَعَا

فخبر (ما) فى البيت الأول ، لايجئ إلا فى البيت الأخير . مع أن كل بيت من هذه المجموعة يقوم بنفسه فى تصوير معنى جزئى ، وقد شُدَّ البيتُ إلى البيت ، كما تُشَدُّ اللَّبِنَةُ إلى اللبنة ، ليتكون منها فى مجموعها بناءٌ متماسك ، هو المعنى الإجمالى[1] .

أما الاستطراد ، فالشاعر يخرج فيه عن الموضوع الذى يعالجه لمناسبة عارضة ، فيمضى مع موضوعه الجديد مفصلا فيه ، وكأنه نسى الموضوع الأصيل ، حتى يعود إليه آخر الأمر ليربط بين الموضوعين . فمن ذلك مثلا أن يشبه ناقته بثور الوحش ، ثم يترك الناقة ـ وهى موضوع الحديث ـ ويمضى مع ثور الوحش ، يصوره وقد فاجأه المطر ، ثم طارده الصياد بكلابه ، فراح يدافع عن نفسه فى جرأة ، حتى ينتصر على الكلاب بعد أن ينال منه الإجهاد . ويعود الشاعر بعد حديثه الطويل عن الثور ، ليربط بينه وبين الناقة ـ وهى موضوع الحديث الأصيل ـ فيقول إن ناقته تشبه هذا الثور ، فى تخطيها لما يعترض طريقها من عقبات وصعاب . وهذا أسلوب مشهور معروف ، جرى عليه الشعراء الجاهليون فى وصف الناقة خاصة ، ولكنهم لم يستعملوه فى غيرها إلا نادرًا . أما الأعشى فقد توسع فى هذا الأسلوب ، وجمع بينه وبين الاستدارة فى بعض الأحيان[2] . ومن أوضح الأمثلة على هذا الأسلوب القصيدة (٥٢) فى الديوان . فالأعشى يشبه صاحبته بظبية صغيرة ، ولكنه يسترسل فى الخيال ، ويبالغ فى وصف

---

(١) راجع أمثلة للاستدارة فى القصائد الآتية : ٢ : ٢.٢ ـ ٢٤ و ٥١ ـ ٥٣ ، ٤ : ٣٦ ـ ٣٩ ، ٥ : ٥٥ ـ ٥٨ و ٦٢ ـ ٦٤ ، ١٢ : ٥٥ ـ ٥٧ ، ١٥ : ٢٠ ـ ٣٢ و ٤٤ ـ ٤٦ ، ١٦ : ٢٩ ـ ٣١ ، ٢٨ : ٢١ ـ ٣٠ و ٣١ ـ ٣٣ ، ٢٩ : ٢٤ ـ ٢٦ ، ٣٢ : ٣٩ ـ ٤١ ، ٥٥ : ٣٥ ـ ٣٦ ، ٧٠ : ٦ ـ ٩ و ١٤ ـ ١٧ ، ٧٢ : ٢ ـ ٤

(٢) راجع القصيدة ٢٨ : ٢١ ـ ٣٠

هذه الظبية الصغيرة ، ويخلع عليها أجمل صور الحنان والرقة والضعف الذى يلائم ضعف الأنوثة الناعمة . فإذا بلغ من التصوير والتجميل ما أراد ، قال : أترى إلى هذه الظبية الرّخصة الضعيفة الصوت ، سوداء المقلتين ، التى لا تكاد تقوى رجلاها على حمل جسمها الصغير ، والتى شبت وترعرت فى رعاية أمها التى لا تكاد تفارقها ، فهى لا تخرجها للرعى إلا إذا عم الدفء والتجّ الذباب ، ولا تبعد عنها خشية أن تضل . أترى إلى هذه الظبية الجميلة الناعمة ؟ إنها تشبه (قَتْلَةَ) ، بل إن (قتلة) لتفوقها جمالا حين تبدو سافرة[١] . ثم هو بعد ذلك يشبه رضاب صاحبته بالخمر التى خالطها زنجبيل وتفاح مزجا بالعسل . ويسترسل فى الخيال مرة أخرى ، فيبالغ فى وصف ما يلاقى مستخرج هذا العسل من عناء . فهو يصعد إلى مرتفع قد أحاطت به الصحراءُ . ولا يزال يتحمل المتاعب فى سبيل بغيته ، فيدفع عن نفسه صغار النحل التى تطن من حول راحلته ، وقد انبعثت حين هيجها الدخان[٢] .

ولا يلبث الشاعر أن يصل بعد قليل إلى الناقة ، فيصوزها جلدة جريئة وقد نال منها الكلال ، ويشبهها بثور ضامر جائع . ثم يسترسل فى الخيال مرة ثالثة ، فيطيل فى وصف هذا الثور على الأسلوب الجاهلى المألوف الذى قدمناه فيما سبق ، حتى إذا انتهى الشاعر من تركيب صورته على هذا النحو ، الذى هو أشبه بلوحة جمع فيها المصور كل معانى الإعياء والتعب والاستبسال ، قال إن ناقته تشبه هذه الثور الذى فصل حالته[٣] .

أما القصص فللشاعر فيه أسلوب يميزه عن سائر الجاهليين ، ولا يكاد يجاريه فيه إلا امرؤ القيس . فهو يسوق الغزل فى كثير من الأحيان على صورة حوار ، يعرض فيه ما دار بينه وبين صاحبته من حديث . وقد يحكى لنا قصته مع صاحبته ، كيف بعث إليها برسول خبيث داهية لا تعجزه الحيلة ، وكيف تلطف هذا الرسول فى الدخول إليها والإفلات من الرقباء . ولم يزل ينازعها الحديث ، ويقيم عليها الحجة ، ويضيق عليها سبل القول ، يلين حينًا ويعنف حينًا آخر ، حتى نزلت على ما يريد ، ورضيت أن تضرب معه موعدًا للقاء الأعشى ، بعد أن دلته على السبيل المأمون لتجنب عيون الرقباء . ويدخل إليها الأعشى ، فيصف ما كان بينه وبينها من معابثة ومجون[٤] . ولسنا نزعم أن الأعشى قد بلغ فى هذا الأسلوب ما بلغ عمر بن أبى ربيعة ، الذى وقف جهده على تجويد هذا الفن ، فقد كان قصير النفس فيه ، لا ينساق له نسق القصص ، ولا يكاد يوغل فيه . وإنما هى لمحات قصيرة خاطفة قليلا ما تطول ، إن لم تبلغ حد النضج ، فقد مهدت للذين جاءوا من بعده . وشبيه بهذا الأسلوب فى الغزل ، أسلوب الشاعر فى بعض خمرياته[٥] . وقد تابعه أبو نواس فى هذا الأسلوب ، فزاد فيه وجود ، حتى أصبح مكانه من قصص الخمر يعدل

---

(١) الأبيات ٦ ـ ١٢ من القصيدة ٥٢ . (٢) الأبيات ١٨ ـ ٢٢ من القصيدة ٥٢ .

(٣) الأبيات ٣١ ـ ٤٢ من نفس القصيدة . وراجع كذلك امثلة اخرى للاستطراد فى القصائد : ١٥ : ٩ ـ ٢٤ ، ٣٢ : ٩ ـ ١٨ ، ٣٤ : ١٤ ـ ٢٣ ، ٨٠ : ٩ ـ ١٧ .

(٤) راجع القصيدة ٣٩ : ١٣ ـ ٢٥ وراجع كذلك القصائد ١٢ : ١١ ـ ١٦ و٢٤ ـ ٢٨ ، ٢٢ : ٥ ـ ٩ ، ٢٩ : ٥ ـ ٩ ، ٥٤ ، ٤ ـ ١٤ ، ٧٨ : ٧ ـ ١٣ .

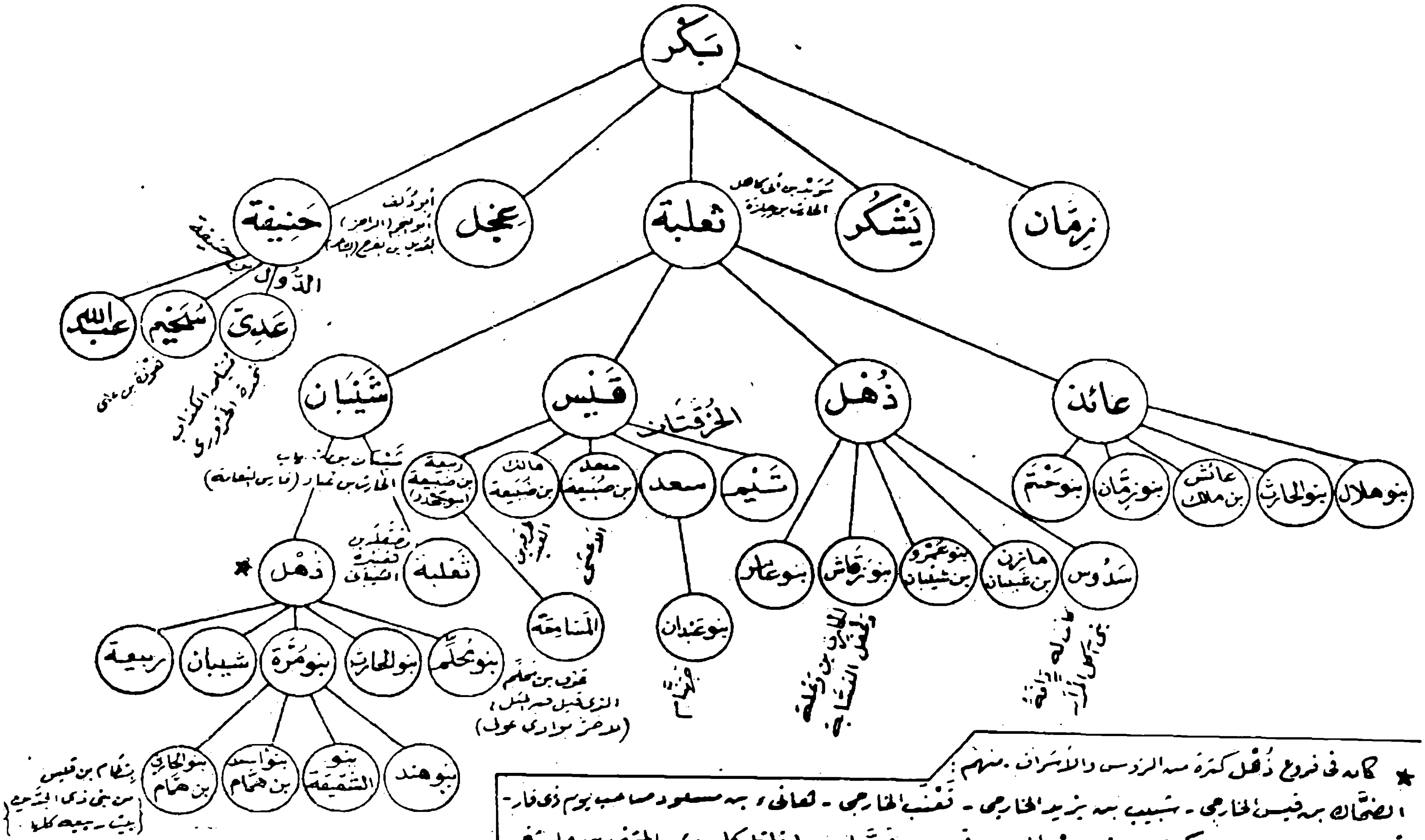
(٥) القصائد ٨ : ٨ ـ ٢٤ ، ٣٦ : ٢٤ ـ ٥٤ ، ٧٨ : ١٣ ـ ٢٢

مكان عمر من قصص الغزل . وتلوح مسحة من هذا الأسلوب على شعر الأعشى كذلك ، حين يعرض لتصوير الأمم البائدة والملوك الذاهبين ، مستخلصًا من حياتهم العبرة والموعظة(١) .

وأحب أن أفرق أخيرًا بين ما أسميه القصص فى شعر الأعشى ، وفى الشعر العربى القديم جملة ، وبين ما يسميه الأوروبيون شعرًا قصصيًا (narrative) ، فمن الواضح أننى لا أنظر إلى التسمية الأوروبية ، حين أتكلم عن هذا اللون من الشعر العربى . وكل الذى قصدت إليه ، هو أن مثل هذا الشعر يقوم على مجرد الحكاية والسرد . وهو سرد لايجرى على خطة مدبرة ، ولا يساق لهدف خاص .

---

(١) القصائد ٤ : ٥١ — ٥٥ و ٦٠ — ٦٦ ، ١٣ : ٩ — ١٢ و ١٧ — ٢١ ، ٢٥ : ٥ — ٢١ ، ٣٢ : ٥ — ١٨ ، ٢٦ : ٨ — ١٥ ، ٥٣ : ١ — ١٠ ، ٥٤ : ٢٦ — ٣٢ .



★ كان في فروع ذهل كثرة من الرؤساء والأشراف. منهم:
الضحاك بن قيس الخارجي - شبيب بن يزيد الخارجي - قعنب الخارجي - لهاني بن مسعود صاحب يوم ذي قار - قيس بن مسعود (سيد بكر) وابنه بسطام بن قيس - جساس (قاتل كليب) - المثنى بن حارثة - المزدلف بن شريك - مطر بن شريك (ومن ولده معن بن زائدة ويزيد بن مزيد).

ديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس

- ١ -

الاسود بن المنذر واحد من اخوة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ـ وكان اخوته كثيرا ، زعم الرواة أنهم كانوا أحد عشر اخا . وام الاسود من تيم الرباب (٢) وقد بعثه النعمان عليهم فكان ملكهم (٢) وفى القصيدة اشارة الى خروجهم عليه ، وقتاله لهم حتى دخلوا فى طاعته . وللاسود وقعة مشهورة ببنى محارب بن خصفة (من قيس عيلان) أشار اليها الشاعر كذلك فى هذه القصيدة . وكان ذلك بسبب قتل الحارث بن ظالم المرى (من ذبيان) لابنه شرحبيل ، فى قصة طويلة . فأوقع الاسود ببنى ذبيان وببنى أسد اولا، ثم وجد نعل ابنه بعد ذلك فى موضع من بلاد بنى محارب فقال لهم : سأحذيكم نعالا . فأحمى لهم الصفا التى بصحراء اضاخ ، حيث وجد نعل ابنه ،وسيرهم عليها فتساقط لحم اقدامهم . ويقول الرواة ان الاسود حين اغار على الحليفتين « اسد » و « ذبيان » أصاب نعما وأسرى وسبايا من بنى سعد بن ضبيعة قوم الأعشى،وكان الأعشى غائبا عن الحى. فلما قدم وجد الحى مباحا ، فأقبل على الاسود وأنشده هذه القصدة ، وساله أن يهب له الاسرى ويحملهم ففعل (٣) . والقصيدة من أجود شعر الأعشى . وقد اختلف الرواة فيها وفى قصيدته (ودع هريرة ان الركب مرتحل) أيهما عى المطولة .

يقول الأَعشى:

١ ـ فيم وقوف الرجل الكبير يبكي ويتساءل بالأَطلال

٢ ـ وهو يعلم أَن الدمنة القفرة التى تعبث بها رياح الصيف لا ترد السؤال

* * * *

٣ ـ إليك عنى أَيتها الذكرى ، فليس ها هنا مقام جبيرة أَو رسولها الذى يطرقنا بالأَهوال

٤ ـ فأَنا فى أَهلى بين «بطن الغميس » و « بادولى » وهى فى أَهلها الذين ارتحلوا شمالا إلى «السخال »

٥ ـ ترتعى السفح » و « الكثيب » و « ذاقار » و « روض القطا » و « ذات الرئال »

٦ ـ فبينى وبينها قفار تخرس أَهوالها المسافرين ، وميل من ورائه أَميال

٧ ـ وسفر طويل تملأُ له أَوعية الماءِ ، ثم لا يكون حظ المسافر فيه إلا الأَوشال

٨ ـ وسير فى أَعقاب الليالى ، وفى شمس النهار الملتهبة ، بين أَرض غليظة وأَرض مستوية ورمال

٩ ـ وآبار راكدة يسفى عليها الريح ، ويعلو ماءَها ريشُ الطيور ، كأَنه منثور النبال

* * * *

١٠ ـ بعدت الدار وصعب المزار . ويا ربما كنت قليل الهموم ناعم البال

١١ ـ أَيام كانت ؛ هى همى وحديثى ، تعصى فى هواى صاحب الأَمر فيها ذا الأَقوال

١٢ ـ كأَنها ظبية بيضاء من ظباءِ « وجرة » تتناول من ثمار الأَراك ، وقد تهدلت عليها أَغصانه الطوال

---

(١) الرباب قبائل تحالفوا فوضعوا أيديهم فى جفنة فيها رب ، فسموا الرباب ، وهم أبنــاء أد بن طابخة : ضبة وتيم وعدى وعكل وثور (العقد الفريد)

(٢) ولى النعمان بن المنذر قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بأربعة وعشرين عاما (٥٨٦ م) . وتوفى قبل مبعثه بسنتين (الطبرى ١ : ٩٠٠ ط. ليدن) .

(٣) راجع الاغانى ٢ : ٢١ ـ ٢٢ ، ١٠ : ٢٢ ، ١١ : ١١٠ .

قال الأَعشى يمدح الأَسْوَد بن المُنْذِرِ اللَّخْمِيَّ :

١ - مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ ... وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي (خفيف)
٢ - دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْ ... فُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وَشَمَالِ
٣ - لَاتَ هَنَّا ذِكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْ مَنْ ... جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ
٤ - حَلَّ أَهْلِي بَطْنَ الغَمِيسِ فَبَادَوْ ... لَى وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةً بِالسِّخَالِ
٥ - تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالكَثِيبَ فَذَاقَا ... رِ فَرَوْضَ القَطَا فَذَاتَ الرِّئَالِ
٦ - رُبَّ خَرْقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْ ... رَ وَمِيلٍ يُفْضِي إِلَى أَمْيَالِ
٧ - وَسِقَاءٍ يُوكَى عَلَى تَأَقِ المَلْ ... ءِ وَسَيْرٍ وَمُسْتَقًى أَوْشَالِ
٨ - وادِّلَاجٍ بَعْدَ المَنَامِ وتَهْجِيـ ... ـرٍ وقُفٍّ وَسَبْسَبٍ وَرِمَالِ
٩ - وقَلِيبٍ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرِّيـ ... شِ بِأَرْجَائِهِ لُقُوطَ نِصَالِ
١٠ - فَلَئِنْ شَطَّ بِي المَزَارُ لقد أَغْـ ... دُوا قَلِيلَ الهُمُومِ نَاعِمَ بَالِ
١١ - إِذْ هِيَ الهَمُّ وَالْحَدِيثُ وَإِذْ تَعْـ ... صِي إِلَيَّ الأَمِيرَ ذَا الأَقْوَالِ
١٢ - ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ وَجْرَةَ أَدْمَا ... ءَ تَسَفُّ الكَبَاثَ تَحْتَ الهَدَالِ

(١ — ٣) الدمنة آثار الناس . تعاور الناس الشيء تداولوه . وتعاودت الرياح الدار تداولها ، فمرة تهب جنوبا ومرة تهب شمالا . لات هنا اى ليس وقت ذكرها . الصبا والشمال : ريحان .

(٤ — ٦) علوية اى فى العالية . الخرق ما اتسع من الارض لان الريح تنخرق فيه وتهب فيه لسعته . افضى به الى كذا انتهى به اليه .

(٧ — ٩) يوكى يربط بالوكاء وهو الرباط . الاتآق الملء . الاوشال جمع وشل وهو القليل من الماء . الادلاج (بتشديد الدال المكسورة) السير آخر الليل ، والادلاج (بسكون الدال) سير الليل كله . التهجير السير فى الهاجرة اى فى الظهر .
القف الارض الغليظة . السبسب الارض المستوية . القليب البئر . آجن آسن راكد . النصل حديد السيف والرمح والسهم.

(١٠ — ١٢) شط اى بعد . الهم اى موضع اهتمامه وعنايته . الاميراى صاحب السلطان الذى يملك ان يأمرها وينهاها ، يقصد زوجها . وجرة على ثلاث مراحل من مكة الى البصرة . الادم ظباء طويلة الاعناق سمر الظهور . الكباث ثمر الاراك ، والاراك شجر تستعمل غصونه فى تنظيف الاسنان بعد دق اطرافها . الهدال ماتهدل من الغصون واسترسل .

١٣ ـ صافية الأَديم ، بضة الأَنامل ، تفتل شعرها اللين ، ثم تشد حواشيه بالخلال

١٤ ـ يا لروعة القلائد وقد أَمسكها السلك ، فكأَنما علقت بجيد غزال

١٥ ـ فكأَنها باكرت خمرا عتيقاً قد مزج بماءٍ عذب زلال

١٦ ـ ويا لرضابها العذب حين تصحو من نومها ، يجرى خلال أَسنان دقيقة كشوك السيال

* * * *

١٧ ـ اذهبي يا جبيرة ووداعا ، ما صرفنى عنك الحلم والحجا ، ولكن شغلنى عنك أَشغال

١٨ ـ وأَسفار فوق ناقة شديدة صافية العين ، نشيطة شِمْلال

١٩ ـ من خيرة النوق وأَصلبها ، رعت الحِمَى ، وأَكلت علف الأَمصار ، ومُنِع عنها الفحول فطال بها الحيال

٢٠ ـ لم يذهب بعزمها طفل ترضعه ، ولم تتشنج قوائمها مما يصيب الإِبل من داءِ « الخُمال »

٢١ ـ قد استنفدتها الأَسفار البعيدة ، وقت الظهيرة ، حين يرتفع السراب ويلمع الآل

٢٢ ـ فوق فلاة تدوم فيها الرحلة ، وتغتال المسافرين ، قد أَفقرت من كل شىءٍ إلا من الآجال

٢٣ ـ وإذا خيف الضلال ، واشتد بالمسافرين الحال ، لا يرجون الوصول للماءِ قبل خمس من الليال

٢٤ ـ فراحوا يستحثون الذى يستبدل راحلته المتعبة ، وقد نفد الماءُ ، فلم يبق منه إلا الأَوشال

٢٥ ـ نشطت هذه الناقة الحرة الضخمة ، وكأَنها قنطرة من قناطر الروم ، تفرى الأَرض الملتهبة فرياً بالإِرقال

١٣ ـ حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأَنَامِلِ تَرْتَـ   بُّ سُخَامًا تَكُفُّهُ بِخِلَالِ
١٤ ـ وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْـ   كُ بِعِطْفَىْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ
١٥ ـ وَكَأَنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الإِسْفِنْـ   طِ مَمْزُوجَةً بِمَاءٍ زُلَالِ
١٦ ـ بَاكَرَتْهَا الأَغْرَابُ فِى سِنَةِ النَّوْ   مِ فَتَجْرِى خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ
١٧ ـ فَاذْهَبِى مَا إِلَيْكِ أَدْرَكَنِى الحِلْـ   مُ عَدَانِى عَنْ ذِكْرِكُم أَشْغَالِى
١٨ ـ وَعَسِيرٍ أَدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْـ   نِ خَنُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمْلَالِ
١٩ ـ مِنْ سَرَاةِ الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُـ   ضُّ وَرَعْىُ الحِمَى وَطُولُ الحِيَالِ
٢٠ ـ لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوَارٍ وَلَمْ يَقْـ   طَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ
٢١ ـ قَدْ تَعَلَّلْتُهَا عَلَى نَكَظِ المَيْـ   طِ وَقَدْ خَبَّ لَامِعَاتُ الآلِ
٢٢ ـ فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تَغَوَّلُ بِالسَّفْـ   رِ قِفَارٍ إِلَّا مِنَ الآجَالِ
٢٣ ـ وَإِذَا مَا الضَّلَالُ خِيفَ وَكَانَ الْـ   وِرْدُ خِمْسًا يَرْجُونَه عَنْ لَيَالِ
٢٤ ـ وَٱسْتُحِثَّ المُغِيِّرُونَ مِنَ القَوْ   مِ وَكَانَ النِّطَافُ مَا فِى العَزَالِى
٢٥ ـ مَرِحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرُّو   مِىِّ تَفْرِى ٱلهَجِيرَ بِٱلإِرْقَالِ

(١٣ ــ ١٥) الحر الخيار الفاخر من كل شئ . طفلة لينة ناعمة . ترتب من رب الشيء ورببه اذا نماه واعتنى به . السخام الشعر اللين . الخلال المدرى وهو المشط . كف الشعر جمعه وضمه . الاسفنط اسم من أسماء الخمر فارسى معرب وقيل رومى معرب . ماء زلال بارد عذب .

(١٦ ــ ١٨) غرب الشيء حده ، وغرب الاسنان حدها أو بياضها . السيال شجر له شوك أبيض . الحلم الأناة . عدانى صرفنى . ناقة عسير ترفع ذنبها فى عدوها . ادماء خالصة البياض . حادرة العين صلبة العين . خنوف نشيطة تخنف برأسها وعنقها من النشاط . عيرانة تشبه العيــــر وهو حمار الوحش . شملال سريعة .

(١٠ ــ ٢١) سراة كل شيء أعلاه وخياره . الهجان من الابل البيض الكرام . العض العلف . الحيال من حالت النــاقة فهى حائل غير حامل . الحوار ولد الناقة . الخمال داء يصيب القوائم فتتشنج عروقها . تعللتها اي استخرجت ما عندها من السير . النكظ الشدة والعجلة . الميط البعد . خب طال وارتفع . الآل السراب .

(٢٢ ــ ٢٥) ديمومة صحراء بعيدة الاطراف يدوم فيها السفر . تغولت المرأة تشبهت بالغول فى تلونها ، وكذلك الصحراء . الآجال جمع اجل (بكسر فسكون) وهو القطيع من بقر الوحش . الخمس ورود الماء بعد خمسة أيام . المغيرون الذين يغيــــرون راحلتهم بعد ان تتعب . النطاف جمع نطفة وهى بقية الماء فى أسفل الآنية . العزالى جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية اى القربة . مرحت نشطت . قنطرة الرومى يقصد برجا من بناء الروم ، لان العرب لا بناء لها . الارقال ضرب من عدو الابل .

٢٦ ـ تقطع الأَرض الغليظة الملتهبة بخطى واسعة وقوائم طويلة سريعة الإيغال

٢٧ ـ صلبة تعدو إذا مسها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوَّال

٢٨ ـ قد أَهزله الصيف والطراد والإشفاق على أتان ناحلة ، كأَنها قوس من شجر « الضال »

٢٩ ـ قد ظهر حملها فى ضرعها ، وشفها الحزن على صغيرها الذى صرفه عنها فآذاه الفِصَال

٣٠ ـ ذلك الحمار الفظ الخشن العشرة ، الذى يتمرغ فى الأَرض ، فينسل شعره ، ويتساقط منه النُّسال

٣١ ـ ترك الجحش متخلفاً يلفه ما أثارته أَرجلهما من غبار ، وراح يدفع أَتانه إلى مورد الماءِ الزلال

* * * *

٣٢ ـ ذلك الحمار الغليظ النشيط أَشبه شيءٍ بناقتى حين تجرى بجانب الجبل بعد الكلال والإِعمال

* * * *

٣٣ ـ تشكو إلى وقد أَعياها الإِجهاد خُفُّها المشقق المقروح ، وقد كُسِى بالنعال

٣٤ ـ وقد هزل جسمها الضخم ، فقلقت من فوقه السيور التى يُشَدُّ بها الرحال

٣٥ ـ وظهرت آثارها فى عظام صدرها البارزة ، فكأَنها نعش ضخم محمول فوق أَرجلها المعوجة الطوال

٣٦ ـ لا تشتكى إلىّ يا صاحبتى من أَلم السيور ولا من حفاً ولا من كلال

٣٧ ـ لاتشتكى إلى وانتجعى « الأَسود » أَهل الندى وأَهل الفعال .

* * * *

٣٨ ـ فرع فى غصون المجد صلب ، غزير العطاءِ ، بَيْد أَنه شديد النَّكال .

٢٦ـ تَقْطَعُ الأَمْعَزَ المُكَوْكِبَ وَخْدًا بِنَوَاجٍ سَرِيعَةِ ٱلإِيغَالِ
٢٧ـ عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ طُ. كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ
٢٨ـ لَاحَهُ الصَّيْفُ وَالصِّيَالُ وإِشْفَا قٌ عَلَى صَعْدَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ
٢٩ـ مُلمِعٍ لَاعَةِ الفُؤَادِ إِلَى جَحْ شٍ فَلَاهُ عَنْهَا فَبِئْسَ ٱلفَالِى
٣٠ـ ذُو أَذَاةٍ عَلَى ٱلْخَلِيطِ. خَبِيثُ الـ ـنَّفْسِ يَرْمِى مَرَاغَهُ بِالنُّسَالِ
٣١ـ غَادَرَ ٱلْجَحْشَ فِى الغُبَارِ وَعَدًّا هَا حَثِيثًا لِصُوَّةِ الأَدْحَالِ
٣٢ـ ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِى عَنْ يَمِينِ الـ ـرَّعْنِ بَعْدَ ٱلكَلَالِ وٱلإِعْمَالِ
٣٣ـ وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَىَّ وَقَدْ آ لَتْ طَلِيحًا تُحْذَى صُدُورَ النِّعَالِ
٣٤ـ نَقَبَ الخُفُّ لِلسُّرَى. فَتَرَى الأَنْـ ـسَاعَ مِنْ حِلٍّ سَاعَةً وَٱرْتِحَالِ
٣٥ـ أَثَّرَتْ فِى جَنَاجِنٍ كَإِرَانِ الـ ـمَيْتِ عُولِينَ فَوْقَ عُوجٍ رِسَالِ
٣٦ـ لَا تَشَكَّىْ إِلَىَّ مِنْ أَلَمِ النِّسْـ ـعِ وَلَا مِنْ حَفًا وَلَا مِنْ كَلَالِ
٣٧ـ لَا تَشَكَّىْ إِلَىَّ وَٱنْتَجِعِى الأَسْـ ـوَدَ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الفَعَالِ
٣٨ـ فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِى غُصُنِ المَجْـ ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ

(٢٦ — ٢٨) الأمعز الغليظ من الأرض . المكوكب المتوقد من الحر : جمل واخد ووخاد واسع الخطو . نواج قوائم . الايغال من أوغل فى السير أى ذهب وبالغ وأبعد . عنتريس صلبة قوية ـ المصلصل حمار الوحش لكثرة نهيقه ، من صلصل الشيء اى صوت . جوال من جال يجول أى طاف ولم يستقر . لاحه أضمره وغيره . الصيف لأنه وقت الجفاف ويبس الكلأ . الصيال مصدر صاول يقصد مصاولة الفحول من حمر الوحش . الصعدة القناة المستوية ، تنبت كذلك فلا تحتاج الى تثقيف . وهى كذلك الاتان الطويلة الظهر ، على التشبيه بالقناة المستوية . الضال شجر تتخذ منه القسى .

(٢٩ — ٣١) ملمع قد استبان حملها فى ضرعها فأشرقت واسودت الحلمتان . لاعة الفؤاد من لاع يلوع لوعة وهو أشد الحزن . الافتلاء الفطام المراغ والمراغة المكان الذى تتمرغ فيه الدابة وتتقلب على الأرض . النسال ما سقط عنه من الشعر . عداها صرفها . حثيثا سريعا . الصوة ما غلظ من الأرض . الادحال جمع دحل وهى حفرة ضيقة الأعلى واسعة الاسفل .

(٣٢ — ٣٤) رعن الجبل أنفه الشاخص منه . الكلال التعب . الاعمال من أعمل الناقة أى كلفها العمل والسير . آلت رجعت . طليحا معيية متعبة . النعل طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر أو الخف فيكون له كالنعل للقدم . نقب خف البعير رق وتثقب . النسع سير ينسج عريضا وتشد به الرحال الى بطن الناقة .

(٣٥ — ٣٨) الجناجن عظام الصدر جميع جنجن (بكسر فسكون) . الاران سرير الميت . عوج قوائم فيها عوج لأن قوائم الناقة الخلفية معوجة . الانتجاع فى الأصل طلب الكلأ ، ويقصد به هنا التماس الخير والرزق . الندى الكرم . النبع شجر تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . المحال العقوبة والمكر .

٣٩ـ يجمع بين الحزم والحذر ، عنده دواءُ الصَّرَع للمتعجرف التيّاه ، حمَّال لمُضْلِع الأثقال
٤٠ـ يصل الأرحام ، كما علم كل الناس ، ويفك الأَسرى من الأغلال .
٤١ـ نفسه العزيزة هينة عليه فى سبيل المجد وحسن الأُحدوثة ، حين تلتقى الرماح فى القتال
٤٢ـ إذا سألته أعطاك ، حين يكون الاعتذار هو كل ما تناله من البخَّال .
٤٣ـ وإذا استجرت به أجارك ، فما انقطع حبل وصلته منه بحبال .
٤٤ـ أرْيَحى ماض ، إذا طلع على القوم سكنوا قائمين ، كأنهم ينظرون به الهلال .
٤٥ـ إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبال
٤٦ـ يهب المَسَانَّ من الإبل الضخام ، كأنها النخل ، تحنو على صغارها الأطفال
٤٧ـ والإماء تركض فى أكسية من الخز ، بين أصفر وأحمر ، وتجرر الأذيال .
٤٨ـ والجياد كأنها قُضُب نبات «الشَّوْحط» الصلب المستقيم ، تعدو حاملة سلاح الأبطال .
٤٩ـ وكئوسَ الخمر ، وآنية الفضة ، والجمالَ الكريمة التى تسكن فلا تُرْغِى ولا تَجْتَرُّ إذا ركبها الرجال .

* * * *

٥٠ـ كم من قوم أصابتهم عقوبته فأشقاهم آخر الدهر ، وآخرين نالتهم نعمته فسقاهم بِسِجَالْ .
٥١ـ ولقد أُوقدت الحروب ، فما وُجدتَ فيها غَمْرًا إذ لقِحَتْ بعد طول حِيَالْ .

٣٩ـ عِنْدَهُ الحَزْمُ وَالتُّقَى وَأَسَا الصَّرْ ع وَحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأَثْقَالِ
٤٠ـ وَصِلَاتُ الأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا سُ وفَكُّ الأَسْرَى مِنَ الأَغْلَالِ
٤١ـ وَهَوَانُ النَّفْسِ الْعَزِيزَةِ لِلذِّكْ رِ إِذَا مَا التَقَتْ صُدُورُ العَوَالِي
٤٢ـ وَعَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ إِذَا العِذْ رَةُ كَانَتْ عَطِيَّةَ البُخَّالِ
٤٣ـ وَوَفَاءٌ إِذَا أَجَرْتَ فَمَا غُرْ تْ حِبَالٌ وَصَلْتَهَا بِحِبَالِ
٤٤ـ أَرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يَظَلُّ لَهُ الْقَوْ مُ رُكُودًا قِيَامُهُمْ لِلْهِلَالِ
٤٥ـ إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْ طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي
٤٦ـ يَهَبُ الجِلَّةَ الجَرَاجِرَ كَالْبُسْ تَانِ تَحْنُو لِدَرْدَقٍ أَطْفَالِ
٤٧ـ وَالْبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الإِضْ رِيجِ والشَّرْعَبِيَّ ذَا الأَذْيَالِ
٤٨ـ وَجِيَادًا كَأَنَّهَا قُضُبُ الشَّوْ حَطِ تَعْدُو بِشِكَّةِ الأَبْطَالِ
٤٩ـ وَالْمَكَاكِيكَ وَالصِّحَافَ مِنَ الفِضَّ ةِ وَالضامِزَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ
٥٠ـ رُبَّ حَيٍّ أَشْقَاهُمُ آخِرَ الدَّهْ رِ وَحَيٍّ سَقَاهُمُ بِسِجَالِ
٥١ـ وَلَقَدْ شُبَّتِ الحُرُوبُ فَمَا غُمِّ رْتَ فِيهَا إِذْ قَلَّصَتْ عَنْ حِيَالِ

(٣٩ — ٤١) التقى الحذر . اسا الجرح داواه . الصرع داء يبطل الحس ويمنع الحركة ، ويقصد به الشاعر التيه والكبر . رحم الرجل قرابته واهله . العوالى الرماح .

(٤٢ — ٤٤) العذرة والمعذرة والعذرى بمعنى واحد . حبل غرر غير موثوق به . الأريحية الارتياح للندى وفعل الخير . صلت ماض ، ومنه سيف صلت أى متجرد من غمده . ركودا لا يتحركون .

(٤٥ — ٤٨) الغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى (ان عذابها كان غراما) اى هلاكا ولزاما لهم . الجلة الكبار المسان من الابل . الجراجر الضخام . البستان النخل . الدردق الصغار ولا واحد لها . البغايا الجوارى والاماء . الاضريج الحرير الاصفر . الشرعبى الحرير الأحمر . ذا الأذيال اى الطويل الذى تجره وراءها حين تمشى .

(٤٩ — ٥١) الشوحط شجر تتخذ منه القسى . الشكة السلاح . المكوك مكيال يساوى ثلاث كيلجات ، والكليجة قريب من رطلين ، وهو اناء يشرب به الفرس . ضمز البعير امسك على جرته ، ويقصد ان هذه الابل لا ترغو ولا تجتر اذا ركبت لانها مؤدبة . السجال جمع سجل (بفتح السين وسكون الجيم) وهو الدلو . ما غمرت اى لم تلف غمرا ، والغمر بضم الغين الغر الذى لم يجرب الأمور . قلصت اى شمرت . عن حيال ، يشبه الحرب بالناقة التى حملت بعد ان كانت حائلا لا تحمل ، فهو اشد لها .

٥٢- وأَحْذَيْتَ الجناة الآثمين نعالا بمثل ما جنت أيديهم فذاقو النكال .

٥٣- فَلِمَنْ عصاك الخسار والخذلا ن ، ولمن أَطاعك العز والمال .

٥٤- أنت خير من أَلفٍ أَلفٍ من القوم إذا اشتد الفزع وامتقعت وجوه الرجال .

٥٥- وقد اجتمع لك من عدة القتال وأَدواته ما تـأْبى معه النزول على حكم محتكم من الجهال

٥٦- جندك العريق من السادات أَصحاب القباب ، يعمهم من الملوك النوال .

٥٧- لا يميلون على سُرُج الجياد ، ولا يجبنون فى الهَيْجَاءِ ، ولا يعتريهم الفزع فى النضال

٥٨- عليهم دروع من نسج داوود تُحمل أَكداساً فوق الجمال

٥٩- قد دهنت بالزيت ، وذُرَّ فوقها البعر ، حتى لا يصيبها الصدأُ من الندى والطِّلَالْ

٦٠- لا ينال أَذاها الصديق ، وإنما يذوقِ وبالها العدو يوم النزال .

٦١- تَخِذَها لنوائب الدهر وغِيَرِ الزمان رجلٌ غير دَعِيٍّ ولا زُمَّال

٦٢- له كل عام غزوة يقود إليها خيلا موصولة بخيل ، تتدفق فى الصباح على حومة القتال

* * * *

٦٣- حمل «الرباب» على الطاعة ، حين كرهوا الطاعة ، بغزوة وصيال

٦٤- وسقاهم كأْس الموت مسفوحا ، حين نفدت الآجال

٥٢- هؤلَى ثُمَّ هؤُلَى كلاًّ أعـ　　　طَيْتَ نِعَالًا محذُوَّةً بِمِثَالِ
٥٣- فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو　　　لًا وَكَعْبُ الَّذِى يُطِيعُكَ عَالِى
٥٤- أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ القَوْ　　　مِ إِذَا مَا كَبَتْ وُجُوهُ الرِّجَالِ
٥٥- وَلِمِثْلِ الَّذِى جَمَعْتَ مِن العُدَّ　　　ةِ تَأْبَى حُكُومَةَ المُقْتَالِ
٥٦- جُنْدُكَ التَّالِدُ العَتِيقُ مِن الـ　　　سَّادَاتِ أَهْلِ القِبَابِ وَالآكَالِ
٥٧- غَيْرُ مِيلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِى الهَيْـ　　　جَى وَلَا عُزَّلٍ وَلَا أَكْفَالِ
٥٨- وَدُرُوعٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ فِى الحَرْ　　　بِ وُسُوقٌ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الجِمَالِ
٥٩- مُلْبَسَاتٌ مِثْلَ الرَّمَادِ مِن الكُـ　　　رَّةِ مِنْ خَشْيَةِ النَّدَى وَالطِّلَالِ
٦٠- لَمْ يُيَسَّرْنَ لِلصَّدِيقِ وَلَكِنْ　　　لِقِتَالِ العَدُوِّ يَوْمَ القِتَالِ
٦١- لِامْرِئٍ يَجْعَلُ الأَدَاةَ لِرَيْبِ الـ　　　دَّهْرِ لَا مُسْنَدٍ وَلَا زُمَّالِ
٦٢- كُلَّ عَامٍ يَقُودُ خَيْلًا إِلَى خَيْـ　　　لٍ دِفَاقًا غَدَاةَ غِبِّ الصِّقَالِ
٦٣- هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الـ　　　دِّينَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ
٦٤- ثُمَّ أَسْقَاهُمُ عَلَى نَفَدِ العَيْـ　　　شِ فَأَرْوَى ذُنُوبَ رِفْدٍ مُحَالِ

(٥٢ — ٥٤) أعطيت نعالا ، يشير بذلك الى ايقاع الممدوح ببنى محارب حين أحمى لهم الاحجار وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم . والشاعر يقول على سبيل التهكم انه ألبسهم نعالا . محذوة بمثال من حذا النعل حذوا أى قطعها وقدرها على مثال (او ما نسميه قالب) يقصد أن العقاب كان على قدر جرمهم . كبا الوجه تغير لونه من الفزع .

(٥٥ — ٥٧) المقتال المحتكم لأنه يقتال ما يشاء وهو على وزن مفتعل من القول . التالد القديم . العتيق الكريم من كل شىء . القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الآكال قطائع كانت الملوك تقطعها للاشراف . الميل جمع أميل . وهو الذى يميل على السرج من الجبن . عواوير جمع عوار وهو الجبان الضعيف . الأعزل الذى لا سلاح معه . الأكفال جمع كفل (بكسر الكاف) وهو من لا يثبت فى الحرب .

(٥٨ — ٦٠) وسوق جمع وسق (بفتح الواو وسكون السين) وهو الحمل . الكرة البعر يفتت ثم يذر على الدروع بعد أن تدهن بالزيت حتى لا تصدأ . الطلال جمع طل وهو المطر الضعيف .

(٦١ — ٦٤) المسند الدعى وهو الذى يدعى لغير أبيه أو المتهم فى نسبه . الزمال الضعيف . الغداة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . غب الشىء عاقبته أو ما بعده . صقله بالعصا ضربه بها وأدبه ، وصقل الناقة أضمرها . دان الرباب ملكها . الدين المجازاة ، ومنه قوله تعالى (مالك يوم الدين) ، والدين كذلك الطاعة . الدراك التلاحق والتتابع . الذنوب الدلو المملوء ماء . محال مصبوب ، ضربه مثلا للموت .

٦٥ـ كتيبةٌ ضخمة ، تحمى اللاجئَ المستجير ، تمدها قطع الخيل رِعَالًا من ورائها رِعَال

٦٦ـ تذهل الشيخ عن بنيه ، وتشرد الإبل ، قد اعتزل بها راعيها وأوغل فى أطراف الرمال

٦٧ـ ثم لم تجد «الرباب» بدًّا من الطاعة ، بعد ما أصابهم من عذاب الملوك والنكال

٦٨ـ ولقد كانوا طالما تمنوا لقاءك ، وجمعوا العدد والرجال ، بين حِل وترحال

* * * *

٦٩ـ وملكت نواصى «دُودان» و «ذُبيان» حين كرهوا البأس ولم يصبروا للقتال

٧٠ـ واتصل فى حربهم الشتاءُ بالربيع ، حتى بدلتهم حالا من بعد حال

٧١ـ كم كأْس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أَقْتَال

٧٢ـ ونساءٍ كأنهن الغيلان من أثر الذلة فى «شطى أرِيك» ، وشيوخ أُخْرِجُوا عما يملكون من مال

٧٣ـ ورَجُلين من جندك كانا معدمين حليفى فقر وإقلال

٧٤ـ قسما ما اجتمع لهما من الغنائم بين طارف وتليد ، فآبا كلاهما ذو مال

* * * *

٧٥ـ لن تزالوا كذلكم مظفرين ، وأبقاك الله لقومك خالدًا خلود الجبال

٦٥- فَخْمَةً يَلْجَأُ الْمُضَافُ إِلَيْهَا . وَرِعَالًا مَوْصُولَةً بِرِعَالِ
٦٦- تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُلْوِى بِلَبُونِ الْمِعْزَابَةِ الْمِعْزَالِ
٦٧- ثُمَّ دَانَتْ بَعْدُ الرِّبَابُ وَكَانَتْ كَعَذَابٍ عُقُوبَةُ الأَقْوَالِ
٦٨- عَنْ تَمَنٍّ وَطُولِ حَبْسٍ وَتَجْمِيـ ـعٍ شَتَاتٍ وَرِحْلَةٍ وَاحْتِمَالِ
٦٩- مِنْ نَوَاصِى دُودانَ إِذْ كَرِهُوا الْـ بَأْسَ وَذُبْيَانَ وَالْهِجَانِ الْغَوَالِى
٧٠- ثُمَّ وَصَّلْتَ صِرَّةً بِرَبِيعٍ حِينَ صَرَّفْتَ حَالَةً عَنْ حَالِ
٧١- رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذٰلِكَ الْيَوْ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ
٧٢- وَشُيُوخٍ حَرْبَى بِشَطَّىْ أَرِيكٍ وَنِسَاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِى
٧٣- وَشَرِيكَيْنِ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْمَا لِ وَكَانَا مُحَالِفَىْ إِقْلَالِ
٧٤- قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الْغُنْـ ـمِ فَآبَا كِلَاهُمَا ذُو مَالِ
٧٥- لَنْ تَزَالُوا كَذٰلِكُمْ ثُمَّ لَا زِلْـ ـتَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الْجِبَالِ

(٦٥ — ٦٧) نخمة اى كتيبة نخمة كبيرة ضخمة . المضاف فى الحرب هو الذى أحيط به . الرعال جمع رعلة وهى القطعة من الخيل . تلوى تذهب . ناقة لبون ذات لبن . المعزابة الذى يعزب بابلة ويبعد بها فى المرعى . المعزال الذى لا يخالط الناس لأن الرعاة قلما يخالطون الناس . الأقوال الملوك . وكذلك الاقيـــال جمع قيل (بفتح فسكون) .

(٦٨ — ٧٠) الاحتمال الارتحال . دودان قبيلة من بنى أسد بن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وبشر بن أبى خازم الشاعر . النواصى جمع ناصية وهى الراس . البأس القتال الهجان الخيار من كل شىء ، يستوى فيه الذكر والمؤنث والجمع . الصرة شدة البرد فى الشتاء . حالة عن حال،عن هنا بمعنى بعد .

(٧١ — ٧٣) الرفد القدح الضخم ، يكنى باراقة الرفد عن الموت . أقتال أصحاب ترات ، جمع قتل (بكسر وسكون).وهو العدو . حربى جمع حريب وهو من حرب ماله اى سلبه . السعالى الغيلان .

(٧٤ — ٧٥) الطارف التليد . يعنى رجلين من جنده غنما هــذا المال وكان تليدا أى قديما موروثا عند اصحابه فأصبح طارفا اى جديدا مستحدثا عندهما .

— ٢ —

لم يحفظ لنا التاريخ الا نتفا متفرقة عن قيس بن معديكرب ممدوح الأعشى ،يتعب الباحث فى جمعها وتلفيقها . هو كندى من بنى الحارث ابن معاوية (١) وأبوه غير معديكرب غلفاء بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار . فابن الأنبارى ، فى شرح المفضليات ، يقص تاريخ الحارث ابن عمرو بن حجر وتاريخ أبنائه حجر وشرحبيل ومعديكرب وسلمة ، ويختم ذلك بقوله : فأصاب معديكرب الوسواس ، وضرب سلمة الفالج ، فانخرق ملكهم حين أصابهم هذا وتفرق ، ودخلوا حضرموت . فخرج الملك من بنى آكل المرار ، وساد بنو الحارث بن معاوية ، فأول من ساد منهم قيس بن معديكرب أبو الأشعث ، ثم الأشعث بن قيس . فأسلم الأشعث وهو متوج (٢) . ولهم قصة طريفة فى سيادة قيس . قالوا ان قيسبة ابن كلثوم السكونى (٣) — وكان ملكا — خرج يريد الحج على عادة العرب فى جاهليتها ، فمر ببنى عامر بن عقيل ، فنهبوا ماله وأسروه . فلم يزل عندهم أسيرا حتى علم أخوه الجون بن كلثوم فأتى قيس بن معديكرب ، فسأله العون فى استنقاذ أخيه ، فقبل على شرط أن يسير تحت لوائه . فانصرف الجون مستكبرا — وكان من ملوك كندة — ثم راجعه قومه فى ذلك وقالوا : وما عليك من هذا ، هو ابن عمك ويطلب بثأرك ، فأنعم له بذلك . فسار قيس والجون تحت لوائه حتى أوقع ببنى عقيل واستنقذ قيسبة . فهو أول يوم اجتمعت فيه كندة والسكون لقيس ، وبه أدرك الشرف (٤) ومات قيس مقتولا ، قتلته (مراد) . ثم جاء ابنه الأشعث مطالبا بثأره ، فأسرته بنو الحرث بن كعب، فلم يزل عندهم حتى افتدى بألف قلوص وبألف من طرائف اليمن (٥) . وقد اختلف المؤرخون فى وفاة قيس ، فقال بعضهم انه أدرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، وزعم بعضهم أنه مات فى الجاهلية (٦) . والقول الأول عندي أرجح ؛ لأن ابنه الأشعث توفى سنة ٤٢ هـ وعمره ثلاث وستون سنة (٧) ، وهذا يعنى أن الأشعث ولد قبل مبعث النبى بتسع سنوات فقط . وقد عاش قيس حتى كبر ابنه وبلغ مبلغ الرجال ، فقد ندم ثائرا له بعد مقتله — كما يقول القالى وابن قتيبة — وكان الأعشى يكنيه به فى مدائحه فيسميه أبا الأشعث (٨) .

ووفد الأشعث على النبى فى سبعين راكبا من كندة فأسلموا سنة ١٠ هـ (٩) ، ثم امتنع عن بيعة أبى بكر وحاربه . وتألفه أبو بكر بأن زوجه أخته أم فروة (١٠) .

ولقيس بن معد يكرب بنت اسمها (قتيلة) تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ، فتوفى قبل أن تصل اليه (١١) . وقد مات الأشعث سنة ٤٢ هـ وله من العمر ثلاثة وستون عاما . فمولده على هذا الحساب سنة ٦٠١ م ويقول الرواة ان هذه القصيدة هى أول مامدح به الأعشى قيسا .

يقول الأَعشى :

١ ـ لعمرك ما يطول عمر الإِنسان فى هذا الزمن إلا للعناء والشقاء .

٢ ـ يظل مستهدفًا للموت وللأَمراض والأَحزان وأَلوان البلاء

٣ ـ وهالك ووري التراب كآخر يعيش فى قفرة بين الأَحياء .

٤ ـ ما تغادر أَحداث الدهر ونوائبه من صغير أَو كبير .

٥ ـ ولا تدفع عنى رحلتى وتنقلى فى البلاد القضاءَ المرير .

٦ ـ فالموت مستوثق منى وإِن أَجلنى إِلى حين .

٧ ـ لا تغيب عنى عينه ، فأَنا بين يديه رهين .

٨ ـ أَزال (أُذينة) عن ملكه ، وأَخرج (ذايزن) وقد حوته الحضون .

٩ ـ وخان النعيم (أَبا مالك) وقد ظنه يدوم ، وكذلك دأْب الزمن الخئون .

١٠ ـ يهلك الملوك ويفنيهم ، ويخرج الناس عن مُسْتقرِّهم فى دار الشُّجون .

١١ ـ أَين منى عهد الشباب ولذاته ، إِذ أَنا ناعم فى المترفين .

١٢ ـ طاوعت الناصح فأَسلمت له القياد ، وقد كنت وعرا لا أَلين .

---

(١) شرح المفضليات ص ٤٤١ ط . أوروبا . (٢) شرح المفضليات ٤٢٧ — ٤٤١ (٣) السكون فرع من كندة . (٤) الأغانى ٩ : ١٧٢ ، ١١ : ١٢٥ ط . بولاق . (٥) الأمالى ٢:١٤٦ ط ، دار الكتب ، المعارف ١٤٥ (٦) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء للاصفهانى ص ٩٢ ط . برلين ، خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣ (٧) الاصابة ١ : ٥٠ (٨) القصائد ٦٨ ، ٧٨ بالديوان (٩) الاصابة ١:٥٠ (١٠) المعارف ١٤٥ (١١) خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣ .

وقال يمدح قيس بن مَعْدِ يكَرِب الكندى :

١ ـ لَعَمرُكَ مَا طُولُ هَذَا الزَّمَنْ   عَلَى الْمَرْءِ إِلَّا عَنَاءٌ مُعَنْ (متقارب)
٢ ـ يَظَلُّ رَجِيمًا لِرَيْبِ المَنُون   وَلِلسُّقْمِ فِى أَهْلِهِ وَٱلْحَزَنْ
٣ ـ وَهَالِكِ أَهْلٍ يُجنُّونَهُ   كَآخَرَ فِى قَفْرَةٍ لَمْ يُجَنْ
٤ ـ وَمَا إِنْ أَرَى الدَّهْرَ فى صَرْفِهِ   يُغَادِرُ مِنْ شَارِخٍ أَوْ يَفَنْ
٥ ـ فَهَلْ يَمْنَعَنِّى ٱرْتِيَادِى البِلَا   دَ مِنْ حَذَرِ المَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ
٦ ـ أَلَيْسَ أَخُو المَوْتِ مُسْتَوْثِقًا   عَلَىَّ وَإِنْ قُلْتُ قَدْ أَنْسَأَنْ
٧ ـ عَلَىَّ رَقِيبٌ لَهُ حَافِظٌ   فَقُلْ فِى ٱمْرِىءٍ غَلِقٍ مُرتَهَنْ
٨ ـ أَزَالَ أُذَيْنَةَ عَنْ مُلْكِهِ   وَأَخْرَجَ مِنْ حِصْنِهِ ذَا يَزَنْ
٩ ـ وَخَانَ النَّعِيمُ أَبَا مَالِكٍ   وَأَىُّ ٱمْرِىءٍ لَمْ يَخُنْهُ الزَّمَنْ
١٠ ـ أَفَادَ المُلُوكَ فَأَفْنَاهُمُ   وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ذَا حَزَنْ
١١ ـ وَعَهْدُ الشَّبَابِ وَلَذَّاتُهُ   فَإِنْ يَكُ ذٰلِكَ قَدْ نُتَّدَنْ
١٢ ـ وَطَاوَعْتُ ذَا الحِلْمِ فَٱقْتَادَنى   وَقَدْ كُنْتُ أَمْنَعُ مِنْهُ الرَّسَنْ

(١ ـ ٣) معن اسم فاعل من عنى (بتشديد النون) أى اتعب واشقى . الرجيم الملعون ، رجمه رماه بالحجارة وقتله أو قذفه ولعنه وطرده . ريب المنون صرف الدهر وتقلبه ومصائبه . يجنونه يسترونه فى الأرض ويدفنونه .

(٤ ـ ٦) صرف الدهر نوائبه ، الشارخ الشاب . اليفن الشيخ الكبير . أنسأه أخره واجله .

(٧ ـ ٩) غلق الرهن (من باب طرب) استحقه المرتهن ، وذلك اذا لم يفتك فى الوقت المشروط .

(١٠ ـ ١٢) أفاد أهلك . فاد الرجل يفود هلك . ودنه وودنه (بتخفيف الدال وتشديدها) بله ونقعه . وودن العروس احسن القيام عليها ، والأودن الناعم ، وتودن الجلد لان . الصبا بكسر الصاد الشوق . الشجن الحزن والهم .

١٣ ـ وعاصيت قلبي بعد الصبى ، فأمسى فارغا لا تحركه الأشجان .

١٤ ـ ويا ربما شربت الراح يا حبيبتى مسافراً وفى الأوطان

١٥ ـ ويا ربما خرجت للريف مقيما على شربها حتى يقول الناس طالت إقامة النشوان

١٦ ـ وأمتعت نفسى من الغانيات بين زوج وخليل

١٧ ـ من كل بيضاء مفتولة القوام ، جلدها ناصع كاللبن صقيل

١٨ ـ إذا أقبلت فالخصر دقيق جميل ، وإن أدبرت فالردف فخم ثقيل

١٩ ـ وإن نازلت قريناً ، وكان القتال بما حوت الأسفاط. من عطر وطيب

٢٠ ـ أقبلت على الضجيع وقد رقد ، وأوشك النوم أن يثقل جفون الحبيب

٢١ ـ تعاطيه خمرا طيبة الطعم ، تفور وتزبد بين الدَّنِّ والكوب

٢٢ ـ يناولها الساقيان الكأس ممزوجا بماءٍ بارد من قِرْبَةٍ خَلَقٍ رطيب

* * * *

٢٣ ـ وبيداء قفر جرداء ، كأنها ثوب يمنىٌّ مخطط. ، راكدة المياه مطموسة الآبار

٢٤ ـ قطعتها حين توسطت الشمس السماء ، وخفق السراب ، بناقة ضخمة كأنها قَصْرٌ جَبَّار

١٣ ـ وَعَاصَيْتُ قَلْبِىَ بَعْدَ الصِّبَى وَأَمْسَى وَمَا إِنْ لَهُ مِنْ شَجَنْ
١٤ ـ فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِيـ نَ يَوْمَ الْمُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ
١٥ ـ وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَا قَدْ دَجَنْ
١٦ ـ وَأَقْرَرْتُ عَيْنِى مِنَ الغَانِيَا تِ إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أُزَنّْ
١٧ ـ مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَن
١٨ ـ عَرِيضَةُ بُوصٍ إِذَا أَدْبَرَتْ هَضِيمُ الحَشَا شَخْتَةُ الْمُحْتَضَنْ
١٩ ـ إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنّ وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِى الجُؤَنْ
٢٠ ـ تُعَاطِى الضَّجِيعَ إِذَا أَقْبَلَتْ بُعَيْدَ الرُّقَادِ وَعِنْدَ الوَسَنْ
٢١ ـ صَلِيفِيَّةً طَيِّبًا طَعْمُهَا لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنّْ
٢٢ ـ يَصُبُّ لَهَا السَّاقِيَانِ المِزَا جَ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ مِنْ مَاءِشَنّْ
٢٣ ـ وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرْ مَشَارِبُهَا دَاثِرَاتٌ أُجُنْ
٢٤ ـ قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا بِدَوْسَرَةٍ جَسْرَةٍ كَالْفَدَنْ

(١٤ — ١٦) الراح الخمر . الظعن الرحيل والسفر . الريف كل ارض فيها زرع وخصب .دجن ثبت واقام . النكاح الزواج . ازن من **الزنى**

(١٧ — ١٩) المكورة المتلئة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . البشر الجلد . البوص العجز . الحشا ما فى البطن من الأمعاء . هضيم الحشا أى ضامرة البطن . شختة لطيفة دقيقة . المحتضن الخصر وهو موضع الاحتضان . المصاع مصدر ماصع أى قاتل . الجؤن جمع جؤنة وهو السفط فيه طيب . يريد انهن يتطيبن ، فجعل ذلك سلاحهن .

(٢٠ — ٢٢) الوسن النوم . صليفية معتقة . الدن اناء فخارى ضخم تحفظ فيه الخمر . الشن القربة الخلق التى نعم جلدها من كثرة الاستعمال ، فلذلك أطيب لمائها ، لأن رائحة الجلد قد ذهبت ولانه ابرد للماء .

(٢٣ — ٢٤) السدير ارض باليمن . والبرد ثوب مخطط . المشارب المياه والابار التى يشرب منها المسافر . داثرات مطموسة بالرمال . أجن جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم لركوده . خب النبات طال ، وخب السراب اضطرب . الريع والريعان (بسكون الياء) اضطراب السراب . الدوسرة الناقة الضخمة . جسرة ضخمة . الفدن القصر .

٢٥ ـ حُبِست حولا كاملا تعْلف (اللَّجِين) ، حتى اشتد صغيرُها وأسنّ

٢٦ ـ وتراكم الشحم فى سنامها فامتلأ وطال فوق هيكلها الضخم ، كأنها صخرة ملساءُ فى هضبة غزيرة الأمطار

٢٧ ـ أفنيتها واستنفدت عزمها ونشاطها فوق صحراءٍ جرداءَ كالرّداءِ

٢٨ ـ تراقب عن يمينها سوطًا بكفى شديد الفتل ، قد ألانه الضرب

٢٩ ـ قاصدة (قيسًا) ، وكم دونه من فياف ، ومن وُعور خُشُن

٣٠ ـ ومن عدو كالح الوجه ، إذا تقربت إليه بنسبى تجاهل واضطغن

٣١ ـ ومن بئر راكد ، لم تزل تسفى عليه الرياح البعر والتراب حتى اندفن

٣٢ ـ وذئب أجاوره فى برد الشتاءِ غير أمين ولا مؤتمن

* * * *

٣٣ ـ ولكن ربى عوضنى عما لقيت من تعب وعناء

٣٤ ـ حين بلغت سيدا ماجدا وثيقًا جزيل العطاء

٣٥ ـ كريم الشمائل من (بنى معاوية) ذوى الطبائع الكريمة السمحاء

٣٦ ـ إن تبعته بلغت الرشاد ، وإن سألته أجاب النداء

٣٧ ـ وإن لجأت إلى حكمه فقد لجأت إلى جبل ثابت البناء

٣٨ ـ صلب لا يرزح تحت الشدائد ولا تثقل عليه ، ماضى العزيمة ليس بعظمه وهن

٣٩ ـ مأمون الغدر ، لا يسقط على جاره التلف ، كما تسقط العصا تُدَقُّ بها أوراق (اللَّجَن)

٢٥ ـ بِحِقَّتِهَا حُبِسَتْ فِى اللَّجِيـ   ـنِ حَتَّى السَّدِيسُ لَهَا قَدْ أَسَنْ

٢٦ ـ وَطَالَ السَّنَامُ عَلَى جَبْلَةٍ   كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضَبَاتِ الدَّجَنْ

٢٧ ـ فَأَفْنَيْتُهَـــا وَتَعَالَلْتُهَـــا   عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ

٢٨ ـ تُرَاقِبُ مِنْ أَيْمَنِ الجَانِبَيْـ   ـنِ بِالْكَفِّ مِنْ مُحْصَدٍ قَدْ مَرَنْ

٢٩ ـ تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَه   مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِى شَزَنْ

٣٠ ـ وَمِنْ شَانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ   إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ

٣١ ـ وَمِنْ آجِنٍ أَوْلَجَتْهُ الجَنُو   بُ دِمْنَةَ أَعْطَانِهِ فَانْدَفَنْ

٣٢ ـ وَجَارٍ أُجَاوِرُهُ إِذْ شَتَوْ   تُ غَيْرِ أَمِينٍ وَلَا مُؤْتَمَنْ

٣٣ ـ وَلَكِنَّ رَبِّى كَفَى غُرْبَتِى   بِحَمْدِ الإِلٰهِ فَقَدْ بَلَّغَنْ

٣٤ ـ أَخَا ثِقَةٍ عَالِيًا كَعْبُهُ   جَزِيلَ العَطَاءِ كَرِيمَ المِنَنْ

٣٥ ـ كَرِيمًا شَمَائِلُهُ مِنْ بَنِى   مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ السُّنَنْ

٣٦ ـ فَإِنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا   وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنْ

٣٧ ـ وإِنْ يُسْتَضَافُوا إِلَى حُكْمِهِ   يُضَافُوا إِلَى هَادِنٍ قَدْ رَزَنْ

٣٨ ـ وَمَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ   وَمَا إِنْ بِعَظْمٍ لَهُ مِنْ وَهَنْ

٣٩ ـ وَمَا إِنْ عَلَى جَارِهِ تَلْفَةٌ   يُسَاقِطُهَا كَسِقَاطِ اللَّجَنْ

(٢٥ ــ ٢٦) بحقتها أى سنة كاملة . والحقة الحق الواجب ، وأتت الناقةعلى حقها أى على وقت ضرابها . اللجين نوع من علف الابل يدق فيه الخبط حتى يتلزج ثم يخلط بالدقيق أو الشعير . السديس البعير فى السنة الثامنة حين تسقطأسنانه السابقة (السدس) وبخرج نابه . الجبلة الضخمة العظيمة الخلق . خلقاء ملساءأى صخرة ملساء . الدجن المطر . يقول ان توالى الامطار صقل الصخرة .

(٢٧ ــ ٢٩) تعاللتها أخذت علالتها ، والعلالة البقية من كل شىء . الصحصح المستوى من الأرض . الردن الخز . محصـد مفتول يعنى السوط . المارن اللين الذى قد الانه الضرب . ذى شزن غليظ ، والشزن الغلظ .

(٣٠ ــ ٣٢) الشنآن البغض ، والشانىء المبغض . الكاسف الوجه العابس المتغير . آجن بئر أو ماء راكد . الجنوب ريح . الدمنة البعر وآثار الدار . الأعطان منازل الابل . وجار اراد الذئب فهو جاره فى الشتاء فى هذه الرحلة الطويلة .

(٣٢ ــ ٣٥) المنن جمع منة وهى النعمة والعطاء . بنو معاوية رهط قيس بن معديكرب . السنن الوجوه والطبائع .

(٣٦ ــ ٣٩) استضاف به استغاث . هادن ثابت . رزن الرحل رزانة وقر فهو رزين . غمرة الشىء شدته ومزدحمه ، وغمرات الموت شدائده ومكارهه . التلفة الهلاك . اللجن ورق من أوراق الشجر يدق ويخلط بدقيق أو شعير ثم يتخذ علفا للماشية .

٤٠ — يهب المائة من الإبل الضخام كأنها النخل ، قد حبست فى العلف فزانها السِّمَن

٤١ — والفرس الأسود كأنه الجذع ، يقف على أرجله الثلاث ، معلقًا عينيه برمح فارسه المسنون

٤٢ — تعدو الأفراس إلى جانبه ، فيبدو من بينها كأنه ثور وحش حَرون

٤٣ — يميلون إليه فيذهب بهم نافرا ، حتى يظن الناس به الجنون

٤٤ — وينتهى إلى نهاية الشوط لا يتعلقون به ، ثم يراجع نفسه فيطمئن ويلين

٤٥ — يسمو بعنق كجذع النخيل ، ويدل رأسه وشعر ناصيته على الكرم المُبين

٤٦ — لا يُحمل عليه الغلام إلا بعد جهد ، فإذا أرسله أسلس القياد وسكن

٤٧ — ويصرفه إلى قطيع البقر ، فينقض كأنه باز أزرق المخلب قد عُوِّد الصيد فمرن

٤٨ — يطارد حمامة ورقاء بين أسراب من حمامٍ ثُكَنْ

٤٩ — ولا يزال الغلام يعدو برمحه ، حتى يصيب البقر فى عجز ضخم كأنه ظهر المِجَنّ

* * * *

٥٠ — ترى آثار النعمة فى بيت (قيس) ، بين لحم مقدد ، وآخر رطب معلق فوق الحظائر والعُنَنْ .

٥١ — يقصده السائلون ، فيطوفون بأبوابه كما يطوف النصارى ببيت الوَثَن

٥٢ — يهب الجوارى من المغنيات ، يطربن الندامى فى ثيابهن المهفهفة من حرير وكَتَنْ

٥٣ — ويقبل عليك المحزون واللاجئ فى ليلة هى إحدى المحن

٥٤ — فيجد فى بيتك الملجأ ، حين لا يكون فى بيت بعض الناس من الشر مُسْتَكَنّ

٤٠ـ هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ كَالنَّخْلِ زَيَّنَها بالرَّجَنْ
٤١ـ وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ يَرْنُو القِنَاءَ إذَا مَاصَفَنْ
٤٢ـ تَرَاهُ إذَا مَا عَدَا صَحْبُه ... بِجَانِبِهِ مِثْلَ شَاةِ الأَرَنْ
٤٣ـ أضَافُوا إلَيْهِ فَأَلْوى بِهِمْ ... تَقُولُ جُنُونًا ولمَّا يُجَنّْ
٤٤ـ وَلَمْ يَلْحَقُوهُ عَلَى شَوْطِهِ ... وَرَاجَعَ مِنْ ذِلَّةٍ فَاطْمَأَنّْ
٤٥ـ سَمَا بِتَلِيلٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ حُرِّ القَذَالِ طَوِيلِ الغُسَنْ
٤٦ـ فَلأْيًا بِلأْيٍ حَمَلْنَا الغُلا ... مَ كَرْهًا فَأَرْسَلَهُ فَامْتَهَنْ
٤٧ـ كَأَنَّ الغُلَامَ نَحَا لِلصُّوَا ... رِ أَزْرَقَ ذَا مِخْلَبٍ قَدْ دَجَنْ
٤٨ـ يُسَافِعُ وَرْقَاءَ غُورِيَّةً ... لِيُدْرِكَهَا فِى حَمَامٍ ثُكَنْ
٤٩ـ فَثَابَرَ بِالرُّمْحِ حَتَّى نَحَا ... هُ فِى كَفَلٍ كَسَرَاةِ المِجَنّْ
٥٠ـ تَرَى اللَّحْمَ مِن ذَابِلٍ قَدْ ذَوَى ... وَرَطْبٍ يُرَفَّعُ فَوْقَ العُنَنْ
٥١ـ يَطُوفُ العُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ ... كَطَوْفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الوَثَنْ
٥٢ـ هُوَ الوَاهِبُ المُسْمِعَاتِ الشُّرُو ... بَ بَيْنَ الحَرِيرِ وَبَيْنَ الكَتَنْ
٥٣ـ ويُقْبِلُ ذُو البَثِّ والرَّاغِبُو ... نَ فِى لَيْلَةٍ هِىَ إحْدَى اللَّزَنْ
٥٤ـ لِبَيْتِكَ إذْ بَعْضُهُم بَيْتُهُ ... مِنَ الشَّر مَا فِيهِ مِنْ مُسْتَكَنّْ

(٤٠ — ٤٢) الرجن الاقامة ، رجن بالمكان أقام ، ورجنت الدابة فى العلف ترجينا حبستها فيه . الكميت الفرس الأحمر الذى يضرب للسواد . الخصبة النخلة الكثيرة الحمل . القناء جمع قناة وهى الرمح . الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . الشاة الثور الوحشى . الأرن المرح والنشاط .

(٤٣ — ٤٥) ضاف اليه مال اليه . وضاف الرجل عدا وأسرع . الوى به ذهب . الشوط الغاية ونهاية السباق . التليل العنق . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة . القذال مؤخر الراس . الغسن شعر العرف والناصية .

(٤٦ — ٤٨) لأى الرجل ابطأ واحتبس . واللأى البطء والشدة . امتهن الشىء ابتذله واستعمله للمهنة . نحا صرف . الصوار القطيع من بقر الوحش . أزرق باز . دجن بالصيد اعتاده فهو خبير به . سفع الطائر الجارح ضريبته لطمها . ورقاء حمامة فى لونها كدرة كالرماد . ثكن قطع .

(٤٩ — ٥٢) الكفل العجز . السراة الظهر . المجن الترس . ذوى جف وضمر . العنن جمع عنة وهى الحظيرة . العفاة السائلون . الوثن الصنم ، وماله جثة من خشب أو حجر أو فضة .

(٥٣ — ٥٤) البث الحزن . لزن القوم على البئر تزاحموا للاستقاء ، واللزن الشدة والضيق والازدحام . استكن استتر .

٥٥ـ دأبك الحرب والقتال ، ما أنت كالذى يحارب ليشبع بطنه من جوع ، فإذا أُتْخِمَ تراجع وسكن .

٥٦ـ إذا فاتته أكلة تداركها بأُخرى ، فهو بطين كثير طيات العُكَنْ

٥٧ـ كلُّ همِّه أن يراقب خصره ، وينظر فى عِطْفَيْه ، فإنما همُّك فى الغزو لا فى السِّمَن

٥٨ـ لك فى كل عام غزوة تفنى دوابر الخيل ، وتحتُّ حوافرها حَتّاً المبرد الخشن

٥٩ـ ترى الفتى وقد حمى وطيسها جاثيًا فوق الكور من خشية السقوط ، وقد أكب عليه للوجه والذقن .

٦٠ـ أما الشيخ الكبير ، فهو يرجف كما يرجف الجمل المسن ، حين يذكر الأَهل فيشتاق للوطن.

٦١ـ ولما رأى العدو من ساعتهم ما رأوا من منظر الجيوش وما فيها من شرٍّ قد كمن

٦٢ـ أخذتهم الحيرة واعتراهم الذهول ، فهم بين يأْس وَيَقَنْ

٦٣ـ وبينما القوم يتمارون ويتجادلون فيما هم صانعون ، اندفعت الخيل عليهم ، والرأى مشتبهٌ لم يَسْتَبِنْ .

٦٤ـ واندفع الفرسان المغاوير ، تتقدمهم رماحهم ، وكأنهم يريدون أن يسبقوها ، وقد سطع الغبار وارتفع الدَّخَنْ .

٦٥ـ يغمز الفرسان الأَفراس بأَرجلهم فى شدة القيظ ، فتدرُّ على أسوقهم ، ركضًا إذا مال السراب وارْجَحَن .

* * *

٦٦ـ ويتحدث النسوة عنك قائلات : أى شيء قد ادخر من هذه الغارات وماذا اختزن؟

٦٧ـ وما أكثر ما أخذت خيله من نعم ، وما أكثر ما خلفت من عداوات وإِحَنْ

٦٨ـ وما أكثر ما عادت إليه محملة بالأَسلاب ، توضع بين يدى رجل إذا كسب المال لم يختزن .

٦٩ـ وإنما إنفاقه على حسن الأُحدوثة وطيب الذكر ، يشتريه بأَغلى الثمن

٥٥- وَلَمْ تَسْعَ لِلْحَرْبِ سَعْيَ ٱمْرِئٍ   إِذَا بِطْنَةٌ رَاجَعَتْهُ سَكَنْ

٥٦- عَلَيْهَا وَإِنْ فَاتَه أَكْلَةٌ   تَلَافَى لِأُخْرَى عَظِيمَ الْعُكَنْ

٥٧- تَرَى هَمَّهُ نَظَرًا خِصْرَه   وَهَمُّكَ فِى الغَزْوِ لَا فِى السِّمَنْ

٥٨- وَفِى كُلِّ عَامٍ لَهُ غَزْوَةٌ   تَحُتُّ الدَّوَابِرَ حَتَّ السَّفَنْ

٥٩- حَجُونٌ تُظِلُّ الْفَتَى جَاذِبًا   عَلَى وَاسِطِ الْكُورِ عِنْدَ الذَّقَنْ

٦٠- تَرَى الشَّيْخَ مِنْهَا لِحُبِّ الإِيَا   بِ يَرْجُفُ كَالشَّارِفِ المُسْتَحِنْ

٦١- فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ مِنْ سَاعَةٍ   مِنَ الرَّأْيِ مَا أَبْصَرُوهُ ٱكْتَمَنْ

٦٢- وَمَا بِالَّذِى أَبْصَرَتْهُ العُيُو   نُ مِنْ قَطْعِ يَأْسٍ وَلَا مِنْ يَقَنْ

٦٣- فَبَيْنَا تَمَارِيهِمُ أُرْسِلَتْ   عَلَى شُبْهَةِ الرَّأْيِ لَم تَسْتَبِنْ

٦٤- تُبَارِى الزِّجَاجَ مَغَاوِيرُهَا   شَمَاطِيطَ فِى رَهَجٍ كَالدُّخَنْ

٦٥- تَدُرُّ عَلَى أَسْوُقِ المُمْتَرِ   نَ رَكْضًا إِذَامَا السَّرَابُ ٱرْجَحَنْ

٦٦- فَيَاعَجَبَ الرَّهْنِ لِلْقَائِلَا   تِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مَاذَا ٱحْتَجَنْ

٦٧- وَمَا قَدْ أَخَذْنَ وَمَا قَدْ تَرَكْـ   ـنَ فِى الحَىِّ مِنْ نِعْمَةٍ وَدِمَنْ

٦٨- وَأَقْبَلْنَ يُعْرِضْنَ نَحْوَ ٱمْرِئٍ   إِذَا كَسِبَ المَالَ لَمْ يَخْتَزِنْ

٦٩- وَلَكِنْ عَلَى الحَمْدِ إِنْفَاقُهُ   وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الثَّمَنْ

(٥٥ — ٥٩) البطنة الكظة وهى أن تمتلىء من الطعام امتلاء شديدا . الدوابر مآخير الحوافر . السفن المبرد . تحتها تقشرها وتبردها . الحجون الغزوة البعيدة الطويلة . الكور الرحل بأداته .

(٦٠ — ٦٣) الشارف الجمل الهرم . الراى المنظر . تمارى فيه شك . سنة الراى قصده وصوابه . والبيت ٦٣ ناقص فى الأوروبية أكملته من المتوكلية وقد وردت الأبيات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ فى مخطوطة المتوكلية بعد البيت ٤٩ .

(٦٤ — ٦٥) الزجاج جمع زج بضم الزاى وهو الحديدة التى فى أسفل الرمح . شماطيط فرقا وجماعات . الرهج الغبار . مرى الدابة بساقه يمريها ركضها أى حثها بتحريك رجليه . ارجحن مال واهتز . وارجحن السراب ارتفع ، وذلك وقت الظهر وعند اشتداد الحر .

(٦٦ — ٦٩) ياعجب الرهن عبارة تفيد التعجب ، ولم أعثر على تحقيقها فى المعاجم . والرهن مصدر رهن ، رهن بالمكان ثبت ودام ، ومنه نعمة راهنة أى دائمة . ورهن الرجل والفرس أى صار راهنا هزيلا . احتجن المال ضمه الى نفسه واحتواه . الدمن جمع دمنة وهى العداوة . وأعرض الشىء ظهر وبرز ، ومنه (وأعرضت اليمامة واشمخرت) أى ظهرت .

٧٠ـ لا يدع السعى للحمد والثناء ، وليس يشترى الحمد بالتوانى ولا الوَهَنْ

٧١ـ عليه سلاح رجل قد طال تمرسه بالقتال ، حتى خبر الحرب وامتحن

٧٢ـ نَبْلٌ طوال تسرع إلى أهدافها كأنها النحل ، يدفعها قوس من شجر (السراءِ) منسرح قليل الأُبَنْ .

٧٣ـ وسيف إذا هُزَّ هَبَّ ، غامض الجِرَاح صقيل متناسق كأنه الشَّطَنْ

٧٤ـ ودرع بيضاءُ تترقرق كأنها ماءُ الغدير ، قد نسجت حلقتين حلقتين ، واتصل بآخرها غطاءُ للرأس .

٧٥ـ وإنه لبصير بمواضع الطعن ، يسدد ضرباته بين فروج الدرع ، ويضرب برمحه أوائل الخيل فتنحبس .

* * *

٧٦ـ هذا ثناءُ رجل قد قصدك من بعيد قاطعًا (القَرَنْ)

٧٧ـ وقد عشتُ زمنا فى العراق عفيف المنزل مستغنيًا عن الناس

٧٨ـ حولى قومى من بكر وأنصارهم ، لا أُبالى وعيد ذى البأْس

٧٩ـ وترامى إلىَّ خبرك ، فزعم الزاعمون ـ وليس لى علم ـ أن (قيسًا) خير أهل اليمن

٨٠ـ وأنه رفيع الوساد ، طويل النجاد ، ضخم الجفنة ، رحب الطَعَنْ

٨١ـ ينفذ بفكره إلى صميم المشاكل ، كما يشق الحائك ثوب الرَّدَنْ

٨٢ـ فجئتك أرتاد ما أُنبئت ، ولولا الذى سمعت لم ترن

٨٣ـ فلا تحرمنى جزيل نداك ، فإنى امرؤ قبلكم لم أُهَنْ

٧٠– وَلَا يَدَعُ الحَمْدَ أَوْ يَشْتَرِيـ   ـهِ بِوَشْكِ الفُتُورِ وَلَا بِالتَّوَنْ

٧١– عَلَيْهِ سِلَاحُ ٱمْرِئٍ مَاجِدٍ   تَمَهَّلَ فِى الْحَرْبِ حَتَّى اتَّخَنْ

٧٢– سَلَاجِمَ كَالنَّحْلِ أَنْحَى لَهَا   قَضِيبَ سَرَاءٍ قَلِيلَ الأُبَنْ

٧٣– وَذَا هِبَّةٍ غَامِضاً كَلْمُه   وَأَجْرَدَ مُطَّرِدًا كَالشَّطَنْ

٧٤– وَبَيْضَاءَ كَالنَّهْىِ مَوْضُونَةً   لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ

٧٥– وَقَدْ يَطْعُنُ الفَرْجَ يَوْمَ اللِّقَا   ءِ بِالرُّمْحِ يَحْبِسُ أُولَى السَّنَنْ

٧٦– فَهَذَا الثَّنَاءُ وَإِنِّى ٱمْرُؤٌ   إِلَيْكَ بِعَمْدٍ قَطَعْتُ القَرَنْ

٧٧– وَكُنْتُ ٱمْرَءًا زَمَنًا بِالعِرَاقِ   عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنّ

٧٨– وَحَوْلِى بَكْرٌ وَأَشْيَاعُهَا   وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنْ

٧٩– وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُه   كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ ٱلْيَمَنْ

٨٠– رَفِيعَ الوِسَادِ طَوِيلَ النِّجَا   دِ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ رَحْبَ العَطَنْ

٨١– يَشُقُّ ٱلْأُمُورَ وَيَجْتَابُهَا   كَشَقِّ القَرَارِىِّ ثَوْبَ الرَّدَنْ

٨٢– فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا   وَلَوْلَا الَّذِى خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ

٨٣– فَلَا تَحْرِمَنِّى نَدَاكَ الجَزِيلْ   فَإِنِّى ٱمْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

(٧٠ — ٧١) الوشك القرب . اثخن صار صلبا غليظا وهو افتعل من ثخن ثخونة وثخانة أى غلظ وصلب . ويجوز فيها التاء بدل الثاء أيضا فتقول اتخن .

(٧٢ — ٧٤) سلاجم طوال يريد بها النبل . كالنحل فى سرعتها . أنحى لها قصد لها ووجه لها ، السراء شجر تعمل منه القسى . الأبن جمع أبنة وهى العقد . وانما يختار للقوس العود السليم الذى ليس فيه عقد فذلك أقوى لها وأشد . ذاهبة يريد السيف كأنه يهب ويستيقظ اذا هز . مطرد متتابع ليس بعضه غليظا وبعضه دقيقا . الشطن الحبل . بيضاء يقصد الدرع . النهى الغدير ، يشبهها به فى تموج بريقها . موضونة منسوجة حلقتين حلقتين . القونس البيضة أو المغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة . الجيب فتحة الرأس . البدن الدرع القصير .

(٧٥ — ٧٨) الفرج كل فرجة بين شيئين ويقصد بها فروج الدرع أو الفتحات التى تبدو فيه . سنن الخيل أوائلها . المناخ محل الاقامة . التغنى الاستغناء . الخلى الرطب من النبات وكل بقلة قلعتها فهى خلى ، يريد أنه ليس ضعيفا حتى يتوعده احد او يتهدده ومن حوله قومه الأقوياء من (بكر) .

(٧٩ — ٨١) رفيع الوساد يكنى عن سمو مكانته . طويل النجاد يكنى به عن طول قامته ، والنجاد حمائل السيف . الدسيعة الجفنة الكبيرة يكنى بذلك عن كرمه . العطن المناخ حول مورد الماء . اجتابه اجتيابا خرقه ، واجتاب الأرض قطعها . القرارى الخياط . الردن المخز . الارتياد طلب النجعة والكلأ .

يقرن بعض نقاد الشعر بين هذه القصيدة وبين قصيدة مروان ابن أبى حفصة

طرقَتْكَ زائرة فحيِّ خيالها بيضاءُ تخلط بالجمال دلالها

وقد كان خلف الأَحمر يفضلها على قصيدة الأَعشى هذه :

(١ -٤) يلوم الأَعشى صاحبته (سُمَيَّة) على صدودها عنه ، فيقول إنها قد رحلت جِمالها فى الغداة غضبى عليه . ثم يتساءل ماذا بدالها ؟ وفيم هذا الهم الطويل الذى ينتابها فى الليل وقد بدا النهار؟ ويظهر عدم اكتراثه لصدودها . فكم غانيةٍ قبلها قد قطع وصالها حين مل صحبتها . وكم أَرض أَصابها المطر فأَزهرت كأَن التجار قد نشروا فوقها برودا زاهية الأَلوان ، قد ارتادها متنقلا بينها .

(٥ -٩) وكم رجل غيور على صاحبته يحرص عليها ، ويبالغ فى حياطتها ، فهو لشدة حذره لا يكاد ينام ، لم يزل يتأَتى لها ، حتى أَقبل الليل ، فأَصاب منه غفلة عن شاته ، فخلا بها للذته ، وكان عندها حظيًا أَثيرا . ومعتقة من خمر بابل حمراءَ كدم الذبيح سلبها حمرتَها فكست وجهه ووجناته .

(١٠-١١) وقصيدةٍ محكمة غريبةٍ يفد بها على الملوك ، قد أَرسلها ليتساءل الناس لشدة إعجابهم بها (من ذا قالها ؟) ، وجزور قد دعا لحتفها فنحرها لصحبه المقامرين ، وقفرٍ بعيد الأَرجاءِ يُخْشَى فيه الضلال كان جريئًا على ركوبه واقتحامه .

* * * *

(١٢-١٤) وهنا ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراءِ فى رحلته إلى ممدوحه . فهى مُضِلة ، عمياءُ ، موحشة ، يمد فيها بصره ليقدر أَميالها ، فوق ناقة ضخمة سلسة القياد ، تنطلق مسرعة وقت الهاجرة ، حين تنكمش الظلال تحت أَرجل المطى ، فكأَن هرًّا قد علق برحلها . وهى هوجاءُ تعتسف الطريق اعتسافا فتتساقط النعال التى تصون أَخفافها وقد تقطعت سيورها ، تاركة وراءها أَثر أَخفافها مطبوعاعلى الرمال

وقال يمدح قيس بن معد يكرب :

(كامل)

١ ـ رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالَهَا ... غَضْبَى عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَالَهَا
٢ ـ هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهَا ... مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا
٣ ـ سَفَهًا ، وما تَدْرِى سُمَيَّةُ وَيْحَهَا ... أَنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ وِصَالَهَا
٤ ـ وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا ... نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا
٥ ـ قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا ، وَشَاةِ مُحَاذِرٍ ... حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أَغْفَالَهَا
٦ ـ فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا ... حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا
٧ ـ فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا
٨ ـ حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلًا ... فَخَلَتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَالَهَا
٩ ـ وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ ... كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا
١٠ ـ وَغَرِيبَةٍ تَأْتِى المُلُوكَ حَكِيمَةٍ ... قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا
١١ ـ وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا ... وَنِيَاطِ مُقْفِرَةٍ أَخَافُ ضَلَالَهَا
١٢ ـ يَهْمَاءَ مُوحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِهَا ... طَرْفِى لِأُقْدِرَ بَيْنَهَا أَمْيَالَهَا
١٣ ـ بِجُلَالَةٍ سُرُحٍ كَأَنَّ بِغَرْزِهَا ... هِرًّا إِذَا انْتَعَلَ المَطِىُّ ظِلَالَهَا
١٤ ـ عَسْفًا وَإِرْقَالَ الهَجِيرِ تَرَى لَهَا ... خَدَمًا تُسَاقِطُ بِالطَّرِيقِ نِعَالَهَا

(١ — ٣) زال زوالها استفزت من الفزع وهو من اسناد الفعل الى مصدره .

(٤ — ٦) غادية سحابة باكرة . مصاب حيث صابت أى مطرت اسم مكان . راد الرجل رودانا دار وذهب وجاء فى طلب شىء . الشاة من الضأن والمعزى يكنى بها عن المرأة . محاذر شديد الحذر عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها .

(٧ — ٩) سبأ الخمر اشتراها للشرب لا للبيع . الجريال صبغ احمر . يعنى انه شربها حمراء وبالها صفراء .

(١٠ — ١٢) غريبة أى قصيدة غريبة لانها تنتقل على أفواه الرواة . الجزور من الابل خاصة يقع على الذكر والأنثى . دعا لذبحها فى الميسر . نياط الصحراء بعد طريقها فكأنها نيطت بصحراء أخرى فلا تكاد تنقطع ، ناط عليه الشىء علقه ، وناطت الدار بعدت . اليهم (بفتحتين) الجنون ، واليهماء الصحراء ليس فيها علم يهتدى به السالك . الاميال جمع ميل وهو عند العرب قدر منتهى مد البصر من الأرض .

(١٣ — ١٤) جلالة ضخمة . سرح سهلة . الغرز ركاب الرحل اذا كان من جلد ، فاذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . وهذا شبيه ببيت عنترة :

وكأنما ينأى بجانب دفها الـ ... ـوحشى بعد مخيلة وترغم
هر جنيب كلما عطفت له ... غضبى اتقاها باليدين وبالفم

عسفا أى هوجا فى سيرها . خدام الابل سيور فوق ارساغها تشد الى سرائح النعال (أى سيورها) . والنعل طبق من الجلد تلبسه الناقة فى أخفافها لتصونها . وهو للناقة كالحدوة للحصان .

(١٥ ـ ١٩) وقد اختار الأعشى ناقته هذه من بين أربع كرام ، فهى فى غير حاجة إلى من يستحثها أو يستعجلها . ولم يزل يُعْمِلها حتى تركها كالهالك هزالا . كلما جَوَّزَتها عهودُ قبيلة ، أخذت من الأُخرى عُهودَها إلى الممدوح .

* * * *

فإذا أرضى الشاعر نفسه من تصوير هذه الرحلة الشاقة إلى الممدوح انتقل إلى المدح

(٢٠ ـ ٢٤) فيقول إن (قيسا) قد أثابه ، فكأن الناقة إذ وضعت إليه رحلها لم تلق ما لقيت من ضُرٍّ طوال الشهور الستة التى رحلت فيها إليه . وهو رجل طلق اليدين يسير على نهج آباءٍ كرام . وليس النِّيل إذا زخر وأزبد ، متفجرا من أرض النبيط ، يسقى أهل بابل رغدا ، بأجود نائلا من ممدوحه ، حين يتجهَّم البخيل لسائله .

(٢٥ ـ ٢٩) ويعيد الشاعر ما قال فى القصيدة السابقة ، من أن الممدوح يهب المائة من الإبل وعبدها ، تتبعها أطفالها تسعى خلفها ، والجواد القارح العدَّاء ، والفرس الخفيفة الوثابة الطويلة ، التى لا تكاد يد الطويل تدرك مؤخر رأسها .

ثم يستطرد الشاعر إلى وصف هذه الفرس . فيشبهها حين تطارد قطعان بقر الوحش بعقاب يسعى لرزق صغاره الضعاف ، وقد خلَّفهم وراءه فى وادى (السُّلِّىِّ) . ولا تزال الفرس تجرى بالوليد الذى فوق ظهرها ، حتى يدرك طريدته ، ويقذفها برمحه ، فيصيبها فى عَجُزها .

ثم يعود الشاعر إلى ممدوحه . فقومه من (كندة) ينتظرون منه ما عودهم من الكرم . فليغفر إذن لجاهلهم هفوته ، وليُفِضْ عليهم الخير .

١٥- كَانَتْ بقِيَّةَ أربَعٍ فاعتَمتُهَا ... لَمَّا رَضِيتُ مَعَ النَّجَابَةِ آلَهَا

١٦- فَترَكْتُهَا بَعْدَ المِرَاحِ رَذِيَّةً ... وأَمِنتُ بَعْدَ رُكُوبِهَا إعْجَالَهَا

١٧- فَتَنَاوَلَتْ قَيْسًا بِحُرِّ بِلَادِهِ ... فَأَتَتْهُ بَعْدَ تَنُوفَةٍ فَأَنَالَهَا

١٨- فَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِبَالُ قَبِيلَةٍ ... أَخَذَتْ مِنَ الأُخْرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

١٩- قِبَلَ امْرِئٍ طَلْقِ اليَدَيْنِ مُبَارَكٍ ... أَلْفَى أَبَاهُ بِنَجْوَةٍ فَسَمَا لَهَا

٢٠- فَكَأَنَّهَا لَمْ تَلْقَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ... ضُرًّا إِذَا وَضَعَتْ إِلَيْكَ جِلَالَهَا

٢١- وَلَقَدْ نَزَلْتُ بِخَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... قَيْس فَأَثْبَتَ نَعْلَهَا وَقِبَالَهَا

٢٢- مَا النِّيلُ أَصْبَحَ زَاخِرًا مِنْ مَدِّهِ ... جَادَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا فَجَرَى لَهَا

٢٣- زَبِدًا بِبَابِلَ فَهْوَ يَسْقِي أَهْلَهَا ... رَغَدًا تُفَجِّرُهُ النَّبِيطُ خِلَالَهَا

٢٤- يومًا بِأَجْوَدَ نائلًا منهُ إِذَا ... نَفْسُ البَخِيلِ تَجَهَّمَتْ سُؤَّالَهَا

٢٥- الوَاهِبُ المِائَةَ الهِجَانَ وَعَبْدَهَا ... عُوذًا تُزَجِّي خَلْفَهَا أَطْفَالَهَا

٢٦- والقَارِحَ العَدَّا وكُلَّ طِمِرَّةٍ ... مَا إِنْ تَنَالُ يدُ الطَّوِيلِ قَذَالَهَا

٢٧- وَكَأَنَّمَا تَبِعَ الصُّوَارَ بِشَخْصِهَا ... فَتْخَاءُ تَرْزُقُ بِالسُّلِيِّ عِيَالَهَا

٢٨- طَلَبًا حَثِيثًا بِالوَلِيدِ تَبُزُّهُ ... حَتَّى تَوَسَّطَ رُمحُه أَكْفَالَهَا

٢٩- عَوَّدْتَ كِنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا ... اغْفِرْ لِجَاهِلِهَا وَرَوِّ سِجَالَهَا

(١٥ — ١٩) رذية هالكة من الهزال . حر بلاده حر كل شيء وسطه . تنوفة صحراء . النجوة ما ارتفع من الأرض .

(٢٠ — ٢٢) الجلال جمع جل (بضم الجيم) وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . النعل مايلبس ليقي الخف والحافر . القبال زمام النعل وهو السير الذى تشد به بين الاصبع الوسطى والتي تليها ، وهو الشسع (بكسر الشين وسكون السين) .

(٢٣ — ٢٥) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقيين ، قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . تجهمه وتجهم له استقبله بوجه كريه مكفهر . الهجين الخيار من كل شيء . العوذ الحديثات النتاج . زجى الشيء دفعه برفق .

(٢٦ — ٢٩) فرح ذو الحافر (مثل خضع) انتهت أسنانه ، وذلك بعد خمس سنين . طمرة خفيفة وثابة . القذال جماع مؤخر الرأس . الصوار قطيع البقر . فتخاء عقاب فتخاء اى لينة الجناح . السلي واد دون حجر . حثيثا سريعا تبزه تغلبه . الكفل العجز . السجال جمع سجل (بفتح فسكون) وهو الدلو العظيمة .

(٣٠-٣٤) وليحمل عنهم أعباءهم حين يحل بهم خطب ، كما يحمل الجمل الذلول أحمال أصحابه .

ويقسم الأعشى بمن جعل الشهور علامة ومواقيت ، أن قيسًا لم يكن فى الحرب الضروس – إذا شُبَّت وكأنها النار قد اشتعلت فى الحطب اليابس الجزل – ضعيفًا ولا حديث التجربة . فلقد سعى لقومه من كندة غير واهن ، فقهر عدوها وشيد لها مجدا باقيا .

(٣٥-٣٩) ولقد أهان صالح ماله للفقير من قومه ، وأسى جراحهم وأصلح بينهم وسعى لخيرهم . فهو لا يضيعهم بالغيب كما يفعل امرؤ قد هانت عليه عشيرته فغالها .

وممدوحه رجل قوى ، ولكنه سمح كريم . فهو يضر وينفع . وهو حاذق لشئون الحرب ، مغامر قد ألف القتال وأحبه . لا تنال يداه غنيمة حتى يشد الركاب لغنيمة أخرى يغتصبها من صاحب نعمة مترف ليصل بها رحمه وذوى قرباه

(٤٠-٤٤) ويصف الشاعر ما يشن ممدوحه من غارات طويلة الأمد ، ترى الخيل فيها شعثا قد أجهدها التعب ، ولم تقو صغارها على متابعتها ، فغادرتها فى الطريق . وسقطت أعنة الخيل فى هذا المعترك الرهيب الذى اختلطت فيه أصوات الفرسان ، يهيبون بالخيل أن تتقدم ، فلا تُستَحَثُّ ولا تؤدب بغير الزجر والركض . فإذا كان وقت الغارة ، وأشار الدليل بثوبه ، سُقِيت الخيل ، وهُرِيق مابقى من ماءٍ ، ليقاتل المقاتلون على ماءِ العدو .

٣٠– وَكُنْ لَهَا جَمَلًا ذَلُولًا ظَهْرُهُ   احْمِلْ وكُنْتَ مُعَاوِدًا تَحْمَالَهَا

٣١– وَإِذَا تَحُلُّ مِنَ الخُطُوب عَظِيمَةٌ   أَهْلِى فِدَاؤكَ فَاكْفِهِمْ أَثْقَالَهَا

٣٢– فَلَعَمْرُ مَنْ جَعل الشُّهُور علامةً   قَدَرًا فبيَّن نِصْفَهَا وهِلالَها

٣٣– مَا كُنْتَ فى الحَرْبِ العَوَانِ مُغَمَّرًا   إذْ شَبَّ حَرٌّ وَقُودِهَا أَجْزَالَهَا

٣٤– وَسَعَى لِكِنْدَةَ غيرَ سَعْيِ مُوَاكِلٍ   قَيْسٌ فَضَرَّ عدوَّهَا وَبَنَى لهَا

٣٥– وأَهانَ صَالِحَ مَالِهِ لِفَقِيرِهَا   وَأَسَى وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا وَسَعَى لَهَا

٣٦– مَا إِنْ تَغِيبُ لهَا كَمَا غَابَ امْرُؤٌ   هَانَتْ عشِيرَتُه عَلَيْهِ فَغَالَهَا

٣٧– وَتَرَى له ضُرًّا عَلَى أَعْدَائِهِ   وَتَرَى لِنِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ نَالَهَا

٣٨– أَثرًا مِنَ الخَيْرِ المُزَيِّنِ أَهْلَهُ   كَالغَيْثِ صَابَ ببَلْدَةٍ فَأَسَالَهَا

٣٩– ثَقِفٌ إِذَا نَالَتْ يَدَاهُ غَنِيمَةً   شَدَّ الرِّكَابَ لِمِثْلِهَا لِيَنَالَهَا

٤٠– بِالْخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهَا   رُجُعًا تُغَادِرُ بِالطَّرِيقِ سِخَالَهَا

٤١– أَمًّا لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ طَرَّحْتَهَا   ووِصَالِ رِحْمٍ قدنَضَحْتَ بِلَالَهَا

٤٢– طَالَ القِيَادُ بِهَا فَلَمْ تَرَ تَابِعًا   للخَيْلِ ذَا رَسَنٍ وَلَا أَعْطَالَهَا

٤٣– وَسَمِعْتُ أَكْثَرَ مَايُقَالُ لهَا اقْدِمِى   وَالنَّصُّ وَالإِيجَافُ كَانَ صِقَالَهَا

٤٤– حَتَّى إِذَا لَمَعَ الدليلُ بِثَوْبِهِ   سُقِيَتْ وَصَبَّ رُوَاتُهَا أَشْوَالَهَا

(٣٠ — ٣٥) ذلول حسن الخلق دمثه . العوان من الحرب هى التى قوتل فيها مرة بعد مرة . المغمر والغمر (بفتح فسكون) الجاهل الابله الذى لم يجرب الامور . الجزل (بفتح فسكون) ما عظم من الحطب ويبس . اسا الجرح داواه .

(٣٦ — ٣٨) غابه اى عابه وذكره بالسوء . غالها سعى لفسادها . صاب المطر انصب ونزل .

(٣٩ — ٤١) ثقف رفيق حاذق . شعثا اى متفرقة الشعر منتشرته . رجعا جمع رجيع وهو الذى اعياه السفر فكل . السخل ابن المعز والضأن ويقصد به هنا ابن الفرس . اما اى قصدا وتعمدا ، وامه اى قصده . رحم الرجل قرابته . نضح بلالها اى وصلها كانها كانت يابسة فبلها لنداها .

(٤٢ — ٤٤) الاعطال من الخيل والابل هى التى لاقلائد عليها ولا ارسان لها ولا سمة عليها . نص الدابة استحثها . صقل الناقة أضمرها، وصقله بالعصا ضربه وادبه . الايجاف الركض . الاشوال والاوشال جمع وشل (بفتحتين) وهو القليل من الماء . لمع بيده وبثوبه وبسيفه أشار . الدليل الذى يرشد الجيش .

(٤٥–٤٩) وأمسك الخدم بالرِّكَاب ، فركب الفرسان . حتى إذا أشار الممدوح بالهجوم ، أَجيلت بأَمره الخيل ، تثير سوابقُها عَجَاجَةً كالسحاب ، وقد تتابعت جماعاتها تتبارى فى الأَعِنَّة ، حتى تعود آخر اليوم محملة بالغنائم والأَسلاب .

والناس على خوف من الممدوح . من أَصابه الغزو أزال نعمته ، ومن أَخطأَه قطع القيظ مقيما بالفلاة مكتفيا بالتافه اليسير من الأَعشاب ، لا يقرب الماءَ من خشيته . ولكَم حوى من الإبل التى يبعد بها صاحبها فى الرعى فأَصبحت غنيمة له . ولكَم أَصاب من الإبل التى يحبسها أَصحابها خوف الغارة ففك عقالها .
(٥٠) ولكم أَصابت نعمته ذا فاقة فأَغنته . وكم نزلت بذى نعمة فأَفقرته .

* * * *

ويختم الشاعر قصيدته بهذه الأَبيات التى كان يعجب بها عبد الملك بن مروان حتى لقد وصفه الأَخطل فى بعض قصائده بأَنه يغشى الحرب مدججًا بالسلاح مثقلا بالدروع ، فقال له :

هلا قلت كما قال الأَعشى :

وإذا تجئُ كتيبة ملمومة ... (الأَبيات)

فأَجاب الأَخطل متخلصًا : وصفتُك بالحكمة ، ووصف الأَعشى ممدوحه بالتهور والحمق .

يقول الأَعشى :

(٥١–٥٤) إذا أَقبلت الكتيبة مجتمعة خرساءَ ، تَغْشَى رماحُها العطاشُ الذائدين . وقد تراكم فوقها الحديد ، فأَوقعت الرعب فى قلب الفارس المغطى بالدروع والسلاح ، فى ذلك الوقت تتقدم مندفعًا لا تسترك درع ، وتضرب بسيفك فيترك أَثرَه فى فى الفرسان . ذلك بما تعلم أَن المرءَ لا يسبق أَجله ، وأَنه لا يموت إلا فى حينه وميقاته

٤٥- فَكَفَى العَضَارِيطُ الرِّكَابَ فَبُدِّدَتْ   مِنْهُ لِأَمْرِ مُؤَمِّلٍ فَأَجَالَهَا
٤٦- فَتَرَى سَوَابِقَها يُثِرْنَ عَجَاجَةً   مِثْلَ السَّحَابِ إِذَا قَفَوْتَ رِعَالَهَا
٤٧- مُتَبَارِيَاتٍ فِى الأَعِنَّةِ شُزَّبًا   حَتَّى تُفِئَ عَشِيَّةً أَنْفَالَهَا
٤٨- فَأَصَبْنَ ذَا كَرَمٍ وَمَنْ أَخْطَأْنَه   جَزَأَ المَقِيطَةَ خَشْيَةً أَمْثَالَهَا
٤٩- وَلَبُونِ مِعْزَابٍ حَوَيْتَ فَأَصْبَحَت   نُهْبَى وَآزِلَة قَضَبْتَ عِقَالَهَا
٥٠- وَلَقَدْ جَرَرْتَ إِلَى الغِنَى ذَا فَاقَة   وَأَصَابَ غَزْوُكَ إِمَّةً فَأَزَالَهَا
٥١- وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ   خَرْسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا
٥٢- تَأْوِى طَوَائِفُهَا إِلَى مُخْضَرَّةٍ   مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَا
٥٣- كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ   بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا
٥٤- وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا   مَا كَانَ خَالِقُهَا المَلِيكُ قَضَى لَهَا

(٤٥ — ٤٨) العضاريط جمع عضروط وهو التابع . العجاجة الغبار . قفا الشيء تتبعه وسار على اثره . الرعال جمع رعلة وهى القطعة من الخيل ، شزب جمع شازب وهو الضامر . الانفال الغنائم . جزأ بالشيء اكتفى ، وجزأ الماشية بالرطب عن الماء أغنمها . المقيظة نبات يُبقى أخضر الى القيظ .

(٤٩ — ٥١) لبون فى ضرعها لبن . معزاب راع يعزب بابله اى يبعد بها فى المرعى. آزلة من الأزل وهو ضيق العيش والبؤس . الأمة النعمة. ملمومة مجتمعة . يذود يدافع . نهالها رماحها وسيوفها . النهال اى العطاش كلها ظامئة الى شرب الدماء .

(٥٢ — ٥٤) مخضرة كتيبة خضراء لكثرة ماعليها من الحديد ، والعرب تسمى الأسود اخضر . الكمى الذى كمى نفسه بالسلاح اى استتر به . الجنة الترس لأنه يجن صاحبه اى يخفيه ويستره . أعلمه جعل عليه علامة وذلك بالطعن والجراح .

— ٣ —

فى هذه القصيدة توجيه ، وهو اختلاف الحركة فى الحرف السابق للروى . ومعظم علماء العروض يعدونه عيبا . وبعضهم يجيزه فى الكسرة مع الضمة لقربهما . ولكنهم لايجيزون مع الفتحة غيرها . وقد جمع الأعشى فى هذه القصيدة بين الفتحة والكسرة والضمة . فقال منجذم بكسر الذال فى البيت (١) ، وعلم بكسر اللام فى البيت (٢) ، ثم قال بصحراء زم بضم الزاى فى البيت (٦) ، وذو حسم بضم السين فى البيت (٩) ، وقال مع ذلك وارتسم بفتح السين فى البيت (١١) ، والعجم بفتح الجيم فى البيت (٢٥) . وقد كان الأخفش يجيز التوجيه ويقول انه قد كثر فى فصحاء العرب . ونحن نرى أن البيتين (٤٩) ، (٥٠) متأخران عن موضعهما ، والأفضل أن يجيئا بعد البيت (١٤) .

يبدأُ الأَعشى قصيدته بذكر خليلة قد قطعته ، فهو متردد فى أمرها ، يحدث نفسه قائلا :

(١ــ٤) أتهجرها ؟ أَم تزورها ؟ أم أن مودتها قد رَثَّتْ ، فحبلها واه منقطع؟ . . أَم أن الصبر أَجمل وأدنى إلى الحكمة والعقل ، وسينفع العاقلَ عقلُه ؟ . وإنك لتجد الراشد الذى أدرك حقيقة الأَمر فكف عن الغى وانتهى ، كما تجد المتردد المغلوب على أمره ، الذى يتبين الأَمر ثم لا يدرى أيكف عنه أَم يقصد له ويرضى به . فهو يعصى المشفقين عليه مما هو فيه ، ويندفع إلى الغى مستسلمًا للهوى ، متهما كل ناصح أمين

(٥ــ٩) لم يكن ذلك إلا طيش شباب ، أُعَاقَبُ عليه اليوم بما أسرفت فى الإِثم ... بل لم يكن ذلك إلا نظرة أصابتنى على غِرَّة بصحراءِ (زُمّ) إذ نحن خُلَطَاءُ ، وابتسامةٌ فاتنة عن أسنانها المتفرقة الجميلة فى استوائها . . . كيف السبيل إليها الآن وقد نـأت ، فأَقربُ دورها (ذو حُسُم) ، وخلَّفَتْ فى الصدر صدعا كصدع الزجاجة لا يلتئم ؟ .

(١٠ــ١٤) ويصرف الأَعشى نفسه عن هذه الهموم ، مستعيدا ذكريات الفتوة والشباب .

إن غدا اليوم مخذولا مغلوبا ، فياربما كان قويًا مالكا لأَمره . ياربما شرب الخمر فى لونها الأَحمر ، يبرزها صاحبها اليهودى مختومة لم تُفَضّ ولم تعبث بها يد ، قد ضربها الريح فى دَنِّها ، يصلى عليها صاحبها مكبِّرا . يَتَمَزَّزُها متذوقا مستأْنيًا ، مقبلا على الندماء ، مواجها الحقائق ، لا يلتمس الهروب منها بالإِنكار ويا ربما حل برجل شريف كريم كالسيف الصقيل ، يجود عن سعة ، فإذا أعوزه المال استجلبه من وَجْهِهِ بالغزو ، فأَعطاه هذا الشريف لفرط كرمه حُكْمَهُ فيما يطلب من العطاءِ .

وقال يمدح قيس بن معد يكرب :

١ ـ أَتَهْجُرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمْ ... أَم الحَبْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمْ (متقارب)
٢ ـ أَم الصَّبْرُ أَحْجَى فَإِنَّ آمْرَءًا ... سَيَنْفَعُهُ عِلْمُهُ إِنْ عَلِمْ
٣ ـ كَمَا رَاشِدٍ تَجِدَنَّ آمْرَءًا ... تَبَيَّنَ ثُمَّ آنْتَهَى أَوْ قَدِمْ
٤ ـ عَصَى المُشْفِقِينَ إِلَى غَيِّهِ ... وَكُلَّ نَصِيحٍ لَهُ يَتَّهِمْ
٥ ـ وَمَا كَانَ ذٰلِكَ إِلَّا الصِّبَى ... وَإِلَّا عِقَابَ آمْرِىءٍ قَدْ أَثِمْ
٦ ـ وَنَظْرَةَ عَيْنٍ عَلَى غِرَّةٍ ... مَحَلَّ الخَلِيطِ بِصَحْرَاءِ زُمٍّ
٧ ـ وَمَبْسِمَهَا عَنْ شَتِيتِ النَّبَا ... تِ غَيْرِ أَكَسَّ وَلَا مُنْقَضِمْ
٨ ـ فَبَانَتْ وَفِى الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا يَلْتَئِمْ
٩ ـ فَكَيْفَ طِلَابُكَهَا إِذْ نَأَتْ ... وَأَدْنَى مَزَارًا لَهَا ذُو حُسُمْ
١٠ ـ وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا ... وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خُتُمْ
١١ ـ وَقَابَلَهَا الرِّيحُ فِى دَنِّهَا ... وَصَلَّى عَلَى دَنِّهَا وَآرْتَسَمْ
١٢ ـ تَمَزَّزْتُهَا غَيْرَ مُسْتَدْبِرٍ ... عَنِ الشُّرْبِ أَوْ مُنْكِرٍ مَاعُلِمْ
١٣ ـ وَأَبْيَضَ كَالسَّيْفِ يُعْطِى الجَزِيـ ... لَ يَجُودُ وَيَغْزُو إِذَا مَا عَدِمْ
١٤ ـ تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ ... مِنَ الجُودِ فِى مَالِهِ أَحْتَكِمْ

(١ — ٣) الم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . واه ضعيف . جذم الحبل فانجذم قطعه . احجى افعل تفضيل من الحجا وهو العقل . العلم ادراك الشيء بحقيقته . رشد (كنصر) اهتدى فهو راشد . تبين الأمر اوضحه وفهمه . انتهى كف وارعوى . قدم على العيب رضى به ، وقدم الى الأمر قصد له .

(٤ — ٦) الصبا الميل الى الصبوة وجهلة الفتوة . الخليط المخالط كالجار وابن العم والصاحب والشريك . زم بئر بارض سعد ابن مالك قوم الأعشى .

(٧ — ٩) الشتيت المتفرق المفلج من الأسنان . الكسس قصر الأسنان .

(١٠ — ١٤) الصهباء الخمر والصهبة الحمرة . صلى برك ودعا . ارتسم الرجل لله كبر ودعا وتعوذ . تمزز الشراب تمصصه قليلا قليلا . تضيفت نزلت ضيفا .

(٤٩ ، ٥٠)ولقد تأتيه الكلمة القبيحة العوراء ، فيردها على صاحبها بالقصيدة الشنعاء ، التى تخرس الداهية من الرجال ، تغلى وتفور ، ويتطاير منها الشرر والويل . وياربما ركب الصحراء جريئًا لا يبالى المخاطر .

(١٥–١٩) وهنا ينصرف الشاعر إلى الصحراء ، فيصورها فى رهبتها المفزعة وسكونها المخيف فهى عمياءُ ، لا يتبين السالك فيها طريقه ، راكدة المياه ، مطموسة الآبار ،لايسمع المسافر فيها إلا عزيف الجن . ولكن الشاعر يقتحمها بناقته الجريئة الضخمة ، وكأنها الفحل الشرس المكرم عند أهله لا يُؤذَى ولا يُرْكَب . يُغْضِبُها مَسُّ السوط ، فتعدو فى شدة الحر وقت الهجير ، حين تتلفع الآكام بالسراب ، كاظمة غيظها ، ممسكة على رُغائها .

فمثلها يفرج همَّ المهموم ، وعلى مثلها يُشْفَى الفؤاد السقيم .

(٢٠–٢٤) ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه فيقول :

فى سبيل قيس ما أطلتُ السرى . وفى سبيله ما لقيت من عناءٍ فى رحلتى ، أمرُّ بالقبائل والأحياءِ ، آخذًا منها العهود . وكم دون بيتك من عداة غاشمين ، إذا أنا حَيَّيْتُ لم يرجعوا التحية ، وما بهم من صمم . وكم دون الوصول إليك من سير فى الليل المخيف وفى الهاجرة الملتهبة .

فإذا هيأ الشاعر للمدح بهذه المقدمة ، اندفع فى تعظيم قيس ، مشِيدًا بغزوه لبنى عامر بن عُقَيْل واستنقاذه ابن عمه قيسبة بن كلثوم من أسرهم . فقد ترامت أنباءُ هذا الغزو إلى الأعشى وهو فى قومه باليمامة ، تفصله عن حضرموت (الصفا) و(الرجم) .

(٢٥–٢٩) أقبل قيس على عدوه يقود خيلا قد انتشرت فى الأرض كأنها النَّوَى كَثْرَةً . وبات جيش العدو يرجف من الفزع فى انتظار الصباح ، وقد لبس فرسان قيس دروعهم ، وباتت الخيل تحتهم وقوفا لا تقرب الطعام ، فهى تلوك اللُّجُم فى قلقها واضطرابها وتحفُّزها .

ها أنت ذا قد أَقبلت على غزوهم غير هياب ، فانتقمت لنفسك ، ولم تترك ثأرك مقيما فى دارهم .

١٥– وَيَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَا ... مَنَاهِلُهَا آجِنَاتٌ سُدُمْ
١٦– قَطَعْتُ بِرَسَّامَةٍ جَسْرَةٍ ... عُذَافِرَةٍ كَالْفَنِيقِ الْقَطِمْ
١٧– غَضُوبٍ مِنَ السَّوْطِ زَيَّافَةٍ ... إِذَا مَا ارْتَدَى بِالسَّرَابِ الأَكَمْ
١٨– كَتُومِ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّرَتْ ... وَكَانَتْ بَقِيَّةَ ذَوْدٍ كُتُمْ
١٩– تُفَرِّجُ لِلْمَرْءِ مِنْ هَمِّهِ ... وَيُشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادُ السَّقِمْ
٢٠– إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى ... وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ
٢١– وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَعْشَرٍ ... صُبَاةِ الحُلُومِ عُدَاةٍ غُشُمْ
٢٢– إِذَا أَنَا حَيَّيْتُ لَمْ يَرْجِعُوا ... تَحِيَّتَهُمْ وَهُمُ غَيْرُ صُمْ
٢٣– وَإِدْلَاجِ لَيْلٍ عَلَى خِيفَةٍ ... وَهَاجِرَةٍ حَرُّهَا يَحْتَدِمْ
٢٤– وَإِنَّ غَزَاتَكَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ... أَتَتْنِى وَدُونِى الصَّفَا وَالرُّجُمْ
٢٥– مَقَادَكَ بِالْخَيْلِ أَرْضَ الْعَدُوْ ... وَجُذْعَانُهَا كَلَفِيظِ الْعَجَمْ
٢٦– وَجَيْشَهُمُ يَنْظُرُونَ الصَّبَا ... حَ فَالْيَوْمَ مِنْ غَزْوَةٍ لَمْ تَخِمْ
٢٧– وُقُوفًا بِمَا كَانَ مِنْ لَأْمَةٍ ... وَهُنَّ صِيَامٌ يَلُكْنَ اللُّجُمْ
٢٨– فَأَظْعَنْتَ وِتْرَكَ مِنْ دَارِهِمْ ... وَوِتْرُكَ فِى دَارِهِمْ لَمْ يُقِمْ
٢٩– تَؤُمُّ دِيَارَ بَنِى عَامِرٍ ... وَأَنْتَ بِآلِ عُقَيْلٍ فَغِمْ

(١٥ — ١٨) يهماء عمياء مطموسة المسالك . عزفت الجن صوتت فى المفاوز . آجنة راكدة . سدم الماء تغير لطول عهده وطحلب ووقع فيه التراب وغيره حتى اندفن . الرسيم ضرب من العدو للابل . جسرة ضخمة . العذافر العظيم الشديد من الابل . الفنيق الفحل المكرم عند أهله لايؤذى ولا يركب . فحل قطم هائج . زاف البعير يزيف وهى سرعة فيها تمايل . كتوم الرغاء لاترغو اذا ركبت لانها مهذبة . الذود من الابل مابين الثلاث الى العشر .

(١٩ — ٢١) عصم عهود . صباة الحلوم فيهم جهل وطيش . الغشوم الظالم الغاصب .

(٢٢ — ٢٥) الادلاج سير الليل كله . الجذعان جمع جذع وهو لولد الشاة فى السنة الثانية ، ولذى الحافر فى السنة الثالثة وللابل فى السنة الخامسة . العجم النوى . لفيظ ملفوظ من الفم وهو فعيل بمعنى مفعول .

(٢٦ — ٢٩) خام نكص وجبن . اللامة الدرع . صيام قيام . الوتر الثأر . اظعنه نقله ورحله لانه اخذ بثأره ، وكانت بنو عامر قد أسرت رجلا من كندة فغزاهم قيس واستنقذه . آل عقيل عقيل بن كعب بن ربيعة . فغم بالمكان أقام به ولازمه .

(٣٠ـ٣٤) عضتهم الحرب ، ولفحتهم أنفاسُها الحارة الكريهة ، وما أَبغض الحرب بعد أَمن وسلام . تُعَاوِدهم الكَرَّة بعد الكَرَّة ، كما يطوف الطائف بحجارة القبر .

بوركت من شهم أَخى ثقة ، وما ضاع رجل أَنت من ورائه تحميه . ضَيَاعَ « دَرم » الذى قُتِلَ ولم يُثْأَرْ له ، فذهب فى الناس مثلا . وإن جارك لمصون حتى يصل إلى مأمنه ، كالطفل آمن فى بطن أمه حتى تشرق عليه الحياة .

نصبت نفسك حاميًا لعشيرتك ، قائمًا على الثأْر فيهم ، تنتقم باطشًا ، أَو تعفو عفو القوى القادر .

(٣٥ـ٣٩) فلست بالضعيف ولا باللابس النعل قد انقطعَتْ سُيُورُه ، ولكنك راسخ القدم مكين ، خبير بالحروب .

ويصور الأَعشى كرم ممدوحه بمثل ما فعل فى القصيدتين السابقتين . فليس الفرات إذا أَزبد وتلاطمت أَمواجه ، فكب السفينة ذات القلاع لوجهها ، حتى ليكاد صدرها أَن يتحطم ، فترى الملاح يتمايل وسطها ، وقد لجأَ لشدة خوفه إلى مؤخرها — ليس هذا النهر الجياش الفياض فى مثل حاله تلك بأَجود منه فى وقت الجدب ، حين تصحو السماء وينقطع المطر .

(٤٠ـ٤٥) فهو يهب المائة المصطفاة من الإبل كأَنها النخل يطوف بها المُجتَنِى ، والفرَس الجواد العدَّاء ، يجرى على سنابك صلبه طوال كأَنها قرون الظباء ، تلكم الحجارة فى شدة عدوها . يصيد حمار الوحش وأَتانه الحائل التى لم يثقلها الحمل فيعوقها عن الجرى ، فيلحق بهما موفورَ النشاط فى غير جهد ، لم يتصبب عرقا . ويشبِّه هذا الفرس بالصقر الشره إلى اللحم ، حين يتبع القطيع من البقر وقد أَدبر موليًا للفرار ، تتوالى أَفراده كأَنها عقد لؤلؤ قد انفرط ، فهوت حباته متتابعة .

٣٠- أَذَاقَتْهُمُ الحَرْبُ أَنْفَاسَهَا ... وَقَدْ تُكْرَهُ الحَرْبُ بَعْدَ السَّلَمْ

٣١- تَعُودُ عَلَيْهِمْ وَتُمْضِيهِمُ ... كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ المُرْتَجِمْ

٣٢- وَلَمْ يُودِ مَنْ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ ... كَمَا قِيلَ فِى الحَىِّ أَوْدَى دَرِمْ

٣٣- وَكَانَتْ كَحُبْلَى غَدَاةَ الصَّبَا ... حِ كَانَتْ وِلَادَتُهَا عَنْ مُتِمّْ

٣٤- يَقُومُ عَلَى الوَغْمِ فِى قَوْمِهِ ... فَيَعْفُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمْ

٣٥- أَخُو الحَرْبِ لَا ضَرَعٌ وَاهِنٌ ... وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِقِبَالٍ خَذِمْ

٣٦- وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الفُرَا ... تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِم

٣٧- يَكُبُّ الخَلِيَّةَ ذَاتَ القِلَا ... عِ قَدْ كَادَ جُؤْجُؤُهَا يَنْحَطِم

٣٨- تَكَأْكَأَ مَلَّاحُهَا وَسْطَهَا ... مِنَ الخَوْفِ كَوْثَلَهَا يَلْتَزِم

٣٩- بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ ... إِذَا مَا سَمَاؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ

٤٠- هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ كَالنَّخْلِ طَافَ بِهَا المُجْتَرِمْ

٤١- وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ يَرْدِى عَلَى سَلِطَاتٍ لُثُمْ

٤٢- سَنَابِكُه كَمَدَارَى الظِّبَا ... ءِ أَطْرَافُهُنَّ عَلَى الأَرْضِ شُمّْ

٤٣- يَصِيدُ النَّحُوصَ وَمِسْحَلَهَا ... وَجَحْشَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمْ

٤٤- وَيَوْمٍ إِذَا مَا رَأَيْتُ الصِّوَا ... رَ أَدْبَرَ كَاللُّؤْلُؤِ المُنْخَرِم

(٣٠ — ٣٤) الانفاس جمع نفس وهو الجرعة أو نسيم الهواء . الرجمة حجارة كانوا ينصبونها على القبر ويطوفون حولها فى الجاهلية . أودى الرجل هلك . درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان قتل ولم يثأر له . متم تمت مدة حمله . الوغم الثأر والحقد .

(٣٥ — ٣٨) ضرع ضعيف . القبال الشسع وهو سيور النعل . خذم منقطع . وهو مثل ضربه لثباته وقوته . مزبد يعلوه زبد الأمواج ، جون أبيض وهو من الأضداد يطلقه العرب على الأبيض وعلى الأسود . غارب كل شىء أعلاه والمقصود به الأمواج . الخلية السفينة الكبيرة . القلاع الشراع . جؤجؤ السفينة صدرها . تكأكأ تمايل من الخوف . كوثل السفينة ذنبها ومؤخرها ، وفيه يكون الملاحون ومتاعهم .

(٣٩ — ٤١) الماعون فى الجاهلية كل عطاء ، وهو كذلك الزكاة فى الاسلام . غامت السماء أطبق بها السحاب . يقصد أنه يجود وقت الجدب . جرم النخل جمع ثمارها . الخصاب النخل ، وقيل الكثير الحمل منه . يردى يعدو . سنابك سلطات أى طوال . لثم تلثمها الحجارة وتلكمها .

(٤٢ — ٤٤) السنبك مقدم الحافر . مدارى الظباء قرونها . أشم مرتفع . النحوص الحائل التى لم تحمل ، وهى أسرع جريا لأن بطنها لاتثقلها . المسحل حمار الوحش . يستحم يعرق من كثرة الجرى . أى أنه يدركها من غير تعب . الصوار قطيع بقر الوحش . خرم الخرزة واللؤلؤة فصمها . يشبهها فى تتابعها باللؤلؤ قد انقطع سلكه فهو يتلو بعضه بعضا .

(٤٦ـ٥٠) وكيف لا يكون ممدوحه بهذا الكرم وبهذه الشجاعة ، وهو من بنى معاوية الأكرمين ، عظام القباب ، طوال القامات ، أهل الحرب والسلم .

إنْ دعوتَهم للقتال أتتك منهم خيل محملة بالعدة والسلاح ، وإذا رأيتهم فى ناديهم وقت السلم ، رأيت أحلاما راجحة ، وأيادىَ ندية لا تُبْقِى على شئ .

إلى هنا ينتهى المدح . وقد كان المألوف فى ترتيب القصيدة الجاهلية أن يختم الشاعر قصيدته .

(٥١ـ٥٩) ولكن الأعشى يمضى فى الحديث عن ابنة له تخاف عليه مخاطر الطريق فى رحلاته التى لا تكاد تنتهى ، وتشكو إليه وحدتها وانفرادها من بَعْدِهِ . فيعزيها الشاعر ، ويهدئ مخاوفها ، ضاربا لها الأمثال ، مواسيًا بالقصص والأخبار .

تقول ابنتى وقد عزمت على الرحيل : أقم ولا تبرح ، فإنَّا بخير ما دمت مقيما . فإذا أضمرتك البلاد جفانا الناس ، وقطعتنا الأرحام ، فنحن والأيتام سواءُ .

فقلت لها : أفى الأسفار تخافين علىَّ الموت ؟ وكم مَيِّتٍ مات فى فراشه لم لم يبرح بلده . وليست هذه يا ابنتى بأولى رحلاتى . فقد طفت فى سبيل المال آفاق الأرض ، وابتغيته فى كل مكان . فلو كانت الرحلة تقتل لقتلتنى هذه الرحلات ، بين عمان وحمص وأُرشليم ، وأرض النجاشى وأرض النبيط . وأرض العجم ، ونجران وحمير وحضرموت . وفيم خوف الموت يا إبنتى وكل شئ إلى زوال .

٤٥- تَدَلَّى حثيثًا كَأَنَّ الصُّوَا   رَ أَتْبَعَهُ أَزْرَقِىٌّ لَحِمْ
٤٦- فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينْ   عِظَامُ القِبَابِ طِوَالُ الأُمَمْ
٤٧- مَتَى تَدْعُهُم لِلِقَاءِ الحُرُو   بِ تَأْتِكَ خَيْلٌ لَهُمْ غَيْرُ جُمّْ
٤٨- إِذَا مَا هُمُ جَلَسُوا بالعَشِىّ   فَأَحْلامُ عَادٍ وَأَيْدِى هُضُمْ
٤٩- وَعَوْرَاءَ جَاءَتْ فَجَاوَبْتُهَا   بِشَنْعَاءَ نَافِيَةٍ لِلرَّقِمْ
٥٠- بِذَاتِ نَفِىٍّ لَهَا سَوْرَةٌ   إِذَا أُرْسِلَتْ فَهْىَ مَا تَنْتَقِمْ
٥١- تَقُولُ ابْنَتِى حِينَ جَدَّ الرَّحِيلْ   أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِمْ
٥٢- أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عِنْدِنَا   فَأَنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ
٥٣- وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا   فَإِنَّا نَخَافُ بِأَن تُخْتَرَمْ
٥٤- أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا   دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ
٥٥- أَفِى الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَىَّ الرَّدَى   وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَه لَمْ يَرِم
٥٦- وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ   عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ
٥٧- أَتَيْتُ النَّجَاشِىَّ فِى أَرْضِهِ   وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ العَجَمْ
٥٨- فَنَجْرَانَ فَالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَر   فَأَىَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ
٥٩- وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ إِلَى حَضْرَمَوْت   فَأَوْفَيْتُ هَمِّى وَحِينًا أَهُم

(٤٥ — ٤٧) حثيثا سريعا . أزرقى صقر . لحم قرم الى اللحم جوعان . القبة الخيمة الضخمة . الأمم جمع ام وهو رئيس القوم . رجل أجم لا رمح له وبيت أجم لا رمح فيه .

(٤٨ — ٥١) يد هضوم تجود بما لديها والجمع هضم (ككتب) . العوراء الكلمة القبيحة . الرقم الداهية . النفى ماتناثر من القدر عند الغليان وماتطاير من الماء عن الرشاء ، وما نفته الحوافر من حصى وغيره . ما تنتقم لا يأخذ بثأرها .

(٥٢ — ٥٤) رام برح وزال . اخترمه الموت أخذه ، واخترمه المرض أهزله .

(٥٥ — ٥٧) عمان باليمن وحمص بالشام وأريشلم ببيت المقدس وهو الاسم العبرى . النبيط جيل من الأعاجم كانوا يسكنون العراقين سموا بذلك لكثرة الماء فى أرضهم . النجاشى لقب ملك الحبشة .

(٥٨ — ٥٩) نجران موطن من مواطن النصرانية فى بلاد العرب قبل الاسلام وهى من أرض اليمن . رام الشىء يرومه أراده وطلبه . اوفيت . أتممت . الهم الهمة والعزم .

(٦٠–٦٦) أَلَم تَرَىْ إلى (الحضْر) ، وقد عاش أَهله فى طمأْنينة ناعمين ، حتى دهمهم (سابور) بجنوده ، يضربون فيه بفئوسهم حولين كاملين . وحاول صاحبه استنقاذه وتحريره ، فهاجمه ليلا على غير طائل ، وراح يدعو قومه مستثيرًا ، يطلب إليهم أَن يموتوا كراما بأَسيافهم ، ويستحثهم قائلا : الموت خير من حياة الذل ؛ وإنما يلقى الموتَ من حُمَّ قضاؤه .

(٦٧–٧٢) ويختم قصة (الحضْر) بقوله : أَليس فى ذلك عبرة للمعتبر ؟

ثم ينتقل إلى قصة مأْرب ، وتدمير السيل له . بنته حمير من الرخام ، فحفظ لهم الماءَ كثيرًا موفورًا ، وأَروى الزُّروع والأَعناب ، فعاشوا فى غبطة ونعيم . حتى دهمهم السيل جارفا ، ففرق شملهم ، وقذف بملوكهم إلى البيداء ، وَبَدَّلَهُمْ من الماءِ سراب الصحراء ، فأَصبحوا لا يملكون منه شرب صبي مفطوم . . .

٦٠ـ أَلَمْ تَرَىِ الحَضْرَ إِذْ أَهْلُهُ ‏ ‏ ‏ ‏ بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ

٦١ـ أَقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الجُنُو ‏ ‏ ‏ ‏ دَ حَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ القُدُمْ (استفاده از واژه ها

٦٢ـ فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً ‏ ‏ ‏ ‏ وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمْ

٦٣ـ فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِعْلَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمْ

٦٤ـ وَكَانَ دَعَا رَهْطَهُ دَعْوَةً ‏ ‏ ‏ ‏ هَلُمَّ إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ

٦٥ـ فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ ‏ ‏ ‏ ‏ وَلَلْمَوْتُ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمْ

٦٦ـ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِمَنْ نَالَهُ ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَا ٱلْمَرْءُ أَمَّتُهُ لَمْ تَدُمْ

٦٧ـ فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ وَمَأْرِبُ قَفَّى عَلَيْهَا ٱلعَرِمْ

٦٨ـ رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ ‏ ‏ ‏ ‏ إِذَا جَاءَهُ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمْ

٦٩ـ فَأَرْوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا ‏ ‏ ‏ ‏ عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إِذْ قُسِمْ

٧٠ـ فَعَاشُوا بِذَلِكَ فِى غِبْطَةٍ ‏ ‏ ‏ ‏ فَجَارَ بِهِمْ جَارِفٌ مُنْهَزِمْ

٧١ـ فَطَارَ القُيُولُ وَقَيْلَاتُهَا ‏ ‏ ‏ ‏ بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِمْ

٧٢ـ فَطَارُوا سِرَاعًا وَمَا يَقْدِرُو ‏ ‏ ‏ ‏ نَ مِنْهُ لِشُرْبٍ صَبِيٌّ فُطِمْ

(٦٠ — ٦٤) الحضر قصر كان بجبال (تكريت) بين دجلة والفرات بناه الضيزن ، وهو رجل من قضاعة ملك على الجزيرة وامتد ملكه للشام فأغار على بلاد فارس وأخذ أخت ملكها سابور فغزاه . والقصة بتفاصيلها مذكورة فى الأغانى ٢ : ١٤٠ — ١٤٣ (طبعة دار الكتب) . الطبرى ١ : ٤٨٤ ، ٤٨٥ (طبعة مصطفى محمد) . شاه بور مركب من شاه أى ملك وبور أى ابن وشاهبور الجنود هو شاهبور بن هرمز . القدم جمع قدوم وهو الفأس . أتاه طروقا أى ليلا . وربه صاحبه . صرم انقطع وانقضى .

(٦٥ — ٦٧) يجشمه يتكلفه ويركبه . المتسى به تعزى به وجعله أسوة لنفسه ومثلا . قفى عليها العرم عفى عليها السيل .

(٦٨ — ٧٠) لم يرم لم يذهب ولم يبرح . غبطة سرور ونعمة . منهزم له صوت من قولهم انهزم البناء وانهزمت العصا واهتزمت السحابة بالماء اى تشققت مع صوت . جار بهم من الجور وهو الميل والانحراف عن القصد ، ومنه جار فلان عن الطريق اى انحرف . جارف سيل يجرف كل ما يصادفه فى طريقه .

(٧١ — ٧٢) القيول جمع قيل وهو لقب لملوك حمير . يهماء صحراء مطموسة المسالك . طم الشىء كثر حتى علا وغلب .

الاعشى هنا رجل قد أسن (وقنعه الشيب منه خمارا) . ولكنه فى عجز الشيخوخة وبرودها ، لا يزال يتحدث عن حرارة الشباب ، وعن (ليلى) رفيقة صباه .

(١ ـ ٤) بعدت دارها على الحبيب المشتاق ، فلم يستطع إلى زيارتها سبيلا . وبُدِّل بقربها الشوق والحنين المُلِحّ ، ففاضت دموعه كفيض الدلاء ، تتوالى متتابعة ، كأنها حبات عقد من درٍّ خانة السلك فانفرط .

(٥ ـ ٩) ولكن ضعفه لم يكن إلا إلى حين . فقد رجع إلى نفسه متعزيًا ، وتماسك مزدجرًا ، فأصبح لا يقرب الغانيات ، وإن كان لا يتمالك من الحنين إلى ما فات من عهد الشباب .

يقول لصاحبته متحسرًا : إن صاحبك الذى قد عرفتِه فى ليالى (الجِفار) قد غيرته الأيام . فقد اعتراه الشيب ـ وإن كان له كارهًا ـ وأحل به أثقاله ، وبدله من جهالة الصبى حكمة الشيوخ

(١٠ـ١٣) إن تَرَيْنِى ، على ما أنا فيه من شدة ، قد قَلَيْتُ الصبى وهجرت الحوانيت ، فلقد أديت للشباب حقه ... كنت أَستبى الحسان ، فأُخْرِجُ الكاعب المختارة من خدرها . وكنت أُهلك المال فى الميسر وأُشبع القمار حيث حللت . وكنت أَشرب الخمر صافية كأَنها حدق العيون . أَغدو عليها قُبَيْلَ الشروق أشربها وحدى ، أو أتناقلها مع صحبي من الندماء .

وقال يمدح قيس بن مَعْدِ يكرِب :

(متقارب)

١ ـ أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ٱبْتِكَارَا   وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزَارَا
٢ ـ وَبَانَتْ بِهَا غَرَبَاتُ النَّوَى   وَبُدِّلْتُ شَوْقًا بِهَا وَادِّكَارَا
٣ ـ فَفَاضَتْ دُمُوعِي كَفَيْضِ الغُرُو   بِ إِمَّا وَكِيفًا وَإِمَّا ٱنْحِدَارَا
٤ ـ كَمَا أَسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ   لَآلِئَ مُنْحَدِرَاتٍ صِغَارَا
٥ ـ قَلِيلًا فَثَمَّ زَجَرْتُ الصِّبَى   وَعَادَ عَلَيَّ عَزَائِي وَصَارَا
٦ ـ فَأَصْبَحْتُ لَا أَقْرَبُ الغَانِيَا   تِ مُزْدَجِرًا عَنْ هَوَايَ ٱزْدِجَارَا
٧ ـ وَإِنَّ أَخَاكِ الَّذِي تَعْلَمِينْ   لَيَالِيَنَا إِذْ نَحُلُّ الجِفَارَا
٨ ـ تَبَدَّلَ بَعْدَ الصِّبَى حِكْمَةً   وَقَنَّعَهُ الشَّيْبُ مِنْهُ خِمَارَا
٩ ـ أَحَلَّ بِهِ الشَّيْبُ أَثْقَالَهُ   وَمَا ٱعْتَرَّهُ الشَّيْبُ إِلَّا اعْتِرَارَا
١٠ ـ فَإِمَّا تَرَيْنِي عَلَى آلَةٍ   قَلَيْتُ الصِّبَى وَهَجَرْتُ التِّجَارَا
١١ ـ فَقَدْ أُخْرِجَ الكَاعِبَ المُسْتَرَا   ةَ مِنْ خِدْرِهَا وَأُشِيعُ القِمَارِ
١٢ ـ وَذَاتِ نَوَافٍ كَلَوْنِ الفُصُو   صِ بَاكَرْتُهَا فَادَّمَجْتُ ٱبْتِكَارَا
١٣ ـ غَدَوْتُ عَلَيْهَا قُبَيْلَ الشُّرُو   قِ إِمَّا نِقَالًا وَإِمَّا اغْتِمَارَا
١٤ ـ يُعَاصِي العَوَاذِلَ طَلْقُ اليَدَيْنِ   يُرَوِّي العُفَاةَ وَيُرْخِي الإِزَارَا

(١ ـ ٣) الابتكار الرحلة فى الصباح المبكر ، وكانت العرب تفضله ليتسع الوقت أمام المسافر قبل اشتداد الحرارة . شطت بعدت . بانت بعدت . النوى البعد والفراق . الغربة مفارقة الوطن ،وجمعها غربات . ادكار افتعال منذكر أبدلت التاء دالا ثم ادغمت الدال فى الدال . الغروب جمع غرب وهو الدلو العظيمة . وكف الدمع انهمر .

(٤ ـ ٦) الصبى الميل الى لهو الشباب . صار سكن .

(٧ ـ ٩) الجفار موضع بالبصرة . الخمار ماتغطى به المرأة رأسها ، وكل ما ستر شيئا فهو خماره . اعتره عرض له ، والمعتر الذى يتعرض للمسألة ولا يسال .

(١٠ ـ ١٤) الآلة الشدة . قليت كرهت . الصبا الميل للهو . التجار يقصد تجار الخمر . المستراة من استريت الشئ اذا اخترت سراته وأحسنه . ذات نواف خمر تنفى القذى من صفائها . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين . أدمج الشىء دخل فيه . النقال مناقلة الأقداح فى مجلس الشرب ، ونافلة الأقداح اخذ منه وأعطاه . الاغتمار القليل دون الرى . العفاة جمع عاف وهم الأضياف .

١٤ ـ طلق اليدين ، أُرَوِّى من يحل بى من الأَضياف ، وأجرر الذيل تيها ، معرضاً عن العاذلين .

١٥ ـ أَملأُ لصاحبي كوب الساقية ، فلا يصيح ديك الصباح حتى يكون قد انتشى وغشيه الدُوَار .

١٦ ـ إذا انكب بينهم الإبريق تراموا به صافيًا وهَّاجا فى بياضه أَو صفرته ، كأَنه الفضة أَو الذهب .

(١٧ـ١٩) ويستيقظ الشاعر من هذه الأَحلام ليجد نفسه من جديد فى برد الشيخوخة وعجزها المقفر ، فيفزع إلى ناقته ، يتناسى فوق ظهرها ما تعلق بنفسه من شوق ومن هموم .

وناقته هذه قوية شديدة ، فهى بقية خمس من النوق البيض الشداد التى تشبه قطيع بقر الوحش ، دُفِعَت إلى رجلين عند (الخُصوص) قد حبسا عليها يابس الحشيش .

(٢٠ـ٢٦) فقاما على علفها زمنًا جَاهِدَيْن ، ووقفا على خدمتها مشتركَيْن ، هذا يُعدُّ لهن رطب النبات والبقول ، ويجمع ذاك لهن الخضار . فكانت ناقته خيرهن وأَجلدهن ، تروق الأَنظار ، وتنهض بأَشق الأَسفار . ولكن هذه الناقة الضخمة الجلدة ، لم تُبْقِ منها الرحلة الطويلة المضنية إلا أَخفافا قد براها السير ، وأَضلعاً قد أَبرزها الهزال فظهرت فى جنبيها آثار السيور والحبال ، وبرزت سلسلة ظهرها متلاحمة متماسكة الفقار .

(٢٧ـ٣٠) وكأَن ناقته تشتكى إليه آلامها فيقول لها : لا تشتكى إلىَّ الحَفَى وطول السُّرى ، واصبرى على مشاق السفر آناء الليل وأَطراف النهار ، حتى تلاقى قيسًا وشيعته ، مَسَاعِيرَ الحروب وأَبطالهَا .

١٥- فَلَمْ يَنْطِقِ الدِّيكُ حَتَّى مَلأَ ... تُ كُوبَ الرَّبَابِ لَهُ فَاسْتَدَارَا

١٦- إِذَا انْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ ... تَرَامَوا بِهِ غَرَبًا أَوْ نُضَارَا

١٧- وَشَوْقٍ عَلُوقٍ تَنَاسَيْتُهُ ... بِجَوَّالَةٍ تَسْتَخِفُّ الضِّفَارَا

١٨- بَقِيَّةِ خَمْسٍ مِنَ الرَّامِسَا ... تِ بِيضٍ تُشَبِّهُهُنَّ الصِّوَارَا

١٩- دُفِعْنَ إِلَى اثْنَيْنِ عِنْدَ الْخُصُو ... صِ قَدْ حَبَسَا بَيْنَهُنَّ الإِصَارَا

٢٠- فَعَادَا لَهُنَّ وَزَازَا لَهُ ... نَّ وَاشْتَرَكَا عَمَلًا وَائْتِمَارَا

٢١- فَهَذَا يُعِدُّ لَهُنَّ الْخَلَى ... وَيَجْمَعُ ذَا بَيْنَهُنَّ الْخِضَارَا

٢٢- ....

٢٣- فَكَانَتْ سَرِيَّتَهُنَّ الَّتِي ... تَرُوقُ الْعُيُونَ وَتَقْضِي السِّفَارَا

٢٤- فَأَبْقَى رَوَاحِي وَسَيْرُ الْغُدُ ... وِّ مِنْهَا ذَوَاتَ حِذَاءٍ قِصَارَا

٢٥- وَأَلْوَاحَ رَهْبٍ كَأَنَّ النُّسُو ... عَ بَيَّنَّ فِي الدَّفِّ مِنْهَا سِطَارَا

٢٦- وَدَأْيًا تَلَاحَكْنَ مِثْلَ الْفُؤُو ... سِ لَاحَمَ منها السَّلِيلُ الْفِقَارَا

٢٧- فَلَا تَشْتَكِنَّ إِلَيَّ الْوَجَى ... وَطُولَ السُّرَى وَاجْعَلِيهِ اصْطِبَارَا

٢٨- رَوَاحَ الْعَشِيِّ وَسَيْرَ الْغُدُوِّ ... يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى تُلَاقِي الْخِيَارَا

٢٩- تُلَاقِينَ قَيْسًا وَأَشْيَاعَهُ ... يُسَعِّرُ لِلْحَرْبِ نَارًا فَنَارَا

(١٥ — ١٨) الرباب اسم للمراة أو هى امراة الخمار . ازهر ابربق أبيض. تراموا به تداولوه وادادروه . غربا فضة . نضارا ذهبا . علوق عاشق معلق القلب بمن يحب . بجوالة ناقة كثيرة الجولان . الضفار الزفيف ، من ضفر الرجل فى عدوه اذا وثب ، وتبل اسرع . الرامس كل دابة تخرج بالليل . الصوار قطيع البقر .

(١٩ — ٢١) الخصوص جمع خص وهو بيت يتخذ من عيدان القصب واغصان الشجر ،سمى خصا لما فيه من الخصاص وهى الفتحات التى تتخلل العيدان . الأصار الحشيش اليابس . زاز الرجل الشيء قام عليه واصلحه . الخلى الرطب من النبات والبقول.

(٢٣ — ٢٥) سريتهن خيرتهن . ذوات حذاء قصارا ، اراد أنها مجموعة الأخفاف ليست بمنتشرة ، وهو من صـــفات العتق والنجابة فى الابل . الرهب الناقة المهزولة . النسوع السيور التى يشد بها الرحل . الدف الجنب . سطارا آثارا .

(٢٦ — ٢٩) الداى الفقار . تلاحكن تلازمن . السليل النخاع ، أو هو طرائق لحم طوال مع الصلب (سلسلة الظهر) واحـــدها سليلة ، اراد أن اللحم التحم بالفقار ، وجى الماشى إى حفى قدمه ، والوجى أن يشتكى البعير باطن خفه . يد الدهر مثل أبد الدهر .

(٣١ـ٣٥) ويشير الشاعر إلى ابنته التى تحدث عنها فى القصيدة السابقة ، إذ تقول له وقد حزم أَمره على الرحلة لممدوحه (أَىَّ أَبٍ كنتَ لى أَعتز برعايته ، وأَىَّ جار كنتُ أَجد الأُنس فى قربه !) .

ثم يتجه الشاعر إلى قومه ، يدعوهم لمحالفة قيس بن معديكرب . وهنا نرى صورة الشاعر القديم الذى كان يلعب دورًا سياسيًا مهمًا فى قبيلته . فهو لسانها ، تسخره فى خدمتها فيستجيب لمطالبها ، ولكنه سيدها وزعيمها فى نفس الوقت ، يوجهها ويؤثر فى سياستها .

يحبِّب الأَعشى إلى قومه من بكر بن وائل حلف قيس بن معد يكرب قائلا : حالفوا صاحبكم إن كنتم تريدون عونا وظهيرًا من ملك قوى . وإنه لنعمة من الله أَن حباكم به ، وجعله من نصيبكم ، يُوسِّطُكُم ملكه ويستشيركم ويظلكم بحمايته ، فتعتزون فى جواره .

(٣٦ـ٣٩) ويمضى الشاعر فى تصوير ممدوحه من كل جوانبه القوية المحببة ، وكأنه يصور مُثُلَهُ ومُثُلَ العصر وَقِيمَهَ مجسمةً فيه . فهو يسخو بالبذل مختارًا على من يحل به من لاجئين . وهو صاحب الحرب إذا استحكمت . أَحل الدمار بالجمار (وهم قبائل ضبة وعبس والحارث بن كعب) ونازل عبسًا ودُودَان ، فرفع ووضع ، وأَعَزَّ وأَذل .

(٤٠ـ٤٤) ذلك عطاءُ الله الذى يعلم السر ويجيب نجوى المتضرع إليه .

كم حىٍّ قد أَذله هذا الملك الجبار ، فسبى نساءهم ، وفيهن الغانية المترفة الممتلئة الجسم ، فهى لضخامة أَردافها تأْتزر بثوبين قد لُفِقَ أَحدُهما إلى الآخر ، وهى لفرط جمالها تعلق التمائم دفعاً لحسد الحاسدين ، وصيانة لجمالها من أَعين الشريرين . يغلبها النوم فلا تشرب خمر المساء إلا بعد أَن يرتفع النهار .

فجعها هذا الملك فى أَهلها ، فصارت إليه سَبِيَّةً مملوكة ، يستمتع بجمالها معانقًا ، فلا تزال تتحامل على نفسها محاولة النهوض حين تدعو الله مبتهلة إليه .

ويؤكد الأَعشى لقيس ولاءه ، وأَنه لن يتحول عن عهده ، ولن يستبدل به أَحدًا غيره .

٣٠- فَإِنَّكِ طَـالِبَةٌ شَأْوَه وَإِنَّكِ صائرة حيث صارا
٣١- تَقُولُ ابنتِي حين جَدَّ الرَّحِيـ ـلُ أَبْرَحْتَ رَبًّا وَأَبْرَحْتَ جَارًا
٣٢- فَمَنْ مُبْلِغٌ وَائِلًا قَوْمَنَا وَأَعْنِى بذلك بَكْرًا جِمَارًا
٣٣- فَدُونَكُمُ رَبُّكُمْ حَالِفُوه إِذَا ظَاهرَ المُلْكُ قَوْمًا ظِهَارَا
٣٤- فَإِنَّ الإِلٰهَ حَبَاكُمْ به إِذَا اقْتَسَم القَوْمُ أَمْرًا كُبَارَا
٣٥- فَإِنَّ لكُمْ قُرْبَهُ عِزَّةً وَوَسَّطَكُمْ مُلْكَهُ وَاسْتَشَارَا
٣٦- فَإِنَّ الذى يُرْتَجَى سَيْبُه إِذَا مَا نَحُلُّ عَلَيْهِ اخْتِيَارا
٣٧- أَخُو الحَرْبِ إِذْ لَقِحَتْ بَازِلًا سَمَا للعُلا وأَحَلَّ الجِمَارَا
٣٨- وسَاوَرَ بِالنَّقْعِ نَقْعِ الكَثِيـ ـبِ عَبْسًا ودُودَانَ يَوْمًا سِوَارًا
٣٩- فَأَقْلَلْتَ قَوْمًا وَأَعْمَرْتَهُمْ وَأَخْرَبْتَ مِنْ أَرْضِ قَوْمٍ دِيَارا
٤٠- عَطَاءَ الإِلٰهِ فَإِنَّ الإِلٰـ ـهَ يَسْمَعُ فِى الغَامِضَاتِ السِّرَارَا
٤١- فَيَارُبَّ نَاعِيَةٍ مِنْهُمُ تَشُدُّ اللِّفَاقَ عَلَيْهَا إِزَارَا
٤٢- تَنُوطُ التمِيمَ وَتَأْبَى الغَبُو قَ مِنْ سِنَةِ النَّوم إِلَّا نَهَارًا
٤٣- مَلَكْتَ فَعَانَقْتَها لَيْلَةً تَنُصُّ القُعُودَ وَتَدْعُو يَسَارَا
٤٤- فلا تَحْسَبَنِّى لَكُمْ كَافِرًا وَلَا تَحْسَبَنِّى أُرِيدُ الغِيَارَا.

(٣٠ — ٣٨) ابرح فلان رجلا وابرح فارسا عبارة للتعجب وأصله من البـراج اى المتسع من الارض . جمارا جماعة ، يقال تجمـر بنو فلان اى تجمعوا . ربكم سيدكم . ظاهر عاون . البازل البعيراذا بزل نابه اى شق وظهر . وبزل الامر والرأى استحكم . احل الجمار استباحهم وجعلهم حلالا . الجمار ضبة وعبس والحارث بن كعب . النقـع غبار المعـركة . ساور واثب . والبيت ٣٠ ناقص فى الاوروبيه وتكملته من المتوكلية .

(٣٩ — ٤١) اقل الشىء حمله ورفعـه . اعمرته دارا أو ابلا اعطيته اياها . السرار المناجاة مصدر سار على وزن فاعل اى ناجى . اللفاق ثوبان يلفق أحدهما بالآخر . الأزار الملحفـة وكل ما ستر ، يريد أنها لا تأتزر من عظم عجيزتها الا بثوبين .

تنوط تعلق . التميم والتميمة عوذة تعلق مخافة العين والحسد . والغبوق شرب المسـاء . نص الشىء رفعه واظهره .

(٤٢ — ٤٤) ونص الرجل عنقه نصبه . يسار شعار لهم بالخير ، واليسر ضد العسر وهو السهولة والخير . الغيار التغيير اى لا اريد بك بدلا .

(٤٥ــ٤٩) ويقول إن قيسًا قد أقام الأمر بعد فساده ، حتى مل الناس الانتظار والصبر على هذا الاضطراب الذى يتخبطون فيه تخبط. الناقة الغريبة حلت فى أرض مجهولة ، فهى مشفقة من الموت ، لا تدرى أىَّ طريق تسلك إلى الماء .

وكأن الشاعر قد صحب الممدوح فى بعض غاراته بمكان اسمه (لعلع) ، وتعرض للوقوع فى الأسر ، حتى أنقذ مع صحبه بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفرًا ، فسجدوا له شكرًا وتعظيما ، رافعين أيديهم بالريحان ـ تحيَّةَ الملوك ـ هاتفين (عَمَرَكَ الله!) .

(٥٠ــ٥٤) وقد عاد المُلْك إلى نصابه ، ورجع إلى صاحبه خير الملوك ، واستقر بعد اضطراب ، ولكل نبإٍ مستقَر . رجع إلى حامل العبء عن أهله فى النائبات ، إلى القوى الأمين الذى لا يُفَزَّع جاره ، ولا يذهب الغضب أو الهلع بحلمه . إلى الوفى الذى يقيم على ميثاقه ، ولا يُضِيع فى يومه ما أعطى من عهد فى أمسه . إلى الكريم الذى يهب كرام النوق ، قد ضَرَبَت الحمرةُ فى لونها الأبيض من طِيبِ المرعى ومن أثر السمن

(٥٥ــ٥٩) فكأنه فى كرمه نهر جياش ملتطم الأمواج ، قد هيَّجته الرياح ، فتدفق ماؤه ، يروى الزروع ، ويعلو الديار ، وتتحطم على شاطئيه الأشجار ، وتكاد السفن تنقلب فيه ، وقد رهب نوتيُّها أمواجه وأنواءه ، فحط قلاعه ، وأرخى حباله . كيف لا ، وهو يختار هباته ، ويجود بأحسن ما عنده ، فيعطى ـ فيما يعطى ـ الإبلَ مائةً مائة ، عشارًا تضع أثقالها عن قريب ، أو مخاضًا تتهيأ للنتاج .

٤٥- فَإِنِّى وَجَدِّكَ لَوْلَا تَجِئْ ... لَقَدْ قَلِقَ الخُرْتُ أَنْ لَاٱنْتِظَارَا

٤٦- كَطَوْفِ الغَرِيبَةِ وَسْطَ الحِيَاضِ ... تَخَافُ الرَّدَى وتُرِيدُ الجِفَارَا

٤٧- وَيَوْمٍ يُبِيلُ النِّسَاءَ الدِّمَا ... جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهِ خِمَارَا

٤٨- فَيَالَيْلَةً لِيَ فِى لَعْلَعٍ ... كَطَوْفِ الغَرِيبِ يَخَافُ الإِسَارَا

٤٩- فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى ... سَجَدْنَا لَهُ ورَفَعْنَا عَمَارًا

٥٠- فَذَاكَ أَوَانُ التُّقَى والزَّكَى ... وَذَاكَ أَوَانٌ مِنَ المُلْكِ حَارَا

٥١- إِلَى مَلِكٍ خَيْرِ أَرْبَابِهِ ... وَإِنَّ لِمَا كُلِّ شَىْءٍ قَرَارَا

٥٢- إِلَى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْلِهِ ... إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارَا

٥٣- وَمَنْ لَا تُفَزِّعُ جَارَاتُهُ ... وَمَنْ لَا يُرَى حِلْمُه مُسْتَعَارَا

٥٤- وَمَنْ لَا تُضَاعُ لَهُ ذِمَّةٌ ... فَيَجْعَلَهَا بَيْنَ عَيْنٍ ضِمَارَا

٥٥- وَمَا رَائِحٌ رَوَّحَتْهُ الجَنُوب ... يُرَوِّى الزُّرُوعَ وَيَعْلُو الدِّيَارَا

٥٦- يَكُبُّ السَّفِينَ لأَذْقَانِهِ ... وَيَصْرَعُ بِالعِبْرِ أَثْلًا وزَارَا

٥٧- إِذَا رَهِبَ المَوْجَ نُوتِيُّهُ ... يَحُطُّ القِلَاعَ وَيُرْخِى الزِّيَارَا

٥٨- بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِأُدْمِ العِشَا ... رِ لَطَّ العَلُوقُ بِهِنَّ احمِرَارَا

٥٩- هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ إِمَّا مِخَاضًا وإِمَّا عِشَارَا

(٤٥ — ٤٧) قلق خرت فلان اى فسد أمره ، والخرت ثقب الاذن والابرة ، تقول اضيق من خرت الابرة . الغريبة الناقة الغريبة . الجفار الآبار جمع جفر (بفتح الجيم وسكون الفاء) وهى المتسعة غير البعيدة القعر . الرداء السيف . جعلت رداءك خمارا او قنعت سيفك رؤوس القوم ، يقال عممه بسيفه اى ضربه به على رأسه .

(٤٨ — ٥١) لعلع جبل كانت به وقعة . العمارة (بفتح العين) ريحانة كان الرجل يحيى بها الملك مع قوله : عمرك الله ، والجمع عمار. الزكى الزيادة . حار رجع . لما كل شيء ، مازائدة ، اى لكل شيء .

(٥٢ — ٥٤) الهنات جمع هنة والهنة الشيء أيا كان . العين الحاضر . الضمار خلاف العيان وهو ما غاب ، أو هو مالا تكون منه على ثقة .

(٥٥ — ٥٩) راح الشجر والنهر وجد الريح فهو رائح ، وروحته الريح أصابته . يكب السفين لأذقانه اى يقلبه على وجهه . العبر الشط . الأثل والزار شجر . يحط القلاع ينزلها ويرخيها حتى لايقلب الريح السفينة وذلك بارخاء الزيار وهى الحبال .

الأدم البيض . العشار الحوامل وهى أثمن وأغلى لما فى بطونها . العلوق الرعى . المخاض التى دنت ولادتها .

(٦٠-٦٤) ويهب – فيما يهب – كل فرس جواد ، فى لونه الأحمر الداكن اللماع ، وكأنه لوضاءته واكتنازه قد دهن جلده بالزيت . إذا أرسل فى الغارة وسط ألف من الخيل بذها جميعًا .

وممدوحه – مع ما اتصف به من كرم وقوة ووفاء – تقى يراقب ربه . وليس الراهب المعتكف فى هيكله أمام صليبه، دائبًا على صلواته سجودًا وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى فى الحساب ، إذا تحركت الريح فى الليل ، هينة بليلةً تنفض الغبار

(٦٥-٧٠) وإنك لأورى الملوك زنادًا ، تتوقد ذكاءً ، وتتحفز يقظة ونشاطًا . كأنك الزند ينقدح فى شجر (المرخ) أو (العفار) السريع الاتقاد . فكل زند بجانب زندك كابٍ قصير . ولو شئت لقدحت الحجر فى شجر (النبع) الصلب فاتقد نارًا .

ويدفع الشاعر عن نفسه فى ختام القصيدة ما يتّهم به عند الممدوح ، من أنه يسطو على شعر غيره من الشعراء فينتحله ، فيقول : أأنتحل الشعر بعد المشيب ، وقد أفنيت شبابى ووقفت زهرة عمرى على تجويده ، حابسًا نفسى عليه ، مقيدًا فى بيته كما تقيِّد السيورُ أحناءَ السرج؟! ويختم القصيدة بقوله – مخاطبًا الممدوح – : أنت لى فى حياتى كل شئ . فإن ذهبت عنى فما أبالى شيئًا . فإذا وارتك الأرض فى بطنها ، فلا مطرتها سماءٌ ، ولا جادها سحاب .

٦٠– وكُلَّ كُمَيْتٍ كَأَنَّ السَّلِيـ ... ـطَ فى حَيْثُ وَارَى الأَدِيمُ الشِّعَارَا
٦١– بِهِ تُرْعَفُ الأَلْفُ إِذْ أُرْسِلَتْ ... غَدَاةَ الصَّبَاحِ إِذَا النَّقْعُ ثَارَا
٦٢– وَمَا أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ ... بَنَاهُ وَصَلَّبَ فِيهِ وَصَارَا
٦٣– يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيـ ... ـكِ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا
٦٤– بِأَعْظَمَ مِنْهُ تُقًى فِى الحِسَابِ ... إِذَا النَّسَمَاتُ نَفَضْنَ الغُبَارَا
٦٥– زِنَادُكَ خَيْرُ زِنَادِ المُلُو ... كِ خَالَطَ مِنْهُنَّ مَرْخٌ عَفَارَا
٦٦– فَإِنْ يَقْدَحُوا يَجِدُوا عِنْدَهَا ... زِنَادَهُمُو كَابِيَاتٍ قِصَارَا
٦٧– وَلَوْ رُمْتَ فِى لَيْلَةٍ قَادِحًا ... حَصَاةً بِنَبْعٍ لأَوْرَيْتَ نَارَا
٦٨– فَمَا أَنَا أَمْ مَا انْتِحَالِى القَوَا ... فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارَا
٦٩– وَقَيَّدَنِى الشِّعْرُ فِى بَيْتِهِ ... كَمَا قَيَّدَ الآسِرَاتُ الحِمَارَا
٧٠– إِذَا الأَرْضُ وَارَتْكَ أَعْلَامُهَا ... فَكَفَّ الرَّوَاعِدُ عَنْهَا القِطَارَا

(٦٠ — ٦٤) الكميت الفرس تضرب حمرته للسواد . السليط دهن السمسم . الشعار جمع شعر . وفى التعبير قلب ، والمقصود حيث وارى الشعر الاديم وهو الجلد . فرس راعف سابق ، ورعف الفرس الخيل سبقها . ايبلى صاحب ايبل وهى العصا التى يدق بها الناقوس . الهيكل موضع فى صدر الكنيسة يقرب فيه القربان . صلب صور فيه الصليب . صار سكن . راوح بين العملين تداول هذا مرة وهذا مرة . جأر الى الله تضرع بالدعاء . النسيم نفس الريح اذا كان ضعيفا واولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد .

(٦٥ — ٦٧) المرخ والعفار شجرتان تقدح فيهما النار لانهما توريان سريعا وخشبهما هش رخو . كبا الزند لم يور . والنبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام . والحصى صغار الحجارة . والحصى لايورى والنبع لايتقد الا بصعوبة لصلابته .

(٦٨ — ٧٠) ما انا أم ما انتحالى القوافى ، ينفى عن نفسه ما اتهم به عند الممدوح من انه يسطو على شعر غيره وينتحله لنفسه . الحمار ثلاث خشبات تعرض عليها خشبة وتؤسر بها اى تربط وهى هيكل السرج . والآسرات السيور التى يربط بها السرج . ويسمى الحمار ايضا القتب والاكاف . اعلام الأرض جمع علم وهو حجر منصوب فى الطريق يهتدى به ، ويقصد به الحجر الذى يعلم به القبر . الرواعد السحب التى ترعد وتبرق لكثافتها . القطار جمع قطر (بفتح فسكون) وهو المطر .

بنو شيبان من أكبر فروع بكر . منهم قيس بن مسعود الذى ضمن للفرس على بكر أن لايدخلوا السواد (العراق) ولا يفسدوا فيه ، فاقطعوه فى مقابل ذلك « الأبلة » وما والاها . ومنهم ابنه بسطام ، فارس شيبان فى الجاهلية . ومنهم هانىء بن قبيصة الشيبانى ، الذى أودع عنده النعمان بن المنذر أسلحته حين استدعاه كسرى ، فلما علم كسرى بذلك طلب منه الأسلحة فامتنع عليه ، فكان ذلك فيما يروى بعض الرواة سبب حرب ذى قار . ومنهم الحوفزان حارثة بن شريك . ومنهم أبو ثابت يزيد بن مسهر الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، وهو احد زعماء بكر يوم ذى قار . وقد ظهر منهم فى الاسلام رجال « منهم الضحاك بن قيس الخارجى ، والمثنى بن حارثة .

وترتيب ابيات القصيدة كما هو مثبت هنا نقلا عن الديوان الذى نشره "Geyer" مضطرب كثير الاختلاط . وقد أورد الناشر فى اللاحق التى علق فيها على الديوان روايات مختلفة لترتيب الابيات ، بعضها مأخوذ عن نسخ من مخطوطات الديوان ، وبعضها مأخوذ من كتب الادب التى روت القصيدة . وخير هذه الروايات ، وأقربها الى الصحة ، وادناها الى المنطق والاتساق ، واطراد السياق ، هو الترتيب الذى نقله عن احدى نسخ الديوان المخطوطة . وسنثبته بالاشارة الى أرقام الأبيات :

١ — ٨ ثم ١١ — ٢٠ ثم ٩ ، ١٠ ثم ٢١ ثم ٢٤ — ٤٢ ثم ٤٤ ثم ٤٣ ثم ٣١ — ٢٣ ثم ٢٢ — ٢٥ ثم ٢٧ — ٣٠ ثم ٤٥ — ٤٧ ثم ٤٩ — ٥٢ ثم ٥٤ — ٥٦ ثم ٦٢ — ٦٤ ثم ٦١ ثم ٥٨ ، ٥٩ ثم ٥٩ ثم ٥٧ ثم ٦٥ ، ٦٦ ثم ٦٠

وسنسير فى تلخيصنا للقصيدة على هذا الترتيب الذى نرجحه .

وقصة هذه القصيدة فيما يروى صاحب الاغانى (١) أن رجلا اسمه ضبيع من بنى كعب بن سعد (أحد بيوت قيس بن ثعلبة ، بيت الأعشى) قتل رجلا اسمه زاهر بن سيار من بنى همام (أحد بيوت ذهل بن شيبان ، بيت يزيد بن مسهر) وكان ضبيع لايعدل زاهرا . فلما هم بنو سيار أن يأخذوا بثار زاهر نهاهم يزيد بن مسهر الشيبانى أن يقتلوا به ضبيعا وقال : اقتلوا به سعيدا (وهو أحد بنى سعد بن مالك بن ضبيعة) . فلما بلغ بنى قيس (قبيلة الأعشى) ذلك ، هاجمه الاعشى بهذه القصيدة . وهو يطلب اليه فيها أن يدع بنى سيار وبنى كعب وحدهم . فانه لن اعان بنى سيار ، لم يكن لقومه بد من أن يعينوا بنى كعب .

(١ ـ ٤) يبدأُ الأَعشى قصيدته مودعا صاحبته « هريرة » . فقد تهيأَ الركب للرحيل ، ولم يعد من الوداع بد . ولكن الضعف لا يلبث أَن يدركه فيخاطب نفسه قائلا : « وهل تطيق وداعا أَيها الرجل؟ » .

ويسيطر على الأَعشى خيال صاحبته ، ويتمثل له أَمام عينيه ، فيمضى فى تصويرها متحسراً .

بشرة وضيئة بيضاءُ ، وشعر غزير مسترسل ، وثغر صقيل ناصع البياض . تخطر متمهلة حين تمشى حتى يخيل إلى الناظر أنها تسير فى أَرض قد كستها الأَوحال فهى تخشى الزلل ، أَو كأَنها تشتكى أَلما فى بطن رجلها فهى لا تكاد تقوى على الإسراع . فهى تمشى وادعة فى خفة ورشاقة ، كأَنها سحابة تسبح فى الفضاءِ متمهلة . يوسوس الحلى فى معصميها وساقيها كأَنه حب (العِشْرِق) قد حركته الريح

(٥ ـ ٧) لم يكن هو وحده الذى يحبها ، فقد كانت حبيبة إلى كل الناس . وكان خلقها السمح يقربها إلى كل من جاورها . لم تكن تؤذى أَحدًا ، ولم تكن تزج بنفسها فيما لا يعنيها من شئون الناس ، فتسترق السمع إلى أَسرارهم . كانت كريمة العنصر مترفة ، لم تتعود الكد والكدح ، فهى لا تكاد تنهض لما ينهض له النساءُ من معالجة شئون البيت ، فهى لذلك مِكْسَال ، لا تقوم لجارتها إلا تحاملت على نفسها متشددة . ولا تكاد تعالج قرينًا حتى يسرع إليها الوهن والفتور ، فيهتز جسمها

---

(١) ج ٨ ص ٩٦

وقال ليزيد بن مُسْهِر ـ أَبِي ثابت ـ الشَّيْبَانِي. (قال أبو عُبَيْدَة: قرأتها على أبي عَمْرو بن العَلَاءِ).

١ ـ وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ   وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ (بسيط.)

٢ ـ غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا   تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ

٣ ـ كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِن بَيْتِ جَارَتِهَا   مَرُّ السَّحَابَةِ، لَارَيْثٌ وَلَاعَجَلُ

٤ ـ تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ   كما اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

٥ ـ لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيرَانُ طَلْعَتَهَا   ولا تَرَاهَا لِسِرِّ الجَارِ تَخْتَتِلُ

٦ ـ يَكَادُ يَصْرَعُهَا ـ لَوْلَا تَشَدُّدُهَا ـ   إِذَا تَقُومُ إِلى جَارَاتِهَا الكَسَلُ

٧ ـ إِذَا تعَالِجُ قِرْنًا سَاعَةً فَتَرَتْ   واهتَزَّ منها ذَنُوبُ المَتْنِ والكَفَلُ

٨ ـ صِفْرُ الوِشَاحِ ومِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ   إِذَا تَأَتَّى يَكَادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ

٩ ـ صدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا   جَهْلًا بأُمِّ خُلَيْدٍ. حَبْلَ مَنْ تَصِل؟

١٠ ـ أَأَنْ رأَتْ رجُلًا أَعْشَى أَضَرَّ به   رَيْبُ المَنُونِ وَدَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ؟

١١ ـ نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا   لِلذَّةِ المَرْءِ لَا جَافٍ ولا تَفِلُ

١٢ ـ هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرَافِقُهَا   كَأَنَّ أَخْمَصَهَا بالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ

١٣ ـ إِذَا تَقوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً   والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِن أَرْدَانِهَا شَمِلُ

(١ ـــ ٣) غراء بيضاء . فرعاء كثيرة الشعر طويلته . العوارض ما يبدو من الأسنان عند الابتسام . الوجى الذى حفى قدمه او حافره . الريث البطء .

(٤ ـــ ٦) الوسواس والوسوسة صوت الحلى . العشرق شجيرة مقدارذراع فيها حب صغار ، اذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى . الزجل الصوت الرفيع العالى . تختتل تتسمع استراقا .

(٧ ـــ ٩) قرنا صاحبا . الذنوب اللحمتان الناتئتان فى أعلى الفخذ من العجيزة . صفر الوشاح دقيقة الخصر ، والوشاح اديم عريض يرصع بالجواهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، ملء الدرع كبيرة الأرداف ، والدرع القميص . بهكنة ضخمة الخلق . تأتى أى تتأتى وتترفق . ينخزل ينبت و ينقطع .

(١٠ ـــ ١١) دهر مفند ، الفند (بفتح الفاء والنون) الفساد . ريب المنون نوائب الدهر . خبل من الخبل وهو فساد العقل . الدجن اليوم الغائم أو الممطر . جاف غلظ غير رقيق . تفل منتن غير متطيب .

(١٢ ـــ ١٣) هركولة عظيمة الوركين ، فنق منعمة مترفة . درم العظم وراءه اللحم حتى لم يبن له حجم . المرفق عظم المفصل فى الذراع . الأخمص مادخل من باطن القدم فلم يصب الأرض . الأصورة جمع صوار (بضم الصاد) وهو الوعاء الذى يحرق فيه المسك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالحربة ، ويغلب عليه اللون الخمرى . الأردان جمع ردن (بفتحتين) وهو الغزل والخز . شمل منتشر ، من قولهم شمل الأمر القوم أى عمهم .

الناعم الريان ، وتضطرب معه أردافها الضخمة البَضَّة .

٨ – يجفو وشاحها عن خصرها فلا يمسه لدقته ، وتملأُ أردافها القميص حتى يضيق بها .
إذا تثنت مترفقة خيل إليك أن خصرها الناحل سينبتُّ وينقطع .

(١١–١٣) ويجمح بالشاعر خياله ، وقد اختلطت شهوته العارمة المفترسة . بهذه النظرات المدققة ، التى تنفذ إلى مواضع الفتنة والإغراء لتتصور ما وراء الثياب ، فيود لو أنه خلا بها ، فصرعها فى غداة يوم غائم مطير ، وأشبع نهمه وأرضى لذته بجسمها الريان ، وشبابها الناعم ، ومرفقيها الصغيرين وقد اختفت عظامهما فى ساعديها الممتلئين . وقدميها الصغيرتين وقد جفا بطناهما عن الأَرض لا يكادان يمسانها ، كأَنهما مبطنتان بالشوك ، ورائحتها العبقة التى يضوع منها المسك حتى يمتلئ به طريقها حين تسير ، مختلطًا برائحة الياسمين الذى يعطر أردانها .

(١٤–١٦) ليست روضة قد أزهرت وُرودُها ، فى ربوة لا تطأُها الأَقدام ، ولا تعبث بها الأَيدى ، قد جاد عليها المطر ، وأشرقت عليها الشمس ، فانعكست على جداولها المحفوفة بالنبات وقت الغروب ، حين يهدأُ الكون ، وتتضوع ريح الورد ، بأَطيب منها نَشْرًا ، ولا هى أحلى منها رائحة . . .

(١٧–١٩) عرضت له هريرة فتعلق بحبها ولم يسع إليه . ولكنها تحب رجلا غيره . ومن عجب أَن هذا الذى تحبه لا يبادلها الحب ، لأَنه يحب فتاة أُخرى . فهى تتعلق برجل لا يأبه لها ، وفى بنى عمها من قتله حبها وأذهل عقله . وكذلك هو يحبها فلا تلتفت إليه ، وفى الحى فتاةٌ أُخرى قد تعلق قلبها به ولكنها لا تلائمه . . .

ويضحك الأَعشى من أَمره وأَمر الناس قائلا : «هل رأَيت أَعجب من هذه المصادفات ، التى أَلَّفت بين هذه المجموعة من أَصحاب الحب الفاشل ؟ »

٢٠ – فكلنا مغرم يهذى بصاحبه ، بين بعيد وقريب ، وصيد وقع فى الحبالة وصياد يبتغى الصيد .

٩ – وقد صدت عنه صاحبته جهلا بقدره ، فهو يعجب لأَمرها ويقول : حبلَ من تصلين إن قطعتنى ؟ ومن أَحق منى بهذا الوصل ؟

١٤ ـ ما رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ ... خضراءُ جادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ
١٥ ـ يُضَاحِكُ الشَّمْسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
١٦ ـ يَوْمًا بِأَطْيَبَ منها نَشْرَ رَائِحَةٍ ... ولا بِأَحْسَنَ منها إذْ دَنَا الأُصُلُ
١٧ ـ عُلِّقْتُهَا عَرَضًا ، وعُلِّقَتْ رَجُلًا ... غَيْرِي ، وعُلِّقَ أُخْرَى غَيْرَهَا الرَّجُلُ
١٨ ـ وعُلِّقَتْهُ فَتَاةٌ ما يُحَاوِلُهَا ... مِنْ أَهْلِهَا مَيِّتٌ يَهْذِي بِهَا وَهِلُ
١٩ ـ وعُلِّقَتْنِي أُخَيْرَى ما تُلَائِمُنِي ... فاجْتَمَعَ الحُبُّ حُبًّا كُلُّهُ تَبِلُ
٢٠ ـ فكُلُّنَا مُغْرَمٌ يَهْذِي بِصَاحِبِهِ ... نَاءٍ ودَانٍ ومَحْبُولٌ ومُحْتَبِلُ
٢١ ـ قَالَتْ هُرَيْرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا ... وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ
٢٢ ـ يا مَنْ يَرَى عَارِضًا قَدْ بِتُّ أَرْقُبُهُ ... كَأَنَّمَا البَرْقُ فِى حَافَاتِهِ الشُّعَلُ
٢٣ ـ لَهُ رِدَافٌ وَجَوْزٌ مُفْأَمٌ عَمِلٌ ... مُنَطَّقٌ بِسِجَالِ الماءِ مُتَّصِلُ
٢٤ ـ لم يُلْهِنِى اللَّهْوُ عَنْهُ حِينَ أَرْقُبُهُ ... ولا اللَّذَاذَةُ من كأسٍ ولا ٱلْكَسَلُ
٢٥ ـ فَقُلْتُ للشَّرْبِ فى « دُرْنَى » وَقَدْ ثَمِلُوا ... شِيمُوا ، وكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ الثَّمِلُ؟
٢٦ ـ بَرْقًا يُضِيءُ على الأَجْزَاعِ مَسْقَطُهُ ... وبالخَبِيَّةِ منهُ عَارِضٌ هَطِلُ
٢٧ ـ قَالُوا نِمَارٌ فَبَطْنُ الخَالِ جَادَهُمَا ... فالعَسْجَدِيَّةُ فالأَبْلَاءُ فالرِّجَلُ
٢٨ ـ فالسَّفْحُ يَجْرِى فَخِنْزِيزٌ فَبُرْقَتُه ... حَتَّى تَدَافَعَ مِنْهُ الرَّبْوُ فالجَبَلُ

(١٤ ـ ١٧) الحزن المرتفع من الأرض . ورياض الحـــزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها ولأن الأقدام لا تطأها . مسبل اى مطر مسبل ، واسبل المطر أنزل الماء . كوكب الماء بريقه . شرق زاه . مؤزر لابس ازارا وكأن النبات حـلة تكسوه . مكتهل قد بلغ وتم . النشر تضوع الرائحة وانتشارها. الأصيل وقت الغروب .

(١٨ ـ ٢٠) الوهل ذهاب العقل . والتبل كذلك . حبل الصيد أخذه فى الحبالة فالصيد محبول . واحتبل الرجل الصيد أخـذه بالحبالة فالصائد محتبل (على البناء للفاعل) .

(٢١ ـ ٢٤) العارض السحاب المعترض . رداف ذيل . جوز وسط . مفأم ممتلىء بالماء . عمل دائم متصل . السجال جمع سجل (بفتح السين) وهو الدلو .

(٢٥ ـ ٢٨) درنى كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة ، أو هى موضع باليمامة . شام البرق والسحاب نظر اليه وقدر أين يمطر . الأجزاع جمع جزع (بكسر الجيم) وهو منعطف الوادى أو المشرف من الارض . الخبية موضع بين الكوفة والشام . نمار جبل لبنى سليم . بطن الخال موضع وجبل . جادهما مطر عليهما العارض . الرجل موضع باليمامة . البرقة أرض ذات حجارة ورمل وطين . الربو مرتفع من الأرض . السفح وخنزير موضعان .

١٠ - إنكِ لم تريني فى شبابى وفى إقبال الأيام على . رأيتِ رجلا قد أضرَّ به رَيْبُ الزمان وعضَّه دهر فاسد مخبول .

٢١ - فلقيتنى لقاءً خشنًا جافيًا ، إذ جئتك زائرًا فتقولين : « ويلى عليك وويلى منك يا رجل! » ليتك قد رأيتنى فى شبابى وفى إقبال الأيام على .

(٣٤-٣٨) إن تريني اليوم حافيًا لا أنتعل فلكم لبست ولكم أبليت . إن هذا الذى تنبو عنه عيناك قد أمتع نفسه من الغانيات ، وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه منى الحذر . كنت مالكا لشبابى أُصرفه فى لذتى فلا يأبى علىَّ ولا يمتنع ، وكان لى رفقاء من أصحاب اللذة والفتك . ولقد أغدو معهم إلى الحانوت يتبعنى غلام خفيف نشيط ، ولقد أجلس إلى فتية كسيوف الهند مضاء ، قد أرسلوا أنفسهم فى لذاتها ، لأنهم يعلمون « أن ليس يَدْفَعُ عن ذى لحيلَةِ الحِيَلُ » .

(٤١ ، ٣٩ ، ٤٠) يطوف عليهم ساق نشيط ، قد شمَّر أسفل قميصه ، وعلق فى أُذنيه لؤلؤتين . وقد تناثرت قضبان الريحان يتنازعها الندمان ، وهم يتناقلون كؤوسًا لا تجف ، لأنهم لا يتوقفون عن الشرب إلا ريثما ينادون : هات !

(٤٤ ، ٤٢) وماجت الحانة بنساءٍ ضخام ، يجررن ذيول الريط رافلات ، وكأن على أردافهن قِرَبًا صغيرة ترتج بما فيها من الماءِ . ونشط القيان للغناء على نغمات العود وجَرْس الصَّنْج .

٤٣ - فى مثل ذلك كان لهوى فى شبابى ، وكم فى اللهو والغزل من تجارب .

كنت شابا فتيًّا ، لا تخفى علىَّ اللذات ، ولا أتردد فى اقتحام الصعاب .

٣١ - كم قد اقتحمت من صحراءِ جرداءِ لا نبات فيها ولا ماء ، عريت من كل شئ فكأنها تُرْس ، تسمع للجن بالليل فى أطرافها زَجَلا .

٣٢ - لا يجرأ على اقتحامها فى القيظ إلا القوى الذى قد اتخذ لرحلته الشاقة أُهبته .

٣٣ - مِثْلَ هذه الصحراءِ أقتحم ، فأقطعها على ناقة قد تعودت الأسفار حتى أنهكَتْهَا . وهى مع ذلك جَسُور لا تأبى على الراكب ، ولكنها تنطلق فى سهولة ، تكشف فى انطلاقها الجرئ عن مرفقين مفتولين . وكنت خبيرًا بما ينبغى لرجل الصحراءِ أن يعرفه .

٢٢ - كم من سحاب عارض قد بِتُّ أتتبعه ، يلمع البرق فى حافاته كأنه الشُّعَل . نظرت

٢٩ ـ حَتَّى تَحمَّلَ مِنهُ الماءَ تَكْلِفَةً   رَوْضُ القَطَا فَكَثِيبُ الغَيْنَةِ السَّهلُ
٣٠ ـ يَسْقِى دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبحَتْ عُزُبًا   زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا القَوْدُ والرَّسَلُ
٣١ ـ وبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ   للجِنِّ بِاللَّيْلِ فى حَافَاتِهَا زَجَلُ
٣٢ ـ لا يَتَنَمَّى لها بالقَيْظِ يَرْكَبُها   إلا الَّذِينَ لَهُمْ فيما أَتَوْا مَهَلُ
٣٣ ـ جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ جَسْرَةٍ سُرُحٍ   فى مِرْفَقَيْهَا إذا استَعْرَضْتَها فَتَلُ
٣٤ ـ إمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لا نِعَالَ لَنَا   إنَّا كَذٰلِكَ ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ
٣٥ ـ فَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ البَيْتِ غَفْلَتَهُ   وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّى ثُمَّ ما يَئِلُ
٣٦ ـ وَقَدْ أَقُودُ الصِّبَى يَوْمًا فَيَتْبَعُنِى   وَقَدْ يُصَاحِبُنِى ذو الشِّرَّةِ الغَزِلُ
٣٧ ـ وَقَدْ غَدَوْتُ إلى الحَانُوتِ يَتْبَعُنِى   شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ
٣٨ ـ فى فِتْيَةٍ كسُيُوفِ الهِنْدِ قد عَلِمُوا   أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عن ذِى الحِيلَةِ الحِيَلُ
٣٩ ـ نازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا   وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ
٤٠ ـ لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنهَا ـ وَهْىَ رَاهِنَةٌ ـ   إلَّا بِهَاتِ ، وإنْ عَلُّوا وإنْ نَهِلُوا
٤١ ـ يَسْعَى بِها ذُو زُجَاجَاتٍ له نُطَفٌ   مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ
٤٢ ـ ومُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يُسْمِعُهُ   إذَا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُلُ
٤٣ ـ مِنْ كُلِّ ذلك يَوْمٌ قد لَهَوْتُ به   وَفى التَّجَارِبِ طُولُ اللَّهْوِ والغَزَلُ
٤٤ ـ والسَّاحِبَاتُ ذُيُولَ الخَزِّ آوِنَةً   والرَّافِلاتُ على أَعْجَازِهَا العِجَلُ

(٢٩ — ٣٠) تكلفة اى تكلف ذلك لما ضاق به الموضع الآخر . الغينة الارض الكثيرة الاشجار . عزبا اى بعيدة ، والعازب الكلأ المعبد . زورا بعيدة . تجانف عدل وانحرف . القود الخيل . الرسل الجماعة والقطيع من كل شيء .

(٣١ — ٣٣) مثل ظهر الترس ، شبهها بظهر الدرع فى انبساطها واقفارها لانها لا شيء فوق ظهرها . الزجل الاصوات المختلطة . يتنمى يسمو الى ركوبها . مهل عدة . طليح ناقة أهزلها السفر . جسرة ضخمة . سرح سهلة السير . الفتل تباعد مرفقى الناقة عن زورها .

(٣٤ — ٣٧) خلس الشيء سرقه واخذه خفية . ما يئل لا ينجو ، والماضى وال اى نجا . الشرة نشاط الشباب . الحانوت الخمارة . شاو يشوى اللحم . مشل سواق من شل اى طرد وساق . وكذلك شلول . شلشل خفيف فى العمل سريع . شول يحمل الشيء .

(٣٨ — ٤٠) الراووق الوعاء الذى تروق فيه الخمر . خضل دائم الندى لكثرة استعمالهم . النهل الشرب الأول والعلل الشرب الثانى .

(٤١ — ٤٤) النطف جمع نطفة وهى اللؤلؤة العظيمة ، معتمل يخدم ويعمل دائما . مستجيب ، هو العود يجيب الصنج ويشاكله ، والصنج دوائر صفار من النحاس يصفق بأحداهما على الأخرى ويمسكان فى أصابع اليد . الفضل التى تلبس ثوبا واحدا كانها متبذلة . رفل جر ذيله وتبختر فى مشيه . العجلة القربة الصغيرة ، يشبه أردافها الممتلئة المرتجة بالقربة الصغيرة يترجرج فيها الماء .

إليه أرقبه ، ولم يصرفنى عنه ما كنت فيه من لهو ، فإذا هو متصل الأجزاء ، وإذا وسطه متسعٌ عظيم محمل بدلاء الماء .

٢٥ ـ فقلت لصحبى فى «دُرْنَى» وقد أخذت منهم الخمر «شِيمُوا!» ـ ومن عَجَب أن يشيم الشارب الثمل ـ انظروا هذا السحاب الثقيل ، وقولوا أين تتوقعون نزوله

٢٦ ـ ماذا ترون فى هذا البرق الذى يلمع فوق (الأجزاع) ، وفى هذا السحاب الممتلئ بالماء فوق (الخَبِيَّة) ؟

٢٧ ـ وهم لا يزالون فى حَدْس وتخمين ، كلٌّ يذكر الأرض التى يتوقعُ أن هذا العارض سيصيبها بمائه ، بين (نِمَار) و (بطن الخال) و (العسجدية) و (الأَبْلاء) و (الرجَل) و (السفح) و (خِنْزِيز) و (بُرقة خنزيز) وكأنه قد أصابها ، وكأن فجاج الأرض قد ضاقت بالماء حتى عم الرُّبا والجبال ، وانصب إلى الرياض وإلى الوديان ذات الأشجار .

٣٠ ـ يَسقى ديار صاحبته التى أصبحت بعيدة لا تقصدها الخيل ولا الركبان .

فإذا أرضى الشاعر نفسه من صاحبته ومن شبابه وذكرياته على ما أراد ، اتجه فجأة إلى صاحب له يتخيله ، طالبًا إليه أن يبلغ يزيد بن مسهر الشيبانى رسالة منه

٤٥ ـ ليقل له عنه : أما تَنْفَكُّ تغلى ويجيش صدرك بالشر ؟

٤٧ ـ تغرى بنا رهط «مسعود» وإخوته ، فإذا التقوا فى القتال ، وَتَرَدَّوْا فى الهلاك ، اعتزلت كأنك لم تفعل شيئًا ولم تأْت إثمًا .

٤٦ ـ أما آن لك أن تنتهى عن نحت أَثْلَتِنَا ، وأن تعلم أنك لست ضائرها أبد الدهر ؟

٤٨ ـ ما أنت حين ينفر الناس للقتال ، وتُشَبُّ الحرب ، فينتشر المقاتلون كالطوفان ، يحملون السبايا والأسلاب ، إلا كوعل أحمق ، ينطح صخرة ليفلقها ، فلا يضيرها وإنما يُوهِى قَرْنه .

٤٩ ـ ٥٢) تثير رهط مسعود وتغريهم بنا . وما أظنك تغضب لهم أو تخوض معهم قتالا إن طُلِبَتْ منك المساعدة . فأنت تلقيهم طعاما لغضبنا الهائج ، فتوردهم المهالك ثم تعتزل . أَجَّجْت نار الفتنة وأمددتها بالحطب لتزيد فى التهابها ، ثم تقعد بعيدًا عنها مستعيذًا من شرها ، مبتهلا إلى الله أن لا ينالك أذاها .

٥٤ ـ ويعدد الأعشى القبائل التى عادوها من قبل فقهروها ، منهم أسد (بن ربيعة)

٤٥ ـ أَبلِغْ يَزِيدَ بَنِى شَيْبَانَ مَأْلُكَةً ... أَبَا ثُبَيْت أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتكِلُ

٤٦ ـ أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عن نَحْتِ أَثْلَتِنَا ... وَلَسْتَ ضَائِرَهَا ما أَطَّت الإِبِلُ

٤٧ ـ تُغْرِى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وإِخْوَتِهِ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِى ثُمَّ تَعْتَزِلُ

٤٨ ـ لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بِنَا ... وشُبَّت الحَرْبُ بالطُّوَّافِ واحتَمَلُوا

٤٩ ـ كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ

٥٠ ـ لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا ... والتُمِسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ

٥١ ـ تُلْزِمُ أَرْمَاحَ ذِى الجَدَّيْنِ سَوْرَتَنَا ... عِنْدَ اللِّقَاءِ فتُرْدِيهِمْ وتَعْتَزِلُ

٤٢ ـ لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا ... تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ

٥٣ ـ قَدْ كَانَ فى أَهْلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُو قَعَدُوا ... والجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى ويَنْتَضِلُ

٥٤ ـ سَائِلْ بَنِى أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا ... أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ

٥٥ ـ واسأَلْ قُشَيْرًا وعَبْدَ اللهِ كُلَّهُمُ ... وَاسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ

٥٦ ـ إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَهُمْ جَارُوا وهُمْ جَهِلُوا

٥٧ ـ كَلَّا زَعَمْتُمْ بأَنَّا لا نُقَاتِلُكُمْ ... إِنَّا لأَمْثَالِكُمْ يا قَوْمَنَا قُتُلُ

٥٨ ـ حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ القَوْمِ مُتَّكِئًا ... يَدْفَعُ بالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ

٥٩ ـ أَصَابَهُ هِنْدُوَانِىٌّ فَأَقْصَدَهُ ... أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ مُعْتَدِلُ

(٤٥ ـ ٥٠) مألكة رسالة . الائتكال السعى بالشر والفساد . الأثلة شجرة، يقصد أصله ومجده المؤثل العريق . أطت الابل أنت تعبا وحنينا . اللقاء القتال . أرداه أوقعه فى الردى والهلاك . النفير القوم ينفرون معك للقتال . الطواف الذين يطوفون ، من قولهم طوف الناس والجراد أى ملأوا الأرض كالطوفان . احتملوا (على البناء للمعلوم) صبروا على الشدة . كناطح صفة لوعل ينطح صخرة . احتمل الرجل (على البناء للمجهول) استفز وغضب.

(٥١ ـ ٥٣) السورة حدة الغضب . ذو الجدين قيس بن مسعود من اشراف العرب . كهف من بنى سعد بن مالك . قعدوا عن القتال . الجاشرية امراة من اياد .

(٥٤ ـ ٥٦) شكل أزواج ، خبر ثم خبر . قشير بن كعب بن ربيعة .

(٥٧ ـ ٥٩) عميد القوم سيدهم . الراح جمع راحة وهى بطن اليد . عجل جمع عجول (بفتح العين) وهى المرأة الثكلى . هندوانى سيف منسوب الى الهند . أقصده أصابه فلم يخطئه . الخط بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .

ومنهم قُشَيْر (بن كعب بن ربيعة) ، يقول له : سل هؤلاء ، بل سائل ربيعة جميعًا ، يخبروك كيف وجدوا بلاءنا فى القتال .

٥٦ – كنا إذا قاتلناهم قتَّلناهم تقتيلا ، وكانوا هم الجانين على أنفسهم بما جاروا وبما سفهوا علينا واجترءُوا .

٥٣ – وإن فى قومنا وأحلافنا من بنى كهف (من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة بن بكر) والجاشرية (من إياد) لَمَنْ يُغْنِى فى القتال ، ويصبر على النضال .

ويشير الأعشى إلى ما كان من إغراء يزيد لهذا البيت من شيبان ، ونهيهم أن يقتلوا ضُبَيْعًا بزاهر فيقول :

(٦٢–٦٣) إنى أُقسم بالبيت الحرام الذى تهوى إليه الإبل من كل صوب ، وبما يساق إليه من قرابين البقر الكثير ، لئن قتلتم منا سيدًا لم يكن مقاربا لقتيلكم ، لنقتلن به منكم أفضل سيد فيكم .

٦٤ – إنا لا نمل القتال . ولو قدر لك أن تُبْتَلَى بنا على أعقاب معركة قد خضناها ، لوجدت فينا نشاطًا لقتال جديد ، ولما رأيتنا نحيد عن الخوض فى الدماء مرة أُخرى .

٦١ – فانتهوا أيها القوم خيرًا لكم . ولن ينهاكم عما أنتم فيه من بغى كالطعن الجائف ، يغور فى جراحه البالغة الزيت والفُتُل .

(٥٨–٥٩) ويخر فيه عميد القوم صريع السيوف والرماح ، قد اتكأ على مرفقه خائر القوى ، وقد هلك من حوله الرجال ، يدفع عنه النسوةُ بأيديهن .

٥٧ – تزعمون أننا لسنا لكم بأكفاء ، وأننا لا ننهض لقتالكم . بل إننا لقتال أمثالكم أنداد

(٦٥–٦٦) ألسنا فوارس يوم (العَيْن) – وما يوم (العين) بِسِرّ ، فقد كان فى ضحوة النهار – ليس فينا إلا فارس متمكن ، لا يميل على سرج الفرس ، ولا تنقصه عدة القتال . وهو خير محارب راكبًا وراجلا . ان شئتم حاربناكم على ظهور الخيل . وان شئتم قاتلناكم راجلين

٦٠ – وإننا لأبصر الناس بمواضع الطعن ، وأحذقهم فى إصابة الهدف ، فلقد نصيب الحمار فى فائل (العرق الذى يجرى من الجوف إلى الفخذ) ولقد يهلك على أرماحنا البطل المغوار .

٦٠ ـ قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ ... وقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا البَطَلُ

٦١ ـ هَلْ تَنْتَهُونَ ؟ وَلَايَنْهَى ذَوِى شَطَطٍ ... كالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ والفُتُلُ

٦٢ ـ إنِّى لعَمْرُ الذى خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا ... تَخْدِى وَسِيقَ إِلَيْهِ البَاقِرُ الغُيُلُ

٦٣ ـ لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا ... لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنكُمْ فَنَمْتَثِلُ

٦٤ ـ لَئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ ... لَمْ تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ

٦٥ ـ نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ الْعَيْنِ ضَاحِيَةً ... جَنْبَىْ «فُطَيْمَةَ» لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

٦٦ ـ قَالُوا الرُّكُوبَ ! فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ... أَو تَنْزِلُونَ ، فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

(٦٠ — ٦٢) العير حمار الوحش . الفائل عرق يجرى من الجوف الى الفخذ ،ومكنون الفائل هو الدم ، والفارس الحاذق يتعمد الطعن فى الخربة ، وهى نقرة فى الورك لا عظم فيها تنفذ الى الجوف . ومن روى (قد نطعن العير فى مكنون) فقد أخطأ ، اذ كيف يطعن فى الدم . الشطط الغلو . يذهب فيه الزيت والفتل لأن الطعنة غائرة . خطت شقت التراب ، المناسم جمع منسم وهو طرف الخف . تخدى تسرع فى السير مع اضطراب . الباقر جمع بقر . الغيل جمع غيـول (بفتح الغين) وهو الـكثير من الابل والبقر ونحوها . صدد الشىء المقابل له أو القريب منه . نمتثل نختار الأمثل والأحسن .

٦٤ — منى به ابتلى به . عن غب معركة عقب معركة . ننتفل ننتفى ، اى لا نجحد دماء قومك ونتبرأ منها هربا من القتال . وقال عن غب معركة ، لان المعقول المألوف أن يستريح المقاتل بعدها ، ولـكن هؤلاء لا يملون القتال .

٦٥ — فطيمة من بنى سعد بن قيس ، كانت عند رجل من بنى سيار ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتعايرتا ، فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة ، فاهتاج الحيان واقتتلوا ، فهزمت بنو سعد بن قيس (قوم الأعشى) بنى سيار . ضاحية أى علانية فى وضح النهار . ميل جمع أميل وهو الذى يميل على السرج ولا يثبت فى القتال . عزل جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه . ومن روى (**نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية**) فهومخطىء ، لان يوم الحنو هو يوم ذى قار ، وأحسن الناس بلاء فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مسهر الذى يهجوه الأعشى بهذه القصيدة . فغير معقول أن يستعلى عليه الأعشى مفاخرا بهذا اليوم .

٦٦ — تنزلون عن خيولكم فتجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح .

— ٧ —

حنيفة أحد فروع بكر بن وائل . وكانت تسكن اليمامة . وكان هوذة مملكا على قومه .وكان من المتكفلين بحراســة قوافل كسرى التى تمر بين الفرس واليمن ، كان يقوم بذلك لقاء جمالة جعلت له. فكانت القوافل تدفع الى المنـاذرة ، ويرسلها هؤلاء فى حراسة رجال من ربيعة ومضر الى هوذة ، فاذا خرجت من ارض اليمامة كانت فى حراسة تميم الى أن تبلغ عامل كسرى على اليمن . وكان هوذة متوجا . زعم صـاحب الأغانى (١) انه قدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ ، وقلنسوة مرصعة قيمتها ثلاثون الف درهم ، وكأسا من ذهب كان قد سقاه فيه .

والى هذا التاج يشير الأعشى فى القصيدة ١٢ بقوله :

من يلـق هـوذة يسـجد غير متئب   اذا تعصـب فـوق التـاج أو وضـعا
له أكاليـل بالـيـاقوت زينهـــــا   صـواغها لا تـرى عيبـا ولا طبعـا

اما صاحب العقد الفريد فقد زعم ـ رواية عن أبى عبيدة عن أبى عمرو ـ انه لم يتتوج معدى قط ، وانما كانت التيجان لليمن . فلما سـئل عن تاج هوذة قال . انما كانت خرزات تنظم له (٢) .

. وقد عاش هوذة حتى أدرك الاسلام . وهو احد الذين ارسل اليهم النبى صلى الله عليه وسلم الرسل حين دعا ملوك العرب والعجم للاسلام(٢).

ومات بعد منصرف النبى من الفتح سنة ٧ هـ ولم يسلم ، لانه اشترط لاسلامه ان يجعل النبى له الأمر من بعده ، والا قصده وحاربه (٤) .

وقد مدح الأعشى هوذة باربع قصائد . وهى ـ حسب ترتيبها التاريخى فيما نرجح ـ القصائد ١١ ثم ٧ ثم ١٢ ثم ١٣ .

وعلى ذلك فالقصيدة التى بين يدينا هى الثانية حسب الترتيب الزمنى . وتبدو ـ كما هى مثبتة فى الديوان ـ ناقصة غير محكمة الترتيب والظاهر أن القصيدة كانت طويلة ، وان هذا القدر اليسير هو الذى بقى لنا منها .

(١ ـ ٢) أَجادٌّ أَنت فيما تزعم من توديع الشباب والنساء ، وهل ملت حقًا إلى القصد بعد الإسراف؟ ثم يعود فيقول كالمتعجب من أمر نفسه : ما كنت أظن أن جهالتى ستنتهى إلى الحكمة ، وما كنت أظن أنى سأَكف عن الاضطراب فى الأَرض لأَسكن إلى وطنى فى اليمامة بين « مِهْراس » و « مارد » .

(٣ ـ ٤) ولقد يلوم السفيه ذا البَطَالة على إسرافه فى الفساد ، وقد كان هو نفسه من قبل لا يرى فيما يأْتى من الفساد إلا الرشاد .

ولا يلبث الشاعر أَن ينتقل إلى التعريض بالحارث بن وعلة وببخله ، متخذًا منه وسيلة لمقارنته بكرم هوذة وحسن ضيافته . فقد تجشم الأَعشى السفر إلى الحارث ـ وهو يسميه مستهزئًا « حريثًا » ـ وأَتاه زائرًا ، فوجده عن عطائه جامدًا .

(٥ ـ ٩) فهو أَبعد الناس شبهًا عن آبائه الكرام . وهو لشدة بخله يفزع من زيارة الصديق ، كأَنه يرى فى بيته أَسدًا أَو ثعبانًا . خير منه نفسًا ووالدًا ذلك الرجلُ الكريم الذى زاره فى « جَوٍّ » فأَكرم وفادته وقربه ، ووهبه قائدًا يعينه على الشيخوخة وَكَلَال القوة والبصر ، وأَعطاه جارية ، فعاد من عنده بالخير الكثير .

---

(١) أغانى ج ١٦ ص ٧٩ .

(٣) الطبرى ج ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٤ .

(٤) اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ص ٢٤ ، ٢٥ وامتاع الاسماع ص ٣٠٩ .

وقال يمدح هَوْذَةَ بن علي الحَنَفِيّ ويذم الحارث بن وَعْلَةَ بن مُجَالِد الرَّقَاشِيّ :

(طويل)

١ ـ أَجِدَّكَ وَدَّعْتَ الصِّبي والوَلَائِدَا ... وأَصبَحْتَ بَعْدَ الجَوْرِ فيهن قاصِدًا
٢ ـ وَمَا خِلْتُ أَن أَبْتَاعَ جَهْلًا بِحِكْمَة ... وَمَا خِلْتُ مِهْرَاسًا بِلَادِي وَمَارِدَا
٣ ـ يَلُومُ السَّفِيُّ ذا البَطَالَةِ بَعْدَمَا ... يَرَى كُلَّ مَا يَأْتِي ٱلْبَطَالَةَ رَاشِدَا
٤ ـ أَتَيْتُ حُرَيْثًا زائرًا عن جَنَابَةٍ ... وكانَ حُرَيْثٌ عن عَطَائِيَ جَامِدَا
٥ ـ لَعَمْرُكَ مَا أَشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِي النَّدَى ... شَمَائِلَهُ ولا أَبَاهُ المُجَالِدَا
٦ ـ إذا زَارَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ كَأَنَّمَا ... يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَأَسَاوِدَا
٧ ـ وإِنَّ امرَءًا قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هذِهِ ... بجَوٍّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا ووَالِدَا
٨ ـ تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فقَرَّبَ مَقْعَدِي ... وأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدَا
٩ ـ وَأَمْتَعَنِي على العَشَا بوَلِيدَة ... فأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا هَوْذُ حَامِدَا
١٠ ـ وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ ومِدْحَة ... فَأَعْنِي بها أَبَا قُدَامَةَ عَامِدَا
١١ ـ فَتًى لويُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا ... أَو القَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى المَقَالِدَا
١٢ ـ وَيُصْبِحُ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ إِذَاغَدَا ... عَلَى ظَهْرِ أَنْمَاطٍ لَهُ وَوَسَائِدَا
١٣ ـ يَرَى البُخْلَ مُرًّا والعَطَاءَ كَأَنَّمَا ... يَلَذُّ بِهِ عَذْبًا من الماءِ بَارِدَا

(١ ـ ٢) أجدك أى هل انت جاد أو اجد منك هذا . الولائد الجوارى . الجور تجاوز القصد والانحراف عن الجادة . الجهل السفه ضد الحلم . مهراس ومارد موضعان باليمامة (موطن الأعشى) السفى السفيه . البطالة الفساد والضياع والخسران . يرى أى السفيه ، الفاعل مستتر . أى أن هذا السفيه كان قبل أن يتوب يرى الفساد فى نظره هو عين الرشاد .

(٤ ـ ٦) حريثا هو الحارث بن وعلة يصغره تحقيرا من شأنه . الجنابة البعد ، والجانب الغريب . وعلة أبوه والمجالد جده ابو أبيه ، يقول له انه لا يشبه آباءه . أساود جمع اسود وهو نوع قاتل من الحيات .

(٧ ـ ٩) جو بلد هوذة الذى يمدحه بهذه القصيدة فى اليمامة . أصفدنى أعطانى ، والصفد (بفتحتين) العطاء . الزمانة الضعف والعاهة ، ويبدو الأعشى هنا مسنا وقد عمى لأنه أعطاه قائدا . وليدة جارية .

(١٠ ـ ١٢) أبو قدامة هو هوذة . ألقت قناعها أى كلمته واسفرت عن وجهها له . ألقى المقالد أطاع وانقاد . الانماط جمع نمط وهو ثوب من صوف ذو الوان يطرح على الهوادج وعلى الوسائد .

(١٠–١٣) فهو من أجل ذلك يخصه بالثناء والمدح . وليس الكرم بمستغرب من هذا الفتى ، ومكانه ما هو فى الشرف ، لو نادى الشمس لألقت قناعها وكلمته ، ولو خاطب القمر لألقى إليه المقاليد وأطاع . يصبح فوق الوسائد والأنماط. كأنه السيف الصقيل وَضَاءَةً ومضاءً . ويعطى لأنه ينفر من البخل ويَلَذُّ بالعطاء كما يلذ بالماء العذب الزلال .

(١٤–١٦) وهو يجمع بين الحلم والشجاعة . فهو أحلم من (قيس) ، وأجرأ من الأسد المهيب أبى الأشبال ، وقد أمسى غاضبًا متربصًا فى خدره ، يستخف بجمع الثلاثين فلا يهاجمه استهانةً بأمره ، ويعدو وحده على جمع الثمانين .

(١٧–١٨) ويختم الشاعر قصيدته بوصف قصير لناقته . فقد طال الرحل حتى كاد يبلى لطول الإقامة وقلة الأسفار ، ومل الأعشى السكون والجمود ، فنهض إلى ناقته يكسوها خَشَب الرَّحْل ، ويبعثها فى الصحراء ، فتخالها إذ تَهْوى مسرعة فى رمل « الصُّفَيَّيْن » المتلبد مَهَاةً فقدت ولدها ، فهى تعدو مذعورة ، لا ينال القيظ منها ولا يذهب بنشاطها .

(١٩–٢١) إذا ركدت الشمس فوق الرءوس وقت الظهر ، وانمحت الظلال ، وانكمش ظل الناقة فلاذ بنحرها وكان تحت خفها أو يزيد قليلا ، علقت نظرها بقطعان المها ، وشمرت جادة لتلحق بها . تطوى رمال الصحراء البعيدة الأطراف ، فتُخْرج الظبي من كِنَاسِه ، وتبعث القطا الهاجد من مكمنه .

١٤ـ وَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ   أَبُو أَشْبُلٍ أَمْسَى بِخَفَّانَ حَارِدَا

١٥ـ وَأَحْلَمُ من قَيْسٍ وأَجْرَأُ مُقْدَمًا   لَدى الرَّوْعِ من لَيْثٍ إذا رَاحَ حَارِدَا

١٦ـ يَرَى كُلَّ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ رُخْصَةً   وَيَعْدُو إذَا كَانَ الثَّمَانُونَ وَاحِدَا

١٧ـ وَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّحْلَ قد طَالَ وَضْعُهُ   وأَصْبَحَ من طُولِ الثَّوَايَةِ هَامِدَا

١٨ـ كَسَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلَ عَنْسًا تَخَالُهَا   مَهَاةً بِدَكْدَاكِ الصُّفَيَّيْنِ فَاقِدَا

١٩ـ إذَا لَاوَذَ الظِّلُّ القَصِيرُ بِنَحْرِهَا   فكان طِبَاقَ الخُفِّ أَو قَلَّ زَائِدَا

٢٠ـ أَثَارَتْ بِعَيْنَيْهَا القَطِيعَ وَشَمَّرَتْ   لِتَقْطَعَ عَنِّي سَبْسَبًا مُتَبَاعِدَا

٢١ـ تَبُزُّ يَعَافِيرَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهَا   وَتَبْعَثُ بِالْفَلَا قَطَاهَا الهَوَاجِدَا

(١٤ ــ ١٥) مخدر أسد ملازم خدره وهو أدعى للهيبة منه . ورد من أسماء الأسد ، حارد غضبان . الروع الفزع ويستعمل بمعنى الحرب.

(١٦ ــ ١٨) الرخصة فى الأمر التخفيف . اى أن هذا الأسد يستخف بالجمع الذى هو اقل من الثلاثين ، فاذا كان الجمع من ثمانين رجلا عدا عليهم وحده ثقة بنفسه . همد الثوب بلى من طول الطى فاذا مسسته تناثر ، فهو هامد . الثواية الاقامة من ثوى بالمكان اى أقام . القتد (بفتحتين) خشب الرحل ، والجمع قتود . العنس الناقة الصلبة القوية . المهاة بقرة الوحش . الدكداك من الرمل ما تلبد بالأرض ولم يرتفع . فاقد فقدت ولدها فهى تعدو عدوا شديدا .

(١٩ ــ ٢١) لاوذ الظل بنحرها وذلك فى الظهر ، حين تكون الشمس عمودية على الأرض فتقصر الظلال وتنكمش ، ويلوذ ظل هذه الناقة برقبتها . وهو وقت يصعب فيه السير ولا يقوى عليه الا الشديد الصلب من الابل ومن الناس . والشطر الثانى ساقط فى الأوروبية أكملته من المتوكلية . أثارت أدامت النظر . السبسب المستوى من الأرض . بزه سلبه . اليعفور الظبى الأعفر بلون التراب . الصريم الرملة المنقطعة ذات الشجر . الكناس شجر تستكن فيه وحوش الصحراء من الحر . يقول ان هذه الناقة لسرعتها تزعج الوحش من كنه وقت الظهر بحفيف سيرها . الفلا الصحراء . القطا طائر فى حجم الحمام سمى بذلك من صوته ، (قطا قطا ..)

سلامة ذو فائش احد أذواء اليمن . والأذواء أمراء كانوا يحكمون فى نظام يشبه النظام الاقطاعى فى العصور الوسطى باوروبا شبها كبيرا . وكانت اليمن فى ذلك الوقت مقسمة الى مناطق كثيرة ، يحكم فى كل منطقة واحد من هؤلاء الأذواء . وكانت كل منطقة تسمى محفدا (جمعها محافد) ويتكون المحفد من قصور او حصون ، وفيها كان يقيم الأمير اوال (ذو) ، تحف به حاشيته واعوانه . وربما عظم نفوذ الواحد من هؤلاء الأذواء ، فيبسط نفوذه على من حوله من الأمراء ، فيسمى عندئذ قيلا (جمعها أقيال) . وقد تتسع مطامعه فيبنى له ملكا يتوارثه ابناؤه مكونا ما نسميه دولة ، وهو عندئذ ملك (١) . وكان أكثر اشتغال هؤلاء الأذواء بالتجارة ، ينقلونها بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق .

وفائش التى ينسب اليه ممدوح الأعشى اسم محفده الذى كان يحكمه . او هى واد ـ كما يقول صاحب القاموس ـ كان يحميه ذو فائش (او صاحب فائش) ، كما كانوا يقولون فى أوروبا لورد أوف .. أو بارون دى ولم يحفظ لنا التاريخ شيئا عن سلامة هذا ، فهو احد هؤلاء الأذواء المغمورين الذين لا يحصيهم عد . وانما رفع من ذكره وخلده أن الأعشى قد قصد اليه فمدحه . روى صاحب الأغانى عن الأعشى انه قال : اتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت اليه فانشدته :

ان محــــــلا وان مرتحـــــلا ... وان فى الســـفر اذ مضــوا مهلا
الشـــعر قلـــدته ســـلامة ذا ... فـــائش والشىء حيثمـــا جعـــلا

فقال : صدقت ، الشىء حيثما جعل . وامر لى بمائة من الابل ، وكسانى حللا واعطانى كرشا مدبوغة مملوءة عنبرا . وقال : اياك ان تخدع عما فيها . فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء (٢) . وقد زعموا انه كان لا يظهر لقومه الا مرة فى كل عام ، وكان لايظهر الا مبرقعا (٣)
وقد مدح الأعشى سلامة ذا فائش بقصيدتين ، احداهما هى هـذه القصيدة التى نحن بصددها ، والأخرى قصيدته التى اشار صاحب الاغانى الى انها أول مامدحه به (وهى القصيدة ٢٥ بالديوان . وفى أبيات المدح من هذه القصيدة تقديم وتأخير . والترتيب الذى اراه هو ٤٦ ، ٤٧ ثم ٤٢ ـ ٤٥ ثم ٥٠ ـ ٥٢ ثم ٤٨ ثم ٥٢ ـ ٥٦
وسأتبع هذا الترتيب عند تلخيص المدح .

(١ ـ ٣) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته ، وقد أخلفت ميعادها ، فبات ليلته ساهراً مؤرقا ، لا يغمض له جفن ، ولا يرقد مع الراقدين . وهو لا يذكر اسم صاحبته ولا يبالى من تكون ، وإنما يشير إليها بـ(تَيَّا) . لتكن هذه الصاحبة من تكون ، ولتذهب عنه حيث تريد ، فما هو بالضعيف الخائر ، ولن تذهب نفسه إثرها حسرات . وإنه لصلب الفؤاد ، إن وصل حبل الود فهو خليق أن يقطعه ، وهو على ذلك قدير. وإنه ليهجم على لذته ويغتصبها اغتصاباً .

(٤ ـ ٨) كم مِثْلِها مفتونة بشبابها وجمالها ، منصرفة إلى التزين ، لا يفارق جسمها طلاءُ الزعفران ، عمد إليها وقد أضافه الليل ، يلتمس غفلة العيون وفترة يقظتها ، فأَصبح خليفة زوجها عليها وسيدها الأَثير المختار ، وكم من فتى كريم يعرض عن عواذله مستدبراً ، ويصم أُذنه عن إرشادهن متصامما ، ميمون لا يصحب إلا الكرام ، ينفق فيهم ماله ، ولا يتغطى عنهم مستتراً .

(٩ ـ ١١) طرقه هذا الفتى مع الليل قبل أن يسفر الصباح ، يؤامره فى شرب الخمر ، فغدا معه يصطبحها ، فى هذا السكون الذى لم يمزق حُجُبَه صياحُ الديكة ، ولم تنغصه عين الكاشح الحسود .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٠٢ .
(٢) الأغانى ٩ : ١٢٤ .
(٣) القاموس وشرحه مادة (فيش) .

١٢–١٤) ويعرض علينا الأعشى ما كان بينه وبين الخمار فى أسلوب قصصى رائع تملؤه الحياة . وهو يصور الخمّار عِلْجًا غير عربى ، فيصفه بأنه (أزرق العينين) ويسميه (حَدّادًا) ، وكأنه حارس يذود الناس عن هذا الكنز الثمين من الخمر المختار من بكار القِطَاف ، وقد احتوته خابية ضخمة سوداءُ طليت بالقار ، وضمنت جودتها له أن لا تكسد عنده ، فهو ضنين بها ، يساوم فى ثمنها مغاليا . وينظر الأعشى إلى هذه الخابية الضخمة فيقول للخمار مشيرًا إليها (هذه . هاتها) . ما أُريد غيرها ، وخذ فيها ما شئت . ويبذل له فى ثمنها ناقة بيضاء فى حبل عبدها القائم على خدمتها . ولكن الخمار يتلكأ فى إجابتهم ، وقد علم شدة حرصهم على هذه الخمر ، فيقول : بل تزيدوننى فوقها تسعة ، وما أراكم توفون ثمنها بشىء .

(١٥–١٩) فيقول الأعشى للخادم – وهو على شوق وعجل ، يضن بالوقت أن يضيع فى هذه المساومة المملة : أعطه ما يريد . وينتظر الخمار . حتى إذا رأى الخادم يخرج المال ، أضاء خباءه الكبير بالسراج ، وقد تدلت هُدُبُه يغمرها الظلام ، وراح ينقد الدراهم قبل أن يبذل خمره . فيصيح به الأعشى متعجلا :

دراهما كلها جيد   فلا تحبِسَنَّا بِتَنْقَادِها

ويعمد الخمار إلى الدّن ، يصب لهم خمرًا تتمشى نشوتها فى المفاصل فَتُرْعِدُهَا ، ثم تستسلم للذتها فتسكن هامدة فاترة . تبدو حين تُبذَل سوداء ، فإذا مُزِجت بالماء ، وسكنت بعد إزبادها ، تكشفت عن لون أحمر جميل .

(٢٠–٢٤) تبدو فى أسفل الدن إذا أماله ليصب منه بعد أن طال قعوده ، وقد تناقصت حتى اجتمعت فى أسفله ، كأنها حوصلة النعام . ويجول الخمار عليهم بإبريقه ، وقد تخضبت كفه بما يحمل من خمر حمراء . ولا يزال يسقيهم حتى يُنفِد خمره ، وهم مالكون لرشدهم ، لم يُنْفِدُوا عقولهم ، وإن كانوا قد أنفدوا خمر الخمار . فيقومون إلى ركابهم وخيلهم ، وقد باتت على باب الخباء بأكوارها وألبادها ، تستخفهم النشوة ، وتثور بهم جائرة – وقد ظهر أثرها – بعد قصد واعتدال .

وقال يمدح سَلَامه ذا فَائِش بن يزيد بن مُرَّة بن عُرَيْب بن مَرْثَد بن حُرَيْم الحِمْيَرى :

١ ـ أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيْلَةً فَتَرْقُدَهَا مع رُقَّادِهَا (متقارب)

٢ ـ تَذَكَّرُ «تَيَّا» وأَنَّى بهَا وَقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِهَا

٣ ـ فَمِيطِى تَمِيطِى بِصُلْبِ الفُؤَاد وَصُولِ حِبَالٍ وَكَنَّادِهَا

٤ ـ وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بالشَّبَا بِ صَاكَ العَبِيرُ بأَجْسَادِهَا

٥ ـ تَسَدَّيْتُهَا عَادَنِى ظُلْمَةٌ وَغَفْلَةُ عَيْنٍ وإِيقَادِهَا

٦ ـ فَبِتُّ الخَلِيفَةَ من زَوْجِهَا وَسَيِّدَ «تَيَّا» ومُسْتَادِهَا

٧ ـ وَمُسْتَدْبِرٍ بالَّذِى عِنْدَهُ على العَاذِلَاتِ وإِرْشَادِهَا

٨ ـ وأَبْيَضَ مُخْتَلِطٍ بالكِرَا مِ لا يَتَغَطَّى لإِنْفَادِهَا

٩ ـ أَتَانِى يُؤَامِرُنِى فى الشَّمُو لِ لَيْلًا فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا

١٠ ـ أَرِحْنَا نُبَاكِرُ جِدَّ الصَّبُو حِ قَبْلَ النُّفُوسِ وحُسَّادِهَا

١١ ـ فَقُمْنَا ولَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

١٢ ـ تنخَّلَهَا مِنْ بِكَارِ القِطَاف أُزَيْرِقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا

١٣ ـ فَقُلْنَا لَهُ هذِهِ هَاتِهَا بأَدْمَاءَ فى حَبْلِ مُقْتَادِهَا

١٤ ـ فَقَالَ تَزِيدُونَنِى تِسْعَةً وَلَيْسَت بِعَدْلٍ لأَنْدَادِهَا

(١ ـ ٣) تيا اسم اشارة مثل تلك . ماط ذهب وبعد . كند الحبل قطعه .

(٤ ـ ٦) صاك لصق . العبير أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران ، وقيل الزعفران وحده . والزعفران نبات له أصل كالبصل وزهره أحمر الى الصفرة ، تستعمله العرب فى صبغ الثياب وتستعمله النساء فى التزين فتصبغ به وجهها بدل (البدرة) التى تستعملها فى هذه الأيام . تسداه ركبه وعلاه وتبعه . عاده انتابه . وقد تلالا . يقصد غفلة عين وغفلة ايقادها اى غفلة للالئها ويقظتها ، وهو يقصد عين حارسها . الخليفة الذى يخلف على الشىء . استاده اختاره . اى أنه اصبح سيدها وسيد زوجها .

(٧ ـ ٩) المستدبر الذى يعرض عن عواذله ويوليهن دبره . لايتغطى لايتساكر اذا نفدت لئلا يشترى . آمره شاوره . الشمول الخمر. غدا على الشىء بكر اليه ، هذا أصله ، ثم استعمل فى الذهاب والانطلاق فى اى وقت كان .

(١٠ ـ ١٢) أرحنا ، اراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعياء ، وصار مستريحا . جد الصبوح ، الجد العجلة ، الصبوح خمر الصباح. جونة سوداء يقصد خابية الخمر لانها كانت تطلى بالقار (وهو مانسميه الزفت) لتسد مسامها فلا ترشح . حدادها صاحبها الذى يحد الناس اى يذودهم عنها لنفاستها . تنخلها تخيرها . بكار القطاف اول ما يقطف . ازيرق هو الخمار جعله ازرق لانه علج ليس عربيا ، وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم . آمن كسادها لجودتها .

(١٣ ـ ١٤) أدماء ناقة صادقة البياض سوداء الأشفار .

١٥ ـ فَقُلْتُ لِمِنْصَفِنَا أَعْطِهِ ‏ فَلَمَّا رَأَى حَضْرَ شُهَادِهَا

١٦ ـ أَضَاءَ مِظَلَّتَه بالسِّرَا ‏ جِ واللَّيْلُ غَامِرُ جُدَّادِهَا

١٧ ـ دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ ‏ فَلَا تَحْبِسَنَّا بِتَنْقَادِهَا

١٨ ـ فَقَـــامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً ‏ تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا

١٩ ـ كُمَيْتًا تَكَشَّفُ عن حُمْرَةٍ ‏ إِذَا صَرَّحَتْ بَعْدَ إِزْبَادِهَا

٢٠ ـ كَحَوْصَلَةِ الرَّأْلِ فِى دَنِّهَا ‏ إِذَا صُوِّبَتْ بَعْدَ إِقْعَادِهَا

٢١ ـ فَجَـــالَ عَلَيْنَا بِإِبْرِيقِهِ ‏ مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرْصَادِهَا

٢٢ ـ فَبَاتَتْ رِكَابٌ بِأَكْوَارِهَا ‏ لَدَيْنَا وخَيْلٌ بِأَلْبَادِهَا

٢٣ ـ لِقَوْمٍ فَكَانُوا هُمُ الْمُنْفِدِين ‏ شَرَابَهُمُ قَبْلَ إِنْفَادِهَا

٢٤ ـ فَرُحْنَا تُنَعِّمُنَا نَشْوَةٌ ‏ تَجُورُ بِنَا بَعْدَ إِقْصَادِهَا

٢٥ ـ وَبَيْدَاءَ تَحْسِبُ آرَامَهَا ‏ رِجَالَ إِيَاد بِأَجْلَادِهَا

٢٦ ـ يَقُولُ الدَّلِيلُ بِهَا لِلصِّحَا ‏ بِ لَا تُخْطِئُوا بَعْضَ أَرْصَادِهَا

٢٧ ـ قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا ‏ بِعَرْفَاءَ تَنْهَضُ فِى آدِهَا

٢٨ ـ سَدِيسٍ مُقَذَّفَةٍ بِاللَّكِيـ ‏ كِ ذَاتِ نَمَاءٍ بِأَجْلَادِهَا

٢٩ ـ تَرَاهَا إِذَا أَدْلَجَتْ لَيْلَةً ‏ هَبُوبَ السُّرَى بَعْدَ إِسْآدِهَا

(١٥ ـــ ١٨) المنصف والناصف الخادم والوصيف . الشهاد الدراهم ، والشاهد الحاضر والمبذول والسريع . مظلته خباؤه . الجداد الهدب الذى يبقى فى أسفل النسيج . نقد الدراهم ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها .

(١٩ ـــ ٢١) كميت حمراء تضرب الى السواد . فاذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت ذهب زبدها . الرأل ولد النعام . اى انها تناقصت لطول مكثها فى الدن حتى صارت فى أسفله كحوصلة الرال . صوبت أمليت وصبت . اقعادها طول بقائها فى الدن . الفرصاد التوت وهو أحمر .

(٢٢ ـــ ٢٥) الأكوار جمع كور وهو الرحل . الألباد جمع لبد (بكسر اللام) وهو الصوف المتلبد الذى يجعل على ظهر الفرس تحت السرج حتى لا يؤذى ظهره . جار مال عن القصد ، الآرام حجارة تنصب فى الصحراء ليهتدي بها المسافر . أجلاد الانسان جسمه وبدنه ، واياد توصف بضخامة الاجسام .

(٢٦ ـــ ٢٩) الارصاد الاعلام او الطرق . خب طال وخفق . الريعان السراب . ناقة عرفاء ضخمة السنام اى أن سنامها صار لها كالعرف . الآد القوة . السديس التى القت سدسها وذلك فى السنة السادسة . اللكيك اللحم المكتنز . النماء الزيادة . أجلادها جسمها . الادلاج سير الليل كله . هبوب نشيط . باب يسئد السير اى يديمه .

ويتخلص الأعشى من الخمر ليصف قسوة الصحراءِ وصعوبة الانتقال فيها وصبره على ركوبها. والصحراءُ جزء من حياة الفتى العربى . فحياته أشبه بقصص الفروسية فى العصور الوسطى : مغامرة ، وخمر ، ونساء . وهو إذا ذكر الخمر والنساءَ لم يلبث أن يتبعها بالمغامرة وركوب الأهوال فى الصحراءِ ،وكأنه يستمد من المتعة قوته ، ويجددُ بها نشاطه .

(٢٥–٢٩) هذه هى البيداءُ ، قد قامت على طرقها أعلام الحجارة الضخمة لتهدى المسافر السبيل ، وكأنها رجال (إياد) بأجسامهم الضخام . يقول الدليل فيها لصحبه : تتبعوا هذه الأعلام ، وإياكم أن تخطئوها فتضلوا الطريق .

ما أكثر ما قطع الأعشى مثل هذه الصحراءِ فى حر الهاجرة الملتهب حين يرتفع السراب ، فوق ناقة ضخمة السنام نهضت فى قوتها وقد اكتمل شبابها فى سنتها السادسة ، فاكتنز جسمها باللحم ، وبدت رائعة ضخمة البناء ، تسرى الليل كله لا تكل ، ولا يذهب بنشاطها إدمان السير .

ويشبه الأعشى ناقته فى كفاحها الطويل للتغلب على مصاعب الصحراءِ ، وفى تخطيها لكل ما تصادفه من عقبات ، ببقرة وحشية ، ثم ينصرف إلى تصوير هذه البقرة فى معركة حامية مع كلاب صيد عرضت لها ، فراحت تدافع عن نفسها فى بسالة حتى تغلبت عليها . ويختم هذه الصورة المطولة بأن يقول إن ناقته تشبه هذه البقرة الجريئة الصبور .

(٣٠–٣٤) هى بقرة ضل صغيرها فى قُنَّةِ «جَوّ» بين صخورها الغليظة ، فباتت وحيدة مستوحشة ، تضم أحشاءها على حزن كمين . فلما أسلمها ليلُها الحزين إلى الصباح ، لقيتها كلاب الصيد الضارية ، فاندفعت إليها وقد أغراها بها الصياد . فلم تزل تجرى وتجول هنا وهناك ، تحاورها وتداورها ، حتى أجهدها الجولان ، وأجهد أرجلها الأربع . ولم تجد هذه البقرة بدًّا من الاستبسال ، فثبتت فوق الأرض الصلبة المنبسطة التى لا يواريها شجر أو نبات ، لاتحاول أن تترك مكانها هاربة :

(٣٥–٣٨) ولكنها تكر على الكلاب بقرنها كلما أعجلَتْها بالهجوم ، فتحمى جلدها أن تناله أنيابُها فتمزقه . وتُنْفِذُ قرنَها فى ضلوعها .

٣٠ ـ كَعَيْنَاءَ ضَلَّ لَهَا جُؤْذُرٌ ... بِقُنَّةِ جَوٍّ فَأَجْمَـــادِهَا
٣١ ـ فَبَاتَتْ بِشَجْوٍ تَضُمُّ الحشا ... عَلَى حُزْنِ نَفْسٍ وإِيحَادِهَا
٣٢ ـ فَصَبَّحَهَا لِطُلُوعِ الشُّرُوقْ ... ضِرَاءٌ تَسَامَى بِإِيسَادهَا
٣٣ ـ فَجَالَتْ وَجَالَ لَهَا أَرْبَعٌ ... جَهَدْنَ لَهَا مَعَ إِجْهَادِهَا
٣٤ ـ فَمَا بَرَزَتْ لِفَضَاءِ الجَهَادْ ... فَتَتْرُكَهُ بَعْدَ إِشْرَادِهَا
٣٥ ـ وَلَكِنْ إِذَا أَرْهَقَتْهَا السِّرَا ... عُ كَرَّتْ عَلَيْهِ بِمِيصَادِهَا
٣٦ ـ فَوَرَّعَ عَنْ جِلْدِهَا رَوْقُهَا ... يَشُكُّ ضُلُوعًا بأَعْضَادِهَا
٣٧ ـ فَتِلْكَ أُشَبِّهُهَا إِذْ غَدَتْ ... تَشُقُّ البِرَاقَ بإِصْعَادِهَا
٣٨ ـ تَؤُمُّ سَلَامَةَ ذَا فَائِشٍ ... هُوَ اليَوْمَ حَمٌّ لِمِيعَادِهَا
٣٩ ـ وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ صَفْصَفٍ ... وَدَكْدَاكِ رَمْلٍ وَأَعْقَادِهَا
٤٠ ـ وَيَهْمَاءَ باللَّيْلِ غَطْشَى الفَلَا ... ةِ يُؤْنِسُنِى صَوْتُ فَيَّادِهَا
٤١ ـ وَوَضْعِ سِقَاءٍ وإِحْقَابِهِ ... وَحَلِّ حُلُوسٍ وإِغْمَادِهَا
٤٢ ـ فَإِنْ حِمْيَرٌ أَصْلَحَتْ أَمْرَهَا ... وَمَلَّتْ تَسَاقِىَ أَوْلَادِهَـــا
٤٣ ـ وُجِدْتَ إِذَا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ ... وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا
٤٤ ـ وَإِنْ حَرْبُهُمْ أُوقِدَتْ بَيْنَهُمْ ... فَحَرَّتْ لَهُمْ بَعْدَ إِبْرَادِهَا

(٣٠ ـــ ٣٤) عيناء بقرة وحش سميت بذلك لسعة عينها وسوادها . الجؤذرولدها (ضل) عن المتوكلية ، ورواية الاوروبيـــة (ظل) . الأجماد جمع جمد (بكسر الجيم) وهو الأرض الغليظة . الشجوالحزن . ايحادها انفرادها ووحشتها لبعد ولدها منها . ضراء جمع ضرو (بكسر فسكون) وهو كلب الصيد . تسامى تتطاول . ايسادها اغراؤها . وآسد الكلب بالصيد أغراه . جال لها اربع يعنى قوائمها . الجهاد الأرض الصلبة البارزة .

(٣٥ ـــ ٣٨) ارهقتها أعجلتها ، وروى (رهقتها) اى غشيتها . السراع الكلاب . ميصادها قرنها . ورع كف . الاعضاد جمع عضد (بفتح ثم ضم) . البراق جمـــع برقة وهى أرض متلبدة يختلط فيها الحصى بالرمل والطين. اصعادها ارتفاعها وسيرها الى العالية. حم اى قصد .

(٣٩ ـــ ٤١) الصفصف المستوى من الأرض الذى لا ينبت . الدكداك المتلبدمن الأرض . الأعقاد المتعقد المتراكم من الرمال . يهماء صحراء مطموسة المسالك . غطشى مؤنث اغطش اى مظلمة . الفياد ذكر البوم . احقابه ، كل ما ربطه الرجل خلفـــه فقد احقبه . الحلس ما يوضع فوق ظهر البعيـــر والدابة تحت الرحل او السرج ليقى ظهره . أغمد الراكب متاعه ركبه ، واغمد الحلس جعله تحت الرحل .

(٤٢ ـــ ٤٤) تساقى القوم سقى كل واحد صاحبه ، اى ملت قتل ابنائها فى الحرب فهم لا يتساقون الماء ، ولكنهم يتبادلون ابناءهم الذين يقتلون فى الحرب . ثقب الزند خرجت ناره .

ويعود الشاعر إلى ناقته فيقول إنها تشبه هذه البقرة الباسلة ، وقد غدت تشق ما يعترض طريقها من أرض غليظة ، ماضية فى طريقها إلى (سلامة ذى فائش) لا تَلْوى على شىء ، حتى تبلغ ميعادها المقصود .

ويذكر الشاعر لممدوحه ما لقى فى سبيل الوصول إليه من صعاب .

(٣٩–٤١) فكم دون بيته من مراحل طويلة ، بين أرض مستوية ورمال ، منها المتلبد الساكن ، ومنها المنعقد المتراكم . وكم دون بيته من صحراء قد عميت مسالكها على السالكين ، يفزعه فيها صوت البوم ، إذ ينعق فى ظلام الليل البهيم ، فيزيد فى وحشته وروعته . وكم دون بيته من سفر مُضْنٍ مُمِضٍ تُحَطّ فيه الرحال تارة للاستراحة ، وتثبت أُخرى لمواصلة الرحلة .

(٤٦–٤٧) ثم يقبل الشاعر على ممدوحه فيقول : كان قوم يتمنون أن يشتبكوا معك فى حرب طويلة ، ويظنون أنهم يصبرون لها . وكانوا قبل أن تصيبهم الحرب موفورى القوة والنشاط . فقد جربها الذين كانوا يطلبونها ، وهاهم أُولاء يكتوون بنارها.

ثم يتجه إلى قبائل حِمْيَر – قوم الممدوح – فيقول :

(٤٢–٤٥) إن أصلحتم أمركم ، ومللتم هذه الحروب التى تهلكون فيها أبناءكم وتتساقونهم ، وجدتموه خيركم فى السلم وأوراكم زنادا . فإن أبيتم إلا أن توقدوا بينكم الحرب وتتلظوا بنارها ، تستبدلونها من برد السلام وأمنه ، فستجدونه أصبركم على أرزائها ، وأجلدكم على إدمانها .

(٥٠–٥٢) كم فى بيته من سَبِيَّة قد أحرزها لم يدفع فيها مهرًا ، وأُخرى يطلب أهلُها أن يفتدوها بالمال . وكم فيه من نوق ساقتها إليه الغارة ، فنُزِعَتْ من فناء أصحابها لتقيم فى فنائه وتضاف إلى إبله ، وبدلت بأسمائها القديمة أسماء أُخرى جديدة . هذا رجلٌ خَيْرٌ جزل العطاء .

٤٨ – تَعْرِضُ له كثير من المواطن التى تقتضى البذل فلا يضن ولا يضيق .

(٥٣–٥٦) يهلك ماله حين يشتد القحط فى الشتاء ، وتهزل النساء ، فتجول جبائرها فى أعضادها . (والجبيرة سوار تتزين به المرأة وتضعه فى عضدها) وإن فى قومه لعفة ووفاء . تجاورهم المرأة فيقومون مقام أهلها وعشيرتها ، لا يطمعون فى مالها فيسعون لنكاحها إن كانت ذات ثراء ، ولا يضيقون بها فيُسْلِمُونها إن كانت فقيرة معدمة . فإذا شهدوا الحرب وجدتهم شجعانا ينهضون بأعباء القتال .

٤٥ ـ وُجِدْتَ صَبُورًا عَلَى رُزْئِهَا ... وَحَرِّ الحُرُوبِ وَتَرْدَادِهَا
٤٦ ـ وَقَالَتْ مَعَاشِرُ مَنْ ذَا لَنَا ... بِحَرْبٍ عَوَانٍ وَتَطْرَادِهَا
٤٧ ـ وَكَانُوا بِشَحْمِ الكُلَى قَبْلَهَا ... فَقَدْ جَرَّبُوهَا لِمُرْتَادِهَـــا
٤٨ ـ كَثِيرُ النَّوَافِلِ تَبْرِى لَهُ ... مَرَازِىءُ لَيْسَ بِعَدَّادِهَا
٤٩ ـ .... وتَعْرِضُ أُخْرَى بِأَذْوَادِهَا
٥٠ ـ وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ ... وأُخْرَى يُقَالُ لَهُ فَادِهَـــا
٥١ ـ وَمَنْزُوعَةٍ مِنْ فِنَاءِ امْرِىءٍ ... لِمَبْرَكِ آخَرَ مُزْدَادِهَا
٥٢ ـ تَدُرُّ عَلَى غَيْرِ أَسْمَائِهَا ... مُطَرَّفَةً بَعْدَ إِتْلَادِهَا
٥٣ ـ هَضُومُ الشِّتَاءِ إِذَا المُرْضِعَا ... تُ جَالَتْ جَبَائِرُ أَعْضَادِهَا
٥٤ ـ وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً ... يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا
٥٥ ـ فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى ... وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِإِزْهَادِهَا
٥٦ ـ أُنَاسٌ إِذَا شَهِدُوا غَارَةً ... يَكُونُونَ ضِدًّا لِأَنْدَادِهَا

(٤٥ — ٤٧) الحرب العوان التى قوتل فيها مرة بعد مرة ، واصله العوان من البقر والخيل ، وهى التى ولدت بعد بطنها الأولى . التطراد الطرد والسوق والابعاد . بشحم الكلى أى فى نشاطهم وكامل قوتهم . مرتادها طالبها ، والرود (بفتح فسكون) الطلب .

(٤٨ — ٥١) تبرى له تعرض له . مرازىء من رزاه ماله اذا أصاب منه شيئا ، والمرزءون (بتشديد الزاى وفتحها) الكرماء . الأذواد جمع ذود وهو جماعة الابل . غير ممهورة لانها سبية اخذت قهرا فى الحرب . ومنزوعة ناقة اخذت فى غنائم الحرب .

(٥٢ — ٥٤) تدر على غير أسمائها ، سميت عنده بغير أسمائها ، وكانت العرب تسمى الخيل والجمال وخصوصا العتيق الكريم منها . مطرفة اى كانت تليدة موروثة عند أصحابها فأصبحت مستحدثة عنده . الهضوم الذى ينفق ماله ، وبلد هضوم تجـــود بما لديها .

الجبائر جمع جبيرة وجبارة وهى سوار عريض تلبسه المرأة فى العضد . جالت الجبائر فى أعضادها كناية عن الهزال ، والأصل فى الجبارة أن تكون لاصقة بالعضد لاتجول ولاتتحرك . الأنضاد الاعمام والاخوال .

(٥٥ — ٥٦) سرها نكاحها . اى انهم لا يتزوجونها طمعا فى مالها . لن يسلموها لا يتخلون عنها ويتركونها . لازهادها اى زهدا فيها لفقرها . اى انهم لا يفعلون ما يفعلون بدافع الطمع ، ولكنهم يفعلونه بدافع الشهامة والنخوة والقيام بالواجب والوفاء به .

— ٩ —

تتصل هذه القصيدة فى موضوعها بالقصيدة (٦) « ودع هريرة ان الركب مرتحل » ولكنها تليها من الناحية التاريخية ، ويبدو ان الشر قد تفاقم حتى تجاوز البيوت الصغيرة الى الحيين الكبيرين ، قيس بن ثعلبة (الذى ينتمى اليه اعشى) ، وشيبان بن ثعلبة (الذى ينتمى اليه يزيد بن مسهر) . ولذلك فالأعشى هنا يوجه معظم هجائه الى (شيبان)، وقد كان يخص به (يزيد) فى القصيدة السابقة .

(١ ـ ٤) يبدأ الأَعشى بذكر صاحبته (هُرَيْرَة) التى بدأ قصيدته السابقة بذكرها . ويبدو فى استهلاله شئ من الضيق والغضب حين يقول (هريرة ودعها) .. نعم ودعها وإن لام اللائمون. ويعود فيخاطب نفسه ، وكأَنها لم تستجب لأَمره الصارم العنيف : مالك لا تفعل؟ أأَنت واجم لفراقها؟ أَلم يكفك عام طويل قد أَقمته معها؟ إن حولا كاملا لحقيق بأَن يشفى نفسك ويقضى حاجتك ، (ويَسْأَمُ سَائمُ) ! ... لكن هذا العنف الذى يخاطب به الأَعشى نفسه ليس إلا صورة لحبها العنيف المتمكن من قلبه ، فهو لا يستطيع أَن ينساها ، ولا يستطيع أَن يتخلص من صورتها المتسلطة على خياله . وها هو ذا يرسم لنا صورة من هذا الطيف ... إنها رائعة الحسن والقوام ، كأَنما قُدَّ الحسن على أَعضائها بمقدار . ناعمة الشباب ، لها عينان كأَنهما عينا ظبى أَبيض خالص البياض . ولها شعر أَسود فاحم ، ووجه صاف نقى اللون ، يزيد فى فتنته صدر ومعاصم تكسوهما الحلى .

(٥ ـ ٦) وثغر ، بسام ناصع البياض كأَنه نَوْر الأُقحوان .. إنها هَمُّه الذى لا هم غيره . ولكن أَنَّى له بها وهى بعيدة لا تدنو ، ولا يستطيعها من العيس إلا السريع الجليد.

ويتعجل الأَعشى غزله ، فيفرغ منه بعد هذا الحديث القصير الذى لايتجاوز ستة أَبيات ، وقد رأَيناه يطيله فى القصيدة السابقة (٦) حتى يبلغ به أَربعة وأَربعين بيتًا . ولكنه هنا مشغول مهموم ، لا يكاد يفرغ لصاحبته ، فهو لا يلبث أَن يقول :

(٧ ـ ٩) دع عنك هذا الحديث إلى ما يشغل بالك ويعنيك ، واعمدْ بشعرك لغيرها ، تَكْوِى به الأُنوف ، فتظل موسومة به أَبدًا .

وقال يهجو يزيد بن مُسْهِر الشَّيْبانى :

١ ـ هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لَامَ لَائِمُ ... غَدَاةَ غَد أَمْ أَنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ (طويل)

٢ ـ لَقَدْ كَانَ فِى حَوْل ثَوَاءٍ ثَوَيْتَهُ ... تَقَضِّى لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

٣ ـ مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ رَوْدٌ شَبَابُهَا ... لَهَا مُقْلَتَا رِئْمٍ وَأَسْوَدُ فَاحِمُ

٤ ـ وَوَجْهٌ نَقِىُّ اللَّوْنِ صَافٍ يَزِينُهُ ... مَعَ الحَلْى لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمُ

٥ ـ وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ

٦ ـ هِىَ الهَمُّ لَا تَدْنُو ولا يَسْتَطِيعُهَا ... مِنَ العِيسِ إلا النَّاجِيَاتُ الرَّوَاسِمُ

٧ ـ فَدَعْهَا لِمَا يَعْنِيكَ وَاعْمِدْ لِغَيْرِهَا ... بِشِعْرِكَ واعلُبْ أَنْفَ من أَنْتَ وَاسِمُ

٨ ـ رَأَيْتُ بَنِى شَيْبَانَ يَظْهَرُ مِنْهُمُ ... لِقَوْمِىَ عَمْدًا نِغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

٩ ـ فَإِنْ تُصْبِحُوا أَدْنَى العَدُوِّ فَقَبْلَكُم ... مِنَ الدَّهْرِ عَادَتْنَا الرِّبَابُ وَدَارِمُ

١٠ ـ وَسَعْدٌ وَكَعْبٌ والعِبَادُ وَطَيِّءٌ ... وَدُودَانُ فِى أَلْفَافِهَا والأَرَاقِمُ

١١ ـ فَمَا فَضَّنَا مِنْ صَائِغٍ بَعْدَ عَهْدِكُم ... فَيَطْمَعَ فِينَا زَاهِرٌ والأَصَارِمُ

١٢ ـ وَلَنْ تَنْتَهُوا حَتَّى تَكَسَّرَ بَيْنَنَا ... رِمَاحٌ بِأَيْدِى شُجْعَةٍ وَقَوَائِمُ

١٣ ـ وَحَتَّى يَبِيتَ القَوْمُ فِى الصَّفِّ لَيْلَةً ... يَقُولُونَ نَوِّرْ صُبْحُ واللَّيْلُ عَاتِمُ

١٤ ـ وُقُوفًا وَرَاءَ الطَّعْنِ وَالْخَيْلُ تَحتَهُمْ ... تُشَدُّ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ القَوَادِمُ

(١ ـ ٣) البين الفراق . واجم حزين ساكت . ثوى بالمكان أقام . اللبانة الحاجة . مبتلة جميلة تامة الخلق ، كأن الجمال بتل على اعضائها أى قطع . هيفاء خميصة البطن . رود ناعمة . الريم الظبى الابيض الخالص البياض . أسود فاحم شعر أسود شديد السواد .

(٤ ـ ٦) اللبة موضع النحر . غر جمع اغر وهو الابيض . الثنايا الأسنان التى تبدو عند الابتسام . الاقحوان نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء ، وأوراق زهرة مفلجة صغيرة ، يشبهون بها الأسنان . متناعم ريان . الهم موضع الاهتمام والتفكير . ناقة ناجية سريعة . رسمت الناقة رسيما اثرت فى الأرض ، والرسوم التى تبقى على السير يوما وليلة .

(٧ ـ ١٠) العلب الأثر . وسمه كواه واثر فيه . النغصة كدر العيش ، الرباب هم ضبة وتيم وعدى وعكل وثور . دارم من تميم . العباد قبيلة كانت تسكن العراق . سعد من هوازن . دودان من أسد بن خزيمة ، منهم الكميت بن زيد الشاعر الشيعى . الاراقم من تغلب ، الفافها جماعاتها .

(١١ ـ ١٤) فما فضنا ، الفض الكسر . زاهر بن سيار من بنى همام ، وقد تقدمت القصة فى القصيدة (٦) . الليل عاتم محتبس . القوادم جمع قادم وهو الراس .

ويقبل على بنى شيبان فيوجه إليهم خطابه قائلا :

رَأَيْتُ بنِى شَيْبَانَ تَظْهَرُ مِنهُمُ   لِقَوْمِى عَمْدًا نِغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

ويقول لهم : إن تصبحوا أَقرب الأَعداءِ وآخرهم فقد عادانا من قبلكم كثير.

(١٠–١٤) وهو يعدد لهم من ذاق عداوتهم من القبائل فلم يصبر عليها ، قائلا: إننا على عهدكم بنا لم يكسر شوكتَنا أَحَدٌ ، ولم يغيرنا عن أخلاقنا شىءٌ ، ففيم إذن يطمع فينا زاهر والأَراقم ؟ إنكم لن تنتهوا حتى تتكسر بيننا رماح وسيوف ، وحتى يبيت القوم فى قتال مرير ، قد شدَّتْ رءُوسهم فوق أكتافهم شدًا .

(١٥–١٩) ومن تحتهم الخيل تقتحم الزحام ، مندفعة إلى القتال ، كلما سمعت زجر من فوقها من الفرسان الضراغم أُسُودِ (الزَّارَتَيْنِ) . تقولون وقد اشتد بكم الكرب ، وأَجهدكم القتال ، (نَوِّرْ صُبْحِ!) ، والليل جاثم طويل ، لم ينته إلا أقله . لن تنتهوا حتى يكون بيننا مثل هذا القتال العنيف ، أَو تكسروا من حدتكم ، فإنما جنون من حَيَّرَه الشر وخبَلَه الجهلُ والسَّفَهُ على نفسه .

إنكم إن لقيتمونا لقيتم بنا قوما لا يجبن سلاحهم ،حين تكون الجماجم أهداف السيوف . وإن أَبناءَنا ليتسابقون إلى القتال ، كما يتسابق الظماءُ إلى الماءِ .

(٢٠–٢٤) وأَهْوِنْ بما يقول عنا يزيد بن مسهر ! فستمدنا (اللهازم) وتجتمع إلينا بِرَغْمِهِ[1] وإنه لينفر منى حين يلقانى ، ويصرف عنى نظره ، مقطبا وجهه ، كأنما وُضِعَتْ بين عينيه المحَاجِم . وما أُبالى أَن يديم الله غصَّته بى ، وما أُبالى أَن أَكون شَجًى فى حلقه .

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى   وَلَا تَلْقَنِى إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

ويخص الأَعشى يزيد بن مسهر بخطابه ، لأَنه سبب هذا الشر الذى وقع بين الحيين ، فيقول له : لئن جد بيننا التقاطع ، لتقتلن مخلفًا أَموالك التى تعتز بها (عليها الخواتم) ، ولتجتمعن عليك النساءُ فى مأْتمك ، يندبنك نائحات ، (يقلن : حَرَامٌ ما أُحِلَّ بربنا) — والأَعشى هنا غاية فى البراعة حين يحكى

(١) اللهازم هم قيس بن ثعلبة وعجل بن بكر وحنيفة بن بكر وعنزة ، وهؤلاء حلف .

١٥ - إِذَا مَا سَمِعْنَ الزَّجْرَ يَمَّمْنَ مُقْدَمًا ... عليها أُسُودُ الزَّارَتَيْنِ الضَّرَاغِمُ
١٦ - أَبَا ثَابِتٍ أَوْ تَنْتَمُونَ فَإِنَّمَا ... يَهِيمُ لِعَيْنَيْهِ مِنَ الشَّرِّ هَائِمُ
١٧ - مَتَى تَلْقَنَا وَالْخَيْلُ تَحْمِلُ بَزَّنَا ... خَنَاذِيذَ مِنْهَا جِلَّةٌ وَصَلَادِمُ
١٨ - فَتَلْقَ أُنَاسًا لَا يَخِيمُ سِلَاحُهُمْ ... إِذَا كَانَ حَمًّا لِلصَّفِيحِ الجَمَاجِمُ
١٩ - وَإِنَّا أُنَاسٌ يَعْتَدِى البَأْسَ خَلْفُنَا ... كَمَا يَعْتَدِى المَاءَ الظِّمَاءُ الحَوَائِمُ
٢٠ - لَهَانَ عَلَيْنَا مَا يَقُولُ ابنُ مُسْهِرٍ ... بِرَغْمِكَ إِذْ حَلَّتْ عَلَيْنَا اللَّهَازِمُ
٢١ - يَزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِى كَأَنَّمَا ... زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَىَّ المَحَاجِمُ
٢٢ - فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلَا تَلْقَنِى إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ
٢٣ - فَأُقْسِمُ إِنْ جَدَّ التَّقَاطُعُ بَيْنَنَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يَوْمًا عَلَيْكَ المَآتِمُ
٢٤ - يَقُلْنَ حَرَامٌ مَا أُحِلَّ بِرَبِّنَا ... وَتَتْرُكُ أَمْوَالًا عَلَيْهَا الخَوَاتِمُ
٢٥ - أَبَا ثَابِتٍ لَا تَعْلَقَنْكَ رِمَاحُنَا ... أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَعِرْضُكَ سَالِمُ
٢٦ - أَفِى كُلِّ عَامٍ تَقْتُلون ونَتَّدِى ... فَتِلْكَ التى تَبْيَضُّ مِنْهَا المَقَادِمُ
٢٧ - وذَرْنَا وقَوْمًا إِن هُمُو عَمَدُوا لَنَا ... أَبَا ثَابِتٍ وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ نَاعِمُ
٢٨ - طَعَامُ العِرَاقِ المُسْتَفِيضُ الَّذِى تَرَى ... وَفِى كُلِّ عَامٍ حُلَّةٌ وَدَرَاهِمُ

(١٥ — ١٨) الزارة الاجمة ذات الماء والحلفاء والقصب . انتمى ينتمى انكسر . رجل هائم وهيوم متحير . البز السلاح . خناذيذ كرام . قوم جلة عظماء سادة . صلادم غلاظ شداد . يخيم يجبن . حما قصدا . الصفيح السيوف .

(١٩ — ٢١) خلفنا نسلنا ، يسرعون الى الحرب . الحائم العطشان والذى يدور حول الماء . اللهازم قيس بن ثعلبة وعنزة وعجل وحنيفة ، زوى جمع بين عينيه وقبضه . المحاجم جمع محجم (بكسر الميم) وهو ما يحجم به . وحجم طرفه عنى صرفه .

(٢٢ — ٢٥) الريح تصفق الأشجار فتصطفق اى تضطرب ، والنساء يصطفقن على الميت . اقصر كف عن الأمر .

(٢٦ — ٢٨) اتدى اخذ الدية ولم يثار بقتيله . القوادم جمع قادم ، وقادم الانسان راسه . عمد له قصده . ناعم مترف لا يحتمل الحرب .

(٣٠-٣٤) ومنا السيد الماجد يوم (الهَمَامِيْن) ، إذ جنى الجناة جنايتهم فى (نَطَّاع) ، ثم شفع فى مائه منهم فأَطلق سراحهم[1] . ومنا الذى شفع عند المنذر بن ماء السماء فى سبايا شَيْبَان ، وقد عرضهن على النار وأمر بإحراقهن ، فاستجاب لشفاعته ووهبهن له .

(٣٥-٣٧) وإنا لنبذل أموالنا فى السنة الشديدة القحط ، حين تغبر آفاق السماء ، ويسرع الراعى إلى لِقَاحِه ، يُؤْويها خشية البرد . فى مثل هذه السنة نهين إبلنا فنذبحها للطارقين ، فنخرج منها وعرضنا عزيز موفور . وإنا لَنَحُلُّ الدار المخوفة التى لا ماء فيها ولا نبات ، فلا ترانا فيها إلا سَرَاة ، ولا ترانا إلا أَهل حِفَاظ ، لا يلطخ شرفَنَا شَيْنٌ أَو عار .

١) و١ ... يوم الصفقة فى القصيدة (١٣) من هذا الديوان . وفى الأغانى ١٦ : ٧٨ ، ابن الأثير ١ : ٣٧٨ ، العقد الفريد ٦ : ٧٩ ، أيا من ... يو ... وراجع كذلك يوم أوارة فى ابن الأثير ١ — ٣٢٤ ، أيام العرب ٩٩ . فى القصيدة هنا شىء من الاضطراب و١ لخلط ، بيت ... وبو ... أوراة ، يرجع فى الغالب الى سقوط بعض أبيات القصيدة ، والتقديم والتأخير فى بعضها الآخر .

ألفاظ النساء ، فيصور حزنهن العاجز الضعيف ، وكأنه لم يعد هناك من رجال بني شيبان من يثأر للقتيل . وقصارى ما يبلغون من الثأر له ، أن تتحسر عليه النساءُ فى هذه الكلمات العاجزة .

٢٥ ـ انْجُ بنفسك قبل أن تنالك رماحنا ، وأقصِرْ قبل أن يمزَّق عرضك ، ودعنا ومن يبغينا الشر ، وتنحَّ أنت عما لا شأن لك به ، وعما لا تصلح له .

(٢٧–٢٩) وهل أنت إلا رجل ناعم ، يأتيك طعام العراق وأنت قاعد ، (وفى كل عام حُلَّةٌ ودراهم) ، يفيضها عليك ملوك العراق !

أتحض بني سيار على قتل سادتنا وأشرافنا ، ثم تزعم بعد القتل أن لا يد لك فيه ؟

٢٦ ـ أفى كل عام تَقْتُلون ، ونقبل نحن الدية إبقاءً على الرحم والقربى ! أمَا للشر من نهاية ؟ إن هذا لهو البلاءُ الذى تشيب له الرءُوس .

(٣٠–٣٤) لن ينهى هذا الا حرب تقلق الإبل السارحة فى مرعاها ، ويفيق فيها النائمون من سباتهم بالطعنة النافذة ، يندفع منها الدم حتى يغشى فُرُشَهم ، ويبيت فيها المطعون قد أُوقدت من حوله النار ، وتُسْبَى فيها النساءُ ، فنجد السيدة الكريمة تخدم ابنة عمها ، ممتهنة مبتذلة ، كفعل الخدم والإماء . تستشفع بالقرابة والرحم ، إذ تتصل ببكر بن وائل . وبكر هى التى أحلت سباءَها ، وأنف قومها المعتدين راغم ذليل .

— ٩ —

٢٩ ـ أتأمر سيارا بقتل سراتنا   وتزعم بعد القتل أنك سالم
٣٠ ـ أبا ثابت إنا إذا تسبقننا   سيرعد سرح أو ينبه نائم
٣١ ـ بمشعلة يغشى الفراش رشاشها   يبيت لها ضوء من النار جاحم
٣٢ ـ تقر به عين الذى كان شامتا   وتبتل منها سرة ومآكم
٣٣ ـ وتلفى حصان تخدم ابنة عمها   كما كان يلفى الناصفات الخوادم
٣٤ ـ إذا اتصلت قالت أبكر بن وائل   وبكر سبتها والأنوف رواغم

(٢٩ — ٣١) بنو سيار قوم زاهر المقتول ، والقصة فى القصيدة (٦) . السرح الابل الراعية . مشعلة طعنة واسعة يتفرق منها الدم مندفعا. جاحم متوقد ، يوقدون عند المطعون ليعرفوا حاله فى كل ساعة .

(٣٢ — ٣٤) قرت عينه بردت سرورا أو رأت ما كانت متشوقة اليه . تبتل تقطع . المآكم جمع مأكمة وهى العجيزة يكنى بهـــا عن المرأة . ويقصد بقطع السرة والمآكم قطع الأرحام والقرابة ، لأن الحيين المتخاصمين ابناء عم . حصان سيدة كريمة . الناصـــفات الخادمات . اتصلت انتمت وانتسبت ، تنتسب الى بكر بن وائل جد الحيين المتخاصمين ، تقربا الى الذين سبوها فى الحرب.

شيبان بن شهاب الجحدرى الذى يهجوه الاعشى فى هذه القصيدة هو احد سادة بنى جحدر . وهو جد المسامعة . وحفيده أبو غسان مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب ، سيد ربيعة فى فتنة ابن الزبير . وبنو جحدر هم بنو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة هو الفرع الذى ينتمى اليه بيت الاعشى (سعد بن ضبيعة) . فشيبان بن شهاب هذا قريب القرابة من الاعشى كما نرى ، ولكن حياة الصحراء لا تستقر حتى بين ابناء العمومة الاقربين ، فهى خصومة وتنافس دائم . وهم على ما يقول القطامى :

واحيانا على بكر اخينا   اذا ما لم نجد الا اخانا

ويبدو ان العلائق لم تكن حسنة بين ابناء قيس بن ثعلبة من البيتين ، ففى ديوان الاعشى قصيدتان فى بنى جحدر ، كلتاهما هجاء (القصيدتان ٢٣ ، ٥٣) : اما شيبان بن شهاب الجحدى ، فللاعشى قصيدة أخرى فيه (القصيدة ٢٠) وهى هجاء أيضا . والقصيدة التى بين أيدينا تسبق القصيدة (٢٠) ، فهو هنا لا يتناول خصمه بأكثر من خمسة ابيات (٢٠ ــ ٢٥) مهددا .

والأَعشى هنا ـ كما هو فى كثير من قصائده ـ لا يعنيه من أَمر صاحبته التى يتغنى بها إلا أَنها وسيلة لتحقيق لذته ، ولذلك فهو لا يذكر اسمها ، وإنما يشير إليها (بتَيَّا) . فهو لا يتغنى بها فى حقيقة الأَمر ، وإنما يتغنى بلذته .

(١ ـ ٤) يقول إن صاحبته قد أَمعنت فى الهجر والبعد ، وأَحْبِبْ بها لو أَن فى الوسع إدراكها . لم يكن الأَعشى يظن أَن رأى السوءِ قد علق قلبه بمثل هذه الوَهْنَانَةِ الناعسة . وما لها أَلَّا تصد وتهجر ، وقد رأَته عجوزًا وهى لا تزال فى شبابها ، فهو خليق بأَن يكون رفيقًا لأُمها ، وهى خليقة بأَن تكون رفيقًا للشباب من الرجال ، وإن تحت قميصها لَجِسْمًا ناعمًا ، يتفجر بالفتنة والأُنوثة . ثم يقول :

إن أَكن فارقت الشباب ، فلقد كنت فى شبابى فاتكافَتِيًّا .

(٥ ـ ٩) كم مثلِكِ قد طلبت فأَدركت ، أَعصى فى طلبها الوشاة والعاذلين . لو سُقِيتَ من رضابها بعد أَن تهجع فى الليل ، ويسترخى جيدها للنعاس ، لخلته خمر فلسطين ، تجرى فوق لثاتها الرقيقة القليلة اللحم . وكم من خصمٍ تمنى المنى ورجا أَن تنالنى يداه ، فطالته يدى وشفيت منه نفسى . وكم من ناقة ضامرة ، فى قوائمها لين ومرونة ، قد ركبتها فى الأَسفار الطويلة ، حتى أَكللتها وأَدميت أَخفافها ، ثم مضيت أَستخرج بالسوط بقية ما تدخر من قوة ونشاط .

(١٠–١٤) وكم من كأْس حمراءَ ، كأَنها الدم المتساقط من اللحم ، قد بكرت إليها أَشربها ، وقد غفل عنها هُوَاتُهَا من الشاربين . حمراءُ يصفو لون سطحها فى احمراره ، ويضرب للسواد فى قاعه ، تكاد لما كمن فيها من الحرارة تفرى جلد الزق الذى يحتويها . قصدت من أَجلها الريف ، أَشربها عند ماءِ الفرات ، ومن حولنا الزامرون بالقصبات .

ما أَعظم الفرق بين صباح الشارب وبين مسائه . هو فى صباحه كئيب منقبض النفس ، تطرقه الهموم ملحة عليه لا تفارقه .

وقال لشَيْبَان بن شِهَاب الجَحْدَرِيّ :

١ ـ أَجَدَّ بِتَيَّا هَجْرُهَا وَشَتَاتُهَا   وَحَبَّ بِهَا لَوْ تُسْتَطَاعُ طِيَاتُهَا (طويل)

٢ ـ وَمَا خِلْتُ رَأْىَ السُّوءِ عَلَّقَ قَلْبَهُ   بِوَهْنَانَة قَدْ أَوْهَنَتْهَا سِنَاتُهَا

٣ ـ رَأَتْ عُجُزًا فِى الحَىِّ أَسْنَانَ أُمِّهَا   لِدَاتِى وشُبَّانُ الرِّجَالِ لِدَاتُهَا

٤ ـ فَشَايَعَهَا مَا أَبْصَرَتْ تَحْتَ دِرْعِهَا   على صُومِنَا واسْتَعْجَلَتْهَا أَنَاتُهَا

٥ ـ ومِثْلِكِ خَوْد بَادِن قد طَلَبْتُها   وَسَاعَيْتُ مَعْصِيًا لَدَيْنَا وُشَاتُهَا

٦ ـ متى تُسْقَ من أَنْيَابِهَا بَعْدَ هَجْعَة   من اللَّيْلِ شِرْبًا حِينَ مَالَتْ طُلَاتُهَا

٧ ـ تَخَلْهُ فِلَسْطِيًّا إِذَا ذُقْتَ طَعْمَهُ   عَلَى رَبِذَاتِ النَّيِّ حُمْشٍ لِثَاتُهَا

٨ ـ وَخَصْمٍ تَمَنَّى فاجْتَنَيْتُ بِهِ المُنَى   وعَوْجَاءَ حَرْف لَيِّنٍ عَذَبَاتُهَا

٩ ـ تَعَالَلْتُهَا بالسَّوْطِ بَعْدَ كَلَالِهَا   عَلَى صَحْصَحٍ تَدْمَى به بَخَصَاتُهَا

١٠ ـ وَكَأْسٍ كَمَاءِ النَّيِّ بَاكَرْتُ حَدَّهَا   بِغِرَّتِهَا إِذْ غَابَ عَنِّى بُغَاتُهَا

١١ ـ كُمَيْتٍ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَة   يَكَادُ يُفَرِّى المَسْكَ مِنْهَا حَمَاتُهَا

١٢ ـ وَرَدْتُ عَلَيْهَا الرِّيفَ حتى شَرِبْتُهَا   بِمَاءِ الفُرَاتِ حَوْلَنَا قَصَبَاتُهَا

١٣ ـ لَعَمْرُكَ إِنَّ الرَّاحَ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا   لَمُخْتَلِفٌ غُدِيُّهَا وَعَشَاتُهَا

١٤ ـ لَنَا مِنْ ضُحَاهَا خُبْثُ نَفْس وَكَآبَة   وَذِكْرَى هُمُومٍ مَا تَغِبُّ أَذَاتُهَا

(١ ـــ ٢) تيا اسم اشارة مثل تلك . الشتات الفراق . حب بها احبب بها . طياتها وطنها ، الحق بطيتك اى الحق بوطنك . الوهنانة اللينة الرخوة ، التى فيهافتور عند القيام . سناتها جمع سنةوهى النوم ، يقول انها كثيرة النوم ، وكذلك شان المترفات . اللدات الاتراب والصحب الذين من نفس الجيل والسن .

(٤ ـــ ٦) شايعها شجعها . الدرع القميص ، اى حين نظرت الى بدنهاوحسنه . الصوم الامساك عن الفعل ويقصد به هنا القطيعة . الأناة الحلم والوقار . الخود المراة الشابة . ساعيت ، المساعاة الفجور وهو لا يستعمل الا فى الاماء خاصة . الطلاة واحدة الطلى وهى الاعناق ، اى مالت للنوم . الشرب الماء المشروب ، والمقصود به هنا ريقها .

(٧ ـــ ٩) فلسطى خمر من فلسطين ، وخمر الشام مشهورة عندهم . زبلدات النى ، النى الشحم . والزبدة الخفيفة . حمش لطيفة ليست غليظة اللحم . عوجاء ناقة ضامرة . حرف صلبة . عذباتها قدائمها . لينة مرنة . تعاللتها ركبتها مرة بعد مرة مستخرجا انصى ما عندها من السير ، كما يشرب الشارب العلل بعد النهل . صحصح ارض مستوية . البخص (بفتحتين) لحم القدم وفرسن البعير .

(١٠ ـــ ١٤) النى اللحم الذى لم يطبخ ، يشبه الخمر فى حمرتها بالماء المتساقط منها مختلطا بالدم . حد الشراب سورته وصلابته . الغرة الغفلة بغاتها طلابها . الكمتة الحمرة تضرب للسواد . يفرى يشق . المسك الجلد . القصبات المزامير يزمر فيها الزامرون فى دور الخمر . الغداة أول النهار والعشاة آخره . الضحىعند ارتفاع النهار . خبث نفس انقباض . ما تغب ما تفتر ولا تنقطع .

— ١١ —

ربما كانت هذه القصيدة هي أول مامدح به الاعشى (هوذة) . فهو يصفه في البيت (٣٠) بأنه فتى ، ويقول في البيت (١٩) انه سمع بجوده فقصد اليه يدلي بدلوه في الدلاء .

يبدأ الأعشى بذكر صاحبته مشيرًا إليها بـ(تَيَّا) فيتساءل :

(١ ـ ٤) أتشفيك وتقضي حاجتك ، أم تتركك لدائك ؛ وكذلك تفعل بالرجال ، وإنها لَلَعُوب قَتُول ؟ كنت قد أقصرت عن الغزل وعن دواعي الشباب ، فأي ضلال قادك إليها ، وفي لقائها هلاكك ؟ أَغْرَتْك وعَلَّقَتْ قلبك بها ، إذ تتراءى لك بعد أن نام صحبك ، فتكشف عن ثغرها البراق ، وشعرها الأسود الفاحم ، ثم قطعت حبالها من حبالك على حداثة العهد .

وينصرف الأعشى عن صاحبته إلى الصحراء ، كأنه يلتمس في تِيهها العزاء .

(٥ ـ ٩) هي صحراءُ عمياءُ مقفرة . إذا توسطها المسافر لم يكد يهتدي لوجهه ، فتبدو الحيرة والدهش في عينيه من شدة الحيرة والفزع ، ويُعجَل النعام فيها عن احتضان بيضه ، فيتركه عاريًا لينجو بنفسه . يقول فيها رئيس الرهط إذ يدنو من صاحبه وقد خشي الهلاك : لك الويل ! انظر مِنْ حولك في حذر ، واحرص على ما في سقائك من ماءٍ ، فالطريق أمامنا طويل بعيد .

كم من صحراءٍ بعيدة الآفاق ، ينخرق فيها الريح لا يقف في سبيله شيء ، قد قطعتها فوق ناقتي ، حين يقعد عن مثلها الهَيَّابَةُ الجبان ولا يروم مسالكها . كم أدمنت الرحلة فيها في الليل ـ وما أطول الليل في الصحراء ـ وإن نجومه لتبدو راكدة ثابتة في عليائها لا تتحرك .

(١٠ـ١٤) قطعتها فوق ناقة بيضاءَ ضامرة ، برى السير سنامها ، وقد كان ضخما مكتنزًا بالشحم . لها فخذان تدفعان من فوقهما ظهرًا متماسك الفقار ، كأنه بنيان الحجارة المرصوص . ولها صدر يتجافى عنه مرفقاها المفتولان ، وكأنهما في قوتهما البادية قصر من قصور الملوك . ولها رأس صلب دقيق في موضع الخطام فوق الأنف . تبدو فِقَارُ ظهرها ورقبتها في ضخامتها ومتانتها ، وكأن الفقرة منها قطعة من العَضُد .

ثم ينتقل الشاعر إلى الممدوح فيقول : إلى « هوذة الوَهَّاب » أهدي مدحتي ، مرجِّيًا نواله وعطاءه .

٣٠ ـ وَمِنَّا امرُؤٌ يَوْمَ الهمَامَيْنِ مَاجِدٌ ... بِجَوٍّ نطَاعٍ يَوْمَ تَجْنِى جُنَاتُهَا
٣١ ـ فَقَالَ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ وسُخْطُهُ ... عَلَى مِائَةٍ قَدْ كَمَّلَتْهَا وُفَاتُهَا
٣٢ ـ وَمِنَّا الذى أَعْطَاهُ فى الجَمْعِ رَبُّهُ ... عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُهَا
٣٣ ـ سَبَايَا بَنِى شَيْبَانَ يَوْمَ أُوارَةٍ ... عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُهَا
٣٤ ـ كَفَى قَوْمَهُ شَيْبَانَ أَنَّ عَظِيمَةً ... مَتَى تَأْتِه تُؤْخَذْ لَهَا أُهُبَاتُهَا
٣٥ ـ إِذَا رَوَّحَ الرَّاعِى اللِّقَاحَ مُعَجِّلًا ... وَأَمْسَتْ عَلَى آفَاقِهَا غَبَرَاتُهَا
٣٦ ـ أَهَنَّا لَهَا أَمْوَالَنَا عِنْدَ حَقِّهَا ... وَعَزَّتْ بِهَا أَعْرَاضُنَا لَا نُفَاتُهَا
٣٧ ـ وَدَارِ حِفَاظٍ قَدْ حَلَلْنَا مَخُوفَةٍ ... سُرَاةً قَلِيلٍ رِعْيُهَا وَنَبَاتُهَا

(٣٠ — ٣٤) يشير بالبيتين الى يوم اوارة . الفاقة الفقر . يوم أوارة الاول للمنذر بن ماء السماء على بكر . جلا العروس زينها .

(٣٥ — ٣٧) اللقاح الابل ذوات الألبان . معجلا يعجل الرواح (أى العودة) قبل غيوب الشمس من شدة البرد . آفاق الأرض أقطارها . غبراتها ، انما تغبر آفاق الأرض فى القحط وفى هبوب الرياح المحملة بالتراب والرمال . أهنالها أى لهذه السنة الشديدة ، عند حقها فى موضع الانفاق الحقيق أن ينفق فيه الرجل الكريم . لا نفات أعراضنا من الفوت وهو الذهاب والنفاد ، وذلك لانهم ينفقون ، فيخرجون من مثل هذه السنة موفورى الكرامة ، محمودين غير مذمومين . دار الحفاظ المقام الذى لا يقوم فيه الا من يحافظ على حسبه وشرفه وسمعته . سراة سادة .

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عَلِيّ الحَنَفِيّ :

١ ـ أَتَشْفِيكَ «تَيَّا» أَمْ تُرِكْتَ بِدَائِكَا   وَكَانَتْ قَتُولًا لِلرِّجَالِ كَذَلِكَا (طويل)
٢ ـ وأَقْصَرْتَ عَنْ ذِكْرِ البَطَالَةِ والصِّبَى   وَكَانَتْ سَفَاهًا ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِكَا
٣ ـ وَمَا كَانَ إِلَّا الْحَيْنَ يَوْمَ لَقِيتَهَا   وَقَطْعَ جَدِيدٍ حَبْلُهَا مِنْ حِبَالِكَا
٤ ـ وَقَامَتْ تُرِينِى بَعْدَ مَا نَامَ صُحْبَتِى   بَيَاضَ ثَنَايَاهَا وَأَسْوَدَ حَالِكَا
٥ ـ وَيَهْمَاءَ قَفْرٍ تَخْرَجُ العَيْنُ وَسْطَهَا   وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَامِ تَرَائِكَا
٦ ـ يَقُولُ بِهَا ذُو قُوَّةِ القَوْمِ إِذْ دَنَا   لِصَاحِبِهِ إِذْ خَافَ مِنْهَا المَهَالِكَا
٧ ـ لَكَ الوَيْلُ أَفْشِ الطَّرْفَ بِالْعَيْنِ حَوْلَنَا   عَلَى حَذَرٍ وَأَبْقِ مَا فِى سِقَائِكَا
٧ ـ وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ   إِذَا الْجِبْسُ أَعْيَى أَنْ يَرُومَ المَسَالِكَا
٩ ـ قَطَعْتُ إِذَا مَا اللَّيْلُ كَانَتْ نُجُومُهُ   بَوَانِىَ فِى جَوِّ السَّمَاءِ سَوَامِكَا
١٠ ـ بِأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَهَا   بِسَيْرِى عَلَيْهَا بَعْدَ مَا كَانَ تَامِكَا
١١ ـ لَهَا فَخِذَانِ تَحْفِزَانِ مَحَالَةً   وَصُلْبًا كَبُنْيَانِ الصَّفَا مُتَلَاحِكَا
١٢ ـ وَزَوْرًا تَرَى فِى مِرْفَقَيْهِ تَجَانُفًا   نَبِيلًا كَبَيْتِ الصَّيْدَلَانِىِّ دَامِكَا
١٣ ـ وَرَأْسًا دَقِيقَ الخَطْمِ صُلْبًا مُذَكَّرًا   وَدَأْيًا كَأَعْنَاقِ الضِّبَاعِ وَحَارِكَا
١٤ ـ إِلَى هَوْذَةَ الوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِى   أُرَجِّى نَوَالًا فَاضِلًا مِنْ عَطَائِكَا
١٥ ـ تَجَانَفُ عَنْ جُلِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِى   وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

(١ — ٣) تيا اسم اشارة مثل تلك . أقصر كف . البطالة الباطل والفساد ونزوات الشباب . والسفاه والسفه خفة الحلم . الحين الهلاك .

(٤ — ٦) الثنايا الأسنان . أسود حالكا الشعر . يهماء صحراء عمياء مطموسة المسالك . الحرج فى العين الحيرة والدهش . ترائك جمع تريكة وهى المتروكة . ذو قوة القوم رئيسهم .

(٧ — ٩) أفش الطرف انظر . خرق صحراء واسعة ينخرق فيها الريح . جسرة ناقة ضخمة . الجبس الجبان . بوانى ثابتة لا تكاد تتحرك . سوامك مرتفعة .

(١٠ — ١٢) أدماء ناقة بيضاء . حرجوج طويلة . تامك مرتفع ضخم مكتنز . المحالة البكرة العظيمة ، وكذلك الفقـــرة من فقر البعير لشبهها بها . تحفزان تدفعان . الصلب سلسلة الظهر المكونة من فقار . الصفا الحجر . متلاحك متماسك . الزور وسط الصدر أو ما ارتفع منه الى الكتفين . تجانفا وزورا ميلا . الصيدانى والصيدلانى والصيدنانى الملك ، كذلك قال صاحب اللسان ، ولست أعرف وجه اشـــتقاقه . دامك أملس مفتول صلب .

(١٣ — ١٥) الخطم موضع الخطام فوق الأنف . الدأى فقر الكاهل والظهر . الضبع العضد . الحارك أعلى الكاهل ، والكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . تجانف تميل وتنحـــرف . جل الشىء معظمه . بلاد اليمامة بين نجد واليمن ، وهى تتصل بالبحرين شرقا وبنجد غربا . واليمامة تطلق على هـــذا الاقليم وعلى عاصمته التى كانت تسمى قديما (جو) .

(١٥-١٩) أعرضت ناقتى عن جُلِّ أهل اليمامة ، ولم تقصد غيرك . وقد أَلمت من قبلك بحياض أقوام ، فعافتها وعزفتْ نفسُها عنها ، ولم تشرب إلا من حوضك . ولم تزل تتنقل بين المدائن قلقة لا تستقر ، حتى بلغت قصور «جو» فألقت رحلها بفنائك واستقرت بها النوى . لم يَسْعَ مثلُكَ فى الأقوام ساعٍ ، ولا أطعم كريم فى مثل إنائك . ولقد بلغتنى أنباءُ كرمك وشمول عطائك ، فأدليت دلوى فى الدلاءِ مع المغترفين .

(٢٠-٢٤) وإنك لفتى تحمل من الأعباءِ مالو حمله غيرك لما نهض به ولا أطاقه . ولقد عودتنى أن تفيض على من فضلك ، وأظللتنى بظلك ، فأنت مولع بالعطاءِ ، وأنا مولع بالثناءِ .

بنى لك أبوك «على» وأعمامُك «مالك» و «طلق» و «شيبان» ، فورثت عنهم ما بنوا من مجد . كانوا بحورًا يفيضون على الناس من خيرهم ، ويكفونهم رزقهم فى كل شدة لازبة .

(٢٥-٢٩) وكذلك أنت ، تجود بالعطاءِ ، قبل أن تحوج سائلك للسؤال .

زعم حسادك الكاشحون أنك جائر ظلوم ، لا همّ لك إلا أن تميل على الناس وتأكل أموالهم إلى أموالك . وإن من هؤلاءِ المتخرصين لَمَنْ يعيش بمالك . وجدت أثرًا مهدما فبنيته ، وكان فضلاً منك ونعمة أن تلحقه ببنائك ، وربيت أيتامًا ، وضممت إليك صبية ، وبلغت فى ذلك أقصى السعى ، ثم لم يستنفد كلُّ هذا من همتك الكبيرة إلا أيسرها .

(٣٠-٣٢) لك فى كل عام غزوة أنت جاشمها ، تُجَمِّع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالمال والمجد الذى يعوضك عما عانيت من البعد عن نسائك اللاتى يترقبن عودتك فى شوق . يزجرن الطير ، فتخبرهن بقرب أوبتك ، فتنام أعينهن على هذا الأمل الجميل .

١٦ ـ أَلَمَّتْ بِأَقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاضَهُمْ   قَلُوصِي وَكَانَ الشُّرْبُ مِنْهَا بِمَائِكَا

١٧ ـ فَلَمَّا أَتَتْ آطَامَ جَوٍّ وَأَهْلَهُ   أُنِيخَتْ وَأَلْقَتْ رَحْلَهَا بِفِنَائِكَا

١٨ ـ وَلَمْ يَسْعَ فِى الأَقْوَامِ سَعْيَكَ وَاحِدٌ   وَلَيْسَ إِنَاءٌ لِلْنَدَى كَإِنَائِكَا

١٩ ـ سَمِعْتُ بِسَمْعِ البَاعِ وَالجُودِ وَالنَّدَى   فَأَدْلَيْتُ دَلْوِى فَاسْتَقَتْ بِرِشَائِكَا

٢٠ ـ فَتًى يَحْمِلُ الأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ   مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكَا

٢١ ـ وَأَنْتَ الَّذِى عَوَّدْتَنِى أَنْ تَرِيشَنِى   وَأَنْتَ الَّذِى آوَيْتَنِى فِى ظِلَالِكَا

٢٢ ـ فَإِنَّكَ فِيمَا بَيْنَنَا فِىَّ مُوزَعٌ   بِخَيْرٍ وَإِنِّى مُولَعٌ بِثَنَائِكَا

٢٣ ـ وَجَدْتَ عَلِيًّا بَانِيًا فَوَرِثْتَهُ   وَطَلْقًا وَشَيْبَانَ الجَوَادَ وَمَالِكَا

٢٤ ـ بُحُورٌ تَفُوتُ النَّاسَ فِى كُلِّ لَزْبَةٍ   أَبُوكَ وَأَعْمَامٌ هُمُ هَؤُلَائِكَا

٢٥ ـ وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى   تَجُودَانِ بِالإِعْطَاءِ قَبْلَ سُؤَالِكَا

٢٦ ـ يَقُولُونَ فِى الإِكْفَاءِ أَكْبَرُ هَمِّهِ   أَلَا رُبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعِيشُ بِمَالِكَا

٢٧ ـ وَجَدْتَ انْهِدَامَ ثُلْمَةٍ فَبَنَيْتَهَا   فَأَنْعَمْتَ إِذْ أَلْحَقْتَهَا بِبِنَائِكَا

٢٨ ـ وَرَبَّيْتَ أَيْتَامًا وَأَلْحَقْتَ صِبْيَةً   وَأَدْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْيِ قَبْلَ عَنَائِكَا

٢٩ ـ وَلَمْ يَسْعَ فِى الْعَلْيَاءِ سَعْيَكَ مَاجِدٌ   وَلَا ذُو إِنًى فِى الحَيِّ مِثْلَ قَرَائِكَا

٣٠ ـ وَفِى كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ   تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

٣١ ـ مُوَرِّثَةٍ مَالًا وَفِى الْحَمْدِ رِفْعَةً   لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

٣٢ ـ تُخَبِّرُهُنَّ الطَّيْرُ عَنْكَ بِأَوْبَةٍ   وَعَيْنٌ أَقَرَّتْ نَوْمَهَا بِلِقَائِكَا

(١٦ — ١٨) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . الحياض جمع حوض وهو الذى تشرب فيه الماشية ، كنى به عن بيوتهم وضيافتهم . القلوص الناقة . الشرب (بفتح الشين) مصدر شرب . آطام جمع اطم وهو الحصن . جو هى مدينة اليمامة .

(١٩ — ٢٢) الرشاء حبل الدلو الذى يدور على البكرة فوق البئر . راشه اعانه واغناه . موزع مولع .

(٢٣ — ٢٥) على هو أبو الممدوح . طلق وشيبان ومالك أعمامه . فاته رزقه وامده بالقوت . لزبة شدة وضيق .

(٢٦ — ٢٨) اكفأه كبه وقلبه او طرده ، واكفأ عن القصد جار وانحرف ، والاكفاء المصدر منه . الثلمة الثغرة والفتحة بين الشيئين .

(٢٩ — ٣٠) انى الشىء اناواناه دنا وقرب وحضر . والانسب ان يكون المقصود بها الاناء ، حذف الهمزة للتخفيف ونون . قرى الضيف قرى وقراء ضيفه . جشم الشىء وتجشمه تكلفه وتحمل متاعبه . العزيم العزم والجد والعدو الشديد . العزاء الصبر .

(٣١ — ٣٢) القرء الحيض أو هو ما بين الحيضتين على خلاف فى ذلك . اوبة عودة . قرت عينه بردت سرورا ورأت ماتتمنى .

— ١٢ —

هذه القصيدة الثالثة فى مدح هوذة بحسب الترتيب التاريخى . فمن الواضح أنها تتأخر عن القصيدتين (٧) ، (١١) حيث نرى الشاعر يصفه فيهما بانه فتى اذ يقول فى القصيدة (٧) فى البيت (١١) :

فتى لو ينادي الشمس القت قناعها ... او القمر السارى لألقى المقالدا

ويقول فى القصيدة (١١) فى البيت (٢٠) :

فتى يحمل الاعباء لو كان غيره ... من الناس لم ينهض بها متماسكا

اما فى هذه القصيدة التى بين يدينا فالأعشى يسمى هوذة للمرة الأولى (ملكا) حيث يقول (١٢ : ٢٤)

الى ملك كهلال السما ... ء أزكى وفاء ومجدا وخيرا

وفى القصيدة حادثان لابد من الاشارة اليهما قبل البدء فى التلخيص . أولهما اشارة الأعشى الى أنه فقد بصره ، وانتهى به العشى (وهو ضعف البصر أو عدم القدرة على الابصار ليلا) الى العمى الكامل ، فأصبح لايسير الا بمساعدة قائد يدله (الأبيات ٢٤ — ٢٩)
وثانيهما اشارة الأعشى الى يوم (الجفار) الذى غزا فيه الممدوح تميما ،واعتذاره عن تغيبه فى ذلك اليوم . وهذا اليوم هو واحد من أيام كثيرة تتابعت بين بكر وتميم . وكان الاحتكاك بينهما كثيرا بسبب تقارب مساكنهم وتنازعهم على مواطن الخصب والماء . فقد ترحل احدى القبيلتين عن ارضها فتحتله القبيلة الأخرى . ثم يتفق أن يخصب المكان ، فتحاول القبيلة الأولى أن تعود اليه ، مدمية حقها فيه ، فيقع القتال بين الحيين ، كما حدث فى يوم (الشيطين) (١) ، أو شبه ذلك مما لابد أن يقع بين سكان الصحراء الذين يتنازعون الحياة والبقاء . وقد أرخ صاحب النقائض هذا اليوم قبل مبعث النبى بسبعة وعشرين عاما(٢) . وهو فى رأيى كثير ، والمعقول أن يتأخر عن ذلك ، لأن يوم الصفقة الذى سيجىء ذكره فى القصيدة التالية (١٣) وقد وقع ظهر الاسلام كما يقول ابن الأثير (٣) . فلو صح ما يقول صاحب النقائض لكان بين القصيدتين سبعة وعشرون عاما . وهو زمن طويل لأن الأعشى يبدو فى هذه القصيدة مسنا مضعضع القوى . وانما عمى فى آخر عمره (٤) .

يقول الأعشى :

١ ـ غشيت خدر (ليلى) مع الليل ، تطلب إليها وفاءَ وعدها ، وتنذر النذور إن هى وفت بهذا الوعد .

٢ ـ ثم رحلت ليلى وقد أورثتك همًّا ، وتركت فى فؤادك صدعا مستطيرًا .

٣ ـ وصدع القلب كصدع الزجاجة ، لا تستطيع يد الصَّناع أَن تردها سالمة .

٤ ـ وصاحبته من مالك ـ ولعله مالك بن شيبان ـ ولكنها قد رحلت إلى الحجاز ، حيث حلت أرضًا مجهولة ، وأقامت بين قوم غرباء .

٥ ـ تسعى مع قومها وراءَ الماء ، وتُرْعِى إبلها الكلأَ فى (روض القطا) و(روض التَّناضِب) حيث الخصب والعيش الرغيد .

٦ ـ وحيث تصبح وقد ارتوت كأَنها ورقة البردى ، تظللها الأَشجار وسط الأَجمة ، فتحميها من حرارة الشمس ولافح الرياح ، وقد خالط الماء بطنها فهو بض رَخْص رطيب .

٧ ـ تفترُّ عن ثغر مشرق ، يبدو فى بياضه الناصع بين شفتيها الدكناوين وكأَنه شوك نبات السيال الأَبيض ذُرَّ على أَسافله الكحل .

٨ ـ وكأَنما خلط رضابها البارد العذب بالزنجبيل أَو عسل النحل .

٩ ـ وكأَنما هو خمر (عانة) الشآمية ، مزجت بماءٍ بارد ، من غدير يجرى بين الحجارة المتراصفة .

---

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٩
(٢) النقائض ط . أوربا ص ٧٩٠ س ١١
(٣) ابن الأثير ١ : ٣٧٩
(٤) خزانة الأدب ١ : ١٢٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيِّ :

١ – غَشِيتَ لِلَيْلَى بِلَيْلٍ خُدُورَا　　وَطَالَبْتَهَا وَنَذَرْتَ النذُورَا (متقارب)

٢ – وَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِى الفُؤَا　　دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

٣ – كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا تَسْتَطِيـ　　ـعُ كَفُّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تُحِيرَا

٤ – مَلِيكِيَّةٌ جَاوَرَتْ بِالْحِجَا　　زِ قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا شَطِيرَا

٥ – بِمَا قَدْ تَرَبَّعُ رَوْضَ القَطَا　　وَرَوْضَ التَّنَاضِبِ حَتَّى تَصِيرَا

٦ – كَبَرْدِيَّةِ الغِيلِ وَسْطَ الغَرِيفْ　　إِذَا خَالَطَ المَاءُ مِنْهَا السُّرُورَا

٧ – وَتَفْتَرُّ عَنْ مُشْرِقٍ بَارِدٍ　　كَشَوْكِ السَّيَالِ أُسِفَّ النَّؤُورَا

٨ – كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيـ　　ـلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرْيًا مَشُورَا

٩ – وَإِسْفِنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرُّقَا　　دِ سَاقَ الرِّصَافُ إِلَيْهَا غَدِيرَا

١٠ – وَإِنْ هِىَ نَاءَتْ تُرِيدُ القِيَامْ　　تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ البَهِيرَا

١١ – لَهَا مَلِكٌ كَانَ يَخْشَى القِرَافْ　　إِذَا خَالَطَ الظَّنُّ مِنْهُ الضَّمِيرَا

١٢ – إِذَا نَزَلَ الحَىُّ حَلَّ الجَحِيشْ　　شَقِيًّا غَوِيًّا مُبِينًا غَيُورَا

١٣ – يَقُولُ لِعَبْدَيْهِ حُثَّا النَّجَا　　وَغُضَّا مِنَ الطَّرْفِ عَنَّا وَسِيرَا

(١ — ٣) الخدر كل مايوارى الانسان من بيت ونحوه . بانت بعدت . صدع مستطير أى تصدع من أوله الى آخره ، واستطار تفرق وانتشر . الصناع الحاذق . أحار الشىء رده ورجعه .

(٤ — ٦) شطرت الدار (كنصر) بعدت ، وشطر عنهم نزح ، والشطير البعيد والمنفرد والغريب ، اراد ارضا مجهولة لاتعرف . تربع ترعى . حتى تصيرا ، جواب تصير فى البيت التالى ، وهو تضمين قبيح . الغيل والغريف واحد ، وهو الأجمة والشجر الكثيف الملتف من القصب والحلفـاء ، وكل واد فيه ماء . السرور بطن ورقة البردى . والبردى نبات تصنع منه الحصر . جعل البردية وسط أشجار ملتفة لان ذلك أدعى لان تكون طرية رطبة لاتنالها حرارة الشمس فتجففها .

(٧ — ٨) تفتر تبتسم . مشرق ثغر براق . السيال نبات له شوك شديد البياض . النؤور شجر يحرق ويستعمل فى الوشم . يشبه بهما أسنانها الناصعة البياض بين لثاتها القاتمة . الزنجبيل نبات طيب الرائحة معروف . جنى فعيل من جنى الثمر يجنيه . الأرى عسل النحل . شار العسل واشتاره جمعه .

(٩ — ١٠) الاسفنط شراب يعمل فى الشام ، ويسمونه هناك الرساطون ، وهو من عصير العنب ، (رومى معرب) كما يقول الجواليقى فى المعرب . الرصاف حجارة متراصة قريب بعضها من بعض . يقول انها تقوم من رقادها طيبة طعم الريق والفم ، والمألوف أن يغير النوم طعم الفم ورائحته . تهادى تتمايل فى مشيتها . البهير الذى انقطعت أنفاسه من شدة العدو او بعد مجهود منيف .

(١١ — ١٣) ملك صاحب أو زوج . القراف المخالطة . الجحيش ان تنزل ناحية منفردا . مبينا مبعدا . حث أسرع . النجاء السرعة .

١٠ ـ إذا همت بالقيام ناءَ بها ردفها ، ثم تقوم متمهلة تتهادى ، تتمايل تَمَايُلَ من أعياه الإجهاد تتردد أنفاسه فهو بهير . ويصور الأعشى ما كان من شدة غيرة زوجها عليها فيقول إنه كان شديد الحذر ، تثور فى نفسه الظنون ، فهو يخشى مخالطة الناس .

١١ ـ وكان إذا نزل الحى مكانا انفرد بها بعيدًا تأكل الغيرة نفسه ، فهو شقى غوىّ .

١٢ ـ وإذا رحل الحى أمر عبديه أن يتقدما مسرعين ، وأن يغضا طرفيهما حتى لايرياها

١٣ ـ وهو فى شدة غيرته لايثق بأحد ولا يبقى على صديق . ويختم الأعشى ذلك بالسخرية منه فيقول :

١٤ ـ ماذا تجدى هذه الغيرة وكل هذا الاحتياط ؟ إنه لا يمنعها أن تتحول عنه زاهدةفيه

١٥ ـ ولا يمنعها أن تتخطى باب الدار إلى حيث تريد ،فلن يستطيع أن يطير بها فى السماء بعيدًا عن الناس

١٦ ـ ثم يعود إلى وصف صاحبته قائلا : رحل هذا الرجل الغيور بحسناء برّاقة فاترة الطرف .

١٧ ـ كأنها فى تناسق أعضائها بقرة الوحش ، ناعمة العيش لا تلذعها رياح الصيف اللافحة ، ولا يقرصها برد الشتاءِ الزمهرير .

١٨ ـ هى فى الصيف باردة رطيب الجسم ، عبقة الرائحة كأنها رداءُ العروس نشرت عليه العطور .

١٩ ـ وهى فى الشتاءِ دافئة يتدفق جسمها بالحرارة ، حين ينكمش الكلب من شدة البرد ، فلا يستطيع النباح إلا هريرًا خافتًا مكظومًا .

٢٠ ـ ثيابها الظاهرة من الخز ، وقميصها من تحته حرير .

٢١ ـ وهى مترفة ظاهرة الثراءِ ، تتزين بالحلى من كريم الأحجار ونفيسها ، إذا قَلَّدَتْ معصمها (اليارق) وقد نُضد بالدر .

٢٢ ـ ومن فوق ذلك الزبرجد والياقوت ، فيافِتْنَةَ ما تراه .

٢٣ ـ تحرك يديها فى دل ، فتلمع الحلى فى معاصمها بما يطير لب الناظر ويذهله فيقف مبهوتًا .

٢٤ ـ ويصور الأعشى صاحبته وقد رأته بعد غيبة وانقطاع ،وقد أُصيب فى بصره . رأته فى يد قائده .

٢٥ ـ وقد غاض ماءُ عينيه وتغير خلقه ، فبهتت وتملكها الحزن إذ تقول : بأى شئ أفتديه وأرد إليه بصره !

٢٦ ـ فيجيبها الأعشى فى لوعة صادقة وفى حزن عميق : لقد ضعضعتنى الحوادث ، ومضى ما تعلمين من شبابى .

١٤ - فَلَيْسَ بِمُرْعٍ عَلَى صَاحِبٍ ... وَلَيْسَ بِمَانِعِهِ أَنْ تَحُورا
١٥ - وَلَيْسَ بِمَانِعِهَا بَابُهَا ... وَلَا مُسْتَطِيعٍ بِهَا أَنْ يَطِيرَا
١٦ - فَبَانَ بِحَسْنَاءَ بَرَّاقَةٍ ... عَلَى أَنَّ فِي الطَّرْفِ مِنْهَا فُتُورَا
١٧ - مُبَتَّلَةِ الخَلْقِ مِثْلِ المَهَا ... ةِ لَمْ تَرَ شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرَا
١٨ - وَتَبْرُدُ بَرْدَ رِدَاءِ العَرُو ... سِ رَقْرَقْتَ بِالصَّيْفِ فِيهِ العَبِيرَا
١٩ - وَتَسْخُنُ لَيْلَةَ لَا يَسْتَطِيعُ ... نُبَاحًا بِهَا الكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا
٢٠ - تَرَى الخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِرًا ... وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذَاكَ الحَرِيرَا
٢١ - إِذَا قَلَّدَتْ مِعْصَمًا يَارَقَيْ ... نِ فُصِّلَ بِالدُّرِّ فَصْلًا نَضِيرَا
٢٢ - وَجَلَّ زَبَرْجَدَةٌ فَوْقَهُ ... وَيَاقُوتَةٌ خِلْتَ شَيْئًا نَكِيرَا
٢٣ - فَأَلْوَتْ بِهِ طَارَ مِنْكَ الفُؤَادُ ... وَأُلْفِيتَ حَيْرَانَ أَوْ مُسْتَحِيرَا
٢٤ - على أَنَّهَا إِذْ رَأَتْنِي أُقَا ... دُ قَالَتْ بِمَا قَدْ أَرَاهُ بَصِيرَا
٢٥ - رَأَتْ رَجُلًا غَائِبَ الوَافِدَيْ ... نِ مُخْتَلِفَ الخَلْقِ أَعْشَى ضَرِيرَا
٢٦ - فَإِنَّ الحَوَادِثَ ضَعْضَعْنَنِي ... وَإِنَّ الَّذِي تَعْلَمِينَ اسْتُعِيرَا
٢٧ - إِذَا كَانَ هَادِي الفَتَى فِي البِلَا ... دِ صَدْرَ القَنَاةِ أَطَاعَ الأَمِيرَا
٢٨ - وَخَافَ العِثَارَ إِذَا مَا مَشَى ... وَخَالَ السُّهُولَةَ وَعْثًا وَعُورَا

(١٤ — ١٨) أرعى على صاحبه ابقى عليه . حار رجع ونقص . بان ذهب وبعد . مبتلة الخلق متناسقة الاعضاء بالغة الحسن . المهاة بقرة الوحش . الزمهرير البرد . رداء العروس اي الوشاح . العبير اخلاط من الطيب ، اى ان جسمها بارد فى الصيف .

(١٩ — ٢١) الهرير صوت دون النباح . يقول انجسمها ساخن فى الشتاء ، الخز الحرير ، وقيل هو مانسج من الصوف والحرير ، او هو اسم دابة ويطلق على الثوب المتخذ من وبرها . اليارق الجبارة وهو سوار عريض من حلى اليدين ، (فارسى معرب) فصل بالدر أي رصع به . نضير حسن .

(٢٢ — ٢٣) جل الشيء عظم قدره . الزبرجد والياقوت فارسى معرب ، وهما من الاحجار الكريمة . والزبرجد يشبه الزمرد ، وهو الوان كثيرة والمشهور منها الأخضر المصرى والأصفر القبرصى . والياقوت صاف شفاف مختلف الالوان كذلك ، منه الأحمر والاصفر والأخضر والأزرق . أمر نكير شديد صعب . الوت به لمعت به وأشارت . حار واستحاز بمعنى واحد ، اى ذهل وضل وتردد كأنه لايدرى كيف يتصرف .

(٢٤ — ٢٨) بما بمعنى ربما . الوافدان العينان . مختلف الخلق اى متغير غيرته الحوادث عما عهدته . الأعشى الذي به سوء فى عينيه أو هو الذى لا يبصر ليلا أو هو الأعمى . ضعضعه أفناه وهدمه . صدر القناة أعلى العصا التى يقبض عليها لأنه اعمى . الامير الذى يأمره ويقوده . الوعث والوعور واحد ، وهو الطريق الخشن العسير .

٢٧ — وإذا احتاج الفتى لأن يتلمس طريقه بعكازته ، لم يكن له بد من أن يطيع قائده ويسلم أمره إليه ، يقول له مرة خذ يَمْنَةً ، ويقول له أُخرى خذ يَسْرَةَ ، وهو متحير لا يعلم مما حوله شيئًا .

٢٨ — يخاف العثار ، ويتصور السهل من الطرق وَعْثًا وَعُورا .

ويختم الأعشى هذا الحديث الجزين بأن يعزى نفسه قائلا :

٢٩ — إن فى ذلك لعبرة للناس ، وأى امرىء يسلم فى هذه الحياة من النكبات والشرور ؟

ويفرغ الأعشى من هذا الحديث الذى بدأه مشرقًا بهيجًا ، وانتهى به إلى هذه الخاتمة الحزينة الآسية ، لينصرف إلى الصحراء فى طريقه للممدوح .

(٣٠ ، ٣١) إنه ليقطع الصحراء المقفرة المُضِلة ، يلعب فيها السراب ، ولا يهتدى فيها السالكُ إلى طريقه ، ويَصِرُّ فيها الجُنْدب الأسود .

٣٢ — فوق ناقة سريعة كأن جسمها المكتنز الوثيق الخَلْق صخرةٌ صلبة مساءَ قد غمرها الماءُ . تقطع الليل كله لا تهدأُ ، وتعدو رافعة ذنبها ، بادية النشاط .

٣٣ — تجرى بالراكبَيْن فوق ظهرها وقد ارتدف أحدهما وراءَ الآخر وقت الهاجرة وقد اشتد الحر ، حين يقعد غيرها من ضعاف النوق عن سلوكه .

ويتخلص الأعشى إلى المدح فيقول :

٣٤ — إلى ملك كهلال السماء ، تمَّ وفاءً ومجدًا وكرما .

٣٥ — طويل حمائل السيف فهو مديد القامة ، رفيع عمود الخباء ، فهو سيد شريف يتميز بيته من سائر البيوت . يحمى من يلجأُ إليه مستجيرا ، ويُفيض من خيره على الفقراء .

ثم يتجة الأعشى إلى (هَوْذَة) بالخطاب ، معتذرًا عن عدم اشتراكه معه فى قتال بنى تميم يوم (الجفَار) ، فيقول :

٣٦ — يا هوذ — وأنت امرؤ ماجد يفوق جودك كل جود —

٣٧ — لقد كثرت نعمك على ، وتعددت أياديك ، وكثر تقصيرى .

٣٨ — فأهلى فداؤك يوم (الجفار) ، إذ قعد بى العجز والضعف عن متابعتك .

٣٩ — وأهلى فداؤك عند كل نزال ، إذا احتدم القتال ، وبح صوت الرجال ، وجفت حلوقهم ، فلم يكن صياحهم إلا صوتًا خافتًا كأنه الحشرجة .

٢٩ـ وفى ذَاكَ مَا يَسْتفِيدُ الفَتىَ ... وأىُّ امرىءٍ لا يُلاقى الشُّرُورا
٣٠ـ وَبَيْدَاءَ يَلْعَبُ فِيهَا السَّرا ... بُ لاَ يَهْتَدِى القَوْمُ فِيهَا مَسِيرَا
٣١ـ قَطَعْتُ إذَا سَمِعَ السَّامِعُو ... نَ لِلْجُنْدُبِ الجَوْنِ فِيهَا صَرِيرَا
٣٢ـ بِنَاجِيَةٍ كَأَتَانِ الثَّمِيلْ ... تُوَفِّى السُّرَى بَعْدَ أَيْنٍ عَسِيرَا
٣٣ـ جُمَالِيَّةٍ تَغْتَلِى بِالرِّدَافْ ... إذَا كَذَّبَ الآثِمَاتُ الهَجِيرَا
٣٤ـ إلَى مَلِكٍ كَهِلَالِ السَّمَا ... ءِ أزْكَى وَفَاءً وَمَجْدًا وَخِيرَا
٣٥ـ طَوِيلِ النِّجَادِ رَفِيعِ العِمَا ... دِ يَحْمِى المُضَافَ وَيُعْطِى الفَقِيرَا
٣٦ـ أهَوْذَ وَأَنْتَ امْرُؤٌ مَاجِدٌ ... وَبَحْرُكَ فِى النَّاسِ يَعْلُو البُحُورَا
٣٧ـ مَنَنْتَ عَلَىَّ العَطَاءَ الجَزِيلْ ... وَقَدْ قَصَّرَ الضَّنُّ مِنِّى كَثِيرَا
٣٨ـ فَأَهْلِى فِدَاؤُكَ يَوْمَ الجفَا ... رِ إذْ تَرَكَ القَيْدُ خَطْوِى قَصِيرَا
٣٩ـ وَأَهْلِى فِدَاؤُكَ عِنْدَ النِّزَالْ ... إذَا كَانَ دَعْوَى الرِّجَالِ الكَرِيرَا
٤٠ـ فَسَائِلْ تَمِيمًا وَعِنْدِى البَيَانْ ... وَإنْ تَكْتُمُوا تَجِدُونِى خَبِيرَا
٤١ـ تَمَنَّوْكَ بِالْغَيْبِ مَا يَفْتَئُو ... نَ يَبْنُونَ فِى كُلِّ مَاءٍ جَدِيرَا
٤٢ـ فَأَخْطَرْتَ أَهْلَكَ عَنْ أَهْلِهِمْ ... فَصَادَفَ قِدْحُكَ فَوْزًا يَسِيرَا
٣٢ـ وَلَمَّا لَقِيتَ مَعَ المُخْطِرِينْ ... وَجَدْتَ الإلَه عَلَيْهِمْ قَدِيرَا

(٢٩ — ٣١) يلعب فيها السراب يخفق ويتراءى للمسافر . الجندب حشرة أصغر من الجرادة ، وليس صياحه من فيه وانما هو من جناحه . الجون الأسود . الصرير صوت الجندب .

(٣٢ — ٣٣) ناجية سريعة . الأتان الصخرة تكون فى الماء وتصيبها الشمس، فهو أصلب لها . الثميل الماء الكثير . السرى سير الليل . الاين التعب والكلال . عسير تمسر بذنبها أى ترفعه . ناقة جمالية وثيقة كالجمل . تغتلى تغلو فى مسيرها . الرديف هو الذى يركب خلف الراكب . اى أنها لاتبالى أن يركبها أكثر من واحد فتنهض بهم جميعا فى هذه الرحلة العسيرة . الآثمات النوق الضعيفة جعل تخلفها اثما . وكذبت اى تخلفت وكأنها كذبت ظن صاحبها بها ، أو لم تف بواجبها . الهجير التهاب الحر واحتدامه فى الظهر .

(٣٤ — ٣٦) ازكى من الزكاة وهو النمو والزيادة . الخير (بكسر الخاء) الكرم . النجاد حمائل السيف يكنى بطولها عن طول القامة . العماد عمود الخباء يكنى بارتفاعه عن شرف صاحبه لأن خيام الأشراف ضخمة عالية . المضاف المستجير اللاجىء .

(٣٧ — ٣٨) الضن البخل أو هو من قولهم ضن بالمنزل أى لم يبرحه . ويؤيد ذلك البيت التالى . القيد يقصد به العمى وكبر السن، ترك خطوه قصيرا لأنه قد لزم بيته لايكاد يبرحه .

(٣٩ — ٤٣) دعوى مصدر من دعاه يدعوه أو من دعا له أو دعا الله . الكرير شبه الحشرجة ، صوت فى الصدر كصوت المختنق أو المجهود . الجدير جمع جديرة وهى الحظيرة ، والجدير كذلك المكان المحوط بجدار . أخطر جعل نفسه خطرا لقرنه فبارزه . القدح سهم الميسر .

٤٠ ـ سل (تميما) عما أصابهم بك ، فإن يكتموا القول فإنى خبير .

٤١ ـ كانوا يتمنون لقاءك قبل أن يذوقوا بأسك ، ما يفتئون يتحصنون ، ويبنون حول كل ماء وجدارا يمنعه .

٤٢ ـ حتى إذا برزت لهم بقومك ، وامتُحِن الفريقان أيهما أشد وأقوى ، لم يكن فوزك إلا بأيسر جهد .

٤٣ ـ وكان الله قادرًا أن يذيقهم بأسك ، ويعينك عليهم .

٤٤ ـ أعددت للحرب عدتها من الرماح الطوال ، والخيل الجياد .

٤٥ ـ والدروع الكثيفة قد نسجت نسجًا مضاعفًا ، تُحمَل فوق الجمال عِيرًا من ورائها عِير .

٤٦ ـ إذا ازدحمت فى المسالك الضيقة بين الجبال احتكت رءوس المسامير التى تربط حلقاتها .

٤٧ ـ فتسمع لها صوتا كحفيف الحصاد حين تهزه الريح العنيفة فى سكون الليل .

٤٨ ـ إذا نازل أبطالُ الحرب كتيبتك الكثيفة الجَمْعِ ، وقد تراكم فوق رجالها الدروع ، حتى لا ترى فيها إلا سوادًا ، أتعبتهم ، كما يتعب الجوادُ السابق الجوَادَ الأعرج إذا جرى معه مسابقًا .

٤٩ ـ لمثل هذه الحرب أعددت الجياد ولم تبخل عليها بالمال ، فهى عندك منعمة تُعلَف الشعير فى الصيف وتجلَّل بالأكسية التى تصونها وتمنع عنها أذى الرياح .

٥٠ ـ ولكنها ضامرة ، قد بدا عليها الكَلَال ، وقَرِحت بطون حوافرها من طول القياد فى الغارات ، ومن بينها صغارها وقد تخطت من عمرها العام الأول ، تمرح كأنها تيوس الظباء .

٥١ ـ ولا بد لك فى كل صيف من غزوة سريعة تجهد الصلب الشديد من الأفراس

٥٢ ـ إذ تنازع خُدَّامَها الأرسان من شدة نشاطها ووفرة قوتها ، وقد تشعث شعرها حين يقودونها ويعلون بها مكامن الخوف والخطر .

(٥٣ ، ٥٤) أنت الجواد ، وأنت الجدير بأن تطعن الطعنة التى تضرب منها النساءُ النحور ، إذا ما فقدن أبناءهن وأزواجهن فى مواطن الجرأة والإقدام ، حين تكون النفوس مِلْءَ الصدور .

٥٥ ـ وليس الفرات وقد تدفقت مياهه مزبدة ، تغشى الآكام وتعلو الجسور .

٥٦ ـ وتَكُب السفن لوجوهها ، وتصرع الأشجار والدور القائمة على شاطئيه .

٥٧ ـ بأجود منك حين تعطى المئين ، وتهب أكياس المال .

٤٤ ـ وَأَعْدَدْتَ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا ..... رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورَا
٤٥ ـ وَمِنْ نَسْجِ دَاوُودَ مَوْضُونَةً ..... تُسَاقُ مَعَ الحَىِّ عِيرًا فَعِيرَا
٤٦ ـ إِذَا ازْدَحَمَتْ فِى المَكَانِ المَضِيـ ..... ـقِ حَتَّ التَّزَاحُمُ مِنْهَا القَتِيرَا
٤٧ ـ لَهَا جَرَسٌ كَحَفِيفِ الحَصَا ..... دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دَبُورَا
٤٨ ـ وَجَأْوَاءَ تُتْعِبُ أَبْطَالَهَا ..... كَمَا أَتْعَبَ السَّابِقُونَ الكَسِيرَا
٤٩ ـ جِيَادُكَ فِى الصَّيْفِ فِى نِعْمَةٍ ..... تُصَانُ الجِلَالَ وَتُعْطَى الشَّعِيرَا
٥٠ ـ سَوَاهِمُ جُذْعَانُهَا كَالْجِلَا ..... مِ أَقْرَحَ مِنْهَا القِيَادُ النُّسُورَا
٥١ ـ وَلَا بُدَّ مِنْ غَزْوَةٍ فِى المَصِيـ ..... ـفِ حَتٍّ تُكِلُّ الوَقَاحَ الشَّكُورَا
٥٢ ـ يُنَازِعْنَ أَرْسَانَهُنَّ الرُّوَا ..... ةَ شُعْثًا إِذَا مَا عَلَوْنَ الثُّغُورَا
٥٣ ـ فَأَنْتَ الجَوَادُ وَأَنْتَ الَّذِى ..... إِذَا مَا النُّفُوسُ مَلَأْنَ الصُّدُورَا
٥٤ ـ جَدِيرٌ بِطَعْنَةِ يَوْمِ اللِّقَا ..... ءِ تَضْرِبُ مِنْهَا النِّسَاءُ النُّحُورَا
٥٥ ـ وما مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الفُرَا ..... تِ يَغْشَى الإِكَامَ وَيَعْلُو الجُسُورَا
٥٦ ـ يَكُبُّ السَّفِينَ لِأَذْقَانِهِ ..... وَيَصْرَعُ بِالعَبْرِ أَثْلًا وَدُورَا
٥٧ ـ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ ..... فَيُعْطِى المِئِينَ وَيُعْطِى البُدُورَا

(٤٤ — ٤٧) أوزار الحرب عدتها . موضونة درع منسوجة بعضها على بعض . تساق تحمل ويرسل بها . حت برد وحك . القتير رءوس المسامير التى تربط أجزاء الدرع وحلقاته . الجرس صوتها حين يحتك بعضها ببعض . الحصاد النبات الذى جف على سوقه ونضج . الدبور الريح الغربية وهى تقابل الصبا وهى الريح الشرقية .

(٤٨ — ٤٩) جأواء كتيبة سوداء لكثرة ما على فرسانها من الحديد . الكسير المكسور . الجلال جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

٥٠ — جذعان جمع جذع (بفتحتين) وهو الشاب الحدث . الجلام جمع جلم (بفتحتين) وهو تيس الظباء والغنم . القياد طول قيادها فى الحروب . النسور جمع نسر وهو لحم فى بطن الحافر يكون كالنوى والحصى . أقرحها جرحها وأحفاها .

٥١ — سواهم : ضامرة متغيرة . حت سريعة . الوقاح الصلب ، حافر وقاح وفرس وقاح أى صلب شديد . الشكور الضخم السمين ، شكرت الدابة (كطرب) سمنت . تكلها تتعبها وتكدها وتجهدها .

(٥٢ — ٥٤) الرواة جمع راوى وهو الذى يقوم على العناية بالخيل . شعثا قد تشعث شعرها وتفرق وانتثر . الثغور جمع ثغر وهو موضع المخافة والخلل .

(٥٥ — ٥٧) مزبد تلتطم أمواجه فيطفو الزبد على سطحه . خليج الفرات : العرب تسمى النهر خليجا . الإكام المرتفعات جمع أكمة . الجسر الذى يعبر عليه كالقنطرة ونحوها . يكب السفين لأذقانه يقلبها على وجوهها . والسفين جمع سفينة . العبر الشاطىء . الأثل شجر . البدور جمع بدرة (بفتح الباء وسكون الدال) وهى الكيس المملوءة نقودا .

هذه القصيدة هي آخر ما مدح به الاعشى هوذة مما وجد في ديوانه (١)، فهي القصيدة الرابعة على حسب الترتيب الزمني . وفيها مايدل على انها قيلت قبل الهجرة ببضع سنوات . لانه يشير في آخرها الى ايقاع كسرى ببني تميم في يوم الصفقة .

ويقول ابن الأثير ان هذا اليوم كان وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة لم يهاجر (١) . ويبدو هوذة فيها وقد شاب وتقدمت به السن . فالأعشى يقول (البيت ٥٠) :

لم ينقص الشيب منه مايقـــال له   وقـد تجـاوز عنـه الجهـل فانقشما

وفي القصيدة بعض مايستحق النظر . فقد روى أبو عبيدة أن أبا عمرو بن العلاء زاد فيها بيتا من وضعه ، واستغفر الله فلم يروه ، وهـذا البيت هو (البيت ٢) :

وأنـكرتني وما كان الذي نـكرت   من الحـوادث الا الشيب والصـلما

وروى صاحب العقد الفريد أن واضع البيت هو حماد ، وقال انه لم يزد في شعر الأعشى غيره . وروى صاحب الأغاني في أخبار بشار انه انشد هذا البيت وهو يسمع فأنكره وقال انه لايشبه كلام الاعشى . وروى ثعلب في شرح الديوان هذا الخبر الاخير ، وزاد عليه أن الذي انشد بشارا البيت هو أبو بكر (قلت ولعله أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي المتوفى سنة ١٩٣ هـ) فلما انكر بشار البيت رد عليـه أبو بـكر (ولا عرف القصيدة) ثم قال متعجبا من فطنة بشار (أعمى شيطان) . اذن فالشك قد تجاوز البيت الى القصـيدة كلها في نظر أبي بكر هـذا .

والواقع ان بعض أجزاء القصيدة يبدو مقحما قد ألصق بالقصيدة الصاقا ، مثل الابيات (١٤ — ٢١) التي يتحدث فيها الشاعر عن حسان تبع وعن اليمامة ، ومثل الأبيات (٦٢ — ٦٧) التي يشير بها الى يوم الصفقة . فالاولى تعترض بين الغزل ووصف الصحراء ، والثانية تعترض بين المدح . يضاف الى ذلك أن المرزباني سيء الراي في القصيدة جميعا . فهو يروى بعض أبياتها عن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوى ، ويقول انه سمعها منه كاملة وعددها ستة وسبعون بيتا — وكذلك هي في هذا الديوان — ثم يقول « انها من الأشعار الغثة الالفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسج ، القلقة القوافي ، المضادة للاشعار المختـــارة » ولا يستثنى من ذلك الا ستة أبيات . ثم يقول « فمثل هذا الشعر وماشاكله يصديء الفهم ويورث الغم » (٢)

والحقيقة ان التكلف واضح في كثير من أبيات القصيدة الى حد يجهد القارىء في فهم المقصود ، لأن الشاعر يقصر في التعبير عما يريد ، ويخونه التوفيق في نظم الالفاظ ، ثم هو لايقصد الى معنى جليل يستحق كل هذا العناء من القارىء .

هذا مع ما أشرت اليه من سوء الترتيب والحشو والاقحام . وكل هذه الاشياء مجتمعة قد تشكك في صحة نسبة القصيدة للاعشى . ولكني مع ذلك لا أرى فيها جميعا أى دليل يجعلني انفى نسبتها للشاعر . ومن المهم أن نتصور الشاعر الجاهلي كما كان يتصوره الجاهليون . فقد كان الشاعر في ذلك الوقت يصور الرجل المثقف الحكيم . وكان الشعر كل شيء عند الناس في ذلك الوقت . هو العلم ، وهو الحكمة ، وهو التاريخ وهو السياسة وهو بعد ذلك — أو قبله ان شئت — الكلام الجميل المنسق المثير . ولذلك فالشاعر يروى التاريخ ويحفظ الأساطير ويستنبط منها العظة والعبرة .

فهذه الاجزاء التي تبدو في نظرنا الآن مقحمة لم تكن كذلك في نظر الشاعر ومعاصريه . بل لقد كان الشاعر يكاثر ويتعالم بما يزج من مثل هذه الاخبار التي تصور سعة أفقه وعمق ثقافته ووفرة علمه .

وبعد فليس لنا بد من أن نلخص بعض مايروى عن حديث حسان تبع ويوم الصفقة حتى يتيسر فهم بعض مايتعلق بهما من شعر :

أما تبع حسان فقد عاش في أوائل القرن الخامس للميلاد . وقصته تتصل بحديث طسم وجديس ، وهما من قبائل العرب البائدة التي لم تصل اليها الكشوف الأثرية ، وكل علمنا عنها مما يروى من أساطير تدخلها المبالغة والخلط وصناعة القصص .

قالوا ان هاتين القبيلتين كانتا تسكنان اليمامة في شرقي نجد — وهي موطن شاعرنا الاعشى وقومه — وكان اسمها وقتذاك « جو » . وكانت السيادة في طسم حتى انتهى الملك الى رجل ظالم فاسق ، فائتمرت به جديس فقتلوه وأفنوا قومه من طسم ، لم ينج منهم الا رجل اسمه « رياح ابن مرة » سار الى تبع حسان بن عمرو ملك اليمن مستنجدا به ، فسار معه بجيشه . وكان لرياح بن مرة أخت في جديس تبصر على مسيرة ثلاثة أيام . فلما كان قريبا من القوم أخبر حسان بخبرها وقال للجيش اقطعوا الشجر ، وليضع كل راكب منكم بين يديه غصنا ليشتبه الأمر عليها . فلما نظرت اليمامة من فوق حصن مرتفع من حصونهم قالت : أرى رجلا في شجرة ، معه كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها . وأخبرتهم بأن حميرا ستغزوهم ، وكان كاهن قديم اسمه سطيح قد تنبأ بذلك . ولكن قومها كذبوها ولم يأخذوا للامر أهبتهم . فوطئهم حسان بجيشه فأفناهم وهدم قصورهم وحصونهم ، وصلب « اليمامة » على باب « جو » بعد أن قلع عينيها ، فسميت « جو » من ذلك الوقت « اليمامة » على اسم هذه المرأة (٣) .

أما حديث الصفقة فخلاصته أن تميما نهبت قافلة من قوافل كسرى التي كانت تمر بين اليمن وفارس ، في موضع من أرضهم يسمى « نطاع » فآوى هوذة رجال القافلة الذين كانوا يسيرون في حراستها ، وقدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة مرصعة بالاحجار الكريمة ، وكأسا من ذهب كان قد سقاه فيه ، ثم دبر مكيدة الايقاع بتميم ، وذلك بأن يمنع عنهم الميرة ، فاذا نالت منهم الحاجة

(١) ابن الاثير ١ : ٣٨٩   (٢) الموشح ٥٢ ، ٥٣

(٣) الطبرى ١ : ٤٥١ — ٤٥٢ ، ابن الأثير ١ : ٢٠٢ — ٢٠٥ ، السيرة ١ : ١٥ — ١٩ ، العرب قبل الاسلام ص ٦٢ ، ٦٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِى :

١ ـ بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انقَطَعَا ... واحْتَلَّت الغَمْرَ فالجُدَّيْنِ فَالفَرَعَا (بسيط.)

٢ ـ وَأَنْكَرَتْنِى وَمَا كَانَ الَّذِى نَكِرَتْ ... مِنَ الحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ والصَّلَعَا

٣ ـ قَدْ يَتْرُكُ الدَّهْرُ فِى خَلْقَاءَ رَاسِيَةٍ ... وَهْيًا وَيُنْزِلُ مِنْهَا الأَعْصَمَ الصَّدَعَا

٤ ـ بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِى النَّفْسِ حَاجَتَهَا ... بَعْدَ ائْتِلَافٍ وَخَيْرُ الوُدِّ مَانَفَعَا

٥ ـ وَقَدْ أَرَانَا طِلَابًا هَمَّ صَاحِبِهِ ... لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا

٦ ـ تَعْصِى الوُشَاةَ وَكَانَ الحُبُّ آوِنَةً ... مِمَّا يُزَيِّنُ لِلْمَشْغُوفِ مَا صَنَعَا

٧ ـ وَكَانَ شَىْءٌ إِلَى شَىْءٍ فَفَرَّقَهُ ... دَهْرٌ يَعُودُ عَلَى تَشْتِيتِ مَا جَمَعَا

٨ ـ وَمَا طِلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ مُدْرِكَهُ ... إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الجَهْلِ قَدْ وَقَعَا

٩ ـ تَقُولُ بِنْتِى وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا ... يَارَبِّ جَنِّبْ أَبِى الأَوْصَابَ وَالوَجَعَا

١٠ ـ واسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحَىِّ ذَاشَرَفٍ ... فَقَدْ عَصَاهَا أَبُوهَا وَالَّذِى شَفَعَا

١١ ـ مَهْلًا بُنَىَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَبْعَثُهُ ... هَمٌّ إِذَا خَالَطَ الحَيْزُومَ والضِّلَعَا

١٢ ـ عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِى صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِى ... يَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا

(١ — ٣) بانت بعدت . نكره وأنكره جهله ولم يعرفه ، وانكر عليه الامر عابه عليه . صخرة خلقاء صلبة ملساء . الاعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه أو احدهما بياض وسائره أسود او احمر . الصدع الفتى الشاب القوى .

(٤ — ٦) أسارت ابقت . الطلاب مصدر طالب . الهم مايشغل النفس . اراد ان كلا منهما لم يكن له هم ولا مقصد الا صاحبه . المشغوف المولع بالشىء والشغاف (بكسر الشين) غشاء القلب .

(٧ — ٩) غراب الجهل ، أى غراب الشباب ، تقول طار غرابه اذا شاب لان الغراب اسود . الوصب نحول الجسم من تعب او مرض .

(١٠ — ١٢) استشفعت طلبت ان يشفع لها ويعاونها فى مطلبها . شفع له اعانه . الحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . الضلع الاضلاع جمع ضلع . عليك مثل الذى صليت أى عليك مثل دعائك ، والصلاة هنا الدعاء .

اقام لهم سوقا فى حصن « المشقر » وقد أعد للأمر رجاله ، فاذا تهافتوا فيه قتلهم . وقد كان لكسرى وهوذة ما أرادا ؛ ولكن التميميين تنبهوا للأمر حين رأوا الداخل لايخرج وثاروا على هوذة ، فأمر باطلاق مائة من خيارهم وفر هاربا .

والأعشى ينفى عن هوذة فى هذه القصيدة أنه اشترك فى تدبير المؤامرة للايقاع ببنى تميم ، وينسب ذلك لكسرى نفسه ، ولا ينسب لهوذة الا الجزء الأخير من القصة ، وهو شفاعته فى اطلاق مائة من اسراهم . ويذكر ابن الأثير أن هوذة كان نصرانيا ، وأن الصفقة كانت فى يوم الفصح ، ويستشهد على ذلك بالبيت (٦٩) من هذه القصيدة .

وقد جعل الطبرى وصاحب الأغانى هذا اليوم فى ملك كسرى انوشروان . أما ابن الأثير فقد جعله فى ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان . ورواية ابن الأثير أصح . لأن بين وفاة كسرى أنوشروان و بين الهجرة اربعة واربعون عاما . وقد كان هوذة احد الذين ارسل لهم الرسول الكتب يدعوهم للاسلام سنة ٦ فلو صح مايرويه الطبرى والأصفهانى لكان معنى ذلك أن هوذة عاش بعد يوم الصفقة خمسين سنة على الاقل . وذلك بعيد عن المعقول ، لأن الأعشى يصوره فى هذه القصيدة وقد اسن وكساه الشيب (١) . هذا الى أن ابن الأثير قد ارخ هذا اليوم كما سبق ، فقال انه كان وقد بعث النبى صلى الله عليه وسلم .

يقول الأعشى :

١ ـ رحلت سعاد وأمسى مابينى وبينها قد انقطع ، فديارها بين « الغَمْر » و « الجُدَّين » و « الفَرَعَ » .

٢ ـ وأنكرتنى متجاهلة ، وما كان الذى أنكرت إلا الشيب والصلع .

٣ ـ وإن الدهر ليصدع صلب الصخر الراسى فى الجبال ، وينزل الظبى الفَتِيَّ القوى من حيث يعتصم فى شعافها وقممها .

٤ ـ رحلت بعد أُلفه واجتماع ، وأبقت فى النفس حاجة لا تنقضى ، وخيرُ الود مانفع .

٥ ـ ويرجع الشاعر بخياله إلى الماضى فيقول: فقد أذكر كيف كنا ولا همَّ لأحدنا إلا صاحبه . . . ويسكت قليلا ، ثم يهز رأسه فى حسرة قائلا : لو أن شيئًا يرجع إذا مضى وفات !

٦ ـ كم قد عصيت الوشاة وأعرضت عما يقولون ، وكان الحب يزين فى عينى ما أصنع .

٧ ـ كنا وشملُنا مجتمع ، وقلوبنا متآلفة ، ففرقنا الدهر الذى يكر على ما جمع بالأمس ليشتته اليوم .

ويختم الحديث عن صاحبته بأن يقول متحدثًا إلى نفسه :

٨ ـ ما طِلبك شيئًا لا سبيل إلى إدراكه ، وقد شبت وتقدمت بك السن ، وانزاحت عن عينيك غشاوة الشباب والجهل ؟

ويشير الأعشى بعد ذلك إلى ابنته التى أشار إليها من قبل فى القصيدة (٤) التى مدح بها قيس بن معد يكرب ، فنرى فى القصيدتين صورة واحدة .

٩ ـ ابنة تخاف على أبيها ، فهى تريد أن تجنبه مخاطر الأسفار ، وتدعو الله قائلة : (يا رب جَنِّب أبى الأوصاب والوجعا) .

١٠ ـ وتتوسل إليه بسراة الحى ليردوه عن السفر ، فيعصيها ويعصيهم جميعًا ، ويمضى لما عزم عليه من الرحيل . ويقول لها :

---

(١) الطبرى ١ : ١٠٥٨١ ابن الأثير ١ : ٢٧٨ ؛ الأغانى ١٦ : ٧٨

١٣ ـ وَاسْتَخْبِرِى قَافِلَ الرُّكْبَانِ وَانْتَظِرِى أَوْبَ الْمُسَافِرِ إِنْ رَيْثًا وَإِنْ سَرَعَا
١٤ ـ كُونِى كَمِثْلِ الَّتِى إِذْ غَابَ وَافِدُهَا أَهْدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدٍ نَظْرَةً جَزِعَا
١٥ ـ وَلَا تَكُونِى كَمَنْ لَا يَرْتَجِى أَوْبَةً لِذِى اغْتِرَابٍ وَلَا يَرْجُو لَهُ رجَعَا
١٦ ـ مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظْرَتِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذِّئْبِىُّ إِذْ سَجَعَا
١٧ ـ إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ إِذْ يَرْفَعُ الآلُ رَأْسَ الكَلْبِ فَارْتَفَعَا
١٨ ـ وَقَلَّبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ إِنْسَانَ عَيْنٍ وَمُوُقًا لَمْ يَكُنْ قَمِعَا
١٩ ـ قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِى كَفِّهِ كَتِفٌ أَوْ يَخْصِفُ النَّعْلَ لَهْفِى أَيَّةً صَنَعَا
٢٠ ـ فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِى المَوْتَ وَالشِّرَعَا
٢١ ـ فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوٍّ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَهَدَّمُوا شَاخِصَ البُنْيَانِ فَاتَّضَعَا
٢٢ ـ وَبَلْدَةٍ يَرْهَبُ الجَوَّابُ دُلْجَتَهَا حَتَّى تَرَاهُ عَلَيْهَا يَبْتَغِى الشِّيَعَا
٢٣ ـ لَا يَسْمَعُ المَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ البُومِ وَالضُّوَعَا
٢٤ ـ كَلَّفْتُ مَجْهُولَهَا نَفْسِى وَشَايَعَنِى هَمِّى عَلَيْهَا إِذَا مَا آلُهَا لَمَعَا
٢٥ ـ بِذَاتِ لَوْثٍ عَفَرْنَاةٍ إِذَا عَثَرَتْ فَالتَّعْسُ أَدْنَى لَهَا مِنْ أَقُولَ لَعَا

(١٣ — ١٥) قفل الركب عاد . الريث البطء . الوافد الرسول ، يقصد أخت رياح بن مرة الطسمى ، ووافدها أخوها . أوبة عودة . رجع رجوع .

(١٦ — ١٨) أشفار جمع شفر (بضم الشين) . وهو أصل منبت الشعر فى الجفن . الذئبى سطيح الكاهن . سجع تنبأ بقول مسجوع وهو سجع الكهان ، كانوا يتكلمون بكلام مسجوع . الآل السراب . رأس الكلب جبل . ارتفع السراب اضطرب ، والسراب يرفع الشخوص فتبدو فى الأفق على ماهو معروف فى علم الضوء من انعكاس الصور . المقلة العين نفسها . مقرفة من قرف أى خلط وكدب . انسان العين الفتحة التى أمام عدسة العين ومنها تبصر . القمع فساد فى مؤق العين واحمرار .

(١٩ — ٢١) الكتف عظم عريض خلف المنكب ، يقصد قطعة من لحم الكتف فى يده ينهشها ويأكلها . يخصف النعل يخرزها ويلصق بها قطعة أخرى من الجلد لاصلاحها . صبحهم الخيش داهمهم فى الصباح . يزجى يسوق . الشرع جمع شرعة (بكسر فسكون) وهى الحبالة التى يصيد بها الصائد . جو اسم اليمامة القديم . بنيان شاخص مرتفع . اتضع افتعل من وضع ، ووضع البنيان هدمه وسواه بالأرض .

(٢٢ — ٢٥) الجواب المسافر الكثير الجولان فى الصحراء . الدلجة السير آخر الليل والادلاج سير الليل كله . الشيع جمعه شيعة ، وشيعة الرجل الذى يشايعه اى يعينه ويشجعه . الضوع طائر من طيور الليل أسود كالغراب . النئيم صوته . اللوث القوة . العفرناة الغول ، شبه ناقته بها . لعا له دعاء للعاثر بأن ينتعش ، أى سلمت ونجوت .

١١ – مهلا يابنية ، فإنما يسافر الرجل ليتسلى عن هَمِّه الذى يخالط صدره وتنطوى عليه ضلوعه .
١٢ – ادعى الله مثل دعائك إذ تقولين (يا رب جَنِّبْ أَبِى الأَوصاب والوجعا) ، ثم نامى وَقرِّى عينا ، فليس لنا من الموت مفر .
١٣ – واسأَلى عنى من يعود من الركبان ، وانتظرى أوبتى بعيدًا أو قريبًا .

وهنا يشير الأَعشى إلى قصة زرقاءِ اليمامة التى أجملناها فى صدر هذا الحديث.

فيقول لابنته ما ضيًا فيما كان فيه من نصحها وتهدئة روعها :

(١٤ ، ١٥) كونى مثل «اليمامة» ، إذ غاب عنها أخوها حين رحل يلتمس عون حسان، فظلت تترقب عودته فى شوق وأمل ، بنظرات ملؤها الجزع والإشفاق. ولا تكونى متشائمة كمن لا يرجو عودة المسافر.

وينتقل الأَعشى إلى قصة «اليمامة» فيتحدث عنها فى ستة أَبيات ، بما لا يتجاوز ما أَسلفنا من حديثها .

١٦ – لم تنظر ذاتُ عينين كنظرتها . وكان ما رأَت مصدقا لما تنبأَ به الذئبى (سطيح الكاهن) فى سجعه القديم .
١٧ – نظرت فلم تخنها عيناها ، وقد سطع السراب واضطرب فوق «رأس الكَلْب» .
١٨ – وحددت النظر بعين لا تكذب ولا تخلط بين ما ترى ، إنسانها صاف ومؤقها سليم من الفساد والمرض .
١٩ – وقالت لقومها : عجيب ما أرى . إنه رجل فى كفه كتف ينهشها ! لا بل هو رجل يخصف النعل ! لهفى أَيهما أرى ؟ إنه هذا أو ذاك .

(٢٠ ، ٢١) ولكن قومها أعرضوا عنها مكذبين ولم يصدقوا ما قالت. فصبحهم حسان بجيشه يسوق الهلاك وحبائل الموت. فاستنزلوا أهل «جو» من مساكنهم ، وهدموا عالى البنيان فسووه بالأَرض .

ويعود الأَعشى إلى الحديث عن أَسفاره التى أرادت ابنته أن تمنعه منها :

٢٢ – إنه يسلك البلاد التى يرهب الرحالة الجواب أَن يسير فيها آخر الليل وحده ، فهو يجمع حوله الرفاق ليعتز بهم ويتشجع .
٢٣ – قد أَقفرت من كل شئ ، لا يؤنس سالكَها فى الليل إلا نعيقُ البوم ، وصوت الضُّوَع ، طائر الليل الأَسود .
٢٤ – فى مثل هذه المسالك أُكلف نفسى السير ، أَقتحم مجاهلها ، ولا أَلتمس العون عليها

٢٦ - تَلْوِى بِعِذْقٍ خِصَابٍ كُلَّمَا خَطَرَتْ ... عَنْ فَرْجِ مَعْقُومَةٍ لَمْ تَتَّبِعْ رُبَعَا
٢٧ - تَخَالُ حَتْمًا عَلَيْهَا كُلَّمَا ضَمَرَتْ ... مِنَ الكَلَالِ بِأَنْ تَسْتَوْفِىَ النِّسَعَا
٢٨ - كَأَنَّهَا بَعْدَ مَا أَفْضَى النِّجَادُ بِهَا ... بِالشَّيِّطَيْنِ مَهَاةٌ تَبْتَغِى ذَرَعَا
٢٩ - أَهْوَى لَهَا ضَابِىءٌ فِى الأَرْضِ مُفْتَحِصٌ ... لِلَّحْمِ قِدْمًا خَفِىُّ الشَّخْصِ قَدْ خَشَعَا
٣٠ - فَظَلَّ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسِ وَاحِدِهَا ... فِى أَرْضِ فَىْءٍ بِفِعْلٍ مِثْلُهُ خَدَعَا
٣١ - حَانَتْ لِيَفْجَعَهَا بِابْنٍ وَتُطْعِمَهُ ... لَحْمًا فَقَدْ أَطْعَمَتْ لَحْمًا وَقَدْ فَجَعَا
٣٢ - فَظَلَّ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهْىَ رَاتِعَةٌ ... حَدَّ النَّهَارِ تُرَاعِى ثِيرَةً رُتُعَا
٣٣ - حَتَّى إِذَا فِيقَةٌ فِى ضَرْعِهَا اجْتَمَعَتْ ... جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقَّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا
٣٤ - عَجْلًا إِلَى المَعْهَدِ الأَدْنَى فَفَاجَأَهَا ... أَقْطَاعُ مَسْكٍ وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ دُفَعَا
٣٥ - فَانْصَرَفَتْ فَاقِدًا ثَكْلَى عَلَى حَزَنٍ ... كُلٌّ دَهَاهَا وَكُلٌّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا
٣٦ - وَذَاكَ أَنْ غَفَلَتْ عَنْهُ وَمَا شَعَرَتْ ... أَنَّ المَنِيَّةَ يَوْمًا أَرْسَلَتْ سَبُعَا
٣٧ - فَمَا تُعَاقِدُ .... قَلْتُ الشَّاةَ قَدْ صَقِعَا
٣٨ - حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ صَبَّحَهَا ... ذُؤَالُ نَبْهَانَ يَبْغِى صَحْبَهُ المُتَعَا

(٢٦ — ٢٨) العذق (بفتح العين) النخلة ، والعذق (بكسر العين) القنو منها والعنقود الذى فيه البلح . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة . خطر الفحل بذنبه ضرب به يمينا وشمالا . معقومة عاقر . الربع ولد الناقة الذى يولد فى الربيع . تستوفى تستكمل النسع جمع نسع (بكسر فسكون) وهو سير ينسج عريضا وتشد به الرحال الى ظهر الناقة . افضى الى الشىء وصل اليه . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض . المهاة بقرة الوحش . الذرع ولد البقرة .

(٢٩ — ٣١) اهوى لها انحط وانحدر . ضابىء لازق . مفتحص متخذ افحوصا والأفحوص الجحر الذى يأوى اليه . خفى الشخص ناحل دقيق الجسم . خشع نحل ، خشع السنام ذهب الا أقله . واحدها ابنها . الفىء الظل . حانت من الحين (بفتح ثم سكون) وهو الهلاك والمحنة .

(٣٢ — ٣٥) رتعت الماشية فى المكان أكلت وشربت ماشاءت فى خصب وسعة . حد الشىء منتهاه ، حد النهار اى طوال النهار . الفيقة اللبن الذى يجتمع فى الضرع بين الحلبتين . شق الشىء شطره والقطعة منه . وشق النفس ولدها لأنه قطعة منها . لوهنا للتمنى اى ليته حى فيرضع منها . عجلا مصدر عجل (كطرب) سكن الجيم لضرورة الوزن . المعهد الموضع الذى عهدته به . الادني القريب . أقطاع جمع جمع . المفرد قطعة والجمع قطع وجمعه أقطاع . المسك الجلد . سافت شمت . الدفع ماجرى شيئا بعد شىء من دمه . دهته الداهية أصابته .

(٣٦ — ٣٨) السبع الوحش المفترس . ذر طلع . قرن الشمس أول مايشرق منها . ذال أسرع ومشى فى خفة ، ويقصد بالذؤال هنا الصائد . المتع جمع متعة بمعنى أنه يطلب لهم زادا وطعاما .

حين يخفق فيها السراب إلا من هَمِّى وعزمى .

٢٥ — فوق ناقة قوية شديدة لا تتعثر فى طريقها ، تعست إن هى عثرت ولا أقالها الله .

٢٦ — تضرب بذنبها ذات اليمين وذات الشمال — وكأنه وقد اكتنفه الشعر من ناحيتيه قِنْوُ النخلة — فيكشف عن فرج عاقر عقيم ، ليس وراءها ولد تحن إليه فيعوقها عن الإقدام ، فهى لا تُقْتَنَى للإنتاج والنسل ، وإنما تخصَّص للرحلة .

٢٧ — تكلف هذه الناقة نفسها الرحلة البعيدة حتى يضنيها الكلال فتضمر ، وتسترخى السيور التى تشد الرحل إلى بطنها ، ولكنها ترى حتما عليها أن تمضى فى السير حتى تتم رحلتها ، حيث تستريح وتسترد قوتها ، ويعود جسمها إلى الاكتناز والامتلاء حتى يملأ السيور ويستوفيها .

٢٨ — ويصور لنا كلال راحلته بعد أن أفضت بها المرتفعات إلى (الشيِّطَين) — وهما واديان — فيشبهها ببقرة وحش تنشد ولدها الفقيد .

٢٩ — عرض لها وحش قد لصق بالأرض متخذاً له فيها وكراً ينتظر الصيد فى نهم للحمه ، وقد فنى جسمه من الهزال ، ودق شخصه من شدة الجوع .

٣٠ — فظل يخدعها عن ولدها فى أرض كساها الظل — وقد طالما خدع غيرها من قبل —

٣١ — قُدِّر عليها أن تطعمه لحم ابنها وأن يفجعها فيه ، فقد أطعمته لحمه وقد فجعها .

٣٢ — ظل يأكل من لحمه وهى ترتع مع قطيع من الثيران طول النهار .

٣٣ — حتى إذا اجتمع اللبن فى ضرعها عادت ترضع ولدها — لو أنه حى يرضع !

٣٤ — وأسرعت فى عجل إلى حيث خلفته قريباً منها ، ففوجئت بقطع ممزقة من جلده قد لطخها الدم . فراحت تشم هذه الدفع المتفرقة من دمه فى حزن وأسى .

٣٥ — ثم انصرفت فاقداً ثكلى ، حزينة على ما دهاها وما اجتمع عليها من المصائب .

٣٦ — لقد غفلت عن ابنها ولم تشعر أن الموت قد أرسل له سبعاً .

٣٨ — ولم تكد تفيق هذه البقرة المسكينة من بليتها حتى فاجأها خطب جديد . فما هو إلا أن لاح الصباح حتى فاجأها صياد كأنه ذئب «نَبْهَان» يبغى صَحْبَه صيداً .

٣٩ — معه كلاب ضارية كأنها النبال فى سرعتها ، ترى فى أعناقها أثر السيور .

٤٠ — فإذا بلغ الشاعر هذا الحد من تصوير بقرة الوحش المكدودة المجهدة قال : إنها تشبه ناقتى وقد أجهدها السير وأعيتها الرحلة ، لا تختلف عنها إلا بحوافرها .

٣٩ ـ بأَكْلُبٍ كَسِرَاعِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ   تَرَى مِنَ القِدِّ فِى أَعْنَاقِهَا قِطَعَا

٤٠ ـ فَتِلْكَ لَمْ تَتْرُكْ مِنْ خَلْفِهَا شَبَهًا   إِلَّا الدَّوَابِرَ وَالأَظْلَافَ وَالزَّمَعَا

٤١ ـ أَنْضَيْتُهَا بَعْدَ مَاطَالَ الهِبَابُ بِهَا   تَؤُمُّ هَوْذَةَ لَانِكْسًا وَلَا وَرَعَا

٤٢ ـ يَاهَوْذَ إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى حَسَبٍ   لَا يَفْشَلُونَ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا

٤٣ ـ هُمُ الخَضَارِمُ إِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا   وَلَا يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهِمْ خُنُعَا

٤٤ ـ قَوْمٌ بُيُوتُهُمُ أَمْنٌ لِجَارِهِمُ   يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ المَحْذُورَةُ الفَزَعَا

٤٥ ـ وَهُمْ إِذَا الحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا   مِثْلُ اللُّيُوثِ وَسُمٍّ عَاتِقٍ نَقَعَا

٤٦ ـ غَيْثُ الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ كُلِّهِمُ   لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

٤٧ ـ مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ   إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

٤٨ ـ لَهُ أَكَالِيلُ بِاليَاقُوتِ زَيَّنَهَا   صُوَّاغُهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعَا

٤٩ ـ وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَلْبَسُهُ   أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعَا

٥٠ ـ لَمْ يَنقُصِ الشَّيْبُ مِنْهُ مَا يُقَالُ لَهُ   وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الجَهْلُ فَانْقَشَعَا

٥١ ـ أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ   لَوْصَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعَا

(٣٩ — ٤٠) النبل السهام ، يشبه بها الكلاب فى سرعتها عند انطلاقها . ضارية من ضرى بالشىء تعوده ، وكلب ضار بالصيد خبير به متعوده . القد السير من الجلد . الدوابر مآخير الاظلاف . والظلف الظفر من الحيوانات المجترة كالبقرة والشاة والظبى وشبهها ، وهو بمكان الحافر من الفرس . الزمع جمع زمعة وهو شىء زائد وراء الظلف ، فى كل قائمة زمعتان كأنهما من قطع القرون لصلابتهما .

(٤١ — ٤٣) أنضيتها أكللتها وأجهدتها . الهباب النشاط . النكس العاجز الضعيف . الورع الجبان . آنس الشىء أبصره أو أحس به . الفزع الهلع أو القتال . الخضارم جمع خضرم (بكسر الخاء والراء) وهو الكريم السخى . شهدوا أى حضروا . خنع جمع خانع وهو المريب الفاجر والغادر .

(٤٤ — ٤٨) المحذورة الفزع والداهية التى تحذر والحرب . الفزع المتفرق . العاتق القديم ، وعتقه بفيه عضه . نقع ثبت . غير متئب لايستحى . فعلها تأب أى استحى . الطبع الوسخ الشديد من الصدأ .

(٤٩ — ٥٢) الديباج الحرير وهو فارسى معرب . محبوا من الحباء وهو العطاء . حباه به ملك فارس حين قدم عليه . انقشع ذهب . الجهل طيش الشباب . أغر صبيح الوجه . أبلج من البلجة وهى نقاوة ما بين الحاجبين . استسقى طلب السقيا ، أى ان الناس يسألون المطر ببركته .

وبعد أن يستغرق الأعشى فى عرض هذه الصورة عشرة أبيات يتخلص إلى المدح فيقول :

٤١ ـ إنه قد أنضى هذه الناقة بعد أن طال نشاطها ، يؤم بها هوذة ، وما هو بالضعيف ولا الجبان .

ويبدأ بالثناء على قومه فيقول :

٤٢ ـ ياهوذ إنك من قوم ذوى حسب ، لا يجبنون ولا يضعفون إذا غشيهم من الحوادث ما يفزع .

٤٣ ـ أسخياء يعم خيرهم الناس حاضرين وغائبين ، فضلاء أوفياء يَعِفُّون عن جاراتهم فما يُرِيبون .

٤٤ ـ شجعان منجدون ، يأمن اللاجئ إليهم حين يعم الكرب ويشمل أشتات الناس .

٤٥ ـ فرسان مغاوير ، إذا كشرت الحرب عن أنيابها فهم الليوث وهم السم الزُّعاف .

ثم يصرف الشاعر المدح إلى هوذة ، مشيراً إلى ما حباه به كسرى حين زاره فيقول :

٤٧ ـ إن الذى يلقاه لا يستحى أن يسجد أمام طلعته المهيبة وقد تعصب فوق التاج ، ووضع الأكاليل .

(٤٨ ، ٤٩) قد زينها صواغها بالياقوت ، لا ترى فيها عيباً ولا شينا ، ولبس أكسية الديباج ، محبواً بذلك جميعاً من كسرى .

٥٠ ـ وقد شاب هوذة ، ولكن الشيب لم ينقص منه شيئاً ، بل لقد زاده حنكة وتجربة .

٥١ ـ مبارك ميمون ، بوجهه الصبيح يُسْتَمْطَرُ الغمام ؛ عاقلٌ حليم ، لو قيس عقله إلى عقول الناس فضلها ورجح عليها .

٥٢ ـ حمَّلوه أعباء الملك ، التى لا ينهض بها إلا السادات ، وهو بَعْدُ فتى ، فأطاق الحمل ونهض به .

٥٣ ـ وجربوه فى مختلف الشدائد والأزمات ، فما كشفت تجاربهم إلا عن الحزم والفضل

(٥٤ ، ٥٥) من أجل ذلك ألقى إليه السادة المقاليد ، ورضيت نفوسهم أن يكونوا لو تبعا .

٥٧ ـ يستمع إلى قولهم منصتاً حين يعرضون عليه آراءهم ، فيختار منها ما يشاءُ مما يستبين فيه الحزم والصواب ، ويبتدع ما يشاءُ من صائب الحلول وسديدها .

٥٦ ـ يا هَوْذ ، يا خير من يمشى على قدم ، ويا بحر الهبات للواردين ، وموردَ الشاربين .

٤٦ ـ أنت الغيث الذى يحيا به من نكبهم الدهر من الأرامل والأيتام ، وأنت القدير على أن تنفع وأن تضر .

(٥٨ ، ٦٠) ليس الفرات وقد عب عبابه ، وجاش طوفانه ، وحفل بالماء حتى كاد يطغى على شاطئيه المرتفعين ويغمرهما ، قد ضربه الريح فالتطمت أمواجه وامتدت عالية هَوجَاءَ ، وأُترعت بها روافده وفروعه ، بأجود من هوذة حين تسأله .

٥٢ ـ قَدْ حَمَّلُوهُ فَتِيَّ السِّنِّ مَا حَمَلَتْ سَادَاتُهُمْ فَأَطَاقَ الحِمْلَ وَاضْطَلَعَا
٥٣ ـ وَجَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ أَبَا قُدَامَةَ إِلَّا الحَزْمَ وَالفَنَعَا
٥٤ ـ مَنْ يَرَ هَوْذَةَ أَوْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهِ يَكُنْ لِهَوْذَةَ فِيمَا نَابَهُ تَبَعَا
٥٥ ـ تَلْقَى لَهُ سَادَةَ الأَقْوَامِ تَابِعَةً كُلٌّ سَيَرْضَى بِأَنْ يُرْعَى لَهُ تَبَعَا
٥٦ ـ يَا هَوْذُ يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ بَحْرَ المَوَاهِبِ لِلْوُرَّادِ وَالشُّرَعَا
٥٧ ـ يَرْعَى إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا أَبْدَوْا لَهُ الحَزْمَ أَوْ مَا شَاءَهُ ابْتَدَعَا
٥٨ ـ وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى الجُرْفَيْنِ وَاطَّلَعَا
٥٩ ـ يَجِيشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلًا يَكَادُ يَعْلُو رُبَى الجُرْفَيْنِ مُطَّلِعَا
٦٠ ـ طَابَتْ لَهُ الرِيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرِعَا
٦١ ـ يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ إِذْ ضَنَّ ذُو المَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْ خَدَعَا
٦٢ ـ سَائِلْ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفْقَتِهِمْ لَمَّا رَآهُمْ أَسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعَا
٦٣ ـ وَسْطَ المُشَقَّرِ فِى عَيْطَاءَ مُظْلِمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ فِيهَا ثَمَّ مُمْتَنَعَا
٦٤ ـ لَوْ أُطْعِمُوا المَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمُ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجَعَا

(٥٢ ـ ٥٥) أطاق احتمل . اضطلع بالحمل نهض به . الحزم ضبط الأمر وأخذه بالثقة . الفنع الفضل . نابه نزل به من النوائب . يرعى يكون من رعيته وأتباعه .

(٥٦ ـ ٥٩) الشرع مورد الشاربين . يرعى يصغى . هيت بلد بالعراق . مجاور هيت نهر دجلة و (هيت) بلد يمر به دجلة . الجرف المكان الذى يأخذه السيل ، ويجرفه . أطلع افتعل من طلع أى صعد . جاش غلا واضطرب . الطوفان الماء الغالب يغشى كل شىء . عب البحر ارتفع وكثر موجه . حفل واحتفل اجتمع وامتلأ . ربى جمع ربوة .

(٦٠ ـ ٦٤) الغوارب جمع غارب ، وغارب كل شىء حده ، والغوارب أعالى الأمواج . حوالب النهر الفروع التى تحلبه أى تمينه وتمده . ترعا أى مترعة مملوءة الى نهايتها . خدع توارى . الصفقة يوم من أيام العرب بين كسرى وتميم . ضرع ذل . المشقر حصن قتل فيه كسرى بنى تميم . عيطاء هضبة شامخة . ثم هناك . المن طل ينزل من السماء كالندى فيجتمع على الأشجار والأحجار وينعقد عسلا فيؤكل . السلوى طائر أبيض مثل السمان . نجع نفع ونجح وظهر أثره على أبدانهم .

٦١ ـ فهو يجود حين يتوارى ذو المال مستترًا ويضن بالعطاء .

ويذكر الشاعر مثلا لفضل الممدوح وكرم طبعه ، بما فعل يوم « الصفقة » ، إذ شفع لبنى تميم عند كسرى . فيقول :

٦٢ ـ سل عنه تميما يوم « الصفقة » ، لما رآهم وقد سيقوا إلى الأَسْر أذلاء .

٦٣ ـ وسط حصن « المشقَّر » ، فى هضبة عالية مظلمة ، لا يجدون منها مخرجًا ، ولا يستطيعون فيها امتناعا .

٦٤ ـ لو أُطعِموا المَنَّ والسَّلْوَى فى مأْزِقهم الذى صاروا إليه ما هَنَأَهم ما يأْكلون ، ولا ظهرت ثمرته على أبدانهم .

(٦٥ ، ٦٦) ذلك بظلمهم وعدوانهم على الملك بـ« نطاع » فى ضاحية النهار ، فقد ذاقوا وبال أمرهم ، وقد أصابهم طائفة من عقاب الملك ، وإنهم ليتحسرون نادمين (ويَحْسُون من أنفاسهم جُرَعًا) إذ يتنهدون .

٦٧ ـ يومئذ جاء هوذة يلتمس من الملك أن يسرح مائة منهم ، يرجوه فى لين وهوادة ، وفى صوت مخفوض .

٦٨ ـ فاستجاب الملك لشفاعته ، وفك عن مائة منهم وثاقهم ، فأَصبحوا وقد نزعت عنهم الأَغلال .

٦٩ ـ ولم يكن هوذة يبغى بما فعل وبما أسدى من الخير إلا وجه الله ، يتقرب إليه بهذا العمل الصالح فى عيد الفصح .

٧٠ ـ كانت كلمة معروف ، أَسدى بها خيرًا ونفعًا ، ولم يرد بها ثوابا عاجلا .

٧١ ـ ولكن بنى تميم لا يرون فيما فعل نعمة سبقت إليهم منه ، وقد قال ما قال وسعى فيما سعى ، عن رغبة فى الخير والإحسان .

ويعود الشاعر إلى ممدوحه ، ليصفه بالقوة والاقتدار ، فيقول :

٧٢ ـ لن يستطيع الناس أَن يصلحوا ما أَوهى ، ولو اجتمعوا على ذلك طول الحياة . ولاهم يستطيعون أَن يفسدوا ما أَقام وأَصلح .

٧٣ ـ مهما يقصدْ من جمع فهو قادر على تفريقه وتشتيته ، ومهما يُرِدْ من متفرق شتيت فهو قادر على أن يجمعه .

٧٤ ـ قد عم فضله الناس من « المدائن » إلى « شَبَام » ، وقد تمرس بالمكاره ، يخوض إليها الموت ويلبسه .

يخاطب الأعشى بهذه القصيدة بني عبدان عامة ، وعمرو بن المنذر بن عبدان خاصة . وبنو عبدان بيت من بيوت سعد بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة — كما قدمنا في القصيدة (١٠) — هو الفرع الذي ينتمي اليه الأعشى . فبنو عبدان قريبو القرابة من الشاعر ، ولذلك فهو مترفق بهم لايعنف عليهم ، كما سنرى . وللأعشى فيهم — غير هـــذه القصيدة — ثلاث قصائد أخرى هي ١٥ ، ٣٨ ، ٧٣

وسبب القصيدة فيما يروون أن رجلا من قيس عيلان كان جارا لعمرو بن المنذر (١) ، فسرقت راحلته وهو في جواره . فلما بحثوا عنها وجدوا بعض لحمها في بيت قائد الأعشى ، وكان اسمه هداج . والأعشى هنـا يعاتب بني سعد بن قيس عامة ، وعمرا خاصة ، بهذه القصيدة . وهو ينفي عن تابعه مايلصقون به من تهمة السرقة . ويبدو من البيت (٢٠) أن قوم الأعشى (سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) كانوا قد ارتحلوا عن الحي الى ديار أبناء عمومتهم ، بني شيبان ، ولبث الأعشى مقيما مع أبناء العم (سعد بن قيس) ريثما يعودون ، فالهم قائده بهذه التهمة في أثناء غيابهم ولذلك فهو يشكو في القصيدة غربته وقلة أعوانه .

ويبدو من المناسبة التي قيلت فيها القصيدة أنها قيلت في آخر أيام الأعشى ، بعد أن كف بصره واحتاج الى قائد يلازمه ليدله على الطريق . على أن أثر السن واضح في الشعر في الأبيات (٥)، (٢٠) . وتمتاز القصيدة بصدق التعبير والبعد عن التكلف والصناعة ، فهي صورة من حياة البادية فيما ترسم من صور ، وما تقدم من مثل نقيض بالوفاء للقبيلة ، والتمسك بقرابة الدم .

يبدأ الأعشى قصيدته منقبضا ضيق الصدر ، فهو يتصور صاحبته معرضة كثيرة الهجر والصدود ، ولكنه مع ذلك متعلق بها لايتركها . وكأن بين هذه الصورة التي يقدم بها لشعره وبين ماهو مقبل عليه من عتاب لقومه صلة . فهم كهذه الصاحبة يسرفون في الصد والهجر والإيذاء ، على حين يسرف هو في التعلق بهم والإبقاء عليهم ورعاية حقوقهم .

يقول الأعشى :

١ ، ٢ — إن ماتولينه من الهجر والصدود والإيذاء ، لحقيق بأن يزهده فيك ويبرئه من حبك — لو أنه يستطيع تجنبا — وقد علاه الشيب . ويشبه حبها وقد ولد في قلبه صغيرا بولد الناقة ، لم يزل يشب وينمو .

٣ — حتى أصبح فحلا صاحب أبناء كبار . كذلك ملكَتْ عليه أمره ، وثبت هو على حبها ، لا يزيده ما يكابد فيها من الشوق إلا إمعانًا في الود والتقرب .

٤ — ثم ينتقل الشاعر إلى الشكوى من أبناءِ عمومته . فيقول إنه قد بات والهم ملازمه ، ينتابه كلما أوى إلى الفراش . وقد أصبح الشاعر قليل الثقة بالقرابة وبصلة النسب

٥ — وهو لذلك سيوصي كل رجل عاقل ذي بصر ، إن دنت منيته ، وصاة امرئٍ مجرب خبير .

٦ — بألا يلتمس الودَّ ممن يتباعد وإن قربت قرابته ، ولا ينأى عن المتودد المتقرب وإن سبقت عداوته .

٧ — فليس القريب من تربطك به صلة النسب ، ولكن القريب الحق من قرب نفسه بالود وأخلصه .

٨ ، ٩ فلقد صرنا إلى زمن لا يرعى فيه أحدٌ قرابةً ولا نسبًا . يغترب الرجل عن أهله فإذا هو وحيد بين قوم يعتزون بأنصارهم من رهطهم ، لا يجد من يغضب له أو ينصره إذا خاصم أحدهم .

١٠ — فهم يد واحدة عليه ، يحطمونه بجورهم ، ولا يزال كل يوم صريع ظلم جديد ، يتقاذفه جرًا وسحبًا .

---

(١) عمرو بن المنذر بن حذافة بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة .

٦٥ ـ بِظُلْمِهِمْ بِنِطَاعِ المَلْكِ ضَاحِيَةً ... فَقَدْ حَسَوْا بَعْدُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ جُرَعَا

٦٦ ـ أَصَابَهُمْ مِنْ عِقَابِ المَلْكِ طَائِفَةٌ ... كُلُّ تَمِيمٍ بِمَا فِى نَفْسِهِ جُدِعَا

٦٧ ـ فَقَالَ لِلْمَلْكِ سَرِّحْ مِنْهُمُ مِائَةً ... رِسْلًا مِنَ القَوْلِ مَخْفُوضًا وَمَا رَفَعَا

٦٨ ـ فَفَكَّ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ وِثَاقَهُمُ ... فَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلِّهِ خُلِعَا

٦٩ ـ بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الفِصْحِ ضَاحِيَةً ... يَرْجُو الإِلٰهَ بِمَا سَدَّى وَمَا صَنَعَا

٧٠ ـ وَمَا أَرَادَ بِهَا نُعْمَى يُثَابُ بِهَا ... إِنْ قَالَ كَلْمَةَ مَعْرُوفٍ بِهَا نَفَعَا

٧١ ـ فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ ... إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسَعَى

٧٢ ـ لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَإِنْ جَهَدُوا ... طُولَ الحَيَاةِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعَا

٧٣ ـ لَمَّا يُرِدْ مِنْ جَمِيعٍ بَعْدُ فَرَّقَهُ ... وَمَا يُرِدْ بَعْدُ مِنْ ذِى فُرْقَةٍ جَمَعَا

٧٤ ـ قَدْ نَالَ أَهْلَ شَبَامٍ فَضْلُ سُؤْدَدِهِ ... إِلَى المَدَائِنِ خَاضَ المَوْتَ وَادَّرَعَا

(٦٥ — ٦٨) نطاع اسم الموضع الذى نهبت فيه تميم قافلة كسرى . حسى الماء شربه . يصور تنهدهم وكأنه احتساء للانفاس . الطائفة من الشىء القطعة . الجدع الحبس والسجن وقطع الانف أو الاذن او اليد . وجدعته امه أساءت غذاءه . وكلا جداع (بضم الجيم) وبيل وخم فيه جدع لمن يرعاه . الرسل البطء والهينة والهدوء ، الوثاق الرباط والقيد . وكذلك الغل .

(٦٩ — ٧٤) الفصح من أعياد النصارى ، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت وهو اكبر أعيادهم . أسدى وسدى قدم . أوهى اضعف . رقع الشىء اصلحه . جميع مجتمع . السؤدد السيادة . شبام بلد قديم فى اليمن . أدرع لبس الدرع ، على وزن افتعل ، والدرع القميص .

وقال يَهْجُو عَمْرَو بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدَان ، ويُعَاتِبُ بَنِي سَعْدِ بْنِ قَيْس :

١ ـ كَفَى بِالَّذِى تُولِينَهُ لَوْ تَجَنَّبَا ... شِفَاءً لِسُقْمٍ بَعْدَ مَا عَادَ أَشْيَبَا (طويل)

٢ ـ عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأَوَّلُ حُبِّهَا ... تَأَوُّلَ رِبْعِيِّ السِّقَابِ فَأَصْحَبَا

٣ ـ فَتَمَّ عَلَى مَعْشُوقَةٍ لَا يَزِيدُهَا ... إِلَيْهِ بَلَاءُ الشَّوْقِ إِلَّا تَحَبُّبَا

٤ ـ وَإِنِّى امْرُؤٌ قَدْ بَاتَ هَمِّى قَرِيبَتِى ... تَأَوَّبَنِى عِنْدَ الفِرَاشِ تَأَوُّبَا

٥ ـ سَأُوصِى بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ البِلَى ... وَصَاةَ امْرِئٍ قَاسَى الأُمُورَ وَجَرَّبَا

٦ ـ بِأَنْ لَا تَبَغَّ الوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ... وَلَا تَنْأَ عَنْ ذِي بِغْضَةٍ إِنْ تَقَرَّبَا

٧ ـ فَإِنَّ القَرِيبَ مَنْ يُقَرِّبُ نَفْسَهُ ... لَعَمْرُ أَبِيكَ الخَيْرَ لَا مَنْ تَنَسَّبَا

٨ ـ وَإِنَّ امْرَءًا فِى حِقْبَةِ النَّاسِ هَذِهِ ... وَإِنْ ....

٩ ـ مَتَى يَغْتَرِبْ عَنْ قَوْمِهِ لَا يَجِدْ لَهُ ... عَلَى مَنْ لَهُ رَهْطٌ حَوَالَيْهِ مُغْضَبَا

١٠ ـ وَيُحْطَمْ بِظُلْمٍ لَا يَزَالُ يَرَى لَهُ ... مَصَارِعَ مَظْلُومٍ مَجَرًّا وَمَسْحَبَا

١١ ـ وَتُدْفَنُ مِنْهُ الصَّالِحَاتُ وَإِنْ يُسِئْ ... يَكُنْ مَا أَسَاءَ النَّارَ فِى رَأْسِ كَبْكَبَا

١٢ ـ وَلَيْسَ مُجِيرًا إِنْ أَتَى الحَىَّ خَائِفٌ ... وَلَا قَائِلًا إِلَّا هُوَ المُتَعَيَّبَا

١٣ ـ أَرَى النَّاسَ هَرُّونِى وَشُهِّرَ مَدْخَلِى ... وَفِى كُلِّ مَمْشَى أَرْصَدَ النَّاسُ عَقْرَبَا

١٤ ـ فَأَبْلِغْ بَنِى سَعْدِ بْنِ قَيْسٍ بِأَنَّنِى ... عَتَبْتُ فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِىَ مَعْتَبَا

(١ — ٣) أولاه المعروف صنعه له ، ويقصد ما توليننى من الهجر والجفاء . تأول الكلام دبره وقدره وفسره . الربعى ولد الناقة في أول الانتاج . السقاب جمع سقب (بفتح السين) وهو ولد الناقة ساعة يولد . أصحب الرجل اذا بلغ ابنه فصار مثله وصار له كالصاحب . اى أن حبها كان صغيرا ثم كبر ونما . تم على أمره مضى عليه .

(٤ — ٦) قريبتى مثل قرابتى أى ملازمى . تأوبه آب اليه أى عاد ليلا . البصير العاقل الحاذق بالامور . البلى الموت لأنه يبلى . قاسى الأمور ذاق شدتها وعاناها . ولا تبغ لاتبتغ أو تطلب .

(٧ — ٩) الخير منصوب على نزع الخافض اى من يقرب نفسه بالخير وبعمله . تنسب انتسب اليك واتصل بالقرابة . الحقبة المدة من الزمن .

(١٠ — ١٢) حطمه كسره . مجرا ومسحبا مصدر ميمى من جر وسحب . كبكب جبل . اى تكون اساءته مشهورة ظاهرة لانهم يشنعون بها ، كالنار فوق الجبل . ليس مجيرا اى انه لايملك أن يؤمن رجلافيجعله فى جواره لان الناس لايحترمون هذا الجوارة وانما يحترمون جوار القوى فلا يجرءون على أن ينالوا جاره بالأذى . المتعيب اسم مفعول من تعيب أى عاب وتنقص .

(١٣ — ١٤) هر الشيء كرهه . شهر به شنع عليه . مدخلى مذهبى . ارصدوا عقربا هذا مثل اى اقاموا فى طريقه الأذى ، معتب موضع العتب .

إن أَحسن ستروا صالح أَعماله ودفنوه ، وإن أَخطأَ شهَّروا بخطئه وأَذاعوه ، حتى كأَنه النار فى رأَس جبل (كَبْكَب) .

١٢ – يلجأُ المستجير إلى الحى فلا يستطيع أَن يجيره لضعفه بينهم ، وينطق بالكلمة فتُرد عليه وتعاب .

١٣ – لقد كرهنى القوم وشنَّعوا بى ، وراحوا يضعون الأَذى فى طريقى حيثما سرت .

١٤ – فأَبلغ بنى سعد بن قيس بأَننى قد عتبت . فلما لم أَجد موضعًا لعتاب .

١٥ – لم يكن بد من أَن أَقطع صلتى بهم – وإن كنت لم أَفعل بعد – ولكن من طوى كشحه معرضًا يتهيأُ للرحيل كمن قد رحل .

١٦ – ومثل الذى تمطروننى من الأَذى وسط بيوتكم خليق أَن ينبت الشر ، وأَن يجعل للقناة سنانًا طويلا كأَنه ريش الجناح .

١٧ – يبعد بيت الرجل من دار قومه ، فلا يعلمون كيف بات من بعدهم إلا ظنًا .

١٨ – ويعيش بين قوم لا يرعون ودًا ولا نسبًا .

١٩ – لقد هان أَمرى فى أَعينكم منذ غاب عنى قومى ، حتى كأَننى فى نظر هذا الباحث عن حقه وحق جاره أَرنب ضعيف .

٢٠ – دعا قومه من حوله فنصروه ، وقد غاب عنى قومى بالمُسَنَّاة (وهو ماءٌ لبنى شيبان)

٢١ – فحكموا له علىَّ ظلمًا ، وما كنت قبل ذلك قليل الأَنصار ، ولا كنت دعيًا لئيما .

٢٢ – فلقد أَهتف مستنجدًا فيأْتينى كل كريم ينفض رأْسه ، وقد هب لنصرتى ثائرًا مغضبًا .

ويتجه الأَعشى إلى خصمه عمرو بن المنذر ، فيشير إليه قائلا :

٢٣ – أَرى بينكم رجلا قد أَضناه الكمد ، كأَنما قد قطِعت كفُّه .

٢٤ – وما أَعرف له مجدًا قديماً ، ولا أَعرف له فضلا فى شئ .

٢٥ ، ٢٦ – فليعلم هذا الذى أَمسى فى غضبه أَعق الناس للقرابة والنسب ، أَن مثلى ومثلكم فيما تكلفوننى من ذنوب لا يد لى فيها ، كمثل الثور يضرب الراعى ظهره حين تعاف البقر الماءَ ، ليدفعه إلى الحوض فتُقْبِل بإقباله .

١٥ ـ صَرَمْتُ وَلَمْ أَصْرِمْكُمُ وَكَصَارِمٍ   أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيَذْهَبَا
١٦ ـ وَمِثْلُ الَّذِى تُولُونَنِى فِى بُيُوتِكُمْ   يُقَنِّى سِنَانًا كَالْقُدَامَى وَثَعْلَبَا
١٧ ـ وَيَبْعُدُ بَيْتُ المَرْءِ عَنْ دَارِ قَوْمِهِ   فَلَنْ يَعْلَمُوا مُمْسَاهُ إِلَّا تَحَسُّبَا
١٨ ـ إِلَى مَعْشَرٍ لَا يُعْرَفُ الوُدُّ بَيْنَهُمْ   وَلَا النَّسَبُ المَعْرُوفُ إِلَّا تَنَسُّبَا
١٩ ـ أَرَانِى لَدُنْ أَنْ غَابَ قَوْمِى كَأَنَّمَا   يَرَانِىَ فِيهِمْ طَالِبُ الحَقِّ أَرْنَبَا
٢٠ ـ دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِى فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ   وَنَادَيْتُ قَوْمًا بِالمُسَنَّاةِ غُيَّبَا
٢١ ـ فَأَرْضَوْهُ أَنْ أَعْطَوْهُ مِنِّى ظُلَامَةً   وَمَا كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبَا
٢٢ ـ وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ   أَتَانِى كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبَا
٢٣ ـ أَرَى رَجُلًا مِنْكُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا   يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا
٢٤ ـ وَمَا عِنْدَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَلَا لَهُ   مِنَ الرِّيحِ فَضْلٌ لَا الجَنُوبُ وَلَا الصَّبَا
٢٥ ـ وَإِنِّى وَمَا كَلَّفْتُمُونِى وَرَبِّكُمْ   لِيَعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْرَبَا
٢٦ ـ لَكَالثَّوْرِ وَالجِنِّىُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ   وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا
٢٧ ـ وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ   وَمَا إِنْ تَعَافُ المَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا
٢٨ ـ فَإِنْ أَنْأَ عَنْكُمْ لَا أُصَالِحْ عَدُوَّكُمْ   وَلَا أُعْطِهِ إِلَّا جِدَالًا وَمِحْرَبَا
٢٩ ـ وَإِنْ أَدْنُ مِنْكُمْ لَا أَكُنْ ذَا تَمِيمَةٍ   يُرَى بَيْنَكُمْ مِنْهَا الأَجَالِدُ مُثْقَبَا

(١٥ — ١٨) صرم قطع وفارق . الكشح الجنب ، وطوى كشحه أعرض . أب تهيأ واستعد . أولاد المعروف صنعه له ، وانما يولونه الأذى . قنى السنان ركبه فى القناة . القدامى الريشة فى أول الجناح . الثعلب طرف الرمح الداخل فى السنان . التحسب السؤال عن الخبر . ان يعلموا ممساه أى لن يعلموا كيف أمسى وكيف صار فى الليل الا مايصل اليهم من أخباره حين يسألون عنه الناس .

(١٩ — ٢١) المسناة ماء لبنى شيبان حيث ينزل قوم الأعشى بعيدا عنه . قل قليل . الأزيب اللئيم الدعى . البقيع الموضع فيه شجر من ضروب شتى . هتفت بجوه دعوت مستنجدا .

(٢٢ — ٢٥) الأسيف الحزين والغضبان ومن لايكاد يسمن لأن الحقد يأكله . تليد قديم . الجنوب ريح تهب من الجنوب . والصبا ريح من الشرق . أى لايعرف له فضل فى اى وقت ، لا فى وقت هبوب هذه الريح ، ولا فى وقت هبوب تلك . عق الولد والده خالفه وترك الشفقة عليه والاحسان اليه . وأعق أفعل منه . أحربا من حرب الرجل حربا أى غضب .

(٢٦ — ٢٩) الجنى الراعى . هذا مثل . زعموا أن البقر اذا عافت الشرب وانصرفت عنه أخذوا ثورا فضربوه حتى يرد الماء فتتبعه البقر . وقيل ان هذا لم يكن يحدث فعلا ولكنه مثل ضربه الشاعر وتصوره . حرب الرجل (كطرب) اشتد غضبه فهو محرب غضوب . التميمة القص والقراض . اى لا أثقب جلدكم باغتيابكم ونهش اعراضكم .

٢٧ ـ كلما أعرضت البقر ضُرِب الثور ، على غير ذنب جناه .

ويعود الأعشى إلى مخاطبة بني سعد بن قيس قائلا إنه لن يكون إلا وفيًا للقرابة والنسب

٢٨ ، ٢٩ إن نأيت عنكم لم أصالح عدوكم ولم أكن إلا حربًا عليه . وإن دنوت منكم لم أكن كالمقراض أقطع جلودكم بنهش أعراضكم ونبش سيئاتكم .

٣٠ ـ سينبح كلبي من ورائكم مدافعًا ، ولكني سأغني عيالي عنكم . حتى لا ينالني لوم أو تأنيب .

٣١ ـ سأدفع عن أعراضكم ، وأضع في خدمتكم لسانًا قاطعًا كأنه المقراض .

٣٢ ـ وما أبغي بما أفعل منكم جزاءً أو ثوابًا ، فإنما ثوابي فيما أفعل على الله .

٣٣ ـ سأثني عليكم في غيابكم ، فإذا أزمت الأزمات ، وصار كل رجل إلى حزبه .

٣٤ ـ كنت واحدًا منكم على ماينوبكم من النائبات ، ولن يراني أعداؤكم ثورًا أعضب مكسور القرن .

ويعود الأعشى إلى عمرو بن المنذر مرة أخرى ، ولكنه يخاطبه مهددًا في عنف ، فيقول :

٣٥ ـ بيني وبين عمرو عداوة حادة قاتلة ، ليس وراءها إلا أن يمسني الجنون أو يصيبه الكَلَب .

٣٦ ـ لا يزال كلانا يدعي أنه برىء وأنه ليس ظالماً ، حتى نفد صبري وطرحت عني حلمي فهو اليوم بعيد .

٣٧ ـ لقد أطاع الواشين فأفسدوا ما بينه وبين كل صديق ، حتى الحبيب القريب .

٣٨ ـ وكنت إذا أدام صاحبي ظلمي أمسكت به ولم أفلته ، حتى لا يتعود ذلك مني ويظن بي الضعف .

٣٩ ـ وعند ذاك يحاول الإفلات فلا يستطيع ، كما يلتمس الرومي فتح قفل مستغلق ، لا يزال يدير فيه مفتاحه فيخطئ حد أسنانه ويزل عنها .

٤٠ ـ ما ظنكم بالليث يحمي عرينه وينفي عنه الأسد مهيبًا مرهوبًا .

٤١ ـ يخفي مخالبه إذا مشى ، ويبرزها إذا غضب وثار .

٤٢ ـ ويُعْجِل خصمه بالوثوب فلا يجد سبيلا للفرار !

٤٣ ـ لقد تعلمون أني علوتكم قبل أن يعلو رأسي الشيب ، آلآن بعد أن أصبحت كهلا مجربا تُهَادُونَني الشعر ؟

٣٠ ـ سَيَنْبَحُ كَلْبِي جَهْدَهُ مِنْ وَرَائِكُمْ ... وَأُغْنِي عِيَالِي عَنْكُمُ أَنْ أُؤَنَّبَا

٣١ ـ وَأَدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ ... لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الخَفَاجِيِّ مِلْحَبَا

٣٢ ـ هُنَالِكَ لَا تَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمُ ... وَلَكِنْ سَيَجْزِينِي الإِلهُ فَيُعْقِبَا

٣٣ ـ ثَنَائِي عَلَيْكُمْ بِالمَغِيبِ وَإِنَّنِي ... أَرَانِي إِذَا صَارَ الوَلَاءُ تَحَزَّبَا

٣٤ ـ أَكُونُ امْرَءًا مِنْكُمْ عَلَى مَا يَنُوبُكُمْ ... وَلَنْ يَرَنِي أَعْدَاؤُكُمْ قَرْنَ أَعْضَبَا

٣٥ ـ أَرَانِي وَعَمْرًوا بَيْنَنَا دَقُّ مَنْشِمٍ ... فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أُجَنَّ وَيَكْلَبَا

٣٦ ـ كِلَانَا يُرَائِي أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ ... فَأَعْزَبْتُ حِلْمِي أَوْ هُوَ اليَوْمَ أَعْزَبَا

٣٧ ـ وَمَنْ يُطِعِ الوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ ... صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الحَبِيبَ المُقَرَّبَا

٣٨ ـ وَكُنْتُ إِذَا مَا القِرْنُ دَامَ ظُلَامَتِي ... غَلِقْتُ فَلَمْ أَغْفِرْ لِخَصْمِي فَيَدْرَبَا

٣٩ ـ كَمَا التَمَسَ الرُّومِيُّ مِنْشَبَ قُفْلِهِ ... إِذَا اجْتَسَّهُ مِفْتَاحُهُ أَخْطَأَ الشَّبَا

٤٠ ـ فَمَا ظَنُّكُمْ بِاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ ... نَفَى الأُسْدَ عَنْ أَوْطَانِهِ فَتَهَيَّبَا

٤١ ـ يُكِنُّ حِدَادًا مُوجَدَاتٍ إِذَا مَشَى ... وَيُخْرِجُهَا يَوْمًا إِذَا مَا تَحَرَّبَا

٤٢ ـ لَهُ السَّوْرَةُ الأُولَى عَلَى القِرْنِ إِذْ غَدَا ... وَلَا يَسْتَطِيعُ القِرْنُ مِنْهُ تَغَيُّبَا

٤٣ ـ عَلَوْتُكُمُ وَالشَّيْبُ لَمْ يَغْلُ مَفْرِقِي ... وَهَادَيْتُمُونِي الشِّعْرَ كَهْلًا مُجَرَّبَا

(٣٠ ــ ٣٥) ان أؤنبا أى حتى لا أؤنب واعنف باللوم . ملحب قاطع . خفاجة حى من بنى عامر والخفاجى نسبة له . اعقبه جازاه بخير . الولاء المحبة والنصرة والقرابة . الأعضب المكسور القرن . منشم عطر شاق الدق . وقالوا هو قرون السنبل ، سم قاتل لساعته . وقالوا انه اسم امرأة عطارة من همذان ، كانوا اذا تطيبوا من عطرها نشب القتال ، فتشاءموا بها . الكلب داء يشبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس ، ويصاب من تعضه بمثل ذلك الداء .

(٤٦ ــ ٣٨) اعزب حلمه غيبة وطرحه بعيدا بعد أن نفدصبره . القرن والقرين الصاحب والملازم . غلق الرهن (كطرب) استحقه المرتهن ، وذلك اذا لم يفكه الراهن فى الوقت المشروط . ومنها غلق الرجل فى حدته اذا لازمته الحدة واشتدت به فلم يهدأ . فيدرب أى يتعود منى ذلك واصبح هينا عنده ، لانه قد تعود منى الصبر على الأذى دائما .

(٣٩ ــ ٤٠) منشب القفل غير موجود فى المعاجم ولكن الظاهر ان المقصود به أسنان القفل ، لانها تنشب أى تعلق ، والفعل نشب (كفرح) . اجتسه جسه ولمسه . الشبا جمع شباة ، وشباة كل شىء حده ، اى يكون كهذا القفل المغلق الذى لا يدرى صاحبه كيف يفتحه ، كلما ادار فيه المفتاح زلق عن الاسنان ولم يصبها ، وجعله روميا لأن العرب لاتستعمل الاقفال .

(٤١ ــ ٤٣) يكن يخفى . حدادا مخالبا حادة . موجدات أصلها مؤجدات من اجده اى قواه ، وناقة أجد (بضمتين) قوية وثيقة . تحرب غضب . المفرق وسط الرأس .

موضوع هذه القصيدة متصل بموضوع القصيدة السابقة ، فهو يوجهها لأبناء عمومته سعد بن قيس ، ويخص منهم بالهجاء عمير بن عبد الله ابن المنذر بن عبدان ، وهو ابن أخي عمرو بن المنذر بن عبدان الذي قيلت فيه القصيدة السابقة . ويبدو أن الهجاء قد لج بين الشاعر وبين بني عبدان ، يعينهم على ذلك رهطهم من بني سعد بن قيس ، حتى أغرى عمير بن عبد الله شاعرا اسمه جهنام بالأعشى يهاجمه ويجيبه على شعره .

وللأعشى في جهنام قصيدة أخرى هي القصيدة (٧٣). والظاهر أن جهنام هذا ابن أمة من اماء بني عبدان ، فالأعشى يصفه في البيت (٤٣) من هذه القصيدة بأنه هجين ، والهجين هو الذي ولد من أمة . ونجد اشارة أصرح الى ذلك في القصيدة (٣٨) في البيت (٥) منها حيث يصفه بأنه عبد . وتبدو تلك الحقيقة بشكل واضح في القصيدة (٧٣) في البيتين (٢) : (٨) حيث يصفه بأنه ابن عاهرة وبأنه مختلط النسب ، ويقول ان أمه احق بهجائه ، لما جنت عليه من الفضيحة .

يقول الأَعشى :

١ — أَقْرِ (تيا) مني السلام ، وأَبلغها تحية مشتاق ، قبل أَن تُبْرِم ما عزمت عليه من قطيعتي .

٢ — أَقْرِها السلام على قولها يوم التقينا — ومن يطع الوشاة يقطع أَصدقاءه ويقطعوه — :

٣ — أَحقٌّ ما تزعم من أَن عاما كاملا كنا نلتقي خلال لياليه لم يكفك ولم يشف نفسك؟

٤ — لقد كنتِ أَجيبكَ إلى كل ما تطلب مني ، ولكنكَ أَكثرتَ وأَثقلت ، وليس وراءَ الإِلحاح إلا الرد والحرمان .

٥ — لن تنال مني غير الذي نلت ، فبحسبك ذلك ، وسواءٌ عندي رضيت بذلك فصبرت ، أَم ضقت به فثرت وتذمرت .

ويجيب الأَعشى على ذلك ، في هدوء الجَلْد الذي لا تذهب نفسه وراءَ غانية ، مهما يبلغ حبه لها :

٦ — لك ما تشائين ، فإِني قادر على أَن أَجد الطريق إلى حاجتي بما بقي لي من الرأْي المجتمع والعزم القوي .

٧ — وبرَحْلٍ (عِلَافِيٍّ) ، فوقه بساط ووسادة ، وتحته ناقة ضخمةٌ تُرْقِلُ وقت الهاجرة واحتدام الحر مسرعة .

٨ — كأَن ذَنَبَها وقد حفه الشعر الطويل من ناحيتيه طلع الكافور تدلى من وعائه غير مُكَمَّم

٩ — شديدة لا يضنيها السير فيضمر بطنها ويسترخي حزامه ، كأَنها في نشاطها حمار وحش في أَرض مخصبة كساها النبات ، فهو غليظ ضخم ، لا يزال طريدة الصياد .

ويمضي الشاعر — على عادة الجاهليين — في وصف الحمار ، يتتبعه إِلى قلب الصحراءِ ، ناسيًا ناقته ، ويجول معه متنقلا ، حتى يرضي حاجته من الوصف ، ويتم سياحته الطويلة مع هذا الحمار في الصحراءِ ، فإِذا فعل ذلك عاد إِلى ناقته بعد أَربعة عشر بيتًا ليقول إِنها تشبه هذا الحمار في نشاطه وفي تخطيه العقبات ، فهي مثله بنت الصحراءِ .

يقول الأَعشى في وصف هذا الحمار الوحشي :

١٠ — رعى النبات الكثيف حيث يجتمع الماءُ في الوديان ، ثم رعى النبات المتخلف عن مطر الربيع

وقَالَ يهجو عُمَيْرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُنْذِرِ بن عَبْدَانَ حِينَ جَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَهَنَّامٍ لِيُهَاجِيَه :

١ ـ أَلَا قُلْ لِتَيَّا قَبْلَ مِرَّتِهَا ٱسْلَمِي   تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إِلَيْهَا مُتَيَّمِ (طويل)

٢ ـ عَلَى قِيلِهَا يَوْمَ ٱلْتَقَيْنَا وَمَنْ يَكُنْ   عَلَى مَنْطِقِ الوَاشِينَ يَصْرِمْ وَيُصْرَمِ

٣ ـ أَجِدَّكَ لَمْ تَأْخُذْ لَيَالِي نَلْتَقِي   شِفَاءَكَ مِنْ حَوْلٍ جَدِيدٍ مُجَرَّمِ

٤ ـ تُسَرُّ وتُعْطَى كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ   وَمَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لَابُدَّ يُحْرَمِ

٥ ـ فَمَا لَكَ عِنْدِي نَائِلٌ غَيْرُ مَامَضَى   رَضِيتَ بِهِ فَاصْبِرْ لِذَلِكَ أَوْ ذَمِ

٦ ـ فَلَا بَأْسَ إِنِّي قَدْ أُجَوِّزُ حَاجَتِي   بِمُسْتَحْصِدٍ بَاقٍ مِنَ الرَّأْيِ مُبْرَمِ

٧ ـ وَكُورٍ عِلَافِيٍّ وَقِطْعٍ وَنُمْرُقٍ   وَوَجْنَاءَ مِرْقَالِ الهَوَاجِرِ عَيْهَمِ

٨ ـ كَأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهَا عِذْقَ خَصْبَةٍ   تَدَلَّى مِنَ الكَافُورِ غَيْرَ مُكَمَّمِ

٩ ـ عَرَنْدَسَةٍ لَا يَنْقُصُ السَّيْرُ غَرْضَهَا   كَأَحْقَبَ بِالوَافْرَاءِ جَأْبٍ مُكَدَّمِ

١٠ ـ رَعَى الرَّوْضَ وَالْوَسْمِيَّ حَتَّى كَأَنَّمَا   يَرَى بِيَبِيسِ الدَّوِّ إِمْرَارَ عَلْقَمِ

١١ ـ تَلَاسَقْبَةٍ قَوْدَاءَ مَشْكُوكَةِ ٱلْقَرَى   مَتَى مَا تُخَالِفْهُ عَنِ القَصْدِ يَعْذِمِ

١٢ ـ إِذَا مَا دَنَا مِنْهَا ٱلْتَقَتْهُ بِحَافِرٍ   كَأَنَّ لَهُ فِي الصَّدْرِ تَأْثِيرَ مِحْجَمِ

(١ — ٣) تيا أسم اشارة مثل تلك . المرة طاقة الحبل والقوة والشدة ، أى قبل احكام أمرها وتوكيده . صرم قطع . أجدك أى اجد منك هذا . تجرم العام تصرم وانقضى ، وحول مجرم أى كامل تام .

(٤ — ٦) النائل مانلت من معروف انسان .ذم تخفيف اذأم ، وهو الأمر من ذأمه (كمنعه) أى حقره وطرده وأخـزاه ، والاذآم الرعب ، وما سمعت له ذامة اى كلمة . جوز الأمر أمضاه ونفذه . مستحصد ومبرم بمعنى واحد أى مفتـول فتلا قويا محكما . .

٧ — السكور الرحل الذى يوضع فوق الناقة . العلافى الرحل العظيم منسوب الى رجل من قضاعة اسمه علاف . القطـع بساط يجعله الراكب تحته ويغطى كتفى البعير . النمرقة وسادة صغيرة توضع فوق الرحل . وجناء ناقة غليظة . مرقال مفعال من أرقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . الهواجر جمع هاجرة وهى احتدام الحر . عيهم ضخمة سريعة .

٨ — الأنساء جمع نسا (بفتح النون) وهو عرق يجرى من الورك الى الحافر فى بطن الفخذين . .العذق قنو النخلة أى العنقود الذى يحمل البلح . الخصبة النخلة أو الطلع . الكافور نبت طيب نوره كنور الاقحوان . ؟الكم وعاء الطلع ، مكمم اى مغطى مستور يشبه ذنب الناقة به .

٩ — عرندسة شديدة . الغرض حزام الرحل . لا ينقضه السير ، أى لا يهزلها السير . الأحقب حمار الوحش والحقاب خيط يشد فى حقو الصبى لدفع العين . والحقو الخصر . سمى الحمار أحقب لبياض حقويه . جأب غليظ . الوفراء الأرض التى لم ينقص من نبتها شيء . مكدم من كدمه أى عضه ، وكدم الصيد طرده . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته .

(١٠ — ١٢) الروض جمع روضة وهو المكان المعشب الذى يستنقع فيه الماء . الوسمى أول مطر الخريف . الدو الصحراء . اليبيس العشب اليابس . العلقم الحنظل وهو شديد المرارة . السقبة الجحشة . الأقود الذليل والمؤنث منه قوداء . مشكوكة نحيلة . شك البعير لزق عضده بالجنب . القرى (بفتح القاف) الظهر . عذم عض . المحجم آلة صغيرة مخروطية الشكل توضع على =

حتى اكتنز جسمه وتضخم ، وحتى كأن لنبات الصحراء اليابس فى فمه طعم العلقم ، لطول ما ألف هذا العيش الناعم .

١١ ـ استهوته جحشة وديعة ضامرة قد لصق عضدها بجنبها ، فتبعها ، كلما خالفت عن أمره أهوى عليها عضا .

١٢ ـ وهى لخوفها منه ، لايدنو منها إلا التقته بأرجلها رفسًا ، فيترك حافرها فى صدره كدما كأنه أثر محجم .

١٣ ـ إذا برزت إليه فى الفضاء انبرى لها بعدو سريع متلاحق كأنه إلهاب الحريق المضرَّم

١٤ ـ فإن استرسلا على ضرب جديد من العدو ، ترتفع فيه اليدان معا وتنزلان معًا ، غالها بنشاط. مُفْتَنٌ فى جريه سريع ، خبير بأساليب العدو وضروبه .

١٥ ـ ولم يزالا يتباريان ألوانا ويعدوان ضروبا ، حتى ارتفعت الشمس والتهب الحصى ، فتذكر أدنى مورد يستطيع الوارد أن يقصده .

١٦ ـ ودفعها أمامه إلى عين غزيرة من الماء عند ساحل الوادى ، من حولها أوكار يكمن فيها الصائد ، كأنها نبت النخل الصغير كُمِّمَ بغطاء حتى يقوى ويشتد .

١٧ ـ بناها صائد من (ذَلّان) ، وأعدها لقتل الوحوش ، خبير بصيدها واقتناصها .

١٨ ـ فلما أتى الحمار عين الماء ونظر ما حولها ، عرف أنه لن يشرب إلا بعد حرمان طويل

١٩ ـ وفرح الصياد حين رأى الحمار والجحشة ، وقد كمن فى وكره كأنه الذئب ؛ فقال : ما أطيب الصيد !

٢٠ ـ وهيأ سهمًا محددًا ، يسوقه وَتَرٌ قوى ، فيمضى مصوِّتًا مترنما .

٢١ ـ وقذف به فمر تحت صدر الحمار ، فانثنى على جنبه ، ومضى فى غير إبطاء .

٢٢ ـ وظل يجرى والجحشة تجرى معه ، يثور من تحتهما التراب فيحتويهما ، وقد انتشر فى الفضاء أغبر قاتما .

٢٣ ـ وحمى جوفُه من شدة عدوه جريًا بعد جرى ، فكأنه قُمْقُمٌ يغلى .

ويترك الشاعر الحمار ليتابع نشاطه فى الصحراء ، ويعود إلى ناقته قائلا :

١٣ ـ إِذَا جَاهَرَتْهُ بِالْفَضَاءِ انْبَرَى لَهَا   بِشِدٍّ كَإِلْهَابِ الحَرِيقِ المُضَرَّمِ
١٤ ـ وَإِنْ كَانَ تَقْرِيبٌ مِنَ الشَّدِّ غَالَهَا   بِمَيْعَةِ فَنَّانِ ٱلْأَجَارِيِّ مُجْذِمِ
١٥ ـ فَلَمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ وَٱسْتَوْقَدَ الحَصَى   تَذَكَّرَ أَدْنَى الشِّرْبِ لِلْمُتَيَمِّمِ
١٦ ـ فَأَوْرَدَهَا عَيْنًا مِنَ السِّيفِ رِيَّةً   بِهَا بُرَءٌ مِثْلُ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ
١٧ ـ بَنَاهُنَّ مِنْ ذَلَّانَ رَامٍ أَعَدَّهَا   لِقَتْلِ الهَوَادِي دَاجِنٌ بِالتَّوَقُّمِ
١٨ ـ فَلَمَّا عَفَاهَا ظَنَّ أَنْ لَيْسَ شَارِبًا   مِنَ المَاءِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ تَحَرُّمِ
١٩ ـ وَصَادَفَ مِثْلَ الذِّئْبِ فِى جَوْفِ قُتْرَةٍ   فَلَمَّا رَآهَا قَالَ يَا خَيْرَ مَطْعَمِ
٢٠ ـ وَيَسَّرَ سَهْمًا ذَا غِرَارٍ يَسُوقُهُ   أَمِينُ القُوَى فِى صُلْبِهِ المُتَرَنِّمِ
٢١ ـ فَمَرَّ نَضِيٌّ السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ   وَجَالَ عَلَى وَحْشِيِّهِ لَمْ يُثَمْثِمِ
٢٢ ـ وَجَالَ وَجَالَتْ يَنْجَلِي التُّرْبُ عَنْهُمَا   لَهُ رَهَجٌ فِى سَاطِعِ اللَّوْنِ أَقْتَمِ
٢٣ ـ كَأَنَّ احْتِدَامَ الجَوْفِ فِى حَمْىِ شَدِّهِ   وَمَا بَعْدَهُ مِنْ شَدِّهِ غَلْىُ قُمْقُمِ
٢٤ ـ فَذَلِكَ بَعْدَ الجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِى   إِذَا مَا وَنَى حَدُّ المَطِيِّ المُخَرَّمِ

= الجلد بعد ان يشرط بموسى ويجذب النفس من طرفها الآخر الدقيق فيخرج الدم الفاسد أو المطلوب استخراجه للتخفف من الضغط . وهى تترك على الجلد أثرا مستديرا ، يشبه به الشاعر أثر الحافر فى صدر الحمار حين ترفسه الأتان .

(١٣ ــ ١٥) جاهرته برزت له . الشد العدو . التقريب ضرب من العدو ، وهو أن يرفع يديه معا ويضعهما معا . الميعة الدفعة من كل شىء وميعة الشباب والنهار أوله وانشطه . فنان له فنون فى العدو . الأجارى جمع اجريا (بكسر الهمزة وتشـــديد الياء) وهو الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه . مجذم سريع ، أجذم السير أسرع فيه . الشرب (بكسر الشين) الماء والمورد ووقت الشرب. تيمم الشىء قصد اليه .

(١٦ ــ ١٨) السيف ساحل البحر وساحل الوادى . رية غزيرة . برء جمع برءة (بضم فسكون) وهو بيت الصائد . الفسيل جمع فسيلة وهى النخلة الصغيرة . المكمم الذى غطى حتى يشتد . رام صائد يرمى بالنبل . الهوادى جمع هادى وهو المتقدم . وهو من الابل أول رعيـل يطلع منها . داجن متعود ، دجن بالصيد تعوده وخبره . التوقم التهدد والتعمد وقتل الصـــيد . عفاها أتاها ، يقصد عين الماء .

(١٩ ــ ٢١) مثل الذئب المقصود هو الصياد . القترة ناموس الصائد وقد اقتر فيها أى دخل واختبأ. يسر سهما هيأه لها. ذا غرار اى حد. امين القوى المقصود هو الوتر . المترنم لأن له صوتا ورنينا . نضى فعيل من نضى اى خلع ونزع . لبانه صدره . الوحشى الجانب الأيمن لأن الراكب لا يركب من ناحيته . لم يثمثم ، الثمثمة الاحتباس .

(٢٢ ــ ٢٤) الرهج الغبـــار .سطع علا وانتشر فهو ساطع . أقتم مظلم لكثافته . احتدام النهار والحر واشتداده . الجوف البطن . شده عدوه . الحمى مصدر حمى ، وحميت الشمس والنهار اشتد حرها . القمقم آنية من نحاس يسخن فيها الماء . ونى فتر . حدها نشاطها . المطى جمع مطية . المخرم الذى وضعت فى أنفه الخرامة (بكسر الخاء) وهى برة توضع فى أنف البعير ويشد فيهـا الزمام . لتؤلمه اذا جذب منها فينقاد ولا يستعصى على راكبه .

٢٤ ـ إن ناقتى لايذهب بنشاطها السير ، ولايفنى عزمها الجهد ، فهى تشبه هذا الحمار ،بعد أن تتكلف ماتتكلف من الأسفار ، حين يَفْتُرُ نشاط المطىِّ التى خُرِمَتْ أنوفها وشُدَّ إليها الزمام

وينصرف الشاعر عن كل ذلك إلى خصمه ، فيقول مخاطبًا نفسه :

٢٥ ـ دع عنك كل ذلك . ولكن ماذا ترى فى هذا العدو الحقود ، الذى يرى من جهله أن بينى وبينه حسابا شاقا عسيرًا ، مشقَّةَ دقِ عطرِ (المنْشِم) .

٢٦ ـ أرانى بريئًا من (عمير) ورهطه . ثم يقول موجهًا خطابه إليه : إن الحقد لن ينال من أحد كما ينال منك . فإذا لم تبرأ نفسُك من الشر فلتمت غمًّا وكمدًا .

٢٧ ـ إذا ما رآنى (عمير) مقبلا أخفى سهامه ، فإذا أدبرت رمانى من وراء ظهرى .

٢٨ ـ ولاذنب لى فى ذلك إلا أن عداوة قد ثارت فى نفسك واستخفتك. فافعل مابدالك واجهد جهدك.

٢٩ ـ فإنى أعرف كيف أداوى كل غَوِىٍّ إذا حدثته نفسه بى ، إنى أضرب فوق أنفه بمكواة لا يزول أثرها .

٣٠ ـ وإنى أُقسم برب الإبل تهوى إلى نجد تجتاز جبالا من بعد جبال .

٣١ ـ ضامرة غائرة الأعين ، قد أَضَرَّ بها السفر ونال منها الكلال . حتى إن خفَّ رجلها ليقع مكان خف يدها وقد شُدَّت أرساغها بالسيور والنعال .

٣٢ ـ لئن خرقت الأَرض فكنت فى جُبٍّ ثمانين قامة ، أوطرت فى الفضاء فرقيت أسباب السماء .

٣٣ ـ ليبلغنك قولى وليتركنك تدرج على الأَرض حتى تكره الكلام ،وتعلم أنى غير عاجز عن الانتقام

٣٤ ـ وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم .

٣٥ ـ فما أَنت بشيء حتى تتيه علىَّ فخرًا ،لست من قريش أَصحاب «الحُجُون» و «الصفا» و«زمزم

٣٦ ـ وما جعل الرحمن بيتك عاليًا هناك ، فى «أَجياد» غربى «الصفا» و «المُحَرَّم» .

٣٧ ـ ففيم إذن تتهددنى مفاخرًا ، وقد جعل الله بيتى فى الرهط الكثير العرمرم ؟

ويتحدث الشاعر عن آل الحُرْقَتَيْن (وهما سعد وتيم ابنا قيس بن ثعلبة وكانا حليفين) قائلا

٣٨ ـ إنى لأَعجب لأمرهم ، فهم يفاخروننى كأَننى لست واحدًا منهم ، وكأَننى غريب من «إياد» أو «تُرْخُم» .

٢٥ - فَدَعْ ذَا وَلَكِنْ مَا تَرَى رأْىَ كَاشِحٍ يَرَى بَيْنَنَا مِنْ جَهْلِهِ دَقَّ مَنشِمِ
٢٦ - أَرَانِى بَرِيئًا مِنْ عُمَيْرٍ وَرَهْطِهِ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَأْ مِنَ الشَّرِّ فَاسْقَمِ
٢٧ - إِذَا مَا رَآنِى مُقْبِلًا شَامَ نَبْلَهُ وَيَرْمِى إِذَا أَدْبَرْتُ ظَهْرِى بِأَسْهُمِ
٢٨ - عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ غَيْرَ أَنَّ عَدَاوَةً طَمَتْ بِكَ فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدَّمِ
٢٩ - وَكُنْتُ إِذَا نَفْسُ الغَوِىِّ نَوَتْ بِهِ صَقَعْتُ عَلَى العِرْنِينِ مِنْهُ بِمِيسَمِ
٣٠ - حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مِنًى إِذَا مَخْرَمٌ جَاوَزْنَهُ بَعْدَ مَخْرَمِ
٣١ - ضَوَامِرَ خُوصًا قَدْ أَضَرَّ بِهَا السُّرَى وَطَابَقْنَ مَشْيًا فِى السَّرِيحِ الْمُخَدَّمِ
٣٢ - لَئِنْ كُنْتَ فِى جُبٍّ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِّيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ
٣٣ - لَيَسْتَدْرِجَنْكَ القَوْلُ حَتَّى تَهِرَّهُ وَتَعْلَمَ أَنِّى عَنْكَ لَسْتُ بِمُلْجَمِ
٣٤ - وَتَشْرَقَ بِالْقَوْلِ الَّذِى قَدْ أَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ
٣٥ - فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الحُجُونِ وَلَا الصَّفَا وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْزَمِ
٣٦ - وَمَا جَعَلَ الرَّحْمٰنُ بَيْتَكَ فِى العُلَى بِأَجْيَادِ غَرْبِىِّ الصَّفَا وَالْمُحَرَّمِ
٣٧ - فَلَا تُوعِدَنِّى بِالفَخَارِ فَإِنَّنِى بَنَى اللهُ بَيْتِى فِى الدَّخِيسِ الْعَرَمْرَمِ
٣٨ - عَجِبْتُ لِآلِ الْحُرْقَتَيْنِ كَأَنَّمَا رَأَوْنِى نَفِيًّا مِنْ إِيَادٍ وَتُرْخُمِ

(٢٥ — ٢٨) كاشح مبغض ، والكشح الجنب وهو كاشح لأنه معرض لا يقبل بوجهه ولكنه يشيح بجنبه . دق منشم شرحت فى القصيدة السابقة (١٥) فى البيت (٣٥) . شام نبله أى أغمدها . وهو من الأضداد تقول شام سيفه يشيمه استله أو أغمده . طما ارتفع ، وطمت به العداوة استخفته وأثارته .

(٢٩ — ٣١) صقعه (مثل منعه) ضربه على رأسه . العرنين قصبة الأنف . الميسم المكواة . الراقصات الابل . المخرم منقطع أنف الجبل . خوص جمع أخوص أى غائرات الأعين . المطابقة أن تقع خف الرجل مكان خف اليد وذلك من الحفا والكلال . السريح السيور التى يخاط بها النعل الى الخف ، والخدمة (بثلاث فتحات) سير يربط حول الرسغ ويشد النعل اليه بالسيور ليقى خف الناقة .

(٣٠ — ٣٨) الجب البئر . السبب الحبل ، وأسباب السماء مراقيها وقيل طرقها ونواحيها . استدرجه خدعه وأدناه ، أو أتلفه حتى تركه يدرج على الأرض . تهره تكرهه . تشرق تغص . صدر القناة أعلاها .

(٣٢ — ٣٤) الحجون جبل بمعلاة مكة على فرسخ وثلث منها وفيه مقابرهم . الصفا جبل بمكة من مشاعر الحج . المحرم حرم مكة . أجياد موضع بمكة . الدخيس الأصل . العرمرم العدد الكبير . الحرقتان سعد وتيم ابنا ضبيعة ، وهم أبناء عم قبيلته . نفى فعيل من نفاه ينفيه أى نحاه ودفعه وأزاله . اياد وترخم قبائل يمنية .

٣٩ ـ ينفوننى عن المجد والحسب يوم يتفاخرون بالكرم ، ويتمدحون بعظائم الأُمور .

٤١ ـ أقبل الناس للشر هائجين ، وتجمعوا أخلاطًا بين فصيح وأعجم ثائرين .

٤٢ ـ وتجاوب صياحهم وهتافهم ، تضطرب فى أيديهم السياط والرماح ، يشيرون إلى راية قد نصبت عند محفل كبير .

٤٣ ـ فاستعنت بشيطانى « مِسْحَل » ، واستعانوا بشاعرهم « جَهَنَّام » . ألا تبًّا لابن الأَمَة الذميم !

٤٠ ـ وقام ابن الأمة ساعةً يحمل اللواء . وماظنك بهجين لئيم ، ضاع نسبه بين « سِلهم » و « حام » ؟

٤٤ ـ إنى أُقسم براهب « اللُّج » وبعمله الصالح ، وأُقسم بالكعبة التى بناها قصى وابن جرهم

٤٥ ـ لئن جد بيننا الجد واستحكم العداءُ ، لترحلن هاربا على ظهر القنفد الشائك .

٤٦ ـ ولئن تَمَرَّسْتَ بى وبلوت مبلغ جهدى ، لتركبن بى مركبًا صعبا ، فوق جمل عجوز أعجف ، ليس كمثله شئ .

٤٧ ـ ومالى أن لا أغلبك وأُذيقك الهوان ، وحسبى عريق ولسانى ماض حديد .

٤٨ ـ لم نزل نتبادل فاحش القول وقارصه ، ولم يزل أقوام يفسدون بيننا ، يسعون للهلاك والإثم .

٤٩ ـ ولم يزل أمرنا يمضى على هذا النحو من التهور والسفه ، حتى التقينا غداة يوم ، يحامى كلٌّ منا عن قومه ويحتمى بهم .

٥٠ ـ ويئس العقلاءُ الذين يرجون الإصلاح فخلَّوا بيننا ، نتقاذف أشد نيران العداوة التهابا

٥١ ـ وعند ذاك أمدنى أخى من الجن ـ نفسى فداؤه ـ ببحر فياض ، يجيش سيله متدفقا بالعشيات .

٣٩ - وَغَرَّبَنِى سَعْدُ بنُ قَيْسٍ عَنْ العُلَى ... وَأَحْسَابِهِمْ يَوْمَ النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ
٤٠ - مَقَامَ هَجِينٍ سَاعَةً بِلوَائِهِ ... فَقُلْ فِى هَجِينٍ بَيْنَ حَامٍ وَسِلْهِمِ
٤١ - فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ لِلشَّرِّ أَقْبَلُوا ... وَثَابُوا إِلَيْنَا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
٤٢ - وَصِيحَ عَلَيْنَا بِالسِّيَاطِ وَبِالْقَنَا ... إِلَى غَايَةٍ مَرْفُوعَةٍ عِنْدَ مَوْسِمِ
٤٣ - دَعَوْتُ خَلِيلِى مِسْحَلًا وَدَعَوْا لَهُ ... جِهُنَّامَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمُذَمَّمِ
٤٤ - فَإِنِّى وَثَوْبَىْ رَاهِبِ اللُّجِّ وَالَّتِى ... بَنَاهَا قُصَىٌّ وَالْمُضَاضُ بْنُ جُرْهُمِ
٤٥ - لَئِنْ جَدَّ أَسْبَابُ العَدَاوَةِ بَيْنَنَا ... لَتَرْتَحِلَنْ مِنِّى عَلَى ظَهْرِ شَيْهَمِ
٤٦ - وَتَرْكَبَ مِنِّى إِنْ بَلَوْتَ نَكِيثَتِى ... عَلَى نَشَزٍ قَدْ شَابَ لَيْسَ بِتَوْءَمِ
٤٧ - فَمَا حَسَبِى إِنْ قِسْتَهُ بِمُقَصِّرٍ ... وَلَا أَنَا إِنْ جَدَّ الهِجَاءُ بِمُفْحَمِ
٤٨ - وَمَا زَالَ إِهْدَاءُ الهَوَاجِرِ بَيْنَنَا ... وَتَرْقِيقُ أَقْوَامٍ لِحَيْنٍ وَمَأْثَمِ
٤٩ - وَأَمْرُ السَّفِى حَتَّى الْتَقَيْنَا غُدَيَّةً ... كِلَانَا يُحَامِى عَنْ ذِمَارٍ وَيَحْتَمِى
٥٠ - تُرِكْنَا وَخَلَّى ذُو الهَوَادَةِ بَيْنَنَا ... بِأَثْقَبَ نِيرَانِ العَدَاوَةِ تَرْتَمِى
٥١ - حَبَانِى أَخِى الجِنِّىُّ نَفْسِى فِدَاؤُهُ ... بِأَفْيَحَ جَيَّاشِ الْعَشِيَّاتِ خِضْرِمِ

(٣٩ — ٤١) الندى من ندا القوم يندون أى اجتمعوا . الهجين ابن الأمة ، ومن أبوه أشرف من أمه . يعرض بجهنام . بين حام وسلهم ، ينفيه عن العرب لأن العرب أولاد سام ، لأن أمه حامية من الزنوج . وسلهم لم أعثر له على معنى ، ولكن السلهم (كجعفر) هو الضامر والناقه من المرض . وهم كذلك حى يمنى من ملحج. ثابوا رجعوا واجتمعوا .

(٤٢ — ٤٤) الغاية الراية والمدى . الموسم المجتمع . المسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى ، وكانت العرب تزعم أن لكل شاعر شيطانا له اسم معين ، ولهم فى ذلك أقاصيص كثيرة . جدعا أى جدعه الله ، والجدع القطع . الثياب يكنى بها عن العمـــل وعن الشخص نفسه مثل قوله تعالى (وثيابك فطهر) ، وهو المقصود بقوله وثوبى راهب اللج . واللج غدير عند دير هند ابنـة النعمان ، وكانت ترهبت فيه حين غضب كسرى على أبيها النعمان . وقيل بعد قتل أبيها لزوجها فى قصة طويلة ستأتى . يقسم براهب هذا الدير وبالكعبة التى بناها قصى وجرهم . وكان أمر الكعبة الى جرهم ثم صار الى قصى .

(٤٥ — ٥٧) الشيهم القنفذ وجلده مكسو بالشوك ، ولذلك يصعب القبض عليه ، هذا فضلا عن ركوبه . نكيثتى جهدى وأقصى ما عندى . النشز المسن القوى ، والنشيزة الدابة التى لا يكاد يستقر السرج والراكب على ظهرها . التوءم المولود مع غيـــره فى بطن . ليس بتوءم أى لا نظير له فى صعوبة مركبه . أفحمه غلبه وأسكته .

(٤٨ — ٥١) الهواجر جمع هجر (بضم فسكون) وهو الكلام القبيح . رقق ما بين القوم أفسده . الحين الهلاك والمحنة . المأثم الإثم . السفى السفه ، الذمار الشرف والعرض . الهوادة اللين . ثقبت النار اتقدت . بحر أفيح واسع . الخضرم الكثير الماء ، والجواد المعطاء .

٥٢ ـ يقول : انزل على المجد ، فقد كتب لك الفوز ، قُلِّدْتَ الخير إذ سبقت . فأَنْعِمِ بك شاعرًا .

٥٣ ـ وولّى « عمير » على عقبيه وقد أظلم وجهه . فكأنما صبغ بالورْس ، أو غُشِّى قطعا من الليل .

ويختم الشاعر قصيدته بتسعة أبيات يفتخر فيها بقومه ، معددًا فضلهم على بنى سعد بن قيس . وهو هنا أشبه بالمؤرخ الذى يجمع الوثائق والمستندات ليؤيد وجهة نظره ، فهو أقرب إلى سرد الوقائع منه إلى التحليق وراء الخيال . يقول :

٥٤ ـ فى يوم « فُطَيْمة » منعنا بنى شيبان غداة « العين » من ماء « محَلِّم » .

٥٥ ـ وواجهناهم بالطعن حتى تولوا هاربين يهزون صدور رماحهم .

٥٦ ـ وفى أيام « حَجْر » غلبناكم بتحريق نخيلكم .

٥٧ ـ فكأنه على أعقاب الحريق نساءٌ قائمات فى مأتم قد لبسن الحداد .

٥٨ ـ ونحن الذين فككنا سيديكم ، فأطلقناهما بعد أن أسلمتموهما للعدو .

٥٩ ـ أنقذهما « بِشر » من الموت ، بعد ما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم .

٦٠ ـ ذلك بعض أيامنا وبلائنا ، وأمثلة من نعمنا عليكم لو أنكم تشكرون .

٦١ ـ فإن كنتم لا تعلمون فاسألوا « أبا مالك » ، أو « رهط أُشَيِّم » ، فعندهم الخبر اليقين .

٦٢ ـ وكم لنا عليكم من فضل ، وكم لنا فى رقابكم من نعم ، ولكنكم لا تشكرون نعمة المنعمين .

٥٢ ـ فَقَالَ أَلَا فَانْزِلْ عَلَى الْمَجْدِ سَابِقًا ... لَكَ الْخَيْرُ قُلِّدْ إِذ سَبَقْتَ وَأَنعِمِ
٥٣ ـ وَوَلَّى عُمَيْرٌ وَهْوَ كَابٍ كَأَنَّمَا ... يُطَلَّى بِحُصٍّ أَوْ يُغَشَّى بِعِظْلِمِ
٥٤ ـ وَنَحْنُ غَدَاةَ الْعَيْنِ يَوْمَ فُطَيْمَةٍ ... مَنَعْنَا بَنِي شَيْبَانَ شِرْبَ مُحَلِّمِ
٥٥ ـ جَبَهْنَاهُمُ بِالطَّعْنِ حَتَّى تَوَجَّهُوا ... وَهَزُّوا صُدُورَ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَوَّمِ
٥٦ ـ وَأَيَّامَ حَجْرٍ إِذْ يُحَرَّقُ نَخْلُهُ ... ثَأَرْنَاكُمُ يَوْمًا بِتَحْرِيقِ أَرْقَمِ
٥٧ ـ كَأَنَّ نَخِيلَ الشَّطِّ غِبَّ حَرِيقِهِ ... مَآتِمُ سُودٌ سَلَّبَتْ عِنْدَ مَأْتَمِ
٥٨ ـ وَنَحْنُ فَكَكْنَا سَيِّدَيْكُمْ فَأُرْسِلَا ... مِنَ الْمَوْتِ لَمَّا أَسْلَمَا شَرَّ مُسْلَمِ
٥٩ ـ تَلَافَاهُمَا بِشْرٌ مِنَ الْمَوْتِ بَعْدَ مَا ... جَرَتْ لَهُمَا طَيْرُ النُّحُوسِ بِأَشْأَمِ
٦٠ ـ فَذَلِكَ مِنْ أَيَّامِنَا وَبَلَائِنَا ... وَنُعْمَى عَلَيْكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ لِأَنْعُمِ
٦١ ـ فَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَعْرِفُوا ذَاكَ فَاسْأَلُوا ... أَبَا مَالِكٍ أَوْ سَائِلُوا رَهْطَ أَشْيَمِ
٦٢ ـ وَكَائِنْ لَنَا فَضْلًا عَلَيْكُمْ وَمِنَّةً ... قَدِيمًا فَمَا تَدْرُونَ مَا مَنُّ مُنْعِمِ

(٥٢ — ٥٤) قلد (على البناء المجهول) امر من الفعل المبنى للمجهول وهو غريب لم اره ، ولكنه مثبت بهذه الصورة فى كل نسخ الديوان كاب متغير اللون . الحص الورس او الزعفران . العظلم الليل المظلم ، وهو كذلك شجر يصبغ به الشيب . يوم العين مضى فى القصيدة (٦) فى البيت (٦٥) .

(٥٥ — ٥٧) جبهه رده أوصك جبهته . السمهرى الرمح الصلب منسوب الى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح ، أو الى قرية فى الحبشة . ثأرناكم غلبناكم وتركنا فيكم الثار . ارقم لعله موضع كثير النخيل ، كما يبدو من البيت التالى . الشط شاطىء النهر والبحر وهو كذلك قرية باليمامة ولعله هو المقصود هنا . المآتم جمع مأتم وهو جماعة النساء فى الحزن . سلبت المرأة على زوجها لبست السواد .

(٥٨ — ٦٧) أسلما أسلمهما قومهما وتخلوا عنهما . تلافاهما تداركهما . أشأم من الشؤم . البلاء الاختبار يكون بالخير والشر . ومنه ابلى فى الحرب بلاء حسنا أى اظهر بأسه حتى اختبره الناس . المن الانعام والافضال .

١ — يا جبير ! هل لمن وقع فى أسركم من فاد يفتديه ، أم هل لمن عزم الرحيل من زاد يستعين به على السفر الطويل ؟

٢ — أم هل لجاركم من مُواس يكفكف عبرته ، وقد فاضت بها عيناه حتّى بلت حمائل السيف ؟

٣ — رأيتها فى ضحى يوم من الأيام ، فأحببتها من نظرة واحدة ، وَمنْ حان حَيْنُه هداه القدر إلى مصرعه .

٤ — رأيتها وهى تنتقل بين مقدَّم الخباء وبين الفُرُش المنضدة الوثيرة فى داخله .

٥ — تجلو بريشتى حمام أسنانا ناصعة كأنها البرَد ، يسطع بياضها بين لثاتها المشربة بالسواد .

٦ — عذبة الريق حين تسألها اختلاس القبلة أو الخلوة ، فكأنما شربت آخر الليل .

٧ — خمراً صهباءَ صافية ، إذا صُبَّت بعد تقطيرها كسرت حدتها بماء السماء .

٨ — يقدمها ساق قد صبغت الخمر الحمراءُ أنامله البضة ، فكأنها دم الفصاد .

٩ — يا جبير ! إن كنت لا تروين غلة عاشق مفتون بحبك ظامىءٍ لوصلك .

١٠ — فانَهىْ خيالك أن يزور ، فإنه يتتبعنى حيثما كنت ، ويؤرقنى كلما وضعت رأسى إلى الوساد .

١١ — تمسى فتغلق بابها من دوننا ، فَيَصِرُّ صرير البكرة حين تدور فوقها الحبال .

١٢ — تجدد لها وصلا ، فتجدد فى وصلك قطيعة ، وكذلك هى ، تعرض عن وصل الزائر المتودد .

١٣ — ذلك دأب النساء . فإن شاء صاحبُهن أن يفسد ودهن ، فينقلب عداءً بعد وداد ، فليكثر من التودد إليهن والتردد عليهن .

وَقَالَ يَفْتَخِرُ :

١ ـ أُجُبَيْرُ هَلْ لِأَسِيرِكُمْ مِنْ فَادِى   أَمْ هَلْ لِطَالِبِ شِقَّةٍ مِنْ زَادِ   (كامل)

٢ ـ أَمْ هَلْ تُنَهْنِهُ عَبْرَةٌ عَنْ جَارِكُمْ   جَادَ الشُّئُونُ بِهَا تَبُلُّ نِجَادِى

٣ ـ مِنْ نَظْرَةٍ نَظَرَتْ ضُحىً فَرَأَيْتُهَا   وَلِمَنْ يَحِينُ عَلَى المَنِيَّةِ هَادِى

٤ ـ بَيْنَ الرِّوَاقِ وَجَانِبٍ مِنْ سِتْرِهَا   مِنْهَا وَبَيْنَ أَرَائِكِ ٱلْأَنْضَادِ

٥ ـ تَجْلُو بِقَادِمَتَىْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ   بَرَدًا أُسِفَ لِثَاتُهُ بِسَوَادِ

٦ ـ عَذْبًا إِذَا سُئِلَ ٱلخِلَاسَ كَأَنَّمَا   شَرِبَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ رُقَادِ

٧ ـ صَهْبَاءَ صَافِيَةً إِذَا مَا ٱسْتُودِفَتْ   شُجَّتْ غَوَارِبُهَا بِمَاءِ غَوَادِى

٨ ـ بِمُوَشَّمٍ رَخْصِ البَنَانِ كَأَنَّمَا   خُضِبَتْ أَنَامِلُهُ بِعِرْقِ فِصَادِ

٩ ـ إِنْ كُنْتِ لَا تَشْفِينَ غُلَّةَ عَاشِقٍ   صَبٍّ يُحِبُّكِ يَا جُبَيْرَةُ صَادِى

١٠ ـ فَٱنْهَىْ خَيَالَكِ أَنْ يَزُورَ فَإِنَّهُ   فِى كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وِسَادِى

١١ ـ تُمْسِى فَيَصْرِفُ بَابُهَا مِنْ دُونِنَا   غَلَقًا صَرِيفَ مَحَالَةِ ٱلْأَمْسَادِ

١٢ ـ أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا   كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ ٱلمُعْتَادِ

١٣ ـ وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ   وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ

١٤ ـ وَلَقَدْ أَنَالُ ٱلْوَصْلَ فِى مُتَمَنِّعٍ   صَعْبٍ بَنَاهُ ٱلْأَوَّلُونَ مَصَادِ

(١ ـ ٢) الشقة البعد والسفر البعيد . نهنه كف . الشئون مجارى الدمع الى العين . نجاد السيف حمائله التى يعلق منها . يحين يهلك .

(٤ ـ ٦) الرواق مقدم البيت ، أو هو ستر يمد دون السقف . الأريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . الأنضاد جمع نضد (بفتحتين) وهو ما نضد من المتاع . القادمتان الريشتان الطويلتان فى أول الجناح . الأيكة ما التف من الشجر . أسف المسحوق على الشىء ذره عليه كأنه جعله سفوفا له . يصف اسنانها بالبياض ولثاتها بالسواد فذلك اظهر لبياض اسنانها . عذبا وصف لـ (بردا) اى تجلو ثغرا عذبا اذا خالسها صاحبها أى خلابها . الخلاس المخالسة ، والخلسة الفرصة . شربت عليه على ريقها . بعد كل رقاد ؛ اى أن النوم لايغير من عذوبته وطيب رائحته .

(٧ ـ ٩) استودفت قطرت وروقت ، ودف الشحم يدف ودفا (كضرب) ذاب و سال . وودف الاناء قطر . شج الخمر صب عليها الماء . غوارب جمع غارب ، وغوارب الماء أعالى موجه ، وغرب كل شىء حده وحدته . غوادى جمع غادية وهى السحابة . رخص طرى ، والبيت ٨ من المتوكلية . الغلة حرارة الظمأ . صاد عطشان .

(١٠ ـ ١٢) المنزل والمنزلة مكان الاقامة . الصريف صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور . المحالة البكرة . الامساد الحبال ، جمع مسد (بفتحتين) ، يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها فى المساء بصوت الحبال حين تدور حول البكرة على البئر .

(١٣ ـ ١٤) صرم الحبل قطعه . يصرمنه يقطعن وده . متمنع حصين منيع . المصاد المعقل والحصن .

١٥ ـ أى سَفَهٍ يدفعك إلى تذكر ودها وأنت مقيم ها هنا فى «صُوَّة الأَثماد» .

١٦ ـ وفى «شِبَاك باعجة» و «جنبى جائر» ، على حين أنها نازحة بعيدة فى «ديار إياد»!

١٤ ـ إن أكن قد حُرِمتها ، فلقد أنال الوصل فى المعقل الصعب المنيع القديم البناء .

١٧ ـ يذود عنه حراس شداد قد وقفوا على رأسه بالقسى والسهام .

١٨ ـ ويعانق شرفاته العالية الحمام ، يغنى حين يتنقل فى الجنان بين الأغصان والأثمار .

١٩ ـ ولقد أُرَجِّل شعرى بالعشِيِّ مبادرًا إلى الشراب ، أسبق إليه خيل الطالبين من الشاربين

٢٠ ـ وإلى الغوانى البيض العوانس ، قد طالت عزوبتهن فيما هن فيه من نعمة بين العبيد وقطعان الإبل .

٢١ ـ ولقد أختلس منهن ما أشاءُ فيما مضى من عصر الشباب ، فيملن علىَّ بأجيادهن مستسلمات .

٢٢ ـ ولقد أغدو للمرعى البعيد قد استحلس نباته وتراكب متكاثفًا ، آخذًا بعنان فرس جواد .

٢٣ ـ كل ذلك قد مضى يا ابنة مالك وفات ، (والدهر يُعْقِبُ صالحًا بفساد) .

* * *

٢٤ ـ ولكن لا يزال لى ما أفخر به من المجد الباقى فى قومى أبناء «قيس بن ثعلبة» ، الشم الأُنوف البيض الوجوه ، الذين يحشدون على طَلِبَتِهِمِ الجهد والمال .

٢٥ ـ والواطئين على صدور نعالهم تيها وكبرياءً ، حين يمشون فى نفيس الثياب من «الدَّفَنِىِّ» و «الأَبْرَاد» .

٢٦ ـ والشاربين فى أزمان القحط ، إذا عَزَّت الإبل وغالى صاحبها فى أثمانها ، خالصَ الخَمر ، بما يملكون من طارف وتليد .

٢٧ ـ والضامنين فى الحروب ـ بما لقومهم من قوة وعتاد ـ حسنَ الأُحدوثة وطيب الذكر .

٢٨ ـ كم فيهم يوم القتال من فارس حاذق اليدين ، يصيح صيحة الفرح والنصر ، حين يصيب بضربته فيقتل .

٢٩ ـ وإذا راحت الإبل عند الغروب ، تعدو فى الليلة الباردة عَدْوَ النعام .

١٥ - أَنَّى تَذَكَّرُ وُدَّهَا وَصَفَاءَهَا   سَفَهًا وَأَنْتَ بِصُوَّةِ ٱلْأَثْمَادِ

١٦ - فَشِبَاكِ بَاعِجَةٍ فَجَنْبَىْ جَائِرٍ   وَتَحُلُّ شَاطِنَةً بِدَارِ إِيَادِ

١٧ - مَنَعَتْ قِيَاسُ ٱلْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ   بِسِهَامِ يَتْرَبَ أَوْ سِهَامِ بَلَادِ

١٨ - وَتَرَى الحَمَامَ مُعَانِقًا شُرُفَاتِهِ   يَهْدِلْنَ بين أَجِنَّه وَحَصَادِ

١٩ - وَلَقَدْ أُرَجِّلُ جُمَّتِي بِعَشِيَّةٍ   لِلشَّرْبِ قَبْلَ سَنَابِكِ ٱلْمُرتَادِ

٢٠ - وَٱلبِيضِ قَدْ عَنَسَتْ وَطَالَ جِرَاؤُهَا   وَنَشَأْنَ فِى قِنٍّ وَفِى أَذْوَادِ

٢١ - وَلَقَدْ أُخَالِسُهُنَّ مَا يَمْنَعْنَنِى   عُصُرًا يَمِلْنَ عَلَىَّ بِالأَجْيَادِ

٢٢ - وَلَقَدْ غَدَوْتُ لِعَازِبٍ مُسْتَحْلِسٍ آلْ   قُرْبَانِ مُقْتَادًا عِنَانَ جَوَادِ

٢٣ - فَالدَّهْرُ غَيَّرَ ذَاكَ يَا ٱبْنَةَ مَالِكٍ   وَالدَّهْرُ يُعْقِبُ صَالِحًا بِفَسَادِ

٢٤ - إِنِّى ٱمْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ قَيْسِيَّةٍ   شُمِّ ٱلأُنُوفِ غَرَانِقٍ أَحْشَادِ

٢٥ - الوَاطِئِينَ عَلَى صُدُورِ نِعَالِهِمْ   يَمْشُونَ فِى ٱلدَّفَنِىِّ وَٱلأَبْرَادِ

٢٦ - وَالشَّارِبِيْنَ إِذَا الذَّوَارِعُ غُولِيَتْ   صَفْوَ ٱلْفِضَالِ بِطَارِفٍ وَتِلَادِ

٢٧ - وَٱلضَّامِنِينَ بِقَوْمِهِمْ يَوْمَ الْوَغَى   لِلْحَمْدِ يَوْمَ تَنَازُلٍ وَطِرَادِ

٢٨ - كَمْ فِيهِمُ مِنْ فَارِسٍ يَوْمَ الْوَغَى   ثَقْفِ ٱلْيَدَيْنِ يَهِلُّ بِٱلإِقْصَادِ

٢٨ - وَإِذَا اللِّقَاحِ تَرَوَّحَتْ بِأَصِيلَةٍ   رَتْكَ ٱلنَّعَامِ عَشِيَّةَ ٱلصُّرَّادِ

(١٥ — ١٨) السفه الجهل وضعف العقل . الصوة ماغلظ وارتفع من الأرض . شـاطنة بعيـدة . قياس وقسى جمع قوس . الماسخى صانع الاقواس ، والماسخية الاقواس نسبة الى ماسخة رجل من الأزد . يترب وبلاد موضعان دون اليمامة . أجنة جمع جنان . وجنان جمع جنة وهى الحديقة ذات الشجر . وهى عند العرب النخل الطوال . حصاد الشجر ثماره . والشطر الثانى من البيت ١٨ من المتوكلية .

(١٩ — ٢١) الجمة شعر الراس . يرجلها يرتبها ويمشطها . الشرب مصدر شرب ، أو هم جماعة الشاربين . ارتاد الشىء طلبه ، أى انه يسبق طلاب الخمر اليها . عنست الجارية مكثت بغير زواج . الجراء مصدر من الجارية تقول جارية بينة الجـراء . القن العبد الذى ملك هو وأبواه للواحد والجمع . الأذواد جمع زود (بفتح فسكون) وهو القطيع من الثلاثة الى العشرة . عصرا دهرا .

(٢٢ — ٢٥) غدوت انطلقت مبكرا فى الصباح . عازب بعيد . استحلس النبت كثف وغطى الأرض . القربان مستجمع ماء كثير فى شبه واد صغير . الغرانق جمع غرنوق وجمع غرنيق (كزنبور وقنديل) وهو الشاب الأبيض الجميل . الأحشاد جمع حشد (ككتف) وهو من لا يدع عند نفسه شيئا من النصرة والجهد والمال . الدفنى ثوب مخطط . والبرد كذلك نوع من الثياب المخططة .

(٢٦ — ٢٩) الذوارع جمع ذروع وهو البعير . الفضال الخمر . الطارف المستحدث المكتسب . التليد الموروث القديم . ثقف حاذق . هل الرجل فرح وصاح . أقصد السهم اقصادا أصاب فقتل . اللقاح جمع لقحة (بكسر فسكون) وهى الناقة الحلوب . الأصيل وقت غروب الشمس . تروحت عادت من المرعى الى حظيرتها . رتك البعير والنعام رتكا ورتكانا ، وهو عدو فى مقاربة خطو . يوم صرد وعشية صرد باردة .

٣٠ ـ وتلوذ صغارها من شدة البرد بالخيام ، تزج بنفسها فى مداخلها .

٣٢ ـ وإذا لفح البرد القيان فاغبرت وجوههن ، حتى لتحسبهن من الأَحباش ، وشح المرعى فجف اللبن فى ضروع النوق التى كانت تملأُ الضخم من الأَقداح .

٣١ ـ رأَيتهم وقد قاموا على أَضيافهم ، يشوون لهم من سنام الإبل الضخام ومن الأَكباد .

٣٣ ـ وإذا كسا الربيعُ وجهَ الأَرض بالأَزهار ، فوقَ السهول والتلال .

٣٤ ـ أَخذوا مجالسهم فى العَشِيِّ ، على ما عُرف عنهم من الحلم ، فى صمتٍ وَقُورٍ يَتجنب ساقط الكلام .

٣٥ ـ يقول لهم الذين يرصدونهم بالنصح : أَما لكم من مُتَحَوَّل عن هذا الجبروت الذى تترسمون به من خلا من قوم عاد ؟

٣٦ ـ وإذا أَعرض الرهط عن المكان المخيف متهيبين ، وعدلت عنه مقاتلتهم لا يقومون فيه ولا يُغْنَون .

٣٧ ـ فلقد نحل به ونرعى مراعيه ، ونقوم عليه ونحميه ، بما لنا من قوة ومن عتاد .

٣٨ ـ نرصد بجانبيه الماشية تشرب يوما بعد يوم ، والجمال قد انبثت جماعاتها الكثيفة فى مراتعه المخصبة .

٣٩ ـ لا يصرفها طارد ، ولايتهددها مغيريذعرسربها ، فتصوِّت مُرْغِيَة ، وقدتشردت مفَزَّعة .

٤٠ ـ وإذا هتف بهم الصارخ المتلهف مستغيثًا ، واحتدم القتال فسطعت أَعمدة الغبار ذاهبة فى السماءِ .

٤١ ـ هبُّوا وقد ركبوا كرائم الخيل التى تُسقَى اللبن ، فهى ضامرة البطون ، تجول بما فوق ظهرها من أَلباد .

٤٢ ـ من كل فرس أَملس سابح فى عدوه ، وفرسة سابحة فى عدوها ، ترجم الأَرض بحوافرها حين تجرى بفرسان كأَنهم الأَسود فى أَيديهم الرماح .

٤٣ ـ إذ لا يعدل قومَنا من « قيس » قومٌ فى رفعة الأَحساب ، ولا يعدل بنيه أَبناءٌ بين سائر الناس .

٣٠ - جَرْيًا يَلُوذُ رِبَاعُهَا مِنْ ضُرِّهَا   بِالْخَيْمِ بَيْنَ طَوَارِفٍ وَهَوَادِي
٣١ - حَجَرُوا عَلَى أَضْيَافِهِمْ وَشَوَوْا لَهُمْ   مِنْ شَطٍّ مُنْقِيَةٍ وَمِنْ أَكْبَادِ
٣٢ - وَإِذَا ٱلْقِيَانُ حَسِبْتَهَا حَبَشِيَّةً   غُبْرًا وَقَلَّ حَلَائِبُ ٱلْأَرْفَادِ
٣٣ - وَإِذَا الربيعُ كَسَا أَدِيمَ بِلَادِهِم   زَهْرًا عَلَى السَّهَلاتِ وَٱلْأَجْمَادِ
٣٤ - أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ   صُمْتَ العَشِيِّ مُجَانِبِي ٱلْإِفْنَادِ
٣٥ - وَيَقُولُ مَنْ يَبْقِيهِمُ بِنَصِيحَةٍ   هَلْ غَيْرُ فِعْلِ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادِ
٣٦ - وَإِذَا ٱلْعَشِيرَةُ أَعْرَضَتْ سُلَّافُهَا   جَنِفِينَ مِنْ ثَغْرٍ بِغَيْرِ سِدَادِ
٣٧ - فَلَقَدْ نَحُلُّ بِهِ وَنَرْعَى رِعْيَهُ   وَلَقَدْ نَلِيهِ بِقُوَّةٍ وَعَتَادِ
٣٨ - نَبْقِي الغِيَابَ بِجَانِبَيْهِ وَجَامِلًا   عَكَرًا مَرَاتِعُهُ بِغَيْرِ جَهَادِ
٣٩ - لَمْ يَزْوِهِ طَرَدٌ فَيُذْعَرَ دَرْؤُهُ   فَيُلِجَّ فِى وَهَلٍ وَفِى تَشْرَادِ
٤٠ - وَإِذَا يُثَوِّبُ صَارِخٌ مُتَلَهِّفٌ   وَعَلَا غُبَارٌ سَاطِعٌ بِعِمَادِ
٤١ - رَكِبَتْ إِلَيْكَ نَزَائِعٌ مَلْبُونَةٌ   قُبُّ الْبُطُونِ يَجُلْنَ فِى ٱلْأَلْبَادِ
٤٢ - مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ   تَرْدِى بِأُسْدٍ خَفِيَّةٍ وَصِعَادِ
٤٣ - إِذْ لَا يُرَى قَيْسٌ يَكُونُ كَقَيْسِنَا   حَسَبًا وَلَا كَبَنِيهِ فِى ٱلْأَوْلَادِ

(٣٠ — ٣١) الرباع جمع ربع (بضم ثم فتح) وهو ولد الناقة فى أول الانتاج . الطوارف من الخباء ما رفعت من جوانبــه للنظر الى الخارج . الهوادى جمع هاد وهو البوان — اى العمود — فى مقدم الخباء . حجر عليه حبسه . الشط جانب السنام او نصفة. أنقت الابل سمنت فهي منقية .

(٣٢ — ٣٤) القيان جمع قينة وهى الفتاة التى لم تتزوج وقد بلغت سن الزواج . حسبتها حبشية اسودت من البرد . الحلائب جمع حلوبة وهى الناقة التى فيها لبن . الأرفاد جمع رفد (بفتح الراء) وهو القدح الضخم . والسياق يقتضى أن يجىء البيت ٣٢ قبل البيت ٣١ . وتتمة البيتين ٣٢ ، ٣٤ من المتوكلية . السهلات جمع سهلة وهو مالان من الأرض وانبسط . والاجماد جمع جمد (بفتحتين) وهو ما غلظ من الارض . الفند ضعف العقل وخطل الرأى والكذب. افند الرجل اخطأ فى القول والرأى وكذب.

(٣٥ — ٣٨) بقاه رصده أو نظر اليه . عاد من العرب البائدة الذين لم يبق لهم أثر ، يضرب العرب بهم المثل فى الجبروت . سلاف العسكر مقدمتهم . الثغر الموضع الذى يخاف هجوم العدو منه . جنفين مائلين عادلين عنه . سد الثلمة (كمد) أصلحها ووثقها ، وسداد الثغر سده فى وجه العدو والثبات فيه . ولى الأمر قام عليه ورعاه . العتاد العدة . نبقى اى نرصد . الغياب التى تشرب يوما وتدع يوما ، أو التى تدر اللبن يوما وتدع يوما . العكر الجماعة من الابل . الجهاد (بفتح الجيم) الأرض الصلبة لا نبات فيها .

(٣٩ — ٤١) لم يزوه لم يصرفه . زوى الشىء يزويه (كضرب) نحاه وصرفه . طرد جمع طرد (بفتحتين) ، اسم من طرده اى ساقه ونحاه . درأ السيل درءا اندفع . الجت الابل صوتت ورغت. الوهل الفزع والخوف . يثوب يهتف مرة بعد مرة . سطع الغبار علا وارتفع . النزائع جمع نزيع وهو الفرس الكريم . ملبونة تسقى اللبن لكرامتها عند أصحابها . قب جمع أقب وهو الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل . الألباد جمع لبد (بكسر فسكون) وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٤٢ — ٤٣) اجرد أملس . سابح عداء حتى كأن ارجله لا تمس الارض فهو سابح فى الفضاء . ردت الفرس رجمت الأرض بحوافرها . الصعاد جمع صعدة وهى القناة المستوية .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، تتلخص فى أن الأعشى خرج الى النبى صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام ، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها. وكان ذلك فى المدة التى بين صلح الحديبية سنة ٦ هـ وفتح مكة سنة ٨ هـ . فلما بلغ مكة ، وعرفت قريش ما قصد له ، لم يزالوا يبغضون اليه الاسلام ، ويحدثونه بأسوأ ما يقدرون عليه ، ويغرونه بالمال ، حتى صدوه عن وجهه ، بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء . فقفل الأعشى راجعا الى اليمامة . ثم لم يلبث أن مات من عامه (١) .

والقصيدة مروية فى كثير من كتب الادب . ولكن العجيب من أمرها ان القسم الثانى منها ، الذى خص فيه النبى صلى الله عليه وسلم بالمدح ، يريب الباحث لسببين . فهو أضعف بكثير من الشطر الأول ، يبلغ الضعف فى ابياته حد الركاكة والتفاهة ، ثم هو متأثر ببعض آيات القرآن فى معانيها او فى ألفاظها ، أو هو على الأقل يصور الاعشى وقد ألم بتعاليم الاسلام الماما حسنا ، بما يناقض زعم الرواة أنه عاد حين علم أن الاسلام يحرم الخمر .

ومن أمثلة تأثر هذا القسم بالقرآن :

البيتان ١٧ ، ١٨ متأثران بقوله تعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى ـ البقرة ١٩٧) فهو يستعير الزاد للعمل الصالح على أسلوب القرآن .

» ١٩ ، ٢٠ » » » (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ـ المائدة ٣) فهو يقرن فيهما بين الميتة والدم والذبح للأصنام على نحو ترتيب الآية .

» ٢١ » » » (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار ـ آل عمران ٤١) .

» ٢٢ » » » ((وفى اموالهم حق للسائل والمحروم ـ الذاريات ١٩) فاستعمل كلمتى السائل المحروم وقرن بينهما على نحو الآية .

» ٢٣ » » » (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ـ الحجرات ١١) .

» ٢٤ » » » (ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ـ الاسراء ٣٢) فاستعمل كلمة (تقرب) للالمام بالفحش، وهو تلطف فى التعبير وتعفف فى العبارة عن هذا المعنى ، وذلك على أسلوب القرآن . وقوله بعد ذلك فى هذا البيت (فانكحن او تأبدا) متأثر بقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ـ النور ٣٣) على ما فى تحريك آخر الأمر (تأبد) بالفتح من غرابة لضرورة القافية .

على أن ضعف الشعر الاسلامى ظاهرة عامة فى الشعراء المخضرمين ، يمكن ردها الى ما يجدونه من صعوبة فى معالجة أغراض ومعانى جديدة على الشعر ، لاتلائم ما مارسوه وما مارسه أسلافهم من أساليب الصناعة وتوالبها .

يقول الأَعشى :

١ ـ أَحقٌّ أَنك قضيت ليلةً كليلة الأَرمد لا يغمض لك جفن ، وعادك ما يعود اللديغ المسهَّد ؟

٢ ـ ولم يكن سهرك من عشق النساءِ ، فقد فارقتهن من زمن ، وتناسيت صداقة (مَهْدَد)

٣ ـ ولكنما كان سهرك لطوارق الدهر الخؤون ونائباته ، كلما أَصلحتْ يَدُك كرٌّ على ما أَصلحتِ بالإِفساد .

٤ ـ لله هذا الدهر فى تقلبه . فما أَعجب ترددى فيه بين الشباب والشيب ، والثروة والفقر .

٥ ـ أَنفقت عمرى دائبًا فى جمع المال منذ راهقت ، صبيًا أَمرد ، وكهلا قد علانى المشيب .

٦ ـ أَبتذل العيس ، تُرقِل بى مسرعة بين (النَّجِير) فى حضرموت (وَصَرْخَد) فى العراق

٧ ـ فلا تسأَلى عنى . فما أَكثر من يسأَل عن الأَعشى مظهرًا العناية بأَمره حين يمضى فى البلاد .

٨ ـ أَلا فليعلم الذى يسأَلنى أَين تقصد ناقتى أَنها على موعد عند أَهل (يثرب) .

٩ ـ تسير ليلها كله ، لها رقيبان لا يغيبان من نجمَىْ (الجَدْى) و (الفَرْقد) .

---

(١) الأغانى ٩ : ١٢٥ ، السيرة ٢ : ٢٦ ، خزانة الأدب ١ : ١٢٢ .

— ١٧ —

وقال يمدح النَّبِيَّ صلى الله عليهِ وسلم :

١ ـ أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا   وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ المسَهَّدَا (طويل)

٢ ـ وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا   تَنَاسَيْتَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا

٣ ـ وَلٰكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِي هُوَ خَاتِرٌ   إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّايَ عَادَ فَأَفْسَدَا

٤ ـ شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ   فَلِلَّهِ هَذَا ٱلدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

٥ ـ وَمَا زِلْتُ أَبْغِي ٱلْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ   وَلِيدًا وَكَهْلًا حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا

٦ ـ وَأَبْتَذِلُ ٱلْعِيسَ ٱلْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِي   مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النجيرِ فَصَرْخَدَا

٧ ـ فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَارُبَّ سَائِلٍ   حَفِيٌّ عَنِ ٱلْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا

٨ ـ أَلَا أَيُّهَذَا السَّائِلِي أَيْنَ يَمَّمَتْ   فَإِنَّ لَهَا فِي أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا

٩ ـ فَأَمَّا إِذَا مَا أَدْلَجَتْ فَتَرَى لَهَـــا   رَقِيبَيْنِ جَدْيًا لَا يَغِيبُ وَفَرْقَدَا

١٠ ـ وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ   إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ ٱلظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا

١١ ـ أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْهَا نَجَاءً وَرَاجَعَتْ   يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا

١٢ ـ فَآلَيْتُ لَا أَرْثِي لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ   وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا

١٣ ـ مَتَى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ٱبْنِ هَاشِمٍ   تُرِيحِي وَتَلْقَيْ مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا

١٤ ـ نَبِيٌّ يَرَى مَالَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ   أَغَارَ لَعَمْرِي فِي ٱلْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

(١ ـــ ٣) الأرمد الذى يشتكى وجعا فى عينيه . السليم الذى لدغته الحية أو العقرب سمى بذلك تفاؤلا . الخلة الصداقة . خاتر غادر .

(٤ ـــ ٦) اليافع فى سن العشرين . الوليد الصبى . الأمرد الذى لم ينبت شعر لحيته . ابتذل الشىء استعمله وامتهنه ، المراقيل التى ترقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . تغتلى تسرع فى السير . النجير بحضرموت . صرخد بالجزيرة .

(٧ ـــ ٩) حفى بالرجل تلطف به وبالغ فى اكرامه والسؤال عن حاله . اصعد أصله من الصعود فى الأماكن المرتفعة . وأصعد فى الأرض ذهب . الادلاج سير الليل كله . الجدى نجم الى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبـــلة . الفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به .

(١٠ ـــ ١٢) هجرت سارت فى الهجير وهو وقت احتدام الحر . جمل عجرفى يسرع فى سيره ولا يبالى . الحرباء يدور مع الشمس ويستقبلها بعينيه ليستدفىء بها . الأصيد البعير المصاب بالصاد وهى قروح فى منخريه لا يضع منها راسه . اجدت اسرعت . النجاء السرعة خنف البعير خنافا قلب فى مسيره خف يده الى اليمين . الحرد (بفتحتين) استرخاء عصب يد البعير ، حتى كأنه ينفضها اذا مشى .

(١٣ ـــ ١٤) اراح رجعت اليه نفسه بعد الاعياء . اغار سار الى الغور وهو المنخفض من الارض . انجد سار الى النجاد وهى المرتفعات .

١٠ ـ وتندفع فى التهاب الحر لا تبالى شيئًا ، حين يستقبل الحرباءُ الشمس بوجهه ، حتى يخيل لناظره أنه مريض بداءِ (الصاد) فهو لا يستطيع أن يضع رأسه .

١١ ـ تنقل رجليها جادة فى سرعتها ، وتجدف بيديها السليمتين من الاسترخاءِ فى لين ومرونة .

١٢ ـ وقد آليت أن لا أرحمها مما تعانى من كلال ومن حفى حتى تزور (محمدا) .

١٣ ـ متى ما تناخى عند بابه تجدى الراحة بعد إعياءِ ، وتعوضى عما لقيت بفواضله ونداه .

١٤ ـ نبي يرى مالا يرى الناس . قد سار ذكره فى البلاد ، وذهب صيته فى كل مكان .

١٥ ـ يغمر الناس بصدقاته وعطاياه التى لا تنقطع ، ولا يمنعه ما يعطى اليوم ، أن يعطى فى الغد .

١٦ ـ أحقٌّ أنك لم تسمع وصاة (محمد) نبي الإله ، حين أوصى وأشهد الناس على ما يقول :

١٧ ـ إذا أنت لم تتزود من دنياك بالعمل الصالح ، ولقيت بعد الموت من تزود .

١٨ ـ ندمت على ما فرط منك ، ووددت لو أنك تزودت كما تزود ، وأخذت عدتك للذى أعد .

١٩ ـ فإياك أن تأكل الميتة ، أو الدم تفصده بسهم من حديد .

٢٠ ـ ولا تذبح القرابين للأنصاب ، واعبد الله وحده ولا تعبد الأوثان .

٢١ ـ وصل فى العشى وفى الضحى ، واجعل شكرك لله لا للشيطان .

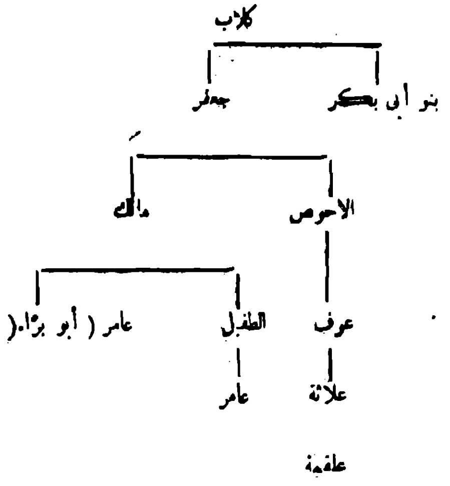
٢ ـ ولا تترك السائل لحرمانه ولا الأسير لقيده .

٢٣ ـ ولا تسخر من البائس الذى مسه الضر ، فلست مخلدًا على الدهر .

٢٤ ـ ولا تقرب جارتك فهى محرمة عليك ، فتزوج أو تعفف مبتعدًا عن النساء .

— ١٨ —

منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة من اشهر ما جرى فى الجاهلية من منافرات لكثرة من اشترك فيها من كبار الشعراء والحكام . وعامر وعلقمة كلاهما من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهما يلتقيان عند الجد الثالث لعلقمة والجد الثانى لعامر . وقد كانت السيادة فى بنى كلاب خاصة ، وفى عامر بن صعصعة عامة ، للأحوص جد علقمة .



وكان الأحوص على رأس عامر يوم (رحرحان) واخوه مالك بن جعفر يشهدها ، ومعه ابناه عامر والطفيل . فلما مات الأحوص انتقلت السيادة الى ابن اخيه عامر بن مالك ، وهو ابو براء الملقب بملاعب الأسنة . فلما اسن ابو براء تنازع عامر وعلقمة الرياسة . عامر يرى انها يجب أن تنتقل اليه لانها فى عمه ، ثم هو يرى نفسه احسن بلاء فى الحرب من علقمة واجود منه . وعلقمة يرى انها كانت فى جده الاحوص ، وانما إنتقلت الى ابى براء بسببه لانه ابن اخيه .

وشرى بينهما الشر حتى صار الى المنافرة . وانحاز لبيد الى عامر وانحاز الحطيئة وبعض بنى الأوس — وليهم السندرى — الى علقمة . واحتكما الى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الرجيد ، ثم الى ابى سفيان بن حرب ، ثم الى ابى جهل بن هشام ابن المغيرة ، وكلهم يتحرج من الحكم فلا يقول بينهما شيئا ، الى أن صار الأمر الى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزارى، فاحتال للأمر ، واستدعى كلا من الخصمين على حدة ، فكان يصور لكل منهما ان خصمه افضل منه ، فيتخيل احدهما انه سيفضل صاحبه ، ويرجوه أن لا يفعل ، وأن يكتفى بالتسوية بينهما . فلما كان يوم الحكم قام هرم فسوى بينهما قائلا (أنتما كركبتى البعير الأدرم الفحل ، يقعان الأرض معا . وليس منكما واحد الا وفيه ما ليس فى صاحبه ، وكلاكما سيد كريم) .

وجاء الأعشى على اعقاب ذلك ، فانحاز الى عامر ، وزعم أنهما قد حكماه فى أمرهما ، وقال هذه القصيدة والقصيدة التى تليها ، ينفر فيهما عامرا على علقمة ، فذاع حكمه فى الناس . واشتد وقعه على علقمة . وقد تحرج صاحب السيرة وصاحب الخزانة من رواية القصيدتين ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن روايتهما ، وذلك بعد أن اسلم علقمة ، بينما قتل عامر وفد الرسول من المسلمين الى نجد ، ومات كافرا (١) .

هذا ملخص ما روى فى هذه القصة (٢) . اما تاريخها فشىء لم تشر اليه المراجع التى بين أيدينا . ولكنا نستطيع بمقارنة الحوادث ان نؤرخها بما بين ٤ قبل الهجرة ، ٤ بعد الهجرة . فهى بعد بعثة النبى على كل حال وقبل ٤ هـ . اما أنها بعد البعثة فذلك لأن أبا براء كان على رأس عامر يوم (فيف الريح) وقد كان هذا اليوم بعد البعثة (٣) . وانما تنازع عامر وعلقمة الرياسة حين اسن أبو براء وقعد عن الغزو ، وينبغى أن يكون ذلك بعد فيف الريح بسنوات . وقد أصيب عامر فى هذا اليوم بطعنة رمح فى عينه (٤) وقد عيره علقمة نقص بصره فى هذه المنافرة حين قال (ولكنى أنافرك انى خير منك اثرا ، وأحد منك بصرا) وقول عامر (أنت رجل ثائر ، وليس لبنى الأحوص فضل على بنى عامر فى العدد . وبصرى ناقص وبصرك صحيح . ولكنى أنافرك أنى أسن منك سنة وأطول منك قمة .... الخ .

ثم ان أبا براء لا ينبغى ان يكون قد أسن قبل ظهور الاسلام ، فقد كان فتى ناشئا يوم (رحرحان) ، وهو قبل الاسلام بواحد واربعين عاما او بستة واربعين عاما (٥) .

وليس ينبغى أن ينازع عامر بن الطفيل فى الرياسة قبل الاسلام ، فقد ولد يوم جبله ، وهو قبل الاسلام بأربعين عاما او بخمسة واربعين عاما (٦) .

واما ان المنافرة لا تتأخر من ٤ هـ فذلك لأن أبا براء قد شهد المنافرة، وأبو براء مات يوم (بئر معونة) ، قتل نفسه بشرب الخمر (٧) . وبئر معونة سنة ٤ هـ .

وقصيدة الأعشى هذه من بحر السريع . وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى ، لم يرو للاعشى فيه الا قصيدتان هذه القصيدة والقصيدة (٥٢) ، ولم يرو لزهير ولا النابغة ولا عنترة فيه شعر . اما طرفة فلم يرو له فيه غير ثلاثة ابيات :

اسلمنى قومى ولم يغضبوا	لسوءة حلت بهم فادحة

ورووا لعلقمة خمسة ابيات :

دافعت عنه بشعرى اذ	كان لقومى فى الفداء جحد

ورووا لامرىء القيس مقطوعتين ، احداهما ثلاثة ابيات والاخرى عشرة :

احللت رحلى فى بنى ثعل	ان الكريم للكريم محل
يا دار ماوية بالحائل	فالفردد فالخبتين من عاقل

(١) السيرة ٢ : ١٩٣ ، خزانة الأدب ١ : ١٢٧ .

(٢) راجع التفاصيل فى الاغانى ١٥ : ٥٥ ، ثعلب (شرح ديوان الأعشى) ١٦٥ ، بلوغ الأرب ١ : ٢٨٧ ، الهجاء والهجاءون ١ : ٨٨

(٣) العقد الفريد ٦ : ٨٩ (٤) نقائض جرير والفرزدق ٤٧٠ ط. أوروبا (٥) العقد الفريد ٦ : ٩ ، النقائض ٢٣٠ ، ١٠٦٢ .

(٦) النقائض ٢٢٩ ، ٦٥٩ (٧) النقائض ١٩٩ .

١٥ ـ لَه صَدَقَاتٌ مَا تُغِبُّ وَنَائِلٌ ... وَلَيْسَ عَطَاءُ ٱلْيَوْمِ مَانِعَهُ غَدَا
١٦ ـ أَجِدَّكَ لَمْ تَسْمَعْ وَصَاةَ مُحَمَّدٍ ... نَبِيِّ ٱلإِلٰهِ حِينَ أَوْصَى وَأَشْهَدَا
١٧ ـ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التُّقَى ... وَلَاقَيْتَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا
١٨ ـ نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ كَمِثْلِهِ ... وَأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ لِمَا كَانَ أَرْصَدَا
١٩ ـ فَإِيَّاكَ وَالْمَيْتَاتِ لَا تَأْكُلَنَّهَا ... وَلَا تَأْخُذَنْ سَهْمًا حَدِيدًا لِتَفْصِدَا
٢٠ ـ وَذَا النُّصُبَ ٱلْمَنْصُوبَ لَاتَنْسُكَنَّهُ ... ولا تَعْبُدِ ٱلْأَوْثَانَ وَاللهَ فَاعْبُدَا
٢١ ـ وَصَلِّ عَلَى حِينِ ٱلْعَشِيَّاتِ وَٱلضُّحَى ... وَلَا تَحْمَدِ الشَّيْطَانَ وَاللهَ فَاحْمَدَا
٢٢ ـ وَلَا ٱلسَّائِلَ ٱلْمَحْرُومَ لَا تَتْرُكَنَّهُ ... لِعَاقِبَةٍ وَلَا الأَسِيرَ ٱلْمُقَيَّدَا
٢٣ ـ وَلَاتَسْخَرَنْ مِنْ بَائِسٍ ذِي ضَرَارَةٍ ... وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَرْءَ يَوْمًا مُخَلَّدَا
٢٤ ـ وَلَا تَقْرَبَنَّ جَارَةً إِنَّ سِرَّهَا ... عَلَيْكَ حَرَامٌ فَانْكِحَنْ أَوْ تَأَبَّدَا

(١٥ — ١٨) لا تغب اى لا تبطىء عنه ولا تنقطع . اجدك احق ما تقول . ارصد له الشيء اعده .

(١٩ — ٢١) فصد شق الجلد لاستخراج الدم . كانت العرب تفعل ذلك فى أوقات الشدة . كانت تفصد وتأخذ ما يسيل من دم المفصود فتنضجه وتأكله . وقد حرمه الله تعالى على المسلمين (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ـ المائدة ٣) . النصب الأصنام . نسك البيت أتاه ، ونسك كذلك ذبح .

(٢٢ — ٢٤) الضرارة ذهاب البصر والنقص فى الأموال والأنفس . السر فرج المراة والزنى . النكاح الزواج . التأبد التعزب والبعد عن النساء .

يبدأ الأعشى قصيدته بغزل رقيق يحن فيه إلى صاحبته (قَتْلَة) وهى من أحب صواحبه إليه وأشهرن فى شعره ، يسميها تارة (قَتْلَة) ويدللها تارة ، فيسميها (قُتَيْلَة) أو (قَتْل) . وقد زعم أبو عبيدة أنها أمة لبنى عبيد كان قد تزوجها .

يقول الأعشى :

١ ـ هاجت أطلال (قتلة) فى قلبك شوقا قديما بين «الشط» و«الوتر» و«حاجر» .

٢ ـ و«ركن مهراس» و«مارد» و«قاع منفوحة» حيث تجتمع مياه الأمطار .

٣ ـ دارٌ غيرت معالمهَا الأمطارُ المتتالية الغزيرة .

ويرجع الأعشى بخياله إلى الماضى ليتصورها أيام كانت تحل هذه الديار فيقول :

٤ ـ لكأنى أراها بين أترابها ، أيام كان الحى آهلا بهم ، ملءُ جوانبه البهجةُ فى النهار ، والسُّمَّار فى الليل .

٥ ـ كانت كدمية أُقيمت فى محراب من المرمر زخرف بالذهب اللامع البراق .

٦ ـ أو بيضة مكنونة فى الرمال ، أو درة مصقولة عند التجار .

٧ ـ تشفى غليل نفس اللاهى لو أن يده تنالها ، وتملك على الناظر أمره ولبه فما ينفك متعلقًا بها .

٨ ـ ليست بسوداء ولا بذيئة قليلة الحياء تسترق النظر إلى الداعر من الرجال .

٩ ـ قد اكتمل حسنها فى ضخامة جسمها وامتداده الذى يضفى عليها ثوبًا من الكبرياء تشوبه بالخلق الطاهر العفيف .

١٠ ـ عهدى بها فى الحى يكشف قميصها عن بطنها الضامر وخصرها الدقيق كأنها المُهْرَةُ الضامرة .

١١ ـ قد نهد الثدى على صدرها الذى تزينه الحلى البراقة اللامعة .

١٢ ـ لو أسندت ميتًا إلى نحرها الفتان لبعث من جديد ودبت فيه الحياة .

١٣ ـ حتى يقول الناس مما يرون (يا عَجَبًا للميت الناشر!) .

وينتقل الأعشى من هذا الغزل الرقيق الممتع فجأة إلى مهاجمة علقمة قائلا :

١٤ ـ دع عنك صاحبتك ، فقد بان عذرك فى حبها بعد الذى وصفت من مفاتنها ، واذكر إفحاش علقمة الفاجر فى الكلام .

وقال يَهْجُو عَلْقَمَةَ بْنَ عُلَاثَةَ ويمدح عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فى المُنَافَرَةِ التى جرت بينهما :

١ ـ شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أَطْلَالُهَا   بِالشَّطِّ فَالْوِتْرِ إِلَى حَاجِرِ   (سريع)
٢ ـ فَرُكْنِ مِهْرَاسٍ إِلَى مَارِدٍ   فَقَاعِ مَنْفُوحَةَ ذِى الحَائِرِ
٣ ـ دَارٌ لَهَا غَيَّرَ آيَاتِهَـــا   كُلُّ مُلِثٍّ صَوْبُهُ زَاخِرِ
٤ ـ وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَـــا   فِى الحَىِّ ذِى البَهْجَةِ وَالسَّامِرِ
٥ ـ كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا   بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ
٦ ـ أَوْ بَيْضَةٍ فِى الدِّعْصِ مَكْنُونَةٍ   أَوْ دُرَّةٍ شِيفَتْ لَدَى تَاجِرِ
٧ ـ يَشْفِى غَلِيلَ النَّفْسِ لَاهٍ بِهَا   حَوْرَاءُ تُصْبِى نَظَرَ النَّاظِرِ
٨ ـ لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ وَلَا عِنْفِصٍ   تُسَارِقُ الطَّرْفَ إِلَى الدَّاعِرِ
٩ ـ عَبْهَرَةُ الخَلْقِ بُلَاخِيَّةٌ   تَشُوبُهُ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ
١٠ ـ عَهْدِى بِهَا فِى الْحَىِّ قَدْ سُرْبِلَتْ   هَيْفَاءَ مِثْلَ المُهْرَةِ الضَّامِرِ
١١ ـ قَدْ نَهَدَ الثَّدْىُ عَلَى صَدْرِهَا   فِى مُشْرِقٍ ذِى صَبَحٍ نَائِرِ
١٢ ـ لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا   عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(١ ــ ٣) شاقة الحب هاجه . الأطلال آثار الديار . الحائر مجتمع الماء والموضع المطمئن من الارض . آيات جمع آية والآية العلامة . ملث مقيم . الصوب السحاب ذو الصوت . زخر البحر طما وكثر ماؤه .

(٤ ــ ٦) الترب من ولد معك ، السامر اسم فاعل من سمر اى لم ينم وتحدث ليلا . والسامر ايضا مجلس السمار . المحراب الغرفة وصدر البيت . مائر تصلح صفة للذهب وللمرمر ، فالذهب مائر فى المرمر اى غائر فيه داخل ، والمرمر مائر اى براق يتموج لجودة صقله . الدعص كثيب الرمل ، مكنونة مخبوءة . فهى لذلك محفوظة صافية اللون . شيفت جليت .

(٧ ــ ١٠) الغليل حرارة العطش . أصباه الشىء شاقه ودعاه الى الصبا فحن اليه . عنفص بذيئة قليلة الحياء . الداعر الخبيث والفاسق . العبهرة الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة . بلاخية طويلة عظيمة فى نفسها . سربلت لبست السربال وهو القميص . الهيفاء الضامرة البطن الرقيقة الخصر . المهر ولد الفرس .

(١١ ــ ١٢) نهد برز . اشراق الحلى بريقها . الصبح بريق الحديد والحلى . النائر والنير المشرق . النحر أعلى الصدر . وقيل موضع القلادة .

١٣ ـ حَتَّى يقول النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ‏ ‏ يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

١٤ ـ دَعْهَا فَقَدْ أَعْذَرْتَ فِى حُبِّهَا ‏ ‏ وَاذْكُرْ خَنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ

١٥ ـ عَلْقَمَ لَا لَسْتَ إِلَى عَامِرٍ ‏ ‏ النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ

١٦ ـ وَاللَّابِسِ الخَيْلَ بِخَيْلٍ إِذَا ‏ ‏ ثَارَ غُبَارُ الكَبَّةِ الثَّائِرِ

١٧ ـ سُدْتَ بَنِى الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ‏ ‏ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِى عَامِرِ

١٨ ـ سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً ‏ ‏ وَكَابِرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

١٩ ـ ما يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِى ‏ ‏ جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الزَّاخِرِ

٢٠ ـ مِثْلَ الفُرَاتِىِّ إِذَا مَا طَمَا ‏ ‏ يَقْذِفُ بِالبُوصِىِّ وَالْمَاهِرِ

٢١ ـ إِنَّ الَّذِى فِيهِ تَمَارَيْتُمَا ‏ ‏ بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ

٢٢ ـ حَكَّمْتُمُونِى فَقَضَى بَيْنَكُمْ ‏ ‏ أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَاهِرِ

٢٣ ـ لَا يَأْخُذُ الرُّشْوَةَ فِى حُكْمِهِ ‏ ‏ وَلَا يُبَالِى غَبَنَ الخَاسِرِ

٢٤ ـ لَا يَرْهَبُ المُنْكَرَ مِنْكُمْ وَلَا ‏ ‏ يَرْجُوكُمُ إِلَّا نَقَى الآصِرِ

٢٥ ـ يَا عَجَبَ الدَّهْرِ مَتَى سُوِّيَا ‏ ‏ كَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا وَكَمْ سَاخِرِ

(١٣ — ١٥) نشر الله الموتى احياهم وبعثهم فكأنهم نشروا بعد ما طووا . أعذر صار ذا عذر . الخنا الفحش فى الكلام . لست اليه اى لا تنسبه ولا تقاس اليه . الأوتار جمع وتر وهو الثأر . الواتر الغالب الذى يترك ثأره فى الأعداء .

(١٦ — ١٨) اللابس الخالط . الكبة الدفعة من الخيل . الأحوص جد علقمة . عامر بن صعصعة هو الجد الأكبر الذى يجتمع عنده عامر وعلقمة وبقية الفروع الأخرى . ألفى قومه سادة ، يقصد أبا براء وهو عامر بن مالك بن جعفر عم عامر . وقد تنازع عامر وعلقمة الرياسة لما أسن . الكابر الكبير والرفيع القدر .

(١٩ — ٢٠) الجد البئر . الظنون الذى لا يعرف أفيه ماء أم لا ، او القليل الماء . جنبه الشىء أبعده عنه ، الصوب هنا الناحية . اللجب الذى له صوت وجلبة . الزاخر الكثير الماء . طما البحر ارتفع ماؤه . البوصى السفين وهو كذلك الملاح الماهر السابح .

(٢١ — ٢٥) تماريتما اختلفتما . السامع الذى سمع الخبر من غيره ولم يشاهده . الناظر الذى حضره وعاينه ، أبلج واضح مشرق الوجه . الباهر الذى يبهر النجوم فيقطع ضوءها . الغبن النقص . المنكر الذى ينكر حكمه ولا يرضاه . النقا عظم العضد او كل عظم ذى مخ فى داخله . أصر الشىء (كضرب) أصرا كسره .

١٥ ـ إنك يا علقمة لا تقاس إلى عامر ولا تدانيه ، الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه ، والتارك الثأر فيهم لا يأخذونه .

١٦ ـ والخالط الخيل بالخيل إذا ثار غبار جماعاتها فى القتال .

١٧ ـ سدت بيتك من (بنى الأحوص) لم تَعْدُ ذلك ولم تتجاوزه ، وسادعامر (بنى عامر) جميعًا .

١٨ ـ ساد وكان قومه من قبل سادة ، ولقد سادوك سيدًا من بعد سيد .

١٩ ـ ليس البئر القليل الماء قد جانبه السيل الزاخر الدفاق ، .

٢٠ ـ مثلَ الفرات إذا جاش بالماء يقذف بالسفين وبالسَّباح .

٢١ ـ إن الذى تماريان فيه من التنافس على السيادة أمر واضح يعرفه الغائب والحاضر .

٢٢ ـ حكمتمونى فقضيت بينكم وكنت كالقمر المشرق الذى يبهر الأنظار .

٢٣ ـ وما قاضيكم بالذى يصرفه عن العدل والصواب رشوة يأخذها ، ولا هو بالذى يبالى على أيكم تقع الخسارة .

٢٤ ـ لا هو يرهب الذى ينكر حكمه ، ولا هو يرجوكم إلا رجاء الذى يكسر العظام مفتشًا عما فى داخلها من تافه الدسم .

٢٥ ـ يا عجب الدهر ! متى كان عامر وعلقمة سواءً ؟ كم ضاحكٍ من ذا وكم ساخرٍ !

٢٦ ـ فالزم حياءك الذى أضعته يا علقمة ، فمالك بعد المشيب من عذر .

٢٧ ـ فيم تزعم أنك أعز منه ، ولست بالأكثر منه قوما ، وإنما العزة لصاحب الكثرة .

٢٨ ـ ولست فى شىءٍ من قومه الأثرياءِ (بنى مالك) ، ولا أنت من (بنى أبى بكر) المنجِدين الأقوياءِ .

٢٩ ـ فبنو مالك هم رءوس الحى وهامته يوم يُجْمَع الناس . وهم بمكان السؤدد القاهر من بنى جعفر .

٣٠ ـ أقول لما جاءنى فخر علقمة على عامر «سبحانَ مِنْ علقمة الفاخر !» .

٣١ ـ فاربع على نفسك ، وكف عن سفهك ، ولا تجعل عرضك للوارد والصادر من الناس .

٣٢ ـ إنى أرد الحكم إلى وجهه الصحيح من الحق والصواب ، ولا أصدر فيه عن الهوى الجائر .

٣ ـ وقد حكمت حكما قضى بينكم ، واعترف المغلوب للغالب .

٣٤ ـ وكم قضيت فى مثله فمضى قضائى وسار قولى فى الناس لا يرده شىءُ .

٣٥ ـ فإن رجعت الحكم إلى أهله فما أنت بين الناس فى شىء .

٣٦ ـ ما أنت بالكريم فى السلم ، ولا أنت بالجرىء فى الحرب .

٣٧ ـ ولقد آليت على نفسى مقسما ـ ولم أصفح عنه حين عثر ـ

٣٨ ـ ليأتينه منى شعر سائر ذائع يطاوع السامعَ على إذاعته وروايته .

٣٩ ـ يعض حين يسمع قولى بما أبقت له المواسى من أُمه فى غابر الأَزمان .

٤٠ ـ وما أبقت إلا أذى عند رأس فرجها وافى الحروف .

٤١ ـ لا تحسبنى غافلا عنكم ، فلست بالفاتر ولا الكليل .

٤٢ ـ واستمع لقولى فإنى فطن حاذق ، وإنى عالم بأَخبار الناس ، أَعرف كيف أُخرس المتطاول وأَقطع شِقْشِقة الهادر .

٤٣ ـ يقسم بالله لئن بلغه عنى ما يؤذيه من سامع .

٤٤ ـ ليجعلنّى بعدها سُبَّة فى الناس . ألا جَدْعًا لك يا علقم من متهدد !

٤٥ ـ أذلك شئ جديد ، أن تتوعّدنى وقد ركبت رأْسك متحيرًا ؟ وعهدى بك أَضعف الناس عن أَن تنال عدوًّا بأَذى .

٤٦ ـ انظر إلى الكف وما انطوت عليه من غيب وأَسرار ، ثم خبِرنى : هل أَنت إن أَوعدتنى ضائرى ؟

٤٧ ـ ما أَراك إن شمَّرت الحرب واشتد القتال إلا مغلوبًا مدوَّخا .

٤٨ ـ وقد التف حولى قومى من سادة « وائل » ، منتشرين كأَنهم الليل من بادٍ ومن حاضر

٤٩ ـ المطعمو اللحم إذا أَزم الشتاءُ الناسَ وضيق عليهم الرزق ، والجاعلو رزقَ فقرائهم على أَغنيائهم المقامرين .

٥٠ ـ يذبحون كل ناقة ضخمة قد تراكم على سنامها الشحم ، حين تجف من اللحم سكاكينُ الجازرين .

٢٦ ـ فَاقْنَ حَيَاءً أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ ... مَالَكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَاذِرِ
٢٧ ـ وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى ... وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ
٢٨ ـ وَلَسْتَ فِى الأَثْرَيْنِ مِنْ مَالِكٍ ... وَلَا أَبِى بَكْرٍ ذَوِى النَّاصِرِ
٢٩ ـ هُمْ هَامَةُ الحَىِّ إِذَا حُصِّلُوا ... مِنْ جَعْفَرٍ فِى السُّؤْدَدِ القَاهِرِ
٣٠ ـ أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِى فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ
٣١ ـ عَلْقَمَ لَا تَسْفَهْ وَلَا تَجْعَلَنْ ... عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ
٣٢ ـ أُوَّلُ الحُكْمَ عَلَى وَجْهِهِ ... لَيْسَ قَضَائِى بِالْهَوَى الجَائِرِ
٣٣ ـ قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... وَاعْتَرَفَ المَنْفُورُ لِلنَّافِرِ
٣٤ ـ كَمْ قَدْ مَضَى شِعْرِىَ فِى مِثْلِهِ ... فَسَارَ لِى مِنْ مَنْطِقٍ سَائِرِ
٣٥ ـ إِنْ تَرْجِعِ الحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ ... فَلَسْتَ بِالمُسْتِى وَلَا النَّائِرِ
٣٦ ـ وَلَسْتَ فِى السِّلْمِ بِذِى نَائِلٍ ... وَلَسْتَ فِى الهَيْجَاءِ بِالْجَاسِرِ
٣٧ ـ إِنِّىَ آلَيْتُ عَلَى حَلْفَةٍ ... وَلَمْ أُقِلْهُ عَثْرَةَ العَاثِرِ
٣٨ ـ لَيَأْتِيَنْهُ مَنْطِقٌ سَائِرٌ ... مُسْتَوْسِقٌ لِلْمُسْمِعِ الآثِرِ

(٢٦ — ٢٨) قنى الحياء لزمه . الاثرى الكثير المال . ابو بكر هم بنو أبى بكربن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٩ — ٣١) هامة الحى راسه . حصلوا جمعوا وميزوا . السؤدد السيادة . القاهر الغالب . سبحان منه تعجب ، أى سبحان الله منه . الوارد الذى يجىء الماء ليشرب . الصادر الذى يعود من الماء بعدأن شرب .

(٣٢ — ٣٤) أول الحكم الى أهله رده اليهم أى جعله يؤول ويرجع اليهم . الجائر المنحرف عن الصواب والحق . المنفور المغلوب فى المنافرة ، والنافر الغالب فيها . منطق سائر مشهور ذهب بين الناس وسار .

(٣٥ — ٣٨) أستى الثوب وأسداه أقام سداه ، السدى من الثوب ما مد من خيوطه ، وهو خلاف لحمته . والنير هدب الثوب ولحمته ، يريد أن يقول له لست شيئا . النائل العطاء . الهيجاء الحرب . الجاسر الجرىء الشجاع . أقال عثرته صفح عنه . منطق سائر شعر ينال شهرة بين الناس . استوسق له الامر امكنه . الآثر الذى يأثر الخبر أوالشعر ويرويه ، فهو آثر والكلام مأثور .

٣٩ ـ عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِى لَهُ   مِنْ أُمِّهِ فِى الزَّمَنِ الْغَابِرِ
٤٠ ـ وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى   عِنْدَ الْمَلاَقِى وَافِىَ الشَّافِرِ
٤١ ـ لَا تَحْسَبَنِّى عَنْكُمُ غَافِلًا   فَلَسْتُ بِالْوَانِى وَلَا الْفَاتِرِ
٤٢ ـ وَاسْمَعْ فَإِنِّى طَبِنٌ عَالِمٌ   أَقْطَعُ مِنْ شِقْشِقَةِ الْهَادِرِ
٤٣ ـ يُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَهُ   عَنِّى أَذًى مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ
٤٤ ـ لَيَجْعَلَنِّى سُبَّةً بَعْدَهَا   جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ مِنْ نَاذِرِ
٤٥ ـ أَجَذَعًا تُوعِدُنِى سَادِرًا   لَسْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْقَادِرِ
٤٦ ـ انْظُرْ إِلَى كَفٍّ وَأَسْرَارِهَا   هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِى ضَائِرِى
٤٧ ـ إِنِّى رَأَيْتُ الْحَرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ   دَارَتْ بِكَ الْحَرْبُ مَعَ الدَّائِرِ
٤٨ ـ حَوْلِى ذَوُو الْآكَالِ مِنْ وَائِلٍ   كَاللَّيْلِ مِنْ بَادٍ وَمِنْ حَاضِرِ
٤٩ ـ الْمُطْعِمُو اللَّحْمَ إِذَا مَا شَتَوْا   وَالْجَاعِلُو الْقُوتَ عَلَى الْيَاسِرِ
٥٠ ـ مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ سَحُوفٍ إِذَا   جَفَّتْ مِنَ اللَّحْمِ مُدَى الْجَازِرِ
٥١ ـ وَالشَّافِعُونَ الْجُوعَ عَنْ جَارِهِمْ   حَتَّى يُرَى كَالْغُصُنِ النَّاضِرِ

(٣٩ — ٤١) بما أبقى المواسى له من أمه . المواسى جمع موسى ، يقطع به الشيءالزائد فى العورة عند الاختتان وهو الذى نسميه (الطهارة) . الزمن الغابر الذاهب القديم . الملاقى شعب راس الرحم ، جمع ملقى (كمنفى) . الشفر (بضم الشين) والشافر حرف الفرج . وافى ضخم . الوانى والفاتر بمعنى واحد وهو الضعيف والبطىء .

(٤٢ — ٤٤) طبن فطن . عالم يعرف أخبار الناس ولا يخفى عليه منها شىء . الشقشقة شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه أذا هاج ، ولايعرف موضعها منه فى غير تلك الحال . هدر البعير ردد صوته فى حنجرته عند الغضب . جدعه (بتشديد الدال) دعا عليه فقال جدعك الله . والجدع القطع . ناذر متهدد .

(٤٥ — ٤٨) الجذع الشاب الحدث ، والذى اخذ فى الأمر حديثا . السادرالمتحير ، والذى تحير بصره من شدة الحر . انظر الى كف ، كانوا ينظرون الى الكف ويرون فيها دلائل على المستقبل . شمرت الحرب اشتدت ، وكأنها كشفت من يديها أو ساقيها . الآكال تطائعكانت الملوك تطعمها للأشراف ، البادى الذى يسكن البادية والصحراء . الحاضر الذى يسكن الحاضرة أى المدن .

(٤٩ — ٥١) القوت النفقة . الياسر الذى يلعب الميسر ، او الرابح فى الميسر . وكان الرابح يفرق ما غنم من اللحم ، وهم يعيرون من يأخذه الى بيته . اذا ما شتوا ، لأن الشتاء عندهم زمن الشدة والقحط وانقطاع الرزق . الكوماء الناقة الضخمة . السحيفة طبقة الشحم والجمع سحائف ، وناقة سحوف كثيرة السحائف . المدى جمع مدية (بضم الميم) وهى السكين . الجازر الجزار الذى يذبح . الشافعون الدافعون ، والشفع أصله الزوج ، فهو يكون معه ويقف بجانبه ولا يتركه وحده .

٥١ ـ والدافعون الجوع عن جارهم حتى يقوى ويشتد ، ويصير كالغصن المورق النضير .

٥٢ ـ كم فيهم من فرس طويلة سريعة ، ومن جواد سابح نشيط. وثاب .

٥٣ ـ ومن درع محكمة الصنع ، ومن سيف قاطع ذى رونق بتار .

٥٤ ـ ومن قوس ذات رنين تُصوِّت حين تدفع بالسهام ، ومن رمح غليظ. القناة مرن الكعوب .

ويختم الأعشى قصيدته بأبيات فى الناقة ، يصور فيها جرأته على اقتحام الصحراء وكثرة أسفاره . فيقول :

٥٥ ـ إنى إذا نزلت بى الهموم تسليت بالرحلة فوق ناقة ضخمة جريئة على اقتحام الصحراء ، عاقر لم يذهب بعزمها الحمل والرضاع .

٥٦ ـ تسرع متمايلة وهى تضرب بذنبها حتى إنها لتقذف بالرحل القوى المتماسك العيدان المتمكن من سنامها .

٥٧ ـ وإن لى فوق ظهرها ليومًا عسيرًا هو أشد هولاً من يوم (حَيَّان) أخى (جابر) .

٥٨ ـ وقد حبس فى حصن عال مشيد ، بنى من حجارة صماء ملساء يزل عنها ظفر الطائر .

٥٩ ـ يجمع كتبة كثيفة يعلو رجالها الحديد ، لها سطوة وبأس لا يقف فى سبيلها شئ ، فهى تعصف بالحاسر وبالدارع على السواء .

٦٠ ـ شديدة الوقع ، تلمع فوق رجالها الدروع البيضاء ، وقد صُفُّوا إلى جانب هذا الحصن المرتفع المنيع .

٥٢ ـ كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ خَيْفَقٍ وَسَابِحٍ ذِى مَيْعَةٍ ضَابِرِ
٥٣ ـ وَكُلِّ جَوْبٍ مُتْرَصٍ صُنْعُهُ وَصَارِمٍ ذِى رَوْنَقٍ بَاتِرِ
٥٤ ـ وَكُلِّ مِرْنَانٍ لَهُ أَزْمَلٌ وَلَيِّنٍ أَكْعُبُهُ حَادِرِ
٥٥ ـ وَقَدْ أُسَلِّى الهَمَّ حِينَ اعْتَرَى بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ
٥٦ ـ زَيَّافَةٍ بِالرَّحْلِ خَطَّارَةٍ تُلْوِى بِشَرْخَىْ مَيْسَةٍ قَاتِرِ
٥٧ ـ شَتَّانَ مَا يَوْمِى عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِى جَابِرِ
٥٨ ـ فِى مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُهُ يَزِلُّ عَنْهُ ظُفُرُ الطَّائِرِ
٥٩ ـ يَجْمَعُ خَضْرَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ تَعْصِفُ بِالدَّارِعِ وَالحَاسِرِ
٦٠ ـ بَاسِلَةُ الوَقْعِ سَرَابِيلُهَا بِيضٌ إِلَى جَانِبِهِ الظَّاهِرِ

(٥٢ — ٥٤) شطبة فرس طويلة . خيفق خفيفة سريعة . سابح فرس عداء . ذى ميعة سريع . ماع الشىء سال وجرى على وجه الارض . ضبر الفرس وضبر المقيد جمع قوائمه ووثب . جوب ترس . مترص محكم . صارم قاطع . رونق السيف ماؤه وطلاوته . ارنت القوس صوتت فهى مرنان كثيرة الرنين . الأزمل كل صوت مختلط . لين اكعبة رمح مرن . حادر غليظ .

(٥٥ — ٥٦) اعتراه عرض له ونزل به . جسرة ناقة ضخمة . وكذلك دوسرة . عاقر غير حامل . زاف البعير اسرع فى تمايل . ناقة خطارة تضرب بذنبها يمينا وشمالا . ألوى به ذهب به . الشرخ الحرف الناتىء من الشىء ، وشرخا الرحل آخرته وقادمته ، ولا يزال فلان بين شرخى رحله اذا كان مسافرا . الميسة شجرة تعمل منها الرحال . تتر الشىء ضم بعضه الى بعض . القاتر من الرحال والسرج هو الجيد الوقوع على الظهر ، أو اللطيف منها ، الذى يقى الظهر ولا يعقره .

(٥٧ — ٦٠) المجدل القصر . يزل يزلق ولا يستقر لأن أحجاره مصقولة ملساء لا يتعلق بها الظفر . خضراء كتيبة يعلوها الحديد فهى خضراء ، والعرب تسمى الأسود أخضر أحيانا . سورة الشىء حدته وشدته وسطوته . الدراع الذى يلبس الدرع . والحاسر العارى الذى لا درع عليه ، غضب باسل ويوم باسل شديد . السربال . القميص والدرع . الى جانبه أى الى جانب المجدل وهو القصر . الظاهر المرتفع وفعله ظهر (كجمل) أى برز وارتفع . والظهر (بفتح الظاء) ما ارتفع من الأرض .

تلى هذه القصيدة القصيدة السابقة . فالذى يبدو من الشعر ان علقمة تهدد الأعشى حين ذاع حكمه فى تنفير عامر عليه . فرد الأعشى على تهدده بهذه القصيدة مستخفا به . وقد بنى الشاعر قصيدته على قافية صعبة هى الصاد ، ألجاته الى كثير من التكلف والاغراب . وليس أدل على صعوبة القافية من أن الشاعر لم يستطع أن يمضى فى قصيدته الى أكثر من خمسة وعشرين بيتا . وليس له على هذا الروى بعد ذلك فى ديوانه الا ستة أبيات فى الاعتذار الى علقمة (القصيدة ٨١) ، واربعة عشر بيتا فى مدح آل جفنة (القصيدة ٣١) .
وقد كان من اشد أبيات هذه القصيدة ايلاما لعلقمة قول الأعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

حتى لقد زعم الرواة أن علقمة بكى حين سمعه وقال : قاتله الله ! أنحن كذلك ؟

يقدم الأعشى لقصيدته بأربعة أبيات فى صاحبته عُفَيْرة (تصغير عفراء) فيقول :

١ - لئن أمسيتُ وقد شخصتُ من الحى ذاهبًا لِطِيَّتِى ، فما نلت من (عُفَيْرَة) إلا القليل اليسير .

٢ - إذا جُرِّدَتْ رأيتَ جسمها الأَملس يبرق كأَنه الذهب ، وقد انسدل عليه شعرها كأَنه خطوط الكساءِ المُعْلَم .

٣ - تَصَيَّدها شيخ عجوز حين وقعت عليها عينه فى بعض العشيات ، فأَصبحت فى (قضاعة) كارهة لزوجها تأْتى الكواهن رجاءَ الخلاص منه .

٤ - فصوبت إليها سهمى فلم يخطئها ، ولكم أَصاب أَمثالها من نساءِ الحى فلم يخطئه .

ثم لا يلبث أَن يتجه الأَعشى إلى (بنى الأَحوص) قوم علقمة قائلا :

٥ - لقد بلغنى وعيد بنى الأَحوص من آل جعفر . فهلا نهيت يا (عبد عمرو) قومك عن سفههم ؟

٦ - لم أَملك حين بلغنى وعيدهم إلا أَن أَقول : يا لبكر بن وائل ! متى كنت ضعيفا كنبت الكَمْأَة التافه ينبت فى أُصول شجر القَصَائِص ؟

٧ - وحولى قومى من بكر ومن اجتمع إليهم ، قد ملأُوا (نُبَاكا) و (أَخْوَاضَ الزَّجَا) و (النَّوَاعص) .

٨ - وما ذنبى إليك يا علقمة وقد حكمتنى فوجدتنى عالما بكم وبما دق وخفى من شئونكم .

٩ - كان أَبوكم وأَبوهم كلاهما شريف ماجد . ولكنهم بنوا إلى مجدهم مجدا ، وهدمتم أَنتم ما ورثتم من مجد .

١٠ - فهم الأَشراف القاهرون لعدوهم ، وأَنتم آخر الثلاثة من بيوت قومكم ، تأْكلون القتيل الميت من الحيوان .

١١ - تبيتون فى الشتاءِ وقد ملأْتم بطونكم ، ثم لا تبالون أَن تبيت جاراتكم جوعى خاويات البطون .

١٢ - فهن لا يزلن فى جوعهن يترقبن غفلة الحى فى الليل وطلوع النجوم ، ليخرجن فيلتقطن ما يقوتهن .

وَقَالَ يَهْجُو عَلْقَمَةَ أَيْضًا :

(طويل)

١ — لَعَمْرِى لَئِنْ أَمْسَى مِنَ الْحَىِّ شَاخِصًا ... لَقَدْ نَالَ خَيْصًا مِنْ عُفَيْرَةَ خَائِصًا

٢ — إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً ... عَلَيْهَا وَجِرْيَالًا يُضِىءُ دُلَامِصَا

٣ — تَقَمَّرَهَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَحَتْ ... قُضَاعِيَّةً تَأْتِى الْكَوَاهِنَ نَاشِصَا

٤ — فَأَقْصَدَهَا سَهْمِى وَقَدْ كَانَ قَبْلَهَا ... لِأَمْثَالِهَا مِنْ نِسْوَةِ الْحَىِّ قَارِصَا

٥ — أَتَانِى وَعِيدُ الْحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الْأَحَاوِصَا

٦ — فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ — أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... مَتَى كُنْتُ فَقْعًا نَابِتًا بِقَصَائِصَا

٧ — وَقَدْ مَلَأَتْ بَكْرٌ وَمَنْ لَفَّ لِفَّهَا ... نُبَاكًا فَأَحْوَاضَ الرَّجَا فَالنَّوَاعِصَا

٨ — أَعَلْقَمُ قَدْ حَكَّمْتَنِى فَوَجَدْتَنِى ... بِكُمْ عَالِمًا عَلَى الْحُكُومَةِ غَائِصَا

٩ — كِلَا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعًا دِعَامَةً ... وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا

١٠ — هُمُ الطَّرَفُ النَّاكُو الْعَدُوِّ وَأَنْتُمُ ... بِقُصْوَى ثَلَاثٍ تَأْكُلُونَ الْوَقَائِصَا

١١ — تَبِيتُونَ فِى الْمَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

١٢ — يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوعٍ خِلَالَ مَخَافَةٍ ... نُجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

(١ — ٣) الخيص القليل ، والخائص مثله ، توكيد له . جردت نزعت منها ثيابها فأصبحت عارية . الخميصة كساء أسود مربع مخطط بخطين شبه به شعرها . الجريال الذهب شبه به جسمها فى ملاسته وبريقه . دلامص لماع . تقمر الظباء تصيدها فى القمراء ، وتقمر المرأة تزوجها . قضاعية لأنها تزوجت رجلا من قبيلة قضاعة . نشصت المرأة على زوجها فهى ناشص كرهته وملت صحبته .

(٤ — ٦) اقصده السهم اصابه فلم يخطئه . الحوص ضيق العينين ، والحوص هم بنو الاحوص قوم علقمة. عبد عمرو زعيمهم وهو عبد عمرو بن الاحوص . اوللتمنى اى هلا نهيتهم . الفقع الابيض الرخو من الكمأة . والكمأة نبات يقال له شحمة الارض وهو أصل مستدير كالقلقاس لاساق له ولا عرق ، لونه الى الغبرة ، يضرب به المثل فى الذل ، لانه يجتنى بسهولة او لان الاقدام تدوسه ، قصائص جمع قصيصة وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة .

(٧ — ٩) اللف (بكسر اللام) الجماعة من الناس والحزب . غائصا من الغوص وهو التعمق فى المعرفة . الدعامة عماد البيت. والدعامتان الخشبتان تنصب عليهما البكرة فوق البئر .

(١٠ — ١٢) نكأ العدو قتل فيهم وجرح واثخن . أقصى الشىء اخره وابعده . الوقائص والوقائد المكسورة الأعناق ، اى انهم يأكلون الميتة من البهائم التى سقطت فكسرت عنقها . المشتى بيت الشتاء أو زمن الشتاء . الغرثان والخميص الجائع الضامر البطن .

١٣ — ففيم وعيدك ؟ أتوعدنى اتكالا على شرف ابن عمك (عامر) أن جاش بحره ، وبحرك ساكن راكد لا يوارى أحقر الديدان ؟

١٤ — فلو كنتم نخلا ما كنتم إلا حثالة التمر ، ولو كنتم نَبْلًا ما كنتم إلا أردأ السهام .

١٥ — وإنما قذف بك فى أقصى القوم وفضل الناس عليك مراتب ودرجات ، أنك خامل لا تأخذ بأسباب المجد .

١٦ — فعض وجه الأرض بفيك إن كنت ساخطًا . أو عض أحجار (الكلاب) الراسية .

١٧ — فإن تتهددنى أتهددك بمثل ما تتهدد ، وأزيد على التهديد ما يبقى أثره ويؤلم لذعه .

١٨ — شِعْرًا يذهب مذهب الأمثال ، ويظهر فى جلدك كالرقعة زيدت فى عرض القميص .

١٩ — وليس عداؤنا بالجديد . فقد كان كبيرنا وكبيركم إذا التقيا عدوين متباعدين يتقاذفان ويترأميان .

٢٠ — وما أظن أن الحروب الطويلة التى تُرْكَبُ فيها الإبل وتُجْنَبُ الأفراس فتتقدمها ، تركت بيننا من المودة ما نحرص على استبقائه .

٢١ — فهل كنتم إلا عبيدًا ؟ وهل أنتم حين يُعَدُّ الصديق إلا مخادعون كذابون يبدو الحقد فى عيونكم الخُوصِ الغائرة ؟

٢٢ — وما أرى نكوصكم عن حقكم سيجديكم نفعًا ، يوم لا ينبغى للكريم أن ينكص على عقبيه .

٢٣ — فإن قدر لقومى وقومك أن يلتقيا ، فسترى قتالا مريرًا تتكسر فيه الرماح ويكثر فيه الطعان .

٢٤ — وإن لنا من القوة والثروة لما يجعلنا حقيقين أن نثيرها حربا شعواء . فمساكننا فى وادى (العِرْض) مليئة بالنخيل والزروع وعلف الدواب .

٢٥ — تشرف من بينها قصورنا الباذخة التى يقصر الطير عن بلوغ شُرُفاتها ويعشش فيها الحمام .

١٣ ـ أَتُوعِدُنِى أَنْ جَاشَ بَحْرُ ٱبْنِ عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِى الدَّعَامِصَا
١٤ ـ فَلَوْ كُنْتُمُ نَخْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً ... وَلَوْ كُنْتُمُ نَبْلًا لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَا
١٥ ـ رَمَى بِكَ فِى أُخْرَاهُمُ تَرْكُكَ العُلَى ... وَفَضَّلَ أَقْوَامًا عَلَيْكَ مَرَاقِصَا
١٦ ـ فَعَضَّ جَدِيدَ الأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا ... بِفِيكَ وَأَحْجَارَ ٱلْكُلَابِ الرَّوَاهِصَا
١٧ ـ فَإِنْ تَتَّعِدْنِى أَتَّعِدْكَ بِمِثْلِهَا ... وَسَوْفَ أَزِيدُ البَاقِيَاتِ ٱلْقَوَارِصَا
١٨ ـ قَوَافِىَ أَمْثَالًا يُوَسِّعْنَ جِلْدَهُ ... كَمَا زِدْتَ فِى عَرْضِ القَمِيصِ الدَّخَارِصَا
١٩ ـ وَقَدْ كَانَ شَيْخَانَا إِذَا مَا تَلَاقَيَا ... عَدُوَّيْنِ شَتَّى يَرْمِيَانِ الفَرَائِصَا
٢٠ ـ وَمَا خِلْتُ أَبْقَى بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... عِرَاضُ المَذَاكِى المُسْنِفَاتِ القَلَائِصَا
٢١ ـ فَهَلْ كُنْتُمُ إِلَّا عَبِيدًا وَإِنَّمَا ... تُعَدُّونَ خُوصًا فِى الصَّدِيقِ لَوَامِصَا
٢٢ ـ تَخَامُصُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ غَيْرُ طَائِلٍ ... عَلَى سَاعَةٍ مَا خِلْتُ فِيهَا تَخَامُصَا
٢٣ ـ فَإِنْ يَلْقَ قَوْمِى قَوْمَهُ تَرَ بَيْنَهُمْ ... قِتَالًا وَأَكْسَارَ القَنَا وَمَدَاعِصَا
٢٤ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعِرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا ... نَخِيلًا وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصَا
٢٥ ـ وَذَا شُرُفَاتٍ يَقْصِرُ الطَّيْرُ دُونَهُ ... تَرَى لِلْحَمَامِ ٱلْوُرْقِ فِيهِ قَرَامِصَا

(١٣ — ١٥) جاش البحر غلا بالماء واضطرب . ساج ساكن لقلة مائه . الدعامص جمع دعموص (بضم الدال) وهى دودة سوداء تكون فى الغدران اذا قل ماؤها . الجرامة حثالة التمر . المعاقص جمع معقص (بكسر الميم) وهو السهم المعوج أو الذى انكسر نصله. مراقصا لعله تحريف مراهصا والمرهصة المنزلة والمرتبة .

(١٦ — ١٨) جديد الأرض وجهها من الجدد وهو الغلظ . الكلاب موضع . الرواهص من الصخور المتراصفة الثابتة والواحدة راهصة . الباقيات القصائد التى تبقى على ألسن الرواه ولا تنسى . أمثالا يقصد ذائعة تسير سيرورة المثل . الدخارص واحدها دخرص (بكسر الدال والراء) أصله فارسى ، وهو كل رقعة تزاد فى ثوب أو دلو لتوسعه .

الشيخ كبير القوم . قوم شتى من قبائل متفرقة . الفريصة لحمة بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع . المذاكى من الخيل التى قد بلغت أسنانها . المسنفات المتقدمات . القلائص الابل . وكانوا فى غاراتهم يركبون الابل ويسوقون أمامها الخيل فلا يركبونها الا اذا قاربوا موضع الغارة حتى لا يتعبوها ويجهدوها ، لينزلوا بها الى القتال موفورة القوة والنشاط . خوص جمع أخوص وهو الذى ينظر بشق عينيه بغضا أو عداوة . لوامص جمع لوص وهو الكذاب الخداع .

(٢٢ — ٢٥) تخامصكم عن حقكم تجافيكم عنه وتركم له . غير طائل غير مجد. المداعص الرماح . العرض واد باليمامة وهو موطن الأعشى . الفصفصة (بكسر الفاء) نبات تعلفه الدواب . يقصر الطير دونه لا تبلغه لعلوه وارتفاعه . الورقاء الحمامة التى يضرب لونها الى الخضرة . القرموص الوكر والعش .

— ٢٠ —

يتصل موضوع هذه القصيدة بموضوع القصيدة (١٠) فهما فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدري ، أحد سادة بنى جحدر (ربيعة بن ضبيعة) ، وهم أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى (١) .

والأعشى يتناول فى هذه القصيدة بعض بنى فزارة بالهجاء ، مصغرا من شأنهم ، حاطا من قدرهم ، مقارنا بينهم وبين أشراف قومهم. والظاهر أن هؤلاء الذين يهجوهم من (فزارة) كانوا يعينون بنى جحدر على قوم الأعشى .

وهذا النوع من الشعر يدخل فى الشعر السياسى كما عرفه الجاهليون ، حين كان الوطن لا يتجاوز القبيلة .

وتصور هذه القصيدة الشعر القبلى . الذى ينطق فيه الشاعر بلسان قبيلته . ويحتاج الذى يتصدى لمثل هذا القصد الى الاحاطة بالأنساب والاخبار وتكثر فى مثل هذا اللون من الشعر الاشارات التاريخية للافراد والوقائع . بما يجعله أشبه بالسرد التاريخى وتقرير الواقع فى كثير من مواضعه . ولكنه تاريخ ضيق الأفق والنطاق . لأنه لا يتجاوز نطاق القبيلة كما قدمنا .

يقدم الأَعشى لقصيدته بمقدمة طويلة ، يتغنى فيها بصاحبته (عُفَارة) وبذكريات شبابه ، فيقول :

١ ـ أَى جارة كنت لى يا صاحبتى ، وأَى حزن أَورثْتِنِى من بَعْدك !

٢ ـ كانت ترضيكَ بتدللها وبجمالها الذى تخالطه السذاجة وحداثة السن .

٣ ـ تبدو بشرتها بيضاءَ فى النهار ، فإِذا دخل المساءُ وتطيبت بدت صفراءَ كأَنها نَوْر (العَرَار) .

٤ ـ أَسرت قلبك حين بدت من وراءِ الستارة تبتسم ومن خلفها سريرها المزين الوثير .

٥ ـ بقوامها الحسن الذى جمع بين الطول وجمال التنسيق .

٦ ـ تتثنى فى ثوبها المشقوق الذى يكشف عن ذراعيها ، وقد ائتزرت فوقه بمِلْحَفَتِهَا كأَنها النشوان .

٧ ـ ....

٨ ـ ....

٩ ـ وتتيه بجيدها الصقيل الطويل وكأَنه جيد غزال ، ووجهِها الفاتن النضير .

١٠ ـ أَسنانها صافية كالبللور ، تبرق أَطرافها ، ويشفى لثمها المتيم ، ويثلج لوعته وحرارته .

١١ ـ كأَنها أَوراق زهر (الأُقحوان) البيضاء ، قد صفا لونها ، وارتفع ساقها وقد نبتت فى منخفَض استقر فيه الماء .

١٢ ـ وتسترسل غدائر شعرها الأَسود على كَفَلِهَا الوثير الرجراج .

---

(١) راجع القصيدة (١٠) .

وَقَالَ يَهْجُو شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِى :

١ ـ يَا جَارَتِى مَا كُنْتِ جَارَهْ   بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عُفَارَهْ (مجزوء الكامل)
٢ ـ تُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ   حُسْنٍ مُخَالِطُهُ غَرَارَهْ
٣ ـ بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَـــا وَصَفْ   رَاءُ الْعَشِيَّةِ كَالْعَرَارَهْ
٤ ـ وَسَبَتْكَ حِينَ تَبَسَّمَتْ   بَيْنَ الْأَرِيكَةِ وَالسِّتَارَهْ
٥ ـ بِقَوَامِهَـــا الْحَسَنِ الَّذِى   جَمَعَ المَدَادَةَ وَالْجَهَارَهْ
٦ ـ كَتَمَيُّلِ النَّشْوَانِ يَرْ   فُلُ فِى الْبَقِيرَةِ وَالْإِزَارَهْ
٧ ـ .... هِرَارَهْ
٨ ـ .... العَمِيمِ بِلَاقِصَارَهْ
٩ ـ وَبِجِيـــدِ مُغْزِلَةٍ إِلَى   وَجْهٍ تُزَيِّنُهُ النَّضَارَهْ
١٠ ـ وَمَهًـــا تَرِفُّ غُرُوبُهُ   يَشْفِى المُتَيَّمَ ذَا الْحَرَارَهْ
١١ ـ كَذُرَى مُنَوِّرِ أُقْحُوَا   نٍ قَدْ تَسَامَقَ فِى قَرَارَهْ
١٢ ـ وَغَدَائِرٍ سُودٍ عَـــلَى   كَفَلٍ تُزَيِّنُهُ الْوَثَارَهْ
١٣ ـ وَأَرَتْكَ كَفًّا فِى الخِضَا   بِ وَمِعْصَمًا مِلْءَ الجِبَارَهْ
١٤ ـ وَإِذَا تُنَازِعُكَ الْحَـــدِيـ   ثَ ثَنَتْ وَفِى النَّفْسِ ازْوِرَارَهْ

(١ ـــ ٣) ما كنت أى شىء كنت . وما فى موضع نصب خبر كان . دلت المرأة على زوجها اظهرت الجراة عليه فى تفنج . كأنها تخالفه وما بها خلاف . الغرارة التصابى والغفلة وحداثة السن . صفراء العشية لانها تتزين وتطلى جسمها بالزعفران والطيب . العرارة شجر له نور أصفر قدر شبر .

(٤ ـــ ٨) الاريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . جهره راعه بجماله وهيئته . البقيرة ثوب يشق فيلبس بلا أكمام . الأزرار الملحفة وكل ما ستر .

(٩ ـــ ١٢) مغزلة معها غزال ، أى غزالة ترعى ولدها ، فهو أجمل لها واظهر لحنانها ووداعتها . النضارة الجمال . المها البللور . ترف تبرق . غرب كل شىء أوله وحده . المتيم الذاهب العقل . ذرى الشىء أعاليه . منور أخرج النور أو الزهر . الأقحـــوان نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . تسامق علا وارتفع . قرارة الماء مستقرة . الكفل المؤخرة . الوثارة كثرة اللحم والطراوة .

(١٣ ـــ ١٤) الجبارة سوار عريض . ازور عدل وانحرف .

١٣ ــ يزين كفها الخضاب ، ويملأ معصمها السوار .

١٤ ــ إذا نازعتك الحديث انثنت معرضة عنك فى دلال .

١٥ ــ نائية عن هواك ، فما ترجو لحبك المكظوم فى صدرك أن يؤتى الثمار .

١٦ ــ ولقد تعود إلى اللين والمياسرة أحيانًا فتحيي فى نفسك الأَمَل ، ولكنها لاتابث أن ترجع لما تعودَتْ من الشح والإعسار .

١٧ ــ ذهبت بلبك ثم لم تنولك منها منالا ، على طول ما صبرتَ وكتمتَ همك مظهرا الحلم والوقار .

١٨ ــ وما منعها أن تسخو فتثيبك على حبك وقد استطار .

١٩ ــ إلّا أن أمرك كان هينا عليها ، وقد حال من دونها الباب واحتوتها الدار .

٢٠ ــ ورأت الشيب وقد اشتملك فجانبه البشاشة والجمال .

٢١ ــ فاصبر فإنك طالما أفنيت عمرك فى الخسارة .

٢٢ ــ ولقد آن لك أن تفيق مما أنت بسبيله من الصبابة والدعارة .

٢٣ ــ بعد أن استمتعت بالحياة فى شتى ألوانها ، ولبست من نعيم العيش ما تشتهى وتريد.

٢٤ ــ وأَصبت لذات الشباب تَيّاهًا متبخترًا ، ونعمتَ ناره .

٢٥ ــ فشربتَ الراح تُسْقاها فى آنيتها وأكوابها .

٢٦ ــ حتى إذا أخذت منك مأخذها اشتمل عليك الدوار ، وغشيتك النشوة .

وينتهى الشاعر من هذا الحديث الذى يسترجع به بعض ذكريات شبابه وقد أدركته الشيخوخة ليأخذ فيما هو بسبيله من مهاجمة خصمه ، فيبدأُ ذلك ببعض من أغراهم (شيبان بن شهاب) من (بنى فزارة الذبيانى) فأَعانوا (بنى جحدر) على قومه . فيقول :

٢٧ ــ دع عنك كل ذلك واقصد لغيره ، فشيطانى (مِسْحَل) يريد اليوم أن يذيع شرًا منكرًا .

٢٨ ــ يعدو على الأَعداءِ مضيقًا عليهم ، لا يستسلم لقوة ولا يُغْلَب على أمر .

١٥ – مِنْ سِرِّكَ المَكْتُومِ تَنْـ   ـأَى عَنْ هَوَاكَ فَلَا ثَمَارَهْ
١٦ – وَتُثِيبُ أَحْيَانًا فَتطْـ   ـمِعُ ثُمَّ تُدْرِكُهَا الغَرَارَهْ
١٧ – تَبَلَتْكَ ثُمَّتَ لَمْ تُنِلْـ   ـكَ عَلَى التَّجَمُّلِ وَالْوَقَارَهْ
١٨ – وَمَا بِهَا أَنْ لَا تَكُو   نَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى يَسَارَهْ
١٩ – إِلَّا هَوَانَكَ إِذْ رَأَتْ   مِنْ دُونِهَا بَابًا وَدَارَهْ
٢٠ – وَرَأَتْ بِأَنَّ الشَّيْبَ جَا   نَبَهُ البَشَاشَةُ وَالبَشَارَهْ
٢١ – فَاصْبِرْ فَإِنَّكَ طَالَمَا   أَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِى الْخَسَارَهْ
٢٢ – وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تُفِيـ   ـقَ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالدَّعَارَهْ
٢٣ – وَلَقَدْ لَبِسْتُ الْعَيْشَ أَجْـ   ـمَعَ وَارْتَدَيْتُ مِنَ ٱلْإِبَارَهْ
٢٤ – وَأَصَبْتُ لَذَّاتِ الشَّبَا   بِ مُرَفَّلًا وَنَعِمْتُ نَارَهْ
٢٥ – وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أَسْـ   ـقَى مِنْ إِنَاءِ الطَّهْرَجَارَهْ
٢٦ – حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مَآ   خِذَهَا تَغَشَّتْنِى ٱسْتِدَارَهْ
٢٧ – فَاعْمِدْ لِنَعْتِ غَيْرِ هـ   ـذَا مِسْحَلُ يَنْعِى النَّكَارَهْ
٢٧ – يَعْدُو عَلَى الْأَعْدَاءِ قَصْـ   ـرًا وَهْوَ لَا يُعْطِى ٱلْقَسَارَهْ
٢٩ – وَسْمَ الْعُلُوبِ فَإِنَّهُ   أَبْقَى عَلَى الْقَوْمِ ٱسْتِنَارَهْ
٣٠ – .... رَهْ

(١٥ — ١٨) ثمارة من ثمر الشجر (كنصر) أى طلع ثمره . تثيب تعاود . غارت الناقة (بتشديد الراء) غرارا نقص لبنها . تبله الحب أسقمه وأتلفه . تجمل الفقير لم يظهر على نفسه المسكنة والذل . الوقار الرزانة والحلم . اليسارة السهولة والغنى .

(١٩ — ٢١) الدارة الأرض السهلة تحيط بها الجبال ، وكل موضع يدار به شىء فهو دارة . البشارة الجمال .

(٢٢ — ٢٥) أنى لك آن لك . لبس العيش خبره ولازمه ملازمة الثوب للابسه . أبر الرجل (كفرح) صلح حاله . ترفل تتبختر كبرا . الطهرجارة والطهرجالة الفنجانة .

(٢٦ — ٣٠) المسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى . ينعى عليه ذنوبه أى يظهرها ويشهرها . النكر الداهية والفطنة ، وكذلك النكارة . قصره فى بيته قصرا حبسه ، وقصره على الأمر رده اليه . قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره . وسمه أعلمه بالكى . العلب (بفتح فسكون) الأثر والحز . استنارة وضوحا . واستنار عليه ظفر به وغلبه .

٢٩ ـ يترك على القوم آثارًا كحزِّ المكواة ، تبقى ظاهرة لا تزول .

٣٠ ـ . . . .

٣١ ـ إننا لا ينقصنا الشرف ولا تعوزنا القوة ، حين يحتاج غيرنا من الضعفاء المقصّرين إلى المدد والعون .

٣٢ ـ ولا نشبَّه بـ(الخَشْرَمَيْن) و(مالك) و(أبى زُخَارة) .

٣٣ ـ و(بنى بُدَيْد) . أولئك هم أهل اللؤم والذل والهوان .

٣٤ ـ ليسوا بـأكفاءٍ حين توازنهم بـأَخوَىْ (فزارة) الماجدين .

٣٥ ـ (بدرٍ) و(حصن) ، سيدَىْ (قيس عيلان) بما ضَمَّت من قبائل كثيرة وجماعات .

٣٦ ـ ولاهم يقاسون إلى (هرم بن قُطْبة) و(هَرِم بن سِنان) فى بيت الحكومة والفضل .

٣٧ ـ ولا إلى (قيس بن زهير) ولا (الربيع بن زياد) ولا (عُمارة بن زياد) سادة عبس .

٣٨ ـ ولا إلى (خارجة بن سنان) الذى حقن دماءَ قومه ، وتولى عنهم دفع ديات القتلى متكفلا بها (١) .

ثم يتجه الشاعر إلى شَيْبَان بن شِهاب الجَحْدَرِىّ الذى يتهمه بتهييج الشر بين الحيين ، وبإغراء هذا النفر من بنى فَزَارَة ، فيقول :

٣٩ ـ لقد حملتَ هؤلاء القوم على مركب صعب سينتهى بهم إلى الدمار .

٤٠ ـ ولقد علمتَ ما فى الحرب من ضيق ومكاره لا أراكِ تصبر لها .

٤١ ـ وليحبسنك هذا الضيق بأَيدينا فيعصرك عصرًا .

٤٢ ـ ولسوف تعبس لمشهد الرماح حتّى تبدو أسنانك فى فزعك . وما تبدو لضحكٍ أو ابتسام .

---

(١) كل من ذكرهم الشاعر فى الأبيات ٣٥ ـ ٣٨ من رجال عبس وذبيان المشهورين فى حرب داحس والغبراء التى جرت بينهما .

٣١ - لَا نَاقِصِى حَسَبٍ وَلَا　　أَيْدٍ إِذَا مُدَّتْ قِصَارَهْ
٣٢ - . . . . نِى بِالْخَشْرَمَيْـ　　ـنِ وَمَالِكٍ وَأَبِى زُخَارَهْ
٣٣ - وَبَنِى بُدَيْدٍ إِنَّهُمْ　　أَهْلُ اللَّآمَةِ وَالصَّغَارَهْ
٣٤ - لَيْسُوا بِعَدْلٍ حِينَ تَنْـ　　ـسُبُهُمْ إِلَى أَخَوَىْ فَزَارَهْ
٣٥ - بَدْرٍ وَحِصْنٍ سَيِّدَىْ　　قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ الْكُثَارَهْ
٣٦ - وَلَا إِلَى الْهَرِمَيْنِ فِى　　بَيْتِ الْحُكُومَةِ وَالْخِيَارَهْ
٣٧ - وَلَا إِلَى قَيْسِ الْحِفَا　　ظِ. وَلَا الرَّبِيعِ وَلَا عُمَارَهْ
٣٨ - وَلَا كَخَارِجَةَ الَّذِى　　وَلِىَ الْحَمَالَةَ وَالصَّبَارَهْ
٣٩ - وَحَمَلْتَ أَقْوَامًا عَلَى　　حَدْبَاءَ تَجْعَلُهُمْ دَمَارَهْ
٤٠ - وَلَقَدْ عَلِمْتَ لَتَكْرَهَـ　　ـنَّ الْحَرْبَ مِنْ أَصْرٍ وَغَارَهْ
٤١ - وَلَسَوْفَ يَحْبِسُكَ الْمَضِيـ　　ـقُ بِنَا فَتَعْصُرُ اعْتِصَارَهْ
٤٢ - وَلَسَوْفَ تَكْلَحُ لِلْأَسِنَّـ　　ـةِ كَلْحَةً غَيْرَ افْتِرَارَهْ

(٣١ — ٣٥) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الأيد القوة . مدت من مد القوم أى صار لهم مددا وأغاثهم بنفسه . قصارة جمع قصيرة، ويقصد بها الضعاف الذين يحتاجون للعون والمدد من غيرهم . مالك بن بدر الفزارى . الصغارة الهوان والذل. العدل النظير. فزارة من ذبيان ، وأخوا فزارة هما اللذان بينهما فى البيت التالى : حذيفة بن بدر صاحب داحس والغبراء . حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى الذى طلب بدم حذيفة ابيه فى حرب داحس والغبراء ، التى كانت بين عبس وذبيان ، وفزارة كما قلنـــا من ذبيان . وعبس وذبيان أبناء عم ينتهى نسبهم الى غطفان من قيس عيلان . كثره غلبه فى كثرة العدد فهو كثر (بفتح الكاف) وكثير وكثار (بضم الكاف) .

٣٦ — الهرمين هما هرم بن سنان بن حارثة المرى صاحب زهير الشاعر ومضرب المثل فى الجود ، وهرم بن قطبة بن سنان الفزارى أحد حكام قيس ، وهو أحد اللذين حكموا فى منافرة عامر وعلقمة . بيت الحكومة ، الذين يحكمون بين النـــاس فى خصوماتهم ويلجئون اليهم لشرفهم فيرضون حكمهم . خيار الشىء أفضله .

٣٧ — قيس بن زهير من زعماء عبس ، وهو الذى راهن حذيفة بن بدر على فرسيه داحس والغبراء بفرسيه الخطار والحنفاء ، فكان ذلك سبب الحرب بين الحيين . الحفاظ الأنفة والذب عن المحارم . الربيع بن زياد أحد زعماء بنى عبس كان نديما للنعمـان ملك الحيرة . عمارة بن زياد من زعماء عبس .

٣٨ — خارجة بن سنان ، تحمل بعض حمالات الحرب بين عبس وذبيان . الحمالة الغرامة والدية يحملها قوم عن قوم . وكان القتال اذا طال بين الحيين قام أحـد أشراف الحى فيتعهد على نفسه بدفع ديات القتلى من الحى الآخر ، ويدفع ذلك من عنده أو يستعين بنفوذه على جمعه من الأحياء الأخرى . الصبارة الكفالة.

(٣٩ — ٤٢) الحدباء الناقة التى بدت عظامها من الهزال فهى تتعب راكبها . والحدباء السـنة الشديدة ، والأمور الشاقة . الأصر الكسر والحبس . الكلوح ظهور الأسنان عند العبوس . افترّ تبسم وضحك .

٤٣ ـ ولتزهقن روحك حتى تسير فوق لحيتك حين لا سبيل إلى الرجوع .

٤٤ ـ . . . .

٤٥ ـ . . . .

٤٦ ـ وعند ذاك تعلم أنك قد أثرت الشر بما قدمت يداك ، وأطَرْته وقد كان راقدا .

٤٧ ـ وعند ذاك يصدق ما ظننت وما أردت من قطع صلات القرابة . فلن تكون إلا الحرب . لا اجتماع ، ولا زيارة .

٤٨ ـ ولا براءة لبرئ ، ولا إسْجَاحَ ولا انقياد ، ولا حُرْمَةَ ولا جوار .

٤٩ ـ لن يكون بيننا إلا مفاجأة فرس طويل العنق والقوائم ، يستنفد القتالُ العُلَالَةَ الباقية من نشاطة .

٥٠ ـ أو فرسة طويلة ملساء تثب بالفارس يغطى جسمَه ورأسه الدرعُ والْمِغْفَر .

٥١ ـ تنطلق فى الصباح بفرسان كأنهم أسود (الرَّقْمَتَيْن) قد لزمت الغاب والآجام ، فى حمرتها الدكناء .

٥٢ ـ ولقد يعلم (بنوضبيعة) أن الشراسَة بعضُ خُلُقِ الجرىء الشجاع .

٥٣ ـ إنا لنواجه من يواجههم ، ونُثْخِنُ ذا العداوة بالقتل والجراح .

٥٤ ـ وليس قتالنا قرعا بالعصى ، ولا هو قذفا بالحجارة .

٥٥ ـ . . . .

٥٦ ـ ولكنه ضرب بالسيف الأبيض الصارم ، يتموَّج بالخطوط التى تكشف عن أصالته .

٥٧ ـ ماضى الحد بتار ، يشفى النفوس مما تجد من حرارة الحقد والغيظ . ■

٤٣ ـ وَتَسِيرُ نَفْسٌ فَوْقَ لِحْـ   يَتِهَا وَلَيْسَ لَهَا إِحَارَهْ
٤٤ ـ وَتَرَ. . . . . ـارَهْ
٤٥ ـ رَبِذِينَ فِى ٱلْأَفْزَاعِ بَيْـ   ن . . . . ـارَهْ
٤٦ ـ وَهُنَاكَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا   قَدَّمْتَ كَانَ هُوَ ٱلْمُطَارَهْ
٤٧ ـ وَهُنَاكَ يَصْدُقُ ظَنُّكُمْ   أَنْ لَا ٱجْتِمَاعَ وَلَا زِيَارَهْ
٤٨ ـ وَلَا بَرَاءَةَ لِلْبَرِى   ءِ وَلَا عِطَاءَ وَلَا خُفَارَهْ
٤٩ ـ إِلَّا عُلَالَةَ أَوْ بُدَا   هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ ٱلْجُزَارَهْ
٥٠ ـ أَوْ شَطْبَةٍ جَرْدَاءَ تَضْـ   بِرُ بِٱلْمُدَجَّجِ ذِى ٱلْغِفَارَهْ
٥١ ـ تَغْدُو بِأَكْلَفَ مِنْ أُسُو   دِ ٱلرَّقْمَتَيْنِ حَلِيفِ زَارَهْ
٥٢ ـ وَبَنُو ضُبَيْعَةَ يَعْلَمُو   نِ بِوَارِدِ ٱلْخُلُقِ ٱلشَّرَاسَهْ
٥٣ ـ إِنَّا نُوَازِى مَنْ يُوَا   زِيهِمْ وَنَنْكِى ذَا ٱلضَّرَارَهْ
٥٤ ـ لَسْنَا نُقَاتِلُ بِٱلْعِصِـ   ىِّ وَلَا نُرَامِى بِٱلْحِجَارَهْ
٥٥ ـ . . . . .ٱلْبِكَارَهْ
٥٦ ـ . . . . ذِى   شُطَبٍ مِنَ ٱلْبِيضِ ٱلذُّكَارَهْ
٥٧ ـ قَضِمِ ٱلْمَضَارِبِ بَاتِرٍ   يَشْفِى ٱلنُّفُوسَ مِنَ ٱلْحَرَارَهْ

(٤٣ ــ ٤٥) حار يحور رجع ، واحار الشىء رده . ربذين سراع . الافزاع جمع فزع وهو الاغاثة ، تقول فزعناهم اى اغثناهم .

(٤٦ ــ ٤٨) المطارة من اطار الطائر اطارة أى نفره وجعله يطير . العطاء الانقياد من عاطى بيده اذا انقاد . الخفـــارة (بكسر الخاء وضمها) الذمام ، من خفره أى أجاره وحماه وامنه .

(٤٩ ــ ٥١) العلالة البقية من الشىء . البداهة المفاجأة . سابح فرس ينبسط بيديه فى العدو . نهد ضخم القوائم . الجزارة أطراف الجزور وهى اليدان والرجلان والراس ، سميت بذلك لأن الجزار يأخذها فهى جزارته . الشطبة الفرس السبطة اللحم . جرداء ملساء . ضبر الفرس والمقيد جمع قوائمه ووثب . المدجج المغطى بالسلاح . الغفارة رزد من الدرع يلبس تحت القلنسوة يتقنــع بها المتسلح . ج غفارات وغفائر . تغدو تنطلق فى الصباح . اكلف فى لونه حمرة تميل الى السواد . الزارة الأجمـــة . الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة جانب الوادى أو مجتمع مائه .

(٥٢ ــ ٥٥) بنو ضبيعة فرع من بكر وهو الجد الذى يجتمــع فيه الاعشى بشيبان بن شهاب الجحدرى . الوارد الجــرىء والسابق والشجاع . الشراسة مصدر من شرس الرجل أتى منه الشر . وازاه قابله وواجهه . نكى فى العــــدو نكاية أكثر الجراح . الضراوة العداوة .

(٥٦ ــ ٥٧) شطب جمع شطبة (بكسر فسكون) وهى طريقة السيف أو الواحدة من الخطوط التى فى نصله . قضم الشىء (كعلم وضرب) اكله بأطراف أسنانه . المضارب جمع مضرب اسم مكان أى حد السيف .

٥٨ ـ فلنلحقنَّك بمن سلف من (بنى مِنْقَر) و (بنى زُرَارة) .

٥٩ ـ ولنذلَّنكم فتكونون كأَبناءِ هؤلاءِ الذين قتلهم (عمرو بن هند) (يوم القُصَيْبَة) فى (أُوارة) .

٦٠ ـ فجروا على ما أَلفوا من خنوع واستكانة ، ولكل عادات أَمارة .

٦١ ـ وعصارة العود تنبئ عن نوعه ، ولكل عيدان عصارة .

٦٢ ـ إنا لنفرض أَنفسنا على المياه ونَرِدُهَا أَوَّلَ الواردين ، ولا نُسْتَذَلُّ ولا نُطرَد عليها كما تطرد الكلاب .

٦٣ ـ فاعرف قدر نفسك قبل أَن توردها موارد الهلاك ، وانظر كيف ورطتها فى الحرج والضيق .

٦٤ ـ فإِنى زعيم بأَن تعضك الحرب عضة عقورًا .

٦٥ ـ ولقد حلفتُ لتصحبن فى حيرة تَعْمَى عليك فيها السبل جزاءَ بعض ظلمك الذى جنيت .

٦٦ ـ ولتشربن غارتنا فى الصباح كأْسًا من السم مرة العواقب وخيمة الآثار .

٦٧ ـ ولقد علمتم حين يُنْسَب كل حى ذى نعمة ويسار .

٦٨ ـ أَنَّا عريقون فى العز والمجد ، ورثناه ثابتًا ، نحل منه فى أَفضل مراتبه .

٦٩ ـ لنا دونكم العدد الجم الكثير . وما أَرى لكم بعد ذلك عقولا .

٧٠ ـ فلقد كنتم لصوص ليل ، وغدًا تصبحون عُزَّابًا حين تُسبىَ نساؤكم فى الحروب .

٥٨ـ وَتَكُونُ فِي ٱلسَّلَفِ ٱلْمُوَا زِى مِنْقَرًا وَبَنِى زُرَارَهْ
٥٩ـ أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِّلُوا يَوْمَ ٱلْقُصَيْبَةِ مِنْ أُوَارَهْ
٦٠ـ فَجَرَوْا عَلَى مَا عُوِّدُوا وَلِكُلِّ عَادَاتٍ أَمَارَهْ
٦١ـ وَٱلْعُودُ يُعْصَرُ مَاؤُهُ وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَهْ
٦٢ـ وَلَا نُشَبِّهُ بِالْكِلَا بِ عَلَى ٱلْمِيَاهِ مِنَ ٱلْحَرَارَهْ
٦٣ـ فَٱقْدِرْ بِذَرْعِكَ أَنْ تَحِيـ نَ وَكَيْفَ بَوَّأْتَ ٱلْقَدَارَهْ
٦٤ـ فَأَنَا ٱلْكَفِيلُ عَلَيْهِمُ أَنْ سَوْفَ تُعْتَقَرُ ٱعْتِقَارَهْ
٦٥ـ وَلَقَدْ حَلَفْتُ لَتَصْبَحَـ نَّ بِبَعْضِ ظُلْمِكَ فِى مَحَارَهْ
٦٦ـ وَلَتَصْبَحَنَّكَ كَأْسُ سُـ مٍّ فِى عَوَاقِبِهَا مَرَارَهْ
٦٧ـ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ يُنْـ سَبُ كُلُّ حَىٍّ ذِى غَضَارَهْ
٦٨ـ أَنَّا وَرِثْنَا ٱلْعِزَّ وَٱلْـ مَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ ذَا ٱلسَّرَارَهْ
٦٩ـ وَوَرِثْتُ دَهْمًا دُونَكُمْ وَأَرَى حُلُومَكُمُ مُعَارَهْ
٧٠ـ إِذْ أَنْتُمُ بِاللَّيْلِ سُرَّ اقٌ وَصُبْحَ غَدٍ صَرَارَهْ

(٥٨ — ٦٠) منقر بيت من سعد بن زيد مناة بن تميم منهم قيس بن عاصم المنقرى . زرارة بن عدس بن زيد بن عبدالله بن دارم ، وكان المنذر بن ماء السماء اودع عنده اصغر ابنائه ، فعدا عليه زوج ابنته فقتله ، فكان ذلك سبب يوم أوارة الثانى ، اذ سار عمرو ابن هند ـ بعد وفاة ابيه المنذر ـ الى بنى تميم ، فاتخذ لهم اخدودا اضرم فيه النار واحرقهم فيه . وأوارة جبل لبنى تميم . الامارة العلامة .

(٦١ — ٦٤) اقدر بذرعك اى قس بذراعك ، يطلب اليه أن يقدر الأمور تقديرا صحيحا فيعرف أين هو منهم . تحين تهلك . بوا المكان وتبواه حله وأقام به . القدارة مصدر قدر عليه (بفتحتين) اى ضيق وامسك . عقره جرحه ونحره . وعقر الفرس والابل قطع قوائمها بالسيف .

(٦٥ — ٦٧) محارة مصدر ميمى من حار يحار اذا نظر الى الشىء فغشى عليه او ضل ولم يهتد لطريقه . صبح القوم (كضرب) اتاهم واغار عليهم صباحا . وصبحهم ناولهم الصبوح (بفتح الصاد) وهى خمر الصباح . الغضارة النعمة والسعة والخصب .

(٦٨ — ٧٠) أثل ماله أصله وعظمه وثبته ، والمؤثل الثابت . السرارة خالص النسب وأفضله . وسرار الوادى (بفتح السين) بطنه وأفضل مواضعه . الدهم العدد الكثير . الحلم الأناة والعقل . صرارة وصرار (بكسر الصاد) لم يتزوج ، للواحد والجمع . يقصد أن نساءهم أخذن سبايا فى الحرب .

— ٢١ —

اياس بن قبيصة الطائى يمنى من (طىء) وامه ربعية من (شيبان بن ثعلبة) ، وهى أمامة بنت مسعود (١) ، اخت هانىء بن مسعود الذى اودع عنده النعمان أسلحته قبل أن يقدم على كسرى . وكان اياس عامل كسرى على (عين التمر) وما والاها الى (الحيرة) . وقد اطعمه كسرى ابرويز ثلاثين قرية على شاطىء الفرات ، واستعمله على الحيرة ، وما كان عليه النعمان بن المنذر ، بعد قتله (٢) . وكان المنذر قد أوصاه ببنيه قبل وفاته (٣) ، وملكه على الحيرة الى ان يرى كسرى رأيه . فمكث مملكا عليها اشهرا ، حتى اختار كسرى النعمان بن المنذر ، فلما قتل النعمن جعل ملكه لاياس . وقد ظل اياس على الحيرة من بعد النعمان اربع عشرة سنة وثمانية اشهر . ولما غزا كسرى بنى بكر بعد مقتـــل النعمان فى (ذى قار) كان اياس أحد قواده . ولما قدم عليها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ كان أحد نقباء الحيرة الخمسة الذين أبرموا معـه الصلح على تسعين ومائة الف درهم (٤) (أو ستين الف) (٥) ، فكانت اول جزية حملت من أرض المشرق ، وأول مال تقدم به من المشرق على أبى بكر . وذكر ابو يوسف فى كتاب الخراج ان اياسا ظل واليا على الحيرة حتى قدم خالد .

وقد كان اياس مترفا فيما يصور لنا التاريخ والقصص . فحسان بن ثابت يحدثنا عن نفسه فى الجاهلية ، ويصف مجلسا لجبلة بن الايهم كانت فيه عشر قيان ، خمس يغنين بالرومية على برابط ، وخمس يغنين غناء اهل الحيرة . ثم يقول ان اياس بن قبيصة كان قد أهداهن اليه (٦) .

وكان ايضا ذا جاه ومكانة يعتد بها . فهو يدخل على النعمان محتدا ينتصر لحاتم الطائى . فى بعض خلاف قام بينه وبين بيت آخر من بيوت طىء ، كانت تصله بالنعمان صلة المصاهرة . فينصفه النعمان (٧) .

وقد روى للأعشى فى مدح اياس هذا خمس قصائد وهى : (٢١) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٥٥) ، (٧٩) .

ونظام هذه القصيدة هو النظام المألوف : غزل وذكريات للشباب من خمر ونساء ، ثم وصف للصحراء والناقة فى رحلتها الطويلة الشاقة ينتهى به المدح .

وهو لا يذكر اسم صاحبته . ولكنه يشير اليها بـ (تيا) كما يفعل فى كثير من غزله . يقول :

ألا قل لـ (تَيَّاك) فيم تجمع حوائجها وأحمالها ؟ أَوقد اعتزمت الرحيل فهى تشد الرحال ؟

٢ ــ أم أنها تفعل ذلك عن تيه ودلال ؟ فمن حق فتاة مثلها على شيخ مثلى الإعزاز والإدلال .

٣ ــ فقد مضى الشباب ، ومضى معه تطلاب الغانيات .

٤ ــ وكيف لك أن تعود ذا لِمَّة وقد ذهب شعرك. وكيف لك أمثالها من البيض الحسان!

٥ ــ إذا قامت راعتك بقوام مديد كأنه جريدة النخل ، وإذا قعدت برز ردفها كأنه كثيب الرمال ، رقيقة ناعمة العيش والبال .

٦ ــ إذا أَدبرت خلتها كثيباً مركوما ، وإن أَقبلت رأَيت ظبيا رشيقًا .

٧ ــ حيثما حللت ، وفى كل منزلة بت ، يؤرق خيالها الفتان عينيك .

٨ ــ إنها همى وشغلى الشاغل ، فليت دارها تقرب وتواتى! ولكنها تحل بعيداً نائية .

٩ ــ يا للشباب الذاهب! رب خمر صِرْفٍ كأَنها حدق العيون فى صفائها ، تسرع نشوتها وفترتها إلى الشاربين

---

(١) الأغانى ٢٠ : ٢٢ (٢) الأغانى ٢٠ : ١٢٢ ، النقائض ١٢٩ (٣) الأغانى ٢ : ١٠٦ .

(٤) الطبرى ١ : ٢٠٦١٤ : ٦٥٧ (٥) الخراج بى يوسف ١٤٢ ــ ١٤٥ (٦) الأغانى ١٦ : ١٤ (٧) الأغانى ١٦ : ٩٦ .

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِيَّ :

١ ـ أَلَا قُلْ لِتَيَّاكَ مَا بَالُهَا ‌ ‌ أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أَحْمَالُهَا (متقارب)

٢ ـ أَمْ لِلدَّلَالِ فَإِنَّ ٱلْفَتَا ‌ ‌ ةَ حَقٌّ عَلَى الشَّيْخِ إِدْلَالُهَا

٣ ـ فَإِنْ يَكُ هٰذَا الصِّبَى قَدْ مَضَى ‌ ‌ وَتَطْلَابُ تَيَّا وَتَسْآلُهَا

٤ ـ فَأَنَّى تَحَوَّلُ ذَا لِمَّةٍ ‌ ‌ وَأَنَّى لِنَفْسِكَ أَمْثَالُهَا

٥ ـ عَسِيبُ ٱلْقِيَامِ كَثِيبُ ٱلْقُعُو ‌ ‌ دِ وَهْنَانَةٌ نَاعِمٌ بَالُهَا

٦ ـ إِذَا أَدْبَرَتْ خِلْتَهَا دِعْصَةً ‌ ‌ وَتُقْبِلُ كَالظَّبْيِ تِمْثَالُهَا

٧ ـ وَفِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ بِتَّهَا ‌ ‌ يُؤَرِّقُ عَيْنَيْكَ أَهْوَالُهَا

٨ ـ هِيَ ٱلْهَمُّ لَوْ سَاعَفَتْ دَارُهَا ‌ ‌ وَلٰكِنْ نَأَى عَنْكَ تَحْلَالُهَا

٩ ـ وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ ٱلْفُصُوصِ ‌ ‌ سَرِيعٍ إِلَى ٱلشَّرْبِ إِكْسَالُهَا

١٠ ـ تُرِيكَ ٱلْقَذَى وَهْيَ مِن دُونِهِ ‌ ‌ إِذَا مَا تُصَفَّقُ جِرْيَالُهَا

١١ ـ شَرِبْتُ إِذَا الرَّاحُ بَعْدَ الْأَصِيـ ‌ ‌ ـلِ طَابَتْ وَرُفِّعَ أَطْلَالُهَا

١٢ ـ وَأَبْيَضَ كَٱلنَّجْمِ آخَيْتُهُ ‌ ‌ وَبَيْدَاءَ مُطَّرِدٍ آلُهَا

١٣ ـ قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا ‌ ‌ وَنُطِّقَ بِالْهَوْلِ أَغْفَالُهَا

(١ — ٣) تيا تصغير تى اسم اشارة للمفرد المؤنث . البين الفراق . حدج الأحمال شدها ووسقها ، وحدج البعير شد عليه الحدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

(٤ — ٦) العسيب الجريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . الكثيب القطعة المتراكمة من الرمل . الوهنانة من النساء التى فيها فتور وأناة ، أو الكسلى عن العمل تنعما . الدعصة كثيب صغير . تمثالها صورتها وشخصها .

(٧ — ٩) الأهوال جمع هول وهو مصدر من هالت المراة بحسنها اذا تزينت بزينة اللباس والحلى ، فهى تهول بحسنها من رآها . الصهباء الخمر . صرف لم تمزج بالماء . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين .

(١٠ — ١٣) القذى ما يقع فى العين والشراب من غبار ونحوه . صفق الشراب حوله من اناء الى اناء ليصفو . الجريال صبغ أحمر . الراح الخمر . الأصيل وقت غروب الشمس . رفعه قدمه ، ورفعه كذلك وضعه ضد . الطلة (بالتشديد والفتح) الخمر اللذيذة ، بلها الطل وهو الندى . اطرد الأمر تبع بعضه بعضا واستقام . بلها الطل وهو الندى . اطرد الأمر تبع بعضه بعضا استقام . خب طال وارتفع . الريعان السراب . الأغفال جمع غفل (بضم فسكون) وهى الأرض التى لا علم بها .

٢٨ ـ فهو من جواره فى حصن حصين ، وكأن بيته فى صخرة ممتنعة تُطِيف حولها الأَوعال .

٢٩ ـ وكم من كتيبة كاملة الآلات من الأَقواس والدروع تمضى فى القوم سريعة الإيغال .

٣٠ ـ سموت إليها بكتيبة كثيفة مَوَّارة ، فغادرت أَبطالها مجندلين فيما ثار من غبار القتال .

٣١ ـ ولقد تحل بقومه النازلة المستغلقة التى يُعْجِز ذوى الرأْى فى حلها الاحتيال .

٣٢ ـ فلا يزال يعالجها حتى يجد لهم منها مخرجا ، ويمضى فى إتمامها إلى غاية الكمال .

٣٣ ـ إذا دعوته فى الليلة المدلهمة الخطب ، التى تطول فيها الهموم وتعظم الأَهوال .

٣٤ ـ وجدت حاميًا للمحارم حمالا لأَعبائها ، يحشد على حمايتها أَقصى الجهد والمال .

٣٥ ـ وإذا احتدمت الحرب وتوقدت نيرانها وجدت بطلا يبْلِى أَحسن البلاء فى القتال .

٣٦ ـ وإذا نزلت به النازلة صبر لها غير مبال ، وإذا وهب أَجزل النوال .

٣٧ ـ يقود الخيل فى القتال حتى يطول كر القائمين عليها وإيغالهم فى الغزو والترحال .

٣٨ ـ يسيرون الليل كله وقد غارت أَعين الإبل وتضعضعت قواها وجفت ضروعها من الأَلبان .

٣٩ ـ وتتعالى الأَصوات مختلطة بزجر الخيل بين مهيأَة عليها أَرسانها أَو مطلقة لا قلائد عليها ولا أَرسان .

٤٠ ـ يكف القائمون على تدبير الجيش له صفوفه ويسوونها حتى إذا حان وقت النزال .

٤١ ـ انطلقت جماعاته تتدفق تدفُّقَ دلاء الماء قد انطلقت من محبسها ، فتكتسح من حان حَيْنُه وكتب عليه النكال .

٤٢ ـ ويعود بجيشه الظافر آخر النهار يسوق الجمال والأسلاب والأنفال

٤٣ ـ إلى بيت كريم بَذَّال ، يعتريه ما تعود من الجود ، حين يغلب على النفس الشح والإعجاب بالمال .

٤٤ ـ وليس كمن ختم البخل على عطائه ومعروفه بالخواتم والأقفال .

٤٥ ـ على هذا يعيش . وما ضره لومُ الجهال وما يفترون من أقوال .

٤٦ ـ يعم بعطائه عشيرته ، ويغفر زلة سفيههم إذا استطال .

٤٧ ـ ولقد شُدَّتْ حبالُ بيتك من (سِنْبِس) إلى ذروة العز والمجد والكمال .

٢٨ - كَأَنَّ الشُّمُوسَ بِهَا بَيْتَهُ ‍ ‍ يُطِيفُ حَوَالَيْهِ أَوْعَالُهَا
٢٩ - وَكَامِلَةِ الرِّجْلِ وَالدَّارِعِينْ ‍ ‍ سَرِيعٍ إِلَى ٱلْقَوْمِ إِيغالُهَا
٣٠ - سَمَوْتَ إِلَيْهَا بِرَجْرَاجَةٍ ‍ ‍ فَغُودِرَ فِى النَّقْعِ أَبْطَالُهَا
٣١ - وَمَعْقُودَةِ ٱلْعُقْمِ مِنْ قَوْمِهِ ‍ ‍ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مُحْتَالُهَا
٣٢ - تَمَمْتَ عَلَيْهَا فَأَتْمَمْتَهَا ‍ ‍ وَتَمَّ بِأَمْرِكَ إِكْمَالُهَا
٣٣ - وَإِنَّ إِيَاسًا مَتَى تَدْعُهُ ‍ ‍ إِذَا لَيْلَةٌ طَالَ بَلْبَالُهَا
٣٤ - أَخٌ لِلْحَفِيظَةِ حَمَّالُهَا ‍ ‍ حَشُودٌ عَلَيْهَا وَفَعَّالُهَا
٣٥ - وَفِى ٱلْحَرْبِ مِنْهُ بَلَاءٌ إِذَا ‍ ‍ عَوَانٌ تَوَقَّدَ أَجْذَالُهَا
٣٦ - وَصَبْرٌ عَلَى الدَّهْرِ فِى رُزْئِهِ ‍ ‍ وَإِعْطَاءُ كَفٍّ وَإِجْزَالُهَا
٣٧ - وَتَقْوَادُهُ ٱلْخَيْلَ حَتَّى يَطُو ‍ ‍ لَ كَرُّ الرُّوَاةِ وَإِيغَالُهَا
٣٨ - إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً وَالرِّكَا ‍ ‍ بُ خُوصٌ تَخَضْخَضَ أَشْوَالُهَا
٣٩ - وَتُسْمَعُ فِيهَا هَبِى وَاقْدِمِى ‍ ‍ وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالُهَا
٤٠ - وَنَهْنَهَ مِنْهُ لَهُ ٱلْوَازِعُو ‍ ‍ نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا
٤١ - أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ ٱلْقَرَى ‍ ‍ فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

(٢٨ — ٣١) الشموس الهضبة الصعبة المرتقى.رجل القوس ما عطف من طرفيها. ورجل السهم حرفاه ، والرجل كذلك القطعة العظيمة من الجراد . الدارعين جمع دراع ، ورجل دارع عليه درع . أوغل فى البلاد ايغالا ذهب وبالغ وابعد . سموت اليها الى هذه الكتيبة الضخمة وهى كتيبة الأعداء . كتيبة رجراجة من الرجرجة وهى الاضطراب والاهتزاز . النقع غبار المعركة . حرب عقيم ويوم عقيم وعقام إى شديد . معقودة العقم أى خطة شديدة صارت عقيما لا يهتدى لها . والعقيم فى الأصل هى التى لا تلد .

(٣٢ — ٣٥) تم على الأمر لزمه . اتممتها أى أصلحتها . البلبال الحزن والقلق وما يشغل البال . الحفيظة الغضب فيما يجب أن يحفظ والذب عن المحارم والمنع لها عند الحرب . الحشود من لا يدع عند نفسه شيئا من الجهد والمال والنصرة والاعانة . العوان من الحروب التى نوتل فيها مرة بعد مرة ، واصله الناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى . أجذال جمع جذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر .

(٣٦ — ٣٨) الاجزال الاكثار . الراوى من يقوم على الخيل والجمع رواة . الايغال مصدر أوغل فى السير أى ابعد . ادلجوا ساروا فى الليل . الركاب الأبل والواحدة منها راحلة (من غير لفظها) . خوص جمع أخوص ، والفعل خوص (كطرب) أى غارت عينه . الخضخضة تحريك الماء ونحوه . الأشوال جمع شائلة ، وهى ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة اشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .

(٣٩ — ٤١) هبى واقدمى زجر للخيل تحث بها على التقدم . المرسون من الخيل الذى له رسن . والأعطال هى التى لا قلائد عليها ولا أرسان لها . الذنوب الدلو فيها ماء . القرى كل ما حبس الماء كالحوض وقرى الماء فى الحوض جمعه . ألوى به ذهب به . حان هلك ودنت منيته .

نجران احد مراكز المسيحية الثلاثة فى الجاهلية . وكان يلى أمرها بنو الحارث بن كعب ، وهم قبيلة يمنية من مذحج . يقول ابن فضل الله العمرى « وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى يتباررون فى البيع وزيها وحسن بنائها ، آل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران ، فتكون دياراتهم فى المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغدران الشامخة البناء ، ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة ، وستورها الديباج ، ويجعلون حيطانها الفسافس ، وفى سقوفها الذهب » (١) وتروى كتب التاريخ أن النصرانية دخلت نجران على يد راهب اسمه (فيمون) فى قصة طويلة ذكرها صاحب السيرة (٢) . وهم أصحاب الأخدود الذين احرقهم ذو نواس حين اراد أن يهودهم فأبوا (٣) .

وقد اختلفوا فى حقيقة (كعبة نجران) التى أشار اليها الأعشى فى هذه القصيدة . فقال بعضهم انها قبة من جلد ، وقال آخرون انها غرفة ، وجعلها بعضهم بيعة ، وجعلها البعض الآخر ديرا كبيرا . اما ابن الكلبى فقد ذهب الى انها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لأولئك القوم (٤) واما صاحب الأغانى فقد روى فى أمرها روايتين ، تزعم احداهما أنها كانت بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة لها وسموها كعبة نجران . وتزعم الرواية الأخرى أنها كانت قبة من أدم سموها الكعبة ، اذا نزل بها مستجير اجير ، أو خائف آمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفد أعطى ما يريد (٥) . وتبعه فى نقل الروايتين ياقوت فى معجم البلدان ، واضاف الى الرواية الثانية أنها كانت قبة ضخمة من ثلاثمائة جلد ، وكانت على نهر بنجران ، وكان صاحبها ينفق عليها عشرة آلاف دينار كل عام (٦) . أما ابن فضل الله العمرى فقد هول من امرها فسماها (دير نجران) وروى أن بناءها أعجب بناء واحسنه على نحو عمارة غمدان (٧) .

وقد ذكر ياقوت فى معجم البلدان أربعة مواضع بهذا الاسم : نجران اليمن التى نحن بصددها وهى بين عدن وحضرموت على القرب من صنعاء، ونجران العراق على يومين من الكوفة بينها وبين واسط . واليها انتقل اهل نجران اليمن حين أجلاهم عمر ، ونجران البحرين ، ونجران الشام وكانت فى موضع بحوران . وقال فى وصف الأخيرة انها بيعة عظيمة عامرة حسنة ، مبنية على عمد الرخام ، منمقة بالفسيفساء .

ويبدو أن هذا التعدد والتشابه فى الأسماء كان داعية الى الخلط ، ولذلك فنحن نرجح أن ما ذهب اليه ابن فضل الله العمرى كان نتيجة لاختلاط امر نجران اليمن بنجران الشام وتشابههما عليه ، أو اختلاط امر كعبة نجران هذه بالقليس التى بناها أبرهة فى صنعاء بالقرب من نجران ، وانفق عليها أموالا طائلة (٨) . ويؤيد ذلك أن المراجع القديمة كالأصنام والسيرة والأغانى لم تذهب الى هذا التهويل من امرها . ثم انها لم تذكر فى شعر قديم . ولم يرو فيها غير هذه الأبيات للأعشى . وقد قال ابن الكلبى بعد أن ذكر ما يروى من أنها لم تكن كعبة عبادة وانما كانت غرفة لأولئك القوم « وما أشبه ذلك عندى بأن يكون كذلك ، لانى لم اسمع بنى الحرث تسموا بها فى شعر . »

وقدم وفد بنى الحارث بن كعب فيهم يزيد بن عبد المدان ، وعبد المسيح ، وقيس بن الحصين ، (الذين ذكرهم الأعشى فى القصيدة) سنة ١٠ هـ ، فأسلموا فيما يروى الطبرى (٩) ، وامتنعوا عن الاسلام فيما يروى صاحب السيرة (١٠) ، بعد نقاش طويل فى أمر المسيح وحقيقته ، نزل فيه صدر من سورة آل عمران ، حتى دعاهم الرسول الى المباهلة فأبوا . فصالحهم على ألفى حلة تؤدى فى شهر صفر والف تؤدى فى رجب ثمن كل حلة منها أوقية (١١) .

وفى ديوان الأعشى — عدا هذه القصيدة — أربعة أبيات فى مدح بنى الحرث بن كعب هى القطعة (٤٢) واشارة لهم فى آخر القصيدة (٣٢) . وفى أبيات القصيدة تقديم وتأخير . وهى مروية فى كتب الأدب بروايات يختلف فيها الترتيب باختلافها . وربما كان من الراجح ان يجىء البيت (٢٦) بعد البيت (١٦) مباشرة ، فمن الطبيعى أن ينتقل الشاعر من حديث الرحلة الى الممدوح . ومن الراجح كذلك أن تكون الأبيات (١٧ — ٢٤) بعد البيت (٩) .

والأعشى لا يصور فى صدر القصيدة امراة من الحرائر . ولكنه يتحدث عن احدى هذه الطبقة من الجوارى اللائى يحترفن الفجور . وذلك واضح من الأبيات (٤ — ٩) . وقد كان الاماء فى الجاهلية يسا عين (أى يزين) (١٢) . يدل على ذلك قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا — النور ٣٣) أى لا تكرهوا اماءكم على الزنا لتأخذوا من أجورهن على ذلك . انزلت فى عبدالله بن أبى . كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (تفسير الجلالين) . ويدل عليه أيضا قوله تعالى (الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة . والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك . وحرم ذلك على المؤمنين — النور٣) وقد نزلت حين هم بعض فقراء المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات ، لينفقن عليهم . ويدل عليه كذلك ما رواه المسعودى فى قصة استلحاق زياد اذ يقول « وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف، تؤدى الضريبة الى الحارث ابن كلدة . وكانت تنزل بالموضع الذى ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر ، فى محلة يقال لها حارة البغايا (١٣) » .

يقول الأعشى :

١ — ألم تنه نفسك عن التصابى والمجون ؟ بلى ، فقد عاودها بعض شوقها القديم .

٢ — لجارتنا ، حين قالت وقد رأت شعر لمتى : لك الويل ! من أين لك هذا الشيب الذميم ؟

٣ — فإن تعهدينى ولى لمة سوداء ، فقد ذهبت بها الحوادث والأرزاء .

---

(١) مسالك الابصار (٢) السيرة ١ : ٣٢ — ٣٤ (٣) السيرة ١ : ٣٧ .
(٤) الأصنام ٤٥ (٥) الاغانى ١١ : ٣٨ . (٦) معجم البلدان : « نجران » .
(٧) مسالك الأبصار ٢٥٩ (٨) أخبار مكة ٨٨ — ٩٠ ، معجم البلدان : « القليس » .
(٩) الطبرى ٢ : ٣٨٦ (١٠) السيرة ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٣ (١١) السيرة ، فتوح البلدان ٧٥ — ٧٩ ، الخراج لأبى يوسف ٧١ — ٧٥
(١٢) أساس البلاغة : مادة «سعى» (١٣) مروج الذهب ٢ : ٥٦ ، الفخرى ٨٠ .

٤٢ـ فَآبَ لَهُ أُصُلًا جَامِلٌ وَأَسْلَابُ قَتْلَى وَأَنْفَالُهَا
٤٣ـ إِلَى بَيْتِ مَنْ يَعْتَرِيهِ ٱلنَّدَى إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَالُهَا
٤٤ـ وَلَيْسَ كَمَنْ دُونَ مَاعُونِهِ خَوَاتِمُ بُخْلٍ وَأَقْفَالُهَا
٤٥ـ فَعَاشَ بِذَلِكَ مَا ضَرَّهُ صُبَاةُ ٱلْحُلُومِ وَأَقْوَالُهَا
٤٦ـ يَنُولُ ٱلْعَشِيرَةَ مَا عِنْدَهُ وَيَغْفِرُ مَا قَالَ جُهَّالُهَا
٤٧ـ وَبَيْتُكَ مِنْ سِنْبِسٍ فِي الذُّرَى إِلَى العِزِّ وَٱلْمَجْدِ أَحْبَالُهَا

(٤٢ — ٤٤) اصل جمع اصيل وهو وقت غروب الشمس . جامل جمع جمل. الاسلاب والانفال الغنائم . اعتراه ألم به وعرض له . الندى الكرم والسخاء . الماعون فى الجاهلية العطاء والمعروف ؛ وفى الاسلام الطاعة والزكاة .

(٤٥ — ٤٧) صبا الرجل مال الى الصبوة وجهلة الفتوة . وصبا للشىء مال . ناله العطية ونال له العطية وناله بالعطية كلها سواء . الجهال من الجهل وهى السفه والطيش . سنبس فرع من قبيلة طىء منه الممدوح . الذرى جمع ذروة وهى القمة .

١٥ ـ تَرَاهُنَّ مِنْ بَعْدِ إِسْآدِهِنْ   وَسَيْرِ النهَارِ وَتَدْآبِهَا
١٦ ـ طِوَالَ الْأَخَادِعِ خُوصَ الْعُيُونْ   خِمَاصًا مَوَاضِعُ أَحْقَابِهَا
١٧ ـ وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ   وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
١٨ ـ لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّى امْرُؤٌ   أَتَيْتُ المَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا
١٩ ـ كُمَيْتٍ يُرَى دُونَ قَعْرِ ٱلْإِنَى   كَمِثْلِ قَذَى ٱلْعَيْنِ يُقْذَى بِهَا
٢٠ ـ وَشَاهِدُنَا الوَرْدُ وَالْيَاسَمِينُ   وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا
٢١ ـ وَمِزْهَرُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ   فَأَىُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا
٢٢ ـ تَرَى الصَّنْجَ يَبْكِى لَهُ شَجْوَهُ   مَخَافَةَ أَنْ سَوْفَ يُدْعَى بِهَا
٢٣ ـ مَضَى لِى ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلِدِى   كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَّابِهَا
٢٤ ـ فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَابِ   وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا
٢٥ ـ أُحِبُّ أَثَافِتَ وَقْتَ ٱلْقِطَافْ   وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا
٢٦ ـ وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْكِ   حَتَّى تُنَاخِى بِأَبْوَابِهَا
٢٧ ـ نَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ ٱلْمَسِيحْ   وَقَيْسًا هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا
٢٨ ـ إِذَا ٱلْحَبَرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ   وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا
٢٩ ـ لَهُمْ مَشْرَبَاتٌ لَهَا بَهْجَةٌ   تَرُوقُ ٱلْعُيُونَ بِتَعْجَابِهَا

(١٥ — ١٨) الاسآد سير الليل كله . الاخادع جمع أخدع وهو عرق في العنق ، وهما أخدعان ، عرقان في صفحتى العنق . خوص غائرة العينين . الخمص الجوع ويقصد به الضمور . الاحقاب جمع حقب (بفتحتين) وهو شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى وتشده الى وسطها ، ويقصد به موضع الحزام من بطن الناقة .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب للسواد . الانى الاناء قصر المد للتخفيف . القذى مايسقط فى العين او فى كأس الخمر من الغبار ونحوه . المسمعات الجوارى التى تغنى . قصاب جمع قاصب وهو الزامر فى القصب ، وهو غاب أجوف له ثقوب يلعب عليها الزامر بأصابعه . المزهر العود ويسمى البربط أيضا (بفتح الباءين) ، والمزهر كذلك قد يطلق على الدف الكبير ينقر عليه وهو المشهور . أزرى به وازرى عليه عابه .

(٢٢ — ٢٦) الصنج دوائر صغار من النحاس تعلق بالأصابع وتنقر عليها الراقصة . الشجو الهم والحزن والشوط من البكاء . دعا فلانا بمكروه أنزله به . الخندريس الخمر القديمة ، قيل هى لفظة عربية وقيل انها يونانية معربة . أثافت قرية باليمامة كثيرة الكروم يقال ان الأعشى كان يعصر فيها الخمر فى معصر له .

(٢٧ — ٢٩) الحبرات جمع حبرة (بثلاث فتحات) وهى ضرب من برود اليمن . الهداب الخيوط التى تبقى فى طرف الثوب ، او هو طرف الثوب . المشربة أرض لينة دائمة النبات . وهى كذلك الغرفة لأنهم يشربون فيها ، او هى العلبة والصفة والمشرعة .

٢٧ ـ تزور «يزيد» و «عبد المسيح» و «قيسا» خير ساداتها .

٢٨ ـ إذا تموجت البرود فوق قاماتهم المديدة ، يجرّون هداها تياهين .

٢٩ ـ لهم غرفات تروق بهجتُها وعجيب صنعتها العيون .

يتجه الأعشى بهذه القصيدة الى ابناء عمومته (بنى جحدر) ، وهى تتصل بالقصيدتين السابقتين (١٠) ، (٢٠) اللتين هجا فيهما شيبان ابن شهاب الجحدرى . وللأعشى بعد هذا قصيدة أخرى فى بنى جحدر ، هى القصيدة (٥٣) ، وكل هذه القصائد تصور ماكان بين الحيين القريبين من علائق لايسودها الوئام . والقصيدة خير مايمثل هذا اللون من الشعر القبلى الذى يتصل بأبناء العمومة الاقربين ، فيتراوح بين العنف واللين ، ويجمع بين الغضب والحنين ، والاباء والوفاء .

يقول الأَعشى :

١ ـ عفت أَطلال «ميثاء» ، وقد تعاورتها ريح الصبَّا بما تحمل من أَمطار .

٢ ـ فوقفت عند ساحتها بما بقى فيها من رماد أَبكى ، فلا يجيبنى داثر الآثار .

٣ ـ أبكى على «ميثاء» إذ كان أَهلها وأَهلى متقابلى الديار ، وإذيسعى رسولها بيننا بالأَخبار .

٤ ـ وإذ أَظن الحب المستقر فى قلبى دائماً من الدهر ، لا يبليه الليل والنهار .

وينتقل الأَعشى من هذه المقدمة القصيرة ، التى تلائم ما هو مقبل عليه ، من تصوير الأَسى على انقطاع مابين أَبناءِ العمومة من ودلم يكن ينبغى أَن ينقطع ، ليقول :

٥ ـ صرفنى عنك يا «مَيْثَاء» ـ لو تعلمين ـ شئون متدافعة ، لم ينزل بسواى خَطْبُها الجليل .

٦ ـ مصارع إخوان ، وفخر أَبناء عمومة علينا ، كأَنهم من قبيل ونحن من قبيل .

ويمضى الشاعر مناقشا فى رفق ولين فيقول :

٧ ـ تعالوا يا قوم فإن الحق واضح كالفرس السوداءِ المعلمة الأَرجل ببياض التحجيل ، فهى متميزة لا تخفى بين الخيول .

٨ ـ تعالوا نتعاط الحق بيننا ، حتى تعرفوا على أَينا يقع اللوم ، إذا قيس الإِحسانُ بالإِحسان والجميلُ بالجميل .

ثم لا يلبث أَن تدركه الشدة ويثور ، فيقول :

٩ ـ فإن لم تقبلوا فشأَنكم وما تريدون . ولتمدكم «الهُجَيْم» و «مازن» ، فـ «شَيْبَان» معنا برجالها ، وهم كثير غير قليل .

١٠ ـ أُولئك حكام العشيرة كلها وساداتها ، وقوامها عند كل خطب ثقيل .

١١ ـ إن دعوتهم يوما لنصرى ، أَتتنى منهم الكتائب والخيول ، مأْمونة الخذول .

٤ ــ ولكم سعيت من قبلك ألتمس الفجور فى القطيع من البقر ، بعدأن نام السُّمَّار والرقباء .
٥ ــ أجاذبها إذ خلوت بها جلبابها الذى لاثياب تحته ، وتنازعنى إياه فى إباء .
٦ ــ ولما التقينا على الباب ، وبسطت سبيل الوصل وبينَتْ ما تطلب من جزاء .
٧ ــ بذلت لها ما أرادت ، فسخت بما اشتهيت منها لألهو كيف أشاء .
٨ ــ فطورا هى من تحتى ، وطورا أنا من تحتها ولها الإعلاء .
٩ ــ على كل حال لها حال ، ولك منها كل ما خطر من أساليب اللهو ببال .
١٧ ــ ولكم شربت الكأس على اللذات ، ثم أتبعتها بأُخرى أتداوى منها بها .
١٨ ــ لكى يعلم الناس أنى خبير بضروب العيش ، آتى اللذات من أبوابها .
١٩ ــ خمر حمراءُ ، تشف لصفائها عما تحت قعر الكأس من مثل قذى العيون الضئيل .
٢٠ ــ ومن حولنا الورد والياسمين ، والزامرات بالمزامير .
٢١ ــ والناقرات على الدُّف لا يفترن ولا ينثنين ، فبأى هذه اللذات الثلاث يعيبنى العائبون .
٢٢ ــ وترى الصنج يبكى مستجيبا للدف بكاءَ الحزين ، مخافة أن يلومه اللائمون .
٢٣ ــ أبليت من عمرى ثمانين عاما ، وكذلك يزعم الحاسبون .
٢٤ ــ فأصبحت وقد ودعت اللهو والخمر لأصحابها من الشباب .
٢٥ ــ أحب (أثافت) وقت القطاف ، وحين تعصر الأعناب .
١٠ ــ فكيف لك بدهر قد مضى وفات ، وكيف لنفسك بما كان يروعها من اللذات العِذاب .
١١ ــ أيام كان شعر لمتى كجناح الغراب ، ترنو له الحسان فى إعجاب .
١٢ ــ وأيام كنت أرمى بناقتى فى الصحراءِ المنبسطة الواسعة ، احملها على مخاطرها ومتاعبها فتمضى مسرعة لا تهاب.
١٣ ــ ويسمع الراكب صوت أنيابها حين يحتك بعضها ببعض فى غليان نشاطها ، وهى بعد صغيرة لم تتجاوز السادسة .
١٤ ــ أفنيت سنام ناقتى من إدمان الرحلة ، وشُدَّت فوق ظهرها السيور والحبال .
١٥ ــ وترى النوق وقد أدمنَّ السير طول الليل ثم وصلنه بالنهار دائبات .
١٦ ــ طوالَ الأعناق ، غائرات العيون ، ناحلات البطون فى موضع الحزام .
٢٦ ــ ليس لها دون « كعبة نجران » من مرام ، حتى تناخ بأبوابها .

وَقَالَ يَمْدَحُ رَهْطَ عَبْدِ ٱلْمَدَانِ بْنِ الدَّيَّانِ سَادَةِ نَجْرَانَ مِنْ بَنِي ٱلْحرْثِ بْنِ كَعْبٍ :

١ - أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بِهَـــا   بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَا (متقارب)
٢ - لِجَارَتِنَا إِذْ رَأَتْ لِمَّتِي   تَقُولُ لَكَ ٱلْوَيْلُ أَنَّى بِهَا
٣ - فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لِمَّةٌ   فَإِنَّ ٱلْحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا
٤ - وَقَبْلَكِ سَاعَيْتُ فِي رَبْرَبٍ   إِذَا نَامَ سَامِرُ رُقَّابِهَـــا
٥ - تُنَازِعُنِي إِذْ خَلَتْ بُرْدَهَا   مُفَضَّلَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَا
٦ - فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَـــا   وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا
٧ - بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا   وَجَادَتْ بِحُكْمِي لِأُلْهَى بِهَا
٨ - فَطَوْرًا تَكُونُ مِهَادًا لَنَا   وَطَوْرًا أَكُونُ فَيُعْلَى بِهَا
٩ - عَلَى كُلِّ حَالٍ لَهَا حَالَةٌ   وَكُلُّ ٱلْأَجَارِيِّ يُجْرَى بِهَا
١٠ - فَكَيْفَ بِدَهْرٍ خَلَا ذِكْرُهُ   وَكَيْفَ لِنَفْسٍ بِأَعْجَابِهَا
١١ - وَإِذْ لِمَّتِي كَجَنَاحِ ٱلْغُدَافْ   تَرْنُو الكَعَابُ لِإِعْجَابِهَا
١٢ - وَعَنْسٍ حَمَلْتُ عَلَى سَبْسَبٍ   مُوَاشِكَةٍ حِينَ يُرْمَى بِهَا
١٣ - وَيَعْلُنُ مِنْهَا صَرِيفُ السَّدِيسْ   إِذَا صَرَّفَتْه بِأَنْيَابِهَـــا
١٤ - أَكَلْتُ السَّنَامَ فَأَفْنَيْتُهُ   وَشُدَّ النُّسُوعُ بِأَصْلَابِهَا

(٤ — ٦) أطراب جمع طرب وهو الشوق . اللمة الشعر الذى جاوز شحمة الاذن . الوى بها الحوادث ذهبت بها .

(١ — ٣) المساعاة الفجور وهو خاص بالاماء . الربرب القطيع من بقر الوحش يشبه به النساء . سامر اسم فاعل من سمر القوم اجتمعوا ليلا للحديث . مفضلة من التفضل والابتذال وهو أن تلبس الجارية ثوبا رقيقا كقميص النوم اذا خلت لنفسها وانما تلبسه فى خدرها وخلوتها . غير جلبابها أى لاتلبس غيره مباشرا لجسمها . السبب الحبل وما يتوصل به الى غيره .

(٧ — ٩) حكمها ما حكمت به واشترطته . المهاد الفراش والأرض . وطورا أكون اى وطورا اكون مهادا . الأجارى جمع اجريا (بكسر الهمزة والراء وتشديد الياء) وهى الطريقة التى يجرى عليها

(١٠ — ١٣) الاعجاب جمع عجب (بفتحتين) وهو الاستحسان والروعة التى تعترى الانسان عند استحسان الشىء . الغداف الغراب الاسود . الكعاب جمع كاعب وهى التامة الحسن أو التى نهد ثديها ، العنس الناقة الصلبة القوية . السبسب الأرض المستوية . مواشكة سريعة . وتكملة البيتين ١٢ ، ١٣ من المتوكلية .

(١٣ — ١٤) يعلن يعلو ويظهر . الصريف صوت الاسنان اذا تحاكت ، السديس الناقة التى القت سدسها وهى الاسنان فى السنة السادسة . النسوع جمع نسع (بكسر فسكون) وهى السيور التى يشد بها الرجل . اصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم الظهر أو مانسميه السلسلة الفقرية .

وَقَالَ فِى الحَرْبِ الَّتِى كَانَتْ بَيْنَهُ وبين الحُرْقَتَيْن يُعَاتِبُ بَنِى مَرْثَد وَبَنِى جَحْدرٍ :

١ ـ لِمَيْثَاءَ دَارٌ قَدْ تَعَفَّتْ طُلُولُهَا   عَفَتْهَا نَضِيضَاتُ الصَّبَا فَمَسِيلُهَا (طويل)

٢ ـ لِمَا قَدْ تَعَفَّى مِنْ رَمَاد وَعَرْصَة   بَكَيْتُ وَهَلْ يَبْكِى إِلَيْكَ مُحِيلُهَا

٣ ـ لِمَيْثَاءَ إِذْ كَانَتْ وَأَهْلُكَ جِيرَةٌ   رِئَاءٌ وَإِذْ يُفْضِى إِلَيْكَ رَسُولُهَا

٤ ـ وَإِذْ تَحْسِبُ الحُبَّ الدَّخِيلَ لَجَاجَةً   مِنَ الدَّهْرِ لَا تُمنَى بِشَىْءٍ يُزِيلُهَا

٥ ـ وَإِنِّى عَدَانِى عَنْكِ لَوْ تَعْلَمِينَهُ   مَوَازِىءُ لَمْ يُنْزِلْ سِوَاىَ جَلِيلُهَا

٦ ـ مَصَارِعُ إِخْوَانٍ وَفَخْرُ قَبِيلَةٍ   عَلَيْنَا كَأَنَّا لَيْسَ مِنَّا قَبِيلُهَا

٧ ـ تَعَالَوا فَإِنَّ العِلْمَ عِنْدَ ذَوِى النُّهَى   مِنَ النَّاسِ كَالْبَلْقَاءِ بَادٍ حُجُولُهَا

٨ ـ نُعَاطِيكُمُ بِالحَقِّ حَتَّى تَبَيَّنُوا   عَلَى أَيِّنَا تُودِى ٱلْحُقُوقَ فُضُولُهَا

٩ ـ وَإِلَّا فَعُودُوا بِالْهُجَيْمِ وَمَازِنٍ   وَشَيْبَانُ عِنْدِى جَمُّهَا وَحَفِيلُهَا

١٠ ـ أُولَئِكَ حُكَّامُ الْعَشِيرَةِ كُلِّهَا   وَسَادَاتُهَا فِيمَا يَنُوبُ وَجُولُهَا

١١ ـ مَتَى أَدْعُ مِنْهُمْ نَاصِرِى تَأْتِ مِنْهُمُ   كَرَادِيسُ مَأْمُونٌ عَلَىَّ خُذُولُهَا

١٢ ـ رِعَالًا كَأَمْثَالِ ٱلْجَرَادِ لِخَيْلِهِمْ   عُكُوبٌ إِذَا ثَابَتْ بَطِىءٌ نُزُولُهَا

١٣ ـ فَإِنِّى بِحَمْدِ اللهِ لَمْ أَفْتَقِدْكُمُ   إِذَا ضَمَّ هَمَّامًا إِلَىَّ حُلُولُهَا

١٤ ـ أَجَارَتُكُمْ بَسْلٌ عَلَيْنَا مُحَرَّمٌ   وَجَارَتُنَا حِلٌّ لَكُمْ وَحَلِيلُهَا

(١ ــ ٣) النضيضة المطر القليل ، والريح التى تنض بالماء فيسيل ، أو هى الضعيفة . الصبا الريح الشرقية . تعفى انطمس . العرصة ساحة الدار ، وهى كذلك البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . محيل دائر مطموس . قوم رئاء يقابل بعضهم بعضا . ودورهم رئاء أى متقابلة متراثية . أفضى اليه وصل اليه وأصله انه صار فى فضائه .

(٤ ــ ٦) داء دخيل داخل فى أعماق البدن . اللجاجة التمادى فى العناد الى الفعل المزجورعنه . منى بالأمراصيب به . عدانىصرفنى . موازىء من وزأ القوم أى دفع بعضهم عن بعض ووزات الناقة به صرعته . الجليل العظيم .

(٧ ــ ٩) النهى العقل . فرس بلقاء سوداء الجسم فى ارجلها بياض ، والحجول هو هذا البياض . عاطاه أخذ منه وأعطاه . تبين الشىء عرفه وتحققه . تؤدى من اداه أى اوصله والأداء الايصال والقضاء . الفضول جمع فضل وهو الزيادة والإحسان ، وفضل الزمام طرفه . جمها كثرتها . حفيلها جماعتها .

(١٠ ــ ١٢) الجول جدار البئر الذى يمسكها من التهدم والانهيار . الكراديس جمع كردوسة (بضم الكاف) وهى القطعة العظيمة من الخيل . خذولها أى خذلانها (وهو مصدر غير مذكور فى المعاجم) . رعال جمع رعيل وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك . عكوب غبار وأصوات من عكبت الابل اى ازدحمت واعتكب الغبار ثار . ثابت رجعت .

(١٣ ــ ١٤) افتقد الشىء طلبه عند غيبته . حلول جمع حال اسم فاعل من حل المكان اى نزل به . بسل حرام ، وهو من الأضداد يطلق على الحرام والحلال ، ولذلك بينه بقوله (محرم) بعده . حليلها زوجها .

١٢ ـ جماعات كثيفة كأنها الجراد ، تثير خيولُها حين تندفع الغبارَ ، فينعقد فى الجو عاليًا بطئ النزول لا يكاد يزول .

١٣ ـ فإنى بحمد الله فى غنى عنكم ، لا أفتقدكم حين تغيبون ، إذا اجتمعت علىَّ (هَمَّام) بما ضمت من جماعات وقبيل .

ويعود الشاعر إلى هدوئه ، مناقشًا نقاش الذى يريد أن يلزم خصمه الحجة فيقول :

١٤ ـ أتُحِلُّون لأنفسكم ما تحرمون علينا ؟ جارتكم حرام علينا ، وجارتنا حِلٌّ لكم وزوجُها الحليل!

١٥ ـ فإن كان هذا ما تحكمون ، فذَلَّ إذنْ من يرضى بحكمكم من قبيل .

ثم يعود إلى شدته فيقول :

١٦ ـ إنى أقسم برب الساجدين فى العشيات ، ورب راهب النصارى يدق الناقوس .

١٧ ـ لن أصالحكم حتى تبوءُوا بمثل جنايتكم وبغيكم ، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة فى المخاض .

١٨ ـ ....

١٩ ـ ولو تدبرتم أمركم لا نتهيتم عنا ، وقد كان فيكم جماعات من القتلى ، لاتزال جثثهم مبعثرة فى ميدان القتال ، لم يوسَّدوا فى القبور .

٢٠ ـ وإن ذلك الذى يسعى للقتل ظلمًا ليُعِدُّ جريمة لا سبيل إلى التحلل منها .

٢١ ـ تحدثه نفسه أنا لسنا أقوياء ، ولسنا له بأكفاء .

٢٢ ـ ويخبركم « حمران » أن بناتنا سيُهْزَلْن من الجوع ، إذا لم ترتفع العيرُ إلينا بالمؤن والطعام .

٢٣ ـ فَعِيرُكم أذل ، وأرضكم على ما تعملون من الجدب والمَحَلْ .

٢٤ ـ فإن حُلْتُمْ بيننا وبين « المشقَّر » و « الصفا » ، فنخيل « الخَطِّ » جم لا ينفد .

٢٥ ـ ولنا « دُرْنَى » يُحْمَل إلينا كلَّ عشية منها الخمرُ وليِّن الطعام .

٢٦ ـ وإنكم لتأكلون دم الفصيد ، ونغذو أولادنا الشحم واللبن الغزير .

٢٧ ـ أبِالْمَوْت تخوفنى « عِبَاد » ، والموت يسعى دليلُه بين الناس ؟

٢٨ ـ فما ميتة إن مِتُّها غَيْرَ ذليل بعار ، إذا غال نفسى ما يغول الأعمار .

١٥ - فَإِنْ كَانَ هَذَا حُكْمُكُمْ فى قَبِيلَةٍ   فَإِنْ رَضِيتَ هَذَا فَقَلَّ قَلِيلُهَا
١٦ - فَإِنِّى وَربِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً   وَمَا صَكَّ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا
١٧ - أُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا   كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبُولُهَا
١٨ - ....أما يُحِيلُهَا
١٩ - تَنَاهَيْتُمُ عَنَّا وَقَدْ كَانَ فِيكُمُ   أَسَاوِدُ صَرْعَى لَمْ يُوَسَّدْ قَتِيلُهَا
٢٠ - وَإِنَّ امْرَاءًا يَسْعَى لِيَقْتُلَ قَاتِلًا   عَدَاءً مُعِدٌّ جَهْلَةً لَا يُقِيلُهَا
٢١ - وَلَسْنَا بِذِى عِزٍّ وَلَسْنَا بِكُفْئِهِ   كَمَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهَا وَدَخِيلُهَا
٢٢ - وَيُخْبِرُكُمْ حُمْرَانُ أَنَّ بَنَاتِنَا   سَيُهْزَلْنَ إِنْ يَرْفَعِ العِيرَ مِيلُهَا
٢٣ - فَعِيرُكُمُ كَانَتْ أَذَلَّ وَأَرْضُكُمْ   كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ جَدْبُهَا وَمُحُولُهَا
٢٤ - فَإِنْ تَمْنَعُوا مِنَّا المُشَقَّرَ وَالصَّفَا   فَإِنَّا وَجَدْنَا الخَطَّ جَمًّا نَخِيلُهَا
٢٥ - وَإِنَّ لَنَا دُرْنَى فَكُلَّ عَشِيَّةٍ   يُحَطُّ إِلَيْنَا خَمْرُهَا وَخَمِيلُهَا
٢٦ - فَإِنَّا وَجَدْنَا النِّيبَ إِنْ تَفْصِدُونَهَا   يُعِيشُ بَنِينَا سِيئُهَا وَجَمِيلُهَا
٢٧ - أَبِالْمَوْتِ خَشَّتْنِى عِبَادٌ وَإِنَّمَا   رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا
٢٨ - فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ   بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غُولُهَا

(١٥ — ١٨) الأبيل الراهب ، من ابلت الابل (كضرب) اذا توحشت وانفردت ليس معها راع . تبوءوا تعودوا . يسرتها سهلت ولادتها وأعانتها فيها . القبول المراة التى تستقبل الولد عند الولادة .

(١٩ — ٢١) الاساود الجماعة من الناس الكثير . عداء ظلما . أقال الرجل البيع فسخه ، واقال الله عثرته صفح عنه .

(٢٢ — ٢٥) الميل قدر امتداد البصر من الأرض . العير الابل لا واحد لها من لفظها . المحول الجدب . المشقر والصفا مدينتان فى البحرين قرب هجر (المشهورة بالتمر) وفيهما حصنان قديمان يقال انهما من بنـــاء طسم وبينهما نهر يجرى يقال له « العين » الخط جزيرة بالبحرين وهى التى تنسب اليها الرماح . درنى قرية باليمامة ، واليمامة موطن الاعشى . الخميل مالان من الطعام .

(٢٦ — ٢٨) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . فصدها شق جلدها ليستخرج الدم ، وكانوا ياكلونه اذا جهد ، وقد نهى عنه الاسلام بقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) تفصدونها كان حقها الجزم لأنها فعل الشرط . السيء (بكسر السين) اللبن الذى ينزل قبل الحلب ويكون فى أطراف الأخلاف لغزارته . الجميل الشحم المذاب . خشتنى خوفتنى . غير عاجز غير ضعيف . غولها ما يغتالها من الهلاك .

(٢٤)

تروى هذه الابيات فى هجاء رجل يمنى زعم جامع ديوان الاعشى انه من قضاعة ، وروى الاصفهانى وابن قتيبة أنه من كلب (١) .

وكان هذا الرجل قد أصاب الاعشى أثناء عودته من بعض غاراته ، فأسره وهو لا يعرفه ، ثم انه نزل ضيفا على شريح بن السموءل فى حصنه المسمى الابلق فى تيماء . فاستغاث الاعشى بشريح . فاستوهبه من هذا الرجل ، فوهبه له . فأكرمه شريح وأعانه على العودة لقومه .

ويقول صاحب الاغانى ان الاعشى هجا الرجل بالبيتين قبل ان يأسره ، فلما علم بعد اطلاقه أنه الاعشى ، ندم على ما فعل ، واراد ان يسترجعه فوجد شريحا قد اطلقه .

ويقول جامع الديوان أن الاعشى هجا الرجل بالبيتين بعد أن اطلقه شريح فلامه فى ذلك فكف عنه ولم يزد .

وهؤلاء الذين ذكرهم الشاعر فى البيتين رجال من أشراف كلب . ويقول لعمرو بن ثعلبة هذا انه لا ينتسب لواحد من هؤلاء وأنه دونهم شرفا . وهذا أسلوب جاهلى معروف فى الهجاء اشتهر به الحطيئة ، ونهاه عنه سيدنا عمر رضى الله عنه لما يستتبع من اثارة العداوة والتنافس بين الاهل والأقرباء .

(٢٥)

يذهب صاحب الأغانى الى أن شريحا الذى مدحه الاعشى بهذا الشعر هو ابن السموءل ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء (٢) . أما ثعلب فقد نسبه فى ديباجة هذه القصيدة هكذا : شريح بن حصن بن عمران بن السموءل بن حيا بن عاديا . وعلى ذلك فالسموءل جد أبيه . وأكمل الاصفهانى بقية نسبه فقال : عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . وربما كانت رواية ثعلب أشبه بالصواب ، لان الاصفهانى رد قول الذين وصلوا عاذيا بعمرو مزيقيا بعد ثلاثة آباء ، محتجا بأن الاعشى أدرك ابنه شريح بن السموءل ، وبأن عمرو مزيقيا أقدم من ذلك (٣) .

والسموءل يهودى كان ينزل فى « تيماء » ببادية الشام . كان بها حصنه المعروف « الابلق » الذى أشار اليه الاعشى فى هذه القصيدة ، وكان مبنيا بحجارة بيضاء وحجارة سوداء . وكان له حصن آخر فى « دومة الجندل » اسمه « مارد » ، وكان مبنيا بحجارة سوداء . وكانت العرب تنزل بالسموءل فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، وتقيم هناك سوقا (٤) .

وقد اشتهر السموءل حتى ضرب به المثل ، بسبب هذه القصة التى فصلها الاعشى . فى شعره . رووا أن امرأ القيس أودع عند السموءل دروعه وسلاحه قبل أن يقصد الى قيصر فى رحلته المشهورة . فلم نزل عنده حتى أتاه الحارث بن ظالم (او الحارث بن شمر الغسانى) فطلبها منه . فامتنع عليه السموءل وتحصن فى حصنه . وكان للسموءل ابن قد خرج للصيد ، فصادفه الحارث فى عودته واتخذه رهينة عنده ، وخير السموءل بين أن يدفع اليه وديعة امرىء القيس او يقتل ابنه ، فأصر على ابائه . فقتل الحارث ولده الذى عنده . وأدى السموءل الوديعة الى أهل امرىء القيس .

وقد فصل الاعشى هذه القصة تفصيلا يطابق ما يروون فى خبرها فلا يخرج شىء منها عنه . ثم انهم يروون أن الاعشى قد ارتجل هذه الابيات حين مر به شريح ، متحرما به ، متوسلا اليه أن لا يتركه ، كما يبدو من البيت الأول . وفى ارتجال هذا الشعر تعليل لما يلمسه القارىء من ضعف بناء القصيدة وبعدها عن التجويد .

يقول الأعشى :

١ — لا تتركنى اليوم يا شريح فى سيور القيد بعد أن علقت أظفارى بحبالك .

٢ — فلقد طوفت الآفاق ، وترددت بين «بانقيا» و «عدن» وبلاد العجم .

٣ — فلم أر كأبيك وفاءً بالعهد وحماية للجار . ذلك مشهور معروف ، غير مدافع ولامنكور .

٤ — إذا سئل العطاء انهمر كالغيث ، وإذا أعطى عهده دافع عنه دفاع الأسد المفترس .

٥ — كن لى وفيًا ، وفاء (السموءل) إذ سار له (الحارث) فى جحفل جرار كسواد الليل ، لا تدرك العين مداه .

---

(١) الاغانى ٦ ، ٣٢٣ ، ٩ : ١١٨ الشعر والشعراء ٢١٧ .

(٢) الاغانى ٩ : ١١٨ ، ١٩ : ٩٨ .

(٣) الاغانى ١٩ : ٩٨ .

(٤) الاغانى ، بلوغ الارب ١ : ٢١٠ ، ٢١١ .

(٢٤)

وَقَالَ الأَعْشَى يَهْجُو عَمْرَو بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ الحرْثِ القُضَاعِيّ :

١ ـ بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ ۝ وَلَسْت مِنَ الْكِرَامِ بَنِى العُبَيْدِ (وافر)
٢ ـ وَلَا مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ ۝ وَلَا مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ

(٢٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ شُرَيْحَ بْنَ حِصْنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيَا :

١ ـ شُرَيْحُ لَا تَتْرُكَنِّى بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ۝ حِبَالُكَ ٱلْيَوْمَ بَعْدَ الْقِدِّ أَظْفَارِى (بسيط)
٢ ـ قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بَانِقْيَا إِلَى عَدَنٍ ۝ وَطَالَ فِى ٱلْعُجْمِ تَرْحَالِى وَتَسْيَارِى
٣ ـ فَكَانَ أَوْفَاهُمُ عَهْدًا وَأَمْنَعَهُم ۝ جَارًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ
٤ ـ كَالْغَيْثِ مَا ٱسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ ۝ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ ٱلْمُسْتَأْسِدُ الضَّارِى
٥ ـ كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذْ سَارَ ٱلْهُمَامُ لَهُ ۝ فِى جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
٦ ـ جَارُ ٱبْنِ حَيًّا لِمَنْ نَالَتْهُ ذِمَّتُهُ ۝ أَوْفَى وَأَمْنَعُ مِنْ جَارِ ٱبْنِ عَمَّارِ
٧ ـ بِٱلأَبْلَقِ ٱلْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ ۝ حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ
٨ ـ إِذْ سَامَهُ خُطَّتَىْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ ۝ مَهْمَا تَقُلْهُ فَإِنِّى سَامِعٌ حَارِ
٩ ـ فَقَالَ ثُكْلٌ وَغَدْرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا ۝ فَٱخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

(١ ـ ٣) القد السير من الجلد غير المدبوغ ، كان يربط به الأسير . أظفارى نامل . العرف ما استقر فى النفوس وقبلته الطباع .

(٤ ـ ٦) الذمة العهد والأمان والضمان . الهمام هو الحرث بن أبى شمر الغسانى أو الحارث بن ظالم على خلاف بين الرواة . حيا أبو السموءل .

(٧ ـ ٩) الأبلق حصن السموءل . الفرد الذى لا نظير له . الخسف الذل . حار ترخيم حارث .

٦ — ومن نال عهد (ابن حيًّا) ولجأ إلى جواره ، فهو آمن إلى منعته ووفاته .

٧ — منزله من «تيماء» فى «الأبلق» الذى لا شبيه له ، حصن حصين ، وجار غير غدار .

٨ — خيَّره (الحارث) بين أمرين كلاهما ذل . فأجابه : قل ما شئت يا حارث فإنى مصغ إليك .

٩ — فقال : اختر لنفسك بين الثكل والغدر . وما فيهما حظ لمختار .

١٠ — فتردد طويلا ثم قال : اذبح أسيرك ، فقد قررت أن أمنع جارى ولا أغدر به .

١١ — وإن لى خَلَفًا من ولدى إن قتلته — وإن كنتَ إنما تقتل كريماً غير ضعيف ولا جبان —

١٢ — مالاً كثيرًا ، وعرضًا ناصعًا غير ذى دنس ، وإخوة مثله غير أشرار .

١٣ — ورثوا عنى أدبا جما لا يخالطه طيش أو حمق ، وحنكة وتجربة إذا شمرت الحرب للقتال .

١٤ — وسوف يُعْقِبُنى خَلَفًا منه — إن قتلته — ربٌّ كريم ، ونساءٌ بيض وَلُودَات .

١٥ — أرعى ودهن ، فهو عندى غير مضيع ولا مشوب بكدر . ويكتمن ما أستودعهن من أسرار .

١٦ — فقال — تَقْدِمَةً لما عزم عليه من أمر فظيع — إذ هم به ليقتله : أشرف سموءل ! فانظر للدم الجارى .

١٧ — أأحبس ابنك حتى الموت ، أم تجيئنى طوعا بوديعة امرئ القيس ؟ فأنكر السموءل ما يقول أيما إنكار .

١٨ — فشلك الحارث عروق رقبته بالسيف . وصدرُ أبيه ينطوى على ألم موجع لاذع كالنار .

١٩ — واختار أن يحفظ وديعته من الدروع ، حتى لا تكون سبة فيه . وكان لعهده وفيا غير غدار .

٢٠ — وقال : لا أبيع شرفى وذكرى بين الناس لأشترى العار .

٢١ — وقديماً كان الصبر منه عادة وخلقاً ، وكان أسرع الناس إلى الوفاء وحفظ الجار .

١٠ - فَشَكَّ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُم قَالَ لَهُ   اذْبَحْ هَدِيَّكَ إِنِى مَانِعٌ جَارِى
١١ - إِنَّ لَهُ خَلَفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ   وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عُوَّارِ
١٢ - مَالًا كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذِى دَنَسٍ   وَإِخْوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارِ
١٣ - جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّى بِلَا نَزَقٍ   وَلَا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ
١٤ - وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ   رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ
١٥ - لا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ضَائِعٌ مَذِقٌ   وكَاتِمَاتٌ إِذَا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِى
١٦ - فقالَ تَقْدِمَةً إِذْ قَامَ يَقْتُلُهُ   أَشْرِفْ سَمَوْءَلُ فَانْظُرْ لِلدَّمِ الجَارِى
١٧ - أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صَبْرًا أَوْ تَجِىءُ بِهَا   طَوْعًا فَأَنْكَرَ هَذَا أَىَّ إِنْكَارِ
١٨ - فَشَكَّ أَوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ فِى مَضَضٍ   عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا كَاللَّذْعِ بِالنَّارِ
١٩ - وَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ أَنْ لَا يُسَبَّ بِهَا   وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَّارِ
٢٠ - وَقَالَ لَا أَشْتَرِى عَارًا بِمَكْرُمَةٍ   فَاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ
٢١ - وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلُقٌ   وَزَنْدُهُ فِى الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِى

(١٠ — ١٢) الهدى الأسير . العوار الضعيف الجبان .

(١٣ — ١٥) النزق الخفة والطيش . اغمار جمع غمر (بفتح فسكون) وهو الابله الذى لم يجرب الامور . وبيض يقصد زوجاته ، ذات أطهار اشارة الى أنهن فى سن وحالة ينتظر معها الولد ، والأطهار أيام طهر المراة من الحيض ، أى انهن يلدن له غيره ان مات . السر النكاح ، يكنى به عما بينه وبينهن من عشرة وود . مذق اللبن والشراب مزجه فأكثر ماءه ، ومذق الود شابه ، بكدر ولم يخاصه .

(١٦ — ١٨) الصبر الحبس ، وصبره على القتل حبسه ورماه حتى يموت . أوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق فى صفحة العنق يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .

(١٩ — ٢١) ختار غدار . ثقبت النار اتقدت ، وكذلك ورت .

يتصل الكلام من هذه القصيدة بحديث (ذى قار) ، وهى واقعة مشهورة كانت بين الفرس وبين بكر ، هزمت فيها جيوش كسرى شر هزيمة ، فكان ذلك أول نصر احرزه العرب على الفرس . وسأفصل الكلام عن هذه الواقعة فى القصيدة (٣٤) .

اما قيس بن مسعود الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، فهو أحد اشراف بكر المشهورين . وقد عظم امره بعد ان ولاه كسرى الأبله (وهى بلد على شاطىء دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل الى الموضع الذى بنيت عليه البصرة بعد ذلك) .

روى صاحب الأغانى أن بكرا جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد قيس بن مسعود على كسرى ، فسأله ان يجعل له أجرا ، على ان يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى (الابلة) وما والاها . فكان يأتيه من يأتيه من بكر فيرضيهم ، حتى قدم الحارث بن وعلة (من ذهل بن ثعلبة) والمكسر بن حنظلة (من عجل بن لجيم) ، فاستقلا عطاءه ، واستغويا رجالا أغارا بهم على السواد فلما بلغ ذلك كسرى حنق عليه واستدعاه ، فحبسه بساباط حتى مات (١) . والأصفهانى يذهب فى هذه الرواية الى أن قيس بن مسعود قد رحل الى كسرى قبل وقعة ذى قار .

ويخالفه فى ذلك الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه . فهم يروون أن قيس بن مسعود كان لا يزال واليا لكسرى عند غزوه بكرا . وقد امره كسرى أن يوافى جيوشه ويصحبها فى غزوها . فسار الى قومه سرا فأعلمهم بقدوم الجيوش ، وأشار عليهم برأيه . فلما هزم جيش كسرى ، وعلم بما فعل قيس استدعاه فسجنه حتى مات (٢) . وقد روى ابن الاثير انه سار مع جيوش كسرى كما أمره ، ولم يذكر شيئا عن مسيره الى قومه واشارته عليهم ، ولا عن رحلته لكسرى وسجنه .

وقصيدة الاعشى التى بين أيدينا تنفى ما يذهب اليه ابو الفرج ، وتؤيد رواية الطبرى وابن الأثير والعقد الفريد . فهى تشير الى ان قيس بن مسعود قد سار مع جيوش كسرى فى يوم (ذى قار) ، ثم رحل بعد ذلك اليه حين استدعاه . والأعشى يلومه على مسيره اليه ويسفه رأيه ، ويقول له ان قومه كانوا كفيلين بحمايته واغنائه عن كسرى . وهو يأخذ عليه رحلته اليه طالبا لرضاه ، بعد الذى سفك من دماء قومه فى يوم ذى قار .

يقول الأعشى :

١ ـ ياقيس بن مسعود ـ وأنت امرؤ تعلّق (وائل) عليك الآمال ، وترجو فى حياتك وشبابك الخير !

٢ ـ أتخيِّب آمالنا فيك مرتين فى عام واحد ؟ فتصحب كسرى فى غزوة قومك ، ثم ترحل إليه بعد الذى كان بيننا وبينه ؟ ألا ليتك مت ساعة ولدت ، وغرقتك القوابل فى الماءِ الذى يكون مع الجنين .

٣ ـ وليت بيننا وبينك البحر ، أو ليتك كنت متاعا تافهًا ملقى فى عرض الطريق ، تجرى عليه السيول فتكتسحه وتجرفه .

٤ ـ لكأنك لم تشهد القتلى الكثيرين من أشراف قومك ، وقد بُعْثِرَت جثثهم فى الصحراء ، تعيث فيهم الضباع والذئاب .

٥ ـ تركتهم صرعى عند موارد الماءِ ، وأقبلت تصالح كسرى وتطلب رضاه . ثكلتك أُمك من رجل !

٦ ـ أتصُرُّ خيامَك ، وتجمع متاعك من (جبل الأَمْرَار) لِأَملٍ عرض لك ، ونَبَإٍ سمعته أَنَّ وادى (الأَشَافى) قد أخصب وسال بالأَمطار ؟ .

٧ ـ ما أتفه أمرك علينا إذن . وما أهون أن يبلغنا عنك أنك مت أو قتلت ، فصفِرَ وِطَابُك ، وجف سقاؤك من اللبن ، حين سرت إلى كسرى محتملا متاعك .

---

(١) الاغانى ٢ : ١٢٦ .

(٢) الطبرى ١ : ٦٠٨ ، ٦٠٩ — ابن الاثير ١ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ — العقد الفريد ٦ : ١١٣ .

وَقَالَ لِقَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ الشَّيْبَانِيِّ حِينَ وَفَدَ على كِسْرَى بَعْدَ ذِي قَار :

١ ـ أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَأَنْتَ ٱمْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ (طويل)

٢ ـ أَطَوْرَيْنِ فِي عَامٍ غَزَاةٌ وَرِحْلَةٌ ... أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ القَوَابِلُ

٣ ـ وَلَيْتَكَ حَالَ ٱلْبَحْرُ دُونَكَ كُلُّهُ ... وَكُنْتَ لَقًى تَجْرِي عَلَيْهِ السَّوَائِلُ

٤ ـ كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ قَرَابِينَ جَمَّةً ... تَعِيثُ ضِبَاعٌ فِيهِمُ وَعَوَاسِلُ

٥ ـ تَرَكْتَهُمُ صَرْعَى لَدَى كُلِّ مَنْهَلٍ ... وَأَقْبَلْتَ تَبْغِي الصُّلْحَ أُمُّكَ هَابِلُ

٦ ـ أَمِنْ جَبَلِ ٱلْأَمْرَارِ صُرَّتْ خِيَامُكُمْ ... عَلَى نَبَإٍ أَنَّ ٱلْأَشَافِيَّ سَائِلُ

٧ ـ فَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَجِفَّ وِطَابُكُمْ ... إِذَا حُنِيَتْ فِيهَا لَدَيْهِ الزَّوَاجِلُ

٨ ـ ....مُتَرَاحِلُ

٩ ـ لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ لَوْ كُنْتَ رَاضِيًا ... قِبَابٌ وَحَيٌّ حِلَّةٌ وَقَنَابِلُ

(١ — ٣) القوابل جمع قابل وهى المرأة التى تتلقي المولود عند الولادة . غرقته فى ماء السلى . السوائل جمع سائل وهو السيل .

(٤ — ٦) القرابين جمع قربان وهو مايتقرب به الى الله . يقصد القتلى فى الحروب . عاث الشيء وعاث فى الشيء افسده . عواسل جمع عاسل وهو الذئب ، والعسلان فى الأصل الاضطراب . المنهل مورد الماء . هابل ثاكل . الأمرار جبال . الاشافى واد فى بلاد بنى شيبان . سائل اى سائل بالأمطار هذا مثل ضربه الشاعر لان اهل جبل الأمرار لا يرحلون الى الاشافى ينتجعونه لبعده ، الا ان يجدبوا كل الجدب ويبلغهم انه مطر وسال .

(٧ — ٩) الوطاب جمع وطب (بفتح فسكون) وهو سقاء اللبن . جفت وطابه وصفرت كذلك اى مات وقتل فاصبحت وطابه بغير لبن لانه لاياكل ولا يشرب حتى جفت . الزواجل جمع زاجل وهو عود يكون فى طرف الحبل يشد به الوطب . قباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة الكبيرة . الحلة القوم الحلول فيهم كثرة . القنابل جمع قنبل وقنبلة (بفتح القاف والباء) وهى الطائفة من الناس والخيل .

٨ — . . . .

٩ — ولو أنك قنعت بقومك ورضيت ، لقد كان فيهم قبابُ ضخمة ، وجماعات كثيرة ، وطوائف من الخيل والرجال .

١٠ — وكتائب ضخمة تموج بما ازدحم فيها من فرسان ، ومن سلاح يرد بريقه عين الناظر عشواءَ ، وأفراس جياد ، تحيط بها كرائم الإبل ونجائب الجمال .

١١ — ولكنك تركت قومك سفهاً ، وأنت كبيرهم وعميدهم . فلا بلغني عنك خبر ، ولا سمعت عنك نبأ .

١٢ — أي شر قد جنيت على نفسك حين رحلت إليه ، فجُرِّدت مما جمعت من ثروة ومال ، ولم تك إلا كالمِغزل ، ليس له مما يغزل شئٌ ، ولا يتراكم عليه الغزل إلا ليجرَّد منه من جديد ، فإذا هو عار سليب .

١٣ — لقد شفى النفسَ ما قتلنا من رجال تفرقت جثثهم فى غربتهم لا يضمها قبر ، ولا يبكى عليها نادب ، ولا يعض عليها إصبعَه صديق .

١٤ — بعينيك قد أبصرتهم يوم الحنْو فى (ذى قار) ، إذ غشيتْهم فى الصباح كتائبُ تحمل الموت ، لا يمنعها عنهم لوم اللائمين ، ولا يكف شرها نصح الناصحين .

(٢٧)

الحارث بن وعلة هو أحد رجال بنى رقاش بن ذهل بن ثعلبة . وذهل بن ثعلبة . هم اخوة قيس بن ثعلبة الذين ينتهى اليهم بيت الأعشى فى سعد بن ضبيعة . والحارث هو جد الحصين بن المنذر صاحب راية على يوم سفين . وقد كان — كما ذكرنا فى التعليق على القصيدة السابقة — احد الذين أغاروا على السواد فى ولاية قيس بن مسعود ، ونقضوا عهده لكسرى ولم يحترموه . وهاهو ذا يغير على ابل قوم اجتمعوا بجوار بعض قبائل بكر ، فينقض عهدهم مرة أخرى ولا يحترمه . فيهجوه الأعشى بهذه القصيدة . وللأعشى قصيدة أخرى فى هجائه ، هى القصيدة (٣٠) . وله بعد ذلك قصيدة ثالثة لم يتفرغ فيها لهجائه ، ولكنه قدم به لمدح هوذة ، وهى القصيدة (٧) ، التى مضى ذكرها . والظاهر أن الاعشى كان يقدم على الحارث مسترفدا حتى هجاه . فلما قدم عليه يسأله قال : ولا كرامة . ألست القائل «ألا من مبلغ عنى حريثا» تهجونى وتصغرنى ثم تسألنى ! وحرمه . فقال الأعشى فى ذلك القصيد (٧) التى شهر فيها ببخله ، مقارنا بينه وبين كرم هوذة .

يقول الأعشى :

١ — ألا من يحمل عنى رسالة إلى «حُرَيْث» — الذى يتعجل لنفسه الموت إذ يزدرينا — فيسأله : أحان حَيْنُه ، أم استخف بأمرنا واستهان ؟

٢ — فإنا قد أقمنا فى وادى «الرِّداع» حين فشلتم وأعوزتكم الجرأة والثبات للإقامة فيه ، لا نبالى أمر من يبغينا بالعدوان .

١٠ ـ وَرَجْرَاجَةٌ تُعْشِى النَّوَاظِرَ فَخْمَةٌ ... وَجُرْدٌ عَلَى أَكْنَافِهِنَّ الرَّوَاحِلُ

١١ ـ تَرَكْتَهُمُ جَهْلًا وَكُنْتَ عَمِيدَهُمْ ... فَلَا يَبْلُغَنِّى عَنكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ

١٢ ـ وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ... كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ ٱلْمَغَازِلُ

١٣ ـ شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُهَا ... وِسَادًا وَلَمْ تُعْضَضْ عَلَيْهَا ٱلْأَنَامِلُ

١٤ ـ بِعَيْنَيْكَ يَوْمَ الْحِنْوِ إِذْ صَبَّحَتْهُمُ ... كَتَائِبُ مَوْتٍ لَمْ تَعُقْهَا الْعَوَاذِلُ

(٢٧)

وَقَالَ يَهْجُو الحَارِثَ بْنَ وَعْلَةَ حِينَ أَغَارَ عَلَى إِبِلِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ جِيرَانِ بَكْرٍ :

١ ـ أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى حُرَيْثًا ... مُغَلْغَلَةً أَحَانَ أَمِ ٱزْدَرَانَا (وافر)

٢ ـ فَإِنَّا قَدْ أَقَمْنَا إِذْ فَشِلْتُمْ ... وَإِنَّا بِالرِّدَاعِ لِمَنْ أَتَانَا

٣ ـ مِنَ النَّعَمِ التى كَجِرَاجِ أَيْلٍ ... تَحُشُّ ٱلْأَرْضَ شِيمًا أَوْ هِجَانَا

٤ ـ وَكُلِّ طُوَالَةٍ شَنِجٍ نَسَاهَا ... تَبُدُّ بَدَا ٱلْمَعَارِقِ وَٱلْعِنَانَا

(١٠ — ١٢) كتيبة رجراجة تموج من كثرتها وكثرة ما عليها من الحديد . تعشى تعمى العينين لشدة بريق آلاتها . الرواحل جمع راحلة وهى النجيب الصالح لأن يرحل من الابل ، والقوى على الأسفار . الاكناف جمع كنف (بفتحتين) وهو الجانب ، كانوا يركبون الابل فى الغارات البعيدة ويجنبون الخيل فاذا قاربوا الأعداء ركبوا الخيل . عميد القوم سيدهم ورئيسهم . الوفر الثروة والغنى ، تمر من أمر الحبل والخيط أى فتله .

(١٣ — ١٤) شفى النفس أراحها وسرها . وسده دفنه أو وسده التراب فى قبره . الأنامل أطراف الأصابع . تعض من الغيظ أو الأسف . صبحه هاجمه فى الصباح . عذله لامه وزجره ونهاه فهو عاذل وهم عواذل .

(١ — ٣) حريث هو الحارث يصغره تحقيرا له . رسالة مغلغلة محمولة من بلد الى بلد . غلغل اليه رسالة بعث بها اليه محمولة من بلد الى بلد . حان وقع فى الهلاك . أقمنا ثبتنا . الرداع واد . النعم الابل . الحراج الشجر الملتف . ايل جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع . تحش تأكل ، شيما جمع شامة وهى الناقة السوداء . تقول ماله شامة ولا زهراء ، أى ليس له ناقة سوداء ولا بيضاء . الهجان من الابل البيض الكرام يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع .

(٤ —) الطوالة الطويلة الظهر . تشنج تقبض . والنسا عرق من الورك الى الفخذ . وفرس شنج النسا منقبضة ، وذلك أقوى له وأشد لأنه اذا تشنج لم تسترخ رجلاه . بد (كعلم) تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمها . وبده (كنصر) فرقة والبداء (بالفتح) الكماة والتراب . والعرقة (بفتح) هى الطرق فى الجبال . والمعنى على هذا أنها تبدد التراب وتثيره فى مسالك الجبال ، ويصعب على راكبها أن يحتفظ بالعنان فى يده لطول عنقها ولعل بدا تخفيف للبدة (بكسر الباء وتشديد الدال) وهى الطاقة . والمعارق جمع معراق وهو الشد ، والمعنى على هذا أن نشاطها يفوق طاقة العدو وطاقة الزمام .

٣ ـ لنا إبل ضخمة كثيرة ، كأنها أدغال «أيل» الملتفة الأشجار ، قد انتشرت ترعى الأرض بين سُودٍ وبيضٍ هِجَان .

٤ ـ ولنا كل فرس طويلة الظهر مشدودة القوائم ، تبدد لنشاطها وقوة أرجلها تراب المسالك بين الجبال وتثيره ، ويصعب على راكبها لطول عنقها أن يحتفظ في يده بالعنان .

٥ ـ ولنا كل جواد أملس من فحول الخيل كريم ، يلمع جلد خاصرته ، كأنه قد طلى بزيت أو دهان .

٦ ـ يقوم على حمايتنا جيش ضخم ، يضطرب بما حوى من الدروع والرجال ، يتقدم الحى كأنه الإيوان .

٧ ـ فلا وأبيك لن تنال منَّا ما حيينا إلا الطعان .

٨ ـ وإلا كلَّ رمح أسمر صلب ، كأن قناته لمرونتها من خيزران .

٩ ـ وإلا كل صقيل يتموج متنه ، يقدُّ الفِقَارَ إذا علا الأعناق .

١٠ ـ أكب عليه فَتَانَا «أبو عَجْلان» يوما كاملا ، يصقله بمصقلتيه غير مُتَوان .

١١ ـ وظل العرق يتساقط عليه من صفحتى وجهه إذ يحد شفرتيه ، فما ألان .

١٢ ـ إننا لا نعطى إلا راضين مختارين . وليس يستطيع أحد أن يحملنا على ما يتمنى ويريد ، كائنًا من كان .

١٣ ـ فلسنا بالقليلى السلاح ، فنسأَمَ الحرب إذا التقى الجمعان .

١٤ ـ يسوق لنا «عبدُ عمرو» «قلابةَ» ويثيرهم علينا ، ليرمينا بهم فيمن يبغينا بالعدوان

١٥ ـ ولو انتظروا حربنا وغارتنا ، لعرفوا كيف نُضَيِّفُ الضِيفان بالطعان .

١٦ ـ إنا نحل «الصُّلَيْب» و«بَطْن فَلْج» جميعًا ، نوقد بها النيران .

١٧ ـ فيرتفع لظاها فى النهار بالدخان . ولا نستخفى على الذى يبغينا من ذوى الأضغان .

١٨ ـ فإن يسأل عنا «أبو عمران» ، فإنى أقسم بالنجوم ، لو أنا برزنا للعيان .

١٩ ـ لصاح النادبات عليه من قومه والأخدان ، «لقد حانت مَنِيَّتُه وحان!» .

— ٢٨ —

هذه هى القصيدة الوحيدة فى ديوان الاعشى ، التى رويت له فى مدح النعمان بن المنذر . وقد سقط اسم الممدوح من ديباجة هذه القصيدة فى الاصل وفى طبعة أوربا . فجاءت هكذا (.. وقدم النابغة وزهير وعلقمة بن عبدة فمدحوه ومدحه الأعشى) ثم جاء فى نهاية القصيدة (وفضل النعمان يومئذ الأعشى عليهم بهذا الشعر) وليس فى القصيدة ما يدل على اسم الممدوح . ولكنا استدللنا على أنها فى مدح النعمان بما جاء فى نهاية القصيدة ، وبما جاء فى خزانة الادب للبغدادى ، اذ روى البيت (١٢) من هذه القصيدة ، وقال انه من قصيدة للأعشى فى مدح النعمان بن المنذر .

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة من آل المنذر . وهو الذى غضب عليه كسرى أبرويز بن هرمز ، لمكيدة دبرها له زيد بن عدى ، انتقاما منه لقتله اباه عدى بن زيد قبل ذلك ، لقتله . وقد ، اختلفوا فى قتله ، فقيل انه سجنه فى سجن (خانقين) الذى خنق فيه عدى بن زيد من قبل ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات . وقيل انه حبسه فى موضع بالمدائن يسمى (ساباط) ، وقيل انه القاه تحت أرجل الفيلة فقتلته . ولقتله قصة طويلة فصلها صاحب الأغانى فى كتابه (١) .

وكان النعمان متزوجا من كندة . وكانت له من زوجته الكندية ابنة جميلة اسمها هند ، تزوجها عدى بن زيد . لم غدر النعمان بزوجها لسجنه حتى مات . فترهبت هند بعد موته ، وحبست نفسها فى الدير المعروف بدير هند فى ظاهر الحيرة . وقد عاشت هند بعد الاسلام بزمان طويل ، وتوفيت فى ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة (٢) . وروى أن المغيرة خطبها لنفسه ، فردته حين علمت أنه انما قصد الى الفخر ، بعد ان ذهب شبابها وجمالها . وكان النعمان بن المنذر نصرانيا فيما يروى ، نصره عدى بن زيد .

يقدم الشاعر للمديح بثلاثة أبيات فى الغزل فيقول :

١ ـ أترحل عن (ليلى) بغير زاد ، وكأنك قضيت من اللهو حاجتك وبلغت المراد ؟

٢ ـ إن من فساد رأى الرجل ، أن يعلق قلبه بغانية ناعمة ، كلما دنا منها أمعنت فى الصد والبعاد.

٣ ـ أتنسين ما قضينا فى (دُحَيْضَة) وبين (البَدِيّ) و (ثَهْمَد) من أيام الوداد ؟

ثم لا يلبث الشاعر أن ينتقل إلى وصف الصحراء والرحلة للممدوح ، فيقول :

٤ ـ كم من صحراء مضلة ، يلعب فوقها السراب متموجًا ، كأنه كساء الكتان الأبيض المخطط بسواد .

٥ ـ قطعتها بناقة حمراء من خيرة النوق ، تمرح طول ليلها فى نشاط ، ثم تصبح مكتملة القوى لم يعتورها الكلال .

٦ ـ لم تزل تعلف النوى المدقوق قد خلط بالحشيش ، وتسقى صافى الماء ، وتطعم الشعير يُكال لها بالمكيال .

٧ ـ عند (ابن يزيد) أو (ابن مُعَرِّف) ، يفتُّ لها العلف طورًا بأصابعه ، ويحش لها الكلأ تارة أخرى فى المِخْلاة .

٨ ـ حتى أصبحت فى ضخامتها كبنيان (التِّهامى) الشامخ ، شيد بالحجارة والآجُرّ والطين والجير .

٩ ـ فلما جاء اليوم الذى يرقد فيه النُّوام ، وأمضى أنا لما عقدت عليه العزم ، وما تهيأت له من أمر .

١٠ ـ شددت عليها الرحل ، فنهضت به مسرعة ، تنحرف عن ظهر الطريق تارة ، وتعود تارة أُخرى للرشاد .

---

(١) الاغانى ٢ : ١٠٦ ـ ١٤٦

(٢) ولى المغيرة الكوفة سنة ٤١ هـ وتوفى سنة ٥٠.

٥ ـ وَأَجْرَدَ مِنْ فُحُولِ ٱلْخَيْلِ طِرْفٍ ‌ ‌ كَأَنَّ عَلَى شَوَاكِلِهِ دِهَانَا
٦ ـ وَيَحْمِي ٱلْحَيَّ أَرْعَنُ ذُو دُرُوعٍ ‌ ‌ مِنَ ٱلسُّلَّافِ تَحْسَبُهُ إِوَانَا
٧ ـ فَلَا وَأَبِيكَ لَا نُعْطِيكَ مِنْهَا ‌ ‌ طِوَالَ حَيَاتِنَا إِلَّا سِنَانَا
٨ ـ وَإِلَّا كُلَّ أَسْمَرَ وَهْوَ صَدْقٌ ‌ ‌ كَأَنَّ ٱللِّيطَ أَنْبَتَ خَيْزُرَانَا
٩ ـ وَإِلَّا كُلَّ ذِي شُطَبٍ صَقِيلٍ ‌ ‌ يَقُدُّ إِذَا عَلَا ٱلْعُنُقَ ٱلْجِرَانَا
١٠ ـ أَكَبَّ عَلَيْهِ مِصْقَلَتَيْهِ يَوْمًا ‌ ‌ أَبُو عَجْلَانَ يَشْحَذُهُ فَتَانَا
١١ ـ فَظَلَّ عَلَيْهِ يَرْشَحُ عَارِضَاهُ ‌ ‌ يَحُدُّ ٱلشَّفْرَتَيْنِ فَمَا أَلَانَا
١٢ ـ وَلَا نُعْطِي ٱلْمُنَى قَوْمًا عَلَيْنَا ‌ ‌ كَمَا لَيْسَ ٱلْأُمُورُ عَلَى مُنَانَا
١٣ ـ وَلَا كُشُفٌ فَنَسْأَمَ حَرْبَ قَوْمٍ ‌ ‌ إِذَا أَزِمَتْ رَحًى لَهُمُ رَحَانَا
١٤ ـ يَسُوقُ لَنَا قِلَابَةَ عَبْدُ عَمْرٍو ‌ ‌ لِيَرْمِيَنَا بِهِمْ فِيمَنْ رَمَانَا
١٥ ـ وَلَوْ نَظَرُوا الصَّبَاحَ إِذًا لَذَاقُوا ‌ ‌ بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَا قِرَانَا
١٦ ـ وَإِنَّا بِالصُّلَيْبِ وَبَطْنِ فَلْجٍ ‌ ‌ جَمِيعًا وَاضِعِينَ بِهَا لَظَانَا
١٧ ـ نُدَخِّنُ بِالنَّهَارِ لِتُبْصِرِينَا ‌ ‌ وَلَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ بَغَانَا
١٨ ـ فَإِنْ يَحْتَفْ أَبُو عِمْرَانَ عَنَّا ‌ ‌ فَإِنَّا وَالثَّوَاقِبِ لَوْ رَآنَا
١٩ ـ لَقَالَ ٱلْمُعْوِلَاتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ‌ ‌ لَقَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ وَحَانَا

(٥ ـ ٨) الطرف الكريم من الخيل . الشاكلة الخصر . الأرعن الجيش الذي يضطرب لكثرته . سلاف العسكر مقدمته . الأوان بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه ، (وهو فارسي معرب) . الليطة شجرة يصنع منها القوس والقناة . الصدق الصلب المستوي من الرماح .

(٩ ـ ١٢) الشطبة (بضم الشين) طريقة السيف في صفحته وتموج بريقه . الجران مقدم العنق . المصقلة ما يجلى به السيف ويكشف صداه . فتانا بدل من (أبو عجلان) . العارض صفحة الخد . شفرة السيف حده .

(١٣ ـ ١٦) كشف جمع اكشف وهو الذي لاترس معه في الحرب . ازمه عضه . وازم عليهم الدهر اشتد . نظروا انتظروا . الصباح يوم الغارة . القرى اكرام الضيف ، وهو يقصد هنا النكاية بالعدو . اللظى النار أو لهيبها .

(١٧ ـ ١٩) يحتفي يستخبر ، حفي عنه اكثر السؤال عن حاله . الثواقب النجوم ، شهاب ثاقب ونجم ثاقب شديد الاضاءة ، المعولات النادبات يعولن ، والعويل البكاء .

وَقَالَ يَمْدَحُ النُّعْمَانَ بنَ المُنْذِرِ :

(طويل)

١ - أَتَرْحَلُ مِنْ لَيْلَى وَلَمَّا تَزَوَّدِ وَكُنْتَ كَمَنْ قَضَّى اللُّبَانَةَ مِنْ دَدِ

٢ - أَرَى سَفَهًا بِالْمَرْءِ تَعْلِيقَ لُبِّهِ بِغَانِيَةٍ خَوْدٍ مَتَى تَدْنُ تَبْعَدِ

٣ - أَتَنْسَيْنَ أَيَّامًا لَنَا بِدُحَيْضَةٍ وَأَيَّامَنَا بَيْنَ الْبَدِيِّ فَثَهْمَدِ

٤ - وَبَيْدَاءَ تِيهٍ يَلْعَبُ الْآلُ فَوْقَهَا إِذَا مَا جَرَى كَالرَّازِقِيِّ الْمُعَضَّدِ

٥ - قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ شِمِلَّةٍ مَرُوحِ السُّرَى وَالْغِبِّ مِنْ كُلِّ مَسْأَدِ

٦ - بَنَاهَا السَّوَادِيُّ الرَّضِيخُ مَعَ الْخَلَى وَسَقْيِي وَإِطْعَامِي الشَّعِيرَ بِمِحْفَدِ

٧ - لَدَى ابْنِ يَزِيدٍ أَوْ لَدَى ابْنِ مُعَرِّفٍ يَفُتُّ لَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا بِمِقْلَدِ

٨ - فَأَضْحَتْ كَبُنْيَانِ التِّهَامِيِّ شَادَهُ بِطِينٍ وَجَيَّارٍ وَكِلْسٍ وَقَرْمَدِ

٩ - فَلَمَّا غَدَا يَوْمُ الرُّقَادِ وَعِنْدَهُ عَتَادٌ لِذِي هَمٍّ لِمَنْ كَانَ يَغْتَدِي

١٠ - شَدَدْتُ عَلَيْهَا كُورَهَا فَتَشَدَّدَتْ تَجُورُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَتَهْتَدِي

١١ - ثَلَاثًا وَشَهْرًا ثُمَّ صَارَتْ رَذِيَّةً طَلِيحَ سِفَارٍ كَالسِّلَاحِ الْمُفَرَّدِ

١٢ - إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا إِلَى الْمَاجِدِ الْفَرْعِ الْجَوَادِ الْمُحَمَّدِ

١٣ - إِلَى مَلِكٍ لَا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ خَرُوجٍ تَرُوكٍ لِلْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ

١٤ - طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ نِيَامَ الْقَطَا بِاللَّيْلِ فِي كُلِّ مَهْجَدِ

(١ — ٣) الدد والددن اللهو . الخود الشابة الحسنة المظهر الناعمة .

(٤ — ٦) الآل السراب . الرازقى ثوب أبيض من الكتان . المعضد ثوب مخطط فى موضع العضد . الصهبة حمرة مشربة بالسواد . سراة كل شىء خياره . شملة ومروح بمعنى واحد وهى النشيطة . غب كل شىء عقيبة وما يليه . الاسآد سير الليل كله . السوادى النوى . الرضيخ فعيل بمعنى مفعول من رضخه اى دقه بالرضخة . الخلى الحشيش . المحفد شىء تعلف به الدواب ، وقدح يكال به .

(٧ — ٩) فت الشىء وفتته دقة وكسره بالأصابع . المقلد الوعاء والمخلاة . الكلس الحجارة . القرمد الآجر (وهو معرب) . الهم ما يشغل البال . يغتدى ينطلق فى الغداة وهو الصباح المبكر .

(١٠ — ١٢) تجور تنحرف عن الجادة أى الطريق . الرذية الناقة المهزولة من السير ، وكذلك الطليح . المفرد الذى لانظير له . المحمد المحمود .

(١٣ — ١٤) همه ما يشغل باله وما يدبره من كبار الأمور . الفراش الممهد اللين الوثير . نجاد السيف حمائله ، يكنى بطوله عن طول قامته . القطا طائر فى حجم الحمام .

١١ – وظلت تدمن السير شهرًا كاملا وثلاثة أيام ، حتى هزلت وأعيتها الأسفار ، وذهب كل صحبها فبقيت هى وحدها كالسيف الفريد .

ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه قائلا :

١٢ – إليك – أَبَيْتَ اللعن – كان هزالها وإعياؤها ، إلى ماجد الأصل الكريم المحمود الخصال .

١٣ – إلى ملك لا يعوقه الليل عما هم به من أمر ، ولا يحول دون إنفاذه ، فهو كثير الخروج فيه ، كثير الهجر لفراشه الناعم الوثير .

١٤ – تتدلى على قامته المديدة علائق سيفه الطويلة ، ويثير قطا الصحراء الراقدةَ فى مكامنها .

١٥ – إذا كشفت الحرب عن أنيابها لم تجدك وانيًا ولا نعَّاسًا على مراصدها ومسالكها .

١٦ – ولكن توقدها وتصطلى نارها ، إذا بعثوك لها أوسعتها حطبًا ، وأشعلتها غير متوان .

١٧ – وإنى أقسم بالذى تحج إليه قريش ، لقد كدت أعداءك كيد رجل غير دعى ولا ضعيف .

١٨ – كدتهم جميعًا غير معتد ولا ظالم ، ووطئتهم وطأ البعير المقيد الذى يدوس بكلتا يديه

١٩ – بكتيبة مجتمعة مضمومة ، لا تبلغ مداها العين ، وخيل وأرماح ، وجنود مؤيدة بروحك وقوتك .

٢٠ – رابطى الجأش ، حين يتعالى صوت المستغيث ، ويجمد الناس من شدة الفزع حتى لكأن نعام الصحراء المجفل النفور قد باض عليهم ، حين خيل إليه لثباتهم أنهم جماد .

ويشبه الشاعر ممدوحه بالأسد . ثم ينصرف إلى إبراز صورة هذا الأسد وتصوير شجاعته ، حتى إذا أرضى نفسه من ذلك ، عاد فقال إن ممدوحه لا يقل جرأة عن مثل هذا الأسد . وهذا أسلوب جاهلى معروف ، أكثر ما نجده فى شعر الناقة . وقد تقدمت له أمثلة كثيرة فيما مضى من شعر فى هذا الديوان . يقول الأعشى :

٢١ – وليس الأسد فى خدره ، وكأن جبينه قد طُلِىَ بصبغ (الوَرْس) الأصفر ، أو ضُمِّخ بالزعفران .

٢٢ – تراكم عليه بعوض (القَرْيَتَين) ، حتى أصبح جبينه كثوب القطيفة المخمَّل ، كلما آذته بلدغها ضاق صدره وثار .

٢٣ – كأن ثياب القوم من حول عرينه ، وقد تمزقت فلم يبق منها إلا قطع متناثرة ، سراويل الملاحين القصيرة ، قد ألقيت إلى جنب نبات استوى على سوقه جافا وقد بلغ الحصاد .

١٥ - فَمَا وَجَدَتْكَ ٱلْحَرْبُ إِذْ فَرَّ نَابُهَا ... عَلَى ٱلْأَمْرِ نَعَّاسًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ
١٦ - وَلٰكِنْ يَشُبُّ ٱلْحَرْبَ أَدْنَى صَلَاتِهَا ... إِذَا حَرَّكُوهُ حَشَّهَا غَيْرَ مُبْرِدِ
١٧ - لَعَمْرُ ٱلَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ قَطِينَهُ ... لَقَدْ كِدْتَهُمْ كَيْدَ ٱمْرِئٍ غَيْرِ مُسْنَدِ
١٨ - أُولَى وَأُولَى كُلٌّ فَلَسْتَ بِظَالِمٍ ... وَطِئْتَهُمُ وَطْءَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُقَيَّدِ
١٩ - بِمَلْمُومَةٍ لَا يَنْفُضُ ٱلطَّرْفُ عَرْضَهَا ... وَخَيْلٍ وَأَرْمَاحٍ وَجُنْدٍ مُؤَيَّدِ
٢٠ - كَأَنَّ نَعَامَ ٱلدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمُ ... إِذَا رِيعَ شَتَّى لِلصَّرِيخِ ٱلْمُنَدَّدِ
٢١ - فَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ ... يُطَلَّى بِوَرْسٍ أَوْ يُطَانُ بِمُجْسَدِ
٢٢ - كَسَتْهُ بَعُوضُ ٱلْقَرْيَتَيْنِ قَطِيفَةً ... مَتَى مَا تَنَلْ مِنْ جِلْدِهِ يَتَزَنَّدِ
٢٣ - كَأَنَّ ثِيَابَ ٱلْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ ... تَبَابِينُ أَنْبَاطٍ إِلَى جَنْبِ مُحْصَدِ
٢٤ - رَأَى ضَوْءَ نَارٍ بَعْدَ مَا طَافَ طَوْفَةً ... يُضِيءُ سَنَاهَا بَيْنَ أَثْلٍ وَغَرْقَدِ
٢٥ - فَيَا فَرَحَا بِٱلنَّارِ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا ... إِلَيْهِمْ وَإِضْرَامِ ٱلسَّعِيرِ ٱلْمُوَقَّدِ
٢٦ - فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِمْ ... وَطَارُوا سِرَاعًا بِٱلسِّلَاحِ ٱلْمُعَتَّدِ
٢٧ - أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ ٱلْحَيَاةِ فَأَدْبَرُوا ... وَمَرْجَاةُ نَفْسِ ٱلْمَرْءِ مَا فِي غَدٍ غَدِ
٢٨ - فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يُلَاقِيَ رَهِينَةً ... قَلِيلَ ٱلْمَسَاكِ عِنْدَهُ غَيْرَ مُفْتَدِي

(١٥ — ١٨) فر الدابة فتح فاها وكشف عن أسنانها ليعرف سنها . المرصد اسم مكان من رصد . رصده قعد له على طريقه وراقبه . (ادنى صلاتها) حال من الفاعل المستتر فى (يشب) . شب النار اوقدها . صلى النار (كعلم) قاسى حرها . حش النار حركها . مبرد اسم فاعل من أبرد الشيء اى برده ، يعنى انه لايدعها تطفأ . يقال لاهل مكة قطين الله . والقطين القاطن . والانسب هنا أن تكون قطين بمعنى المقطون ودار الاقامة . المسند الدعى . البعير المقيد اثقل وطأ لأنه يطأ بكلتا رجليه .

(١٩ — ٢١) كتيبة ملمومة مجتمعة مضموم بعضها الى بعض . نفض المكان نظر جميع ماليه حتى يعرفه . مؤيد قوى يؤيده الممدوح اى يقويه الدو المفازة والصحراء . ريع من راعه أى أفزعه . شتى متفرقون . الصريخ المغيث والناصر وهو كذلك المستغيث ، من الاضداد . ندد صوته رفعه . مخدر أسد فى خدره اى عرينه . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع فى اليمن ويصبغ به . ثوب مجسد مصبوغ بالزعفران . والجسد الزعفران . يطان يطلى .

(٢٢ — ٢٥) القريتان مكة والطائف . القطيفة نوع معروف من النسيج له وبر . تزند غضب وضاق صدره . التبان سراويل صغيرة يلبسه الملاحون والمصارعون (فارسى معرب) . النبط جيل كان يسكن العراق ، سموا بذلك لكثرة الماء فى ارضهم . محصد زرع حان حصاده ، اسم مفعول من أحصد الزرع حان حصاده ، الاثل والغرقد شجرتان . السعير النار .

(٢٦ — ٢٨) دنيا مؤنث ادنى من الدنو وهو القرب . الركاب الابل ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . المعتد أى المعد من عتد (بتشديد التاء) اى أعد وهيأ . اتيح له الامر هيىء وقدر . ما فى غد هو خبر المبتدأ (مرجاة) . غد الثانية توكيد للاولى ، اى ان رجاءهم لما فى الغد قد حملهم على الفرار . الرهينة الاسير . المساك الاحتباس والثبات والاعتصام .

٢٤ ـ ظل يطوف باحثًا عن فريسة ، حتى رأى نارًا يلمع ضوؤها ، وقد استعرت فى خشب (الأَثْل) و (الغَرْقَد) .

٢٥ ـ ففرح بها إذ هدته إلى موضع القوم ودلته على مكانهم .

٢٦ ـ فلما رأوه وقد بلغ أقرب ركابهم ، وفزعوا إلى أسلحتهم وعتادهم مسرعين .

٢٧ ـ عاودهم التعلق بالحياة فتراجعوا مدبرين ، وثناهم ما يداعب نفوس الناس فى غدهم من آمال .

٢٨ ـ ولكنه عاجلهم باختطاف أحدهم ، واحتجزه عنده رهينة قليلة البقاء ، لا تُفْدَى بمال

٢٩ ـ ولم يكد يصرخ مستغيثاً بأصحابه إلا صرخة واحدة ، ثم كان الذى لا يسمعون له بعده صوتاً ولا استغاثة .

ويعود الشاعر بعد هذا التفصيل الطويل فى وصف الأسد وجرأته ليقول :

٣٠ ـ ليس مثل هذا الأسد بأصدق منك بأساً ونجدة ، إذا اشتد الحرج فنكص الأبطال هاربين .

٣١ ـ وليس النهر الفياض الذى يمد بمائه الجداول فى (صَغْنَبَى) ، وقد مُهِّدت لمورده المسالك والطرقات .

٣٢ ـ يروى (النبيطُ) الزُّرْقُ ديارَهم من نواحيه ، وقد مدوا إليها القنوات فاجتمع فيها الماءُ .

٣٣ ـ بأجود منه بالعطاء ، حين يذود بعض الناس عن ماله بكاذب الوعود وهى هباء .

٣٤ ـ يهب الإبل البيضاءَ . ضخمةً كأنها النخيل ، والجيادَ الملساءَ ، طويلةَ الظهور كأنها الرماح ، بين مستحدَث أفاءته عليه الحروب والغارات ، وقديمٍ ورثه عن آبائه السادات .

ويختم الشاعر قصيدته بالاعتذار إلى النعمان عن إقلاله من زيارته ، لضعف بصره أو ذهابه ـ ونحن نعلم أن الأعشى فقد بصره فى آخر أيامه ـ فيقول :

٣٥ ـ فلا تحسبني جاحدًا لفضلك ونعمتك على ، وإنى أُشْهِدُ اللهَ والحاضرين على صدق ما أقول .

٣٦ ـ ولكن مثلى ممن لا تبصر عينه الأرض ولا يستطيع أن يميز الطريق ، يحتاج إلى الذى يصاحبه ويؤنس وحدته من صديق أو رفيق .

٢٩ ـ فَأَسْمَعَ أُولَى الدَّعْوَتَيْنِ صِحَابَةً ... وَكَانَ الَّتِى لَا يَسْمَعُونَ لَهَا قَدِ
٣٠ ـ بِأَصْدَقَ بَأْسًا مِنْكَ يَوْمًا وَنَجْدَةً ... إِذَا خَامَتِ ٱلْأَبْطَالُ فِى كُلِّ مَشْهَدِ
٣١ ـ وَمَا فَلَجٌ يَسْقِى جَدَاوِلَ صَعْنَبَى ... لَهُ شَرَعٌ سَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ
٣٢ ـ وَيُرْوِى النَّبِيطُ الزُّرْقُ مِنْ حَجَرَاتِهِ ... دِيَارًا تُرَوَّى بِٱلْأَتِىِّ ٱلْمُعَمَّدِ
٣٣ ـ بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ ... كَفَى مَالَهُ بِٱسْمِ ٱلْعَطَاءِ ٱلْمُوَعَّدِ
٣٤ ـ تَرَى ٱلْأُدْمَ كَٱلْجَبَّارِ وَٱلْجُرْدَ كَٱلْقَنَا ... مُوَهَّبَةً مِنْ طَارِفٍ وَمُتَلَّدِ
٣٥ ـ فَلَا تَحْسَبَنِّى كَافِرًا لَكَ نِعْمَةً ... عَلَىَّ شَهِيدٌ شَاهِدُ ٱللهِ فَٱشْهَدِ
٣٦ ـ وَلٰكِنَّ مَنْ لَا يُبْصِرُ ٱلْأَرْضَ طَرْفُهُ ... مَتَى مَا يُشِعْهُ الصَّحْبُ لَا يَتَوَحَّدِ

(٢٩ — ٣١) أسمع اولى الدعوتين صاح صيحة واحدة ثم لم يمهله الاسد ليصيح صيحة ثانية . قد اسم فعل بمعنى يكفى ، وهى تستعمل على وجهين :

(ا) مرادفة لحسب نحو قد زيد درهم اى حسبه . وقدى اى حسبى .

(ب) اسم فعل بمعنى يكفى او كفى وينصب بعدها الاسم نحو قد زيدا درهم اى حسبه ، وقدنى درهم اى يكفينى . وقد يقال قدى بدون نون . الباس القوة . النجدة اغاثة المستغيث . خام نكص وجبن . المشهد يقصد به القتال . الفلج والجدول النهر الصغير . صعنبى موضع باليمامة . الشرع الطريق الى الماء . المورد موضع الورود على الماء .

(٣٢ — ٣٣) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العــراقيين ، ويستعمل فى اخلاط الناس وعوامهم . الزرق يقصد الزرق العيون لانهم ليسوا عربا . حجراته نواحيه . الاتى جدول تؤتيه الى ارضك . المعمد من عمد السيل اذا سد وجهه بتراب ونحوه حتى يجتمع فى موضع . العطاء الموعد اى الذى يظل وعدا ولا ينفذه صاحبه ولا يفى به .

(٣٤ — ٣٦) الادم جمع آدم وهو من الابل لون مشرب سوادا او بياضا او هو البياض الواضح ، من الاضداد . الجبار النخلة الطويلة . الجرد الخيول . كالقنا طويلة الظهــور كالرماح . طارف مستحدث من الغنائم . متلد قديم . من لا يبصر الارض طرفه ، ذلك لان الاعشى عمى فى آخر ايامه . اشاعه الصحب كانوا له شيعة ورفيقا . توحد تفرد . لايتوحد اى لايستوحش بوحدته .

هذه هى القصيدة الثانية فى مدح اياس بن قبيصة الطائى . وقد مضت ترجمة اياس فى القصيدة الاولى (٢١) .

يقول الأعشى :

١ ــ وقفت اليوم عند ديار (تيّا) فى (جو) ، فاهتديت إلى منزلها ، وإلى عيدان الشجر المسقوفة التى كانت تستظل بها من الحر .

٢ ــ فهيجت الآثار الحنين فى قلب حزين مكروب ، فأرسل دمعه يجرى غزيرًا فوق هذه الأطلال .

٣ ــ وغنت الحمامة فى (قرماء) تدعو أليفها ، وقد فترت الحرارة حين بدأت السحب فى التجمع ، فهاجت أشواقك للحبيب .

٤ ــ ومن عجب أن يشتاق مثلك من آثار ذهبت وانمحت ، فلم يبق منها إلا يابس الحشائش ، وإلا ما كانت تسد به الفتحات والثقوب من خوص (الثمام) .

٥ ــ تعيبنى (قُتَيْلة) ــ وإن كانت هى نفسها لا تخلو من عيب ــ فتقول حين رأتنى :

٦ ــ أراك كبرت ، وتغير خلقك عما عهدت ، فانصرفت عن الخمر والنساء .

٧ ــ فإن يك شعر صدغى قد شاب يا (قَتْل) ، وأضحت رأسى وكأن نور (الثَّغَام) الأبيض قد نُثِر فوق مفرقها .

٨ ــ وعاد باطلى إلى القصد والاعتدال ، وصحوت من سكرة الغواية حتى كأن لم أكن غلاما عابثا فى يوم من الأيام .

٩ ــ فإن دوران الزمن وتتابع أحداثه الجسام ، تفنى السيف الصلب الحسام .

* * * *

١٠ ــ ولقد تحل بى الهموم وتثقل علىّ ضيافتها ، فأطعمها ناقة شديدة مكتنزة اللحم ، قد ادُّخرت للرحلة ومنع عنها الفحول فهى عقام .

١١ ــ يتجافى مرفقها المفتول عن إبطها ، وتسمع لسيور الرحل حين تحز فى هيكلها الضخم أطيطا كأنه صوت الرماح فى يد الذى يلينها ويقومها على النار .

١٢ ــ إذا رُعْتها بالزجر هبت مسرعة ، لها فى جريها حفيف كحفيف ذكر النعام حين ينشر جناحيه مطاردا أنثاه .

وقال يمدح إيَاسَ بْنَ قبيصةَ الطَّائِى :

(وافر)

١ ـ عَرَفْتَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَيَّا مُقَامَا … بِجَوٍّ أَوْ عَرَفْتَ لَهَا خِيَامَا

٢ ـ فَهَاجَتْ شَوْقَ مَحْزُونٍ طَرُوبٍ … فَأَسْبَلَ دَمْعَهُ فِيهَا سِجَامَا

٣ ـ وَيَوْمَ ٱلْخَرْجِ مِنْ قَرْمَاءَ هَاجَتْ … صِبَاكَ حَمَامَةٌ تَدْعُو حَمَامَا

٤ ـ وَهَلْ يَشْتَاقُ مِثْلُكَ مِنْ رُسُومٍ … عَفَتْ إِلَّا ٱلأَيَاصِرَ وَالثُّمَامَا

٥ ـ وَقَدْ قَالَتْ قُتَيْلَةُ إِذْ رَأَتْنِى … وَقَدْ لَا تَعْدَمُ ٱلْحَسْنَاءُ ذَامَا

٦ ـ أَرَاكَ كَبِرْتَ وَاسْتَحْدَثْتَ خُلْقًا … وَوَدَّعْتَ ٱلْكَوَاعِبَ وَٱلْمُدَامَا

٧ ـ فَإِنْ تَكُ لِمَّتِى يَا قَتْلُ أَضْحَتْ … كَأَنَّ عَلَى مَفَارِقِهَا ثَغَامَا

٨ ـ وَأَقْصَرَ بَاطِلِى وَصَحَوْتُ حَتَّى … كَأَنْ لَمْ أَجْرِ فِى دَدَنٍ غُلَامَا

٩ ـ فَإِنَّ دَوَائِرَ ٱلأَيَّامِ يُفْنِى … تَتَابُعُ وَقْعِهَا الذَّكَرَ ٱلْحُسَامَا

١٠ ـ وَقَدْ أَقْرِى ٱلْهُمُومَ إِذَا ٱعْتَرَتْنِى … عُذَافِرَةً مُضَبَّرَةً عُقَامَا

١١ ـ مُفَرَّجَةً يَئِطُّ النِّسْعُ فِيهَا … أَطِيطَ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ أَنْ تُقَامَا

١٢ ـ إِذَا مَا رُعْتَهَا بِالزَّجْرِ أَجَّتْ … أَجِيجَ مُصَلَّمٍ يَزْفِى نَعَامَا

(١ — ٣) تيا اسم اشارة لصغير لى . الخيمة بيت يبنى من عيدان الشجر ويلقى عليه ثمام ويتبرد به فى الحر . والثمام نبت ضعيف له خوص . هاجت حركت وأثارت . طروب حزين وهو من الأضداد . انسجم الدمع سال . الخرج السحاب اول ماينشأ . قرماء موضع باليمامة . الصبا الشوق .

(٤ — ٦) الأيصر والأصار الحشيش . الثمام نبت ضعيف له ورق شبيه بالخوص تسد به خصائص البيوت . الذام العيب . هذا مثل عربى له قصة ذكرها الميدانى فى كتابه « مجمع الأمثال » يقصد به أن الحسناء — مهما يبد من كمالها — لاتخلو من نقص يعيبها .

(٧ — ٩) اللمة الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغ المنكبين فهو جمة (بضم الجيم) . المفرق وسط الراس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر . الثغام نبت له نور ابيض يشبه به الشيب . أقصر من الأمر انتهى وكف . الددن اللهو . الذكر السيف الصارم . الحسام القاطع الذى يحسم اى يقطع .

(١٠ — ١٢) قرى الضيف أضافه وأطعمه . اعتراه حل به . عذافرة ناقة شديدة . مضبرة مجتمعة . عقام بازل شديدة ، أو لم يولد لها ، والولادة تضعفها وتذهب بقوتها . مفرجة بعد مرفقها عن ابطها لامتلائه . الأطيط صوت الرحل . النسع السير الذى يشد به الرحل الى بطن الناقة . السمهرية الرماح . تقام يقوم اعوجاجها على النار . راعها افزعها . أجت عدت وكان لها حفيف فى عدوها . المصلم المقطوع الأذنين وهو النعام . زفى الظليم نشر جناحيه ، وزفت الريح السحاب طردته .

١٣ – تشق الليل وبرد الصباح ، بعنقها الطويل الكثير الحركة إذ يضطرب فيه الزمام .

١٤ – ويملأ هيكلها الضخم – وكأنه هيكل الفحل المكرم الذى أُدُّخِر للضِّراب – سيورَ الرحل ، حتى ماتتحرك فوقه ،وتسرع حين يقوم قائم الظهيرة ويركد الحر ويصوم النهار .

١٥ – إذافتر صحبهامن النوق الآئمات ،تحاملت على ماتعانى من آلام ،تطوى الطريق وتجترع الآكام .

١٦ – ولقد أُبادر صحبى من الشاربين بالراح فى الصباح ، من دَنٍّ أسود ضخم عتيق .

١٧ – من نادر الخمر ، التى اجتُلِبت من مواطنها محمولة فوق النوق والدواب ، تنفذ رائحتها القوية إلى الأنف وكأنها ريح المسك ، فتستل الزكام .

١٨ – إذا مُزِجت بالماء ، بدا سطحها – بعد أن يذهب زبده – متوهجًا براقًا ، كأنما صبت الشمس فوقه قطعًا من شعاعها .

١٩ – ظل تاجرها فى (عانات) شهرًا يختارها وينتقيها ، ثم حبسها عنده ، يرجِّى ما يعود عليه منها عاماً بعد عام .

٢٠ – كان يعلق عليها الآمال ،ويرجو أن يصيب بها الثراء ،فأغلق دونها يساوم فى ثمنها ،مغاليافى السِّوام

٢١ – فوفيناه ما طلب ولم نبخل عليه به . فلمثلها كنا نهين الإبل . فنشربها بأثمانها .

٢٢ – إذا فت الخمَّار عن فمِ دنها السداد . انبعث ضوؤها كشعاع الشمس الوهاج .

٢٣ – ولكم خلوت ليلة كاملة بمضاجعة بيضاء المعاصم صاحبة لهو لعوب .

وبعد هذا الحديث الطويل ، الذى تنقل فيه الشاعر بين ذكريات شبابه ، ينتقل فجأة ، وبغير تقديم ، إلى المدح . فيتجه بالخطاب إلى بعض أعداء ممدوحه ، أو بعض رعيته ممن كان يلى عليهم . وكأنه كان مريضًا ، فجرأهم مرضه عليه . فهو يقول لهم إنه جدير أن ينكل بهم إن أبلَّ من مرضه .

٢٤ – إنى أقسم لكم بمن قتل من رجالكم فى (رأس العين) ، لئن قام من فراشه ونفض عنه السقام .

٢٥ – وذلك قريب غير بعيد – ثم اجتمعت إليه الجموع من جيوشه ، ليسعينَّ إليكم فى دياركم حتى يروم ما لا يرام .

١٣ – تَشُقُّ اللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا　　بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يُشْرِى الزِّمَامَا
١٤ – وَتَقْتَالُ النُّسُوعَ بِجَوْزِ قَرْمٍ　　مُوَاشِكَةً إِذَا مَا الْيَوْمُ صَامَا
١٥ – إِذَا مَا الْآثِمَاتُ وَنَيْنَ حَطَّتْ　　عَلَى الْعِلَّاتِ تَجْتَزِعُ الْإِكَامَا
١٦ – وَأَدْكَنَ عَاتِقٍ جَحْلٍ سِبَحْلٍ　　صَبَحْتُ بِرَاحِهِ شَرْبًا كِرَامَا
١٧ – مِنَ اللَّاتِى حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا　　كَرِيحِ الْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا
١٨ – مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ عَلَى قَرَاهَا　　إِذَا مَا صَرَّحَتْ قِطَعًا سَهَامَا
١٩ – تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا　　وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا
٢٠ – يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً　　فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا
٢١ – فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا　　نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا
٢٢ – كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا　　إِذَا مَا فَتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا
٢٣ – وَبَيْضَاءِ الْمَعَاصِمِ إِلْفِ لَهْوٍ　　خَلَوْتُ بِشَكْرِهَا لَيْلًا تَمَامَا
٢٤ – حَلَفْتُ لَكُمْ عَلَى مَا قَدْ نَعَيْتُمْ　　بِرَأْسِ الْعَيْنِ إِنْ نَفَضَ السَّقَامَا
٢٥ – وَشِيكًا ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ جَمْعٌ　　لَيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ إِلَى مَا

(١٣ — ١٥) السبرة الغداة الباردة . اتلع عنق طويل . ساطع مرتفع . اشرى الزمام حركه . اقتال عليه احتكم . النسوع السيور التى يشد بها الرحل . جوز الشىء وسطه . القرم الفحل الذى لم يمسه حبل ولم يحمل عليه وترك للنسل . مواشكة سريعة . صام النهار قام قائم الظهيرة واشتد حره ، واصل الصوم الامساك والسكون . الآثمات التى لا تصدق السير . حط انحدر من أعلى الى أسفل ، وحط البعير اعتمد فى الزمام على أحد شقيه . العلة المرض ، والعلات الحالات المختلفة . الاكام المرتفعات .

(١٦ — ١٨) أدكن هو الدن لأنه يطلى بالقطران لتسد مسامه فلا يرشح ما فيه من الخمر . عاتق قديم . الجحل السقاء العظيم . سبحل ضخم . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . الروايا جمع رواية وهو البعير او البغل او الحمار الذى يستقى عليه . المشعشعة الخمر التى ارق مزجها . القرى الظهر . صرحت ذهب زبدها . السهام (بفتح السين) مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس ، شىء تراه كأنه ينحدر من السماء اذا حميت الظهيرة وقام قائمها .

(١٩ — ٢١) عانات بلد بالشام . أولها ما يؤول اليه اى يعود عليه من ربحها . ساوم بالسلعة وعليها غالى بها سواما . السوام (بفتح السين) الابل الراعية .

(٢٢ — ٢٥) قرن الشمس أول شعاعها او هو اول ما يبدو عند طلوعها . الف لهو معتادة ذلك . الشكر (بفتح الشين) النكاح والفرج نعاه أخبر بموته . يقسم لهم بهزيمتهم فى ذلك اليوم . وشيكا سريعا . ثاب رجع . الى ما ، يوم ما او شىء ما او الى ما قد كان .

٢٦ – ليسعين إلى دياركم بجيش عظيم يثير الغبار كثيفاً مظلماً فوق الفيافى والقفار .

٢٧ – جيش عريض تضيق به أرجاءُ الصحراء ، يستنفد أوله الموارد الغزيرة الماء ، قبل أن يبلغها آخره من الظِّماء .

٢٨ – يحمل إليكم الموت ، يتقدمه (إياس) راكبا فرسا جرداء ، يملأُ جنباها العظيمان حزام السرج .

٢٩ – تبارى ظل رمح مستقيم مفتول – وكأنّها تريد أن تسبقه – مرن فى يد الفارس الذى يركبها ، إذا هزّه ارتعش متذبذبا ثم استقام .

٣٠ – أخو نجدة يخف للمستغيث ، صبور إذا مسه الضر لا يرزح تحته ، وقور إذا دام عليه الخير لا يستخفه ولا يزدهيه .

٣١ – يقسم أيامه بين اللهو والحرب ، فيوم للعاب الغوانى ويوم لركوب الأهوال العظام .

٣٢ – مشرق الوجه ، يكشف الشدائد الجسام ، ويجلو ضوءُ طلعته الظلام .

٣٣ – إذا بَلِيَتْ قوى العاجز المستضام ، والتذَّ لِينَ الفراش فنام .

٣٤ – كفاه (إياس) الحرب إذ هاجت بعد سكون ، وخفَّ عن الوسائد فقام .

٣٥ – إذا سار نحو بلاد قوم ، حمل إليهم الموت الزؤام .

٣٦ – تعود جياده من الغارة آخر النهار كأنّها الغيلان ، تتفتت تحت وقع حوافرها الصلبة الصخور .

٣٧ – وهو قائم فوقها ، ممشوق القد ، ماضى العزم ، كأنه السيف الصقيل يهتز مشهورا فى يد الفارس المغوار .

٢٦ - لَيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ بِمَجْرٍ ... يُثِيرُ بِكُلِّ بَلْقَعَةٍ قَتَامَا

٢٧ - عَرِيضٍ تَعْجِزُ الصَّحْرَاءُ عَنْهُ ... وَيَشْرَبُ قَبْلَ آخِرِهِ الْجِمَامَا

٢٨ - يَقُودُ الْمَوْتَ يَهْدِيهِ إِيَاسٌ ... عَلَى جَرْدَاءَ تَسْتَوْفِي الْحِزَامَا

٢٩ - تُبَارِي ظِلَّ مُطَّرِدٍ مُمَرٍّ ... إِذَا مَا هُزَّ أُرْعِشَ وَاسْتَقَامَا

٣٠ - أَخُو النَّجَدَاتِ لَا يَكْبُو لِضُرٍّ ... وَلَا مَرِحٌ إِذَا مَا الْخَيْرُ دَامَا

٣١ - لَهُ يَوْمَانِ يَوْمُ لِعَابِ خَوْدٍ ... وَيَوْمٌ يَسْتَمِي الْقُحَمَ الْعِظَامَا

٣٢ - مُنِيرٌ يَحْسُرُ الْغَمَرَاتِ عَنْهُ ... وَيَجْلُو ضَوْءُ غُرَّتِهِ الظَّلَامَا

٣٣ - إِذَا مَا عَاجِزٌ رَثَّتْ قُوَاهُ ... رَأَى وَطْءَ الْفِرَاشِ لَهُ فَنَامَا

٣٤ - كَفَاهُ الْحَرْبَ إِذْ لَقِحَتْ إِيَاسٌ ... فَأَعْلَى عَنْ نَمَارِقِهِ فَقَامَا

٣٥ - إِذَا مَا سَارَ نَحْوَ بِلَادِ قَوْمٍ ... أَزَارَهُمُ الْمَنِيَّةَ وَالْحِمَامَا

٣٦ - تَرُوحُ جِيَادُهُ مِثْلَ السَّعَالِي ... حَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضِمُ السِّلَامَا

٣٧ - كَصَدْرِ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ صِقَالٌ ... إِذَا مَا هُزَّ مَشْهُورًا حُسَامَا

(٢٦ — ٢٨) المجر الجيش العظيم . البلقعة الارض القفر التى لا شىء فيها . القتام الغبار الأسود . تعجز الصحراء عنه من كثرته . الجمام جمع جم (بفتح الجيم) وهو الكثير من كل شىء . يهديه يرشده ويقوده .

(٢٩ — ٣١) مطرد رمح مستقيم . ممر صلب مفتول . كبا يكبو انكب على وجهه . الضر (بضم الضاد وفتحها) سوء الحال والشدة . الخود الشابة المنعمة . يستمى يطلب . القحم الأهوال جمع قحمة (بضم القاف) .

(٣٢ — ٣٤) حسر الشىء (كنصر) كشفه ، لازم ومتعد . الغمرة (بفتح الغين) الشدة . غرته وجهه . رث الشىء بلى ، القوى الحبال. وطء الفراش وطأ سهل ولان . لقحت الحرب هاجت بعد سكون ، واصله لقحت الناقة اى حملت . النمارق جمع نمرقة (بضم النون والراء) وهى الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . اعلى عن الدابة نزل عنها وخفف حملها .

(٣٥ — ٣٨) تروح تعود آخر النهار . السعالى جمع سعلاة (بكسر السين) وهى الغول . السلمة (بفتح لم كسر) الحجارة جمعها سلام . هضم الشىء كسره . صدر الشىء اعلاه ومقدمه . اخلصه صفاه وميزه من غيره . الصقال الجلاء . مشهورا اى مرفوعا فى اليد . حسام قاطع ، من حسم الشىء اى قطعه .

— ٣٠ —

هذه هى القصيدة الثالثة فى الحارث بن وعلة . وقد سبقتها القصيدتان (٧) ، (٢٧) وكلها هجاء ، وترجمة الحارث بن وعلة مذكورة فى القصيدة (٢٧) .

يقول الأعشى :

١ ـ أوقد تصابيت وشاقك لهو الشباب ، أم أنك قد فقدت الصواب ، حين آذن ود (زينب) بالذهاب ؟

٢ ـ وهاجت هوادج (زينب) منذ الصباح فى قلبك الأحزان والعذاب ، وقد جعل القوم يهيئونها للرحيل طوال النهار حتى توارت الشمس بالحجاب .

٣ ـ فلما ارتحلوا قلتُ يانخل (ابن يامن) ، أيهما أدنى إلى النعمة والثراء ، أهن أم اللاتى تغذوهن برطبك الحلو العُجَاب ؟

٤ ـ ونخلك الطويل المرتفع الضخم الجذوع ، تحط عليه من الطيور أسراب ، تتجاوب أصواتها بالتنعاب .

٥ ـ واستوين فوق هوادجهن وقد غطيت بغالى الثياب ، فى ألوانها الرِّغاب ، وقد حفت حواشيها بلون الورد وبالحمرة القانية .

٦ ـ وأسرعوا السير وقد حثوا المطى ، فلما خفت أن يتفرقوا فى الشِّعاب ، بين منحدر فى الوديان ومُصْعِد فى الهضاب .

٧ ـ تبعتهم تطوى بى البيد ناقة ضخمة نشيطة بارزة الأنياب .

٨ ـ مكتنزة اللحم صلبة ، فكأنما الرحل منها فوق حمار وحش من حمر (بَيَّان) الصِّلاب .

٩ ـ فلما بلغت الحى تطلع الفتيات ينظرن إلى وقد تطاولن بأجيادهن ، كأنهن القطيع من بقر الوحش المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب .

١٠ ـ وفى الحى من يحب لقاءنا ويشتهيه ، ومنهم من قتلتهم الغيرة فهم ظاهرو العداوة غضاب .

١١ ـ فما أنس من شئ : فلن أنسى قولها : لعل النوى تجمعنا بعد التفرق والاغتراب .

١٢ ـ ولست أنسى خدها الأملس المسترسل وقد تحدر فوقه الدمع ، تكفكفه بأنامل كأنها هُدَّاب الحرير الناعم الطويل وقد زانها الخضاب .

وقالَ يَهْجُو الْحَارِثَ بْنَ وَعْلَة :

١ ـ تَصَابَيْتَ أَمْ بَانَتْ بِعَقْلِكَ زَيْنَبُ   وَقَدْ جَعَلَ ٱلْوُدُّ الَّذِى كَانَ يَذْهَبُ (طويل)
٢ ـ وَشَاقَتْكَ أَظْعَانٌ لِزَيْنَبَ غُدْوَةً   تَحَمَّلْنَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ
٣ ـ فَلَمَّا ٱسْتَقَلَّتْ قُلْتُ نَخْلَ ابْنِ يَامِنٍ   أَهُنَّ أَمِ اللَّاتِى تُرَبِّتْ يَتْرَبُ
٤ ـ طَرِيقٌ وَجَبَّارٌ رِوَاءٌ أُصُولُهُ   عَلَيْهِ أَبَابِيلٌ مِنَ الطَّيْرِ تَنْعَبُ
٥ ـ عَلَوْنَ بِأَنْمَاطٍ عِتَاقٍ وَعَقْمَةٍ   جَوَانِبُهَا لَوْنَانِ وَرْدٌ وَمُشْرَبُ
٦ ـ أَجَدُّوا فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا   فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ
٧ ـ طَلَبْتُهُمُ تَطْوِى بِىَ ٱلْبِيدَ جَسْرَةٌ   شُوَيْقِئَةُ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ
٨ ـ مُضَبَّرَةٌ حَرْفٌ كَأَنَّ قُتُودَهَا   تَضَمَّنَهَا مِنْ حُمْرِ بَيَّانَ أَحْقَبُ
٩ ـ فَلَمَّا ادَّرَكْتُ ٱلْحَىَّ أَتْلَعَ أُنَّسٌ   كَمَا أَتْلَعَتْ تَحْتَ الْمَكَانِسِ رَبْرَبُ
١٠ ـ وَفِى ٱلْحَىِّ مَنْ يَهْوَى لِقَانَا وَيَشْتَهِى   وَآخَرُ مَنْ أَبْدَى ٱلْعَدَاوَةَ مُغْضَبُ
١١ ـ فَمَا أَنْسَ مِلْأَشْيَاءِ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا   لَعَلَّ النَّوَى بَعْدَ التَّفَرُّقِ تُصْقِبُ
١٢ ـ وَخَدًّا أَسِيلًا يَحْدُرُ الدَّمْعَ فَوْقَهُ   بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ مُخَضَّبُ

(١ ـ ٣) تصابى الرجل مال الى الصبوة واللهو واللعب وجهلة الفتوة . كان هنا تامة أى الذى مضى وانقضى . شاقتك هاجتك . اظعان جمع ظعينة وهى الهودج . غدوة صباحاً . تحملوا وضعوا احمالهم على الابل يريدون الرحيل . استقل القوم ذهبوا وارتحلوا . ربت الربيب رباه . ترب (كطرب) اغتنى وافتقر ضد .

(٤ ـ ٦) الطريق والجبار من النخل الطويل . أبابيل جماعات . انماط جمع نمط (بفتحتين) وهو ثوب ملون من صوف يطرح على الهودج . عتاق جمع عتيق وهو الكريم من كل شىء . العقم والعقمة (بفتح فسكون) ضرب من الوشى ، وهو أن تظهر خيوط أحد النيرين فيعمل العامل ، فاذا اراد أن يوشى بغير ذلك اللون لواه فأغمضه واظهر ما يريد عمله ، وأصل الاعتقام اللى . اشرب اللون أشبعه فهو مشرب .

(٧ ـ ٩) جسرة ناقة ضخمة . شقا نابه طلع حده فهو شاقىء ، وشويقئة تصغيره للأنثى . وجناء غليظة ، والوجين ما غلظ من الارض . ذعلب خفيفة . مضبرة مكتنزة اللحم . حرف صلبة . بيان موضع . القتود الرحل . حمر جمع حمار . أحقب فى حقوية بياض ، والحقو الخصر . ادرك افتعل من درك وادرك أى لحق . اتلعت رفعت رؤوسها . انس جمع آنسة وهى الطيبة النفس . المكانس جمع مكنس (اسم مكان) وهو مولج الوحش من الظباء وبقر الوحش تستكن فيه من الحر . الربرب القطيع من بقر الوحش .

(١٠ ـ ١٢) النوى البعد ، وهى كذلك الدار ، والوجه الذى يذهب فيه المسافر وينويه . تصقب تدنى وتقرب . خد أسيل لين أملس طويل مسترسل . البنان اطراف الأصابع . الهداب ما فضل فى أطراف النسيج من الخيوط . الدمقس الحرير . مخضب صفة للبنان مصبوغ بالحناء .

١٣ ـ لكم اصطبحت بخمر صافية كعين الديك ، أغدو إليها قبل مطلع الشمس فأشربها على قرع النواقيس ، مع فتية صلاب .

١٤ ـ من سلاف الخمر وخالصها الرائق ، كأنها الزعفران الأصفر خلط بصبغ العنْدَم

١٥ ـ تسطع رائحتها فواحة فى البيت ، فكأنما حَطَّ به تجارُ (دارين) الرِّكَاب ، بما يحملون من مسك وأطياب .

١٦ ـ ألا أبلغا (حُرَيْثًا) منى رسالة ، فإنى أراك متنكبًا للإنصاف ، منحرفا عن الصواب .

١٧ ـ أتفاخر مزهوًّا بوفائك مَرَّةً للجار ؟ إن هذا لشىءٌ عُجَاب !

١٨ ـ فلقد وفى (الرقاد) قبلك لجاره ، فأنجاه مما كان يخشى ويهاب .

١٩ ـ وأظله بجواره وحمايته ، ومنحه قدحا نفيسًا مستوى الريش ، يشارك به الياسرين فى القمار . فوفى لجاره وقد كان على وشك الذهاب .

٢٠ ـ تداركه فى شهر رجب الذى تنزع فيه نصال الحراب ، ويكف فيه الناس عن القتال ، وقد مضى الشهر الحرام فلم تبق منه إلا ليلة واحدة ، ثم يحل به العطب والدمار .

٢١ ـ وإنَّا لأصلب الناس عودًا بين بكر وتغلب جميعًا إذا عد الرجال وقيست الأنساب.

٢٢ ـ لنا إبل لا يحل بأصحابها ذم ولا عاب ، فهم يقرون بها الضيفان ، ويطعمون ألبانها ولحومها لمن يحل بهم من الغرباء .

٢٣ ـ ويعينونه بها ليدفعها فى ديات القتلى إذا أثقلته ، حين يستخفى الأغنياءُ والموسرون مخافة أن يطلب منهم العون .

٢٤ ـ ويحل فى جوارهم آمنًا ، تحميه خيل ادخرت للشدائد ، تسرع إلى المستغيث ، وتركب الوعور والصعاب .

٢٥ ـ ضامرة من سلالة (الصريح) و (أعوج) ، تندفع إلى القتال جريئة لا تهاب ، ولا يأمن الفرسان الحاذقون بالقتال ، أن تكُرَّ عليهم المرة بعد المرة لا ينالها كلال .

١٣ ـ وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا ... بِفِتْيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيصُ تُضْرَبُ
١٤ ـ سُلَافٍ كَأَنَّ الزَّعْفَرَانَ وَعَنْدَمًا ... يُصَفَّقُ فِى نَاجُودِهَا ثُمَّ تُقْطَبُ
١٥ ـ لَهَا أَرَجٌ فِى الْبَيْتِ عَالٍ كَأَنَّمَا ... أَلَمَّ بِهِ مِنْ تَجْرِ دَارِينَ أَرْكُبُ
١٦ ـ أَلَا أَبْلِغَا عَنِّى حُرَيْثًا رِسَالَةً ... فَإِنَّكَ عَنْ قَصْدِ الْمَحَجَّةِ أَنْكَبُ
١٧ ـ أَتَعْجَبُ أَنْ أَوْفَيْتَ لِلْجَارِ مَرَّةً ... فَنَحْنُ لَعَمْرِى الْيَوْمَ مِنْ ذَاكَ نَعْجَبُ
١٨ ـ فَقَبْلَكَ مَا أَوْفَى الرُّقَادُ لِجَارِهِ ... فَأَنْجَاهُ مِمَّا كَانَ يَخْشَى وَيَرْهَبُ
١٩ ـ فَأَعْطَاهُ حِلْسًا غَيْرَ نِكْسٍ أَرَبَّهُ ... لُؤَامًا بِهِ أَوْفَى وَقَدْ كَادَ يَذْهَبُ
٢٠ ـ تَدَارَكَهُ فِى مُنْصِلِ الْأَلِّ بَعْدَ مَا ... مَضَى غَيْرَ دَأْدَاءٍ وَقَدْ كَادَ يَعْطَبُ
٢١ ـ وَنَحْنُ أُنَاسٌ عُودُنَا عُودُ نَبْعَةٍ ... إِذَا انْتَسَبَ الْحَيَّانِ بَكْرٌ وَتَغْلِبُ
٢٢ ـ لَنَا نَعَمٌ لَا يَعْتَرِى الذَّمُّ أَهْلَهُ ... تُعَقَّرُ لِلضَّيْفِ الْغَرِيبِ وَتُحْلَبُ
٢٣ ـ وَيُعْقَلُ إِنْ نَابَتْ عَلَيْهِ عَظِيمَةٌ ... إِذَا مَا أُنَاسٌ مُوسِعُونَ تَغَيَّبُوا
٢٤ ـ وَيَمْنَعُهُ يَوْمَ الصِّيَاحِ مَصُونَةٌ ... سِرَاعٌ إِلَى الدَّاعِى تَثُوبُ وَتُرْكَبُ
٢٥ ـ عَنَاجِيجُ مِنْ آلِ الصَّرِيحِ وَأَعْوَجٍ ... مَغَاوِيرُ فِيهَا لِلْأَرِيبِ مُعَقَّبُ

(١٣ — ١٥) كعين الديك لأن عين الديك صافية . باكرها شربها فى الصباح . حد الخمر سورتها وحدتها . الصدق الفضل والجد والشدة والصلابة . السلاف ما تحلب وسال قبل عصر الخمر وهو اجودها . العندم شجر له عروق حمر يصبغ به . صفق الخمر روقها وصفاها . ناجود الخمر الاناء الفخارى الذى تحفظ فيه وهو الباطية . قطب الخمر مزجها . الأرج الرائحة القوية . دارين موضع بالبحرين مشهور بالمسك . والمسك الدارى مشهور . اركب جمع ركب وهم جماعة المسافرين .

(١٦ — ١٩) حريث وهو الحارث يصغره تحقيرا له . المحجة الطريق . القصد استقامة الطريق . انكب منحرف . الرقاد هو عمرو بن عبدالله ابن جعدة بن كعب . الحلس القدح الرابع فى الميسر . وكان الرجل ربما اكرم ضيفه بأن يهبه السهم من السهام فى الميسر فيكون له ربحه . النكس السهم المكسور الراس . ربه واربه جمعه والزمه . سهم لأم (بفتح فسكون) عليه ريش لؤام اى يلائم بعضه بعضا . وكان السهم اذا انكسر جبروه وربطوه لانه عزيز عليهم . اوفى بالعهد وفى به واتمه وانجزه . وقد كاد يذهب يعنى الضيف الذى اكرمه بان وهبه ذلك السهم .

(٢٠ — ٢٢) الالة (بتشديد اللام) الحربة . المنصل اسم فاعل من انصل اى نزع نصل الحربة . ومنصل الال هو شهر رجب ، كانت تنزع فيه الأسنة من الرماح لأنه كان شهرا حراما لا يقاتلون فيه . الداداء آخر ليلة من رجب . العطب التلف . يقول مضى الشهر الحرام الذى يمنعهم من قتل هذا الطريد الذى أجاره ، ولم يبق الا ليلة واحدة لم يقتل . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن اغصانه السهام ينبت فى قمم الجبال . النعم (بفتحتين) الابل . عقر الناقة ذبحها . وعقرها كذلك قطع قوائمها بالسيف .

(٢٣ — ٢٥) عقل القتيل دفع لأهله العقل وهى الدية ، وعقل عن الرجل ادى عنه الدية . ناب حل ، والنوائب الحوادث لأنها تنوب الناس لوقت معروف . موسعون من السعة واليسار . مصونة من صان الشىء اى حفظه ، يقصد الراس مصونة لوقت الحاجة . ثاب رجع . عناجيج ضمر . الصريح وأعوج فرسان مشهوران . ارب بالشىء درب به وصار فيه حاذقا فهو اريب ، والأريب العاقل الحصيف الراى والداهية . معقب اى غزو يعقبه غزو .

٢٦ ـ ورماحٌ مرنة قد اجتلبت عيدانها من (الخَطِّ)، وركبت فيها سنان مما صنع (أَبْزَى) و (شَرْعَب) .

٢٧ ـ وسيوفٌ بيض قاطعة تلمع كالبرق ، لانزال نصونها ونصقلها ونعدها لإذلال الأَعداء.

٢٨ ـ ودروعٌ لينة ملساءُ ، تبرق متموجة كأنها الغدران ، تغطي جسم لابسها وتحميه ، وتتذبذب عليه أطرافها .

(٣١)

آل جفنة هم ملوك الشام فى الجاهلية المعروفون بالغساسنة . وهم ينتسبون الى مؤسس دولتهم جفنة بن عمرو مزيقياء . والخلاف كثير حول مدة حكمهم وعدد ملوكهم . فكتاب العرب يرون أن مدة حكمهم تتراوح بين اربعة قرون وستة قرون قبل الاسلام . ومؤرخو اليونان وكتاب الغرب يرون أن أقدم من عرف الروم من ملوكهم كان فى آخر القرن الخامس الميلادى ، وهو جبلة ابو شمر المتوفى سنة ٥٠٠ م . وربما كان الصواب وسطا بين الرأيين . فبطارقة الروم لم يتصلوا بالغساسنة قبل القرن الخامس الميلادى ، ولكن الغساسنة قضوا مدة من الزمن قبل ذلك التاريخ يحكم عليهم أمير منهم لم تتسع سلطته وشهرته ، حتى احتاج ملوك الروم اليهم فى حربهم ضد الفرس ، وفى حماية أطراف امبراطوريتهم من غارات الاعراب فنصبوهم أمراء ، ومنحوهم لقب (Phylarch) ـ ومعناها باليونانية رئيس قبيلة أو رئيس فرسان القبيلة ـ وانشأوا معهم علاقات سياسية ثابتة وتنصر هؤلاء الأمراء الذين كانوا يلقبون بين قومهم بالملوك ، وانتشرت النصرانية بين أفراد رعيتهم ، واصطبغت حضارتهم بالصبغة الرومانية (١) .

وقد كان بعض شعراء العرب ، مثل النابغة وحسان ، يفدون على الغساسنة مادحين ، ويقيمون فى الشام زمنا ، يستمتعون بهذه الالوان الزاهية من الحضارة المترفة التى لا عهد لهم بها فى البادية .

ولم يرو للأعشى فى ديوانه غير هذه الأبيات فى مدح الغساسنة . ولكن صاحب الأغانى يروى له قصة مع حسان بن ثابت فى بعض دور الخمر بالشام ، اذ ظلا يشربان حتى نام حسان ، فظن الأعشى أنه انما يتناوم تفاديا من دفع ثمن ما شرب . فلما نام الأعشى وصحا حسان فعرف ما قاله للخمار ، اشترى خمر الخمارة فسكبه فى البيت حتى سال تحت الأعشى وقال فى ذلك شعرا (٢) .

يقول الأُعشى :

١ ـ ....

٢ ـ ....

٣ ـ اكتمل حسنها ، وتم شبابها واستحكمت حلقاته ، فأَين أَذهب منها اليوم ؟

٤ ـ فتلك التى منعتك نفسها ، وحرمتك ما تتلهف عليه من المتاع ، وذهبت بقلبك فلم تترك منه إلا أَقل القليل .

---

(١) زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام ١٧٢ ـ ١٨٢ (٢) الأغانى ٤ : ١٦٧ .

٢٦ ـ وَلَدْنٌ مِنَ ٱلْخَطِّيِّ فِيهِ أَسِنَّةٌ   دَخَائِرُ مِمَّا سَنَّ أَبْزَى وَشَرْعَبُ
٢٧ ـ وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ ٱلْعَقِيقِ صَوَارِمٌ   تُصَانُ لِيَوْمِ الدَّوْخِ فِينَا وَتُخْشَبُ
٢٨ ـ وَكُلُّ دِلَاصٍ كَالْأَضَاةِ حَصِينَةٍ   تَرَى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبْذَبُ

(٣١)

وقَالَ يَمْدَحُ آلَ جَفْنَة :

١ ـ أَأَزْمَعْتَ .... (متقارب)
٢ ـ كَذٰلِكَ بَعْضُ خَيَالِ الشِّتَا   يَحِدُّ إِلَى رَهْنٍ ....
٣ ـ وَقَدْ أُغْلِقَتْ حَلَقَاتُ الشَّبَابْ   فَأَنَّى لِيَ ٱلْيَوْمَ أَنْ أَسْتَفِيصَا
٤ ـ فَتِلْكَ التِي حَرَّمَتْكَ ٱلْمَتَاعْ   وَأَوْدَتْ بِقَلْبِكَ إِلَّا شَقِيصَا

---

(٢٦) لدن مرن . الخطى الرمح ينسب الى الخط ، وهو مرفأ للسفن بالبحر كانت تباع به ، وليس هو منبتها كما قد يتوهم . الأسنة جمع سنان وهو حديدة الرمح المحددة . دخائر مدخرة للحرب . سن الرمح ركب فيه السنان . ابزى وشرعب رجلان من صناع الرماح .

(٢٧) العقيق البرق الذى يستطيل فى عرض السحاب . وقد أكثروا استعارتها للسيوف حتى جعلوها من اسمائها ، فقالوا : سلوا عقائق كالعقائق اى سيوفا تلمع كالبرق . صوارم جمع صارم اى قاطع ، وصرم الحبل قطعه . الدوخ الذل من داخ الرجل اى ذل وخضع . تخشب تصقل .

(٢٨) الدلاص اللين البراق ، ودرع دلاص لينة ملساء ، للمفرد والجمع. الاضاة غدير الماء يشبه به سطح الدرع فى تموج بريقه . فضل الدرع ما فضل منها أى زاد .

(٣١)

(١ ـ ٤) فاص فى الارض ذهب ، وفاص منه حاد ، واستفاص برح . الشقص (بكسر فسكون) والشقيص النصيب والسهم والقطعة من الشيء والقليل من الكثير . أودت بقلبك ذهبت به .

٥ — وَإِنَّكَ لَوْ سِرْتَ عُمْرَ ٱلْفَتَى ... لِتَلْقَى لَهَا شَبَهًا أَوْ تَغُوصَا
٦ — رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِنًا ... تَرَى لِلْكَوَاعِبِ كَهْرًا وَبِيصَا
٧ — فَإِنْ كُنْتَ مِنْ وُدِّهَا يَائِسًا ... وَأَجْمَعْتَ مِنْهَا بِحَجٍّ قَلُوصَا
٨ — فَقَرِّبْ لِرَحْلِكَ جُلْذِيَّةً ... هَبُوبَ السُّرَى لَا تَمَلُّ النَّصِيصَا
٩ — يُشَبِّهُهَا صُحْبَتِي مَوْهِنًا ... إِذَا مَا ٱسْتَتَبَّتْ أَتَانًا نَحُوصَا
١٠ — إِلَيْكَ ٱبْنَ جَفْنَةَ مِنْ شُقَّةٍ ... دَأَبْتُ السُّرَى وَحَسَرْتُ ٱلْقَلُوصَا
١١ — تَشَكَّى إِلَيَّ فَلَمْ أُشْكِهَا ... مَنَاسِمَ تَدْمَى وَخُفًّا رَهِيصَا
١٢ — يَرَاكَ ٱلْأَعَادِي عَلَى رَغْمِهِمْ ... تَحُلُّ عَلَيْهِمْ مَحَلًّا عَوِيصَا
١٣ — كَحَيَّةِ سَلْعٍ مِنَ ٱلْقَاتِلَاتْ ... تَقُدُّ الصَّرَامَةُ عَنْكَ ٱلْقَمِيصَا
١٤ — إِذَا مَا بَدَا بَدْوَةً لِلْعُيُونْ ... تَذَكَّرَ ذُو الضِّغْنِ مِنْهُ ٱلْمَحِيصَا

(٥ — ٧) رام الشيء طلبه . الكواعب جمع كاعب وهى الحسناء . كهر النهار ارتفع ، وكهر الحر اشتد : كهرا ظهرا أى نصف النهار . الوبيص البريق ، وبص البرق وبصا ووبيصا لمع وبرق . حج فلانا (كنصر) قصده ، وحج علينا قدم . القلوص من الابل الشابة ، بمنزلة الجارية من النساء .

(٨ — ٩) جلذية سريعة شديدة ، اجلوذ (بفتح اللام وبتشديد الواو) أسرع فى السير . هبوب نشيط . السرى سير الليل . النصيص مصدر نص ، ونص ناقته استحثها ليستخرج ما عندها . الوهن والموهن نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل . استتبت استقامت فى السير ، واستتب الأمر اطرد واستقام . الأتان أنثى الحمار . نحوص لا ولد لها ولا لبن ، والنحوص كذلك الشديدة السمن ، والتى منعها السمن من الحمل .

(١٠ — ١٢) الشقة السفر والمسافة . حسر البعير ساقه حتى أعياه ، وحسر البعير (كعلم) أعيى من السير وكل . أشكاه قبل شكواه وارضاه وأزال عنه ما يشكوه . المنسم خف البعير ، وقيل طرفه الذى هو له كالظفر . خف رهيص أصابه الحجر ، والرواهص الحجارة المتراصة . أمر عويص صعب .

(١٣ — ١٤) سلع جبل بالمدينة . صرم السيف (ككرم) صرامة كان صارما اى ماضيا ، ورجل صرامة اى مستبد برأيه منقطع عن المشاورة . تقد الصرامة عنك القميصا اى انه لصرامته يقطع اكمام القميص حتى لا يعوق يده عن الحركة . حاص عنه عدل وحاد . والمحيص المحيد والمهرب .

١٣ - وَهْيَ تَتْلُو رَخْصَ ٱلْعِظَامِ ضَئِيلًا … فَاتِرَ الطَّرْفِ فِي قُوَاهُ ٱنْسِرَاقُ
١٤ - مَا تَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ وَلَا تَعْـ … ـجُوهُ إِلَّا عُفَافَةٌ أَوْ فُوَاقُ
١٥ - مُشْفِقًا قَلْبُهَا عَلَيْهِ فَمَا تَعْـ … ـدُوهُ قَدْ شَفَّ جِسْمَهَا ٱلْإِشْفَاقُ
١٦ - وَإِذَا خَافَتِ السِّبَاعَ مِنَ ٱلْغِيـ … ـلِ وَأَمْسَتْ وَحَانَ مِنْهَا ٱنْطِلَاقُ
١٧ - رَوَّحَتْهُ جَيْدَاءُ ذَاهِبَةُ ٱلْمَرْ … تَعِ لَا خَبَّةٌ وَلَا مِغْلَاقُ
١٨ - فَٱصْبِرِي النَّفْسَ إِنَّ مَاحُمَّ حَقٌّ … لَيْسَ لِلصَّدْعِ فِي الزُّجَاجِ اتِّفَاقُ
١٩ - وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ … لَيْسَ إِلَّا الرَّجِيعَ فِيهَا عَلَاقُ
٢٠ - قَدْ تَجَاوَزْتُهَا وَتَحْتِي مَرُوحٌ … عَنْتَرِيسٌ نَعَّابَةٌ مِعْنَاقُ
٢١ - عِرْمِسٌ تَرْجُمُ ٱلْإِكَامَ بِأَخْفَا … فٍ صِلَابٍ مِنْهَا ٱلْحَصَى أَفْلَاقُ
٢٢ - وَلَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْخَلِيلَ إِذَا لَمْ … أَرْجُ وَصْلًا إِنَّ ٱلْإِخَاءَ الصِّدَاقُ
٢٣ - بِكُمَيْتٍ عَرْفَاءَ مُجْمَرَةِ ٱلْخُـ … ـفِّ غَذَتْهَا عَوَانَةٌ وَفِتَاقُ
٢٤ - ذَاتِ غَرْبٍ تَرْمِي ٱلْمُقَدَّمَ بِالرِّدْ … فِ إِذَا مَا تَدَافَعَ ٱلْأَرْوَاقُ
٢٥ - فِي مَقِيلِ ٱلْكِنَاسِ إِذْ وَقَدَ ٱلْيَوْ … مُ إِذَا الظِّلُّ أَحْرَزَتْهُ السَّاقُ

(١٣ — ١٥) تتلو تتبع . رخص لين . انسراق نقص وضعف . تعادى تتباعد . عجت الام ولدها أخرت رضاعته عن مواقيته أ وعجته أيضا ارضعته ، من الأضداد . العفافة اجتماع اللبن فى الضرع . والبقية من اللبن فى الضرع بعد ما استنزف اكثره . الفواق (بضم الفاء) ما بين الحلبتين من الوقت . تعدوه تتجاوزه وتتركه . شف جسمها انحله واسقمه .

(١٦ — ١٨) الغيل الشجر الملتف . امست حل بها المساء . روحته من الرواح وهو العودة الى المنزل فى آخر النهار . جيداء طويلة العنق . المرتع المكان الذى ترتع فيه اى ترعى وتلعب . ذاهبة المرتع يريد انها اذا امست لم تبت فى المرتع . خبة تخبأ دونها ولبنها . مغلاق من غلق الرجل (كفرح) اذا ضجر وقلق . حم الامر (على البناء للمجهول) قضى .

(١٩ — ٢٠) الفلاة الصحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . الرجيع الجرة (بكسر الجيم) لان الدابة تسترجع ما أكلت حين تجتر . العلاق ماتتبلغ به الماشية من الشجر . مروح نشيطة . عنتريس صلبة شديدة. نعابة من نعبت الابل اذا مدت أعناقها فى سيرها . معناق من العنق (بفتحتين) وهو سير مسبطر فسيح واسع للابل والدابة .

(٢١ — ٢٣) العرمس الصخرة والناقة الصلبة . الآكام المرتفعات . افلاق جمع فلقة (على وزن قطعة) وهي الكسرة من الشىء . الصداق مصدر صادق . ناقة كميت حمراء تضرب للسواد . عرفاء عالية السنام صار سنامها فوقها كالعرف . مجمرة مجتمعة صلبة . عوانة وفتاق ماءان .

(٢٤ — ٢٥) الغرب الحدة والنشاط . الرداف العجز (بفتح ثم ضم) الأرواق جماعة الجسم ، والروق الجثة ، وارواق الليل اثناء ظلمته ، والروق (بفتح فسكون) الطائفة من الليل . المقيل الموضع الذى يستكن فيه من الحر . الكناس شجرة يأوى اليها الحيوان ليستظل بها . وقد اليوم اشتد حره .

٢٦ ـ وكأن الرحل والقِرْبة وسائرَ المتاع ، حين مضت تتلاحق أرجلها الطوال .

٢٧ ـ فوق حمار وحش تضخم وسمن بعد أن رعى النبت وأكل البقول ، يقاسى حر الصيف وعضَّ الفحول والتَّنْهاق .

٢٨ ـ أو كأن رحلى ومتاعى فوق ثور وحش أهزله الجوع ، فاندس تحت شجرة من أشجار (الأَرطَى) يبيت فى جانبها ، على ضيق المكان .

٢٩ ـ أفزعته سحابة مظلمة حمراءُ غزيرة المطر ، تقصف رعودها ، وينهلُّ مقدَّمها بالماءِ .

٣٠ ـ فظل طول ليله ساهرًا يعانى المتاعب والآلام ، حتى إذا أشرق الصباح ، لاح له على ضوء النهار .

٣١ ـ صائد عابس الوجه من (جَدِيلة) أو (نَبْهان) ، أفنى كلابَه الضاريةَ كثرةُ الملاحقة للصيد وطُولُ الطِّراد .

٣٢ ـ فظل طول نهاره يتفادى منها ، متواريا بالرمال العريضة وبصغار الكثبان .

٣٣ ـ تطارده كلاب مسترخية الآذان ، قد انتشرت كأنها النحل ، لاهم لها إلا اقتناصه وقد عضها الجوع .

٣٤ ـ فذلك شبيه ناقتى حين يجهدها السير ، وحين تتقاذفنى فوقها رمال الصحراءِ المتلبدة بالحصى والأحجار .

* * * *

٣٥ ـ على مثلها أزور قومى من (بنى قيس) إذا طال بالحبيب الفراق .

٣٦ ـ فأنا منهم وهم قومى وإننى إليهم لمشتاق .

٣٧ ـ وهم ما يعلم الناس من الجود فى الجدب ، حين تعز الخمر ، وتجف القِرَب ، ويخلو كلُّ وعاءٍ .

٣٨ ـ المنفقون ما لهم فى زمان الجدب ، حتى إذا عاد الزمانُ إلى الخصب ، عادوا إلى ما تعودوا من العطاءِ .

٣٩ ـ وإذا ضن الموسرون وطووا مالهم عن الصديق ، وكشفت الشدة عن مخبوء الطبائع وعن حقائق الأخلاق .

٤٠ ـ وهزل الإبلَ الجوعُ فسقطت على الأرض من الإعياءِ ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ليعينوها على الوقوف ، وأعيي الراعى أن يجد المرعى لاستحكام الجدب .

٢٦ ـ وَكَأَنَّ ٱلْقُتُودَ وَٱلْعِجْلَةَ وَٱلْـ وَفْرَ لَمَّا تَلَاحَقَ السُّوَّاقُ
٢٧ ـ فَوْقَ مُسْتَبْقِلٍ أَضَرَّ بِهِ الصَّيْـ ـفُ وَزَرَّ ٱلْفُحُولِ وَالتَّنْهَاقُ
٢٨ ـ أَوْ فَرِيدٍ طَاوٍ تَضَيَّفَ أَرْطَا ةً يَبِيتُ فِي دِفِّهَا وَيُضَاقُ
٢٩ ـ أَخْرَجَتْهُ قَهْبَاءُ مُسْبِلَةُ ٱلْوَدْ قِ رَجُوسٌ قُدَّامُهَا فُرَّاقُ
٣٠ ـ لَمْ يَنَمْ لَيْلَةَ التَمَامِ لِكَيْ يُصْـ ـبِحَ حَتَّى أَضَاءَهُ ٱلْإِشْرَاقُ
٣١ ـ سَاهِمَ ٱلْوَجْهِ مِنْ جَدِيلَةَ أَوْ لِحْـ ـيَانَ أَفْنَى ضِرَاءَهُ ٱلْإِطْلَاقُ
٣٢ ـ وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ تُوَارِيـ ـهِ عِرَاضُ الرِّمَالِ وَالدَّرْدَاقُ
٣٣ ـ وَتَلَتْهُ غُضْفٌ طَوَارِدُ كَالنَّحْـ ـلِ مَغَارِيثُ هَمُّهُنَّ اللِّحَاقُ
٣٤ ـ ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي إِذْ تَرَامَتْ بِي عَلَيْهَا بَعْدَ الْبِرَاقِ ٱلْبِرَاقُ
٣٥ ـ فَعَلَى مِثْلِهَا أَزُورُ بَنِي قَيْـ ـسٍ إِذَا شَطَّ بِٱلْحَبِيبِ الْفِرَاقُ
٣٦ ـ إِنَّنِي مِنْهُمُ وَإِنَّهُمُ قَوْ مِي وَإِنِّي إِلَيْهِمُ مُشْتَاقُ
٣٧ ـ وَهُمُ مَاهُمُ إِذَا عَزَّتِ ٱلْخَمْـ ـرُ وَقَامَتْ زِقَاقُهُمْ وَٱلْحِقَاقُ
٣٨ ـ ٱلْمُهِينِينَ مَالَهُمْ لِزَمَانِ ٱلسَّـ ـوْءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا
٣٩ ـ وَإِذَا ذُو ٱلْفُضُولِ ضَنَّ عَلَى ٱلْمَوْ لَى وَصَارَتْ لِخِيمِهَا ٱلْأَخْلَاقُ
٤٠ ـ وَمَشَى ٱلْقَوْمُ بِٱلْعِمَادِ إِلَى الرَّزْ حَى وَأَعْيَى ٱلْمُسِيمَ أَيْنَ ٱلْمَسَاقُ

(٢٦ — ٢٨) القتود الرحل بأداته . العجلة المزادة وهى قربة صغيرة لحفظ الماء والخمر . الوفر من المال والمتاع الكثير . السواق جمع سائق والسواق كذلك الطويل الســاق . تبقلت الماشية واستبقلت سمنت من أكل البقل . صاف بالمكان صيفا أقام به فى الصيف . زره طرده وعضه ، وزر الشعر ننفه ، طاو جائع . تضـيفه أتاه ضيفا . الأرطـاة شجرة ثمارها مرة تأكلها الابل غضة . دفها جنبها .

(٢٩ — ٣١) الأقهب الذى فيه حمرة فيها غبرة . الودق المطر . رجـت السماء رعدت رعدا شديدا وامطرت . فراق جمع فارق وهى النـاقة يشتد بها المخاض ثم تلقى ولدها من شدة الوجع . لم ينم يقصد النور . ليلة التمام كل ليلة كابدها صاحبها ، والأصل فيه أنه أطول ليالى الشتاء . سهم وجهه (كقطع وكرم) تغير لونه . جديلة ولحيان حيان . الضرو الضـــارى من الـكلاب جمعها ضراء . الاطلاق مصدر اطلق المواشى اى سرحها وارسلها .

(٣٢ — ٣٥) تعادى تباعد . النهار ظرف زمان . الدرداق دك صغير متلبد من الرمال . الغضف كلاب الصيد ، وغضفت الأذن (كعلم) طالت واسترخت . مغاريث من غرث (كطرب) جاع . البـراق جمع برقة (بضم الباء) وهى الأرض الغليظة فيها حجـارة ورمل وطين . شط بعد .

(٣٦ — ٤٠) الحقاق جمع حقة (بالضم ثم التشديد) وهى وعاء من خشب وقد يصنع من العاج . أفاق رجع الى الخصب . أفاقوا رجعوا الى العطية . الخيم (بكسر الخاء) الطبيعة والســجية . الرزحى الابل تهزل فلا تستطيع المشى فتسقط ، جمع زارح . يضعون العماد تحت بطونهـا ثم يرفعونها . المسيم اسم فاعل من أسام الماشية أرعاها فى المرعى .

٤١ ـ جَرَوا عند ذاك على ما طُبِعوا عليه من الفضل ، كما يجرى القدح الكريم فى الميسر على ما تعود من الفوز .

٤٢ ـ فإذا جادت الأمطار ، فعم الزرع الآفاق ، وكلل الزهر الربى والمرتفعات ، وضعوا القداح وأبطلوا الميسر وقد أخصب الناس .

٤٣ ـ يشربون الخمر ، ويشاركون فى ضروب اللهو ، ويُجْرون الخيل فى السباق ، فلايذهب شئ من ذلك بأحلامهم ، ولا يخرجهم عن وقارهم فيسفهوا .

٤٤ ـ وإذا كلحت الوجوه فى الحروب ، وتقلصت الشفاه عن الأسنان ، حتى يبدو قصيرها طويلا ، وجفت الحلوق من البصاق .

٤٥ ـ ركبوا الخيول إلى القتال ، ثابتين فوق سروجها لا يميلون ، حين ترتبك الأيدى فى وضع السهام موضعها من الأقواس .

٤٦ ـ ....

* * * *

٤٧ ـ مقيما بين سادة (نجران) ، مغمورًا بالخير والنعيم ، غير أنى مشتاق .

٤٨ ـ بين مطايا عَجِل أصحابها عن المقام ، ولا هَمَّ لهم إلا العراق .

٤٩ ـ لنا فى الصباح طعام طيب من دقيق القمح الأبيض الخالص ، واللحم الكثير تتخطفه الأيدى من القدور ، تدور علينا كؤوس الخمر فى الصباح وفى المساء .

٥٠ ـ ينادمنا فتيان بيض الوجوه ، كأنهم الفحول المكرمة عند أصحابها ، لا تُركَب ولا يمسها حبل .

٥١ ـ فيهم الخصب والسماحة والنجدة ، والخطيب الذى يُدوِّى صوته مجلجلا .

٥٢ ـ أبيون لا يُسامون الذل ، وُقُرٌ راجحو الأحلام .

٥٣ ـ لهم مجلس يَغَصُّ صدرُه برجال كالأسود ، عليهم ناعم الملبس ورقيق الثياب .

٤١ ـ أَخذُوا فَضْلَهُمْ هُنَاكَ وَقَدْ تَجْ　　رِى عَلَى فَضْلِهَا ٱلْقِدَاحُ ٱلْعِتَاقُ
٤٢ ـ فَإِذَا جَادَتِ ٱلدُّجَى وَضَعُوا ٱلْقِدْ　　حَ وَجُنَّ ٱلتِّلَاعُ وَٱلْآفَاقُ
٤٣ ـ لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرْبَةُ ٱلْكَأْ　　سِ وَلَا ٱللَّهْوُ بَيْنَهُمْ وَالسِّبَاقُ
٤٤ ـ وَإِذَا مَا ٱلْأَكَسُّ شُبِّهَ بِٱلْأَرْ　　وَقِ عِنْدَ ٱلْهَيْجَا وَقَلَّ ٱلْبُصَاقُ
٤٥ ـ رُكِبَتْ مِنْهُمُ إِلَى الرَّوْعِ خَيْلٌ　　غَيْرُ مِيلٍ إِذْ يُخْطَأُ ٱلْإِيفَاقُ
٤٦ ـ أَنْ تَكُونُوا قد غِبْتُمُ ونزلنا　　وشهدنا قرّابها الأَسواق
٤٧ ـ وَاضِعًا فِى سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِى　　نَاعِمًا غَيْرَ أَنَّنِى مُشْتَاق
٤٨ ـ فِى مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ　　عَنْ ثَوَاءٍ وَهَمُّهُنَّ ٱلْعِرَاقُ
٤٩ ـ دَرْمَكٌ لَنَا غُدْوَةً وَنَشِيلٌ　　وَصَبُوحٌ مُبَاكِرٌ وَٱغْتِبَاقُ
٥٠ ـ وَنَدَامَى بِيضُ ٱلْوُجُوهِ كَأَنَّ ٱلـ　　شَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبٌ أَفْنَاقُ
٥١ ـ فِيهِمُ ٱلْخِصْبُ وَالسَّمَاحَةُ وَالنَّجْـ　　ـدَةُ فِيهِمْ وَٱلْخَاطِبُ ٱلْمِصْلَاقُ
٥٢ ـ وَأَبِيُّونَ مَا يُسَامُونَ ضَيْمًا　　وَمَكِيثُونَ وَٱلْحُلُومُ وِثَاقُ
٥٣ ـ وَتَرَى مَجْلِسًا يَغَصُّ بِهِ ٱلْمِحْـ　　ـرَابُ كَٱلْأُسْدِ وَالثِّيَابُ رِقَاقُ

(٤١ — ٤٤) القداح أسهم الميسر . العتيق الكريم والخيار من كل شيء ، وكانوا يتفاءلون ببعض القداح ويعتزون بها لأنهم يعتقدون انها ميمونة كثيرة الربح . الدجى الأمطار جمع دجية (بضم فسكون) . وضعوا القدح تركوا الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقداح فى الشدة والقحط ، فاذا أخصبوا تركوا ذلك لأن الميسر انما يحمد فى الجدب . وجن التلاع حسن نباتها وغطاها. آفاق الأرض نواحيها . السباق سبا قالخيل وهو اجراؤها فى مضمار تتسابق فيه . الأكس القصير الأسنان . الأروق الطويل الأسنان الهيجى والهيجاء الحرب .

(٤٥ — ٤٨) الأميل من يميل على السرج فى جانب ، ومن لا ترس معه ولا رمح . أوفق السهم ايفاقا وضع الفوق فى الوتر ليرمى ، والفوق مشق راس السهم حيث يقع الوتر . الشطر الثانى من البيت ٤٦ وعجز الشطر الأول من المتوكلية . والشطر الاول مقحم على السياق ، والشطر الثانى محرف وغير واضح . سراة كل شيء خياره وأجوده . الثواء الاقامة . الهم ما يشغل البال .

(٤٩ — ٥١) الدرمك الدقيق الابيض من لباب القمح . النشيل اللحم المنشول من القدر باليد لا بالمغرفة ، وهو كذلك ما طبخ من اللحم بغير توابل . الصبوح خمر الصباح . والغبوق (بفتح الغين) خمر المساء . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . المصعب الفحل الذى لا يركب ولا يمس لكرامته عند اصحابه . الفنيق (على وزن كريم) هو المصعب (بضم الميم وفتح العين) . الصلق (بفتح الصاد وسكون اللام) الصوت الشديد .

(٥٢ — ٥٣) أبيون يأبون الضيم . الضيم الذل . المكانة التؤدة . الوثيق المحكم . المحراب مقدم المجلس وصدره .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، خلاصتها أن المحلق — وقيل انه لقب بذلك لبعير عضه فترك فى وجهه إثرا كالحلقة ، او لكدنة كانت فى خده كالحلقة — كان فقيرا ذا بنات . واتفق أن قدم الاعشى مكة — وكان يوافى سوق عكاظ فى كل عام — فأسرع اليه المحلق فضيفه وبالغ فى اكرامه ، ورجاء أن يصيبه خير من مدحه . فلما أصبح الاعشى وا فى عكاظا فأنشد هذه القصيدة . قالوا ، فتسارع اليه الناس يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة الا هى فى عصمة رجل ذى شريف (الاغانى ٩ : ١١٣ — ١١٧) .

يبدأُ الأَعشى قصيدته شاكيًا مما اجتمع عليه من ضعف الشيخوخة وكلال البصر وتتابع النوائب فيقول

١ — قضيت ليلى ساهرًا لا أنام ، ولست بالعاشق ولا السقيم .

٢ — ولكن أَحداث الدهر تنتابنى وتطرقنى كل يوم بجديد ، فلى منها فى الصباح مالم يكن عندى فى المساءِ

٣ — ولئن أَمسيت وقد اجتمع على الشيب والهمُّ وكلال البصر — وإن الأَحجار لتتفلق ويفنيها الزمان —

٤ — فما أثارت هذه المصائب إلا شجاعا جَلْدًا قد علمته النكبات ، وتتابع عليه من الدهر القضاءُ يتلوه القضاء ، فتعلم منه واستفاد ، حتى ما تخيفه النكبات والأَحداث

ويمضى الشاعر فى إبراز هذا المعنى الذى يقصد إليه من تفاهة الدنيا وهوانها ، فيقص طرفا من أخبار الملوك وما كانوا فيه من نعيم لم يَرُدَّ عنهم الموت ، فكل الناس يصيرون إلى نهاية واحدة ، لا فرق بين كبير وحقير . وهذه الأَخبار التى يرويها الأَعشى هى جزءٌ من ثقافة الشاعر فى ذلك الوقت . وهى خليط من التاريخ والأَساطير . يقول الأَعشى :

٥ — وهل هذا الأَلم إلا إلى نهاية كما أن النعيم إلى نهاية ، فما أنا بالمخلد ، وما خلد من قبل (ساسان) ملك الفرس ولا (مُورَق) ملك الروم .

٦ — ولا خلد (كسرى شَهِنْشَاه) بعد أن اجتمع له من دنياه ما اشتهى من خمر عتيق ومن رياحين .

٧ — ولا منعت أموال (عاديا) عنه الموت ، ولا رده عنه حصنه (الأَبلق) فى (تيماء) .

٨ — وقد بناه (سليمان) فى سالف الأَحقاب وقديم الزمان عاليًا ، وجعل فيه بئرا وثيقَ الطىِّ .

٩ — يرتفع إلى كبد السماءِ ، قد فرشت أرضه بالبلاط ، وأَحاطت به الأَسوار بنيت بالأَحجار ، ودار من حول كل ذلك خندق عميق .

١٠ — فى أعلاه غرف الشراب فرشت بالطنافس ، ونثر فيها المسك والريحان ، حيث تقدم الخمر الرائقة للشاربين .

١١ — وقيان ناصعات البياض كأَنهن التماثيل ، وخدم ، وطباخ يقوم على طهو أَلوان فى القدور ، وأَقداح ، وخوان .

١٢ — كل ذلك كان له ، فلم يُعْجِزِ اللهَ أن يتوفاه ، ولكن أتاه الموت ظاهرًا عاريًا لا يتخفى ولا يستتر .

وَقَالَ يَمْدَحُ الْمُحَلَّق بْنَ حَنْتَم بْنِ شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَة :

١ ـ أَرِقْتُ وَمَا هَذَا السُّهَادُ الْمُؤَرِّقُ ... وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِيَ مَعْشَقُ (طويل)

٢ ـ وَلَكِنْ أَرَانِي لَا أَزَالُ بِحَادِثٍ ... أُغَادَى بِمَا لَمْ يُمْسِ عِنْدِي وَأُطْرَقُ

٣ ـ فَإِنْ يُمْسِ عِنْدِي الشَّيْبُ وَالْهَمُّ وَالعَشَى ... فَقَدْ بِنَّ مِنِّي وَالسِّلَامُ تُفَلَّقُ

٤ ـ بِأَشْجَعَ أَخَّاذٍ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ ... فَمِنْ أَيِّ مَا تَجْنِي الْحَوَادِثُ أَفْرَقُ

٥ ـ فَمَا أَنْتَ إِنْ دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ ... كَمَا لَمْ يُخَلَّدْ قَبْلُ سَاسَا وَمَورَقُ

٦ ـ وَكِسْرَى شَهِنْشَاهُ الَّذِي سَارَ مُلْكُهُ ... لَهُ مَا اشْتَهَى رَاحٌ عَتِيقٌ وَزَنْبَقُ

٧ ـ وَلَا عَادِيَا لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ مَالُهُ ... وَحِصْنٌ بِتَيْمَاءَ الْيَهُودِيِّ أَبْلَقُ

٨ ـ بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ حِقْبَةً ... لَهُ أَزَجٌ عَالٍ وَطَيٌّ مُوَثَّقُ

٩ ـ يُوَازِي كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ ... بَلَاطٌ وَدَارَاتٌ وَكِلْسٌ وَخَنْدَقُ

١٠ ـ لَهُ دَرْمَكٌ فِي رَأْسِهِ وَمَشَارِبٌ ... وَمِسْكٌ وَرَيْحَانٌ وَرَاحٌ تُصَفَّقُ

١١ ـ وَحُورٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفٌ ... وَقِدْرٌ وَطَبَّاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ

١٢ ـ فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الْمَوْتِ رَبَّهُ ... وَلَكِنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَا يَتَأَبَّقُ

(١ ــ ٢) معشق مصدر ميمى من العشق . غاداه باكره ، والغدوة بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . طرقه صكه وضربه بالطرقة ، وطرق الرجل القوم أتاهم ليلا . بن اى فارقن ، يقصد الشيب والهم العشى . السلام (بكسر السين) جمع سلمة (بثلاث فتحات) وهى الحجارة .

(٤ ــ ٦) الأشجع الشجاع . اخاذ تحتمل أن تكون من اخذ عن فلان اى نقل ، وتحتمل ان تكون من اخذ على يده اى منعه وكفه . الحكم القضاء . ما مصدرية . الفرق الخوف والفزع . ساسان ملك الفرس . مورق قالوا انه ملك الروم . شهنشاه كلمة فارسية معناها ملك الملوك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالحربة يغلب عليه اللون الخمرى .

(٧ ــ ٩) تيماء اليهودى ، اليهودى مضاف اليه ، نسب تيماء التى كان بها حصنة (الابلق) اليه . وكان عاديا يهوديا ، وهو أبو السموءل . وتزعم الروايات والأساطير ان هذا الحصن من بناء سليمان عليه السلام . الأزج ضرب من الابنية يبنى طولا . وازج البناء علاه . طوى البئر يطويها طيا بنى جوانبها بالحجارة والآجر . الدارة ما احاط بالشىء . الكلس الحجارة . الخندق حفير حول أسوار المدن (فارسى معرب) .

(١٠ ــ ١٢) الدرمك التراب الناعم ، ودرمك البناء ملسه . مشارب غرف يشربون فيها . صفق الخمر روقها بأن يصبها من اناء الى اناء . الحور جمع حوراء وهى البيضاء . مناصف جمع منصف وهو الخادم . الصاع قدح يكال به . الديسق خوان من فضة (فارسى معرب) . يتأبق يختفى ويتستر .

١٣ – وكذلك كان أمر (النعمان) . ولقد لقيتُه فى نعمته ، يصرِّف العطاء بين الناس فيفضل هذا على ذاك ويدفع إليهم صكوكهم بما قسم لهم من الجوائز .

١٤ – تتدفق على خزائنه الأموال والمكوس ، من (السَّيْلَحُون) ، ومن ورائها (صَرِيفُون) ذات الأنهار ، و (الخورنق) .

١٥ – يقسم أمر الناس بين السعادة والشقاء ، فى الليل والنهار ، وهم ساكتون ، والموت يتكلم .

١٦ – ويأمر لفرسه (اليَحْمُوم) كل مساءٍ فيُعلَف القَتَّ والتشعيز ، حتى يمتلئ ويكتظ بالطعام .

١٧ – يغطى ظهره بالأكسية التى تصونه من البرد فى الليل ، ويروضه القائم عليه فى النهار ، فيجريه حتى يتصبب منه العرق .

١٨ – كل ذلك كان له ، فلم ينجه من الموت ، حتى مات سجينًا فى (ساباط) .

فإذا فرغ الأعشى من إبراز هذا الذى قصد إليه من أن الموت حتم لا مفر منه ، راح يتسلى باسترجاع ذكريات شبابه ، فيقول :

١٩ – كم قصَّرْتُ اليومَ الطويل بين فتية كرماء ، نشرب الخمر فى خباءٍ قد أظل بابَه سقفٌ ممدود .

٢٠ – وعندنا جارية قد طلت جسمها بالمسك والزعفران فبدت بشرتها صفراء ، يتحسس الندماءُ جسمها من فتوق قميصها المشقوق الأكمام .

٢١ – إذا طلبتُ إليها الغناء ، نهضت إلى مزهرها ، تدير أصابعها على أوتاره ، فتنبعث منه أنغام كأنها الكلام

٢٢ – يشوى لنا اللحم خادم نشيط حين نشاءُ ، ونشرب الخمر حمراء يعلوها الزبد حين تصفَّى من إناءٍ إلى إناء .

٢٣ – لو سقط فيها القذى لظهر لصفائها واضحًا فى قعر الكأس ، فكأنه فى سطحها . يذوقها الشارب فيظل يتلمظ متلذذًا مستعذبا .

٢٤ – وعندنا قربة تفيض بالماء ، ودنٌّ أسود ملئ بالراح .

٢٥ – وكم من صحراءٍ واسعة مخيفة ، قد قطعتها بناقة ضخمة ، حين يخفق فوقها السراب ويضطرب .

٢٦ – قطعتها وحدى لا أستعين عليها إلا بناقتى ، فهى الصديق القريب ، من فوقها رَحْلٌ عظيم قد فرش ببساط وألقيت عليه وسادة .

٢٧ – تدمن السير طول الليل ، وتصبح بعد هذا الجهد المتصل الشاق موفورة النشاط ، كأن بها مَسًّا من الجنون .

ثم ينتقل الأعشى إلى التعريض بخصم له اسمه (شراحيل بن طود) ويشير إلى آخر يكنى (أباليلى) . ويعترض فى هذا الجزء ثلاثة أبيات نرجح أنها فى غير موضعها ، وهى الأبيات (٤١–٤٣) التى يمدح بها المحلق ، فموضعها الطبيعى بعد البيت (٥٠) ، فهى متصلة بما بعده من مدح المحلق الذى يمضى إلى نهاية القصيدة. وتعترضه كذلك ثلاثة أبيات أخرى فى الحكم تبدو غريبة على شعر الأعشى ، فليس من المألوف فى شعره إرسال الحكم على هذا النحو ، وهى الأبيات (٣٥–٣٧) ، وهى لا تتصل بهذا الحديث .

يقول الأعشى مخاطبًا (شراحيل بن طودٍ) وهو أحد أقاربه كما يبدو من رفقه به ونصحه له ، فيقول :

٢٩ – ما لهذا السفيه الذى يتعرض للناس بالشر يهذى إلى فاحش الكلام . إن هذا لهو الهم الذى ينحل الجسم ويبتريه .

٣٠ – لست بغافل عما تعملون ، ولكنى لست سفيها يتدفق لسانى بفاحش القول .

٣١ – نهار (شراحيل بن طود) يبعث فى نفسى الوساوس والشكوك . وليل (أبى ليلى) أدهى وأمر .

٣٢ – ولست أعيي بالكلام ، فما هو إلا أن يسدى إلى شيطانى (مِسْحلُ) القولَ حتى أقول.

٣٣ – فنحن شريكان فيما بيننا من هوادة ولين ، صديقان متصافيان ، جِنِّىٌّ وإِنْسٌ موفق .

٣٤ – يوحى إلىَّ القول فلا أعيي به ولا أضيق ، كفانى مئونته شيطان ليس بالعاجز الحصِر ولا الجاهل الغرير .

وهنا يستطرد الأعشى إلى هذه الحكم التى لا تكاد تتصل بموضوعه فيقول :

٣٥ – إنما يحسن التصلب وجمع الإرادة فى الرشد ، فذلك أدنى إلى الخير . وبمثل مايحسن التصلب فى الرشد ، يحسن تركه فى الغى ، فذلك أدنى إلى السلامة والصواب .

٣٦ – وليس اللجاج ولا التشبث من الحكمة فى شئ ، والعاقلُ مَنْ إذا أعجزه الشئ واستعصى عليه ، تركه إلى غيره حين يفوته .

٣٧ – فذلك أدنى أن ينال الجسيم الضخم من المطالب . فالاعتدال أدوم وأبقى فى المسير ، وأحرى بأن يُبلغ صاحبه ويُلْحِقه بما قصد إليه .

١٣ ـ وَلَا المَلِكُ النُّعْمنُ يَوْمَ لَقِيتُهُ بِإِمَّتِهِ يُعْطِى ٱلْقُطُوطَ وَيَأْفِقُ

١٤ ـ وَيُجْبَى إِلَيْهِ السَّيْلَحُونَ وَدُونَهَا صَرِيفُونَ فِى أَنْهَارِهَا وَٱلْخَوَرْنَقُ

١٥ ـ وَيَقْسِمُ أَمْرَ النَّاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةً وهُمْ سَاكِتُونَ وَٱلْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

١٦ ـ وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ بِقَتٍّ وَتَعْلِيقٍ وَقَدْ كَادَ يَسْنَقُ

١٧ ـ يُعَالَى عَلَيْهِ ٱلْجُلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ وَيُرْفَعُ نُقْلًا بِالضُّحَى وَيُعَرَّقُ

١٨ ـ فَذَاكَ وَمَا أَنْجَى مِنَ ٱلْمَوْتِ رَبَّهُ بِسَابَاطَ حَتَّى مَاتَ وَهْوَ مُحَزْرَقُ

١٩ ـ وَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْيَوْمَ الطَّوِيلَ بِفِتْيَةٍ مَسَامِيحَ تُسْقَى وَٱلْخِبَاءُ مُرَوَّقُ

٢٠ ـ وَرَادِعَةٍ بِٱلْمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا لِجَسِّ النَّدَامَى فِى يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ

٢١ ـ إِذَا قُلْتُ غَنِّ الشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ الكَفُّ يَنْطِقُ

٢٢ ـ وَشَاوٍ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٍ بِمِسْعَرٍ وَصَهْبَاءُ مِزْبَادٌ إِذَا مَا تُصَفَّقُ

٢٣ ـ تُرِيكَ ٱلْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْىَ دُونَهُ إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

٢٤ ـ وَظَلَّتْ شَعِيبٌ غَرْبَةُ ٱلْمَاءِ عِنْدَنَا وَأَسْحَمُ مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّاحِ مُتْأَقُ

٢٥ ـ وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقْرَقُ

(١٢ ــ ١٥) الامة النعمة . القطوط جمع قط (بكسر القاف) وهو الصك بالجائزة . أفق (كضرب) فى العطاء فضل وأعطى بعضا أكثر من بعض . السيلحون وصريفون قريتان . الخورنق قصر مشهور للنعمان ، واصله خورنكاه ومعناه بالفارسية موضع الشرب .

(١٦ ــ ١٨) اليحموم اسم فرس النعمان . القت نبات تعلفه الدواب واسمه الفصفصة (بكسر الفاءين) ، فاذا يبس سمى قتا . التعليق ما تعلفه الدواب من الشعير ونحوه . السنق للحيوان كالتخمة للانسان ، فعله سنق (كعلم) ، وقد أخذ النقاد على الاعشى هذا البيت فقالوا ان هذا قليل جدا فى ملك ، فذلك ما يفعله اقل الناس لفرسه . الجل ما تغطى به الدابة ليصونها . رفع الفرس كلفه المرفوع ، وهو عدو دون الحضر (بضم فسكون) . نقل الفرس اسرع نقل القوائم ، أو سار بين العدو والخبب . ربه صاحبه . محزرق مضيق عليه . وقد استشهد المؤرخون بهذا البيت على أن النعمان مات عند كسرى سجينا فى (ساباط) .

(١٩ ــ ٢٢) بيت مروق أى مد فيه الرواق ، والرواق سقف فى مقدم الخباء . ردعه بالشيء لطخه به . الدرع القميص . شاو هو الذى يشوى اللحم . كميش مسرع . المسعر والمسعار ما تسعر به النار أى توقد .

(٢٣ ــ ٢٥) يتمطق يتلمظ . الشعيب المزادة . الغرب والغربة (بسكون الراء) الفيضة من الخمر ومن الدمع ، وكثرة الريق وبلله . أسحم يقصد دن الخمر لانه يطلى من خارجه بالقار . الخرق الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح اى يشتد هبوبها . الجسرة الناقة الضخمة . الآل السراب . خب خفق وطال واضطرب . يترقرق يجيء ويذهب .

٢٦ - هِيَ الصَّاحِبُ الْأَدْنَى وبيْنِي وبيْنَها ... مَجُوفٌ عِلَافِيٌّ وقِطْعٌ ونُمْرُقُ
٢٧ - وتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّرى وكأنَّما ... أَلَمَّ بِها مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أوْلَقُ
٢٨ - فإنَّ ....
٢٩ - مِنَ الْجاهِلِ الْعِرِّيضِ يُهْدِي لِيَ الْخَنَا ... وذَلِكَ مِمَّا يبْتَرِينِي ويَعْرُقُ
٣٠ - فما أنَا عمَّا تعْمَلُونَ بِجاهِلٍ ... ولَا بِشَباةٍ جهْلُهُ يتَدَفَّقُ
٣١ - نَهارُ شَراحِيل بْنِ طَوْدٍ يُرِيبُنِي ... وَلَيلُ أَبِي لَيْلَى أَمَرُّ وَأَعْلَقُ
٣٢ - وَمَا كُنْتُ شَاحِرْدًا وَلٰكِن حسِبْتُنِي ... إِذَا مِسْحَلٌ سَدَّى لِيَ الْقَوْلَ أَنْطِقُ
٣٣ - شَرِيكَانِ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ ... صَفِيَّانِ جِنِّيٌّ وَإِنْسٌ مُوَفَّقُ
٣٤ - يَقُولُ فَلَا أَعْيَى لِشَيْءٍ أَقُولُهُ ... كَفَانِيَ لَا عَيٌّ وَلَا هُوَ أَخْرَقُ
٣٥ - جماعُ الْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التُّقَى ... وَتَرْكُ الْهَوَى فِي الْغَيِّ أَنْجَى وَأَوْفَقُ
٣٦ - إِذَا حَاجَةٌ وَلَّتْكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا ... فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ
٣٧ - فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمَهَا ... وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى فِي الْمَسِيرِ وَأَلْحَقُ
٣٨ - أَتَزْعُمُ لِلْأَكْفَاءِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَتَخْتَالُ إِذْ جَارُ ابْنِ عَمِّكَ مُرْهَقُ

(٢٦ — ٢٨) المجوف العظيم الجوف الضخمه . العلافى الرحل العظيم ، منسوب الى رجل من قضاعة اسمه علاف . القطع (بكسر القاف) البساط والنمرقة ، والنمرقة وسادة تلقى على الرحل . غب الشىء عاقبته ومايليه . السرى السير فى الليل . الم به خالطه . الطائف ما يلم بالانسان ويطوف به . الق الرجل (على البناء للمجهول) ألقا أى جن فهو مألوق . وبه الق أى مس من جنون .

(٢٩ — ٣١) الجاهل السفيه . العريض (بالكسر والتشديد) الذى يتعرض للناس بالشر . الخنا الفحش من القول . يبترينى أى ينحل جسمى من برى العود اى كشطه . عرق العظم اكل ما عليه من اللحم ونهسه بأسنانه . رجل شباة اى سفيه ، واشباه القاه فى مكروه . ارابه ورابه اوقعه فى الريبة والشك . أعلق اشد مرارة ، أفعل تفضيل من العلقم .

(٣٢ — ٣٤) شاحردا قالوا ان معناها متعلم . مسحل اسم شيطان الأعشى ، والمسحل حمار الوحش . سدى اليه وأسدى اليه أحسن ، واصله من السدى وهى خيوط النسيج . الهوادة اللين والرفق . العى العاجز والحصر الذى لا يستطيع ان يبين . خرق بالشىء (كعلم) جهله ولم يحسن عمله ، فهو أخرق .

(٣٥ — ٣٨) جماع الشىء جمعه . الهوى ارادة النفس ، والشىء الذى تحبه وتشتهيه محمودا كان أو مذموما ، وقد غلب استعماله على المذموم . الغى الضلال والانهماك فى الجهل . ولتك اى فاتتك وانصرفت عنك . القصد مصدر قصد (كضرب) ضد افرط ، وقصد فى مشيه مشى مستويا . الأكفاء جمع كفء وهو المثل والنظير . الارهاق أن تحمل الانسان ما لا يطيق . وقد كان وجه الكلام عندى ان يقول (ما لست أهله) .

ثم يعود الشاعر إلى مخاطبة خصمه فيقول :

٣٨ـ أتزعم لأندادك ونظرائك ما أنت مستوجب له خليق به ، وتتيه مختالا وجار ابن عمك مرهق مكدود ؟

٣٩ـ وتظن أنك قد فعلت ما تحمد عليه ، حين أصبت بالأمس قطيعًا من الإبل ؟ وإنما هو أمر له ما يليه ، وستجنى ثماره حين تتتابع عليك عواقبه بعد حين .

٤٠ـ فيُفجَع ذو المال الكثير فى ماله ، ويغنى الفقير فيَلْحَق بأصحاب الثراءِ .

٤٤ـ لقد نهيتكم عن سفهكم وتهوركم ، وإن كنت قد أديت حقكم فنصرتكم على ظلمكم ، وإنما كان حرصى على إصلاحكم بدافع من الحزم .

٤٥ـ أنذرتكم قومكم الذين تظلمونهم ، على ما يتصفون به من الكرم ، ولتلتقين بهم إن كان فى العمر بقية .

وينتقل الشاعر من هذا الحديث انتقالا مفاجئًا إلى صاحبته (ليلى) وماتكلف فى الرحلة إليها من مشاق فيقول :

٤٦ـ كم دون (ليلى) من عدو ، ومن بلاد ، ومن صحارى يخفق فوقها السراب .

٤٧ـ ليس فيها ماء إلا الراكد قد اصفرَّ كأنه الحنَّاءَ ، وطمسته الرياح والرمال . إذا ذاقه من لم يألفه ممن اعتاد شرب الماءِ العذب ، بصقه ولم يستطع أن يُسيغه .

٥٠ـ ولابد لسالك هذه الصحراء أن يتودد إلى الذين يمر بهم من القبائل ، وينال جوارهم ليجيزوه وينفذوه ، كما يُنفِذ النجارُ المسمارَ فى الباب .

٤٨ـ وإن الذى سار إليكِ الليالىَ الطوال ، وبينه وبينك الصحارى والقفار ، والبِيد المترامية الأطراف يخفق فوقها السراب . .

٤٩ـ لحقيق أن تستجيبى له وأن تعينيه ، فالمعان موفق للرشاد .

وهنا ينتقل الشاعر إلى (المحلّق) فيمضى فى مدحه إلى نهاية القصيدة ، فيقول :

٤١ـ يا (أبا مسمع) ، لقد سار الذى صنعتم وذاع ، فتحدث به الناس فى نجد وفى العراق .

٤٢ـ وستزوركم كرائم الإبل . قد عُلِّق على أعجازها الثناءُ .

٣٩ — وَأَحْمَدْتَ أَنْ أَلْحَقْتَ بِالْأَمْسِ صِرْمَةً ... لَهَا غُدُرَاتٌ وَاللَّوَاحِقُ تَلْحَقُ

٤٠ — فَيَفْجَعْنَ ذَا الْمَالِ الْكَثِيرِ بِمَالِهِ ... وَطَوْرًا يُقَنِّينَ الضَّرِيكَ فَيَلْحَق

٤١ — أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ الَّذِى قَدْ صَنَعْتُمُ ... فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا

٤٢ — وَإِنَّ عِتَاقَ الْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

٤٣ — بِهِ تُنْفَضُ الْأَحْلَاسُ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ ... وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ الْمَطِىِّ وَتُطْلَقُ

٤٤ — نَهَيْتُكُمُ عَنْ جَهْلِكُمْ وَنَصَرْتُكُمْ ... عَلَى ظُلْمِكُمْ وَالْحَازِمُ الرَّأْىِ أَشْفَقُ

٤٥ — وَأَنْذَرْتُكُمْ قَوْمًا لَكُمْ تَظْلِمُونَهُمْ ... كِرَامًا فَإِنْ لَا يَنْفَدِ الْعَيْشُ تَلْتَقُوا

٤٦ — وَكَمْ دُونَ لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ وَبَلْدَةٍ ... وَسَهْبٍ بِهِ مُسْتَوْضِحُ الْآلِ يَبْرُقُ

٤٧ — وَأَصْفَرَ كَالْحِنَّاءِ طَامٍ جِمَامُهُ ... إِذَا ذَاقَهُ مُسْتَعْذِبُ الْمَاءِ يَبْصُقُ

٤٨ — وَإِنَّ امْرَءًا أَسْرَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ... فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ

٤٩ — لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ ... وَأَنْ تَعْلَمِى أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ

٥٠ — وَلَابُدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيزُ سَبِيلَهَا ... كَمَا جَوَّزَ السَّكِّىُّ فِى الْبَابِ فَيْتَقُ

٥١ — لَعَمْرِى لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إِلَى ضُوءِ نَارٍ فِى يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

(٣٩ — ٤١) احمد الرجل فعل ما يحمد عليه . الحقه كلحقه ادركه . الصرمة (بكسر فسكون) القطعة من الابل . غدرات جمع غدرة (بضم الغين) وهو ما أغدر أى بقى من الشىء . اللواحق جمع لاحقة وهو الثمرة الاولى . فيفجعن الضمير عائد على اللواحق . قنا المال جمعه وكسبه ، وقناه (بالتشديد) أغناه وجعله يجمعه ويكسبه . الضريك الفقير ، (وليس له فعل من لفظه) . يلحق اى يلحق ذا المال ويدركه . سار اشتهر وذهب فى الناس . انجد اتى نجدا . أعرق أتى العراق .

(٤٢ — ٤٤) العيس الابل . عتاقها كرامها . أعجاز جمع عجز (كرجل وكتف) وهو المؤخر من كل شىء . يقصد أن الركبان تحمل هذا الثناء . الاحلاس جمع حلس (بكسر فسكون) وهو ما يوضع تحت الرجل مباشرا لظهر المطية حتى لا يؤذيها . المنزل مكان النزول . انساع السيور التى يشد بها الرحل الى الناقة . الحزم ضبط الامر واخذه بالشدة . شفق الناصح عليه (كعلم) حرص على اصلاحه . والشفقة عطف مع خوف ، لذلك لا يوصف الله تعالى بالشفقة .

(٤٦ — ٤٨) السهب الصحراء . الآل السراب . اصفر يقصد مورد ماء اصفر . طام مطموس . الجمام جمع جمة (بضم لم تشديد) وجم (بالفتح) وهو ما اجتمع من الماء . اسرى سار ليلا . فياف صحارى ، جمع فيفاء . التنوفة القفر . الخيفق الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب اى يضطرب .

(٤٩ — ٥١) البيت (٤٩) قال المرزبانى فى الموشح ان عجزه لا يلائم صدره . اجازه أعطاه الاجازة والاذن . السكى ذكروا فيه معانى كثيرة فقالوا انه المسمار او الدينار او البريد . والفيتق قالوا انه النجار او البواب او الملك . وسئل الاصمعى عن الكلمتين فلم يعرفهما . لاح الشىء بدا وظهر . عيون يقصد عيون الناس ، اطلق الجزء واراد الكل . اليفاع الارض المرتفعة . وانما يوقد الكريم النار على التلال والجبال ليعرف مكانه ، وليراها الناس من بعيد ليقصدوا الى ضيافته .

٤٣ـ يتحدث به الركبان حيثما نزلوا فنفضوا عن مَطِيِّهم الأَحلاس ، ويرددونه حين يشدون على مَطِيِّهم الحبال وحين يفكونها ، فى الحل والترحال .

٥١ـ ولعمرى إن أَشخاص الناس لتبدو وهى تقصد إلى ناركم ، وقد أُوقدت فوق التلال.

٥٢ـ بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويَسْمُرَان ، هما الكَرَمُ (والمحلَّق) .

٥٣ـ هما أَخوان قد رضعا ثدى أُم واحدة ، وتحالفا بحرمة الثدى الذى رضعاه لايفترقان

٥٤ـ يداك يدا فضل ، فكف تفيد الغنى ، وكف تنفق فى الشدة ، حين يضن الناس بالقليل الذى عندهم من القوت والزاد .

٥٥ـ ترى الجود يجرى ظاهرًا فوق وجهه فيزينه ، كما يجرى رونق السيف البراق متموجا على صفحته .

٥٦ـ وإذا اشتد القحط. واستحكم الجدب ، فرد الرعاة إبلهم لا يجدون العشب ، وبدت الأَرض فى العشيات صفصفًا جرداءَ ليس على ظهرها نبات .

٥٧ـ صان (آل المحلق) أَعراضهم بالجود . ونفى عنهم الذمَّ جفنةٌ ضخمةٌ تقدم للضيفان ، كأَنها حوض الماءِ يُمِدُّه نهر العراق .

٥٨ـ يغدو عليهم هذا الفتى المفضال ويروح ، بجفان مملوءَة من شحم السنام ، يتدفق عليها بغير انقطاع .

٥٩ـ ويعود وقد نقل إليهم القِدْرَ بما فيها من الطعام الذى لم يُكَثَّر بمزجه بالماءِ .

٦٠ـ ترى القوم من حولها مادِّينَ أَيديهم إليها يغترفون ، صفوفا من خلفهم صفوف ، من الناس ومن صغار الأَطفال .

٦١ـ طويل الباع لا تقصر يده عن تناول مكرمة وإن بعدت ، ليس رهطه ممن يجيئون فى المكان الثانى من قومهم . فهم السادة غيرَ شك . أَبىٌّ كريم ، لا يغشى جارَه الشرُّ ، ولا يسمو إليه الأَذى .

٦٢ـ كذلك فليكن صنيعك إلى الناس ما حييت . وكذلك فليكن إقدامك حين يتراجع الناس فى ساعة الفزع ، فتزيغ الأَبصار ، وتُعْمِى الدهشةُ العيون .

٥٢ ـ تُشبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ
٥٣ ـ رَضِيعَىْ لِبَانٍ ثَدْىَ أُمٍّ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ
٥٤ ـ يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَأُخْرَى إِذَا مَاضَنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ
٥٥ ـ تَرَى ٱلْجُودَ يَجْرِى ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ ... كَمَا زَانَ مَتْنَ ٱلْهِنْدُوَانِىِّ رَوْنَقُ
٥٦ ـ وَأَمَّا إِذَا مَا أَوَّبَ ٱلْمَحْلُ سَرْحَهُمْ ... وَلَاحَ لَهُمْ مِنَ ٱلْعَشِيَّاتِ سَمْلَقُ
٥٧ ـ نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ ٱلْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ السَّيْحِ ٱلْعِرَاقِىِّ تَفْهَقُ
٥٨ ـ يَرُوحُ فَتَى صِدْقٍ وَيَغْدُو عَلَيْهِمُ ... بِمِلْءِ جِفَانٍ مِنْ سَدِيفٍ يُدَفَّقُ
٥٩ ـ وَعَادَ فَتَى صِدْقٍ عَلَيْهِمْ بِجَفْنَةٍ ... وَسَوْدَاءَ لَأْيًا بِٱلْمَزَادَةِ تُمْرَقُ
٦٠ ـ تَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدُونَهُمْ ... مِنَ الْقَوْمِ وِلْدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ
٦١ ـ طَوِيلُ ٱلْيَدَيْنِ رَهْطُهُ غَيْرُ ثِنْيَةٍ ... أَشَمُّ كَرِيمٌ جَارُهُ لَا يُرَهَّقُ
٦٢ ـ كَذَلِكَ فَٱفْعَلْ مَا حَيِيتَ إِلَيْهِمُ ... وَأَقْدِمْ إِذَا مَا أَعْيُنُ النَّاسِ تَبْرَقُ

(٥٢ ـ ٥٤) تشب توقد أى النار . المقرور من أصابه البرد . اصطلى النار استدفأ بها . الندى الكرم . بأسحم داج يحتمل أن يكون المقصود هو الليل ، أو يكون المقصود هو حلمة الثدى ويقصد الثدى الذى رضعا منه . عوض أى أبد الدهر ، مبنى على الضم . مثل قط وقبل وبعد . الصدق الفضل والصلاح . مفيدة معطية ، وأفاده أعطاه . ضن بالشىء بخل به وحرص عليه .

(٥٥ ـ ٥٧) رونق السيف طلاوته وماؤه وبريقه الذى يتلألأ متموجا . متن السيف صفحته . أوب أرجع . المحل القحط والجفاف . السرح الابل ، أرجعوها لأنهم لا يجـــدون لها مكانا معشبا ترعاه . السملقة والسملق القـاع . الصفصف المستوى من الأرض . الجابية الحوض الذى يجبى فيه المـــاء للابل لتشرب منه . السيح النهر . فهق الاناء امتلأ حتى صار يتصبب .

(٥٨ ـ ٥٩) الجفان جمع جفنة وهى القصعة التى يقدم فيها الطعام . السديف شحم السنام . سوداء يقصد القدر ، وهى سوداء الظاهر لكثرة استعمالها فى الطبخ لأنه يطعم ضيفانه دائما . اللاى الشدة والبطء والمشقة . المزادة الراوية ، وهى قربة من جلدين يوصلان بثالث بينهما ليوسعهما . مرق القدر اكثر مرقها . يقول ان هذه القدر لا يكاد يصب عليها من ماء القربة الا القليل ، فالقدر مملوءة لحما وطعاما وهو لا يكثرها بالماء .

(٦٠ ـ ٦٢) شرع الرجل فى الماء شرب بكفيه أو تناوله بفمه . الدردق الأطفال والصغير من كل شىء . ثنية جمع ثنى (بفتح فكسر) وهو من دون السيد فى الرتبة . رهقه اتهمه بشر ، أو حمله ما لا يطيق . برق (كعلم) تحير حتى لا يطرف ، أو دهش فلم يبصر .

يتصل حديث هذه القصيدة بواقعة (ذى قار) . وقد وعدت فى القصيدة (٢٦) التى تتصل بهذا الحديث ، أن أفصل خبرها فى هذا الموضع .

(ذو قار) موضع قريب من الكوفة — بينها وبين واسط — كانت فيه واقعة مشهورة بين الفرس وبكر ، اختلفوا فى تاريخها . فقال الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه أنها كانت بعد مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يعينا تاريخها (١) وحدد صاحب الأغانى تاريخها فقال أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر (٢) . وزعم ياقوت فى معجم البلدان عند حديثه من (ذو قار) أنها كانت يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وضعف الرأى الاول فقال . « وقيل ، كانت وقعة ذى قار عند منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر الكبرى » . ورأى ياقوت بعيد عن الصواب . فالثابت أن المعركة كانت بعد مقتل النعمان ، وفى ولاية اياس بن قبيصة الطائى . وقد بعث النبى لثمانية اشهر ، أو لسنة وثمانية اشهر ، من ولايته (٣) .

وقد اختلفت الرواة فى سبب هذا اليوم . فقيل ان كسرى لما حبس النعمان بساباط حتى مات قبيل الاسلام غضبت له العرب ، وكان قتله سبب ذى قار . وقيل انه كان بسبب أسلحة النعمان التى أودعها عند رجل من أشراف بكر اسمه هانىء بن قبيصة بن هانى بن مسعود (على الأرجح) قبل رحلته الى كسرى . وقالوا انه كان بسبب غارات البكريين على السواد . وكانت بكر قد جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد (قيس بن مسعود) — الذى تقدمت قصته فى القصيدة (٢٦) — على كسرى ، فسأله أن يجعل له اجرا على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى الابلة وما والاها ، فكان يأتيه من يأتيه من بكر فيرضيهم بالعطاء وينصرفون . ولكن ذلك لم يمنع ان يغير بعض رجالهم على السواد فى بعض الأحيان ، كالذى يروى من أن (الحارث بن وعلة) و (المكسر بن حنظلة) قدما فى رجال من بكر على قيس فاستقلوا عطاءه وأغاروا على السواد .

ويبدو أن وقعة ذى قار لا ترجع الى واحد من هذه الأسباب ، ولكنها ترجع اليها جميعا . ولعلها ترجع بنوع خاص الى غارات الأعراب من البكريين على أطراف المملكة الفارسية . فهى شبيهة بيوم (الصفقة) الذى تحدثنا عنه فى القصيدة (١٣) والذى أوقع فيه كسرى بتميم بسبب غاراتهم على قوافله .

قال الرواة فى خبر هذا اليوم ان كسرى أرسل الى هانىء بن قبيصة ، يطلب منه رد دروع النعمان وأسلحته فرفض . فبعث كسرى الى بكر بالجيوش يقودها (الهامرز) على ألف من الأساورة — وكان على مسلحة كسرى بالسواد . ومن قوادها من العرب (اياس بن قبيصة الطائى) — وكان يحكم على ما كان يحكمه النعمان ، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسرة . وقد أمر كسرى قيس بن مسعود أن يسير معه كما قدمنا فى القصيدة (٢٦) و (خالد بن يزيد البهرانى) على قضاعة واياد . وزعموا أن (النعمان بن زرعة التغلبى) كان مع جيوش كسرى يقود تغلب والنمر ، وانه هو الذى دل كسرى على عورتهم من ذى قار فى الصيف ، ولكن الشعر الذى بين يدينا لا يرجح ذلك . فليس فيه اشارة واحدة الى خروج تغلب عليهم . ولو أنها فعلت لكان شيئا بشعا أن تنضم قبيلة عربية الى الفرس ضد أبناء عمومتها ، ولاستحق هذا الحادث الخطير ان يسجل . على أن البيت (٤١) من القصيدة (٣٤) التى بين يدينا يثبت غير ذلك فالأعشى يتهدد كسرى فى هذا البيت بقوة قومه فيقول :

فى عارض من وائل ان تلقه ... يوم الهياج يكن مسيرك أنكدا

فقوله (وائل) معناه أن (تغلب) كانت مع (بكر) ، ولو انها كانت منشقة عليهم لخصص فقال : فى عارض من (بكر) .

وكان كسرى قد طلب من بكر أن يسلموا حلقة النعمان ، ويقدموا مائة غلام يكونون رهنا بما يحدث سفهاؤهم فى السواد . وخيرهم بين ذلك وبين الجلاء عن أرضهم أو القتال . فاختاروا القتال وتزعمهم فى هذا اليوم (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى) الذى عرف من ذلك اليوم بمقطع الوضن (والوضين الحزام) ، سمى بذلك لأنه قطع وضن الابل التى تحمل النساء حتى لا يفر المقاتلة ، وحتى يعرف الواحد منهم أنه ان هرب لم تستطع امرأته أن تفر معه) ، و (يزيد بن مسهر الشيبانى) . وقد ذهب بنو شيبان خاصة بفخر هذا اليوم .

وروى للأعشى فيه أربع قصائد : (٢٦) وهى فى رحلة قيس بن مسعود الى كسرى بعد ذى قار و (٣٤) وهى هذه القصيدة التى قدمنا لها بهذا الحديث . وقد قيلت قبيل ذى قار . فالشاعر يتهدد فيها كسرى بالحرب ، رافضا ما كان يطلب من الرهن . و (٤٠) ، (٥٦ وهما بعد ذى قار . وسيأتى حديثها فى مواضعها من الديوان .

يقول الأَعشى :

١ — عدل عن سفره فأقام ، وتخلف ليلة ليتزود من (قُتَيْلَة) فمضت الليلة ، وأخلفته (قتيلة) الموعد .

٢ — ومضى هو لحاجته . وقد أصبح ودها باليًا ، وكان يظن أنه دائم لا ينقطع .

٣ — أدركنى الشيب ، فهجرتنى الغوانى حين فارقتنى نضرة الشباب .

---

(١) الطبرى ١ : ٦٠٠ ، ٦٠٨ — ابن الأثير ١ : ٢٩٠ — العقد الفريد ٦ : ١١١ .
(٢) الأغانى ٢٠ : ١٣٨ .
(٣) الطبرى ١ : ١٦٤ — ابن الأثير ١ : ٢٩٢ .

وَقَالَ الأَعْشَى لِكِسْرَى حِينَ أَرَادَ مِنْهُمْ رَهَائِنَ ، لَمَّا أَغَارَ ٱلْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ عَلَى بَعْضِ السَّوَاد :

١ ـ أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ... فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا (كامل)

٢ ـ وَمَضَى لِحَاجَتِهِ وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا ... خَلَقًا وَكَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُنْكَدَا

٣ ـ وَأَرَى ٱلْغَوَانِيَ حِينَ شِبْتُ هَجَرْنَنِي ... أَنْ لَا أَكُونَ لَهُنَّ مِثْلِي أَمْرَدَا

٤ ـ إِنَّ ٱلْغَوَانِيَ لَا يُوَاصِلْنَ ٱمْرَءًا ... فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ ٱلْأَمْرَدَا

٥ ـ بَلْ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعُودَنْ نَاشِئًا ... مِثْلِي زُمَيْنَ أَحُلُّ بُرْقَةَ أَنْقَدَا

٦ ـ إِذْ لِمَّتِي سَوْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا ... دَدَنًا قُعُودَ غَوَايَةٍ أَجْرِي دَدَا

٧ ـ يَلْوِينَنِي دَيْنِي النَّهَارَ وَأَجْتَزِي ... دَيْنِي إِذَا وَقَذَ النُّعَاسُ الرُّقَّدَا

٨ ـ هَلْ تَذْكُرِينَ ٱلْعَهْدَ يَابْنَةَ مَالِكٍ ... أَيَّامَ نَرْتَبِعُ السِّتَارَ فَثَهْمَدا

٩ ـ أَيَّامَ أَمْنَحُكِ ٱلْمَوَدَّةَ كُلَّهَا ... مِنِّي وَأَرْعَى بِٱلْمَغِيبِ ٱلْمأْحَدا

١٠ ـ قَالَتْ قُتَيْلَةُ ما لِجِسْمِكَ سايِئًا ... وَأَرَى ثِيَابَكَ بالِيَاتٍ هُمَّدا

١١ ـ أَذْلَلْتَ نَفْسَكَ بَعْد تَكْرِمَةٍ لَهَا ... أَوْ كُنْتَ ذَا عَوَزٍ وَمُنْتَظِراً غَدا

١٢ ـ أَمْ غَاب ربُّك فَٱعْتَرَتْك خَصَاصَةٌ ... فَلَعلَّ رَبَّك أَنْ يَعُود مُؤَيَّدا

(١ — ٣) ثوى وأثوى بمعنى واحد أى أقام . قصر توانى . مضـــت أى الليلة . اخلف فلانا وجد موعده خلفا (بكسر الخاء) اى مختلفا . خلقا باليا . نكدت البئر (كعلم) قل ماؤها . ونكده منعه ما سأله ولم يعطه . الأمرد النــاعم الوجه الذى لم ينبت شعر لحيته .

(٤ — ٦) يطلق العرب البُرقة (بضم الباء) على كل أرض غليظة . وبرقة انقد واحدة من هذه البراق ، وهى كثيرة ، احصى منها صاحب القاموس اكثر من مائة موضع . يكنى العرب بالظل عن الراحة ، لاشتداد الحرارة فى الصحراء ، فهم يعانون منها الالام . ولذلك وصفت الجنة بالظل . وقالوا هو فى ظل اى فى عز ومنعة ورفاهية . وقالوا هو يتبع ظل لمته ، ويبـــارى ظل رأسه ، اذا اختال . ومنه قول الشاعر (فراح يبارى ظل راس مرجل) . الدد والددن اللهو واللعب . قعود غواية ، اطلق المصدر وأراد اسم الفاعل ، اى قاعدا فى الغواية .

(٧ — ٩) يلويننى يمطلننى . أجتزىء اتقاضى . وقذ صرع . يقول ان له حقا على صاحباته بما بينه وبينهن من ود ومن صلات ، ولكنهن يمطلنه حقه اذا طالب به نهارا ، ولا يقبلن اداءه والوفاء به الا ليلا حين ينام الناس . ارتبع وتربع أقام فى الربيع ، المأحد الانفراد مصدر ميمى من وحد فهو وحيد . وقيل انه يريد (المعهد) فقلب العين همزة .

(١٠ — ١٢) سايىء يسوء من رآه . همد الثوب تقطع من طول الطى ، ينظر اليه الناظر فيحسبه صحيحا ، فاذا مسه تناثر من البلى عوز فقر . ربك سيدك . الخصاصة الفقر وسوء الحال والحاجة .

٤ ـ والغوانى لايواصلن من فقد الشباب ، ولكنهن يصلن الأمرد الناعم الوجه الغض الإهاب .
٥ ـ يا للشباب الذاهب ! كيف لى أن أعود ناشئًا ، كما كنت أيام أحل (برقة أنقد)
٦ ـ أيام كانت لمتى سوداء ، أختال فى لهو وفى عبث لا ينقطع .
٧ ـ أسعى إلى صواحبي فى الليل ،حين يصرع النوم الراقدين ،أتقاضى منهن دينى وقد أنكرته فى النهار
٨ ـ هل تذكرين العهد يا (ابنة مالك) ، أيام كنا نقضى الربيع فى (السِّتار) و (ثَهْمد)
٩ ـ أيام أمنحك ودى كله لا شريك لك فيه ، وأحفظ حين تغيبين العهود .
١٠ ـ تقول (قُتَيْلَة) : ما لجسمك يسوءُ من رآه ، وما لثيابك باليات ؟
١١ ـ أأذللت نفسك وقد كنت لها مكرما ، أم أدركك الفقر فأنت ترجو الفرج من غد ؟
١٢ ـ أم غاب ولى نعمتك فساءَ حالك ؟ فلعله أن يعود من القتال مظفرًا منصورًا .
١٣ ـ فأجبتها : سيّدى كريم لايشوب نعمته كدر ولانكد ، إذا نُوشِد بما فى الكتب أجاب .

وينتقل الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، الذى تحدث فيه عن (قتيلة) ، أحب صواحبه إليه ، ليصف الصحراءَ ؛ فيقول :

١٤ ـ رب ناقة صلبة خفيفة . كأنما وضعتُ الرحل منها فوق نعام أسود الظهر سريع .
١٥ ـ تصبح بعد إدمان السير فى الليل الطويل ، وكأنها حمار وحش مخطط ، قد اكتمل شبابه ، وبلغ أشده ، يتلو أُتنًا مخططة الظهور .
١٦ ـ أو كأنها نعامة رمادية اللون بـ(القارتين) ، أسرعت فى أثر ذكر النعام ، عائدين إلى وكرهما ، وقد بدا الليل وتصرم النهار
١٧ ـ يتجاريان مسرعين قبل أن يدركهما الظلام فيتعرضان للتلف ، إذ يضطران للإقامة فى مكانهما العارى المكشوف من الصحراءِ .
١٨ ـ فهى تارة تسبقه فى عدوها فتكون أمامه ، وتارة أُخرى يشتد هو فى عدوه فيفوتها .
١٩ ـ ولقد أركب الجمل الضخم الفتي ، قد تماسكت فقاره ،فكأنها برج (النبيط) قد شيدوه بالآجر .
٢٠ ـ إذا أرغى وهدر ، فالتف زبده بأسنانه ، هب يجدد نشاطه ،وانطلق فى عدو سريع .
٢١ ـ فكأنه ذكر نعام يبارى نعامة رمادية اللون فى سرب من النعام .
٢٢ ـ دخل عليه الظلام فى (ذى العجلان) ، فهو يسرع ميمما إلى مأواه ، فى روضة خضراء قد التف نباتها المتموج المياس .

١٣ ـ رَبِّى كَرِيمٌ لَا يكَدِّرُ نِعْمَةً ... وَإِذَا يُنَاشَدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا
١٤ ـ وَشِمِلَّةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا ... جَلَّلْتُهُ جَوْنَ السَّرَاةِ خَفَيْدَدَا
١٥ ـ وَكَأَنَّهَا ذُو جُدَّةٍ غِبَّ السُّرَى ... أَوْ قَارِحٌ يَتْلُو نَحَائِصَ جُدَّدَا
١٦ ـ أَوْ صَعْلَةٌ بِالْقَارَتَيْنِ تَرَوَّحَتْ ... رَبْدَاءَ تَتْبَعُ الظَّلِيمَ الْأَرْبَدَا
١٧ ـ يَتَجَارَيَانِ وَيَحْسَبَانِ إِضَاعَةً ... مُكْثَ الْعِشَاءِ وَإِنْ يُغِيمَا يَفْقِدَا
١٨ ـ طَوْرًا تَكُونُ أَمَامَهُ فَتَفُوتُه ... وَيَفُوتُهَا طَوْرًا إِذَا مَا خَوَّدَا
١٩ ـ وَعُذَافِرٍ سَدَسٍ تَخَالُ مَحَالَه ... بُرْجًا تُشَيِّدُهُ النَّبِيطُ الْقَرْمَدَا
٢٠ ـ وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ ... ثَنَّى فَهَبَّ هِبَابُهُ وَتَزَيَّدَا
٢١ ـ وَكَأَنَّهُ هِقْلٌ يُبَارِى هِقْلَةً ... رَمْدَاءَ فِى خِيطٍ نَقَانِقَ أَرْمَدَا
٢٢ ـ أَمْسَى بِذِى الْعَجْلَانِ يَقْرُو رَوْضَةً ... خَضْرَاءَ أَنْضَرَ نَبْتُهَا فَتَرَأَّدَا
٢٣ ـ أَذْهَبْتُهُ بِمَهَامِهٍ مَجْهُولَةٍ ... لَا يَهْتَدِى بُرْتٌ بِهَا أَنْ يَقْصِدَا
٢٤ ـ مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إِذا مَا جَاءَه ... عَنِّى مَآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا
٢٥ ـ آلَيْتُ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا ... رُهُنًا فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

(١٣ ـــ ١٤) يناشد من قولهم نشدتك الله ، اى استحلفك به . المهارق الصحف (اعجمية معربة) جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) وقيل المهرق حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . انشده اى أجابه الى طلبه . وفى البيت اشارة الى أن هذا الممدوح متدين بأحد الأديان السماوية . شملة خفيفة . حرف صلبة . القتود عيدان الرحل . الخفيدد الظليم وهو ذكر النعام .

(١٥ ـــ ١٦) الجدة (بضم الجيم) العلامة والخطة فى ظهر حمار الوحش . القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل ، وهو البعير اذا بزل نابه ، وذلك فى سن التاسعة . النحائص جمع نحوص وهى من الأتن مالا ولدلها ولا لبن ، وهى أوفن نشــاطا وأكثر اكتنازا . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته . صعلة صغيرة الرأس ، يقصد النعامة ، يشبه ناقته بها لسرعتها ، الأربد الأبيض المشوب بسواد . الظليم ذكر النعام .

(١٧ ـــ ١٩) أغام بالمكان أقام . التخويد ضرب من العدو . العذافر العظيم الشديد من الابل . السدس قبل البازل فى نحو الثامنة من عمره . المحالة الفقرة من فقر البعير . القرمد الجص والحجارة والآجر والخزف المطبوخ .

(٢٠ ـــ ٢٢) لاث عمامته أدارها . لغامه زبده . السديس السن قبل البازل . ثنى بالأمر اذا فعل أمرا ثم ضم اليه أمرا آخر . هب هبا وهبوبا وهبابا نشط وأسرع . التــزيد سير فوق العنـــق . الهقل ذكر النعام . الهقلة النعامة . رمداء أى ربداء رمادية اللون . الخيط (بكسر الخاء) الجماعة من النعام . نقانق جمع نقنق (بكسر النونين) وهو ذكر النعام . القرو القصد والتتبع . ذو العجلان شجر . ترأد اهتز وتمايل واضطرب .

(٢٣ ـــ ٢٥) المهامه جمع مهمه وهى الصحراء . البرت الدليل . مآلك جمع مألكة (بفتح فسكون فضم) وهى الرســالة ، الــكه أبلغه الرسالة . مخشمات مغضبات ، والخمش الخدش واللطم . شرد اى تأتى فى كل مكان لشهرتها وذيوعها ، وأصله من الناقة الشرود وهى التى تذهب على رأسها .

٢٣ ـ صرفت هذا الجمل إلى صحارى مضلة مجهولة المسالك ، لايكاد يهتدى بها الدليل الخبير.

ثم ينتقل من حديث الصحراء ، فيوجه خطابه إلى (كسرى) قائلا :

٢٤ ـ من يبلغ عنى (كسرى) إذا جاءه ، رسائل تخمش الوجوه ، وتذهب مشهورة فى كل مكان ، فتجرى على كل لسان .

٢٥ ـ آليت أن لانجيبه إلى ما يسألنا من تقديم رهائن من أبنائنا ، لنعرضهم للتلف ، كالذين أتلفهم وآذاهم من قبل .

٢٦ ـ حتى ترهنه نجوم (نعش) أبناءها ، أو يرهنه (السِّماكُ) (الفَرْقَدَ) .

٢٧ ـ إلا ما سبق من أمر (خارجة) ، الذى يكلف نفسه أن يحضر حين أغيب .

٢٨ ـ و (ابنى قبيصة) اللذين أخذ منهما الخوف ، فأرهقا أنفسهما وحملا إليك الرهائن ـ والخائف جدير بأن يرهق نفسه ـ

٢٩ ـ كلا ، يمين الله ، لتُنزلَنَّ لنا (الأسود) من حيث سجنتَه فى رأس الجبل .

٣٠ ـ أو لنقاتلنك على ما نشاءُ ونختار ، ولنبعثنها على المتمردين الطغاة .

٣١ ـ حرباً لاتهدأ بين (عانة) (والفرات) ، كأنها النار المستعرة ، يمدها الغواة بالحطب والأخشاب.

ويهاجم الأعشى قبيلة (إياد) التى يضطرها موقعها فى أطراف الجزيرة إلى ممالأة الفرس ، فينفيهم عن العرب ، ويشبههم بالأنباط ، ويتهكم بهم لأنهم يعتمدون فى حياتهم على الزراعة . وهذا يصور احتقار العرب ـ والأعراب منهم خاصة ـ لأصحاب الصناعة والزراعة . ذلك لأن مثلهم الأول أن يكون الرجل فارسًا مقاتلا . والزراعة والصناعة والتجارة تقوم على الاستقرار ، وأصحابها يتجنبون الحروب والغارات ما استطاعوا . يقول الأعشى :

٣٢ ـ خربت بيوت هؤلاءِ الأنباط . ! لكأنهم لايلقون بعدك من يقيم أمرهم ويتعهدهم ويعمر أرضهم.

٣٣ ـ أظننتنا كـ(إياد) حرَّاثين أذلاء ، قد اتخذوا (تكريت) دارًا ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد ؟

٣٤ ـ خاملين يقطعون الوقت فى معالجة القمل المنتشر فى أبدانهم ، وقد أُوثِقُوا بالسلاسل ، وغُلِّقتْ دونهم الأبواب .

٢٦ ـ حَتَّى يُفِيدَكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً ... نَعْشٌ وَيَرْهَنَكَ السِّمَاكُ ٱلْفَرْقَدَا
٢٧ ـ إِلَّا كَخَارِجَةَ ٱلْمُكَلِّفِ نَفْسَهُ ... وَٱبْنَى قَبِيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا
٢٨ ـ أَنْ يَأْتِيَاكَ بِرُهْنِهِمْ فَهُمَا إِذَنْ ... جُهِدَا وَحُقَّ لِخَائِفٍ أَنْ يُجْهَدَا
٢٩ ـ كَلَّا يَمِينَ اللهِ حَتَّى تُنْزِلُوا ... مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ إِلَيْنَا ٱلْأَسْوَدَا
٣٠ ـ لَنُقَاتِلَنَّكُمُ عَلَى مَا خَيَّلَتْ ... وَلَنَجْعَلَنْ لِمَنْ بَغَى وَتَمَرَّدَا
٣١ ـ مَا بَيْنَ عَانَةَ وَٱلْفُرَاتِ كَأَنَّمَا ... حَشَّ ٱلْغُوَاةُ بِهَا حَرِيقًا مُوقَدَا
٣٢ ـ خَرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيطَةٍ فَكَأَنَّمَا ... لَمْ تَلْقَ بَعْدَكَ عَامِرًا مُتَعَهِّدَا
٣٣ ـ لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادٌ دَارَهَا ... تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا
٣٤ ـ قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلًا أَبْنَاؤُهُمْ ... وَسَلَاسِلًا أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا
٣٥ ـ جَعَلَ ٱلْإِلٰهُ طَعَامَنَا فِى مَالِنَا ... رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا
٣٦ ـ مِثْلَ الْهِضَابِ جَزَارَةً لِسُيُوفِنَا ... فَإِذَا تُرَاعُ فَإِنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا
٣٧ ـ ضَمِنَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا ... وَضُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ ٱلْأَجْرَدَا

---

(٢٦) بنات نعش سبعة كواكب ، اربعة منها نعش (اى على شكل مستطيل) وثلاث بنات (كالذيل لهذا المربع) ، فمن الأربع الفرقدان ، وهما المتقدمان ، ومن البنات الجدى وهو آخرها . السماكان كوكبان نيـران . يقول لكسرى ان رهنك (نعش) بنيه من النجوم . وان رهنك السماك الفرقد فنحن نرهنك ابناءنا . اى أن ذلك مستحيل .

(٢٧ — ٢٨) فى البيتين تقديم وتأخير . يقصد : الا كخارجة المكلف نفسه ان اغيب ويشهد ، وابنى قبيصة ، أن يأتياك .. الا كخارجة استثناء من (لانعطيه من ابنائنا) . يشهد يحضر . جهد (على البناء للمجهول) بلغ الجهد واقصى الطاقة .

(٢٩ — ٣١) الشاهقة والحالقة ارفع موضع فى الجبل . الأسود هو اخو الحوفزان ، كان فى يد كسرى فى رهن قيس بن مسعود . اما خارجة وابنا قبيصة فنحن لانعرفهما . تقول للرجل : افعل ذلك على ما خيلت، اى على ما أرتك نفسك وشبهت لك واوهمتك. حش النار اطعمها الحطب كما تحش الدابة وتطعمها . الغواة جمع غاو اسم فاعل من غوى (كضرب وعلم) أى ضل وانهمك فى الجهل والسفه .

(٣٢ — ٣٥) النبيط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين . وكانوا من جند كسرى حين حارب بكرا يوم ذى قار . عامر يعمر ديارهم ويدبر امرهم . متعهد من تعهد الضيعة اى تفقدها و قام على اصلاحها . اجد موثقة . مؤصد مغلق . المال الابل .

(٣٦ — ٣٧) الهضبة القطعة من الجبل خلقت من صخرة واحدة . الجزر كل شىء مباح للذبح ، والواحد جزرة (بالتحريك) . راعه افزعه . طرد الابل ضمها من نواحيها . اعجاز الابل افخاذها وهى اسمن موضع منها واحسن مايؤكل من لحمها . الصريح الخالص . الاجرد الصافى .

٣٥ ـ ليس هذا شأننا ، فقد جعل الله طعامنا فى الإبل ، نَرْحَلُها حيث نشاءُ ، رزقًا لا ينفد .

٣٦ ـ ضخمة كالهضاب ، نعقرها بسيوفنا للضيفان ، لا يطردها مُرَوِّعٌ أو مغير .

٣٧ ـ ضمنت أعجازُها قدورَنا أن تفرغ ، وضمنت ضروعُها لنا اللبنَ خالصًا صافيًا .

فإذا بلغ الشاعر هذا الحد فقارب الانتهاء ، اتجه إلى كسرى وقد بلغ به الهياج أشده فيختم قصيدته متهددًا يقول :

٣٨ ـ فاقعد عليك تاجك معتصبًا به ، ولا تسمنا الذل والاستعباد .

٣٩ ـ فما نحن بغافلين عما يأكل قلوبكم من حقد يُظلِم الوجوه .

٤٠ ـ فلعمر جدك لو رأيتنا حيث نقيم ، لرأيت منا منظرًا يروع ، وقوة لا تلين .

٤١ ـ فى جبل من (وائل) يسد الأُفُق معترضًا ، إن لقيته فى القتال ، لقيت به الشؤم والنكال .

٤٢ ـ وترى الجياد الجرد مربوطة حول الخيام ، وقد أُسندت إليها الرماح .

(٣٥)

هذه هى القصيدة الثانية والأخيرة ، التى رويت فى مدح سلامة ذى فائش ، والقصيدة الأولى (٨) . وقد تقدمت فيها ترجمة الممدوح . وفى هذه القصيدة أشياء تستوقف نظر الباحث : فقد شكك ابن قتيبة فى صحة نسبتها للأعشى . فقال بعد أن روى منها الأبيات الأربعة الأولى (وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئا يستحسن الا قوله :

ياخيــر من يــركب المطى ولا   يشرب كأسـا بـكف من بخـلا)

والواقع ان فى القصيدة مايشكك فى نسبتها . فهى من بحر (المنسرح) . وهو بحر غريب على الأعشى ، لم يروله فيه غير هذه القصيدة . ثم انه بحر نادر فى الشعر الجاهلى عامة ، لم يرو فيه لامرىء القيس غير عشرة أبيات (فى ثلاث مقطوعات) . ولم يرو فيه لزهير غير قصيدتين ، احداهما ١١ بيتا ، والأخرى ١٢ بيتا . ولم يرو فيه لحسان غير قصيدتين أيضا ، احداهما ١٢ بيتا والأخرى ١٩ بيتا .

على أن هذا النوع من التفكير ، الذى نراه فى صدر القصيدة ، غير مألوف فى الشعر الجاهلى عامة وفى شعر الأعشى خاصة . فهو أشبه بشعر من نظر فى الفلسفة أو علم الكلام . وقد كان جل مايصل اليه تفكير الشاعر الجاهلى أن يذكر الذين ماتوا من الملوك والجبابرة متخذا من موتهم عظة ، أو يقول فى سذاجة انه يستمتع بالحياة لأنه لايعلم مايكون من غد ، كما قال طرفة فى مطولته ، وكما قال الأعشى فى غير هذا الموضع . أما هذا التفكير الذى يستشهدون به على أن الأعشى كان قدريا فهو كثير على شاعر جاهلى ، وغير معروف فى بقية شعر الأعشى .

والقصيدة مع كل ذلك قلقة الالفاظ تافهة .

يقول الأعشى :

١ ـ إن لنا فى هذه الدنيا لمقاما ، وإن لنا عنها لمرتحلا . وإن الناس فيها لمسافرون يُمْهَلُون إلى حين .

٢ ـ خلق الله الخلق على ما أراد واختار . ثم خصَّ نفسه بالوفاء وبالعدل ، وجعل اللوم على الناس .

٣ ـ وإنما تحمل الأرض ما أراد لها الله أن تحمل ، لا تستطيع لذلك ردًا ولا دفعًا .

٤ ـ يعتريها الخصب حينًا ، فتكسوها الزهور ، كأنها فى حُلَّةٍ من برود اليمن الزاهية الألوان . ويعتريها القحط حينًا آخر ، فإذا هى مجدبة يتقشر أديمها من الجفاف .

٣٨ـ فَاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِهِ   لَا تَطْلُبَنَّ سَوَامَنَا فَتَعَبَّدَا
٣٩ـ لَا تَحْسَبَنَّا غَافِلِينَ عَنِ ٱلَّتِى   تُغْشِى وجُوهَ القَوْمِ لَوْنًا أَسْوَدَا
٤٠ـ فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مُقَامَنَا   لَرَأَيْتَ مِنَّا مَنْظَرًا وَمُؤَيَّدَا
٤١ـ فِى عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ إِنْ تَلْقَهُ   يَوْمَ ٱلْهِيَاجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أَنْكَدَا
٤٢ـ وَتَرَى ٱلْجِيَادَ ٱلْجُرْدَ حَوْلَ بُيُوتِنَا   مَوْقُوفَةً وَتَرَى ٱلْوَشِيجَ مُسَنَّدَا

(٣٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ سَلَامَةَ ذَا فَائِش :

١ ـ إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلَا   وَإِنَّ فِى السَّفْرِ مَا مَضَى مَهَلَا (منسرح)
٢ ـ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْ   عَدْلِ وَوَلَّى ٱلْمَلَامَةَ الرَّجُلَا
٣ ـ وَٱلْأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ ٱلـ   ـلّٰهُ وَمَا إِنْ تَرُدُّ مَا فَعَلَا
٤ ـ يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ ٱلْ   خِمْسِ وَيَوْمًا أَدِيمُهَا نَغِلَا
٥ ـ أَنْشَى لَهَا ٱلْخُفَّ وَٱلْبَرَاثِنَ وَٱلْ   حَافِرَ شَتَّى وَٱلْأَعْصَمَ ٱلْوَعِلَا
٦ ـ وَالنَّاسُ شَتَّى عَلَى سَجَائِحِهِمْ   مُسْتَوْقِحًا حَافِيًا وَمُنْتَعِلَا
٧ ـ وَقَدْ رَحَلْتُ ٱلْمَطِىَّ مُنْتَخِلًا   أُزْجِى ثِقَالًا وَقُلْقُلًا وَقِلَا
٨ ـ أُزْجِى سَرَاعِيفَ كَٱلْقِسِىِّ مِنَ الـ   شَّوْحَطِ صَكَّ ٱلْمُسْفَعِ ٱلْحَجَلَا

(٣٨ — ٤٢) سامه الأمر كلفه اياه . تعبده واستعبده صيره كالعبد . الجد (بفتح الجيم) الحظ ، يقسم له بحظه — على سبيل التهكم — والجد ايضا ابو الاب والأم . المنظر مانظرت اليه فأعجبك أو ساءك . الأيد القوة وأيده قواه فهو مؤيد . العارض السحاب المعترض فى الأفق والجبل ، شبه به الجيش . الهياج الحرب . الوشيج شجر الرماح .

(٣٥)

(١ — ٣) استشهد سيبويه بالبيت الأول على حذف خبر ان لأنه معلوم . أى ان لنا محلا فى الدنيا ومرتحلا . المهل التؤده والرفق . السفر المسافرون . ما مصدرية ظرفية .

(٤ — ٦) الخمس (بكسر الخاء) ضرب من برود اليمن . نغل الأديم فسد فى الدباغ ، ونغل وجه الأرض اذا تهشم من الجدوبة . الأعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائر جسمه اسود أو احمر . السجائح جمع سجيحة وهى الطبيعة والخلق . وقح حافر الدابة (كضرب) وقحا (بالتحريك) صلب . وكذلك استوقح .

(٧ — ٨) انتخل الشىء اختاره . ازجى اى اسوق . القلقل (بضم القافين) الخفيف فى السفر والسريع الحركة . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه فهو وقل (كفرح) ، وكذلك توقل . السرعوف (بضم السين) الفرس الطويل ، والجمع سراعيف . الشوحط ضرب من النبع (بفتح فسكون) ، وهو شجر تتخذ منه القسى ينبت فى السهل ، وأما النبع فينبت فى الجبل ، والواحد شوحطة . المسفع الصقر أو البازى لأن فى وجهه سفعة (وهو السواد المشرب بحمرة) . الحجل ذكر القبج (بفتح فسكون) وهو الكروان . والقبج فارسى معرب .

٥ ـ وقد بث فيها الله الحيوان مختلفًا أنواعه ، منه ذو الخف ومنه ذو البرائن وذو الحوافر ، ومنه الوعول العُصْم .

٦ ـ وجعل الناس مختلفى الطبائع ، فمنهم الحافى الغليظ القدم ، ومنهم المنتعل .

٧ ـ وقد رحلت المطى المختارة أزجيها ، ثقالا قد أوقرتها الأحمال ، وخفافا تمضى مُصْعِدَةً فى الجبال .

٨ ـ أسوق أفراسًا ضامرة كأنها قِسِىٌّ (الشَّوْحَط .) ، فتجرى أمامى كأنها الحَجَل تطاردها الصقور .

٩ ـ وأمتطى الإبل المسنة ، والناقة الضخمة الصلبة ، والجمل .

١٠ ـ يرشح البول على فخذيه وقد لصق به الغبار ، كما ترشح الإبل (العبدية) المسنة .

١١ ـ تسرع فى السير وتنساب حين تهبط السهول ، وترجم الأرض بأخفافها الصلاب ، شأن الفَتِىِّ الصغير من الإبل ، حين تُصْعِد فى الوُعُور .

١٢ ـ تمضى بمن يقطع الصحارى والقفار البعيدة ، قاصدًا من يكافئه على رحلته الشاقة بالإبل .

١٣ ـ ويعطيه الضخم القوى من الأفراس ، والجوارى والعبيد . والإبل الضخام يتبعها أطفالها الصغار .

١٤ ـ تقيم المطايا عنده مكرمة ما أقامت . ويجزيها بما عملت أخفافُها وما لقيت من متاعب وصعاب .

* * * *

١٥ ـ أصبح «سلامة ذو فائش» منشرح الصدر مسرورًا .

١٦ ـ أبيض ميمون ، لا يشح خوف الفقر والهزال ، ولا يقطع الأقرباء ، ولا يخون العهود .

١٧ ـ يا خير من يركب المطى ، ويا من لا يشرب كأساً بكف بخيل .

١٨ ـ قلدتك شعرى يا ذا الفضل والإنعام ، وأنت به جدير .

١٩ ـ والشعر يستنزل الكريم ويدنيه ، كما يستنزل رعد السحابة الأمطار .

٢٠ ـ لو كنتَ ينبوعا لاجتمع ماؤك وتكاثر حين يَرِدُ القوم ، ولم يكن بالنزر ولا القليل

٢١ ـ لقد أنجب والداك إذ ولداك ، فنعم ما ولدا من كريم .

٩ ـ وَٱلْهَوْزَبَ ٱلْعَوْدَ أَمْتَطِيهِ بِهَا   وَٱلْعَنْتَرِيسَ ٱلْوَجْنَاءَ وَٱلْجَمَلَا
١٠ ـ يَنْضَحُ بِالْبَوْلِ وَٱلْغُبَارِ عَلَى   فَخْذَيْهِ نَضْحَ ٱلْعَبْدِيَّةِ ٱلْجُلَلَا
١١ ـ وَسَّاجَ سَابَ إِذَا هَبَطْتَ بِهِ ٱل   سَّهْلَ وَفِى ٱلْحَزْنِ مِرْجَمًا حَجَلَا
١٢ ـ بِسَيْرِ مَنْ يَقْطَعُ ٱلْمَفَاوِزَ وَٱلْ   بُعْدَ إِلَى مَنْ يُثِيبُهُ ٱلْإِبِلَا
١٣ ـ وَٱلْهَيْكَلَ النَّهْدَ وَٱلْوَلِيدَةَ وَٱلْ   عَبْدَ وَيُعْطِى مَطَافِلًا عُطُلَا
١٤ ـ يُكْرِمُهَا مَا ثَوَتْ لَدَيْهِ وَيَجْ   زِيهَا بِمَا كَانَ خُفُّهَا عَمِلَا
١٥ ـ أَصْبَحَ ذُو فَائِشٍ سَلَامَةُ ذُو ال   تَّفْضَالِ هَشًّا فُؤَادُهُ جَذِلَا
١٦ ـ أَبْيَضَ لَا يَرْهَبُ ٱلْهُزَالَ وَلَا   يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَا
١٧ ـ يَا خَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِىَّ وَلَا   يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفٍّ مَنْ بَخِلَا
١٨ ـ قَلَّدْتُكَ الشِّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا ال   تَّفْضَالِ وَالشَّىْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا
١٩ ـ وَالشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ ٱلْكَرِيمَ كَمَا ٱسْ   تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا
٢٠ ـ لَوْ كُنْتَ مَاءً عِدًّا جَمَمْتَ إِذَا   مَا وَرَدَ ٱلْقَوْمُ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا
٢١ ـ أَنْجَبَ أَيَّامُ وَالِدَيْهِ بِهِ   إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

(٩ ــ ١٠) الهوزب والعود (بفتح فسكون) المسن من الابل. العنتريس الناقة الصلبة . الوجناء الفخمة . ينضح يرشح العرق . العبدية منسوبة الى قبائل عبد القيس . الجلل (بضم ثم فتح) جمع جليل وجل (بكسر الجيم) وهو المسن ، فعله جل (كضرب) اى أسن واحتنك .

(١١ ــ ١٢) وسجت الابل أسرعت فى السير ، والجمل وساج أى سريع . ساب يسيب أسرع فى السير . مرجما أى يرجم الارض بأخفافه . الحجل معناها هنا صغار الابل .

(١٣ ــ ١٥) الهيكل الضخم من كل حيوان . النهد الفرس الحسن الجميل الجسم . الوليدة الجارية . مطافل جمع مطفل (بصيغة اسم الفاعل) اى معها طفلها . العطل من الابل (ككتف) الحسن الجسم . هش ارتاح وتبسم . جذل فرح .

(١٦ ــ ١٨) الرحم (بكسر فسكون) والرحم (بفتح فكسر) القرابة . الال العهد والميثاق . خير من يركب المطى اى خير الناس جميعا ، والراكب خير من الراجل . لا يشرب كأسا بكف من بخلا ، اى انه ليس بخيلا ، لانه انما يشرب بيده هو نفسه .

(١٩ ــ ٢١) السبل المطر . العد (بكسر العين) الماء الجارى الذى له مادة لاتنقطع كماء العين والينبوع . جم الماء كثر واجتمع . الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة ولا يتصل قطره . انجب الرجل ولد ولدا نجيبا اى كريما . نسب الانجاب للأيام كما تقول نام ليل فلان ، تريد انه هو الذى نام .

٢ ـ قد علمت (فارس) و (حِمْيَر) والأَعراب في الصحراءِ ، أَيكم أَجدر بالثبات في الحروب.

٢٣ ـ هل تذكر أَيامنا في (تَنَمُّص) وقد تهيأْتَ للقتال ، إِذ تضرب لي بشجاعتك الأَمثال ؟

٢٤ ـ هو الليث في الحرب ، حتى تذل له وتخضع . قد فاق بصنيعه كل الملوك .

(٣٦)

هذه هى القصيدة الثالثة فى مدح اياس بن قبيصة الطائى . وقد تقدمت فى مدحه القصيدتان (٢١) ثم (٢٩) ، حيث ترجمنا له فى القصيدة الاولى . يقول الرواة ان الأعشى مدح اياسا بهذه القصيدة ، حين استعان به كسرى أبرويز بن هرمز ، على مدافعة هرقل قيصر الروم ، حين غزاه بجيش ضخم ، حتى بلغ اطراف مملكته . فهب اياس لمناهضة الروم . فادركهم فى (ساتيدما) وقد ولوا منهزمين ، ثم عاد من هذه الغـــزوة مريضا (١) . وفى القصيدة اشارة الى مرضه فى الأبيات ٢ ، ٣ ، ٢٤ . ومن الواضح أن كل ماروى للأعشى فى مدح اياس سابق على يوم ذى قار، لأن اياسا كان فى جانب الفرس ضد بكر فى هذا اليوم ، كما سبقت الاشارة الى ذلك فى القصيدة (٢٤) .

وترتيب القصيدة على هذا النحو الذى رويت به فى الديوان غريب غير مألوف . بداها متشائما ضيقا بالحياة ثم أشار الى مرض اياس، والى تقلب الدنيا بالناس . وانتهى الى مدحه متمنيا له الشفاء ، حتى بلغ البيت (٢٨) — ثم وصف الصحراء فى أربعة أبيات — وانتقل منها الى تصوير لهوه ومجونه حتى بلغ البيت (٥٤) — وهذا الجزء هو أطول أجزاء القصيدة واجملها — وختم قصيدته بسبعة أبيات يفتخر فيها بنفسه ، وبشدة وقع هجائه على خصمه .

وصلب القصيدة وصميمها هى أبيات الخمر واللهو (من ٣٢ — ٥٤) . وهذا القسم صالح لأن يكون قصيدة قائمة بنفسها . والابيات التى تسبقه لاتصلح أن تكون تقديما له . فهى أشبه بأن تكون قصيدة أخرى مستقلة عما بعدها . على أن هذا القسم الاول من القصيدة ردىء وكيك فى كثير من مواضعه . وربما كانت غرابة الروى الذى بنى على الحاء الساكنة من اسباب هذه الركاكة . وقد نتج عن اضافة القسم الثانى الى الأول أن وقع فى القصيدة ايطاء فى اربعة مواضع ، تسلم منها القصيدة اذا نصل انجزآن . فقافية البيت (١٥) مكررة فى البيت (٣٧) . وقافية البيت (٢١) مكررة فى البيت (٥٧) . وقافية البيت (٢٦) مكررة فى البيت ٤٧) . وقافية البيت (٣٢) مكررة فى البيت (٤٥) .

على أن الطبرى وابن الاثير والمسعودى قد ذكروا نهوض هرقل لتحرير الشام من الفرس بعد قتل (موريقس) صهر (أبرويز) ملك الفرس ، وغارته على العراق . ولكنهم لم يشيروا الى استعانة كسرى باياس ، التى بنى عليها القسم الأول من القصيدة . وليس فى هذا القسم مايدل دلالة صريحة على أن المقصود بالمدح هو (اياس) . وانما يستفاد ذلك من قول الشراح .

يقول الأَعشى :

١ ـ بأَى شئ تخبرك الطير الراجعة إِلى أَوكارها ، من غراب ينعق للبين ، أَو تيس يمر من يسارك؟

٢ ـ وأَنت جالس بين قوم قد يئسوا من أَسير من صحب (قُزَح) ، قد أَتى عليه حول ، وهو فى قيود المرض والسقم رهين .

٣ ـ عند ملك كلما قيل له : فَادِ أَسيرك بالمال ، تراخى مماطلا ، ومزح ساخرًا .

٤ ـ فلئن كشف عنا ربك الضيق برحمته ، وفرج الكروب .

٥ ـ أَو كنا هالكين كمن هلك ، وما لأَحد ـ يا لقومى ـ فى الدنيا من بقاء .

٦ ـ ليعودن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاءُ ، وتغمرها نعمه وعطاياه .

٧ ـ وما نحن إِلا كشىء فاسد ، إِن أَراد به الله الصلاح صلح .

---

(١) راجع تفاصيل الغزوة فى الطبرى ١ : ٥٩٢ ، ٥٩٥ — ابن الأثير ٢ : ٢٨٢ — مروج الذهب ١ : ١٧٢

٢٢ ـ قَدْ عَلِمَتْ فَارِسٌ وَحِمْيَرُ وَٱلْ   أَعْرَابُ بِالدَّشْتِ أَيُّهُمْ نَزَلَا
٢٣ ـ هَلْ تَذْكُرُ ٱلْعَهْدَ فِى تَنَمُّصَ إِذْ   تَضْرِبُ لِى قَاعِدًا بِهَا مَثَلَا
٢٤ ـ لَيْثٌ لَدَى ٱلْحَرْبِ أَوْ تَدُوخَ لَهُ   قَسْرًا وَبَذَّ ٱلْمُلُوكَ مَا فَعَلَا

(٣٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاس بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِى :

١ ـ مَا تَعِيفُ ٱلْيَوْمَ فِى الطَّيْرِ الرَّوَحْ   مِنْ غُرَابِ ٱلْبَيْنِ أَوْ تَيْسٍ بَرَحْ   (رمل)
٢ ـ جَالِسًا فِى نَفَرٍ قَدْ يَئِسُوا   مِنْ مُحِيلِ ٱلْقِدِّ مِنْ صَحْبِ قُزَحْ
٣ ـ عِنْدَ ذِى مُلْكٍ إِذَا قِيلَ لَهُ   فَادِ بِٱلْمَالِ تَرَاخَى وَمَزَحْ
٤ ـ فَلَئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ   كَشَفَ الضِّيقَةَ عَنَّا وَفَسَحْ
٥ ـ أَوْ لَئِنْ كُنَّا كَقَوْمٍ هَلَكُوا   مَا لِحَىٍّ يَا لَقَوْمِى مِنْ فَلَحْ
٦ ـ لَيَعُودَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرُهَا   دَلَجُ اللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ الْمِنَحْ
٧ ـ إِنَّمَا نَحْنُ كَشَىْءٍ فَاسِدٍ   فَإِذَا أَصْلَحَهُ اللهُ صَلَحْ
٨ ـ كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا   وَرَأَيْنَا ٱلْمَرْءَ عَمْرًا بِطَلَحْ
٩ ـ آفِقًا يُجْبَى إِلَيْهِ خَرْجُهُ   كُلُّ مَا بَيْنَ عُمَانٍ فَمَلَحْ

(٢٢ — ٢٤) الدشت الصحراء (فارسية معربة) . ايهم نزلا ، أى قد علموا أنك اكثر ثباتا منهم فى الحروب . والنزول اشـــد مواقف الحرب ، وهو أن ينزل الفريقان عن ابلهما الى خيلهما فيتضاربوا . العهد المودة والمنزل . داخ ذل وخضع . قسره على الأمر قسرا (كضرب) اكرهه عليه وقهره . بذه غلبه وفاته .

(٣٦)

(١ — ٣) عاف الطير يعيفها عيافه زجرها . وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها واصواتها فتتفاءل أو تتشاءم، الروح (بفتحتين) جمع رائح، والروح كذلك من الطير المتفرقة أو الرائحة الى أوكارها . البين الفراق ، وكانوا يتشاءمون بنعيق الغراب ويرونه نذير الفرقة والشتات . البارح من الطير والصيد ماجاء عن يسار الجالس مارا نحو يمينه والعرب تتشاءم به . وعكسه السانح والعرب تتفاءل به . القد القيد من الجلد . محيل القد الذى أتى عليه حول أى عام وهو فى القيد. ويقصد الشاعر بالقيد هنا قيد المرض لأن الممدوح كان مريضا . عند ذى ملك ، ذلك هو المرض نفسه لايقبل الفدية فى أسيره . قزح اسم ملك من ملوك العجم .

(٤ — ٦) الفلح البقاء والنجاة والفوز أو هو الفلاح حذفت الألف للشعر. العكر (بفتح فسكون) والعكر (بفتحتين) مافوق خمسمائة من الابل ، وقيل مابين الستين الى المائة . دلج وتأخاذ بدل من عكرها .

(٧ — ٩) عمرو هو عمرو بن هند ملك الحيرة . الطلح (بفتحتين) النعمة . أنق (كعلم) بلغ النهاية فى الكرم أو العلم ، وأنق (كضرب) أعطى ففضل قوما على قوم . عمان من أقاليم اليمن والملح فى اليمامة .

٨ — وكم رأينا من أُناس هلكوا ، ورأينا (عمرو بن هند) غارقا فى النعيم .

٩ — وقد بلغ النهاية فى الترف ، يجبى إليه خراج ملكه العظيم ، بين (عُمان) و (مَلَح).

١٠ — ورأينا (هرقل) ملك الروم ، يوم (ساتيدما) ، وقد بَذَّ قومه (بنى بُرْجَان) فى الحروب وفى فن القتال .

١١ — ورث السيادة عن آبائه ، وتمرس بالغزو والقتال ، حين كان غلاما حدثًا لم يبلغ سن الزواج.

١٢ — فأَغاروا على فارس فى وضح النهار ، بكتيبة ضخمة تطحن ما يعترض طريقها ، وتبرق فوق رجالها الأَسلحة والحديد .

١٣ — ثم لم يجبنوا ولم يتهيبوا . ولكن قدموا فارسا كأَنه الكبش ، كلما التقى بخصم نطحه فأَرداه.

١٤ — فالتقى القوم بضرب يتصبب دما يسيل على وجه الأَرض .

١٥ — مات منه من مات فى صدر النهار ، وهرب من هرب منتشرًا فى الآفاق .

* * * *

١٦ — ليتنى أعلم ما يكون من أَمر خليلى حين يصرعنى الدهر صرعة لاقيام بعدها .

١٧ — هل يتناسانى ويطرحنى حين أُصبح جسدا باليا ويقول : قد مضى لحاله وفات ؟

١٨ — أَم يقيم على العهد. وعهدى به أنه خير من رعى الإبل ، حين تسرح فى المرعى وحين تؤوب .

١٩ — وإذا حُمِّلَ بعض الناس العبءَ ، فاشتكى ضَعْفَ أَوصاله عن احتماله ، وأَعيا وعجز .

٢٠ — كان القوىَّ المطيق لأَحماله ، حين يتخلى عن الرجل ناصره ومولاه ، ويصد عنه معرضًا .

٢١ — وهو الذى يدفع عن المكروب الجانى ، حين يلجأُ إليه ، أَيدىَ المطاردين .

٢٢ — تشترى الحمد والثناءَ بأَغلى الأَثمان . ومن بذل الجهد وتكلف المشقة ليشترى بهما حمداً أَو ثناءً فقد ربح وفاز .

٢٣ — وتبتنى المجد ، وتتجاوز بثاقب فكرك مدى العقول ، وتُرَى نارك من بعيد تهدى السراة وتدعو القاصدين .

٢٤ — يقولون إنه سقيم . فلئن نفض عنه الأَسقام وتماثل للشفاء .

١٠ ـ وَهِرَقْلًا يَوْمَ سَاآتِيدَمَى ... مِنْ بَنِى بُرْجَانَ فِى ٱلْبَأْسِ رَجَحْ
١١ ـ وَرِثَ ٱلسُّؤْدَدَ عَنْ آبَائِهِ ... وَغَزَا فِيهِمْ غُلَامًا مَا نَكَحْ
١٢ ـ صَبَّحُوا فَارِسَ فِى رَأْدِ ٱلضُّحَى ... بِطَحُونٍ فَخْمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ
١٣ ـ ثُمَّ مَا كَاءُوا وَلَٰكِنْ قَدَّمُوا ... كَبْشَ غَارَاتٍ إِذَا لَاقَى نَطَحْ
١٤ ـ فَتَفَانَوْا بِضِرَابٍ صَائِبٍ ... مَلَأَ ٱلْأَرْضَ نَجِيعًا فَسَفَحْ
١٥ ـ مِثْلَ مَا لَاقَوْا مِنَ ٱلْمَوْتِ ضُحًى ... هَرَبَ ٱلْهَارِبُ مِنْهُمْ وَٱمْتَضَحْ
١٦ ـ لَيْتَ شِعْرِى عن خَلِيلى مالَه ... إِذْ أَكَبَّ ٱلدَّهْرُ يوما وَأَلَحّْ
١٧ ـ هَلْ يَقُولَنَّ إِذَا كُنْتُ صَدًى ... صَدَّ عَنِّى وَتَنَاسَى وَاطَّرَحْ
١٨ ـ أَمْ عَلَى ٱلْعَهْدِ فَعِلْمِى أَنَّهُ ... خَيْرُ مَنْ رَوَّحَ مَالًا وَسَرَحْ
١٩ ـ وَإِذَا حُمِّلَ عِبْئًا بَعْضُهُمْ ... فَٱشْتَكَى ٱلْأَوْصَالَ مِنْهُ وَأَنَحّْ
٢٠ ـ كَانَ ذَا ٱلطَّاقَةِ بِالثِّقْلِ إِذا ... ضَنَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ عَنْهُ وَصَفَحْ
٢١ ـ وَهُوَ ٱلدَّافِعُ عَنْ ذِى كُرْبَةٍ ... أَيْدِىَ ٱلْقَوْمِ إِذَا ٱلْجَانِى ٱجْتَرَحْ
٢٢ ـ تَشْتَرِى ٱلْحَمْدَ بِأَغْلَى بَيْعِهِ ... وَٱشْتِرَاءُ ٱلْحَمْدِ أَدْنَى لِلرِّبَحْ
٢٣ ـ تَبْتَنِى ٱلْمَجْدَ وَتَجْتَازُ ٱلنُّهَى ... وَتُرَى نَارُكَ مِنْ نَاءٍ طَرَحْ
٢٤ ـ أَوْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ فَلَئِنْ ... نَفَضَ ٱلْأَسْقَامَ عَنْهُ وَٱسْتَصَحّْ

(١٠ — ١٢) هرقل آخر ملوك القسطنطينية قبل الاسلام ، وكانت هجرة النبى لسبع سنين من ملكه . وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه . (وهو يشير فى هذه الأبيات الى استرجاعه للشام من الفرس بعد أن ملكوها ثم غزوه لهم) بنو برجان (كعثمان) جنس من الروم . البأس الحرب . سائيدما اسم جبل أو نهر . رادالضحى ورائد الضحى وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الخمس الأول ، وذلك شباب النهار . والراد الرود الشابة الحسنة . الصبح بريق الحديد . مصدر من صبح الحديد (كعلم) أى برق . بطحون فخمة أى بكتيبة طحون فخمة .

(١٣ — ١٥) كاء عنه يكوء (كنصر) هابه وجبن عنه . صاب السهم ذوالرمية قصد نحوها ولم يخطئها . وصاب المطر انحدر . النجيع دم الجوف أو الدم الذى يضرب للسواد . سفح الدم انصب ، يستعمل لازما ومتعديا . مضحت الابل (كقطع) انتشرت ، ومضحت الشمس انتشر شعاعها على الأرض . وروى (وامتصح) من مصح الشىء أى ذهب وانقطع .

(١٦ — ١٩) كبه واكبه قلبه وصرعه . ألح دام واستمر . الصدى جسد الانسان بعد موته . المال الابل . سرحها أرسلها صباحا لترعى . روحها ردها آخر النهار . أنح الرجل ردد صوته فى جوفه . وروى كذلك (وبلح) أى أعيا وعجز .

(٢٠ — ٢٤) ضن بخل . المولى تطلق على السيد والعبد والصديق ، والمقصود هنا المعنى الأخير . صفح عنه صد وأعرض . اجترح اكتسب ، وأكثر ما تستعمل فى الجرائم ، ومنه قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا) . النهى جمع نهية وهى العقل . الطرح (بفتحتين) المكان البعيد .

٢٥ ـ ليعيدن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاءُ ، وتغمرها نعمه وعطاياه .
٢٦ ـ وتعود إلى عهدها به ، فى أيام له نعرفها ولا ننساها ، غمرتنا فيها نعمه ، حين عم الجدب ، واشتد البرد ، حتى إن الكلاب لِتهرُّ وتنبح .
٢٧ ـ وهو الجرئ المقدام فى الحروب ، حين تتعبس الوجوه ، وتتقلص الشفاه حتى تبدو الأنياب .
٢٨ ـ كم من حرب قد قدح زنادها ، وأورى نارها ، وأمدها بالحطب والوقود .

* * * *

ثم ينتقل الشاعر فجأة إلى الصحراء ، يصف صبره على الرحلة فيها ، فيقول :

٢٩ ـ وإنى لجدير أن أقطع حبال الود عامدًا ، حين لا يرضينى المقام ، فوق ناقة صلبة ، حين ينقطع السراب .
٣٠ ـ تقطع الصحراء البعيدة الآفاق حين يحتدم الحر ، نشيطة مسرعة .
٣١ ـ وَتُوَلِّ الأرض خفًا صلبًا مجتمعًا ، تتكسر من تحته الأحجار .
٣٢ ـ تسمع لطرفه المشقوق رنينًا خشن الصوت ، حين يحتك بالأرض .

* * * *

ولا يلبث بعد هذا الوصف القصير للصحراء أن يتحول عنه فجأة ، كما دخل فجأة ، فيتحدث عن ذكرياته فى حوانيت الخمر ، مصورا ما تموج به من ضروب اللهو والترف ، مقدما صورة رائعة لهذه البيوت فى (الحيرة) . فيقول :

٣٣ ـ وخمر باردة متورِّدة اللون ، يظنها الناظر قد عصرت من نوْرة (الذُّبَح) الزاهية الحمراء .
٣٤ ـ يفوح ريحها كما تفوح رائحة المسك ، يصبها الساقى مسرعا حين يستعجله الشاربون .
٣٥ ـ يصبها من زقاق الخمر التى حملها التجار ، فى باطية واسعة سوداء من آنية (الحيرة) ، تتوسط الندماء .
٣٦ ـ بعيدة الغور ، لا تبالى غرف الاباريق منها والأقداح طول اليوم .
٣٧ ـ تزبد الخمر فيها حين تصب ، ثم لا تلبث أن يذهب زبدها ، ويغور فى جوفها الواسع العميق .
٣٨ ـ وإذا اغترفت الكؤوس الفضية منها فصادمت جوانبها ، كرت فيها سابحة .
٣٩ ـ يتهافت فيها الزجاج لا ينقطع سيله ، وتهوى إليها أيدى النازحين ، يغترفون ما يغترفون .

٢٥ – لَيُبِعيدَنْ لِمَعَدٍّ عِكْرَهَــا ... دَلَجَ اللَّيْلِ وَإِكْفَاءَ ٱلْمِنَحْ
٢٦ – مِثْلَ أَيَّامٍ لَهُ نَعْرِفُهَا ... هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحْ .
٢٧ – وَلَهُ ٱلْمُقْدَمُ فِى ٱلْحَرْبِ إِذَا ... سَاعَةَ الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ
٢٨ – أَىُّ نَارِ ٱلْحَرْبِ لَا أَوْقَدَهَا ... حَطَبًا جَزْلًا فَأَوْرَى وَقَدَحْ
٢٩ – ولقَدْ أَجْذِمُ حَبْلِى عَامِدًا . ... بِعَفَرْنَاةٍ إِذَا الآلُ مَصَحْ
٣٠ – تَقْطَعُ ٱلْخَرْقَ إِذَا ما هَجَّرَتْ ... بِهِبَــابٍ وَإِرَانٍ وَمَرَحْ
٣١ – وتُوَلِّى الأَرْضَ خُفًّا مُجْمَرًا ... فَإِذَا مَا صَادَفَ ٱلْمَرْوَ رَضَحْ
٣٢ – فَتَرَاهُ فَلَقًا فَرَاسِنًا ... ذَا رَنِينٍ صَحِلَ الصَّوْتِ أَبَحْ
٣٣ – وَشَمُول تَحْسِبُ ٱلْعَيْنُ إِذَا ... صُفِّقَتْ وَرْدَتُهَا نَوْرَ الذُّبَحْ
٣٤ – مِثْلُ ذَكْيِ ٱلْمِسْكِ ذَاكٍ رِيحُهَا ... صَبَّهَا السَّاقِى إِذَا قِيلَ تَوَحْ
٣٥ – مِنْ زِقَاقِ التَّجْرِ فِى بَاطِيَةٍ ... جَوْنَةٍ حَارِيَّةٍ ذَاتِ رَوَحْ
٣٦ – ذَاتِ غَوْرٍ مَا تُبَالِى يَوْمَهَا ... غَرَفَ ٱلْإِبْرِيقِ مِنْهَا وَٱلْقَدَحْ

(٢٥ — ٢٨) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . العكر (بكسر العين) الأصل ؛ وهو كذلك العــادة . الدلج والادلاج سير الليل . اكفات الابل كثر نتاجها . واكفاه ابله جعل له منافعها . الهرير صوت دون النباح . المقدم مصدر ميمى من أقدم . كلح عبس وكشر . الحطب الجزل اليابس الذى تسرع فيه النار . قدح اى قدح الزناد فأورى نارا اى اخرج نارا .

(٢٩ — ٣١) جذم الحبل قطعه . ناقة عفرناة شديدة قوية ، والعفرناة كذلك الغول . الآل السراب . مصح ذهب وانقطع . الخرق الصحراء الواسعة لأن الرياح تنخرق فيها . هجرت سارت فى الهاجرة وهو منتصف النهار . الهباب النشاط والاسراع . أرن البعير (كعلم) نشط . المرح النشاط . الثلاثة كلها بمعنى واحد . مجمر صلب مجتمع ، من قولهم أجمر القوم على الشىء اى اجتمعوا . المرو حجارة صلبة بيضاء . رضح الحصى والنوى كسره .

(٣٢ — ٣٤) رواية الديوان فى الطبعة الأوروبية (فنداه ربمان خفها) . نداه اى بله . ربمان خفها حركته . من رام المكان اى فارقه . وذا رنين على هذه الرواية حال من (خفها) أو من الهاء (نداه) . على أن التكلف واضح فى نظم الألفاظ فى هذه الرواية . وأحسن منها الرواية الأخرى الذى جاءت فى الهامش (ويروى فرءاه فلقا برائنا) والذى أراه أن برائنا محرفة عن فراسنا ، لأن البرثن لذى الناب والفرسن (كزبرج) لذى الخف وهو طرفه . والأنسب أن تكون (فتراه) فى صــيغة المضارع كما أثبتها . فتراه اى المرو ، وقد يعود الضمير على الخف . فلقا اى مشقوقا . وقد تكون فلقا (بكسر ثم فتح) جمع فلقة كقطعة من فلق الشىء اذا شقه . صــحل الصوت (كعلم) احتد فى بحه . وقيل الصحل خشونة فى الصدر وانشقاق فى الصــوت من غير أن يستقيم . شمل الخمر (كنصر) عرضها للشمال لتبرد . والشمول والمشمول الخمر الباردة التى ضربتها ريح الشمال فبردت . الذبح (بضم ففتح) نبت حلو يؤكل ، وله زهرة حمراء . ذكا المسك سطع ريحه . توح فعل امر من توحى اى أسرع واستعجل .

(٣٥ — ٣٦) الزق جلد صغير تحمل فيه الخمر . من زقاق التجر اى أنها مستوردة من بعيد ، حملها التجار من مواطنها وانما يحملونها فى الزقاق لأن الدنان تتعرض للكسر . الباطية اناء واسع الاعلى ضيق الأسفل يوضع بين الشاربين ليغترفوا منه ، وهى كلمة فارسية . ويسمونه كذلك الناجود . جونة سوداء . حارية نسبة للحيرة . روح سعة . غرف مصدر غرف يغرف .

٤٠ ـ فإذا غاضت الخمر وَنزَفت ، رفعنا إليها زقا جديدًا ، نحل رباطه ، فتندفع منه الخمر ، كما يندفع الدم من أوداج الذبيح .

٤١ ـ ينهمر انهمار السيل ، بخمر تجرى سائلة فتملأُ الناجود .

٤٢ ـ وقد تمدد إلى جانبه زق الخمر الأسود ، كأنه حبشى رقد على الأرض فانبطح :

٤٣ ـ ولقد أُبكِّر إلى النديم ، أَو يبكر هو إلىَّ ، فنشربها فى الصباح ناعمين .

٤٤ ـ عند مغن كلما هتف به الرفاق أن يسمعهم ، رفع صوته المطرب بالغناء .

٤٥ ـ يصاحب غناءه العود ، ينقل أصابعه على أوتاره ، فيختلط صوته بأنغامه ، بين حاد رقيق ، وخشن أَجش .

٤٦ ـ فى شباب يترقرق ماءُ النعمة والبشر فى وجوههم ، كأنهم المصابيح تضئُ فى الظلام .

٤٧ ـ يكسو مجلسهم الوقار ، حين يستخف الجهل السفهاء من الناس ، فينبحون كما تنبح الكلاب .

٤٨ ـ لا يبخلون بالمال . ولم يكن من عادتهم فى قومهم أن يشدوا ضروع النوق ، بخلا بالألبان .

٤٩ ـ حتى إذا أَخذت منهم الخمر ، تمددوا على الأرض ، كأنهم حبال متشابكة قد نصبت لصيد القرود .

٥٠ ـ فهذا مغلوب قد صرعته الخمر لوجهه ، وذاك قد خذلته رجله فهو يجرها ، وما هو بكسيح .

٥١ ـ وماجت الحانة بنساءٍ طوال ضخام ناعمات ، لم يفسد جمالَهن الكد ، ولم يذهب به الهوان .

٣٧ – وَإِذَا مَا الرَّاحُ فِيهَا أَزْبَدَتْ ... أَفَلَ ٱلْإِزْبَادُ فِيهَا وَٱمْتَصَحْ
٣٨ – وَإِذَا مَكُّوكُهَا صَادَمَهُ ... جَانِبَاهَا كَرَّ فِيهَا فَسَبَحْ
٣٩ – فَتَرَامَتْ بِزُجَاجٍ مُعْمَلٍ ... يُخْلِفُ النَّازِحُ مِنْهَا مَا نَزَحْ
٤٠ – وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَا ... طُلُقَ ٱلْأَوْدَاجِ فِيهَا فَٱنْسَفَحْ
٤١ – وَنُسِيحُ سَيَلَانَ صَوْبِهِ ... وَهْوَ تَسْيَاحٌ مِنَ الرَّاحِ مِسَحّْ
٤٢ – تَحْسِبُ الزِّقَّ لَدَيْهَا مُسْنَدًا ... حَبَشِيًّا نَامَ عَمْدًا فَٱنْبَطَحْ
٤٣ – وَلَقَدْ أَغْدُو عَلَى نَدْمَانِهَا ... وَغَدَا عِنْدِى عَلَيْهَا وَٱصْطَبَحْ
٤٤ – وَمُغَنٍّ كُلَّمَا قِيلَ لَهُ ... أَسْمِعِ الشَّرْبَ فَغَنَّى فَصَدَحْ
٤٥ – وَثَنَى ٱلْكَفَّ عَلَى ذِى عَتَبٍ ... يَصِلُ الصَّوْتَ بِذِى زِيرٍ أَبَحّْ
٤٦ – فِى شَبَابٍ كَمَصَابِيحِ الدُّجَى ... ظَاهِرُ النِّعْمَةِ فِيهِمْ وَٱلْفَرَحْ
٤٧ – رُجُحُ ٱلْأَحْلَامِ فِى مَجْلِسِهِمْ ... كُلَّمَا كَلْبٌ مِنَ النَّاسِ نَبَحْ
٤٨ – لَا يَشِحُّونَ عَلَى ٱلْمَالِ وَمَا ... عُوِّدُوا فِى ٱلْحَىِّ تَصْرَارَ اللِّقَحْ
٤٩ – فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَاوَى كُلَّهُمْ ... مِثْلَ مَا مُدَّتْ نُصَاحَاتُ الرُّبَحْ
٥٠ – بَيْنَ مَغْلُوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ ... وَخَذُولِ الرِّجْلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحْ
٥١ – وَشَغَامِيمَ جِسَامٍ بُدَّنٍ ... نَاعِمَاتٍ مِنْ هَوَانٍ لَمْ تُلَحْ

(٣٧ — ٣٨) أفل رجع وذهب . امتصح ذهب وانقطع . المكوك اناء من فضة يشرب فيه . جانباها الضمير للباطية .

(٣٩ — ٤١) معمل اى دائم العمل . اخلف لأهله استقى لهم ماء ، واخلف فلان اهوى بيده الى سيفه ليسله . ماهنا مصدرية ، ويخلف فعل لازم . غاض الماء جف وغار . الطلق المحلول ، الأوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح ، يقصد به هنا فم القربة . أساحه أجراه . الصوب مصدر من صاب المطر اذا انصب ونزل . مسح سائل من سح الماء والمطر والدمع سال .

(٤٢ — ٤٤) الضمير فى (لديها) عائد على (الباطية) فى البيت ٣٥ . أغدو انطلق فى الصباح . الندمان النديم . اصطبح شرب الخمر فى الصباح . صدح الرجل والطائر رفع صوته بالغناء .

(٤٥ — ٤٧) العتب (بالتحريك) العيدان المعروضة على وجه العود ، منها تمتد الأوتار الى طرف العود . الزير الدقيق من الأوتار واحدها صوتا . الأبح الخشن الصوت . الأحلام العقول .

(٤٨ — ٤٩) يشحون يبخلون . اللقح جمع لقحة (بفتح فسكون) وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن . صر الناقة شد ضرعها بالصرار حتى لايرضعها ولدها . اى انهم لايصرون ابلهم بخلا بألبانها . الشرب (بفتح فسكون) جماعة الشاربين . النصاحات حبال يجعل لها حلق وتنصب فيصاد بها القرود ، واحدتها نصاحة (بكسر النون) . الربح (بضم لم فتح) القرد .

(٥٠ — ٥١) مغلوب غلبه السكر . تليل فعيل بمعنى مفعول من تله اى صرعه . خذول الرجل اى خذلته رجله وتخلت عنه فهى لاتطاوعه حين يهم بالسير . شغاميم نساء طوال . لم تلح لم تهزل وتتغير من الحزن ، لاحه الحزن يلوحه لوحا غيره .

٥٢ ـ كأَنهن تماثيل قد أُلبست حُلَلاً ، وعريت منها البطون .

٥٣ ـ تكاد تضيق جلودهن بما اكتنز تحتها من الشحم ، حين يقوم الناحل المهزول فلا يتماسك من شدة الإعياء .

ويختم الأعشى هذه الذكريات بقوله :

٥٤ ـ ذاك دهر لجيل من الناس قد مضى وفات ، ولهذا الجيل لون آخر من ألوان الحياة.

ثم ينتقل الشاعر من حديث الذكريات ، الذى لا يخلو من الفخر بما استمتع به من الشباب ، ليتحدث عن نفسه فى معرض آخر . فقد كان صاحب لذة ، ولكنه كان مع ذلك مر الخصومة ، مذلا لعدوه . يقول :

٥٥ ـ ولقد أَمنح العدو الذى يعرض عنى طاويا كشحه ، ما يشفيه من داءِ الكَشَح .

٥٦ ـ وأَرميه بالهجاءِ الذى لا يقف عند لطمه أَو رده عن غلوائه ، ولكنه يقطع عروق عينيه ، فيبقى أَثره ظاهرا لا يزول .

٥٧ ـ هجاء يهلك من يحل به ، كأَنه المكواد تنضج لحمه ، وتذكِّرُهُ بما اجترم .

٥٨ ـ فترى الأَعداءَ حولى ينظرون بمؤخر عيونهم ، وقد استكانوا وذلت أَعناقهم ، كأَنهم الخنافس .

٥٩ ـ قد ضرب عليهم اللؤم بيته ، وبدت أَسنانهم البغيضة وقد علتها الصفرة والصدأ .

٦٠ ـ فهم سود قصار الهمم ، كأَنهم الخُصَى ، انتشر فيها التشقق فتسلخت من عرق الأَفخاذ .

٦١ ـ يضرب صديقهم وجهه جزعا على ما أَصابهم ، فلا يبالى أَى عينيه أَصاب .

(٣٧)

١ ـ إذا أَردت أَن تحظى فى أَرض (عكْل) بجزيل العطاءِ ، فاعمد لـ (ربيعة بن حذار)

٢ ـ يهب الفرسَ النجيبة والجواد الفاره بسرجه ، ويهب النوق البيض ، أَولَ عهدها بالحمل ، أَو متهيئة للنتاج .

٥٢ ـ كَالتَّمَاثِيلِ عَلَيْهَا حُلَلٌ ... مَا يُوَارِينَ بُطُونَ ٱلْمُكْتَشَحْ
٥٣ ـ قَدْ تَفَتَّقْنَ مِنَ ٱلْغُسْنِ إِذَا ... قَامَ ذُو الضُّرِّ هُزَالًا وَرَزَحْ
٥٤ ـ ذَاكَ دَهْرٌ لِأُنَاسٍ قَدْ مَضَوْا ... وَلِهَذَا النَّاسِ دَهْرٌ قَدْ سَنَحْ
٥٥ ـ وَلَقَدْ أَمْنَحُ مَنْ عَادَيْتُهُ ... كُلَّ مَا يَحْسِمُ مِنْ دَاءِ ٱلْكَشَحْ
٥٦ ـ وَقَطَعْتُ نَاظِرَيْهِ ظَاهِرًا ... لَا يَكُونُ مِثْلَ لَطْمٍ وَكَمَحْ
٥٧ ـ ذَا جُبَارٍ مُنْضِجًا مِيسَمُهُ ... يُذْكِرُ ٱلْجَارِمَ مَا كَانَ ٱجْتَرَحْ
٥٨ ـ وَتَرَى ٱلْأَعْدَاءَ حَوْلِي شُزَّرًا ... خَاضِعِي ٱلْأَعْنَاقِ أَمْثَالَ ٱلْوَذَحْ
٥٩ ـ قَدْ بَنَى اللُّؤْمُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ ... وَفَشَا فِيهِمْ مَعَ اللُّؤْمِ ٱلْقَلَحْ
٦٠ ـ فَهُمْ سُودٌ قِصَارٌ سَعْيُهُمْ ... كَٱلْخُصَى أَشْعَلَ فِيهِنَّ ٱلْمَذَحْ
٦١ ـ يَضْرِبُ ٱلْأَدْنَى إِلَيْهِمْ وَجْهَهُ ... لَا يُبَالِي أَيَّ عَيْنَيْهِ كَفَحْ

(٣٧)

وقَالَ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ عُكْلٍ :

١ ـ وَإِذَا أَرَدْتَ بِأَرْضِ عُكَلٍ نَائِلًا ... فَٱعْمِدْ لِبَيْتِ رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارِ (كامل)
٢ ـ يَهَبُ النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيبَ بِسَرْجِهِ ... وَٱلْأُدْمَ بَيْنَ لَوَاقِحٍ وَعِشَارِ

(٥٢ ـ ٥٣) الكشح الجنب . الغسن الشحم . رزح سقط من الهزال . ذو الضر الذى أضر به الهزال .

(٥٤ ـ ٥٦) سنح ظهر وعرض . الحسم القطع والكى . الكشح (بفتحتين) داء يصيب الكشح يسمونه ذات الجنب ، وربما كوى صاحبه منه . ويقصد هنا الكاشح الذى يطوى كشحه عنه من بغضه وعداوته . الناظران عرقان على حرفى الأنف يسيلان من المؤقين ، قال الشاعر (واكوى الناظرين من الحنان) والحنان (بضم الحاء) داء يأخذ الطير والابل فى حلوقها وانوفها . لطمه ضربه ببسطة كفه على وجهه . كمح الدابة مثل كبحها .

(٥٧ ـ ٥٨) الجبار (كغراب) الهدر ، ذهب دمه جبارا أى هدرا . والجبار كذلك كل ما أفسد وأهلك . الميسم المكواة . الجارم الآثم . اجترح جنى وارتكب من اثم بتعرضه للشاعر . ذا جبار مفعول ثان لامنح فى البيت (٥٥) ، بدل من قوله (كل مايحسم). شزر جمع شازر وهو الذى ينظر بمؤخر عينيه . الوذح مايتعلق بأصواف الاغنام وخصاها من البعر والبول . والوذح كذلك جمع وذحة وهى الخنفساء .

(٥٩ ـ ٦١) القلح صفرة الأسنان . أشعل انتشر وعم وتفرق . المذح ان تصطك الفخذان فيتسلخ مابينها ، او تشقق الخصيتين من عرق الأفخاذ ، وذلك فى الحيوان خاصة . وأكثر مايستعمل فى الضأن . الادنى اليهم الذى يليهم ويحبهم ويتقرب اليهم ، يلطم وجهه حسرة على ماأصابهم من هجاء الشاعر . كفحه بالعصا ضربه .

(٣٧)

(١ ـ ٢) عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة اخوة لتيم . النجيب من كل شىء سراته وخياره . الادم جمع آدم وهى البيض من النوق والظباء . اللاقحة الحامل . العشار التى اتى على حملها عشرة اشهر .

هذه هى القصيدة الثالثة ، فيما كان بين الشاعر وبين أبناء عمومته ، بنى عبدان بن سعد بن قيس بن ثعلبة . أما القصيدتان السابقتان فهما القصيدة (١٤) يعاتبهم بها ، والقصيدة (١٥) يهجو فيها شاعرهم جهنام . وبقى للأعشى فيهم قصيدة واحدة بعد هذه التى بين يدينا ، وهى القصيدة (٧٣) يهجو فيها جهنام ، وهى قصيرة لاتتجاوز ثلاثة عشر بيتا . والأعشى فى هذه القصيدة أكثر عنفا منه فى القصيدتين السابقتين . فقد تمادت الخصومة بين البيتين ، بعد أن أغرى بنو عبدان شاعرهم جهنام بهجاء بنى سعد بن ضبيعة وشاعرهم (الأعشى) — وكانت أم جهنام أمة ، كما نفهم من هذه القصيدة ومن القصائد الأخرى (١) — فشرى الشر بين الحيين . ولكن عنف الأعشى لايخرجه عن الرفق ، ولا ينسيه أن بنى عبدان هم أبناء عمومته الأقربون . فهو يحاول أن يقنعهم بأنهم ظالمون ، مذكرا اياهم بماسبق من أيادى قومه عليهم .

والأعشى فى هذه القصيدة يهجم على غرضه دون تقديم ، صارخا (يالقيس !) فهو ينشدهم القرابة ، ويستصرخ الجد الذى يجمعه واياهم فى النسب (قيس بن ثعلبة). ويحاول فى بقية القصيدة أن يصور لهم بغيهم ، بعد الذى سبق اليهم من نعم قومه .

يقول الأعشى :

١ — يا لقيس لما لقينا من قومنا هذا العام ! أَتُبَاحُ أعراضنا لعبدٍ هجان ؟ أَم عَلَام هذا العدوان ؟

٢ — وليس ذلك عن بغض أو عداوة يا (حُذَاف) ، وإنما هو السَّفَهُ والطغيان .

٣ — ما غَشِيناكم يوما بظلم ، ولا فضحنا لكم مستوراً ، ولا استبحنا منكم مُحَرَّما .

٤ — يا بنى المنذر بن عبدان ! أَو قد ذهبت شهوة الطعام بأحلامكم ، وطمست بصائركم

٥ — حتى أَمرتم عبدًا مهينًا أَن يهجو قوما كراما ، ظلمًا وعدوانا ، لغير ذنب جنوه ؟

٦ — وبعثتم (بما فعلتم الشر بين الحيين) .

***

ويمضى الشاعر فى تعديد نعم قومه على بنى عبدان فيقول :

٨ — أتفعلون بنا ذلك بعد أن أسلفنا لكم من النعم ما إنه لحقيق أن يحنى الرءوس اعترافا بالجميل ، وبعد الذى قدمنا من أياد ظاهرة يعرفها كل الناس .

٩ — أتنسون يوم (حَجْر) وما أسدينا إليكم فيه من عون ، إذ تلتهم النيران الوادى من جانبيه .

١٠ — وقد فاجأكم العدو ، يطارد رجالكم وينكل بهم ، حتى أصبح النخل خاويًا يفضح الذين يجنون منه الثمار .

١١ — فتراه وقد لفحته النيران بين قائم ومُصَرَّع ، أسودَ كالنُوق الهزيلة العِجاف .

١٢ — ثم نصرناكم بعد ذلك يوم (العَيْن) ، وقد لحقكم فيه من العار ما ينكسف له وجه الشمس ، وضاقت فى وجوهكم الدنيا وأظلم النهار .

---

(١) راجع البيت (٥) من هذه القصيدة ، البيت ٤٢ من القصيدة ١٥ ، البيتين ٢ ، ٨ من القصيدة ٧٢ . فكلها تدل على أن أم جهنام كانت أمة من اماء بنى عبدان ، فولدت لهم هذا الشاعر . والأعشى يعيره بوضاعة نسبه من جهة أمه .

وَقَالَ يُعَاتِبُ بَنِى عَبْدَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

١ ـ يَا لَقَيْسٍ لِمَا لَقِينَا ٱلْعَامَا ‏ ‏ ‏ أَلِعَبْدٍ أَعْرَاضُنَا أَمْ عَلَى مَا (خفيف)

٢ ـ لَيْسَ عَنْ بِغْضَةٍ حُذَافَ وَلَكِنْ ‏ ‏ ‏ كَانَ جَهْلًا بِذَلِكُمْ وَعُرَامَا

٣ ـ لَمْ نَطَأْكُمْ يَوْمًا بِظُلْمٍ وَلَمْ نَهْ ‏ ‏ ‏ تِكْ حِجَابًا وَلَمْ نُحِلَّ حَرَامَا

٤ ـ يَا بَنِى ٱلْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدَانَ وَٱلْبِطْ ‏ ‏ ‏ نَةُ يَوْمًا قَدْ تَأْفِنُ ٱلْأَحْلَامَا

٥ ـ لِمْ أَمَرْتُمْ عَبْدًا لِيَهْجُوَ قَوْمًا ‏ ‏ ‏ ظَالِمِيهِمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ كِرَامَا

٦ ـ وَٱبْتَعَثْتُمْ .... ‏ ‏ ‏ ....

٧ ـ يَوْمَنَا بِٱلْمَسِيلِ فِى سَيِّدَيْهِمْ ‏ ‏ ‏ حَيْثُ جِئْتُمْ وَادَّ ....

٨ ـ وَالَّتِى تُلْبِثُ الرُّءُوسَ مِنَ ٱلنُّعْ ‏ ‏ ‏ مَى وَيَأْتِى إِسْمَاعُهَا ٱلْأَقْوَامَا

٩ ـ يَوْمَ حَجْرٍ بِمَا أُزِلَّ إِلَيْكُمْ ‏ ‏ ‏ إِذْ تُذَكِّى فِى حَافَتَيْهِ الضِّرَامَا

١٠ ـ جَارَ فِيهِ نَافِى ٱلْعُقَابَ فَأَضْحَى ‏ ‏ ‏ آئِدَ النَّخْلِ يَفْضَحُ ٱلْجُرَّامَا

١١ ـ فَتَرَاهَا كَٱلْخُشْنِ تَسْفَحُهَا النِّيـ ‏ ‏ ‏ رَانُ سُودًا مُصَرَّعًا وَقِيَامَا

١٢ ـ ثُمَّ بِٱلْعَيْنِ عُرَّةٌ تَكْشِفُ الشَّمْـ ‏ ‏ ‏ سَ وَيَوْمًا مَا يَنْجَلِى إِظْلَامَا

١٣ ـ إِذْ أَتَتْكُمْ شَيْبَانُ فِى شَارِقِ الصُّبْـ ‏ ‏ ‏ حِ بِكَبْشٍ تَرَى لَهُ قُدَّامَا

(١ — ٣) بالقيس ، هو قيس بن ثعلبة ، جد الحيين المتخاصمين ، بنىعبدان بن سعد وبنى سعد بن ضبيعة . العبد مقصود به هنا جهنام خصم الأعشى . حذاف ترخيم حذافة ، وهو جد جهنام . الجهل السفه والاسراع للشر . العرام الشراسة والأذى .

(٤ — ٦) افن الرجل (كعلم) ضعف رايه ، وافنه الله (كضرب) اذهب عقله . البطنة الشره وحب المأكل . وكان بنو عبدان قد اتهموا الأعشى بأنه سطا على عسل لهم فاغتصبه . الاحلام العقول .

(٧ — ٩) اللبث البطء والتوقف . تلبث الرءوس أى تخفضها وتحنيهاوتذلها اعترافا بالجميل . ازل اليه نعمة أسداها اليه . حجر فى اليمامة بقرب مدينة اليمامة .

(١٠ — ١٢) (نافى العقاب) كذلك هى فى كل أصول الديوان كما نشره جاير وتخريجها على هذا الضبط (بفتح الفاء فى نافى) عسير ولكنها قد تكون (نافِى) بكسر الفاء ، اسم فاعل من نفى بمعنى طرد . والعقاب الراية ، فيكون المعنى أن هذا الرجل الذى هزم الجيش وطرده (وهو يكنى عن الجيش بالعقاب وهى الراية) قد جار فى هذا اليوم وجاوز القصد فى انتقامه فأحرق نخيل القوم . آئد اسم فاعل من أود (كعلم) اى أعوج . الجرام جمع جارم وهو الذى يجمع ثمار النخيل . العين يقصد به عين التمر ، وهو يوم قطيمة ، وقطيمة امراة من بنى سعد بن قيس (قوم جهنام) كانت عند رجل من بنى سيار (من شيبان)، وله امراة غيرها من قومه ، فتعايرتا ، فعمدت السيارية الى قطيمة فحلقت ذوائبها ، فاهتاج الحيان واقتتلا ، فهزمت بنو سيار يومئذ . العرة الجرب ، ويقصد به هنا العار والفضيحة . شارق الصبح وضح الصبح . الكبش سيد القوم . القدام الملك والسيد ومن يتقدم الناس بالشرف .

١٣ ـ إذ أغارت عليكم (شَيْبَان) فى وضح النهار ، يَقْدُمُهُم سيد شريف همام .

١٤ ـ فعدونا عليهم مُهْطِعِين ، إسراعَ الظِماء إلى الماء .

١٥ ـ برجال كأنهم الأُسْدُ استفزها مطارد ، وخيلٍ تعودت الإقدام .

١٦ ـ لانقيها حد السيوف ، ولا نـألم من جوع ، ولانبالى مايصيبنا فى القتال من مشقة وهزال .

١٧ ـ فما هى إلا ساعة من صدر النهار ، بمقدار ما يجمع الراعى أغنامه ، وقد توقع المطر حين دخل الظلام .

١٨ ـ من رجال شبابهم شجعان ، وكهولهم محنكون راجحو الأحلام

١٩ ـ حتى ولى العدو هاربًا ، حيث يَحْسنُ الصبر والثبات ، تسوقه أمامنا كما تدفع ريح الجنوب سحابة خفيفة لا يثقلها الماءُ .

فإذا فرغ الشاعر من تعديد أيادى قومه عليهم ختم ذلك بقوله :

٢٠ ـ إن ذاك الجفاءَ والكفران شيءٌ قد فطرتم عليه فهو فى طبعكم. إن لنا عليكم لحقوقا ونعما ، ولكنكم لا تشكرون .

وينتقل الشاعر من ذلك إلى الفخر بقومه فيقول :

٢١ ـ إذا أجدب الناس فى الشتاءِ ، وخمدت النيران تحت القدور ، حتى يتشوق الناس إلى دخان الطبخ تشوقهم إلى البخور .

٢٢ ـ سُمِعَ رنينُ أقداحنا ، تُضرَبُ على الإبل الضخام حين يُكْرَه ذبحها .

٢٣ ـ برجال كرام يتيهون على كل سيد مختال ، ويفوقونه فى إطعام الجائع وقت الجدب فى الشتاء .

٢٤ ـ وخيام ضخام كأنها الهضاب ، ورماح حمر من آثار الدماءِ ، تدفع عن وجوه أصحابها الطِعان .

٢٥ ـ وخيل قد تهيأت للغزو ، حيث يُتَوَقَّعُ هجوم العدو فإذا جاءَ القتال . وأدركت الغارةُ الإبل فى مراعيها .

٢٦ ـ كان منا الذين يدافعون عنها ويحمون أطراف الحى ، حين يشتد النزال ، وتكشف العذارى عن الساق والخلخال .

١٤ - فَغَدَوْنَا عَلَيْهِمُ بَكَرَ ٱلْوِرْ … دِ كَمَا تُورِدُ ٱلنَّضِيحَ ٱلْهِيَامَا
١٥ - بِرِجَالٍ كَٱلْأُسْدِ حَرَّبَهَا ٱلزَّجْ … رُ وَخَيْلٍ مَا تُنْكِرُ ٱلْإِقْدَامَا
١٦ - لَا نَقِيهَا حَدَّ ٱلسُّيُوفِ وَلَا نَأْ … لَمُ جُوعًا وَلَا نُبَالِى ٱلسُّهَامَا
١٧ - سَاعَةً أَكْبَرَ ٱلنَّهَارِ كَمَا شَـ … ـلَّ مُخِيلٌ لَبُونَهُ إِعْتَامَا
١٨ - مِنْ شَبَابٍ تَرَاهُمُ غَيْرَ مِيلٍ … وَكُهُولًا مَرَاجِحًا أَحْلَامَا
١٩ - ثُمَّ وَلَّوْا عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَٱلصَّبْ … رِ كَمَا يَطْحَرُ ٱلْجَنُوبُ ٱلْجَهَامَا
٢٠ - ذَاكَ فِى جِبْلِكُمْ لَنَا وَعَلَيْكُمْ … نِعْمَةٌ لَوْ شَكَرْتُمُ ٱلْإِنْعَامَا
٢١ - وَإِذَا مَا ٱلدُّخَانُ شُبِّهَ ٱلْآ … نُفُ يَوْمًا بِشَتْوَةٍ أَهْضَامَا
٢٢ - فَلَقَدْ تُصْلِقُ ٱلْقِدَاحُ عَلَى ٱلنِّيـ … ـبِ إِذَا كَانَ يَسْرُهُنَّ غَرَامَا
٢٣ - بِمَسَامِيحَ فِى ٱلشِّتَاءِ يَخَالُو … نَ عَلَى كُلِّ فَالِجٍ إِطْعَامَا
٢٤ - وَقِبَابٍ مِثْلِ ٱلْهِضَابِ وَخَيْلٍ … وَصِعَادٍ حُمْرٍ يَقِينَ ٱلسِّمَامَا
٢٥ - فِى مَحَلٍّ مِنَ ٱلثُّغُورِ غُزَاةٍ … فَإِذَا خَالَطَ ٱلْغِوَارُ ٱلسَّوَامَا
٢٦ - كَانَ مِنَّا ٱلْمُطَارِدُونَ عَنِ ٱلْأُخْ … رَى إِذَا أَبْدَتِ ٱلْعَذَارَى ٱلْخِدَامَا

(١٤ — ١٥) البكر (بالتحريك) والبكرة (بضم فسكون) واحد وهو أول الصبح ، وهى هنا ظرف زمان . النضيح الحوض ، لأنه ينضخ عطش الابل حين تشرب منه . الهيام العطاش ، اى الابل العطاش ، حربها أغضبها . الزجر الطرد مع صوت .

(١٦ — ١٨) السهام (بضم السين) الضمور والهزال . أتانى فلان أكبر النهار (بنصب أكبر على الظرفية) أى حين ارتفع النهار . شل طرد . أخيلت السماء اخيالا تهيأت للمطر ، واخيل الرجل شام سحابة مخيلة ، واخيل عليه الشىء اشتبه وأشكل . لبونه ابله ، واللبون ذات اللبن . اعتاما حين دخلت العتمة ، وهى ثلث الليل الأول . الأميل الذى يميل على السرج ولا يثبت فوقه . مراجحا أحلاما احلاما تمييز أى انهم راجحو العقول .

(١٩ — ٢١) الحفيظة الغضب فيما يجب صونه والدفاع عنه . طحره دفعه وقذف به . الجنوب ريح . الجهام السحاب الذى لا ماء فيه . جبله الله جبلا خلقه ، وجبله على الشىء فطره وطبعه . آنف جمع أنف . أهضام جمع هضم (بفتح فسكون) وهو البخور .

(٢٢ — ٢٤) الصلق الصوت الشديد ، وصلق نابه حكه بآخر فحدث بينهما صوت . القداح هى قداح الميسر . النيب جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، قيل سميت بذلك لطول نابها . غراما اى مكروه . اى انهم يضربون القداح على مثل هذه النوق الكبار حين يكره ذبحها فى الميسر لشدة الجدب فى الشتاء . والعرب تفخر بالميسر فى مثل هذا الوقت لأنه دليل الكرم الحق . مساميح كرماء . يخالون يختالون ويباهون . فلج على خصمه (كنصر) ظهر عليه . قباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . صعاد جمع صعدة (بفتح فسكون) وهى القناة التى تنبت مستقيمة . حمر من أثر الدماء . سمام الانسان فمه ومنخراه وأذناه ، أى أن هذه الرماح تدفع عن أصحابها أن ينالهم الطعن .

(٢٥ — ٢٦) الثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو . الغوار الغارة ، مصدر غاور . السوام الابل الراعية . الخدام جمع خدمة (بثلاث فتحات) وهو الخلخال والساق .

يتحدث الشاعر فى هذه القصيدة عن ذكريات شبـــابه ، وعن لهوه ومجونه ، حديث المباهى المفاخر . حتى يبلغ البيت (٣٧) . ولكنه يختم قصيدته بوصف قصير لرحلة مضنية ، انتهت به الى (سعد بن قيس)ـ وهو رجل او قبيلة لم أوفق لتحقيقها ـ فيذم هذا الرجل أو هـــذه القبيلة فى إبيات لاتكاد تربطها ببقية القصيدة صلة . ويمتاز الغزل فى هذه القصيدة ، بنزعة واضحة الى الاسلوب القصصى ، الذى عرف به عمر بن ابى ربيعة بعد ذلك ، وبرع فيه . وسنرى مثالا آخر لهذا الاسلوب القصصى فى القصيدة (٥٤)

يقول الشاعر :

١ ـ أَوصلت حبل الود من (سلمى) ، بعد أَن انقطع لطول الهجر والاجتناب ؟

٢ ـ ورجعت بعد الشيب ، تبغى ودها ، وتلح فى طلبها ، وقد مضى الشباب ؟

٣ ـ أَقْصِرْ وانْتَهِ خيرًا لك ، فلقد قاسيت من قبل حبها العذاب .

٤ ـ والزجاجة إذا تحطمت لا تلتئم مرة أُخرى ، وإن شُدَّتْ بِعِصَاب .

* * * *

٦ ـ وما من شئ إلا هو إلى زوال . وستهلك القرى يوما وتبيد ، من قبل أَن يحق عليها العذاب .

٧ ـ وتصير بعد بهائها وعمارتها إلى الخراب .

٨ ـ أَلم ترى يا صاحبتى إلى (حِجْر) ـ وأَنت حكيمة تعقلين ـ وهى رهينة البلى والاكتئاب

٩ ـ تمرح الثعالب فى ضحوة النهار لدى أَبوابها والشِّعاب .

١٠ ـ ويُسمع للجن من حولها عزيف كَرَطَانَةِ الأَحباش فى المحراب .

١١ ـ وقد مرت من دون ذلك سنون وأَحقاب .

٥ ـ حتى ما يتبين الناظر فيما بقى من الأَطلال ، ما ينبئ عن بهائها وروعتها التى توارت بالحجاب ؟

* * * *

١٢ ـ ولقد ساومت الكواعب فغلبتهن ، وأَمتعت نفسى بإفساد الغانيات .

١٣ ـ أَخون غفلة قومها ، إذ يطوفون حول قبابها الشامخات .

١٤ ـ يحاذرون عليها أَن تُرَى ، أَو أَن يطوف ببابها الغُواة .

وقال :

١ ـ أَوَصَلْتَ صُرْمَ ٱلْجَلِ مِنْ ‏ سَلْمَى لِطُولِ جِنَابِهَا (مجزوءُ الكامل)
٢ ـ وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبْ ‏ غِى وُدَّهَا بِطِلَابِهَا
٣ ـ أَقْصِرْ فَإِنَّكَ طَالَمَا ‏ أُوضِعْتَ فِى إِعْجَابِهَا
٤ ـ أَوَلَنْ يُلَاحَمَ فِى الزُّجَا ‏ جَةِ صَدْعُهَا بِعِصَابِهَا
٥ ـ أَوَلَنْ تَرَىْ فِى الزُّبْرِ بَيِّ ‏ نَةً بِحُسْنِ كِتَابِهَا
٦ ـ إِنَّ القُرَى يَوْمًا سَتَهْ ‏ لِكُ قَبْلَ حَقِّ عَذَابِهَا
٧ ـ وَتَصِيرُ بَعْدَ عِمَارَةٍ ‏ يَوْمًا لِأَمْرٍ خَرَابِهَا
٨ ـ أَوَلَمْ تَرَىْ حِجْرًا ـ وَأَنْ ‏ تِ حَكِيمَةٌ ـ وَلِمَا بِهَا
٩ ـ إِنَّ الثَّعَالِبَ بِالضُّحَى ‏ يَلْعَبْنَ فِى أَبْوَابِهَا
١٠ ـ وَٱلْجِنُّ تَعْزِفُ حَوْلَهَا ‏ كَٱلْحُبْشِ فِى مِحْرَابِهَا
١١ ـ فَخَلَا لِذَلِكَ مَا خَلَا ‏ مِنْ وَقْتِهَا وَحِسَابِهَا
١٢ ـ وَلَقَدْ غَبَنْتُ ٱلْكَاعِبَا ‏ تِ أَحَظُّ مِنْ تَخْبَابِهَا
١٣ ـ وَأَخُونُ غَفْلَةَ قَوْمِهَا ‏ يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا
١٤ ـ حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى ‏ أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا

(١ ـ ٣) صرمه صرما وصرما (بفتح الصاد وضمها) قطعه . جانبه جنابا ومجانبة . طلاب مصدر طالب . أقصر عن الأمر كف وانتهى . أوضعت الابل (على البناء للمعلوم) اسرعت فى سيرها . واوضع فى تجارته (على البناء للمجهول) خسر فيها ولم يربح . اوضع (على البناء للمعلوم) أسرع . الاعجاب (بالكسر) مصدر من أعجب بالشىء . ويجوز أن تكون أعجابها (بفتح الهمزة) جمع عجب ، وهو الروعة التى تعترى الناظر اذا استحسن شيئا واستعظمه .

(٤ ـ ٦) العصب والعصاب شد الشىء وضمه . الصدع الشق والكسر . الزبر جمع زبور (بفتح الزاى) وهو الكتاب ، وهو فعول بمعنى مفعول ، من زبر الكتاب (كضرب ونصر) كتبه . وموضع هذا البيت (٥) أن يجىء بعد البيت (٧) أو (١١) . الحق الأمر المقضى . وحق الأمر وجب وثبت .

(٧ ـ ٩) الحجر (بكسر الحاء) مساكن ثمود فى الشام الى الجنوب من دومة الجندل . والحجر (بفتح الحاء) من منازل بنى حنيفة (ابن بكر بن وائل) فى اليمامة . لما بها من الخراب . تقول هوًلما به اذا كان هالكا .

(١٠ ـ ١٤) عزفت الجن صوتت وصاحت فى الصحارى . المحراب مجلس الناس ومجتمعهم . غبنه فى البيع والشراء خدعه وغلبه . حظ (كعلم) كان ذا حظ . تخبابها من خب المرأة والأمة اذا افسدها على صاحبها . القبة الخيمة الضخمة .

١٥ ـ فبعثت رسولا لنا شيطانا ، ليأتينا منها بالجواب .

١٦ ـ فمشى إليها لا يخشى الرقباء ، حتى تخلص إليها غيرَ هيَّاب .

١٧ ـ فنازعها الحديثَ مُخَافِتًا ، فلما لَوَتْهُ أَقام عليها الحجة رَجُلٌ غَلَّاب .

١٨ ـ حديدُ اللسان ، حاذق فطن ، لا تعييه الحيلة ولا يعدم الأَسباب .

١٩ ـ رقيق بالنساء ، خبير بلين حديثهن ، حتى أَسلَسَتْ له القياد .

٢٠ ـ وقالت : قد قلتَ حقا ، ولم تتجاوز الرشاد والسداد .

٢١ ـ فراودها ، كيف السبيل إلى دخول الحي ، وكيف آتيها في الميعاد .

٢٢ ـ في قبتها الحمراء ، التي تزين سقفها طُرَّةٌ وضاءَة غراءُ .

٢٣ ـ ولم ينس ما قال له صاحبه ، حين بعثه إلى صاحبته الحسناء .

٢٤ ـ وأَوصاه أَن يرفق بها ولا يعنف عليها ، فهي صغيرة قليلة التجربة والدهاء .

٢٥ ـ وليس يُتَوَسَّل إلى مثلها بالعنف ولا بالجفاء .

٢٦ ـ ....

٢٧ ـ فأَنا أَخشى أَن تغضبها ، فينعق الغراب بيننا بانقضاء الود والصفاء .

* * * *

٢٨ ـ ودخلت إليها وقد نام الرقباءُ ، فبت إلى جانبها لا يفصلنا حجاب .

٢٩ ـ حتى إذا أَنِسَتْ إليَّ ، بعد طول المعابثة واللِّعاب

١٥ ـ فَبَعَثْتُ جِنِّيًا لَنَا   يَأْتِى بِرَجْعِ جَوَابِهَا
١٦ ـ فَمَشَى وَلَمْ يَخْشَ ٱلْأَنِيـ   ـسَ فَزَارَهَا وَخَلَا بِهَا
١٦ ـ فَتَنَازَعَا سِرَّ ٱلْحَدِيـ   ـثِ فَأَنْكَرَتْ فَنَزَا بِهَا
١٨ ـ عَضْبُ اللِّسَانِ مُتَقِّنٌ   فَطِنٌ لِمَا يُعْنَى بِهَا
١٩ ـ صَنَعٌ بِلِينِ حَدِيثِهَا .   فَدَنَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا
٢٠ ـ قَالَتْ قَضَيْتَ قَضِيَّةً   عَدْلًا لَنَا يُرْضَى بِهَا
٢١ ـ فَأَرَادَهَا كَيْفَ الدُّخُو   لُ وَكَيْفَ مَا يُؤْتَى لَهَا
٢٢ ـ فِى قُبَّةٍ حَمْرَاءَ زَيَّـ   ـنَهَا ٱئْتِلَاقُ طِبَابِهَا
٢٣ ـ وَدَنَا تَسَمَّعُهُ إِلَى   مَا قَالَ إِذْ أَوْصَى بِهَا
٢٤ ـ إِنَّ ٱلْفَتَاةَ صَغِيرَةٌ   غِرٌّ فَلَا يُسْدَى بِهَا
٢٥ ـ وَٱعْلَمْ بِأَنِّى لَمْ أُكَلِّـ   ـمْ مِثْلَهَا بِصِعَابِهَا
٢٦ ـ فِيهِنَّ . . . .
٢٧ ـ إِنِّى أَخَافُ الصُّرْمَ مِنْـ   ـهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا
٢٨ ـ فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ الرَّقِيـ   ـبُ فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا
٢٩ ـ حَتَّى إِذَا مَا ٱسْتَرْسَلَتْ   مِنْ شِدَّةٍ لِلِعَابِهَا

(١٥ — ١٦) جنيا يقصد رسولا حاذقا ذكيا . ما بالدار من أنيس اى ليس بها احد ، والانيس كل مأنوس به .

(١٧ — ١٩) تنازعا سر الحديث ، أى انه كان يناقشها فى صوت مخفوض حتى لا يسمعهما احد . نزا وثب ، اى انه حاجها فغلبها . عضب اللسان فاعل نزا ، يقصد صاحبه ، والعضب الحاد القاطع ، أى انه رجل حديد اللسان . متقن يتقن التأتى لما يريد . صنع رفيق .

(٢٠ — ٢٢) كيف ما يؤتى ، ما مصدرية اى كيف السبيل الى المجىء اليها . طبابة السماء وطبابها طرتها المستطيلة .

(٢٣ — ٢٥) الى ما قال ، الضمير فى قال يعود على الاعشى نفسه ، يقول ان هذا الرسول قد استمع الى وصيته حين اوصاه بصاحبته . يسدى بها من قولهم . سدى الصبى بالجوز (كنصر) واسدى به كذلك ، أى لعب به . صعابها مصدر صاعبه أى كده واجهده ضد ساهله .

(٢٦ — ٢٩) الصرم القطيعة . الشحيج نعيق الغراب . بت قضيت ليلتى . دون ثيابها اى قريبا منها . ودون تكون بمعنى امام وخلف وفوق وتحت ، وهى ظرف يفيد القرب على كل حال . استرسل اليه انبسط اليه واستأنس . لعاب مصدر لاعب .

٣٠ ـ قسَّمتها قسمين ، أَرْمِى بها كلَّ وجه ، وأُصرِّفها كيفما أشاءُ .

٣١ ـ فأثنى جيدها الفتبان ، أَو أَلمس بطنها الملساء .

٣٢ ـ وكأَنها وعاءُ طِيبٍ أَصفر ، لصق به عَبِيرٌ خالطه (الملَاب) .

٣٣ ـ وقد وُضِع بيننا إناءُ الخمر ، مرفوعا قد أُعِدَّ للشراب .

٣٤ ـ وظلت تجرى بيننا الخمر يسعى علينا الساقى بالأَكواب ، وقد شد على فمه خرقة بيضاء .

٣٥ ـ وعلق فى أُذنيه لؤلؤتين ، يسير فى خفة ونشاط ، ويعدو بالكأس مسرعا يلبى النداء .

٣٦ ـ ....

٣٧ ـ ....

٣٨ ـ رب صحراء مجدبة شهباء ، قد جُلِّلت آكامها بالسراب .

٣٩ ـ ركدت فوقها الشمس طوال النهار ، تصب عليها لهيبها الوهاج .

٤٠ ـ حتى احتدم فيها الحر ، فالجمر الملتهب مثل ترابها حين تلتهب الرمال .

٤١ ـ خُضْتُها بناقة صلبة ، مأْمونة العِثار ، حين تسرع باديةَ النشاط .

٤٢ ـ فلم أَزل أُدمن بها السير حتى عراها الكلال ، وبدت فِقارُ ظهرها من شدة الهزال

٣٠ ـ قَسَّمْتهَا قِسْمَيْن كُـــلَّ مُوَجَّه يُرْمَى بِهَا
٣١ ـ فَثَنَيْتُ جِيدَ غَرِيرَةٍ وَلَمَسْتُ بَطْنَ حِقَابِهَا
٣٢ ـ كَالْحُقَّةِ الصَّفْرَاءِ صَا كَ عَبِيرُهَا بِمَلَابِهَا
٣٣ ـ وَإِذَا لَنَا تَامُورَةٌ مَرْفُوعَةٌ لِشَرَابِهَـــا
٣٤ ـ وَتَظَلُّ تَجْرِى بَيْنَنَا وَمُفَدَّمٌ يَسْقِى بِهَا
٣٥ ـ هَزِجٌ عَلَيْهِ التُّومَتَا نِ إِذَا نَشَاءُ غَدَا بِهَا
٣٦ ـ .... أَكْوَابِهَا
٣٧ ـ .... حَوْلٌ كَامِلٍ وَقْتًا لِحِينِ إِيَابِهَـــا
٣٨ ـ وَوَدِيقَةٍ شَهْبَاءَ رُدٍّ يَ أَكْمُهَا بِسَرَابِهَا
٣٩ ـ رَكَدَتْ عَلَيْهَا يَوْمَهَا شَمْسٌ بِحَرٍّ شِهَابِهَا
٤٠ ـ حَتَّى إِذَا مَا أُوقِدَتْ فَالْجَمْرُ مِثْلُ تُرَابِهَا
٤١ ـ كَلَّفْتُ عَانِسَةً أَمُو نًا فِى نَشَاطِ هِبَابِهَا

(٣٠ ـــ ٣١) موجه مصدر ميمى من وجه ، أى انه يرمى بها كل وجه ويصرفهاكيفما أراد . الغريرة الساذجة القليلة التجربة . الحقاب شىء تتخذه المرأة لتعلق به معاليق الحلى وتشده الى وسطها ، وقد يقصد به هنا سراويلها .

(٣٢ ـــ ٣) الحقة وعاء الطيب ، وهى صفراء من اثر الطيب ، وهو يصوربشرة صاحبته صفراء لكثرة ماتتضمخ به من طيب وزعفران . صاك اصق ، ويقصد به هنا اختلاط العبير باالاب . والعبير أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر والدهن ونحو ذلك مما يتعطر به . والملاب كل عطر سائل (فارسى معرب) . التامورة صومعة الراهب (فارسى ـ الجوالقى) وفى شرح الطبعة الأوروبية . التامورة وعاء لشرابها ، ولم أجده فى المعاجم . مرفوعة أى رفيعة أو مقربة مهيأة .

(٣٤ ـــ ٣٦) تظل تجرى أى الخمر ، الضمير يعود عليها لأنها مفهومة مما قبلها وما بعدها . المفدم الذى وضع على فمه الفدام ، وهى خرقة تشدها العجم والمجوس على أفواهها عند السقى . هزج (كطرب) ترنم وانشد وطرب فى صوته . والهزج كذلك الخفة وسرعة رفع القوائم ووضعها ، وهو المقصود هنا . التومة (بضم التاء) حبة من فضة شبه الذرة توضع فى الأذن كالقرط .

(٣٧ ـــ ٣٨) الوديقة شدة الحر فى الهاجرة ، والمقصود هنا الصحراء الملتهبة فى وقت الهاجرة . شهباء مجدبة لا نبات فيها ، والشهبة بياض خالطه سواد خفيف ، وسميت السنة المجدبة شهباء لأن النبات يجف فيها ويشهب . أكم جمع أكمة (بالتحريك) وهى التل والرابية . رديت هذه التلال بالسراب كأنها ألبسته وجللت به .

(٣٩ ـــ ٤١) ركدت الشمس سكنت وثبتت فوق الرءوس حين يقوم قائم الظهيرة . الشهاب شعلة من نار ساطعة . الجمر مثل ترابها تشبيه مقلوب ، وهو يقصد به المبالغة ، والحقيقة أن ترابها مثل الجمر . عانسة ناقة صلبة . أمون يؤمن عثارها . هبابها نشاطها .

٤٣ ـ تشكو إلى ما أصابها من ضروإعياء .

٤٤ ـ وكأنها محموم أصابته حمّى (خيبر) ، ثم أفاق من البلاء .

٤٥ ـ بعد أن لعبت به سنين ونهكت قواه ، فهو بادى الإعياء .

* * * *

٤٦ ـ وردت ناقتى على (سعد بن قيس) ، بها ما بها من الضر والهزال .

٤٧ ـ فإذا عبيد مقيمون لا يبرحون ، مستمسكون بالأصنام .

٤٨ ـ وقد تجمعت (ثعلبة بن سعد) كلها حول الخيام .

٤٩ ـ فعجبت . .

٥٠ ـ من شربها الخمر ، وما دخل جوفى شئ مما يشربون .

٥١ ـ وعلمت عند ذاك أن الله قد أراد بهم الهلاك ، وجعلهم مُثْلَةً للناس .

٤٢ - أَكْلَلْتُهَا بَعْدَ ٱلْمِرَا   حِ فَآلَ مِنْ أَصْلَابِهَا
٤٣ - فَشَكَتْ إِلَىَّ كَلَالَهَا   وَٱلْجَهْدَ مِنْ أَتْعَابِهَا .
٤٤ - وَكَأَنَّهَا مَحْمُومُ خَيْـ   ـبَرَ بَلَّ مِنْ أَوْصَابِهَا
٤٥ - لَعِبَتْ بِهِ ٱلْحُمَّى سِنِيـ   ـنَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا .
٤٦ - وَرَدَتْ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْـ   ـسٍ نَاقَتِى وَلِمَا بِهَا
٤٧ - فَإِذَا عَبِيدٌ عُكَّفٌ   مُسُكٌ عَلَى أَنْصَابِهَا
٤٨ - وَجَمِيعُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْـ   ـدٍ بَعْدُ حَوْلَ قِبَابِهَا
٤٩ - فَعَجِبْتُ . . . .
٥٠ - مِنْ شُرْبِهَا ٱلْمُزَّاءَ مَا ٱسْـ   ـتَبْطَنْتُ مِنْ إِشْرَابِهَا
٥١ - وَعَلِمْتُ أَنَّ ٱللهَ عَمْـ   ـدًا حَسَّهَا وَأَرَى بِهَا

(٤٠ — ٤٤) أكللتها اتعبتها . المراح النشاط . آل نقص وضمر . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم فى الظهر ذو فقار من لدن الكاهل الى الذنب (وهو ما نسميه الآن السلسلة الفقرية) . خيبر مدينة كبيرة من مدن الحجاز على ثمانية برد من المدينة الى الشام ، رديئة الهواء ، كثيرة الوباء ، تنتشر فيها الحمى . بل من مرضه وابل واستبل أفاق . أوصاب جمع وصب (بالتحريك) وهو الوجع والتعب .

(٤٦ — ٤٨) لما بها من التعب المضنى ، تقول هو لما به اذا كان هالكا . عكف جمع عاكف وهو المقيم والمحبوس . مسك به (كنصر وضرب) أخذ به وتعلق واحتبس واعتصم . الانصاب جمع نصب (بضم فسكون) وهو كل ما عبد من دون الله . القباب جمع قبة وهى الخيمة الكبيرة . ثعلبة بن سعد قبيلة ، لعلها من ذبيان .

(٥٠ — ٥١) المزاء الخمر . الاشراب (بكسر الهمزة) مصدر أشربه أى جعله يشرب . وأشرب الرجل عطش (ضد) . واشرب بفلان كذب عليه . وقد تكون الأشراب (بفتح الهمزة) جمع شرب (بكسر فسكون) وهو الماء المشروب والمورد ووقت الشرب . والمعنى الاجمالى للبيت غير واضح لى على التحقيق . حسها أهانها واستأصلها . أرى بها أى جعل الناس يرون بها ذلك .

— ٤٠ —

يتصل خبر هذه القصيدة بالقصيدتين (٢٦) و (٣٤) . وقد مضى الكلام فى الأولى عن رحلة قيس بن مسعود الى كسرى . وفصلنا فى الثانية الحديث عن ذى قار . وبقى للأعشى فى ديوانه غير هذه القصائد الثلاث قصيدة أخرى هى (٥٦) .

والأعشى يخص بنى ذهل بن شيبان فى هذه القصيدة بمدحه وثنائه ـ وكانوا من أحسن الناس بلاء فى هذا اليوم ـ فيقول :

---

١ ـ تفدى ناقتى وصاحبُها بنى ذهل بن شيبان يوم النزال ، وأَعلى الله ذكرَهم مِنْ رجال .

٢ ـ فلقد ضربوا مقدمة (الهَامَرْز) فى (حِنْوِ قُرَاقِر) ، حتى تولت فى شرٍّ حال .

٣ ـ أَلَا سَلِمَتْ عينا من رأى هذه العصابة من الأَبطال ، يردون كيد البغاة ويذيقونهم النكال .

٤ ـ فهم أَشد نكاية فى القتال من هؤلاءِ الذين أَتوهم من (البطحاءِ) ، يبرق فوق رءُوسهم الحديد ، وتخفق فوقهم الرايات الطوال .

٥ ـ واختلط أَمر الناس ، واضطربوا فى ثورتهم الهائجة ، يجول بينهم الموت ، وتلفحهم الغمرات والأَهوال .

٦ ـ وقد جد الجِدُّ ، واحتدم القتال ، كالحًا مريرًا ، يصرع الرجال ، ويُلْوِى بالآجال .

٧ ـ عند ذلك أَغنت بنو شيبان وكفوا قومهم ، وقد أَقبل (الهامرز) تخفق فوقه رايته ، كأَنها عُقاب كاسر هوى متعلقًا فى الفضاءِ .

٨ ـ وقاموا من دون الحِمَى يقاتلون ويمنعون النساءَ ، وقد حللنا هوادجهن وقطعنا سيورها فنزلن إلى الأَرض لايستطعن الفرار .

وقال يمدح بنى شَيْبَان بن ثَعْلبة فى يوم ذى قار :

١ - فِدًى لِبَنِى ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِى ... وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ (طويل)

٢ - هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقَدِّمَةَ الْهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

٣ - فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ ... أَشَدَّ عَلَى أَيْدِى السُّعَاةِ مِنَ الَّتِى

٤ - أَتَتْهُمْ مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا ... وَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُهَا فَاسْتَقَلَّتِ

٥ - فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا ... وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ

٦ - وَقَدْ شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَمْطَاءُ لَاقِحٌ ... عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا فَأَضَلَّتِ

٧ - كَفَوْا إِذْ أَتَى الْهَامَرْزُ تَخْفِقُ فَوْقَهُ ... كَظِلِّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ

٨ - وَأَحْمَوْا حِمًى مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ ... لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وُقُوفًا فَحَلَّتِ

٩ - أَذَاقُوهُمُو كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً ... وَقَدْ بَذِخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَدَلَّتِ

(١ — ٢) راكبها يعنى نفسه . يوم اللقاء لقاء الأعداء فى القتال . قلت من قل الشىء (لازم) أى علا ، وقل النبـات أناف وارتفع . والضمير فى قلت يعود على ذهل بن شيبان . يفديهم بناقتـه وبنفسه يوم القتال لما أبلوا من بلاء ، ويدعو لهم بالعلا . الحنو فى اللغة كل شىء فيه اعوجاج ، وكل منعرج نهو حنو . وحنـو قرار وحنو ذىقار ، والبطحاء كلها مواضـع قرب الكوفة حيث جرت المعركة المشهورة بين الفرس وبكر بن وائل . الهامرز احد قادة كسرى فى هذا اليوم . وكانت شيبان على ميمنة بكر بازاء كتيبة الهامرز . مقدمة الجيش (بفتح الدال وكسرها) طائفة متقدمة منه .

(٣ — ٤) العصابة هم بنو ذهل بن شيبان ومن حرف جر زائد . يتعجب ممن رات عيناه هذه العصابة وهم يقاتلون . أشد صفة لعصابة. السعاة الذين يسعون للحرب ويهيجونها ، وهم الفرس . وروى (السقاة) أى الذين يتسـاقون الموت بينهم . وروى كذلك (أشد اذا خام الكماة) خام أى جبن . الكماة الفرسان المغطون بالسلاح . من التى تضمين وهو قبيح ، والتضمين بالموصول من أقبح الأشياء ، لأنه يفصل بين الصلة والموصول وهما كالشىء الواحد . وصلة الموصول (أتتهم) فى البيت التالى . أى أنهم أشد فى القتال من الكتيبة التى أتتهم من البطحاء ، وهم الفرس. والبطحاء كما تقدم قرب ذى قار . البيض جمع بيضة ، وهى غطاء للرأس يلبسه المقاتل ليقيه ، وكذلك المغفر . استقلت علت وارتفعت .

(٥ — ٦) الغمرة الشدة والزحام . هاجت ثارت وانبعثت . تجلت تكشفت وظهرت . شمر خف للامر وجد ونشط . شمطاء عجوز، والأشمط هو الذى خالط بياض راسه سواد ، يصف الحرب بذلك . لاقح شديدة عظيمة ، وهو على تشبيه الحرب بالأنثى الحامل التى لا يدرى ما تلد . عوان قوتل فيها مرة بعد مرة فهى حرب طويلة مريرة . والعوان فى الأصل التى ولدت للمرة الثانية بعد بطنها الأولى . همزة (كضربه) ضغطه وصرعه وعصره . اضله دفنـه وغيبه واهلكه .

(٧ — ٩) كظل العقاب صفة لموصوف محذوف أى رايه كظل العقاب . وظل كل شىء شخصه وسواده . والعقـاب طائر من الجوارح ، وهو سيد الطيور عند العرب ، ويسمونه الكاسر . هوت العقاب انقضت على فريستها . تدلت تعلقت ونزلت . الحمى ما حمى من ارض أو شىء فكان محرما لا يقربه أحد . أحمى الحمى منعه وحماه . ما هنا موصولة مضافة الى (حمى) ، اى أنهم منعوا ما يمنعون من حمى . ظعن (ككتب) جمع ظعينة وهى الهودج فيه امراة اوالمراة نفسها . يشير الشاعر بهذا الى ما فعل حنظلة ابن ثعلبة حين قطع الوضن (جمع وضين . وهو الحزام الذى يربط الرحل ببطن البعير) حتى لاتهرب النساء فينهزم الرجال. حلت أى نزلت ، لأن النساء نزلت من الهوادج بعد تقطيع الوضن. بذخ (كعلم) تكبر وعلا . أدل تاه وترفع .

٩ ـ سقوهم كأس الموت المرير ، وقد أقبلوا يتيهون فى عُجْبٍ وإدلال .

١٠ ـ تبرق عليهم الدروع ، سابغة تغطى سائر الجسد ، خفيفة لا تعوق الحركة ، وتلمع فوق رءوسهم الخوذات كأنها النجوم .

١١ ـ وأقفرت حومة الوغى من كل شئ ، إلا من الدروع الفضفاضة ، مبعثرة هنا وهناك ، وقد هبط فريق منهم إلى السهول متشبثًا بالقتال .

١٢ ـ ففاجأهم جنودنا صباحًا فى (حِنْوِقُرَاقِرٍ) و (ذى قار) ، فحطموا جموعهم ، ونالوا منهم كل منال .

١٣ ـ ينقضون عليهم بأفراسهم القوية المحبوكة الظهور ، وكأنها عقبان تهوى من فوق برج عال .

١٤ ـ وتفتحت أبواب السماء بالموت ، ينهمر على (الهامَرْز) وسط بيوتهم ليذوق الوبال .

١٥ ـ عند ذلك كف الفرس عن غُلَوَائهم ، وردهم إلى صوابهم ما لقوا من ثبات فوارس (شَيْبَان) ، وصبرهم على مكاره الحرب والنزال .

١٦ ـ وفاتهم (قيس بن مسعود) فلم يدركوه ، فرجوت أن ينجو ، على ما ارتكب من خطإ ، وما تردَّى فيه من عار .

١٧ ـ وعدنا بنسائهم ، نسوقهن أمامنا ، ونقتسمهن بيننا ، يعشن فى ذل السبى راغمات

١٨ ـ لعمرك ما يُضْنِى الفتى شئٌ كالهَمِّ الثقيل ، حين تنطوى الصدور على الأمر الجليل .

١٠ ـ سَوَابِغُهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ مِنَ ٱلْبِيضِ أَمْثَالُ النُجُومِ ٱسْتَقَلَّتِ

١١ ـ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَاتُ رَيْعٍ مُفَاضَةٌ وَأَسْهَلَ مِنْهُمْ عُصْبَةٌ فَأُطَلَّتِ

١٢ ـ فَصَبَّحَهُمْ بِٱلْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ وَذِى قَارِهَا مِنْهَا ٱلْجُنُودُ فَفُلَّتِ

١٣ ـ عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ كَأَنَّهُ عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتِ

١٤ ـ فَجَادَتْ عَلَى ٱلْهَامَرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِمْ شَآبِيبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ وَٱسْتَهَلَّتِ

١٥ ـ تَنَاهَتْ بَنُو ٱلْأَحْرَارِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلْبٌ فَوَلَّتِ

١٦ ـ وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقُلْتُ لَعَلَّهُ يَبِلُّ لَئِنْ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ

١٧ ـ فَمَا بَرِحُوا حَتَّى ٱسْتُحِثَّتْ نِسَاؤُهُمْ وَأَجْرَوْا عَلَيْهَا بِالسِّهَامِ فَذَلَّتِ

١٨ ـ لَعَمْرُكَ مَا شَفَّ ٱلْفَتَى مِثْلُ هَمِّهِ إِذَا حَاجَةٌ بَيْنَ ٱلْحَيَازِيمِ جَلَّتِ

---

١٠ ــ سوابغهم دروعهم السابغة أى التى تغطى سائر الجسد . خفاف لا تثقل لابسيها فتعوقهم عن الحركة فى القتال . يصف استعدادهم الكامل للقتال ، ليقول بعد ذلك انهم قد هزموهم وهم فى كامل عدتهم . استقلت ارتفعت ، يشبه البيض فى بريقه فوق رءوسهم بالنجوم فى السماء .

(١١ ــ ١٢) الريع من الدرع فضول كميها وذيلها ، مفاضة واسعة . أسهلوا نزلوا الى السهل . أطلت (على البناء للمعلوم) من قولهم أطل عليه بالأذى اذا لم يزل له مؤذيا . فان بنيت للمفعول فهى من أطل (على البناء للمجهول) أى أهدر دمه وذهب فلم يثأر له . ذى قارها ، الضمير يعود على (حنو قراقر) ، وهو ضعيف على كل حال لم يقصد به الا اقامة الوزن . منها أى من الحنو وهو المنعرج والمنحنى فى الطريق . فلت هزمت وشردت . وأصله من تفلل السيف وهو تثلمه وتكسر حده . يشير الشاعر الى ما روى الرواة من أن جيوش الفرس فرت الى السواد فتبعتهم بكر تقتلهم ، فلم ينج منهم الا القليل .

(١٣ ــ ١٤) السراة الظهر والوسط . فرس محبوك السراة أى محكم الخلق شديد وثيق . المرقب الموضع المرتفع الذى يشرف من فوقه الرقيب . (على كل محبوك السراة) حال من الجنود فى البيت السابق . يشبه الفرس فى اندفاعه فى القتال بالعقاب حين تنقض على فريستها من مرقبها . جادت السماء مطرت . شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . أسبل المطر هطل . استهل وانهل اشتد انصبابه مع صوت .

(١٥ ــ ١٦) تناهى عن الشىء كف . وتناهى القوم عن المنكر نهى بعضهم بعضا . بنو الأحرار هم الفرس . غلب جمع أغلب ، وهو الغليظ العنق ، يكنى بها هنا عن القوة ومتانة بنيان الجسم ، وفعله غلب (كعلم) . قيس هو قيس بن مسعود . بل فى الأرض (كضرب) ذهب . وبل من مرضه وأبل أفاق . (ان كانت به النعل زلت) أى ان كان أخطأ بمسيره مع جيوش كسرى . والظاهر أن كسرى تشكك فى أمره فطلبه فهرب منه (راجع القصيدة ٢٦) .

(١٧ ــ ١٨) استحث نساؤهم سيقوا أمام القوم وقد أخذن سبايا ، يدفعن طلبا للاسراع . أجروا عليها بالسهام ، اقترعوا عليهن فيخرج لكل مقاتل سهمه أى نصيبه من السبايا . شفه الحزن أضناه . الحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر أو موضع الحزام . جلت عظمت . الهم ما هم به الرجل من شىء ، وأعمل فكره فى انفاذه . وشبيه بهذا البيت قول المتنبى :

وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهى النفس وجده

(٤١)

يستشهدون بهذه الابيات على أن الطلاق كان معروفا فى الجاهلية .وقد روى صاحب الاغانى هذه الابيات فى أخبار الاعشى ، وذكر فيها ضروبا من الالحان لكثير من المغنين المشهورين ، كاسحق ، وابن جامع ، وفليح، وابن سريج ، وقال انها كانت تغنى فى أيامه مع شيء من التبـــديل . وروى أن الاعشى قالها فى امرأة له من هزان ، تزوجها ، ثم لم يرضها ولم يستحسن خلقها ، فطلقها . واضـــاف بعض الرواة الى ذلك ، انه كان يدخل عليها بعد أن ذهب بصره ، فيجد رجلا غريبا . فاذا سألها عنه زعمت أنه بعض أهلها . فرابه ذلك من أمرها فطلقها .

يقول الأعشى :

١ – اذهبى يا صاحبتى ، فأنت طالق . وكذلك تعرض للناسِ فى حياتهم شئون ، وتجدُّ أمور ، فى الليل أو فى النهار .

٢ – فارقينى ، فالفراق خير لك من العصا ، وإن لا تفعلى ، لم تزل العصا فوق رأسك تُضْرَبين .

٣ – وليس ذلك من جرم عظيم ارتكبته ، أو خطب فادح اقترفته .

٤ – اذهبى عفيفةً طاهرة غير ذميمة ، بل محبوبة – كذلك – كما كنت تحبيننى .

٥ – وذوقى غيرى من الفتيان ، فإنى ذائق غيرك من النساءِ .

٦ – فقد كان لكِ عنى مندوحة ، فى شبان قومك ، وفى فتيانهم الطوال البيض الوجوه .

(٤٢)

مدح الاعشى بنى الحارث بن كعب (سادة نجران) ، أو أشار اليهم ،فى موضعين آخرين من الديوان ، وهما القصيدتان (٢٣) ، (٣٢) . وقد مضت ترجمتهم فى القصيدة (٢٣) . والاعشى يشير فى البيت الرابع من هذه القطعة الى احتمال اغارة الدولة الرومانية على نجـــران ، ويقول لبنى الحارث : انكم اكفاء لقتالهم ، فانتم رجال حرب .

يقول الأعشى :

١ – يا سيدَىْ نجران . ما أنا فى حاجة إلى أن أُوصيكما بنجران ، فيما ينوبها من محن ، وما يعتريكما من خطوب .

٢ – فإن تفعلا الخير وترتدياه ، فأنتم أهل لذلك ، وأنتم به جديرون .

٣ – وإن تدفعا عن (نجران) وتكفياها فادح النوائب والأحداث ، فقد سادها أبواكما من قبل .

٤ – وإن اجتمعت عليكم جموع الروم من (صِهْيون) ، فأنتم أكفاءٌ لكل حرب مدمرة طَحُون .

وقال لامرأته الهزَّانيَّة حين طلقها :

١ ـ يَا جَارَتِى بِينِى فَإِنَّكِ طَالِقَهْ ‏ ‏ كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهْ (طويل)
٢ ـ وَبِينِى فَإِنَّ ٱلْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ ٱلْعَصَا ‏ ‏ وَإِلَّا تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَهْ
٣ ـ وَمَا ذَاكَ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتِهِ ‏ ‏ وَلَا أَنْ تَكُونِى جِئْتِ فِينَا بِبَائِقَهْ
٤ ـ وَبِينِى حَصَانَ ٱلْفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ ‏ ‏ وَمَوْمُوقَةً فِينَا كَذَاكَ وَوَامِقَهْ
٥ ـ وَذُوقِى فَتَى قَوْمٍ فَإِنِّىَ ذَائِقٌ ‏ ‏ فَتَاةَ أُنَاسٍ مِثْلَ مَا أَنْتِ ذَائِقَهْ
٦ ـ فَقَدْ كَانَ فِى شُبَّانِ قَوْمِكِ مَنْكَحٌ ‏ ‏ وَفِتْيَانِ هِزَّانَ الطِّوَالِ ٱلْغَرَانِقَهْ

(٤٢)

وقال يمدح يزيد وعبد المسيح الحَارِثِيَّيْنِ :

١ ـ أَيَا سَيِّدَىْ نَجْرَانَ لَا أُوصِيَنْكُمَا ‏ ‏ بِنَجْرَانَ فِيمَا نَابَهَا وَٱعْتَرَاكُمَا (طويل)
٢ ـ فَإِنْ تَفْعَلَا خَيْرًا وَتَرْتَدِيَا بِهِ ‏ ‏ فَإِنَّكُمَا أَهْلٌ لِذَاكَ كِلَاكُمَا
٣ ـ وَإِنْ تَكْفِيَا نَجْرَانَ أَمْرَ عَظِيمَةٍ ‏ ‏ فَقَبْلَكُمَا مَا سَادَهَا أَبَوَاكُمَا
٤ ـ وَإِنْ أَجْلَبَتْ صِهْيَوْنُ يَوْمًا عَلَيْكُمَا ‏ ‏ فَإِنَّ رَحَى ٱلْحَرْبِ الدَّكُوكِ رَحَاكُمَا

(١ ـ ٢) الجارة هنا زوجته . بينى أى فارقى . غاد وطارقة ، ذكر (غاد) على ارادة الجمع ، وانث (طارقة) على ارادة الجماعة . الغادى الذى يأتى غدوة فى الصباح ، والطارق الذى يطرق اى يأتى ليلا . والا ، أى وان لا تفارقى . وروى (والا بفتح الهمزة) على تقدير : الفراق خير من العصا ومن أن تظل العصا لائحة فوق رأسك . بارقة خبر لا تزال . وبرق الشىء (كنصر) لمع وتلألأ .

(٢ ـ ٦) البائقة المصيبة . حصان الفرج عفيفة غير متهمة فى عرضك . مومومقة محبوبة . وامقة محبة . منكح مصدر ميمى من نكح المرأة اى تزوجها . غرانقة جمع غرنوق (بضم الغين) وهو الشاب الابيض الجميل .

(٤٢)

(١ ـ ٤) صهيون معناها الجبل المشمس أو الجاف . وقد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم . ولكنه ينحصر غالبا فى الجبل الجنوبى الغربى من المدينة ... وكانت صهيون فى سابق العصور اشرف قسم فى أورشليم ، وفيها بيوت الاكابر . وكان فى زاويتها الشمالية الغربية القصر البهيج ، الذى بناه (هيرودس) ، والذى سمى بعد ذلك (دار الولاية) ، لان الوالى الرومانى كان يسكنها (قاموس الكتاب المقدس) .
دك الحائط دقه وهدمه حتى سواه بالارض . والحرب الدكوك هى الحرب المدمرة التى لا تبقى شيئا .

هذه القطعة ، والقطع الثلاث التى تليها (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦) وكذلك القطعة (٥٠) ، كلها من الرجز . والرجز من اسهل ضروب الشعر وابسطها تركيبا . وقد كان النقاد يعتبرونه دائما احط مرتبة من بحور الشعر الاخرى . وربما اخرجوه من الشعر فجعلوه فنا قائما بنفسه . فهو فن شعبى ، اقرب الى (الزجل) و (المواويل) فى عصرنا هذا . واكثرما كان يشيع بين الأعراب ، وبين أصحاب المواهب المحدودة ، والناشئين فى الشعر ، الذين لاتتجاوز شهرتهم الفنية حدود القبيلة . أما مشاهير الشعراء ، فقد كانوا يترفعون عن تناوله ، ولا يكادون يقولونه الا تظرفا ، ومجاراة لاصحابه ، واثباتا لقدرتهم عليه . ولذلك ، فمن الراجح أن تكون هذه القطعة والقطع الثلاث التى تليها من انتاج الأعشى المبكر . ولو ان الاعشى هجا هؤلاء القوم وهو شاعر كبير ، لأنف أن يسلك طريق الرجز ، واختار الشعر .

ويمتاز الرجز من بين سائر ضروب الشعر بكثرة ما فيه من الغريب ، وببعده عن الصناعة المهذبة المحكمة . وربما كان ذلك من مظاهر شعبيته. أما الشعر فقد كان يجرى على أساليب معينة ، وألفاظ مختارة منقحة ، تختلف بعض الاختلاف عن لغة الحديث اليومى المألوف . وذلك يعلل لنا مانجد من تشابه فى أساليب الشعراء ، على اختلاف قبائلهم ، وتباين ما بين لهجاتهم .

ويظهر فى الرجز آثار الارتجال والعجلة ، فهو صورة من تلك البيئة البدوية الخشنة الجافية ، فى الفاظه وفى صوره . من اجل ذلك كان الشعر القديم اقل غرابة من الرجز بالقياس الينا . لأن احترام الناس للشعر دون الرجز — قد ضمن للغته وأساليبه أن تبقى حية على الالسن ، وأن لا تتغير الا فى أضيق الحدود . وبينما ظل الشعراء على مر العصور يتداولون لغة هذا الشعر القديم والفاظه واساليبه ، انقطعت صلتنا بألفاظ ذلك الرجز القديم واساليبه ، لأنه كان صورة من لغة الحديث ، التى خضعت للتطور والتغير على مر العصور ، ولم تلق من عناية الناس والنقاد مايثبتها ويضمن لهاشيئا من الاستقرار . وليس بصحيح ما يظنه الناس ، من أن هذا الشعر القديم الذى نتداوله ونتدارسه ، كان يكتب باللغة التى يتكلمها الناس . فالواقع أن لغة الادب كانت فى كل عصر وفى كل مكان — ولا تزال — تختلف عن لغة الحديث .

والرجز — بحكم تركيبه وبنيته التى تتكون من وحدة مكررة ، تتوالى فيها الحركة والسكون — من أكثر فنون القول ملاءمة لمصاحبة الحركات الرتيبة التى تجرى على نسق واحد ، كسير الابل ، وحركات الجند فى القتال ، واضطرابهم فى ميدانه ، وحفر الآبار ، ومتح الماء منها بالدلاء .

وقد طغى الشعر على الرجز شيئا فشيئا ، حتى ضيق نطاقه وأكسده . فأصبح مقصورا فى صدر الاسلام على طبقة من الأعراب ، أمثال العجاج ، وابنه رؤبة ، وحفيده عقبة ، ومن تشبه بهم ، وسلك مسلكهم.

يقول الأعشى :

١ — ألا تعجبون معى للعجب العُجَاب .

٢ — بنو قِلَابة المتقلبون .

٣ — يشمخون بأُنوفهم فخرًا ويتيهون .

٤ — وأستاههم العارية تباشر الأَرض ، وقد عُفِّر شعرها بالتراب .

٥ — يا رَخَمًا قد وقف فى شدة القَيْظ ، يرقب أَسْتَاه الخارئين .

٦ — يُعْجِل أَكُفَّهم عن مسح أستاههم ويسبقها إلى الأَقذار .

٧ — ....

٨ — ....

٩ — أهل العقول الراجحة ، والنسب العريق .

١٠ — والخمر التى تُذْهِب الهمَّ ، والزبيب .

وقال يهجو وائل بن شُرَحْبِيل بن عَمْرو بن مَرْثَد وقومه :

(رجز)

١ ـ أَلَمْ تَرَوْا لِلْعَجَبِ ٱلْعَجِيبِ
٢ ـ إِنَّ بَنِى قِلَابَةَ ٱلْقَلُوبِ
٣ ـ أُنُوفُهُمْ مِالْفَخْرِ فِى أُسْلُوبِ
٤ ـ وَشَعَرُ ٱلْأَسْتَاهِ بِٱلْجَبُوبِ
٥ ـ يَا رَخَمًا قَاظَ عَلَى يَنْخُوبِ
٦ ـ يُعْجِلُ كَفَّ ٱلْخَارِىءِ ٱلْمُطِيبِ
٧ ـ . . . .
٨ ـ . . . .
٩ ـ أَهْلُ النُّهَى وَٱلْحَسَبِ ٱلْحَسِيبِ
١٠ ـ وَٱلْخَمْرِ وَالتِّرْيَاقِ وَالزَّبِيبِ

(٢ — ٣) القلوب الكثير التقلب والتغير ، على وزن فعول ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . الأسلوب التشموخ فى الأنف . وانفه فى أسلوب اى لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، يقال للمتكبر .

(٤ — ٦) الجبوب الأرض . الاست الدبر جمعها أستاه . الرخم طائر يأكل العذرة ، وهو من اكثر الأجناس طلبا لها وسعيا وراءها . ولئام الطير عند العرب ثلاثة : الغربان والبوم والرخم . والرخم أخبثها لجبنه وكسله وقذارته . قاظ من القيظ (بفتح القاف) وهو شدة الحر . الينخوب الجبان ، والينخوبة الاست . ويمكن فهم الشعر على الوجهين . فعلى الأول يصور هذا الطائر فى البيت التالى (٦) حين يفزع اذا أخذ المتطيب حجرا ليتمسح به ، ظنا منه أنه يريد أن يرميه . وعلى الوجه الثانى ، يكون المعنى أن هذا الطائر يبادر الى القذر ويسبق اليه قبل أن يتطيب صاحبه . والتطيب الاستنجاء .

(٩ — ١٠) النهى جمع نهية وهى العقل ، لأنه ينهى عن القبيح . الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الدرياق والترياق رومى معرب ، معناه دواء السموم . والدرياقة (بالدال والتاء) الخمر ، لأنهـا تذهب الهم . قال حسان .

من خمر بيسان تخيرلها   درياقة توشك فتر العظام

فى هذا الرجز اقواء ــ وهو اختلاف حركة الروى ــ فالروى مضموم فى الأبيات السبعة الأولى ولكنه مكسور فى الأبيات الثلاثة الاخيرة . ويمكن تفادى هذا الاقواء بتسكين أواخر الأبيات . على أن بعض المشهورين من شعراء الجاهلية قد أتوا فى شعرهم . والرجز أليق بمثل هذا التجوز ، لما قدمنا من أنه فن شعبى .

---

١ ــ لست بالضعيف ، ولست بالخائر الكثير الزلل والعثار .

٢ ــ مضت الفرصة ، ولم يعد أمامكم وقت لتجنب المعركة ، فلا سبيل إلى الفرار .

٣ ــ (بنو شُرَحْبِيل) فى الذل والدناءة سواءُ .

٤ ــ منهم (ضُبَيْعَة) الجبان الكثير الضراط .

٥ ــ ضخم الجثة ، ولكنه مجرَّب معروف ، ليس عنده غير الصياح والعياط .

٦ ــ وأما (وائل) الأَصلع ، فكأنه مُخاط .

٧ ــ تَزِلُّ عن جبهته الأَمشاط .

٨ ــ لقد ابتُليتم منى ببليَّة ، يسطو على القِرْن ويبطش بالرجال .

٩ ــ ويثبت للخصم ، ولا يعيا بالجواب ، مهما امتد المَدَى وطال .

١٠ ــ كالفرس السابق العدَّاء ، لا يفتر نشاطه ، ولا يدركه الكَلَال .

وقال يهجوهم :

(رجز)

١ ـ لَا فَشَلٌ فِىَّ وَلَا سِقَاطُ.

٢ ـ لَيْسَ أَوَانَ يُكْرَهُ ٱلْخِلَاطُ.

٣ ـ بَنُو شُرَحْبِيلَ سِوًى بِسَاطُ.

٤ ـ وَعَنْهُمُو ضُبَيْعَةُ ٱلْمِضْرَاطُ.

٥ ـ صَمَخْمَحٌ مُجَرَّبٌ عَيَّاطُ.

٦ ـ وَوَائِلٌ كَأَنَّهُ مُخَاطُ.

٧ ـ يَزِلُّ عَنْ جَبْهَتِهِ ٱلْأَمْشَاطُ.

٨ ـ لَقَدْ مُنُوا بِتَيِّحَانٍ سَاطِى

٩ ـ ثَبْتٍ إِذَا قِيلَ لَهُ يُعَاطِى

١٠ ـ أَخْرَجَ حُضْرًا غَيْرَ ذِى نِيَاطِ.

(١ — ٣) الفشل الضعف والتراخي والجبن . السقاط العثرة والزلة . الخلاط مصدر خالطه أى مازجه وعاشره . سوى متساوون لافرق بينهم . بساط جمع بسيط أو بسيطة وهو المنبسط المستوى . شرحبيل أبو وائل الذى يهجوه .

(٤ — ٦) مضراط مفعال ، أى كثير الضراط . الصمحمح الرجل الشديد المجتمع الألواح . وهو كذلك القصير والأصلع . مجرب معروف على حقيقته ، لأنه قد جرب أى امتحن واختبر مرة بعد أخرى . عياط كثير الصياح . وائل بن شرحبيل اسم المهجو .

(٧ — ١٠) يزل يزلق . فرس تياح (كشداد) ومتيح (كمنبر) وتيحان ، أى جواد . ورجل متيح ومتيحة لا يزال يقع فى بلية . ساطى اسم فاعل من سطا يسطو ، أى صال ووثب وبطش . ثبت ثابت عند الخصومة . يعاطى يتبادل الهجاء . الحضر (بضم الحاء) ارتفاع الفرس فى عدوه . والخضر (بفتح فسكون) ذو البيان . نياط جمع نيط (بفتح فسكون) وهو الموت والأجل . ونياط الصحراء أقطارها . يقصد أنه لا يعجز ولا ينتهى نشاطه الى مدى .

١ ـ إن تتورطوا يا قومنا فى عداوتنا ، وتوردوا أنفسكم موارد الضيق .

٢ ـ فنحن أشداءُ تثقل وطأتنا ، ولا يستساغ ظلمنا ولا يطاق .

٣ ـ عليك يا (خُثَيْمُ) بالأعداءِ ، وحَرِّك (البَزْباز) للقتال .

٤ ـ فلدينا سلاح مدخر كثير .

٥ ـ وجياد ضامرات ، تضرب فى قلب الصحراء .

٦ ـ تحمل على ظهورها عدة القتال .

٧ ـ وجِمَال شداد سراع .

(٤٦)

١ ـ أقدم يا (خُثَيْم) فاليوم قاس شديد .

٢ ـ يتمخض عن مولود مشئوم ، قد نبت من خلف أذنه الشعر .

٣ ـ لم تر مثله شمس ولا قمر .

٤ ـ فأقدم غير هياب إذا حمى القتال .

٥ ـ وزاحم العدو بكل بطل مغوار ، يثبت فى ساعة الشدة ، حين يتخلف الهيَّابة الجبان.

٦ ـ كن عند ذاك سماً قاتلا مر المذاق .

٧ ـ واضرب فى غير هوادة ، حين يفر الجبناءُ مولين الأدبار .

(٤٥)

وقال لابن أخيه خُثَيْم بن حمة بن قيس بن جَنْدَل يحرضه على القتال :

١ – يَا قَوْمَنَا إنْ تَرِدُوا النَّكَازَا (رجز)
٢ – لَا تَجِدُوا لِظُلْمِنَا مَجَازَا
٣ – وَيْهًا خُثَيْمُ حَرِّكِ ٱلْبزْبَازَا
٤ – إنَّ لَدَيْنَا حَلَقًا كِنَازَا
٥ – وَقَافِلَاتٍ ذَهَبَتْ أَجْوَازَا
٦ – نُلْقِى عَلَى مُتُونِهَا ٱلْبَزَازَا
٧ – تَرَى لَنَا عَرَكْرَكًا جَمَّازَا

(٤٦)

وقال له :

١ – وَيْهًا خُثَيْمُ إِنَّهُ يَوْمٌ ذَكَرْ (رجز)
٢ – مُذَمِّرٌ سَقْبًا بِذِفْرَاهُ شَعَرْ
٣ – لَمْ تَرَ شَمْسٌ مِثْلَهُ وَلَا قَمَرْ
٤ – فَٱدْنُ مِنَ ٱلْبَأْسِ إِذَا ٱلْبَأْسُ حَضَرْ
٥ – وَزَاحِمَ ٱلْأَعْدَاءَ بِالثَّبْتِ ٱلْغَدَرْ
٦ – كُونَنْ كَسَمٍّ نَاقِعٍ فِيهِ الصَّبِرْ
٧ – وَٱرْجُمْ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ الدُّبُرْ

---

(٤٥)

(١ — ٣) النكوز البئر التى ذهب ماؤها ، فعله نكز (كنصر وعلم) . وهو فى منكزه من العيش أى فى ضيق . مجازا اى مساغا . ويها كلمة اغراء وتحريض . البزباز السريع فى السير ،وهو هنا اسم رجل.

(٤ — ٧) الحلق الدروع والسلاح . كناز كثير مدخر . قافلات أى افراس ضامرات ، قفل الفرس (كضرب) ضمر . أجواز جمع جوز ، وجوز الشيء وسطه ومعظمه .واجواز الفلا وسطها ومعظمها .البزاز اى البز (بفتح الباء) وهو السلاح . العركرك الجمل القوى الغليظ . جماز سريع .

(٤٦)

(١ — ٢) ويها كلمة اغراء وتحريض . يوم ذكر شديد . ذمر أدخل يده فى حياء الناقة ، لينظر أذكر جنينها ام انثى . الذفرى من الحيوان هو العظم الذى خلف الأذن ، والشعر لا ينبت فى هذا الموضع . السقب ولد الناقة ساعة يولد ، وقيل انه خاص بالذكر ، يقول ان هذا اليوم سيتمخض عن مثل هذا المولود المشئوم .

(٤ — ٥) البأس الحرب والقتال . غدر عن أصحابه (كعلم) تخلف . والثبت الغدر ، الذى يثبت فى القتال حين يتخلف الناس .

(٦ — ٧) سم ناقع أى قاتل . الصبر (بفتح فكسر) عصارة شجر مر . ولا تسكن الباء الا لضرورة الشعر . رجمه (كنصر) قذفه وقتله .. ضيع الناس الدبر أى فروا فى القتال ،وولوا ظهورهم ، لا يقدرون على حمايتها .

(٤٧)

تتفق هذه الأبيات مع أبيات القصيدة (٢٦) وزنا وقافية وموضوعا . ومن المحتمل أن تكون جزءا منها . والاشارة الى النساء فى البيتين (١ ، ٢) ليس لهاصلة ظاهرة بالموضوع . وقد يكون فيها تعريض خفى بشىء يتصل بحياة قيس بن مسعود ، كأن يكون فراره فى يوم (عباعب) خوفا من الموت ، وحرصا على أن يستمتع بالحيـاة ، الى جانب زوجة يحبها أو خليلة . وقد تقدمت ترجمة قيس بن مسعود فى القصيدة (٢٦) .

يقول الأَعشى :

١ – يلوم النساءُ الفتى للهفوة الصغيرة ، ثم يتخلين عنه ويخذلنه ، إن أَصابه الدهر بمكروه .

٢ – ويزعمن أَنهن لا يُطِقْنَ الحياة بعده ، فإِذا مات سلونه ونسينه .

٣ – متى جئتنا تعدو بك فرس كريمة تَهْوِى كالعُقَاب ، فنكِّس الرأس خزيًا وتجنب لقاءنا .

٤ – صددت عن العدو يوم (عُبَاعِبِ) موليًا الأَدبار ، كما تصد الخيلُ قد حبسها اللجام

(٤٨)

١ – وجدتُ (أَبا الخنساءِ) خير الناس ، فصدقته مدحى خالصًا ، ووقفت عليه شعرى ممجِّدًا .

٢ – وإِن النفس لتطيب بوعدك ، فهو وعد رجل حر ، آتٍ لا ريب فيه .

٣ – ما أَعرف فوق بيتك بيتًا فى الناس . وكذلك تنمو الأَشجار على مغارسها ، وتطيب الفروع إِن كرمت الأُصول .

(٤٩)

١ – . . . .

٢ – شبابهم خير شباب ، وكهولهم سادة حلماء ، لا يستفزهم الغضب .

٣ – يَخِفُّون غير متكاسلين ، للجليل الخطير من المهام ، ولا تراهم – حيثما ذهبوا – إِلا مطالِبين بثأر ، أَو ساعين لقتال .

(٤٧)

وقال يعيّر قيْسَ بن مَسْعُود فِزارَهُ يومَ عُبَاعِب :

١ ـ يَلُمْنَ ٱلْفَتَى إنْ زَلَّتِ النَّعْلُ زَلَّةً   وَهُنَّ عَلَى رَيْبِ ٱلْمَنُونِ خَوَاذِلُ (طويل)

٢ ـ يَقُلْنَ حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتِكَ مُرَّةٌ   وَهُنَّ إذَا قَفَّيْنَ عَنْكَ ذَوَاهِلُ

٣ ـ مَتَى تَأْتِنَا تَعْدُو بِسَرْجِكَ لِقْوَةٌ   صَبُورٌ تَجَنَّبْنَا وَرَأْسُكَ مَائِلُ

٤ ـ صَدَدْتَ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ عُبَاعِبٍ   صُدُودَ ٱلْمَذَاكِي أَقْرَعَتْهَا ٱلْمَسَاحِلُ

(٤٨)

وقال يَمْدَحُ رجلا :

١ ـ إنِّي وَجَدْتُ أَبَا ٱلْخَنْسَاءِ خَيْرَهُمُ   فَقَدْ صَدَقْتُ لَهُ مَدْحِي وَتَمْجِيدِي (بسيط)

٢ ـ إنَّ عِدَاتِكَ إيَّانَا لَآتِيَةٌ   حَقًّا وَطَيِّبَةٌ مَا نَفْسُ مَوْعُودِ

٣ ـ مَا فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ   وَفِي أَرُومَتِهِ مَا مَنْبِتُ ٱلْعُودِ

(٤٩)

وقال :

١ ـ ....يَزِبُ (بسيط)

٢ ـ ....كَمُحْلِفِهِمْ   وَلَا كَأَحْلَامِهِمْ إنْ هَاجَهُمْ غَضَبُ

٣ ـ تَرَاهُمُو غَيْرَ أَثْبَاطٍ بِمَذْرَعَةٍ   تَوَابِعٌ لِلَحِيمٍ حَيْثُمَا ذَهَبُوا

---

(٤٧)

(١ ـ ٢) يلمن ، الضمير عائد على النساء . زل ، زلق عن صخرة أو نحوها ، وزلت نعله ، تورط فى خطأ أو وقع فى محظور . وريب المنون نوائب الدهر وحدثانه . خذله تخلف عن نصرته واسلمه . قفا الشيء يقفوه تبعه . قفين أى عشن بعد موته وخلفن بعده . ذهل عنه (كفتح) نسيه وسلاه .

(٣ ـ ٤) اللقوة (بفتح اللام وكسرها) العقاب الأنثى وهو طائر سريع ، يشبه به الفرس . صبور ، تصبر على القتال والشاق وتقوى عليها . ورأسك مائل اى منكس خزيا . أو انه يميل على السرج فى جانب ، لجبنه . ولأنه ليس متمكنا فى الفروسية والقتال . المذاكى الخيل التى تم سنها ، وكملت قوتها ، والمفرد مذكى (بضم الميم وتشديد الكاف وكسرها) . أقرع الدابة بلجامها حبسها وردها . المساحل جمع مسحل (بكسر الميم) وهو اللجام أو حديدته .

(٤٨)

(٢ ـ ٣) عدات جمع عدة أى وعد ، مصدر وعد (كضرب) . طيبة ما نفس موعود ، ما زائدة ، وموعود مضاف اليه ، اى ان نفس الموعود تطيب بوعدك ، لأنها واثقة انك ستنفذه وتبر به . الأرومة أصل الشجرة . ما زائدة . العود ضرب من الطيب يتبخر به

(٤٩)

(١ ـ ٣) وزب الماء يزب (كضرب) سال . واوزب فى الأرض ابزابا ذهب فيها . المحلف (بصيغة اسم الفاعل) الغلام المراهق . أحلف الغلام راهق الحلم . هاجهم غضب ، أثارهم . اثباط جمع ثبط (بفتح فكسر) وهو الكسول الثقيل . ذرع الفرس (ككرم) كان واسع الخطو . وذرعت الناقة الصحراء ، قطعتها مسرعة . اى انهم لا يبطئون ولا يتكاسلون فى الموضع الذى يتطلب السرعة والنشاط ، لحم (على البناء للمجهول) قتل ، فهو لحيم أى قتيل .

ينتسب الاعشى الى (سعد بن ضبيعة) ؛ أما بنو قميئة الذين يهجوهم فهم بيت من (سعد بن مالك بن ضبيعة) أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) الذين ينتسب اليهم طرفة الشاعر . ومن المرجح أن يكون هذا الرجز من انتاج الاعشى المبكر ، كما قدمنا قبل ذلك .

---

(٥٠)

يقول الأَعشى :

١ – إن بنى (قَمِيئة بن سعد) .

٢ – كلهم دَعِىٌّ أَو عبد .

٣ – أَلأَم من الكلاب الملتوية الأَذناب .

٤ – وأَذل من الكلاب فى أَعناقها الأَطواق .

٥ – إن نسبتهم لم تجدهم إلا رعاة .

٦ – عبيد أَذلاء ، بين عاجز ضعيف ، وساقط دنئ .

٧ – لا يكادون يبصرون قبرا حديث العهد .

٨ – حتى يُنبِّشوا فيه ، نبش فيران القبور العمياء .

٩ – نَبِّشْ فقد بلغت قعر اللحد !

١٠ – واهنأْ ، فقد ظفرت بهامَةٍ وشطر من ثوب .

(٥١)

بنو جحدر ، الذين ينتسب اليهم شيبان بن شهاب ، هم أبناء عمومة سعد بن ضبيعة ، الذين ينتسب اليهم الاعشى . فكلا البيتين فرعان من (قيس بن ثعلبة) . وقد تقدم للأعشى فى هجاء شيبان بن شهاب قصيدتان ، هما (١٠) ، (٢٠) . وله بعد هذا قصيدتان فى هجاء قومه بنى جحدر ، تقدمت احداهما ، وهى القصيدة (٢٣) ، وستجىء الاخرى ، وهى القصيدة (٥٣) . وستجىء هذه القطعة مكررة فى هذا الديوان ، وقد أضيف اليها بيت واحد ، فى القطعة (٦١) .

يقول الأَعشى :

١ – سينصرف قوم لشأْنهم ، ويُتْرَك آخرون قد وَرِمَتْ منهم الكَمَرات .

٢ – يكر عليهم (ابنُ جحدر) بفرسه ، ويخوض معهم (مطر) القتال ، لا يلتمس فى التخلف عنه المعاذير .

١٥ ـ إِذْ هِيَ تَصْطَادُ الرِّجَالَ وَلَا   يَصْطَادُهَا إِذَا رَمَاهَا ٱلْأَبَلّْ
١٦ ـ تُجْرِي السِّوَاكَ بِالْبَنَانِ عَلَى   أَلْمَى كَأَطْرَافِ السِّيَالِ رَتِلْ
١٧ ـ تَرُدُّ مَعْطُوفَ الضَّجِيعِ عَلَى   غَيْلٍ كَأَنَّ ٱلْوَشْمَ فِيهِ خِلَلْ
١٨ ـ كَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ وَتُفْـ   ـاحًا عَلَى أَرْيِ الدَّبُورِ نَزَلْ
١٩ ـ يَزْفِي لِقِيدِ .... وَقَلْ
٢٠ ـ ظَلَّ يَذُودُ عَنْ مَرِيرَتِهِ   أَهْوَى لَهُ مِنَ ٱلْفُؤَادِ وَجَلْ
٢١ ـ نَحْلًا كَدَرْدَاقِ ٱلْحَفِيضَةِ مَرْ   هُوبًا لَهُ حَوْلَ الْوَقُودِ زَجَلْ
٢٢ ـ فِي يَافِعٍ جَوْنٍ يُلَفَّعُ بِالْـ   ـصَّخْرَى إِذَا مَا تَجْتَنِيهِ أَهَلّْ
٢٣ ـ يُعَلُّ مِنْهُ فُو قُتَيْلَةَ بِالْـ   إِسْفِنْطِ. قَدْ بَاتَ عَلَيْهِ وَظَلّْ
٢٤ ـ لَوْ صَدَقَتْهُ مَا تَقُولُ وَلَـ   ـكِنَّ عِدَاتٍ دُونَهُنَّ عِلَلْ
٢٥ ـ تَنْأَى وَتَدْنُو كُلُّ ذٰلِكَ مَا   شَتَّى فَلَا تُعْطِي وَلَا تَبْخَلْ
٢٦ ـ قَدْ تَعْلَمِينَ يَا قُتَيْلَةَ إِذْ   خَانَ حَبِيبٌ عَهْدَهُ وَأَدَلّْ
٢٧ ـ أَنْ قَدْ أَجُدُّ ٱلْحَبْلَ مِنْهُ إِذَا   يَا قَتْلُ مَا حَبْلُ ٱلْقَرِينِ شَكَلْ
٢٨ ـ بِعَنْتَرِيسٍ كَٱلْمَحَالَةِ لَمْ   يُثْنَ عَلَيْهَا لِلضِّرَابِ جَمَلْ
٢٩ ـ مَتَى ٱلْقُتُودُ وَٱلْفِتَانُ بِأَلْـ   ـوَاحٍ شِدَادٍ تَحْتَهُنَّ عُجُلْ

(١٥ — ١٩) الأبل الفاجر والجدل والالد . البنان أطراف الأصابع . اللمى سمرة فى باطن اللثة . السيال نبات له شوك ابيض طويل . رتل مفلج حسن الاسنواء . غيل (بفتح فسكون) ساعد مملوء لحما . الخلل جمع خلة (بكسر الخاء وتشديد اللام) وهو الجلد المنقوش . الأرى عسل النحل . الدبور جمع دبر (بفتح الدال وكسرها وسكون الباء) وهو جماعة النحل . يزفى بطرد . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه .

(٢٠ — ٢١) المريرة الحبل الشديد القتل . أهوى الشيء سقط ، وأهوت يده له امتدت وارتفعت . الوجل الخوف . (نحلا) مفعول (يذود) فى البيت السابق . الدردق الصغار من كل شيء . الحيفضة خلية النحل . زجل صوت مرتفع حاد . (حول الوقود) لأن الذى يجمع العسل يدخن عند الخلية ، فاذا دخل الدخان فيها فر منها النحل ، فيتمكن من جمع ما فيها من العسل .

(٢٢ — ٢٥) يافع مرتفع . الجون يطلق على الأسود وعلى الابيض . يلفع بالصحرى ، كأنه قد اشتمل بها كما يتلفع الرجل بالشملة . أهل رفع صوته . عله سقاه مرة بعد مرة . وجملة (يعل) خبر (كان) فى البيت (١٨) الاسفنط نوع من الخمر (رومى معرب) . عدات أى وعود ، جمع عدة . علل أعذار تعتل بها وتنتحلها . أشياء شتى أى مختلفة . ما زائدة .

(٢٦ — ٢٩) أدل تكبر وتاه . جد الحبل (كنصر) قطعه . شكل اشتبك . عنتريس ناقة قوية ضخمة . المحالة الدولاب والبكرة العظيمة التى يدور حولها الحبل ، يشبه الناقة بها فى سرعتها . الضراب نزو الفحل على الأنثى . القتود جمع قتد (بالتحريك) وهو خشب الرحل أو أدواته جميعا . الفتان غشاء للرحل من الجلد . الألواح جمع لوح ، وهو العظم العريض من عظام الجسم ، ما خلا قصب اليدين والرجلين . عجل (بالضم) جمع عجول (بفتح العين) يقصد بها قوائمها لسرعتها فى السير .

(٢٨ـ٣٠) نعم . أنا قادر على أن أقطع حبل الوصل . وإن لى لَمُتَحَوَّلا . فوق ناقة ضخمة قوية ، تجرى فى الصحراء ، كما تجرى البكرة الضخمة يدور من حولها الحبل ، قد ادخرت للرحلة ، فلم تقربها الفحول . إذا وُضِع الرحل المكسو بالجلود فوق هيكلها الضخم المتين ، تحمله أربعٌ شِداد سراعٌ ، فهى العُدَّة والعتاد فيما أُقبل عليه من الأَمر ؛ تمضى جريئة ،وتسير فى كبرياء ،وقدتباعدما بين أَرجلها وانفرج .

ويشبه الأَعشى ناقته ، فى نشاطهاوفى صلابتها وقدرتها على تحمل المشاق وتخطى العقبات ،بثور وحشى ، قاسى أَلوانا من المتاعب والمشاق . وللمرة الثالثة ، ينسى الأَعشى موضوع الحديث ،ويسرح خياله فى هذه الصورة الجديدة التى عرضت له . فيقدم لنا سلسلة من الصور الحية المتحركة ، يعرض فيها قصة هذا الثور ، فى كفاحه المرير .

(٣١ـ٣٣) فهو ثور ضامر قد أهزله الجوع ، نزل به مطر تسوقه ريح الشمال . فبات ليلته فوق تل من الرمال ، وقد اندس تحت أَغصان الشجر ، منكبا على وجهه ، كأَنه صَيْقَل قد أكب على شحذ السيوف . كلما اشتد هجوم المطر واندفاعه صاح (أَصْبِحْ لَيْلُ !) ، ولكن الليل ثقيل بطئ لا يكاد ينقضى .

(٣٤ـ٣٨) حتى إذا انجلى الصباح بعد هذا الليل الطويل ، صبّحه فى (السمار) صياد أغبر نحيل ، كأَنه قناة الرمح ، خفيف لحم الفخذين ، خبير بمهاجمة الوحوش فى معاقلها . تتبعه كلاب مسترخية الآذان ،فى أعناقها الأَطواق ،يسوقها هذا الصائد المغوار المظلم الوجه .وكأَنه الذئب فى خفته ، إذاقصد طريدة لم يكد يتحول عنها . حتى يرميها فيردها لِتَوِّها .

(٣٩ـ٤٢) ولاتكادالكلاب تبصر هذا الثور الجائع المكدود ،حتى تنبعث نحوه مهاجمة ،فيجد فى العدو مسرعا كالشهاب ،متجها إلى كثيب من الرمال يعتصم به ، وقد صمم على الصمود للقتال . حتى إذا اقتربت منه ،أَقبل عليها (وقدعلته روعةٌ وفزع) ،خفيفانشيطا .يسددالطعن بقرنه فلايخطئ هدفه ؛ليس بالرث السلاح ،ولابالذى ينكص على عقبيه فى القتال . فهو يطعن الكلاب محنقا مغيظا ، ذات اليمين وذات الشمال ، فى قوة وقسوة ،وقد تَعَبَّس وجهُه ، فأَصبح منظره مرعبا مخيفا .

وبهذه القصة المثيرة ، المملوءة بالحركة ، يختم الأَعشى قصيدته الرائعة .

٣٠ - فِيهَا عَتَادٌ إِذْ غَدَوْتُ عَلَى ٱلْـ ... أَمْرِ وَفِيهَا جُرْأَةٌ وَقَبَلْ
٣١ - كَأَنَّهَا طَاوٍ تَضَيَّفَهُ ... ضَرْبُ قِطَارٍ تَحُثُّهُ شَمْأَلْ
٣٢ - بَاتَ يَقُولُ بِٱلْكَثِيبِ مِنَ ٱلْـ ... غَبْيَةِ أَصْبِحْ لَيْلُ لَوْ يَفْعَلْ
٣٣ - مُنْكَرِسًا تَحْتَ ٱلْغُصُونِ كَمَا ... أَحْنَى عَلَى شِمَالِهِ الصَّيْقَلْ
٣٤ - حَتَّى إِذَا ٱنْجَلَى الصَّبَاحُ وَمَا ... إِنْ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلْ
٣٥ - أَحَسَّ بِالسِّمَارِ عُجْلَ طِمِلٌّ ... . ٱلْغُفُلْ
٣٦ - أَطْلَسَ طَلَّاعَ النِّجَادِ عَلَى ٱلْـ ... وَحْشِ غَبًا مِثْلَ ٱلْقَنَاةِ أَزَلّْ
٣٧ - فِي إِثْرِهِ غُضْفٌ مُقَلَّدَةٌ ... يَسْعَى بِهَا مُغَاوِرٌ أَطْحَلْ
٣٨ - كَالسِّيدِ لَا يَنْمِي طَرِيدَتَهُ ... لَيْسَ لَهُ مِمَّا يُحَانُ حِوَلْ
٣٩ - هِجْنَ بِهِ فَٱنْصَاعَ مُنْصَلِتًا ... كَالنَّجْمِ يَخْتَارُ ٱلْكَثِيبَ أَبَلّْ
٤٠ - حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَحَا سَلِبًا ... وَقَدْ عَلَتْهُ رَوْعَةٌ وَوَهَلْ
٤١ - لَا طَائِشٌ عِنْدَ ٱلْهِيَاجِ وَلَا ... رَثُّ السِّلَاحِ مُغَادِرٌ أَعْزَلْ
٤٢ - يَطْعَنُهَا شَزْرًا عَلَى حَنَقٍ ... ذُو جُرْأَةٍ فِي ٱلْوَجْهِ مِنْهُ بَسَلْ
٤٣ - .... رَفَلْ

(٣٠ — ٣٤) العتاد العدة للأمر وما تهيئه له . القبل (بالتحريك) الفحج ، وهو انفراج ما بين الرجلين فى المشى . طاو جائع . تضيفه نزل به . الضرب المطر الخفيف . القطار جمع قطر (بفتح القاف) وهو المطر . الشمال ريح الشمال . الكثيب التل من الرمل . الغبية الدفعة الشديدة من المطر . منكرسا مندسا قد انكب على وجهه . الصيقل الذى يشحذ السيوف ويجلوها . أحنى انحنى .

(٣٥ — ٣٦) السمار موضع . الطمل الذئب الذى شبه به الصياد لخفته . عجل (بالضم) جمع عجول (بالفتح) وهو المسرع ، يقصد بها الكلاب . اطلس فى لونه غبرة الى السواد . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض . غبا مصدر غبى (كعلم) أى خفى ، أى انه يدب الى هذه الوحوش خفية . ازل أرسح ، والرسح قلة احم العجز والفخذين .

(٣٧ — ٣٨) غضف مسترخية الآذان . غضف الكلب أذنه أرخاها . مغاور من غاور العدو أى أغار عليه . اطحل اغبر فى مثل لون الرماد . السيد (بكسر السين) الذئب . نمى الصيد رماه فاصابه ، ولكنه ذهب وفيه بقية من روح ، فمات بعيدا بحيث لا يراه . أحانه اهلكه ، والحين الهلاك . حول تحول وانتقال . أى أنه لا يتحول عن الصيد الذى قدر له أن يهلك على يديه .

(٣٩ — ٤٠) هاج الشىء ثار وتحرك وانبعث . هجن اى الكلاب . به أى بالثور . انصاع مر مسرعا . انصلت فى سيره أو عدوه مضى جادا . الابل الألد المتنع ، والشديد اللؤم الذى لا يدرك ما عنده ، والظلوم . السلب (ككتف) الخفيف . ثور سلب الطعن بالقرن أى خفيفة . الروعة الخوف . الوهل الفزع .

(٤١ — ٤٣) الطائش الذى لا يصيب اذا رمى . رث ضعيف بال . مغادر يفر من المعركة . الأعزل الذى لا سلاح معه . طعنه شزرا اى من يمين وشمال طعنا عنيفا . فتل الحبل شزرا اى عن يسار وهو اشد لفتله . بسل عبوس . وجه باسل عابس كريه من اثر الغضب أو الشجاعة . رفل (كنصر) رفلا جر ذيله وتبختر ، أو خطر بيديه .

هذه القصيدة فى هجاء بنى جحدر . وقد تقدمت فى هجائهم القصيدة (٢٢) . وتقدم كذلك فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى ـ احد سادتهم ـ القصيدتان (١٠) ، (٢٠) ، ثم القطعة (٥١) . والقصيدة من مجزوء البسيط ، وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى ، وليس فى ديوان الاعشى منه غير هذه القصيدة .

والواقع أن هجاء بنى جحدر لا يستغرق من هذه القصيدة الا اقلها . فالقصيدة اثنان وعشرون بيتا ، لم يعرض الشاعر فيها لبنى جحدر الا فى ستة أبيات (١٣ ــ ١٩) . أما بقية القصيدة ، فهوحديث عن بعض الأمم البائدة ، والمدن العامرة ، التى أصابها الخراب . وجار عليها الزمان ، يقدم الشاعر به للهجاء ، ويختمه كذلك به .

وليس حديث الشاعر الجاهلى فى مثل هذه المواضيع غريبا ، فهو مألوف كثير . فالشاعر الجاهلى ــ كما رأينا فى كثير من المواضع ــ كان يمثل الرجل المثقف ، الذى يحيط بكل المعارف فى عصره ، من تاريخ وأساطير وأنساب . وهو مع هذا رجل حكيم ، يمتاز من بين سائر الناس ، بأنه أعمق غورا ، وأصح نظرا . لذلك كان من المألوف أن يعرض الشاعر لحديث مثل هذه الأمم البائدة ، حين يتحدث عن تفاهة الدنيا ، وعن غدرها بالناس ، ليصل من ذلك الى أن كل شئ يصير الى الزوال والفناء . فهو لا يقصد من ذلك الا الى استنباط العظة والعبرة . وقد جرى القرآن الكريم على هذا الأسلوب العربى المألوف فى التذكير وفى الترهيب والوعيد .

نقول ان مثل هذا الحديث عن الامم البائدة ليس غريبا فى نفسه . ولكن موضع الغرابة هو ان هذا الحديث لا يمت لموضوع القصيدة بصلة ، ولا يصح أن يكون مقدمة أو خاتمة للجزء الهجائى القصير . ولذلك فمن الراجح أن تكون الأبيات الهجائية من القصيدة (١٢ ــ ١٩) جزءا مستقلا قائما بنفسه .

والقصيدة مع هذا ضعيفة البناء مضطربة النظم ، مملوءة بالزحافات والعلل ، التى تنفر منها الاذن فى بعض الأحيان ، فالقصيدة من مجزوء البسيط ، عروضها مقطوعة مخبونة (مستفعلن فاعلن فعولن) . ولكنه يقول فى البيت (٥) : واهل غمدان جمعوا (متفعلن فاعلن فعل) ، خبن (مستفعلن) وحذف (فعولن) . ويقول فى البيت (١٥) : قمنا اليكم ولم يبردنا (مستفعلن فاعلن مفعولن) . بعد أن جرى فى كل القصيدة على خبن (مفعولن) . وهو شاذ يصدم الاذن ، ويخرجها عما أنست اليه من النغمة التى تجرى عليها سائر القصيدة .

وكل ما فى هذه القصيدة من حديث (عاد) و « ثمود) يتفق مع ما جاء به القرآن الكريم ، وهو يدل على أن هذه الأخبار ظلت تتناقل جيلا من بعد جيل حتى وصلت الى عصر الاعشى . والواقع ان القرآن الكريم كان يتحدث الى العرب فى كثير من الأحيان ، فيما الفوا وفيما تداولوا وعرفوا . ذلك لانه كان يقصد الى التذكير والعظة . وكان أهم ما يقصد اليه من ذكر ما يورد من أخبار هو أن يلفت الناس الى تدبرها . ولم تكن طرافة هذه الأخبار هى المقصودة ، ولاكان المقصود اضافة جديد الى التاريخ . والحديث الى الناس فيما عرفوا وتداولوا أدعى الى صرفهم الى ما هو مقصود من التدبر والتفكير . ولو تحدث القرآن الكريم اليهم فيما لم يعرفوا لانصرفت معظم عنايتهم الى الحكاية نفسها ، والى مناقشة الخبر الجديد ، بدل أن تنصرف الى التدبر والتفكير .

فهو يختم قصة نوح وعاد وثمود فى سورة ابراهيم بقوله : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال) . ويقول فى سورة العنكبوت ، بعد أن يسهب فى قصص نوح ، وابراهيم . وقوم لوط . وأهل مدين . وعاد . وثمود (وتلك الأمثال نضربها للناس . وما يعقلها الا العالمون) ويقول فى سورة القمر بعد قصة قوم نوح وعاد (ولقد يسرنا القرآن للذكر . فهل من مدكر) .

ثم يكرر هذه الآية بعد قصة ثمود . ويكررها مرة ثالثة بعد قصة لوط .

على ان هذا لا يتعارض مع ما جاء فى القرآن من أخبار لم يسبق للعرب معرفتها . والقرآن الكريم صريح فى ذلك ، حيث يقول تبارك وتعالى مخاطبا رسوله صلوات الله وسلامه عليه (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ـ هود ٤٩) والذين كانوا يتناقلون مثل هذه الاخبار كانوا من الكتابيين أو ممن اتصل بهم .

وخلاصة ما جاء فى أخبار هذه الامم البائدة . أن الملك بعد طوفان نوح كان فى عاد الاولى . الذين اشار اليهم القرآن الكريم بقوله (وأنه اهلك عادا الاولى) وقوله : (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح). وهم الذين بنوا (ارم ذات العماد) . التى أشار اليها القرآن الكريم بقوله : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . ارم ذات العماد) . وقد اختلفوا فى (ارم) . بين قائل انها اسم بلدتهم . وقائل انها اسم ابيهم . أو اسم قبيلتهم . وقد اهلكهم الله ، حين خالفوا نبيهم (هودا) عليه السلام وكذبوه . وكانت مساكنهم فى أقصى الجنوب من شبه جزيرة العرب فى الدهناء وعالج ويبرين ووبار وعمان ، الى حضرموت ، الى اليمن . وقد أصبحت الآن صحراء جرداء . ثم ظهر من بعدهم أبناء عمومتهم (ثمود) ـ وهم الذين يطلق عليهم اسم (عاد الثانية) ـ والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) . فأرسل الله اليهم نبيهم (صالحا) عليه السلام . فتحدوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة . فأخرجها لهم باذن الله . وجعل لها يوما تشرب فيه . وأنذرهم عذاب الله ان مسوها بسوء . فعدا عليها قدار بن سالف ـ وهو احمر ثمود الذى كان يضرب به المثل فى الشؤم ـ فقتلها . فأنزل الله عليهم عذابه فأفناهم . والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (انا ارسلنا الناقة فتنة لهم . فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم . كل شرب محتضر . فنادى صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابى ونذر) وكانت مساكن ثمود قرب وادى القرى . ومن هذه الأمم البائدة كذلك (طسم) و (جديس) وكانت منازلهم فى (اليمامة) . حيث صلبت الزرقاء على باب مدينة (جو) فسميت منذ ذلك باسمها .

يقول الأعشى :

١ ـ ألم تروا إلى (إرَمٍ) و (عاد) ، أفناهم تتابع الليل والنهار .

٢ ـ بادوا . فلما اجتمع شملهم من جديد ، لحقت بهم (ثمودُ) ، بِشُؤم أَحْمَرِهِمْ (قُدَار) .

٣ ـ وقبلهم غالت المنايا (طَسْمًا) ، ولم ينجها الحذار .

وقال فيما كان بينه وبين بنى جَحْدَر :

١ ـ أَلَمْ تَرَوْا إِرَمًا وَعَادًا أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ (بسيط. ، مجزوءُ)

٢ ـ بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَآدَوْا قَفَّى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ

٣ ـ وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ الْمَنَايَا طَسْمًا وَلَمْ يُنْجِهَا الْحِذَارُ

٤ ـ وَحَلَّ بِالْحَيِّ مِنْ جَدِيسٍ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ

٥ ـ وَأَهْلُ غُمْدَانَ جَمَّعُوا لِلدَّهْرِ مَا يُجْمَعُ الْخِيَارُ

٦ ـ فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي جَائِحَةٌ عُقْبُهَا الدَّمَارُ

٧ ـ وَقَدْ غَنُوا فِي ظِلَالِ مُلْكٍ مُؤَيَّدٍ عَقْلُهُمْ جُفَارُ

٨ ـ وَأَهْلُ جَوٍّ أَتَتْ عَلَيْهِمْ فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا

٩ ـ وَمَرَّ حَدٌّ عَلَى وَبَارٍ فَهَلَكَتْ جَهْرَةً وَبَارُ

١٠ ـ بَلْ لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ لَيْتٌ وَهَلْ يَفِيئَنَّ مُسْتَعَارُ

١١ ـ وَهَلْ يَعُودَنَّ بَعْدَ عُسْرٍ عَلَى أَخِي فَاقَةٍ يَسَارُ

١٢ ـ وَهَلْ يُشَدَّنَّ مِنْ لَقُوحٍ بِالشَّخْبِ مِنْ ثَرَّةٍ صِرَارُ

(١ ـ ٤) ارم بن سام بن نوح . عاد بن عوص بن ارم . اودى بهم أفناهم . تآدوا تفاعلوا ، من الايد وهو القوة . قدار : هو أحمر ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم ، وهو الذى تولى قتل الناقة ، فأنزل الله عليهم العذاب بسببه . طسم وجديس وعاد وثمود ، كل هؤلاء أبناء عمومة . وهم من نسل ارم بن سام . شر مستطار شديد ، وقد استطار غضبه أى اشتد .

(٥ ـ ٧) غمدان أشهر قصور اليمن وعمائرها القديمة ، كان فى صنعاء . زعموا أن بناءه كان عشرين طبقة . وكانت الطبقة العليا مسقوفة برخام شفاف . الخيار الذهب ، والمال مطلقا ، أو هو أفضله . صبحتهم أتتهم صباحا . جائحة داهية . غنى بالمكان (كطرب) أقام . مؤيد قوى . جفار (بضم الجيم) واسع ، من قولهم جفر الشىء أى اتسع .

(٨ ـ ١٠) جو مدينة قديمة ، سميت بعد ذلك اليمامة ، نسبة الى امرأة اسمها اليمامة ، وهى الزرقاء المشهورة بحدة البصر ، حين قلع (تبع) عينها وصلبها على باب مدينة (جو) . وكانت بعض منازل طسم وجديس . والزرقاء امرأة من جديس . باروا هلكوا . الحد نهاية الشىء ، أى أنها بلغت نهاية ما قدر من الأجل ثم هلكت . وبار من مساكن عاد فى الأحقاف . وقد زعموا انها أصبحت بعدهم مساكن للجن . فاء يفىء رجع ، يقول : هل يرجع ما مضى ؟

(١١ ـ ١٢) الفاقة الجوع والعوز . اللقوح الناقة ذات اللبن فى الشهرين الأولين بعد أن تنتج ولبنها أغزر ما يكون . شخب اللبن (كنصر وقطع) حلبه . ثرة غزيرة واسعة الأحاليل . الصرار ما يشد فوق ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها . يقول : ان شد الصرار لا يغنى شيئا اذا كانت الناقة غزيرة اللبن ، وهو مثل للعجز عن دفع المصائب .

٤ – وحل بـ (جَدِيس) يوم من الشر مُستَطَار .

٥ – وجمع أهل (غُمْدَان) من المال والمتاع ، ما ظنوا أنه يدفع صروف الزمان .

٦ – فدهمتهم المصائب ، وصاروا كالذين قبلهم إلى الدمار .

٧ – بعد أن عاشوا ما عاشوا فى ظلال مُلْك عظيم ، يدبرون الأمر بعقول راجحة كبار .

٨ – وأتت صروف الزمان على أهل (جَوّ) فأهلكتهم ، وأصابهم البوار .

٩ – وعمرت (وَبَار) ، وازدهرت بالحضارة زمنا ، حتى بلغت أجلها ، فخربت الديار .

١٠ – ليت شعرى – وهل تغنى ليت – وهل يعود ما مضى وفات ؟

١١ – وهل يعود العز واليسار على الفقير المنكوب بعد إعسار ؟

١٢ – وهل يدفع النكبات شئ ، حين تَتوالى كما يَتَحَلَّبُ لبن الناقة المِدْرَار لا يَكُفُّه الصِّرَار ؟

* * * *

١٣ – أقسمتم لنقاتلنكم . فدونكم ما تمنيتم من القتال .

١٤ – كما أقسم (أبو رياح) أمام الله ، ألا يدفع دية القتيل ، فَبَرَّتْ يمينُه ، إذ مات فى شَرِّحال .

١٥ – ها نحن أولاء نعيش مجتمعى الشمل ، وما أفدتم غير الطعن العنيف فى ظهوركم ، تندفع منه الدماء .

١٦ – قمنا إليكم لا يبرد غليلنا الماءُ ، ولا يسكن غضبنا رجاء .

١٧ – وصبرنا للقتال ، فليس من شأننا أن نفر عند اللقاء .

١٨ – وفررتم أنتم مذعورين قد لحقكم العار وكنتم من الجبناء .

١٩ – فليتنا لم نكن حيث نحن فى (نجد) ، وليتهم رحلوا إلى (الغَوْر) ، فلم نلتق ولم يجمعنا مكان .

* * * *

٢٠ – مضى (لُقَيْم) و (قَيْل) و (لُقمان) فعريت منهم الديار .

٢١ – وفنى قومهم فلم يبق بعدهم أحد ، ثم خَلَفَتْ من بعدهم (نِزَار) .

٢٢ – فبلغوا الأوطار بعد البوار ، وقاتلوا حتى الانتصار .

١٣ـ أَقْسَمْتُمُ لَا نُعْطِيَنْكُمْ   إِلَّا عِرَارًا فَذَا عِرَار
١٤ـ كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِى رِيَاحٍ   يَسْمَعُهَا لَاهُــهُ ٱلْكُبَار
١٥ـ نَحْيَ جَمِيعًا وَلَمْ يُفِدْكُمْ   طَعْنٌ لَنَا فِى ٱلْكُلَى فَوَارُ
١٦ـ قُمْنَا إِلَيْكُمْ وَلَمْ يَبْرُدْنَا   نَضْحٌ عَلَى حَمِينَــا قَرَارُ
١٧ـ فَقَدْ صَبَرْنَا وَلَمْ نُوَلِّ   وَلَيْسَ مِن شَأْنِنَا ٱلْفِرَار
١٨ـ وَقَدْ فَرَرْتُمْ وَمَا صَبَرْتُمْ   وَذَاكَ شَيْنٌ لَكُمْ وَعَارُ
١٩ـ فَلَيْتَنَا لَمْ نَحُــلَّ نَجْدًا   وَلَيْتَهُمْ قَبْلَ تِلْكَ غَارُوا
٢٠ـ إِنَّ لُقَيْمًا وَإِنَّ قَيْلًا   وإِنَّ لُقْمَانَ حَيْثُ سَارُوا
٢١ـ لَمْ يَدْعُوا بَعْدَهُمْ عَرِيبًا   فَغَنِيتْ بَعْدَهُمْ نِزَارُ
٢٢ـ فَأَدْرَكُوا بَعْدَ مَا أَضَاعُوا   وَقَاتَلَ ٱلْقَوْمُ فَٱسْتَنَارُوا

(١٣ — ١٥) العرار القتال . عره غشيه بما يكره . ابو رياح رجل من بنى ضبيعة ، قتل جارا لبنى سعد بن ثعلبة ، فسألوه ان يديه ، فحلف أن لا يفعل ، ثم انه قتل بعد حلفته ، فبرت يمينه . يقول لهم : قد برت بمينكم ، حين أقسمتم متهكمين ان لا نعطيكم الا القتال ، كما برت يمين أبى رياح هذا . لاهه الهه . وهم يستشهدون بهذا البيت على أن لفظ الجلالة (الله) أصله (لاه) ثم عرف بالألف واللام . الكبار العظيم . فار العرق هاج وقذف بالدم . ضرب فوار عنيف واسع يندفع منه الدم ، خفف التشديد لضرورة الشعر . طعن فى الكلى يريد أنهم يطعنون فى ظهورهم لأنهم يفرون منهزمين . الكلى جمع كلية .

(١٦ — ١٨) برد غليله بالماء وابرده صب فى فيه ماء . نضحه بالماء (كضرب وقطع) رشه . ونضح عطشه سكنه . حميت الحديدة حميا (بفتح فسكون) وحموا (بتشديد الواو) اشتد حرها بالنار . قرار جمع قرة وهو الماء البارد . قره بالماء برده .

(١٩ — ٢٢) نجدا ، لعله يقصد نجد برق ، وهو موضع باليمامة ، حيث كان يسكن قوم الأعشى . غاروا رحلوا الى الغور (بفتح فسكون) وهو تهامة . لقيم وقيل ولقمان هم وفد (عاد) الذين جاءوا الى مكة يستسقون ، بعد ان حبس الله المطر عن قومهم ثلاث سنوات . فمرت بهم سحائب ، ونودى منها . اختاروا . فاختاروا سحابة سوداء ، ظنا منهم أنها أغزرها ماء . فكان فيها هلاك قومهم . عريبا أى متكلما بالعربية . يقصد ان قومهم ماتوا جميعا . غنيت أقامت . نزار جد عرب الشمال (ربيعة ومضر) . ادركوا اى بلغوا ما أرادوا . أضاعوا أى أضاعوا الفرصة . استنار به ظفر به وعلا عليه .

هذه القصيدة تشبه القصيدة (٣٩) من وجوه كثيرة . فهما تتفقان فى البحر والقافية . ثم انهما تتفقان فى أن الشاعر سلك فى كل منهما اسلوبا هو ادنى الى القصص فى الغزل ، والتمس العبرة والعزاء فى مصير ملوك اليمن . وتتفقان فى ان الممدوح فى كليهما لا نكاد نعرف عنه شيئا . وتتفقان بعد كل هذا فى أن المدح لا يكاد يظفر من الشاعر الا بأقل اهتمام ، ولا يتجاوز أبياتا قليلة فى نهاية كل من القصيدتين . فالقصيدة السابقة واحد وخمسون بيتا لا يشغل المدح منها الا ستة أبيات . والقصيدة التى بين أيدينا تسعة واربعون بيتا لا يتجاوز المدح فيها ثمانية أبيات .

وقد مرت بنا فى الديوان صورة أخرى من هذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٨) ، حين عرض الشاعر لوصف الخمر ، وما دار بينه وبين الخمار .

وفى أبيات القصيدة تقديم وتأخير يختل له النسق ويضطرب السياق . والأصوب عندى أن يكون ترتيبها : ١ — ٢٠ ، ٢٦ — ٤١ ، ٣٢ — ٣٥ ، ٢٦ — ٣٢ ، ٢١ — ٢٥ ، ٤٢ — ٤٩ .

وكان أبو عبيدة يرى أن هناك خلطا بين شعر الأعشى فى هذه القصيدة وبين شعر المخارق بن شهاب المازنى .

(١ ، ٣) يتحدث الأعشى عن صاحبته (لَمِيس) ، بعد أن انقطع ما بينه وبينها من ود . وكأن تلك الأيام الحلوة الجميلة كانت بالأمس القريب . فهو يسائل نفسه : أو قد هجرتها اليوم ، أم أن العهد قد طال وتقادم على تلك الأيام ، وخلفتك للهم والكآبة ، وقد أصبحت بعيدة المنال ، لا يكاد يدركها الطلاب .

ولكن الأعشى لا يلبث أن ينصرف عن صاحبته ، ليتحدث عن بعض ذكريات شبابه وفتوته .

(٤ ، ٨) فلقد كان يزور صواحبه ، فيدب إلى الحى فى سواد الليل ، حين ينام الناس ، تنبحه الكلاب ، وقد ركب فرسا طويل الظهر كأنه ساق النخلة ، يبرق صدره الأحمر كأنما خضب بالحناءِ ، ينقاد لراكبه فى سهولة ويسر ، وينبئ خده الأملس المسترسل عن كرم أصيل ، وعيش ناعم رقيق . فقد حبس هذا الفرس على المرعى البعيد ، الذى يفصله عن الحى مسير شهر ، وقد أنبته مطر الربيع الذى لا يُعيي الأعشى تتبعُه مهما بعد . فتراه وقد وشته الرياح بما تسوق من أمطار ، فغطت وجهه بالنبات والأزهار المختلفة الألوان ، كأنه الجلود المنقوشة التى تقدم للملوك .

(٩ — ١٢) وربما قصد إلى صاحبته فى قومها الذين يعيشون فى خصب ، يُطيف بالحى ، حتى إذا جن الليل ، واضطربت الذئاب فى الصحراءِ ، ومال القمر للمغيب — وقد كان ضوؤه الفضّاح يحول دون بغيته — أقبل يمشى فى حذر ، يخفى شخصه متضائلا

وقال يمدح رجلا من كِنْدَةَ يقال له رَبِيعَةُ بْنُ حَبْوَة :

١ ـ أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ لِمَيـ سَ ٱلْيَوْمَ أَمْ طَالَ ٱجْتِبَابُهْ (كامل، مجزوء)
٢ ـ .... إِلَى سَلْمَى .... ٱلْقَلْبَ ٱكْتِئَابُهْ
٣ ـ .... أَفْـ ضَى نَازِحًا مِنْهَـا طِلَابُهْ
٤ ـ وَلَقَدْ طَرَقْتُ ٱلْحَيَّ بَعْـ دَ ٱلنَّوْمِ تَنْبَحُنِى كِلَابُهْ
٥ ـ بِمُشَذَّبٍ كَٱلْجِذْعِ صَا كَ عَلَى تَرَائِبِهِ خِضَابُهْ
٦ ـ سَلِسٍ مُقَلَّدُهُ أَسِيـ لٍ خَدُّهُ مَرِعٍ جَنَابُهْ
٧ ـ فِى عَازِبٍ وَسْمِىٍّ شَهْـ رٍ لَنْ يُعَزِّبَنِى مَصَابُهْ
٨ ـ حَطَّتْ لَهُ رِيحٌ كَمَا حُطَّتْ إِلَى مَلِكٍ عِيَابُهْ
٩ ـ وَلَقَدْ أَطَفْتُ بِحَاضِرٍ حَتَّى إِذَا عَسَلَتْ ذِئَابُهْ
١٠ ـ وَصَغَا قُمَيْرٌ كَانَ يَمْـ نَعُ بَعْضَ بُغْيَةِ ٱرْتِقَابُهْ
١١ ـ أَقْبَلْتُ أَمْشِى مِشْيَةَ ٱلْـ حَشْيَانِ مُزْوَرًّا جِنَابُهْ
١٢ ـ وَإِذَا غَزَالٌ أَحْوَرُ ٱلْـ عَيْنَيْنِ يُعْجِبُنِى لِعَابُهْ

(١ ـ ٥) صرم الحبل وجبه واجتبه قطعه . أنفى المكان افضاء اتسع . نازحا بعيدا . طرقه دخله ليلا . فرس مشذب طويل ليس بكثير اللحم ، استعير من الجذع المشذب أى المقشور . الجذع ساق النخلة . صاك لصق . الترائب عظام الصدر . واحدتها تريبه . الخضاب الحناء وكل ما خضب به ، يقصد به حمرة الشعر الزاهية فى صدر الفرس من أثر السمن والمرعى الحسن .

(٦ ـ ٨) سلس سهل الانقياد . مقلده عنقه أى موضع القلادة منه . خد أسيل لين أملس طويل . مرع المكان كثر كلاه . الجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . العازب الكلأ البعيد . الوسمى مطر الربيع ، لأنه يسم الأرض بالنبات . صاب المطر بصوت انصب ونزل ، ومصاب مصدر ميمى منه . لن يعزبنى أى لا يبعد على . حط الاسكاف الجلد صقله أو نقشه بخشبة معدة لذلك حتى يلين ويبرق . العياب جمع عيبة ، وهى جراب من جلد .

(٩ ـ ١٢) الحاضر هم القوم ينزلون عند الماء الدائم الذى لا ينضب ، فيرعون كلأه لا يتحولون عنه صيفا ولا شتاء ، وهو يطلق كذلك على الحى نفسه فيكون حاضر بمعنى محضور . عسلت ذئابه اضطربت . صغا (كنصر وتطع) مال للغروب . الحشيان (بالحاء) المصاب بالربو ، وهو ضيق النفس . والخشيان (بالخاء المعجمة) الخائف . مزور معوج الزور أى الصدر . جنابه جانبه . اللعاب والملاعبة مصدر لاعب .

منحنى الصدر . ودخل على صاحبته ، فإذا هى كالغزال الأحور العينين ، الرشيق الحركة (١).

(١٣-١٤) ما أجمل الحلى والقلائد فى صدرها الجميل ، وما أطيب رائحته .

بيضاءُ ، ينشرح لمنظرها الصدر ، عذبة الروح ، يزين كفها الخضاب .

(١٥-٢٠) إننى لأتكلف فى سبيلها المشاق ، وأركب بغية الوصول إليها الأهوال . ولو أن لقائها دونها وادى (المَرُّوت) ، وقد تدافعت السيول تجرى فى شِعابه ، حتى غمرت الآجام ، وغطت شجر (الطَّرْفَاءِ) الطويل ، لعبرته إليها سابحا . ولو أن دون لقائها جبلا شاهقا تزل فى رقيه الأقدام ، لفتشت عن طريق للصعود فيه ، واحتملت مسالكه الصعبة راضيا مسرورا ، حتى أصل إليها . ولكم يحتمل المحب من مشاق تنوءُ بها طاقته ، وتورثه الذم والعاب ، وتثير حوله القيل والقال . ولو قام دون لقائها أسد يبعث الفزع فى القلوب ، بشعره الكثيف الذى يكلل هامته ، وأنيابه المحددة وقد برزت كأنها السهام ، لأقبلت عليه بسيفى أجالده غير هياب .

ويمضى الأعشى فيما كان بسبيله من ذكريات الشباب فيقول :

(١) تذكرنا قصة الاعشى هذه بقصة اخرى لعمر بن أبى ربيعة ، صورها فى رائيته المشهورة ، حيث يقول :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ ... مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِٱلْعِشاءِ وَأَنْوُرُ

وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجو غُيُوبَه ... وَرَوَّح رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

وَنَفَّضْتُ عَنِّيَ النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ ٱلْ ... حُبَابِ وَشَخْصِي خَشْيَةَ ٱلْحَيِّ أَزْوَرُ

١٣ ـ حَسَنٌ مُقَلَّــدُ حَلْيِهِ   وَالنَّحْــرُ طَيِّبَةٌ مَلَابُهْ
١٤ ـ غَــرَّاءُ تَبْهَجُ زَوْلَهُ   وَالْكَفُّ زَيَّنَهَا خِضَــابُهْ
١٥ ـ لَعَبَرْتُهُ سَبْحًــا وَلَوْ   غُمِرَتْ مَعَ الطَّرْفَاءِ غَابُهْ
١٦ ـ وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَــا   جَبَلًا مُزَلَّقَــةً هِضَــابُهْ
١٧ ـ لَنَظَرْتُ أَنَّى مُرْتَقَــا   هُ وَخَيْرُ مَسْلَكِهِ عِقَابُهْ
١٨ ـ لَأَتَيْتُهَا إِنَّ الْمُحِــ   ـبَّ مُكَلَّفٌ دَنِسٌ ثِيَــابُهْ
١٩ ـ وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَــا   ذَا لِبْدَةٍ كَالزُّجِّ نَابُهْ
٢٠ ـ لَأَتَيْتُهُ بِالسَّيْفِ أَمْــ   ـشِي لَا أَهُدُّ وَلَا أَهَــابُهْ
٢١ ـ وَلِيَ ابْنُ عَمٍّ مَا يَزَا   لُ لِشِعْرِهِ خَبَبًا رِكَابُهْ
٢٢ ـ سَحًّــا وَسَاجِيَةً وَعَمًّـ   ـا سَاعَةَ ذَلِقَتْ ضِبَابُهْ
٢٣ ـ مَا بَالُ مَنْ قَدْ كَانَ حَظِّ   ى مِنْ نَصِيحَتِهِ اغْتِيَابُهْ
٢٤ ـ يُزْجِي عَقَارِبَ قَوْلِهِ   لَمَّا رَأَى أَنِّي أَهَابُهْ

(١٣ ـــ ١٤) المقلد النحر أو موضع القلادة . والنحر أعلى الصدر . الملاب نوع من الطيب . غراء بيضاء . بهجه (كقطع) سره وأفرحه . الزول العجب . وهذا زول من الازوال أى عجب من العجائب . والزول كذلك الشخص ، والخفيف الظريف الفطن . والزولة (ويمكن أن يقرا بها الشعر) المراة الخفيفة الفطنة .

(١٥ ـــ ١٦) لعبرته خبر لشرط محذوف . ولابد أن يكون قبل هذا البيت بيت قد سقط . وكأنه على ما نقدر (ولو أن دون لقائها بحرا مخيفا) لعبرته . وقد أورد (Geyer) فيما روى الاعشى مما ليس فى ديوانه بيتا نقله عن ابن سيدة فى المخصص ج ١٠ ص٣١ وهو : (ولو أن دون لقائها المروت دافعة شعابه) فلعل موضعه هنا ، ولعله هو البيت الساقط . المروت اسم واد . شعابه مسالكه ومنعطفاته . دافعه اى تفيض بالماء يدفع بعضه بعضا . الطرفاء شجر على أنواع كثيرة ، منه الأثل ، وهو شجر طويل ذاهب فى السماء . ولذلك يشبهون به المراة المديدة المعتدلة القوام . وخشبه من الأخشاب النفيسة عند العرب . تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد . الغاب جمع غابة . وهى الأجمة من القصب . مزلقة هضابه ، يزلق الصاعد فيها ويزل لملاستها وصعوبة الرقى فيها .

(١٧ ـــ ١٩) مرتقاه موضع الارتقاء والصعود فيه (اسم مكان) . العقاب جمع عقبة (بالتحريك) وهى المرقى الصعب من الجبال ، والطريق فى أعلاها . مكلف يتحمل فوق طاقته . دنس ثيابه لا يبالى أن يأتى ما يصمه فى سبيل من يحب . لبدة الأسد الشعر حول رقبته . الزج نصل السهم ، والحديدة التى فى أسفل الرمح .

(٢٠ ـــ ٢١) لا اهد اى لا اتردد ولا أجبن ، هده الامر ضعضع قواه وحطم عزمه . الخبب السرعة . خب الفرس راوح بين يديه ورجليه فى عدوه . الركاب الابل ، لا واحد لها من لفظها .

(٢٢ ـــ ٢٤) سح الماء سحا وسحوحا (لازم) سال منحدرا . وسح الماء (متعد) صبه متتابعا كثيرا . واستنشدته قصيدة فسحها على سحا أى كرها سرعا . ذلق اللسان (كعلم) ذرب فهو ذلق اى فصيح حديد . الضباب الأحقاد ، جمع ضب (بكسر الضاد) وهو الغيظ والحقد الخفى .

(٣٦-٤١) كم غشيت من حوانيت ، لدى خمَّار أمين لا يقدم إلا أجود الخمور . يتوارد على خمره الشاربون ، فيغترفون منها بالأقداح ، صغيرِها والكبير . إذا حاسبه الندماءُ مدققين ، لم يصرفنى حسابه عما أنا مقبل عليه من شراب ، فأنا أشرب بكل ما أملك من مال ومتاع ، أشرب بالناقة الضخمة الكبيرة ، وبالفحل الكبير. وكم شهدت من معارك ، تخفق الرايات فيها فوق الأمير ، فلم يكن همى المغانم ، حين يقتسم الناس الأسلاب .

ولم تكن النساءُ والحروب هى كل ما يصبو إليه قلب الأعشى فى شبابه ، فقد كان يعشق الطبيعة ويتذوق جمالها .

(٣٣-٣٥) فهو يلفت صاحبه إلى البرق ، يلمع ضوؤه بين الجبلين ، فيثير إعجابه ، حين تنشق السحب عن بريقه اللمَّاح ، وقد سدت الآفاق ، وأقامت لا تبرح فى السماءِ ، مُرْعِدة مدويِّة . كأنها وقد تجمعت متكاثفة متراكبة ، قطيع من النعام ، تهدل ريشه معلقا فى الفضاءِ .

ويعود الأعشى إلى نفسه ، بعد هذا الحلم الطويل الجميل ، ليتعزى فى شيخوخته بأخبار من مضى وفات من أصحاب الجاه والسلطان ، فيقول :

(٢٦-٣٢) ألم تر قصر (رَيْمَان) العظيم ، وقد أمسى خاويا مخرب البنيان . تسكنه الثعالب بعد قومه الناعمين الكرام ، وقد كانوا شعبا منظما ، يدبر أمرَهم ملكٌ قوى ، يرجون ثوابه ، ويتقون العقاب . تداولته الفُرْس بعد الحُبْش ، حتى هدموا بابه. فتراه وقد تداعت شرفاته ، وانسحقت مختلطة بالتراب . ويا ربما كان فى عزٍّ مقيم . ورَغَدٍ من العيش لا يَرِيم .

٢٥ — . . . . .ابُهْ

٢٦ — يَا مَنْ يَرَى رَيْمَانَ أَمْ   سَى خَاوِيًا خَرِبًا كِعَابُهْ

٢٧ — أَمْسَى الثَّعَالِبُ أَهْلَهُ   بَعْدَ الَّذِينَ هُمُو مَآبُهْ

٢٨ — مِن سُوقَةٍ حَكَمٍ وَمِنْ   مَلِكٍ يُعَدُّ لَهُ ثَوَابُهْ

٢٩ — بَكَرَتْ عَلَيْهِ ٱلْفُرْسُ بَعْ   دَ ٱلْحُبْشِ حَتَّى هُدَّ بَابُهْ

٣٠ — فَتَرَاهُ مَهْدُومَ ٱلْأَعَا   لِي وَهُوَ مَسْحُولٌ تُرَابُهْ

٣١ — وَلَقَدْ أَرَاهُ بِغِبْطَةٍ   فِي ٱلْعَيْشِ مُخْضَرًّا جَنَابُهْ

٣٢ — فَخَوَى وَمَا مِنْ ذِي شَبَا   بٍ دَائِمٍ أَبَدًا شَبَابُهْ

٣٣ — بَلْ هَلْ تَرَى بَرْقًا عَلَى ٱلْ   جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي ٱنْجِيَابُهْ

٣٤ — مِنْ سَاقِطِ ٱلْأَكْنَافِ ذِي   زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهْ

٣٥ — مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا   لَمَّا دَنَا قَرِدًا رَبَابُهْ

٣٦ — وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ ٱلْ   أُمَّانَ مَوْرُودًا شَرَابُهْ

٣٧ — بِالصَّحْنِ وَٱلْمِصْحَاةِ وَٱلْ   إِبْرِيقِ يَحْجُبُهَا عِلَابُهْ

٣٨ — فَإِذَا تُحَاسِبُهُ النَّدَا   مَى لَا يُعَدِّينِي حِسَابُهْ

(٢٦ — ٢٧) ريمان قصر من قصور اليمن القديمة كان فى ظفار . وغيمان (ولعله هو المقصود ، جعلت الغين راء) قصر من قصور اليمن ، كانت تدفن فيه ملوكهم وعظماؤهم ، وكان فيه حائط مدور فيه كوى تقع الشمس كل يوم فى كوة منها (الاكليل ٨ : ٧٨) . كعاب جمع كعبة ، وهى الغرفة أو كل بيت مربع . مآبه ساكنوه الذين كانوا يقطنونه ويؤوبون اليه أى يرجعون .

(٢٨ — ٣٠) السوقة الرعية من الناس ، للواحد والجمع . رجل حكم مسن ، وحكمه حكما (بفتح الحاء) منعه من الفساد . والمعنى لا يستقيم الا بأن تكون حكم بمعنى محكومين . الثواب الجزاء على الأعمال خيرها وشرها . يعد ثوابه أى يرجى ويتقى من عد الدراهم أى احصاها وحسبها . بكرت عليه أسرعت اليه وأصله من البكور وهو اول الصبح . حتى هد بابه ، ذلك لان وهريز الفارسى لما هزم الحبشة جاء بالعلم فلم يدخل من الباب ، فتطير ان يدخل العلم منكوسا فأمر بهدم الباب . مسحول من سحله أى سحقه ونشره ونحته .

(٣١ — ٣٤) مخضر الجناب رغد العيش . والجناب الفناء وما قرب من محله القوم . خوى سقط وتهدم . انجاب الثوب انشق . وانجابت السحابة انكشفت وانقطعت . الأكناف النواحى . الزجل الصوت الحاد المرتفع . أرب بالمكان أقام .

(٣٥ — ٣٨) قردا مجتما ، تقرد الشعر والصوف تلبد واجتمع . الرباب السحاب الأبيض ، وهو كذلك الجماعة . التاجر بائع الخمر . الأمان (كرمان) المؤتمن الذى يوثق به ، فهو لا يقدم الا أجود الخمر . الصحن القدح الضخم ، والقصعة الصغيرة . المصحاة قدح من فضة يشرب به . العلاب (بكسر العين) جمع علبة (بضم العين) ، وهو قدح ضخم من خشب أو من جلود الابل يوطر حولها قضيب . عداه عن الامر صرفه وشغله . أى أنه لا يبالى أن يحاسبه فهو سخى يبذل فى شربها . حسابه مصدر حاسبه .

ويختم هذا القَصَصَ القصير متعزيا معتبرا ، بقوله .

خوى ذلك القصر العظيم متهدما خربا . وكذلك يصير كل شئ إلى زوال ، ولا يدوم لذى الشباب شباب .

ثم يختم الأعشى قصيدته ، بذلك الممدوح الكِنْدِىّ المجهول (ربيعة بن حَبْوَة) فيقول :

(٤٢–٤٤) دع عنك كل ذلك ، وقل لآل (كِنْدَة) : خبرونى عن (ابن كَبْشَة) ، ماذا نقمتم عليه ، وما الذى كنتم تعيبونه فيه ؟ إن الرزء الفادح لهو مثل ذلك اليوم ، الذى فارق فيه (حَبْوَة) أصحابُه ، وتخلوا عنه فى القتال ، حتى نهب متاعه ، وهدمت خيامه الضخمة ، فاندفعت ريح المسك من داخلها ، فوّاحة تعطر الجو .

(٤٥–٤٩) من ذا يبلغنى ابنه (ربيعة) ، وله فى رقبتى دَيْنٌ لا أنساه له مدى الدهر . إنى إن أتيته لم يَجْفُنى عطاؤه ، ولم يتجاوز ناقتى ثوابُه . وإن يكن كريما ابن كريم ، فإنما يرجع كل كريم إلى معدنه ، ويَصْدُرُ عن أصله ومنبته .

٣٩ - بِالْبَـــازِلِ ٱلْكَوْمَاءِ يَنْـ بَعُهَا ٱلَّذِى قَدْ شَقَّ نَابُهْ
٤٠ - وَلَقَدْ شَهِدْتُ ٱلْجَيْشَ تَخْـ فِقُ فَوْقَ سَيِّدِهِمْ عُقَـــابُهْ
٤١ - فَأَصَبْتُ مِنْ غَـــيْرِ ٱلَّذِى غَنِمُوا إِذَا ٱقْتُسِمَتْ نِهَابُهْ
٤٢ - بَلْ آلَ كِنْدَةَ خَبِّرُوا عَنِ ٱبْنِ كَبْشَةَ مَا مَعَابُهْ
٤٣ - إِنَّ الرَّزِيئَـــةَ مِثْلُ حَبْـ وَةَ يَوْمَ فَارَقَهُ صِحَـــابُهْ
٤٤ - بَادَ ٱلْعَتَـــادُ وَفَاحَ رِيـ حُ ٱلْمِسْكِ إِذْ هُجِمَتْ قِبَابُهْ
٤٥ - مَنْ ذَا يُبَلِّغُنِى رَبِيـــ عَةَ ثُمَّ لَا يُنْسَى ثَوَابُهْ
٤٦ - إِنِّى مَتَى مَا آتِهِ لَا يَجْفُ رَاحِلَتِى ثَوَابُهْ
٤٧ - .... ـابُهْ
٤٨ - .... لِمَجْـ لِسِهِ وَلَا يُخْشَى شِغَابُهْ
٤٩ - إِنَّ ٱلْكَرِيمَ ٱبْنَ ٱلْكَرِيـ مِ لِكُلِّ ذِى كَرَمٍ نِصَابُهْ

(٣٩ — ٤١) بالبازل . أى أنه يشرب بثمن البازل ، وهى الناقة الكبيرة التى بزل نابها ، وذلك فى السنة التاسعة من عمرها . الكوماء الضخمة . الذى شق نابه الفحل الكبير من الابل فى سن التاسعة كذلك . شهد حضر . العقاب (بضم العين) الراية . النهاب الغنائم ، جمع نهب (بفتح فسكون) .

(٤٢ — ٤٥) ابن كبشة هو الممدوح . ما معابه ما عيبه . الرزيئة المصيبة . حبوة ابو الممدوح (ربيعة بن حبوة) . فارقه صحابه ، تخلوا عنه فى القتال . هجم البيت هدمه . العتاد كل ما اعد من سلاح ودواب وآلة حربه .

(٤٦ — ٤٩) لا يجفوها ثوابه ، أى لا ينحرف عنها ولا يتعداها . الشغاب مصدر شاغب ، أى أنه مأمون الشر . النصاب الأصل والمرجع . وخبر ان جملة (لكل ذى كرم نصابه) .

اختلف الرواة فى هذه القصيدة ، هل هى فى مدح قيس بن معديكرب ، أم هى فى مدح اياس بن قبيصة الطائى . وروى البيت (٢:٠) على وجهين (تؤم اياسا) و (ليمم قيسا) . وليس فى القصيدة ما يرجح احد الوجهين . فالقصيدة أشبه بمدائح الأعشى لقيس بن معديكرب ، فى اسلوبها الذى يعتمد فى المدح على تعديد ما يهب الممدوح ، وعلى العناية بابراز صفة الكرم بنوع خاص . ثم هى من ناحية أخرى ملأى بالألفاظ الفارسية ، وتصوير بيئات الخمر ، مما يناسب مدح اياس ، الذى كان واليا للفرس على العراق . وقد تقدم للأعشى فى مدح اياس القصائد : ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ وسيجىء فى مدحه القصيدة ٧٩ . أما قيس بن معديكرب ، فقد مدحه الأعشى فى القصائد : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وسيجىء بعد ذلك قصيدتان ، هما ٦٨ ، ٧٨ .

(١ –٢) بدأ الأَعشى قصيدته بذكر (قُتَيْلة) أَحب صواحبه إِليه ، وأَكثرهن ترددا فى غزله ، فقد طاف به خيالها ، بعد أَن تراخى ما كان بينهما من ود وانقطع ، فبات مشرد الفكر ذاهلا ، كشاربٍ بعد النوم خمرًا سلسة ، كأَنها عصارة (العَنْدَم) الحمراء .

وكأَن الأَعشى لم يذكر صاحبته إِلا ليتوسل بها إِلى الخمر ، فما هو إِلا أَن يَعْرِض له هذا التشبيه ، حتى يمضى فى وصف هذه الخمر إِلى غير عودة لـ (قُتَيْلة) فيقول :

(٣ –٧) إِذا ثقب سِداد الدَّن الأَسود ، فسالت منه الخمر ، سطعت رائحتها فوَّاحة قوية . يقف الخمَّار من دونها لا يبرحها ، كأَنه الحارس الذى يحرص على كنزه ، فإِذا ذُبح الدَّن فسالت منه ، راح يتمتم ويهمهم مثنيا عليها مبارِكا . وكيف لا يفعل وهى خلاصة خمر (بابل) ، مما سال وتحلَّب قبل أَن تعصر ، فكأَنها فى دنِّها المسدود بالختام ، قد مُزجت بالعنبر والمسك . يطوف بها الساقى وقد علق فى أُذنيه لؤلؤتين ، يسرع فى رشاقة ليلبى النداء وقد شد على فمه وأَنفه خرقة بيضاء . يحمل الكأْس والإِبريق ، وتبدو الخمر حين يصبها فى طاسه الفضى ، كأَنها قد مزجت بعصارة شجر (البَقَّم) الحمراء .

(٨ –١٢) ويمضى الأَعشى فى وصف مجلس الخمر ، وما يحيطه من أَزهار ورياحين وغناء ، فيجلو لنا صورة من بيئات الخمر الفارسية المترفة فى العراق ، ويعدد أَلوان الرياحين وآلات الطرب ، التى لم يعرفها العرب ، بأَسمائها الفارسية ، من جُلَّسان وبَنَفْسج وسِيسِنْبَر ومَرْزَجُوش ، إِلى آخر هذه الأَسماء ، التى يعددها الأَعشى مزهوا مباهيا ، كما يعدد القروى الساذج أَلوان الطعام وأَدوات اللهو والترف فى العواصم ، ليرينا أَنه قد عرفها وخبرها .

شرب الأَعشى الخمر ومن حوله هذه الأَلوان المنمقة من الرياحين ، فى عيد (الهِنْزَمْن) ، حتى تعتعه السكر . وشربها فى كل يوم غائم ، حين يحلو الشراب فى جوه الرطيب المثير . وشربها على نغمات (الوَنِّ) و (البَرْبَط) ، يصحبهما جَرْس (الصَّنج) الرنان . ومن حوله ندماء ظرفاء ، صفت قلوبهم ، وتآلفت نفوسهم ، وكلهم يُجلُّه ويعظمه .

وقال يمدح إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِيّ (ورُوِيَتْ فِى مَدْحِ قَيْسِ بْنِ مَعْدِ يكَرِب) .

١ ـ أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَ مَا ‏ ‏ وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا (طويل)

٢ ـ فَبِتُّ كَأَنِّى شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ ‏ ‏ سَخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

٣ ـ إِذَا بُزِلَتْ مِنْ دَنِّهَا فَاحَ رِيحُهَا ‏ ‏ وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ أَسْوَدِ الْجَوْفِ أَدْهَمَا

٤ ـ لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا ‏ ‏ إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا

٥ ـ بِبَابِلَ لَمْ تُعْصَرْ فَجَاءَتْ سُلَافَةً ‏ ‏ تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكًا مُخَتَّمَا

٦ ـ يَطُوفُ بِهَا سَاقٍ عَلَيْنَا مُتَوَّمٌ ‏ ‏ خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزَالُ مُفَدَّمَا

٧ ـ بِكَأْسٍ وَإِبْرِيقٍ كَأَنَّ شَرَابَهُ ‏ ‏ إِذَا صُبَّ فِى الْمِصْحَاةِ خَالَطَ بَقَّمَا

٨ ـ لَنَا جُلَّسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ ‏ ‏ وَسِيسِنْبَرٌ وَالْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا

٩ ـ وَآسٌ وَخِيرِىٌّ وَمَرْوٌ وَسَوْسَنٌ ‏ ‏ إِذَا كَانَ هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّمَا

١٠ ـ وَشَاهَسْفَرَمْ وَالْيَاسَمِينُ وَنَرْجِسٌ ‏ ‏ يُصَبِّحُنَا فِى كُلِّ دَجْنٍ تَغَيُّمَا

١١ ـ وَمُسْتَقُ سِينِينٍ وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ ‏ ‏ يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَنَّمَا

١٢ ـ وَفِتْيَانُ صِدْقٍ لَاضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ ‏ ‏ وَقَدْ جَعَلُونِى فَيْسَحَاهَا مُكَرَّمَا

(١ ـ ٤) ألم زار زيارة قصيرة . وهى ضعف . تصرم انقطع . السخام والسخامى والسخامية الخمر السلسة اللينة الهمز فى الحلق . شعر سخام لين . العندم شجر احمر . بزل الخمر ثقب اناءها بالمبزل . أسود الجوف هو الدن ، لأنه مطلى بالقار (الزفت) . ادهم اسود . ذبحت أى ثقب اناؤها فسالت منه كما يسيل دم الذبيح . زمزم العلوج تراطنوا على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ، ولكنه صوت يديرونه فى خياشيمهم فيفهم بعضهم عن بعض . صلى عليها أثنى عليها وباركها .

(٥ ـ ٦) بابل مدينة قديمة كانت تبعد عن بغداد بثلاثة وتسعين كيلو مترا . وقد بلغت أوج عظمتها فى عهد بختنصر سنة ٦٠٤ ق.م. ثم خربها دارا . ثم فتحها الاسكندر المقدونى ومات فيها سنة ٣٠٤ ق.م. والعرب ينسبون اليها الخمر والسحر . السلافة ما تحلب وسال قبل العصر وهو اجود الخمر . القند (بفتح القاف) والقنديد (بكسرها) عسل قصب السكر (فارسى معرب، والقنديد كذلك العنبر والكافور ، والمسك طيب يتخذ من دم الغزال . ختم الاناء سده بالطين ونحوه . متوم قد وضع فى اذنيه تومتين ، والتومة (بضم التاء) اللؤلؤة . ذفيف مسرع . مفدم قد شد على انفه وفمه خرقة بيضاء .

(٧ ـ ٩) المصحاة قدح من فضة يشرب به . البقم شجر ساقه أحمر يصبغ به . الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش أنواع من الورود والرياحين ، وكلها أسماء فارسية معربة . نمنمه زخرفه ونقشه وزينه . الآس والخيرى والمرو والسوسن كلها انواع من الرياحين . الهنزمن عيد من أعياد النصارى (معرب) . مخشم سكران شديد السكر . خشمه الشراب (بالتشديد) تثورت رائحته فى خيشومه فأسكرته .

(١٠ ـ ١٢) الشاهسفرم والياسمين والنرجس أنواع من الرياحين . يوم دجن غائم كثير المطر ، والدجن أن يسد الغيم اقطار السماء . المستق آلة يضرب عليها (معرب) . الون ضرب من آلات الطرب الوترية . البربط هو المزهر أو العود ، وكلها فارسى الاصل . الصنج دوائر من النحاس تثبت فى أطراف الاصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية . فيسحاه ، لم أعثر لها على أصل . وفى المعاجم : هو يمشى الفيسحى اى يباعد فى خطوه .

فإذا أشبع الأعشى رغبته فى المباهاة بهذه الألوان الأعجمية المترفة ، انتقل إلى المباهاة بلون آخر من صميم الحياة العربية ، وهو الجرأة على اقتحام الصحراء . فيقول :

(١٣-١٦) دع عنك كل ذلك ، وتعال معى إلى الصحراء . كم من تيه رملى يضل فيه السالك ، قد قطعته فوق ناقتى الضامرة ، فى ظلام الليل البهيم . فأنا أخوض الصحراء بناقة سريعة جريئة ، كأنها الجمل الفحل ، حين يتزود الراكب لرحلته الطويلة بالماء ، ويلوث عمامته فوق رأسه ، متهيئا لما هو مقبل عليه من أمر . ترى عينها منحرفة فى جنب مؤقها . تراقب فى كفى سوطا يابسا لم يمس جلدها فيلين . وكأنها إذ تحمل رحلى المكسو بالجلد والوسائد ، وقد نال منها الكلال ؛ ثورٌ أفطس الأنف أسفع الخد ، قد هزله الجوع .

ثم يمضى الأعشى مستطردا إلى هذه القصة التقليدية الطويلة ، قصة الثور فى كفاحه المر العنيف . وهى صورة مكررة معادة فى الشعر الجاهلى ، قلما يتغير فيها الخيال أو الألفاظ . ، وقد مرت بنا هذه الصورة منذ قليل فى القصيدة (٥٢) . ولها نظائر فى شعر امرىء القَيْس ، والنابغة الذُّبيانى ، وأَوْس ، والمُتَلَمِّس ، والمُثَقِّب العَبْدى ، وأَبى ذُؤيب الهُذَلى ، والنابغة الجعدى[1] .

يقول الأعشى :

(١٧-٢٠) كأن ذلك الثور ، فى ظهره الأبيض وجسمه الأسود ، قد لبس ثوبا ناصعا ، من تحته جلد قاتم ، صبغه رَجُلٌ صَنَاعٌ بصبغ (العِظْلِم) الأسود . بات هذا الثو ليلته ظمآن طاويا ، يديم النظر إلى السماء ، كأنه يبارى رهطا بعدت أرضهم عن الكلإ والماء ، فصاموا عن الطعام والشراب . يلجأ إلى شجرة (أَرْطَى) فى منعرج الرمال ، تعصف من حوله ريح شمالية هوجاءُ ، فتترك وجهه أغبر قاتما . وأكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه ، يحفر فيها بيتا يؤويه ، فى هذا الموضع المكشوف ، الذى تنهال رماله غير متماسكة .

(٢١-٢٣) فلما أضاء الصبح ، قام من وكره مبادرا ، وقد حان انطلاقه من حيث أقام . فصبَّحته كلابُ (عوف بن أرقم) الصائد ، عند شروق الشمس فى الصباح المبكر ، وكان ذلك الصياد يقودها إلى جنبه ، فلما رآه أطلقها عليه ، فانبعثت تتبعه ،

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٠٠ وديوان النابغة الذبيانى ص ٢٩، ١٢٠ (مطبعة الهلال ١٩١١) ، وشعراء النصرانية ص ٣٤٥ ، ٤٠٢، وجمهرة أشعار العرب ص ١٠٦ ، ٢٢٦ ، ٢٠٢ (المطبعة الرحمانية ١٩٢٦) .

١٣ ـ فَدَعْ ذَا وَلٰكِنْ رُبَّ أَرْضٍ مُتِيهَةٍ ۞ قَطَعْتُ بِحُرْجُوجٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
١٤ ـ بِنَاجِيَةٍ كَالْفَحْلِ فِيهَا تَجَاسُرٌ ۞ إِذَا الرَّاكِبُ النَّاجِي اسْتَقَى وَتَعَمَّمَا
١٥ ـ تَرَى عَيْنَهَا صَغْوَاءَ فِي جَنْبِ مُؤْقِهَا ۞ تُرَاقِبُ فِي كَفِّي الْقَطِيعَ الْمُحَرَّمَا
١٦ ـ كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالْفِتَانَ وَنُمْرُقِي ۞ عَلَى ظَهْرِ طَاوٍ أَسْفَعِ الْخَدِّ أَخْثَمَا
١٧ ـ عَلَيْهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ ۞ أَرَنْدَجَ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلِمَا
١٨ ـ فَبَاتَ عَذُوبًا لِلسَّمَاءِ كَأَنَّمَا ۞ يُوَائِمُ رَهْطًا لِلْعَزُوبَةِ صُيَّمَا
١٩ ـ يَلُوذُ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ ۞ خَرِيقُ شِمَالٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا
٢٠ ـ مُكِبًّا عَلَى رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَهَا ۞ عَلَى ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَمَا
٢١ ـ فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ قَامَ مُبَادِرًا ۞ وَحَانَ انْطِلَاقُ الشَّاةِ مِنْ حَيْثُ خَيَّمَا
٢٢ ـ فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً ۞ كِلَابُ الْفَتَى الْبَكْرِيِّ عَوْفِ بْنِ أَرْقَمَا
٢٣ ـ فَأَطْلَقَ عَنْ مَجْنُوبِهَا فَاتَّبَعْنَهُ ۞ كَمَا هَيَّجَ السَّامِي الْمُعَسِّلُ خَشْرَمَا
٢٤ ـ لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُ ۞ وَجَشَّمَ صَبْرًا رَوْقَهُ فَتَجَشَّمَا
٢٥ ـ وَأَنْحَى عَلَى شُؤْمَى يَدَيْهِ فَذَادَهَا ۞ بِأَظْمَأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا

(١٣ — ١٥) متيهة صحراء مضلة . حرجوج ناقة ضامرة . ناجية سريعة . تعمم كور العمامة على راسه . صغواء مائلة ، فعلها صغا اى مال . المؤق طرف العين مما يلى الانف . القطيع السوط . جلد محرم لم يدبغ ، وسوط محرم لم يمرن ، لانه لا يحتاج لضربها .

(١٦ — ١٧) الرحل للابل كالسرج للخيل ، وهو الخشب المشدود الذى يركب فوقه . الفتان غشاء للرحل من الجلد . النمرق وسادة صغيرة يتكأ عليها ، أو هى بساط يفرش فوق الرحل . طاو جائع . السفعة سواد يضرب للحمرة . الخثم عرض الانف وغلظه . يقصد تشبيه ناقته بثور الوحش . الديابوذ ثوب ينسج على نيرين . تسربل لبس . الارندج جلد أسود . الاسكاف الصانع الحاذق . العظلم نوع من الشجر يستخرج منه صبغ أسود يخضب به الشعر . يصور بذلك ثورا أبيض الظهر قوائمه سوداء .

(١٨ — ٢٠) علب الرجل (كضرب) ترك الأكل من شدة العطش ، فهو عاذب وعذوب . واءمه وافقه أوباهاه وصنع مثل صنيعه . العزوبة الأرض البعيدة المضرب الى الكلأ . يلوذ يلجأ . الارطى شجر ضخم ينبت فى الرمال ، واحدته أرطاة . الحقف من الرمل ما اعوج وانعطف ، جمعه احقاف . الخريق الريح الشديدة الهبوب . الشمال ريح باردة تهب من الشام . أقتم اغبر . مكبا مطأطئا رأسه يحفر هذه الارطاة ليتخذ فيها كناسا يأوى اليه . روقه قرنه . على ظهر عريان الطريقة أى على ظاهر الطريق . أهيم منهار لا يتماسك ، صفة (عريان الطريقة) .

(٢١ — ٢٥) مبادرا من كناسه . الشاة الثور . خيم أقام . غدية تصغير غدوة (بضم فسكون) ، وهى البكرة أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . البكرى نسبة الى قبيلة بكر (قوم الأعشى) . جنب الدابة والبعير (كنصر) قادها الى جنبه . السامى الذى يسمو فى الجبل . المعسل الذى يجمع العسل . الخشرم جماعة النحل والزنابير . لدن غدوة (بالنصب) كذلك جاءت فى النص ، نصبها على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف ، والتقدير لدن غدا غدوة . أنحى اعتمد ، أنحى البعير اعتمد فى سيره على أيسره . اليد الشؤمى اى اليسرى . إظمأ أسمر ذابل . الفرع الشعر . الذؤابة شعر الناصية . أسحم أسود .

كأنها جماعة النحل ، هَيَّجها جامع العسل الذى يرتقى فى طلبه الجبال .

(٢٤–٢٨) وظلت تطارده منذ الصباح المبكر حتى أقبل الليل . فلم يجد بدا من الثبات ، وَجَشَّم قَرْنَه – وهو سلاحه – الصبرَ على القتال ، فتجشَّمه . واعتمد على يده اليسرى ، وراح يذودها عن نفسه ، بقَرْن ذابل محدَّد ، أشد سوادا من خصلة الشعر . وأقبل عليها ، يهز قرنه حين يدفعه فى صدرها ، كما يشك الجرادَ صائدُه وقد نظمه فى العُود . وانقلب بعد أن قتلها وقد أشرق وجهه ، فكأنه كوكب (الشِّعْرَى) ، وقد دخل فى أرضٍ سوداءَ جرداءَ ، يعانى حرها الملتهب الشديد .

وتنتهى هذه القصة المثيرة إلى غايتها المرجوة ، وقد تحقق لبطلها الظفر ، بعد كفاح طويل مرير . فيعود الشاعر إلى ناقته من حيث تركها ليقول :

٢٩ – ذلك الثور المكافح الجسور ، أَشبهُ شيءٍ بناقتى ، وقد أجهدتها الرحلة ، تتجشم أهوالها ، حين يأوى الثور إلى وكره ، منكمشا لا يجرؤ على الخروج .

وقد تحملت الناقة كل هذه المشاق فى طريقها للممدوح .

(٣٠–٣٢) فهى تقصد (إياسا) ، الذى أيده الله بالعزة والكرامة مدى الدهر . وقد أعلى الله مكانه فوق كل قبيلة ، ورث السؤدد أبًا عن أب ، فهو يأبى الدنية أينما تكون . لم يتورط يوما فى مَنْقَصَة تورثه العار ، فيُظلِم وجهُه من خجل ، فليس هو بالهيَّابة الذى يركب العجز ، وليس بالآثم الذى يَقْرَب الشر .

(٣٣–٣٦) ولو أن العز فى رأس صخرة ملساءَ ، تَزِلُّ فيها حوافر الوعل المحجَّل ، لأعطاك الله مفتاح بابها ، أو أعطاك سلما تَرْقَى به إليها . وليس نيل مصر إذا التطمت أمواجه ، ولا الفرات إذا طغت مياهه ، بأجود منه عطاء – وإن بعض الناس ليصد معرضا إذا سئل المعروف .

(٣٧–٤١) فهو الذى يهب للمستجير به الإبل الضخمة الغزيرة اللبن ، كأنها الشجر الضخام ، أو النخيل أثقلته الثمار . ويهب كل فرس أدكن طويل الظهر كأنه القناة ، وكل

٢٦ ـ وَأَنْحَى لَهَا إِذْ هَزَّ فِى الصَّدْرِ رَوْقَهُ ... كَمَا شَكَّ ذُو الْعُودِ الْجَرَادَ الْمُخَزَّمَا

٢٧ ـ فَشَكَّ لَهَا صَفْحَاتِهَا صَدْرُ رَوْقِهِ ... كَمَا شَكَّ ذُو الْعُودِ الْجَرَادَ الْمُنَظَّمَا

٢٨ ـ وَأَدْبَرَ كَالشِّعْرَى وضُوحًا ونُقْبَةً ... يُوَاعِنِ مِنْ حَرِّ الصَّرِيمَةِ مُعْظَمَا

٢٩ ـ فَذَلِكَ بَعْدَ الْجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِى ... إِذَا الشَّاةُ يَوْمًا فِى الْكِنَاسِ تَجَرْثَمَا

٣٠ ـ تَؤُمُّ إِيَاسًا إِنَّ رَبِّى أَبَى لَهُ ... يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا عِزَّةً وَتَكَرُّمَا

٣١ ـ نَمَاهُ الْإِلٰهُ فَوْقَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ... أَبًا فَأَبًا يَـأْبَى الدَّنِيَّةَ أَيْنَمَا

٣٢ ـ وَلَمْ يَنْتَكِسْ يَوْمًا فَيُظْلِمَ وَجْهُهُ ... لِيَرْكَبَ عَجْزًا أَوْ يُضَارِعَ مَأْثَمَا

٣٣ ـ وَلَوْ أَنَّ عِزَّ النَّاسِ فِى رَأْسِ صَخْرَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ تُعْيِى الْأَرَحَّ الْمُخَدَّمَا

٣٤ ـ لَأَعْطَاكَ رَبُّ النَّاسِ مِفْتَاحَ بَابِهَا ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَابٌ لَأَعْطَاكَ سُلَّمَا

٣٥ ـ فَمَا نِيلُ مِصْرٍ إِذْ تَسَامَى عُبَابُهُ ... وَلَا بَحْرُ بَانِقْيَا إِذَا رَاحَ مُفْعَمَا

٣٦ ـ بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ ... إِذَا سُئِلَ الْمَعْرُوفَ صَدَّ وَجَمْجَمَا

٣٧ ـ هُوَ الْوَاهِبُ الْكُومَ الصَّفَايَا لِجَارِهِ ... يُشَبَّهْنَ دَوْمًا أَوْ نَخِيلًا مُكَمَّمَا

٣٨ ـ وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَالْقَنَاةِ مَحَالُهُ ... وَكُلَّ طِمِرٍّ كَالْهِرَاوَةِ أَدْهَمَا

(٢٦ — ٢٨) انحى لها قصد اليها واقبل عليها . خزم اللؤلؤ (كضرب) شكه ونظمه . البيت (٢٧) مكرر مع ما قبله . والمرجح أنه رواية اخرى له ، مع تغيير طفيف . أدبر أعرض أى بعد أن قتلها . الشعرى كوكب . النقبة اللون ، وهى كذلك الوجه . يواعن يدخل فى الوعان (بكسر الواو) وهى الأرض الصلبة ، أو بياض فى الأرض الصلبة ، او بياض فى الأرض لا ينبت شيئا . الصريم الأرض السوداء لا تنبت شيئا . المعظمة النازلة الشديدة ، ومعظم الشىء أكثره ، والجمع معاظم (مساجد) .

(٢٩ — ٣٢) الشاة الثور . الكناس بيته فى أصول الأشجار . تجرثم دخل فى كناسه ، ومعناه فى الأصل اجتمع ، وجرثومة الشىء أصله ، وجرثومة النمل قريته وبيته . تؤم اياسا ، روى أيضا (تيمم قيسا) للذين رووها فى مدح قيس بن معديكرب . نماه رفعه . انتكس وقع على راسـه ، وانتكس المريض عادته العلة بعد النقه ، والمقصود هنا أنه لم يقع فى خطأ ، ولم يرتكب ما يشين . ليركب ، متعلق بـ (ينتكس) . ضرع من الشىء (كنصر) دنا منه . ضرعت الشمس وضارعت دنت للمغيب . يضارع مأثما يقارب اثما .

(٣٣ — ٣٥) ململمة مدورة مجتمعة ، يقصد بذلك صخرة ملساء تزلق فوقها القدم . الأرح الوعل المنبسط الظلف . المخدم المحجل الذى يستدير التحجيل بأرساغ رجليه دون يديه . والتحجيل بياض يحيط بالارجل ، بانقيا ناحية من نواحى الكوفة كانت على شاطىء الفرات .

(٣٦ — ٣٨) نائلا عطاء . صد أعرض . جمجم احجم . الكوم جمع أكوم وكوماء وهو الضخم السنام من الابل . صفت الناقة تصفو صارت غزيرة اللبن فهى صفية والجمع صفايا . الجار المجاور فى السكن ، وهو كذلك المستجير . الدوم ضخام الشجر . مكمم اخرج ثماره . كممت النخلة واكمت أخرجت أكمامها (والكم هو الغلاف الذى ينشق عن الثمر) . كميت صفة لمحذوف . يقصد فرسا كميتا ، والكمتة حمرة تضرب للسواد . المحال جمع محالة وهى الفقرة من فقار الظهر . طمر صفة لمحذوف ، أى جواد طمر وهو الخفيف الوثاب . أدهم أسود .

جواد أَسود وثاب ، مفتول العضلات كأَنه الهِرَاوة ، وكلٌّ سريع عتيق من الخيل كأَنه القَناة ، ناعم الجلد ، يجيش حين يعدو لوجهه ، ويضرب الأَرض بحوافره . وهو الذى يهب كل ناقة سريعة كأَنها الفحل المكرَّم عند أَصحابه ، وكلَّ جارية مترفة ، تجر ثوبها الفاخر المخطط حين تسعى إِلى الحانوت .

لم يستغث بمثله فى الناس مكروب ، ليدفع عنه ظلمًا بَهظه ، أَو يحمل عنه مَغْرَما فَدَحَه .

(٥٦)

هذه القصيدة هى احدى القصائد التى رويت للاعشى فى يوم (ذى قار) . وقد تقدم له فى هذا اليوم ثلاث قصائد (٢٦ ، ٣٤ ، ٤٠) . وقد روى ابن اسحق بعض أبيات هذه القصيدة منسوبا لسيف بن ذى يزن الحميرى فى فتح الفرس لليمن ، حين استعان بهم على اخراج الجيش منها، وهى الأبيات : ١ ، ٢ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ . وعقب ابن هشام على الابيات بقوله (وانشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا - يعنى البيت (١٣) - لأعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له . وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له (١) . وقال ثعلب فى ديباجة القصيدة : (قال أبو عبيدة : يخلط بها قول سيف بن ذى يزن (٢) . وغيره يقول : هى لعبد كلال الحميرى (٣) . ورواها أبو عمرو الشيبانى فى يوم ذى قار) .

ويمكننا ان نجمل رأينا فيما يلى :

١ — يرى أبو عبيدة أن الرواة قد خلطوا بين قصيدة الأعشى هذه ، وبين قصيدة أخرى من هذا البحر والروى لسيف بن ذى يزن الحميرى فأدخلوا فى قصيدة الاعشى بعض ابيات من قصيدة سيف بن ذى يزن . أما غيره فهو يروى القصيدة برمتها لشاعر آخر من حمير ، هو عبد كلال الحميرى . والرأيان كلاهما يتفقان مع ابن اسحق فيما ذهب اليه من ان بعض أبيات القصيدة قيل فى حرب الفرس للحبش وطردهم لهم من اليمن .

٢ — يذهب اهل العلم بالشعر فى القرن الثانى الهجرى الى أن القصيدة ليست للأعشى فيما يروى عنهم ابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ . وينفرد أبو عمرو الشيبانى باثبات القصيدة للأعشى فى يوم ذى قار .

٣ — اذا تتبعنا أصحاب هذه الروايات لاحظنا أنهم جميعا لايرتفعون عن مواطن الشبه . فابن هشام الذى اثبت القصيدة لسيف بن ذى يزن الحميرى من حمير . وابن اسحق وابو عبيدة وأبو عمرو كلهم موالى وهم متعاصرون . أما ابن اسحق فقد كان أجهل الناس بالشعر ، على علمه بالحديث والمغازى . واما أبو عبيدة فقد عرف بكرهه للعرب وتحامله عليهم ، فهو يكره أن يروى هذا الشعر فى انتصار العرب على الفرس . وأما أبو عمرو فقد جاور بنى شيبان حتى نسب اليهم ، فغير بعيد أن يجامل شيبان برواية هذا الشعر . وخصوصا اذا لاحظنا أن القصيدة تنسب لشيبان وحدها شرف هذا اليوم ولاتشير الى اى فرع آخر من فروع بكر التى اشتركت فى القتال ، بل انها تخلو من الاشارة الى فرع الأعشى نفسه (قيس بن ثعلبة) .

٤ — القصيدة من مجزوء الوافر . وهو بحر غريب على شعر الأعشى ، لم يرو له فيه غير هذه القصيدة .

٥ — البيتان (١ ، ٢) غامضان ، فلسنا نعرف من يعنى بالملكين اللذين قد التأما . وصلة البيتين ببقية القصيدة غير واضحة وغير مفهومة .

٦ — البيت (٢٢) من هذه القصيدة يناقض البيت (١٩) من القصيدة (٦٢) . فهو يقول هنا :

صبحناهم بنشاب ... كفيت تعقع الأدما

فقوم الأعشى هنا يقاتلون بالنشاب . بينما يقول فى القصيدة (٦٢) :

اذا أمالوا الى النشاب أيديهم ... ملنا ببيض فظل الهام يختطف

ثم ان تلقيب (الهامرز) بـ (القيل) فى البيتين (١٢ ، ١٩) غريب . فالذين كانوا يلقبون بهذا اللقب هم ملوك اليمن .

ومن مجموع هذه الظروف والملابسات ، نستطيع أن نقول : ان من حق الباحث أن يتردد فى نسبة هذه القصيدة للأعشى . بل ان من واجبه أن يستبعدها حين يدرس هذا الشعر ليستنتج منه شيئا يتعلق بفن الأعشى أو تاريخ عصره .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٦ .

(٢) سيف بن ذى يزن هو الذى استنصر بالفرس فى استنقاذ اليمن من الحبشة ، فأعانوه حتى ملك اليمن . وكان يسكن قصر غمدان فى صنعاء . وقد جاءته وفود العرب مهنئة . وكان فيمن وفد عليه وفد الحجازيين برأسه عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم . (الأغانى ج ١٦ ص ٧٥ - ٧٧) .

(٣) هو عبد كلال بن داذ بن أبى جمد . وهو جد وضاح اليمن الشاعر . الذى قتله الوليد بن عبد الملك ، لتشبيبه بزوجته أم البنين ، بنت عبد العزيز بن مروان . وقد اختلف فى نسبه فزعم قوم أنه من أصل فارسى ، وانه من جنود الفرس الذين غزوا مع سيف بن ذى يزن . وقال آخرون انه من قبيلة حمير (بكسر فسكون) .

٣٩ - وَكُلَّ مِزَاقٍ كَالْقَنَاةِ طِمِرَّةٍ ... وَأَجْرَدَ جَيَّاشِ الْأَجَارِيِّ مِرْجَمَا

٤٠ - وَكُلَّ ذَمُولٍ كَالْفَنِيقِ وَقَيْنَةٍ ... تَجُرُّ إِلَى الْحَانُوتِ بُرْدًا مُسَهَّمَا

٤١ - وَلَمْ يَدْعُ مَلْهُوفٌ مِنَ النَّاسِ مِثْلَهُ ... لِيَدْفَعَ ضَيْمًا أَوْ لِيَحْمِلَ مَغْرَمَا

(٥٦)

وقال يفتخر بيوم ذى قار :

١ - يَظُنُّ النَّاسُ بِالْمَلِكَيْـ ... ـنِ أَنَّهُمَا قَدِ الْتَأَمَا (فراو، مجزوء)

٢ - فَإِنْ تَسْمَعْ بِلَأْمِهِمَا ... فَإِنَّ الْخَطْبَ قَدْ فَقِمَا

(٣٩ —) المزاق (بكسر الميم) السريع . يقال فرس مزاق وناقة مزاق ، يكاد يتمزق عنها جلدها من سرعتها . طمرة خفيفة ولابة . اجرد أى فرس أجرد قصير الشعر رقيقه ، وهى من الصفات المستحسنة فى الخيل . جاشت القدر غلت ، وجاش البحر هاج واضطرب . الأجارى جمع اجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء)وهو الوجه الذى يأخذ فيه حين يجرى . مرجم برجم الأرض بحوافره حين يعدو .

(٤٠ — ٤١) الذميل السير اللين . اذا ارتفع السير عن العنق (بالفتح والتحريك) قليلا فهو التزيد ، وما فوقه الذميل ، ثم الرسيم . الفنيق الفحل المكرم الذى لا يمتهن بالركوب ، وهو من الافناق اى الترف والنعيم . البرد ثوب مخطط . مسهم قد رسمت عليه سهام . ملهوف مظلوم مكروب مستغيث . الضيم الظلم . المغرم الغرامة ، غرم الرجل الدية والدين اداها عن صاحبها ، فهو غارم .

(٥٦)

(١ — ٢) لامه فالتأم اصلحه . الخطب الداهية والامر العظيم . فقم عظم .

يقول الأعشى :

١ ـ يظن الناس أن المَلِكَيْن قد أصبحا فى وفاق ووئام .

٢ ـ فإن تسمعْ بذلك ، فإن الخطب إذن لعظيم .

٣ ـ تفاقم أمر الحرب بين الناس ، فهى كالفحل القوى ، قد اشتد واكتملت قواه .

٤ ـ وبرزت أنيابه الحادة ، يَهْدِر وقد أخرج شِقْشِقَتَه فى هياج عنيف مخيف .

٥ ـ جاءنا عن (بنى الأحرار) قول ظالم بعيد عن القَصْد والرشاد .

٦ ـ يريدون استئصالَ شَأْفَتِنَا ، ولكنا لا نسلمهم زمامنا ولا نلين .

٧ ـ فالبغى بغيض تعافه النفوس ، والجهل ثقيل يجثم على الصدور .

٨ ـ باتوا ليلتهم ساهرين ، يدبرون ما عزموا عليه ويقدِّرون .

٩ ـ ثم أقبلوا نحونا ، لهم جلَبة وضوضاء تهدُّ السهل ، وترددها الجبال .

١٠ ـ قد لبسوا الدروع الفَضْفَاضة المُحْكَمة النسج وتمنطقوا فوقها بالحُزُم .

١١ ـ ....

١٢ ـ وجاء أميرهم (الهَامَرْز) يقسم أغلظ الأيمان .

١٣ ـ ألا يذوق الخمر ، حتى يعود محمَّلا بالسبايا والأسلاب .

١٤ ـ فلقى الموت جاثما فى انتظاره ، ووجد (ذُهْلا) دون ما خَيَّلَتْ له نفسُه من أوهام .

١٥ ـ قوم يأبون الذل ، ولا ينزلون على حكم الأعداء .

٣ ـ وإِنَّ ٱلْحَرْبَ أَمْسَى فَحْـ   لُهَا فِى النَّاسِ مُحْتَلِمَا
٤ ـ حَدِيدًا نَابُهُ مُسْتَدْ   لِقًا مُتَخَمِّطًا قَطِمَا
٥ ـ أَتَانَا عَن بَنِى ٱلأَحْرَا   رِ قَوْلُ لَمْ يَكُنْ أَمَمَا
٦ ـ أَرَادُوا نَحْتَ أَثْلَتِنَا   وَكُنَّا نَمْنَعُ ٱلْخُطُمَا
٧ ـ وَكَانَ ٱلْبَغْىُ مَكْرُوهًا   وَقَوْلُ ٱلْجَهْلِ مُنْتَحِمَا
٨ ـ فَبَاتُوا لَيْلَهُمْ سَمَرًا   لِيُسْدُوا غِبَّ مَا نَجَمَا
٩ ـ فَغَبُّوا نَحْوَنَا لَجِبًا   يَهُدُّ السَّهْلَ وَٱلأَكَمَا
١٠ ـ سَوَابِغَ مُحْكَمِ ٱلْمَاذِ   ىِّ شَدُّوا فَوْقَهَا ٱلْحُزُمَا
١١ ـ .... الكُتُمَا
١٢ ـ فَجَاءَ ٱلْقَيْلُ هَامَرْزٌ   عَلَيْهِمْ يُقْسِمُ ٱلْقَسَمَا
١٣ ـ يَذُوقُ مُشَعْشَعًا حَتَى   يُفِىءَ السَّبْىَ وَالنَّعَمَا
١٤ ـ فَلاَقَى ٱلْمَوْتَ مُكْتَنِعًا   وَذُهْلًا دُونَ مَا زَعَمَا
١٥ ـ أُبَاةَ الضَّيْمِ لَا يُعْطُو   نَ مَنْ عَادَوْهُ مَا حَكَمَا

(٣ — ٥) الفحل الجمل والذكر من كل حيوان . احتلم الصبى أدرك وبلغ مبلغ الرجال . حديد حاد . دلق البعير شقشقته اخرجها ، والشقشقة (بكسر الشين) شىء كالرئة ، يخرجه البعير من فمه اذا هاج وهدر . تخمط الفحل هدر . قطم هائج . بنو الأحرار الفرس . الأمم (بالفتح) الواضح البين من الأمر ، والقصد والوسط .

(٦ — ٧) الأثلة شجرة طويلة . يقصد بنحت أثلتهم استئصالهم . الخطم جمع خطام (بكسر الخاء) ، وهو الحبل الذى يشد على أنف البعير ليقاد به ، النحيم صوت يخرج من الجوف ، وشبه أنين فى الصدر يستريح اليه صاحبه ، كالذى يفعله الجمال اذا حمل حملا ثقيلا . والمنتحم من له زفير وزحير فى صدره .

(٨ — ٩) سمرا ساهرين يتحدثون . ليسدوا أى ليدبروا ، واصله من تسدية النسج وهو مد خيوطه . غب الشىء عاقبته . نجم الأمر حدث وظهر . غب الرجل جاء زائرا بعد أيام ، وغب فلان عندنا بات ، وغبا له وغبا اليه (كفتح) قصد له . جيش لجب كثيف له جلبة وضوضاء .

(١٠ — ١٢) درع سابغة فضفاضة تكسو سائر الجسد . والدرع ثوب من حديد يلبسه المقاتل حتى لا ينفذ السلاح فى جسمه . وهو منسوج من حلق قد ركب بعضها فى بعض ، وكانوا ينسجونها حلقة حلقة ، فان أرادوا زيادة احكامها نسجوها حلقتين حلقتين ، ويسمونها عندئذ مضاعفة . درع ماذية بيضاء . الحزم المناطق فى جمع حزام . القيل الملك . هامرز من قواد الفرس فى ذلك اليوم ، ولم يكن ملكا ، ولكنه قصد بالقيل الرئيس . وروى (قيل الناس وهرز مقسم قسما) وذلك لمن روى هذه الأبيات لسيف بن ذى يزن فى فتح الفرس لصنعاء ، حين استجار بهم واستنصرهم على اليمن . وهرز هو أمير جيش الفرس الذى غزا اليمن وفتح صنعاء (السيرة ج ١ ص ٦٦) .

(١٣ — ١٥) المشعشعة الخمر التى مزجت بالماء . فاء الغنيمة وأفاءها أخذها واغتنمها . السبى الأسرى من النساء . النعم (بالفتح) الابل . يذوق أى أقسم ألا يذوق الخمر حتى ينتصر . كنع واكتنع تقبض وانكمش . وذهلا ولاقى ذهلا ، وهم ذهل بن شيبان بن بكر ، وكانوا احسن الناس بلاء فى يوم ذى قار . حكم قضى ، أى لا يعطونه ما أراد .

١٦ ـ شمخت رءُوسهم عزا ، فما ينقادون لغاشم ظلوم .

١٧ ـ تحملهم الجياد الجُرْد المُعْلَمَة ، عوابسَ تلوك اللُّجُم فى ثورة واهتياج .

١٧ ـ وقد أَحاطت بها الرماح الصلبة الذابلة ، كأَنها أجمة كثيفة الأَشجار .

١٩ ـ قتلنا أَميرهم (الهامَرْز) ورَوَّينا كثبان الرمال بالدماء .

٢٠ ـ وكم من سَبِيَّة تُقَطِّع قلبَها الحسرات ، قد أَنزلتها الرماح على حكمها ، فأَصبحت تحت رَجُل من أَبطالنا الشجعان .

٢١ ـ صَبَحْناهم شرابا ينصبُّ عليهم انصباب اللبن من الناقة الحَلُوب .

٢٢ ـ صَبَحْناهم بالسهام ، تنطلق مسرعة ، فيُسْمَع لوقعها فى جلودهم طنين .

٢٣ ـ فَدَتْ أُمى بنى (ذُهْل) ، إذ يتتابعون على راية الفرس فى هذا الموقف المشهود .

٢٤ ـ فدتهم أُمى جزاءَ ما كانوا يضربون فوق الخُوَذِ المحبوكة ، حتى حطموا الفرس شر تحطيم .

٢٥ ـ ....

٢٦ ـ بمثلهم يومَ القتال ينجلى العزُّ والمجد وضَّاءً له بريق .

٢٧ ـ تجلوه كتائبُ بنى (ذُهْل) وقد انتظمت عليها الدروع .

٢٨ ـ لقى بهم الفرس رجالًا أُباة غضابا ، قاتلوا حتى تم لهم النصر .

١٦ - أَبَتْ أَعْنَاقُهُمْ عِزًّا ... فَمَا يُعْطُونَ مَنْ غَشَما
١٧ - عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... عَوَابِسَ تَعْلُكُ اللُّجُمَا
١٨ - تَخَالُ ذَوَابِلَ الْخَطِّ ... يِّ فِى حَافَاتِهَا أَجَمَا
١٩ - قَتَلْنَا الْقَيْلَ هَامَرْزًا ... وَرَوَّيْنَا الْكَثِيبَ دَمَا
٢٠ - أَلَا يَا رُبَّ مَا حَسْرَى ... سَتُنْكِحُهَا الرِّمَاحُ حَمَا
٢١ - صَبَحْنَاهُمْ مُشَعْشَعَةً ... تَخَالُ مَصَبَّهَا رَذَمَا
٢٢ - صَبَحْنَاهُمْ بِنُشَّابٍ ... كَفِيتٍ قَعْقَعَ الْأُدُمَا
٢٣ - هُنَاكَ فِدًى لَهُمْ أُمِّى ... غَدَاةَ تَوَارَدُوا الْعَلَمَا
٢٤ - بِضَرْبِهِمُ حَبِيكَ الْبَيْ ... ضِ حَتَّى ثَلَّمُوا الْعَجَمَا
٢٥ - وَمَرْيِهِمُ ....
٢٦ - بِمِثْلِهِمُ غَدَاةَ الرَّوْ ... عِ يَجْلُو الْعِزَّ وَالْكَرَمَا
٢٧ - كَتَائِبُ مِنْ بَنِى ذُهْلٍ ... عَلَيْهَا الزَّغْفُ قَدْ نُظِمَا
٢٨ - فَلَاقَوْا مَعْشَرًا أُنُفًا ... غِضَابًا أَحْرَزُوا الْغَنَمَا

(١٦ — ١٧) أبت من الاباء ، وهو الامتناع والكبر . عزا مفعول لأجله . غشم ظلم . لا يعطونه لا ينقادون له . جرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر . مسومة معلمة بعلامة لتتميز بها بين الخيل . تعلك اللجم تلوكها ، لأنها ثائرة مهتاجة .

(١٨ — ١٩) الخطي الرماح ، منسوبة للخط ، وهو مرفأ كانت ترسو عليه السفن التى تجلبها . الرماح الذوابل هى الدقيقة التى لصقت بها نشرتها . اجم جمع اجمة وهى الغابة . هامرز قائد الفرس وروى (قتلنا القيل مسروقا) لمن رواها لسيف بن ذى يزن وهو مسروق ابن أبرهة ، ملك اليمن من قبل الحبشة (السيرة ١ : ٦٦) .

(٢٠ — ٢١) ما زائدة . حسرى مؤنث حسران ، وهو الذى يتحسر ويتندم على أمر فاته . الحم أبو الزوج ، وهو غير مفهوم فى هذا الوضع ، فلعله مقلوب من حام ، اسم فاعل من حمى القوم أى دافع عنهم . صبحه سقاه الصبوح (بفتح الصاد) وهو خمر الصباح . المشعشعة الخمر المزوجة بالماء . يتهكم بهم ، فهم لم يسقوهم خمرا ، ولكنهم سقوهم الموت والدم . مصبها أى انصبابها ، مصدر ميمى . رذمت الناقة (كعلم) رذما (بالتحريك) دفعت بلبنها .

(٢٢ — ٢٣) صبح القوم أغار عليهم صباحا . النشاب السهام لأنها تنشب فى المصاب أى تلزمه وتعلق به . كفت سريع ، فعلها كفت (كضرب) . الأدم البشرة جمعها أدم (بالضم) . تعقعها كان له صوت حين أصابها . العلم الراية ، يقصد راية الفرس . تواردوا جاءوا الواحد بعد الآخر .

(٢٤ — ٢٥) البيض جمع بيضة ، وهى غطاء للرأس يلبسه المقاتل . حبيك محبوك النسج وثيق . ثلموهم كسروهم وحطموهم . مرى الناقة مسح ضرعها لتدر .

(٢٦ — ٢٨) الروع (بفتح الراء) الفزع ، ويجىء بمعنى الحرب . جلا السيف والمرآة صقلهما . وجلا الأمر كشفه . وفاعل (جلا) كتائب ، فى البيت التالى ، جمع كتيبة . درع زغف (بفتح فسكون) ، ودروع زغف كذلك ، واسعة محكمة . نظم الشىء ألفه ونسقه . أنف أباة . الغنم (بالتحريك) الفوز والغنيمة .

(٥٧)

يقول الطبرى (١ : ٦١٣) ان اللهازم – وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة – غضبوا حين خص الاعشى والاصم بنى شيبان بالمدح فى يوم ذى قار . ولامهما فى ذلك شاعر من بنى قيس اسمه أبو كلبة . فقال الاعشى هذين البيتين ، يعتذر عما كان من اهماله بقية فروع بكر الأخرى فى شعره .

---

١ – متى تقرن (الأَصم) بـ(الأَعشى) يتماديا فى الضلال والخسران .

٢ – فليس (الأَعشى) بمبصر ما يرى (الأَصم) ، وليس (الأَصم) بسامع ما يقول (الأَعشى)

(٥٨)

الأعشى فيما يبدو يتجه بهذه الابيات الى بعض أبناء عمومته ، ـ ولعلهم سعد وتيم (الحرقتان) كما يبدو من مقارنة البيت (٣) هنا بالبيت (١١) من القصيدة (٦٩) – وكانوا يوالون قومه بالأذى ويتحرشون بهم . وهو هنا يناشدهم القرابة الا يبعثوا الحرب بين الحيين . فيقول :

---

١ – يا أَبناءَ العم ! لا تبعثوا الحرب بيننا ، بَغِيضَةً كأَرواث الإِبل الراعية حين تُرَدُّ على الحى ، واجنحوا للسلم .

٢ – وعاملونا بمثل ما كنا نعاملكم ، وراعوا عهدنا كما رعينا عهد بنى (رُهْم) .

٣ – فحفظنا نساءَ أَبناءِ عمومتنا الباكيات . وأَنتم الذين حثثتمونا على محالفة (بَنى غَنم)

٤ – فلا تبعثوا بيننا الشر ، فتكونوا كالذى يكسر رمحه فى صدره ، فلا يظلم إلا نفسه ، فإِثارة الحرب بين الأَقربين ظلم مبين .

(٥٩)

يبدو أن بنى قيس بن ثعلبة (قوم الأعشى) وابناء عمومتهم (ذهل بن ثعلبة) ، كانوا قد أجاروا قوما ، فانتهك (بنو حنيفة) جوارهم ، وقتلوا احد جيرانهم ، زاعمين أن جوار قيس وذهل لا يلزمهم ، وانهم اقل من أن يجيروا عليهم .

---

١ – إن لَقِيتَ (بنى قيس) و (بنى ذُهْل) ، فسَلْهم : هل فيكم من عيب يعيِّركم به معيِّر ؟

٢ – زعمت (حنيفة) أَنكم لا تجيرون عليها ، وأَن دماءَ من تجيرون حِلٌّ لهم ، فسيعلمون أَنكم من القوة بحيث تُجِيرون .

٣ – كذبوا وبيتِ الله . لا ينتهكون جواركم حتى توازى صغارُ الكُثْبَان شامِخَ الجبال .

٤ – وحتى تلتهم نارُ الحرب الصغيرَ والكبير ، فتبيد كل شئ ، لها دخان وسعير .

٥ – ومن أَنتم يا بنى حَنيفة حتى تزعموا ما تزعمون ؟ هل كنتم إلا أَرْجُلًا وأَحشاء ، تدفع عنكم مَنَاكِبُ وصُدُور ؟

٦ – إِنكَ إِن أَذعنت لهم اليومَ يا (أَثَالُ) ، كان ذلَّ الدهر ، ولم تزل مغلوبًا تطؤك الأَقدام .

(٥٧)

وقال يعتذر من مدحه شَيْبَان :

١ ـ مَتَى تَقْرِنْ أَصَمَّ بِحَبْلِ أَعْشَى ... يَلَجَّا فِى الضَّلاَلَةِ وَٱلْخَسَارِ (وافر)
٢ ـ فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئًا يَرَاهُ ... وَلَيْسَ بِسَامِعٍ مِنِّى حِوَارِى

(٥٨)

وقال :

١ ـ بَنِى عَمِّنَا لاَتَبْعَثُوا ٱلْحَرْبَ بَيْنَنَا ... كَرَدِّ رَجِيعِ الرَّفْضِ وَٱرْمُوا إِلَى السِّلْمِ (طويل)
٢ ـ وَكُونُوا كَمَا كُنَّا نَكُونُ وَحَافِظُوا ... عَلَيْنَا كَمَا كُنَّا نُحَافِظُ عَنْ رُهْمِ
٣ ـ نِسَاءِ مَوَالِينَا ٱلْبَوَاكِى وَأَنْتُمُ ... مَدَدْتُمْ بِأَيْدِينَا حِلاَفَ بَنِى غَنْمِ
٤ ـ فَلاَتَكْسِرُوا أَرْمَاحَكُمْ فِى صُدُورِكُمْ ... فَتَغْشِمَكُمْ إِنَّ الرِّمَاحَ مِنَ ٱلْغَشْمِ

(٥٩)

وقال :

١ ـ أَبْلِغْ بَنِى قَيْسٍ إِذَا لاَ قَيْتَهُمْ ... وَٱلْحَىَّ ذُهْلاً هَلْ بِكُمْ تَغْيِيرُ (كامل)
٢ ـ زَعَمَتْ حَنِيفَةُ لاَ تُجِيرُ عَلَيْهِمُ ... بِدِمَائِهِمْ وَأَظُنُّهَا سَتُجِيرُ
٣ ـ كَذَبُوا وَبَيْتِ اللهِ يُفْعَلُ ذٰلِكُمْ ... حَتَّى يُوَازِىَ حَزْرَمًا كِنْدِيرُ
٤ ـ أَوْ أَنْ يَرَوْا جَبَّارَهَا وَأَشَاءَهَا ... يَعْلُو دُخَانٌ فَوْقَهَا وَسَعِيرُ
٥ ـ هَلْ كُنْتُمُ إِلَّا دَوَارِجَ حُشْوَةً ... دَفَعَتْ كَوَاهِلُ عَنْكُمُ وَصُدُور
٦ ـ أَأُثَالُ إِنَّكَ إِنْ تُطِعْ فِى هٰذِهِ ... تُصْبِحْ وَأَنْتَ مُوطَّؤٌ مَكْثُور

---

(٥٧)

(١ — ٢) أصم بنى شيبان شاعر جاهلى . أعشى يقصد نفسه ، والعشى سوء البصر . لج فى الخصومة (كفتح وضرب) تمادى .

(٥٨)

(١ — ٢) الرجيع المردود الى صاحبه ، وهو كذلك أرواث البهائم وأقذارها. الرفض (بفتح فسكون) الابل الراعية وحدها والراعى ينظر اليها . ارموا اى ارمأوا ، حذفت الهمزة تخفيفا ، من ارمأ اليه اى دنا . رهم اسم حى لا ورهم بنت العباب (بفتح العين وتشديد الباء) امراة من بنى عجل بن لجيم بن بكر ، وهى أم الأسود بن يعفر النهشلى الشاعر الجاهلى .

(٣ — ٤) نساء بدل من (رهم) ، المولى الجار والحليف وابن العم . حلاف مصدر حالف اى عاهد . غنم (بفتح فسكون) هو غنم بن تغلب بن وائل .

(٥٩)

(١ — ٢) بنو قيس هو بنو قيس بن ثعلبة بن بكر رهط الأعشى . ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن بكر . حنيفة بن بكر ، منهم هوذة بن على الذى كان يمدحه الأعشى . لا تجير عليهم ، الضمير . فى (تجير) يعود على ذهل ، والجوار ان تعطى الرجل اللاجىء اليك عهدا فيكون به جارك . فاذا كان المجير قويا احترم الناس جواره ولم يمسوا جاره بسوء ، وان كان المجير ضعيفا لم يعبأ الناس بجواره وآذوا جاره .

(٣ — ٤) حزرم جبل . الكندرة (مثل قنطرة) ما غلظ من الأرض وارتفع ، والكندير الغليظ . الجبار النخل الطويل . الأشاء صغار النخل .

دوارج الدابة قوائمها . الحشوة الأحشاء ، والجزار يأخذ الكوارع (الارجل) والحشوة لتفاهتها . الكواهل جمع كاهل ، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق ، ما بين الكتفين . يقول لبنى حنيفة انكم ضعفاء ، وانما يحميكم ابناء عمومتكم الاقوياء . أثال اسم رجل . موطء (بصيغة المبالغة) من الوطء ، ووطئه داسه . مكثور مغلوب ، كاثره فكثره اى غلبه فى الكثرة .

(٦٠)

هذه القطعة هى بعض شعر الأعشى الذى يتصل بالخصومات الضيقة فى داخل البيوتات الصغيرة . فبنو عباد بن ضبيعة وبنو مالك بن ضبيعة الذين يشير اليهم الأعشى فى هذا الشعر ، هم اخوة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى . ولذلك فهو هنا أقرب الى العتاب اللين الرفيق .
والبيت (٤) من هذه القطعة لا يمت للقصيدة بسبب ، ومن المرجح أن يكون من خلط الرواة . وقد ذهب قوم الى أن القطعة كلهـا لابن داب (١) ولكن ثعلبا رواها عن أبى عبيدة .
وستجىء هذه القطعة مكررة ، مع بعض الزيادة والنقص ، فى القطعة (٧٢) من الديوان :
القطعة (٦٠) : الأبيات : ٠ ، ٠ ، ٠ ، ٠ ، ١ — ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ — ٩ .
القطعة (٧٢) : الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ — ٧ ، ٠ ، ٠ ، ١١ ، ٠ ، ٨ — ١٠ .

يقول الأعشى :

١ — فيم الخصام يا أخوينا من (عِبَاد) و (مالك) ؟ ألم تعلموا أن كل ما على الأرض إلى الزوال والفناء ؟

٢ — وأننا أخوكم . وأننا حين تَعْرِض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالها الحديد ، وتثير فى نفوسكم القلق .

٣ — نقيم لها سُوقَ الحرب غير هيابين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزومًا مدحوًا .

٤ — إن (مَعَدًّا) لن تذهب بما فعلت ، وإن (إيادا) قد تجاوزت قَدْرها .

٥ — أفى كل عام لكم منا قتيل تقتلونه ، وبيت من ورائه تخربونه ، فبَيْضةٌ تُفْقَأُ ، وبيضة أخرى تُتْرَكُ وحيدًا قد ذهبت عنها أُختها ؟

٦ — فلو أن إسرافكم فى دمائنا لَدَى بِئر ، لقد امتلأت بالدماء ، وحق لها أن تمتلئ وتفيض

٧ — وكم من مُلِمَّة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، قد فككنا عنكم قيودها .

٨ — وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها .

٩ — آويناها ثم لم نمنُنْ عليها فضلنا ، فأصبحت رَخِيَّة البال ، وقد دفعنا عنها الكرب والهزال .

(٦١)

تقدم البيتان (٢ ، ٣) من هذه الأبيات . فى القطعة (٥١) فلتراجع هناك .

١ — أفدى الفوارس الذين قاتلوا بنى (عَوْف) فى الغابة الملتفة الأشجار بإخوتى وبناتى .

٢ — يكر عليهم (ابن جحدر) بفرسه ، ويخوض (مطر) القتال ، غير معتذِرٍ ولا جَفَّال .

٣ — فهم بين مهزومين قد فروا لوجههم ، وقتلى قد انتفخت بطونهم . ووَرِمت منهم الكَمَرَات .

---

(١) هو أبو وليد عيسى بن يزيد بن داب الليثى (من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة) توفى سنة ١٧١ هـ فى أول خلافة الرشيد ، وكان يسكن المدينة ويفد على بغداد ، وقد نال حظوة عند الهادى . وكان من أحفظ الناس للأنساب والأخبار والأشعار ، ولكنه كان متهما بوضع الشعر واختلاق القصص ، وكان هو نفسه جيد الشعر . وترجمته فى معجم الأدباء لياقوت .

(٦٠) وقال فيما كان بينه وبين بَنِي عِبَاد وَمَالِك ابْنَىْ ضُبَيْعَة :

١ ـ فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ عِبَادٍ وَمَالِكٍ ‏ ‏ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنْ كُلُّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا (طويل)
٢ ـ وَتَسْتَيْقِنُوا أَنَّا أَخُوكُمْ وَأَنَّنَا ‏ ‏ إِذَا سَنَحَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا
٣ ـ نُقِيمُ لَهَا سُوقَ ٱلْجِلَادِ وَنَغْتَلِي ‏ ‏ بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا
٤ ـ وَإِنَّ مَعَدًّا لَنْ تُجَازَ بِفِعْلِهَا ‏ ‏ وَإِنْ إِيَادًا لَمْ تُقَدِّرْ مِثَالَهَا
٥ ـ أَفِى كُلِّ عَامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَؤُونَهَا ‏ ‏ فَتُؤْذَى وَتَبْقَى بَيْضَةٌ لا أَخَالَهَا
٦ ـ وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْرَفْتُمُ فِى دِمَائِنَا ‏ ‏ لَدَى قَرَبٍ قَدْ وُكِّرَتْ وَأَنَى لَهَا
٧ ـ وَكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ مُلِمَّةٍ ‏ ‏ وَكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا
٨ ـ وَأَرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا ‏ ‏ وَإِيَّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا
٩ ـ هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ‏ ‏ رَخِيَّةَ بَالٍ قَدْ أَزَحْنَا هُزَالَهَا

(٦١) وقال يمدح شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ ٱلْجَحْدَرِيَّ وَمَطَرَ بْنَ شَرِيك الشَّيْبَانِيّ :

١ ـ فِدَاءٌ لِقَوْمٍ قَاتَلُوا بِخَفِيَّةٍ ‏ ‏ فَوَارِسَ عَوْصٍ إِخْوَتِى وَبَنَاتِى (طويل)
٢ ـ يَكُرُّ عَلَيْهِم بِالسَّحِيلِ ٱبْنُ جَحْدَرٍ ‏ ‏ وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِى عَذَرَاتِ
٣ ـ سَيَذْهَبُ أَقْوَامٌ كِرَامٌ لِوَجْهِهِمْ ‏ ‏ وَتُتْرَكُ قَتْلَى وُرَّمُ ٱلْكَمَرَاتِ

(١ ـ ٣) فوقها أى الارض . سنحت عرضت . الشهباء الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ، سميت بذلك لبريق أسلحتها . الفأل التيمن والتطير . لا فأل عليك اى لا ضير . الجلاد مصدر جالد اى قاتل . نغتلى نسرع . الخال لواء الجيش . نوجهه نسوقه .

(٤ ـ ٦) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . تجاز من اجازه اى أعطاه الاجازة والاذن . اياد قبيلة يعدها معظم النسابين من ولد نزار . المثال المقدار ، اى انها تجاوزت الحد ولم تعرف قدر نفسها . وهذا البيت (٤) شاذ لا موضع له من القصيدة . بيضة تفقؤونها ، هذا مثل ضربه لعدوانهم . القرب البئر القريبة الماء . وكر الاناء (كضرب) ملاه . انى لهـا اى حل وقت امتلائها وأوانه .

(٧ ـ ٩) كائن دفعنا كم من مرة . الملمة المصيبة لانها تلم بالناس اى تنزل بهم . كربة موت اى كربة تبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير فى وسط ذراعه حين يبرك فيمنعه من النهوض والحركة . شعث جمع أشعث . اى أبناء صغار قد تلبد شعرهم واغبر لعدم العناية بهم . نعامة ربداء ، كلون الرماد . حثت ساقت . رئال جمع رأل (بفتح فسكون) وهو فرخ النعامة . هناه (كضرب ونصر) اطعمه واعطاه وسره . المن أن تذكر الذى انعمت عليه بنعمتك وتعيره بها . أزحنا دفعنا وكشفنا . هزالها ضعفها ونحولها .

(٦١)

(١ ـ ٣) الخفية الغيضة الملتفة الاشجار ، والخفى الجن ، وبه خفية اى مس من الجنون . عوص بن ارم بن سام ابو عاد البائدة . ولعلها (فوارس عوف) وهم عوف بن عبد مناة بن اد بن طابخة . السحيل اسم فرس . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر بن شريك الشيبانى . ليس بذى عذرات اى لا يلتمس المعاذير لتجنب القتال . الكمرة رأس الذكر . أى يقتلون فتنتفخ بطونهم ويتورم هذا الموضع من اجسامهم .

هذه القصيدة من الشعر الذى يتصل بالمسائل القبلية الضيقة . وقصة هذه القصيدة أن رجالا من (بكر) كانوا قد خرجوا غازين ، يتزعمهم (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) . فاعترضت طريقهم (الرباب) و (بنو أسد) ، فسألهم عبد عمرو أن يدعوه وشأنه ، وأخبرهم انه لم يقصد لقتالهم ، فأبوا فقاتلهم . وكان مع الرباب رجل اسمه يزيد بن القحادية (منسوب الى قحادة) ، أحد فرسان العرب من تميم) ، وهو الذى يكنيه الأعشى فى هذا الشعر بأبى شريح ، وكانت معه زوجته واسمها حنقط . ويبدو من الشعر ان هذا الرجل كان من المحرضين على القتال، وقد قتل فى ذلك اليوم .

ويرى ابوعبيدة أن فى هذه القصيدة خلطا بين شعر الأعشى وشعر نابغة بنى شيبان (١) . ولعله يقصد بذلك الجزء الأخير من القصيدة ، الذى يفتخر فيه الشاعر بيوم ذى قار (من ١٧ ـ ٢،٥) . فقد أطال الشاعر فيه وفصل ، حتى أوشك أن يكون هو الغرض الذى قصد اليه فى شعره . على أن الحديث قد بتر فى هذا الجزء بترا ، ولم ينته الى خاتمة يطيب عندها الوقوف .

يبدأ الأَعشى قصيدته متحدثا عن صاحبته (هُرَيْرَة) فيقول :

(١ ـ٣) كان لك معها حديث توصيها فيه بأَشياء ، وكانت لك عندها حاجات تقنع منها بأَقل القليل ، لو أَن صحبك قد وقفوا ، حين ناديتهم تسأَلهم الوقوف على ديار (هُرَيرة) ، إذ قامت تشير إلينا مودعة ، وقد حال من دونها ما أحدق بالحى من التلال .

أَحْبِبْ بها من صاحبة ، لو أَنها أَقامت فلم ترحل إلى ذلك المكان النائى السحيق ، ولكن الفراق لا يُبْقِى على حبيب .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى بعض ماكان أبوهم قد أَوصاهم به قبل أن يموت ، فى أَربعة أَبيات مهلهلة النسج ، إذا استثنينا منها البيت الأَخير ، فيقول :

(٤ ـ٨) كان أبونا العزيز قد قال لنا : أَوصيكم قبل أَن أموت بثلاث : أَكرموا الضيف ، فإن له علىَّ حقًّا أَعطيه مقرًّا به . واحفظوا الجار ، فإنه راحل عنكم فى يوم من الأَيام . واستبسلوا فى القتال ، حين يعض الجبان بيديه على أَعراف الخيل خشية السقوط ، فالموت فى ساحة القتال شرف عظيم .

ولا يكاد الشاعر يصل إلى هذه الوصية الأَخيرة ، حتى يتخذها سلمًا لما هو بسبيله من وصف قومه بالاستبسال فى القتال ، فيتجه إلى (الرباب) و (بنى أسد) قائلا :

(٩ ـ١٠) إن (الرِّباب) وحيًّا من (بنى أَسد) ـ وهم بين متحير لايدرى كيف يصنع ، ومتسرع قد انفلت يتقدم القوم مستعجلا القتال ـ قد صادفوا سيدنا فى عصبة من رجالنا . وكان كل من الفريقين يبحث عن مالٍ يقتنيه ، أَومَغْنَم يصيبه ويحتويه .

(١١ـ١٢) سأَلناهم المهادنة ، فأَبوا مستكبرين ، وقالوا لا نصالحكم أَبدا ، وهل أَنتم إلا أَهلُ نخيل ، وحَمَّالو تَمْر فوق العِير ؟ وإنى أُقسم ببيت الله ، ما كانت إبلنا تضطرب حين تضطرب ، إلا محملة بالدروع والسلاح .

---

(١) النابغة الشيبانى هو عبدالله بن المخارق ، شاعر أموى من الأعراب (من بنى ذهل بن شيبان بن ثعلبة) كان يفد الى الشام لمدح الخلفاء ، وكان نصرانيا . (الأغانى ج ٧ ص ١٠٦ ـ ١١٢) .

وقال :

١ - كَانَتْ وَصَاةٌ وَحَاجَاتٌ لَنَا كَفَفٌ ... لَوْ أَنَّ صَحْبَكَ إِذْ نَادَيْتَهُمْ وَقَفُوا (بسيط.)
٢ - عَلَى هُرَيْرَةَ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنَا ... وَقَدْ أَتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفُ
٣ - أَحْبِبْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ ... وَقَدْ تُزِيلُ ٱلْحَبِيبَ النِّيَّةُ ٱلْقَذَفُ
٤ - إِنَّ ٱلْأَعَزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا ... أُوصِيكُمُ بِثَلَاثٍ إِنَّنِي تَلِفُ
٥ - الضَّيْفَ أُوصِيكُمُ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ ... حَقًّا عَلَيَّ فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ
٦ - وَٱلْجَارَ أُوصِيكُمُ بِٱلْجَارِ إِنَّ لَهُ ... يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ
٧ - وَقَاتِلُوا ٱلْقَوْمَ إِنَّ ٱلْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ ... إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ ٱلْمُعْصِمِ ٱلْعُرُفُ
٨ - بَلْ لَسْتُ وَجْ . . . .
٩ - إِنَّ الرِّبَابَ وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... مِنْهُمْ بَقِيرٌ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلَفُ
١٠ - قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا ... كُلٌّ يُؤَمِّلُ قُنْيَانًا وَيَطَّرِفُ
١١ - قُلْنَا الصِّلَاحَ فَقَالُوا لَا نُصَالِحُكُمْ ... أَهْلُ النُّبُوكِ وَعِيرٌ فَوْقَهَا ٱلْخَصَفُ
١٢ - لَسْنَا بِعِيرٍ وَبَيْتِ اللهِ مَائِرَةٍ ... إِلَّا عَلَيْهَا دُرُوعُ ٱلْقَوْمِ وَالزَّغَفُ

(١ — ٣) الكفف من الرزق ما كف عن الناس واغنى عن السؤال . أى أنه لم يكن يطلب الا القدر الضرورى لاطفاء لاعج الشوق . على متعلق بـ (وقفوا) فى البيت السابق . إطار الشىء كل ما أحاط به . الشرف ما ارتفع من الأرض . الخلة (بضم الخاء) الخليلة والصاحبة . النية الوجه الذى ينويه المسافر . القذف البعيدة .

(٤ — ٨) تلف من التلف ، أى ميت . اعترف أقر بحقه على . المعصم (بصيغة اسم الفاعل) الذى يخاف أن يسقط عن دابته فيمسك بعرفها ، وعرف الفرس شعر ناصيته .

(٩ — ١٠) الرباب (بكسر الراء) هم بنو تيم وعدى وعوف وعكل (بضم فسكون) وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة . ومن النسابين من يضيف اليهم ضبة . سموا بذلك لأنهم غمسوا أيديهم فى الرب (بضم الراء) حين تحالفوا (والرب ما يطبخ من التمر) . أسد ابن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج الرسول وبشر بن ابى خازم والكميت بن زيد . البقير من بقر (كعلم) أى حسر وتحير فلا يكاد يبصر من دهشته . سرب الرجل (كنصر) ذهب على وجهه ومضى . سلف (كنصر) تقدم ومضى ، والسلاف (بضم السين وتشديد اللام) مقدمة العسكر . قنيانا أى مالا يقتنيه . يطرف الشىء يصيبه فيصبح طريفا عنده اى حديثا ، على وزن يفتعل من الطرافة .

(١١ — ١٢) الصلاح الوفاق ضد الخصام (مصدر صالح) . النبوك جمع نبكة (بالتحريك) وهى التل الصغير ، وقيل النبوك نخل بالبحرين . العير (بكسر العين) الابل . الخصف (بالتحريك) جمع خصفة ، وهى جلة للتمر تصنع من الخوص . مار الشىء تردد واضطرب ، ومارت الابل ترددت قوائمها فى جنبها جيئة وذهابا . الدرع ثوب ينسج من الحلق ويلبسه المقاتل . درع زغيف واسعة طويلة ، والجمع زغف (بفتحتين) .

(١٣–١٤) وحسَرنا حين التقينا عن رءُوسنا ، ليعلموا أننا (بَكْر) ، لعل ذلك يثنيهم فينصرفوا . فلما استحرَّ فيهم القتل وحصدتهم السيوف ، قالوا : أبقوا علينا واحفظونا . ألا لا بقية إلا النار . فانصرَفُوا يولون الأَدبار .

(١٥–١٦) ألم يكن يسر (حِنْقِط) أن يصالح زوجُها (أبو شُرَيْح) القومَ ، وقد علم أنه ليس له ولد يقوم مقامه إن مات ؟ فها هى ذى جارتها الحسناءُ ، قد عاد إليها عائلها يهرول وقد استخفه الفرح ، ولم يعد إليها هى إلا الثكل والخراب .

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن (ذى قار) فيختم قصيدته مفتخرًا بانتصار قومه فى ذلك اليوم ، فيقول :

(١٧–٢٠) نحن أصحاب يوم (الحِنْو) ، إذ صبَّحت كتائبُنا جنودَ كِسْرَى ، تسوق إليهم الموت ، حتى ولوا هاربين . سادةٌ من أبناء الملوك والأَشراف ، قد علقوا فى آذانهم اللآلئ . إذا أمالوا أيديهم إلى النُّشَّاب ، ملنا إلى السيوف فظلت تتخطف الرءُوس . ولم تزل خيل بكر تطحنهم حتى ولوا الأَدبار وقد انتصف النهار .

(٢١) فلو أن هذا الشرف الكبير قد قُسِّم على قبائل (مَعْدّ) جميعًا لظفر كل رجل منه بمقدار .

(٢٢–٢٥) أقبلوا بجيوشهم الكثيفة ، كأَنهم الليل ، يزحف فيسد آفاق الأَرض ، ويغشِّيها بالظلام . ووقف نساؤنا من خلفنا ، ينظرن بعيون كُحْل سود ، وقد اضطربت أكبادهن إشفاقًا من هول ما يرين . وَحَسَرْنَ عن خدود جرت عليها الدموع ، وغيرها الحزن فَعَلَتها غُبْرَةٌ مظلمة . وقد كن مشرقات تتلألأُ وجوههن ، كالمرجانة أخرجها الغواص من أعماق البحر ، وقد صانتها الأَصداف .

١٣ ـ لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا ... لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا

١٤ ـ قَالُوا ٱلْبَقِيَّةَ وَٱلْهِنْدِيُّ يَحْصُدُهُمْ ... وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا ٱلنَّارُ فَٱنْكَشَفُوا

١٥ ـ هَلْ سَرَّ حِنْقِطَ أَنَّ ٱلْقَوْمَ صَالَحَهُمْ ... أَبُو شُرَيْحٍ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ خَلَفُ

١٦ ـ قَدْ آبَ جَارَتَهَا ٱلْحَسْنَاءَ قَيِّمُهَا ... رَكْضًا وَآبَ إِلَيْهَا ٱلثُّكْلُ وَٱلتَّلَفُ

١٧ ـ وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ ٱلْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ ... مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي ٱلْمَوْتَ فَٱنْصَرَفُوا

١٨ ـ جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ ... مِنَ ٱلْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا ٱلنُّطَفُ

١٩ ـ إِذَا أَمَالُوا إِلَى ٱلنُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ ... مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ ٱلْهَامُ يُخْتَطَفُ

٢٠ ـ وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ... حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ ٱلْيَوْمُ يَنْتَصِفُ

٢١ ـ لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ ٱلشَّرَفُ

٢٢ ـ لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ ٱللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ ... مُطَبِّقَ ٱلْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ

٢٣ ـ وَظُعْنُنَا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا ... أَكْبَادُهَا وُجُفٌ مِمَّا تَرَى تَجِفُ

٢٤ ـ حَوَاسِرٌ عَنْ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبَرًا ... وَلَاحَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسُفُ

٢٥ ـ مِنْ كُلِّ مَرْجَانَةٍ فِي ٱلْبَحْرِ أَخْرَجَهَا ... غَوَّاصُهَا وَوَقَاهَا طِينَهَا ٱلصَّدَفُ

(١٣ — ١٥) قالوا البقية ، من أبقيت عليه واستبقيته اذا راعيته ورحمته ولم أبالغ فى افساده . انكشفوا زالوا عن مواضعهم ، حنقط زوجة رجل من بنى جعفر بن ثعلبة كان يقاتل مع الرباب ، اسمه يزيد بن القحادية ، منسوب الى قحادة أحد فرسان العرب من بنى تميم . أبو شريح هو زوجها يزيد هذا . الخلف الولد الصالح .

(١٦ — ١٨) قيمها زوجها الذى يقوم بشؤونها وبعولها . الحنو منعرج الوادى ، ويوم الحنو هو يوم ذى قار ، وقد مضى الحديث عنه فى القصيدة (٣٤) . صبحهم غزاهم صباحا . زجا الشىء (كنصر) وأزجاه ساقه ودفعه . الجحجح والجحجاح (كلها بالفتح) السيد المسارع الى المكارم ، وكذلك الغطريف (بكسر الغين) . النطفة لؤلؤة تعلقها الأعاجم فى الأذن .

(١٩ — ٢١) النشاب السهام . البيض السيوف . الهام جمع هامة وهى الرأس . انتصف النهار بلغ النصف وقت الظهر . معد بن عدنان هو جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعا .

(٢٢ — ٢٣) قدمه (كنصر) سبقه وتقدمه . طبق السحاب الجو ، وطبق الماء وجه الأرض ، غطاه . يغشاها الضمير راجع على الأرض ، لهم الضمير يرجع على الفرس . السدف (بالفتح) والسدفة (بضم فسكون) الظلمة . ظعن جمع ظعينة وهى الزوجة . كحل جمع أكحل وكحلاء وهو الذى يحيط عينيه سواد كأنه الكحل . المدامع جمع مدمع (اسم مكان من دمع) وهى العين . وجف القلب يجف خفق ، فهو واجف ، والجمع وجف (بضمتين) .

(٢٤ — ٢٥) حسر النقاب واللثام أزاحه . عبر (كعنب) جمع عبرة (بفتح العين) وهى الدمعة . لاحها غيرها وسفع وجهها . الغبرة (بضم الغين وفتحها) لون الغبار كسف (بضمتين) صفة (حواسر) فى أول البيت ، جمع كاسف وهو المهموم الذى تغير لونه وهول من الحزن . من كل مرجانة يشبههن فى حمرة وجوههن ونضرتها بالمرجان حال خروجه من البحر قبل أن يتمخ ويظلم .

١٢ - قد لعبنا فى ذلك الشباب الزائل حينا من الزمان ، ولهونا بين المرابع والمصايف .
١٣ - وصحبنا ملوكا كراماً من (آل جفْنَة) فى (الشام) ، بلاد الخصب والخضرة والأشجار .
١٤ - وصحبتُ (بنى المنذِر) البيض الوجوه فى (الحِيرة) ، لهم رونق إذ يمضون فى الغَدَاة كأنهم السيوف .
١٥ - وصحبت (جُلُنْدَاءَ) فى (عُمَان) ، و (قَيْسًا) فى (حَضْرَمَوت) ذى القصور الشامخة البنيان .

ويمضى الشاعر فى أحلامه ، ممثلا مجالس الخمر عند قيس .

١٦ - جالسًا يحيط به الندماءُ ، تجرى بينهم الكؤوس ملأى فارغة .
١٧ - وتصدح المغنية إذ يهيِّجها الشاربون ، ويصفو صوتها متدرجًا فى الصعود ، حين تضرب على أوتار العود .

وينقطع سلك الخيال ، ويستيقظ الشاعر من الأحلام ، فإذا هو فى ضعفه وشيخوخته ، فيقول : ما أعجب الأيام !

١٨ - بينما المرءُ كالرمح ذى السِّنان الماضى قوَّمه مُثَقِّفُه .
١٩ - أو إناءِ الذهب صاغه الصائغ ، وأعمل فيه أدواته حتى خفيت منه مواضع اللِّحام .
٢٠ - إذا بدهره المضلَّل المأفون ينقله من حال إلى حال ، وإذا هو من بعد المشى يهْدج فى خَطْو متقارب قصير .

ولكن الشاعر لا يطيق الوقوف طويلا عند هذه الحقيقة المؤلمة . فيغمض عينيه ليعاود ما كان فيه من أحلام ، وليتصور نفسه فوق ناقته ، يطوى الصحارى والقفار ، هاربًا من صورة الشيخوخة القصيرة الخطو ، التى لا يكاد يستقيم لها المشى إلا دبيبًا .

٢١ - كم من ناقة سريعة بيضاءَ ، تراها من بعد الكَلال موفورة النشاط ، يَرْجُفُ فوقها الرحْل ويضطرب .
٢٢ - مضيت بها أستنزف قواها على بُعد الطريق ، تجتاز الموضع المخيف .
٢٣ - ولقد أحمل أهلى على حزم أمرهم ، أرمى بهم الغرض النائى والمقصد البعيد .
٢٤ - فوق جمل شجاع القلب ، يحتفر الظلماءَ مخترقا حجب الليل الكثيفة ، ماضيًا لا يهاب .
٢٥ - لا يبالى أن يركب وراءَ صاحبه رَدِيفٌ ويمضى الليلَ كلَّه خالى الجوف ، لا يدير فكيه ليجتر ، إلا ما يُسْمَع لأنيابه من صرير .

١٣ ـ وَصَحِبْنَا مِنْ آلِ جَفْنَةَ أَمْلَا كًا كِرَامًا بِالشَّامِ ذَاتِ الرَّفِيفِ
١٤ ـ وَبَنِي الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبِ بِالْحِيـ رَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كَالسُّيُوفِ
١٥ ـ وَجُلُنْدَاءَ فِي عُمَانَ مُقِيمًا ثُمَّ قَيْسًا فِي حَضْرَمَوْتَ الْمُنِيفِ
١٦ ـ قَاعِدًا حَوْلَهُ النَّدَامَى فَمَا يَنْـ فَكُّ يُؤْتَى بِمُوكَرٍ مَجْدُوفِ
١٧ ـ وَصَدُوحٍ إِذَا يُهَيِّجُهَا الشَّرْ بُ تَرَقَّتْ فِي مِزْهَرٍ مَنْدُوفِ
١٨ ـ بَيْنَمَا الْمَرْءُ كَالرُّدَيْنِيِّ ذِي الْجُبَّـ ةِ سَوَّاهُ مُصْلِحُ التَّثْقِيفِ
١٩ ـ أَوْ إِنَاءِ النُّضَارِ لَاحَمَهُ الْقَيـ نُ وَدَارَى صُدُوعَهُ بِالْكَتِيفِ
٢٠ ـ رَدَّهُ دَهْرُهُ الْمُضَلَّلُ حَتَّى عَادَ مِنْ بَعْدِ مَشْيِهِ لِلدَّلِيفِ
٢١ ـ وَعَسِيرٍ مِنَ النَّوَاعِجِ أَدْمَا ءَ مَرُوحٍ بَعْدَ الْكَلَالِ رَجُوفِ
٢٢ ـ قَدْ تَعَالَلْتُهَا عَلَى نَكَظِ الْمَيْـ طِ فَتَأْتِي عَلَى الْمَكَانِ الْمَخُوفِ
٢٣ ـ وَلَقَدْ أَحْزِمُ اللُّبَانَةَ أَهْلِي وَأُعَدِّيهِمُ لِأَمْرٍ قَذِيفِ
٢٤ ـ بِشُجَاعِ الْجَنَانِ يَحْتَفِرُ الظَّلْـ مَاءَ مَاضٍ عَلَى الْبِلَادِ خَشُوفِ
٢٥ ـ مُسْتَقِلٍّ بِالرِّدْفِ مَا يَجْعَلُ الْجِـ رَّةَ بَعْدَ الْإِدْلَاجِ غَيْرَ الصَّرِيفِ

(١٢ ـ ١٥) آل جفنة ملوك الشام فى الجاهلية . وقد مدحهم الأعشى بالقصيدة(٣١) . الرفيف الخصب ، والرطب الندى من الأشجار ، وقيل انها سفن منضدة كانوا يعبرون عليها . بنو المنذر ملوك العراق فى الجاهلية ، ليس فى هذا الديوان شعر فى مدحهم . الاشهب الابيض . الغدوة والغداة من الفجر الى طلوع الشمس ، ويقصد به صدر النهار . كالسيوف رونقا ومضاء . جلنداء صاحب عمان من الأزد . المنيف المشرف المرتفع .

(١٦ ـ ١٨) موكر مملوء ، وكر الاناء (كضرب) ملأه . مجدوف مقطوع ، فعله جذف (كضرب) . صدوح مغنية تصدح ، أى ترفع صوتها بالغناء . ترقت تصعدت فى الغناء . المزهر العود . الندف الضرب على الأوتار . الردينى الرمح ، منسوب الى امرأة كانت تصلح الرماح . الجبة حديدة السنان التى يدخل فيها الرمح . تثقيف الرماح تسويتها واصلاح سنانها وتحديدها .

(١٩ ـ ٢١) النضار الذهب . القين الحداد ، ويطلق على كل صانع . صدوع جمع صدع (بفتح فسكون) وهو الشق . الكتيف الضبة ، وهى من أدوات الحدادة والصياغة . رده حوله من حال الى حال . دلف الشيخ والمقيد مشى فى خطو متقارب قصير . العسير الناقة التى ترفع ذنبها فى عدوها . الناعجة السريعة التى تدرك نعاج الوحش لسرعتها . أدماء بيضاء . المرح النشاط . رجوف يهتز الرحل فوقها لنشاطها .

(٢٢ ـ ٢٣) تعاللتها استنزفت نشاطها وطاقتها ، وهو من العلل أى الشرب للمرة الثانية بعد المرة الاولى . النكظ الشدة . الميط البعد ، ماط يميط بعد . تأتى عليه تجتازه . حزم المتاع شده وربطه ، واحزمه جعله يشده ويربطه . اللبانة الحاجة . اهل الرجل عشيرته وزوجته . قذيف بعيد .

(٢٤ ـ ٢٥) الجنان القلب . خشف (كنصر وضرب) ذهب فى الأرض ومشى فى الليل . الردف الراكب الثانى الذى يركب خلف الأول . تستخف به لقوتها . الجرة ما تجتره . الصريف صرير الأنياب ، أى انها خاوية البطن ليس فى معدتها ما تجتره .

٢٦ ـ ثم يصبح من هياجه موفور النشاط ، يتناثر الحصى متطايرا تحت خفه الصلب الغليظ .

٢٧ ـ إن خفّفت عنه فى البيداء ، أَو أعملته فتلاحقت ساقُه والذِّراع .

٢٨ ـ لم أَخَلْ شيئًا من ذلك يكُفُّه أَو يثنيه ، حتى تنيخه وتلوى تحت عنقه الزِّمام .

(٦٤)

١ ـ عَفَتْ دارُ (مَيْثَاء) وانمحت آثارها ، فكأَنها كتاب طُمِسَت سطوره فما تَبِين .

٢ ـ عرفتُها ، فريعَ لِعِرْفانها الفؤاد ، وهاجت فى النفس الذكريات .

٣ ـ ديارٌ كانت تحل بها (مَيْثَاء) .... فقد باعدت دارَها من ديارنا اليوم .

٤ ـ رأَت تحت ثيابها جسما ناعمًا ، ورأَت أَنها فى ميعة الشباب .

٥ ـ ففتنها إعجابها بنفسها ، وحملها على البَطَر والغرور .

٦ ـ ....

٧ ـ كتمتُ حديثها ، فطارت به نفسى كلَّ مَطَار .

٨ ـ فاليوم أُذيعُ سرها الذى كتمتُه عن الناس ، فقد خانت العهد ، ولم تكن على ما ينبغى للحبيب .

٩ ـ نأَت وخلفت فى القلب صَدْعًا تخالطه هموم .

١٠ ـ كصدع الزجاجة ، لا يستطيع الصَّنَاع أَن يرده كما كان ويسوِّيه من جديد .

١١ ـ وياربما عشنا زمانًا ليس بيننا رسول .

٢٦ ـ ثُمَّ يُضْحِي مِنْ فَوْرِهِ ذَاهِبَابٍ ... يَسْتَطِيرُ ٱلْحَصَى بِخُفٍّ كَثِيفِ
٢٧ ـ إِنْ وَضَعْنَا عَنْهُ بِبَيْدَاءَ قَفْرٍ ... أَوْ قَرَنَّا ذِرَاعَهُ بِوَظِيفِ
٢٨ ـ لَمْ أَخَلْ أَنَّ ذَاكَ يَرْدَعُ مِنْهُ ... دُونَ ثِنْيِ الزِّمَامِ تَحْتَ الصَّلِيفِ

(٦٤)

وقال :

(متقارب)

١ ـ لِمَيْثَاءَ دَارٌ عَفَا رَسْمُهَا ... فَمَا إِنْ تَبَيَّنُ أَسْطَارَهَا
٢ ـ وَرِيعَ ٱلْفُؤَادُ لِعِرْفَانِهَا ... وَهَاجَتْ عَلَى النَّفْسِ أَذْكَارَهَا
٣ ـ دِيَارٌ لِمَيْثَاءَ حَلَّتْ بِهَا ... فَقَدْ بَاعَدَتْ مِنْكُمُ دَارَهَا
٤ ـ رَأَتْ أَنَّهَا رَخْصَةٌ فِي الثِّيَابْ ... وَلَمْ تَعْدُ فِي السِّنِّ أَبْكَارَهَا
٥ ـ فَأَعْجَبَهَا مَا رَأَتْ عِنْدَهَا ... وَأَجْشَمَهَا ذَاكَ إِبْطَارَهَا
٦ ـ .... كَارَهَا
٧ ـ .... ذَاكَ ٱلْحَدِيثْ ... وَطَارَ بِهَا النَّفْسُ أَطْيَارَهَا
٨ ـ تَنَابَشْتُهَا لَمْ تَكُنْ خُلَّةً ... وَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ أَسْرَارَهَا
٩ ـ فَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِي ٱلْفُؤَا ... دِ صَدْعًا يُخَالِطُ عَثَّارَهَا
١٠ ـ كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا يَسْتَطِيـ ... ـعُ مَنْ كَانَ يَشْعَبُ تَجْبَارَهَا
١١ ـ فَعِشْنَا زَمَانًا وَمَا بَيْنَنَا ... رَسُولٌ يُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

(٢٦ — ٢٨) فوره هياجه . مصدر فار يفور . الهباب النشاط . يستطير بطير . كثيف صلب غليظ. وضع عنه خفف عنه حمله. الوظيف الساق أو مقدمها . يردعه يكفه . الزمام الحبل الذى تقاد به الناقة . الصليف عرض العنق ، وهما صليفان من الجانبين .

(٦٤)

(١ — ٤) عفا ذهب وانمحى . الرسم أثار الدار . تبين فعل مضارع . أى تتبين أنت ، تميز وتعرف . اسطار جمع سطر . اذكار جمع ذكر (بضم الدال وكسرها) وهو التذكر . رخصة بضة طرية ناعمة . أبكار جمع بكر (بكسر فسكون) وهو أول كل شىء ، والضمير فى أبكارها عائد على السن ، أى انها لا ترى نفسها الا صغيرة فى أول الشباب .

(٥ — ٨) جشم الأمر (كعلم) تكلفه على مشقة ، وأجشمه الامر كلفه اياه . بطر بالنعمة وأبطرته النعمة ، أخذته دهشة وحيرة عند هجومها فطغى بها . اطيار جمع طائر ، وطار طائره أسرع وخف وغضب . نبش السر أفشاه . ونبش الشىء المستور وانتبشه كشفه واظهره . الخلة الخليلة والزوجة ، والمحبة والصداقة . الأبيات (٦ – ٨) مترابطة متصلة ، ولم يبق منها كاملا الا البيت الأخير . ومعناه غير واضح لى على التحقيق .

(٩ — ١٢) بانت بعدت . الصدع الشق . العثار (بفتح العين وتشديد الثاء) والعاثور الشر والمكروه والمتالف . شعب الشق وجبره لأمه ولحمه .

١٢ ـ فقد أصبحت لا أستطيع أن أتحدث إليها أو تتحدث إليَّ إلا عن رسول .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى حديث الخمر ، فيصور مجالسها في بيئة يغمرها الترف الفارسي ، فيقول :

١٣ ـ ولقد أغدو على نديمي مبكّرًا ، أشرب الصهباء صرْفًا صافية كأنها حَدَقُ العيون .

١٤ ـ تغلبنا مرارتُها آنًا ، ونعالجها مقبلين عليها آنًا آخر .

١٥ ـ تكاد رائحتها الفوّاحة تُسكر قبل أن تذاق . ويَغْشَى المفاصلَ منها لينٌ وفتور .

١٦ ـ تسرى فى العظام فتخدِّرها ، وتصعد إلى الرأس ثائرة تفور .

١٧ ـ شربتها مُسْتَأْنيًا ، أتمزَّزُها بين أبناء الحان ، واخترتها اختيار خبير .

١٨ ـ أسوم صاحبها بيعَها ، وأعنف فى مناقشته حتى يغضب ويثور .

١٩ ـ معى من يحمل عنى ثمنها الغالى ، ويروِّينى من التى هى كالسمع والبصر للقلوب .

٢٠ ـ ذلك (أبومالك) أكرمُ الناس حين يشتد الجَدْب ، فتحرص النفس على اللقمة التى تمسك الرمق وتقيم الأَوَد .

٢١ ـ ....

٢٢ ـ تطربنا مغنيتان ، وعازفة تقلب بأناملها أوتار الصَّنْج .

٢٣ ـ وبَرْبَط لا يفتر ولا يَهِن ، حتى تكاد نشوةُ الطرب تطغَى على نشوة الخمر .

٢٤ ـ ويسعى علينا الساقى ذو اللؤلؤتين ، يحمل قارورة الخمر الكبيرة ، ويسرع تكرارها.

٢٥ ـ حتى نشرب فى يوم وليلة ثمانين كأْسًا ، من أربع قوارير كبار .

١٢ - وَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْكَلَامْ   سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمْسَارَهَا

١٣ - وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَونِ ٱلْفُصُو   صِ بَاكَرْتُ فِى الصُّبْحِ سَوَّارَهَا

١٤ - فَطَوْرًا تَمِيلُ بِنَا مَرَّةً   وَطَوْرًا نُعَالِجُ إِمْرَارَهَا

١٥ - تَكَادُ تُنَشِّى وَلَمَّا تُذَقْ   وَتُغْشِى الْمَفَاصِلَ إِفْتَارَهَا

١٦ - تَدِبُّ لَهَا فَتْرَةٌ فِى ٱلْعِظَامْ   وَتُغْشِى الذُّؤَابَةَ فَوَّارَهَا

١٧ - تَمَزَّزْتُهَا فِى بَنِى قَابِيَا   وَكُنْتُ عَلَى ٱلْعِلْمِ مُخْتَارَهَا

١٨ - إِذَا سُمْتُ بَائِعَهَا حَقَّهُ   عَنُفْتُ وَأَغْضَبْتُ تُجَّارَهَا

١٩ - مَعِى مَنْ كَفَانِى غَلَاءَ السِّبَا   وَسَمْعَ ٱلْقُلُوبِ وَإِبْصَارَهَا

٢٠ - أَبُو مَالِكٍ خَيْرُ أَشْيَاعِنَا   إِذَا عَدَّتِ النَّفْسُ أَقْتَارَهَا

٢١ - عَلَيْهِمْ ....

٢٢ - وَمُسْمِعَتَانِ وَصَنَّاجَةٌ   تُقَلِّبُ بِالْكَفِّ أَوْتَارَهَا

٢٣ - وَبَرْبَطُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ   فَقَدْ كَادَ يَغْلِبُ إِسْكَارَهَا

٢٤ - وَذُو تُومَتَيْنِ وَقَاقُزَّةٌ   يَعُلُّ وَيُسْرِعُ تَكْرَارَهَا

٢٥ - تُوَفِّى لِيَوْمٍ وَفِى لَيْلَةٍ   ثَمَانِينَ نَحْسُبُ إِسْتَارَهَا

(١٢ — ١٥) السمسار الرسول بين المحبين . اراجعه احاوره واناقشه . صهباء حمراء أو شقراء ، والصهباء الخمر ، وقيل هى المعصورة من العنب الأبيض . صرف خالصة لم تمزج بالماء ، الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهى حدقة العين ، تشبه بها الخمر فى صفائها . باكرها بادرها فى الصباح . سار الشراب فى رأسه دار وارتفع ، والسوار صفة للشراب نفسه أو لشارب الخمر الذى تسور فى رأسه فيعربد . مال به غلبه . عالج الشىء زاوله ومارسه . أمر الشىء صار مرا . فترسكن بعد حدته ولان بعد شدته أفتره جعله يفتر ويسكن .

(١٦ — ١٨) تدب تسرى ، والدبيب المشى الضعيف كمشى النملة . فترة ضعف وانكسار . الذؤابة الرأس . فوارها من فارت القدر اذا جاشت وغلت ، وفار العرق هاج وضرب . تمزز الشراب تمصصه . بنو قابياء المجتمعون لشرب الخمر . والقابياء اللئيم . سام المشترى السلعة طلب من صاحبها بيعها . تجارها أى تجار الخمر .

(١٩ — ٢٥) سبأ الخمر يسبأ وسباء اشتراها ليشربها ، سمع القلوب وابصارها هى الخمر ، يصفها بذلك . أبومالك بدل من (من كفانى) فى البيت السابق . شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، وجمعها أشياع وشيع . عد المال وعدده جمعه وادخره . أقتار جمع قتر (بفتح فسكون) وهو ما يمسك الرمق من العيش .

(٢٢ — ٢٥) مسمعتان جاريتان تغنيان . الصناجة الضاربة على الصنج، وليس المقصود به هنا الصنج الذى تعرفه العرب وهو الدوائر النحاسية التى تكون فى أطراف الأصابع أو اطار الدف ، فينبعث منها رنين عند اصطفاقها . ولكن المقصود به هنا آلة موسيقية ذات أوتار ، كان يستعملها الفرس . البربط آلة موسيقية ذات أوتار (رومى معرب) . القاقزة والقاقوزة اناء من آنية الشراب (معرب) . عله سقاه المرة الأولى . استار أربعة ، معرب جهار الفارسية . توفى يعنى القاقوزة ، كل واحد منها تسع عشرين كأسا . فاذا شربوا بالصغير ثمانين يكون بالكبير أربعة .

هذه القصيدة من شعر الأعشى فى صاحبته (قتيلة) ، التى ظفرت بأكبر نصيب من غزله . وقد فرغ الشاعر فيها للغزل والوصف .

يقول الأَعشى :

١ – بَلِيَ كلُّ جديدٍ يا (قَتْلُ) ، وحبك لا يبلَى ولا يَبِيد .

٢ – رمت فؤادك بلحاظها فصادته ، فليت الذى أَسقمه الحب وأَضناه يستطيع أَن يصيدا!

٣ – ولكنه يرميها فلا يصيب . وكيف تُصاد غانية كَفور بالمودة جَحُود بالعهود ؟

٤ – يا فتنة العاشق ويا شوقًا لا ينقضى ولا يَبِيد . لقد شقِى بكِ كلُّ من أَحبك ، فما تعلَّق بكِ رجلٌ سعيد .

ثم يتجه الأَعشى إلى نفسه ، طالبا إليها أَن تتماسك وتصطبر ، فيقول :

٥ – أَما آن لك أَن تَلزَم الحياءَ ، وتكف عن البكاءِ ، صَنِيعَ الصبى الصغير ؟

ولكن ذكراها لا تبرحه ، فهو مشغول بها أَبدا . وهو يعود للتحدث عنها قائلا :

(٦ – ٧) سهرتُ لا يغمض لى جفن ، وقد لاحت لى نارك فى (وَاقِصة) ، وأَنا مقيم عند ماء (زَرُود) ، أَقول للقوم : هذه نارها ! ويالها من نار ليس كمثلها نار .. ولكن ماذا أَرى ؟ وعن أَى شئ يكشف لهيب النار حين سطع وأَضاءَ ؟

ويستغرق الأَعشى فى حلم يتمثل فيه صاحبته ، وكأَنها قد لاحت له من بعيد.

(٧ – ١٠) ها هى ذى وقد أَضاءَتها النار .. حوراء العينين ، رَخْصة القوام ، تَكدَّس فوق صدرها الدر المنظوم . وجهها كأُصول الليف الندية البيضاءِ ، وشعرها طويل ، تسترسل غدائره السوداء ، على جِيد كالفضة الملساء . تبسم عن ثغر بارد عذب تبرق أَسنانه كأَنها البلور ، من ذاق قبلة منه جُنَّ به ولم يصبر عنه .

ويطول ليل الأَعشى وهو ساهر يرقب نارها ، ينعم بأَحلامه آنا ، ويفيق آناً آخر ، ليتلظى بنار الحسرة والحرمان ، والناس من حوله رقود .

(١٣ – ١٥) ما أَطول ليل المحبين! كأَن نجومه قد شُدَّت إلى حبال ربطت بالجبال ، فهى تسرح وتدور ، ولكنها مكانها لا تغور . إذا قلت لنفسى : مضى الليل وآن لها

وقال :

١ ـ أَلَا يَا قَتْلُ قَدْ خَلُقَ ٱلْجَدِيدُ ‌‌ وَحُبكِ مَا يَمُحُّ وَمَا يَبِيدُ (وافر)
٢ ـ وَقَدْ صَادَتْ فُؤَادَكَ إِذْ رَمَتْهُ ‌‌ فَلَوْ أَنَّ ٱمْرَءًا دَنِفًا يَصِيدُ
٣ ـ وَلَكِنْ لَا يَصِيدُ إِذَا رَمَاهَا ‌‌ وَلَا تُصْطَادُ غَانِيَةٌ كَنُودُ
٤ ـ عَلَاقَةَ عَاشِقٍ وَمِطَالَ شَوْقٍ ‌‌ وَلَمْ يَعْلَقْكُمُ رَجُلٌ سَعِيدُ
٥ ـ أَلَا تَقْنَى حَيَاءَكَ أَوْ تَنَاهَى ‌‌ بُكَاءَكَ مِثْلَ مَا يَبْكِى ٱلْوَلِيدُ
٦ ـ أَرَيْتُ ٱلْقَوْمَ نَارَكِ لَمْ أُغَمِّضْ ‌‌ بِوَاقِصَةٍ وَمَشْرَبُنَا زَرُودُ
٧ ـ فَلَمْ أَرَ مِثْلَ مُوْقِدِهَا وَلَكِنْ ‌‌ لِأَيَّةِ نَظْرَةٍ زَهَرَ ٱلْوَقُودُ
٨ ـ أَضَاءَتْ أَحْوَرَ ٱلْعَيْنَيْنِ طَفْلًا ‌‌ يُكَدَّسُ فِى تَرَائِبِهِ ٱلْفَرِيدُ
٩ ـ وَوَجْهًا كَٱلْفِنَاقِ وَمُسْبَكِرًّا ‌‌ عَلَى مِثْلِ اللُّجَيْنِ وَهُنَّ سُودُ
١٠ ـ وَتَبْسِمُ عَنْ مَهًا شَبِمٍ غَرِىٍّ ‌‌ إِذَا يُعْطَى ٱلْمُقَبِّلَ يَسْتَزِيدُ
١١ ـ .... ‌‌ .... يدُ
١٢ ـ فَبِتُّ بِلَيْلَةٍ لا نَوْمَ فِيهَا ‌‌ أُكَابِدُها وَأَصحابى رُقُودُ
١٣ ـ كَأَن نُجُومَهَا رُبِطَتْ بِصَخْرٍ ‌‌ وَأَمْرَاسٍ تَدُورُ وَتَسْتَرِيدُ
١٤ ـ إِذَا مَا قُلْتُ حَانَ لَهَا أُفُولٌ ‌‌ تَصَعَّدَتِ الثُّرَيَّا وَالسُّعُودُ

(١ — ٣) خلق بلى . مح الثوب بلى . باد يبيد هلك وذهب. الدنف من لازمه المرض وحالفه السقم . الغانية الجميلة التى استغنت بجمالها عن الزينة . امرأة كنود كفور للمودة والمواصلة . والكنود الذى يعد السيئات وينسى الحسنات .

(٤ — ٦) علق به علاقة (كطرب) هوية واحبه . قنى الحياء يقناه (كعلم) لزمه . تناهى فعل مضارع اى تتناهى . الوليد الصبى . واقصة ماء لبنى كعب ، وموضع بطريق الكوفة دون مرخ ، وموضع باليمامة . زرود موضع قرب الكوفة فى طريق الحاج .

(٧ — ٩) زهر أضاء وتلألأ . نظرة اسم مرة من نظره اذا مد طرفه اليه . ونظر فلان (لازم) تكهن . احور العينين أسودهما . الطفل (بفتح الطاء) الرخص الناعم . الترائب عظام الصدر . الفريد الدر المنظوم المفصل بغيره من كريم الأحجار . الفناق أصل الليف الأبيض ، وقرن الشمس ، وعينها . المسبكر كالمسبطر وزنا ومعنى وهو المسترسل ، يقصد شعرها . اللجين الفضة ، يقصد رقبتها . هن اى غدائر الشعر .

(١٠ — ١٢) المها البلور . شبم بارد . غرى فعيل ، من غرى الغدير (كعلم) برد ماؤه . والغرى كذلك الحسن من كل شىء والبناء الجيد ، ومنه الغريان ، البناءان المشهوران فى الكوفة ، قبرا نديمى جذيمة الأبرش .

(١٣ — ١٤) نجومها نجوم تلك الليلة التى أرق فيها الأعشى . الأمراس الحبال ، والمفرد مرسة (بالتحريك) ، جمعها مرس (بفتحتين) ، وجمع الجمع أمراس . استرادت الدابة رعت . أفول غروب . الثريا مجموعة من النجوم تتكون من كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل . السعود مجموعة أخرى من النجوم تتكون من عشرة كواكب .

أَن تغيب ، طلعت نجوم (الثريَّا) وَ(السُّعود) ... ثم تميل للغروب بعد ليل طويل وما كادت تغيب ، ويخمد بريقها حين ينتشر ضوءُ الصباح .

وتتمثل أَمام عينيه صورتها ، حين رحلت عائدة إلى موطنها مع قومها ، بعد أَن جاوروا قوم الأَعشى زمنا ، يجمعهم الخصب والمرعى . وكأَنه يرى الجمال تتحرك أمامه الآن .

(١٦–١٨) انظر يا صاحبي ! أَلا ترى الهوادج من فوق الجِمال فى ضوءِ الفجر الخافت ، عليها الوسائد الوثيرة والطنافس الموشَّاة تُشْرِف من فوقها الأَوانس كأَنهن ظباءُ (وَجْرَة) ، وقد لبسن الثياب المخططة ، من تحتها القمصان المصبَّغة الصفراءُ ؟ استَوَيْنَ فوق هوادجهن العالية ، وتركنك فى تلك الغَدَاة وقد غلبك الشوق حتى أَشرف بك على الهلاك .

رحلت صاحبته الجَحُود ، وسار هو فى أَثرها يضنى ناقته ، فلم يجد منها إلا النفور والصدود . فهو يرثى لناقته المكدودة قائلا :

(١٩–٢٠) يا للناقة المسكينة ، وقد أَجهدتها الرحلة الشاقة المضنية ، فتركتها قصيرة الخَطْو . وما كانت تقصد فيما نالها من إعياءٍ غيرَ دار هذه الصاحبة الكَنُود . أَى عناءٍ قد حُمِلْتِ عليه أَيتها المسكينة ، فى سبيل قوم قد امتلأَت قلوبُهم بالعداءِ ، وأَحرقت أَكبادَهم البغضاءُ .

ويتجه الأَعشى إلى (قُتَيْلة) فيقول :

٢١ – فارقتِنى . فليكن صديقك الذى تتخذينه من بعدى فتى كَسُوبا سخيا مثلى ، يعرف كيف يجمع المال ، وكيف ينفقه فى سخاء .

ويجمع الشاعر عزمه ، ليقول لها مستخفا ، مفاخرا بقوته وصلابته :

(٢٢–٢٥) كم لهوتُ بمثلك ، وكم قطعتُ من قَفْر مُضِل ، لا يجرؤ على اقتحامه إلا صاحبُ الناقة

١٥ - فَلَأْيًا مَا أَفَلْنَ مُخَوِّيَاتٍ   خُمُودَ النَّارِ وَارْفَضَّ ٱلْعَمُودُ

١٦ - أَصَاحِ تَرَى ظَعَائِنَ بَاكِرَاتٍ   عَلَيْهَا ٱلْعَبْقَرِيَّةُ وَالنُّجُودُ

١٧ - كَأَنَّ ظِبَاءَ وَجْرَةَ مُشْرِفَاتٍ   عَلَيْهِنَّ ٱلْمَجَاسِدُ وَٱلْبُرُودُ

١٨ - عَلَى تِلْكَ ٱلْحُدُوجِ إِذِ ٱحْزَأَلَّتْ   وَأَنْتَ بِهِمْ غَدَاةَ إِذٍ مَجُودُ

١٩ - فَيَالَدَنِيَّةٍ سَتَعُودُ شَزْرًا   وَعَمْدًا دَارَ غَيْرِكِ مَا تُرِيدُ

٢٠ - فَمَا أُجْشِمْتِ مِنْ إِتْيَانِ قَوْمٍ   هُمُ ٱلْأَعْدَاءُ وَٱلْأَكْبَادُ سُودُ

٢١ - فَإِذْ فَارَقْتِنِي فَاسْتَبْدِلِينِي   فَتًى يُعْطِي ٱلْجَزِيلَ وَيَسْتَفِيدُ

٢٢ - فَمِثْلِكِ قَدْ لَهَوْتُ بِهَا وَأَرْضٍ   مَهَامِهَ لَا يَقُودُ بِهَا ٱلْمُجِيدُ

٢٣ - قَطَعْتُ وَصَاحِبِي سُرُحٌ كِنَازٌ   كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ قَصِيدُ

٢٤ - كَأَنَّ ٱلْمُكْرَهَ ٱلْمَعْبُوطَ مِنْهَا   مَدُوفُ ٱلْوَرْسِ أَوْ رُبٌّ عَقِيدُ

(١٥ — ١٨) اللأى البطء والاحتباس والشدة ، فعله لأى (كفتح) . خوى سقط . أفل غرب . ارفض الدمع سال ، وارفض الناس تفرقوا . عمود الصبح ضوؤه . أصاح أى يا صاحبى . ظعائن جمع ظعينة وهى الهودج اذا كان فيه امرأة ، وقد يطلق على المرأة نفسها . باكرات فى الصباح المبكر . العبقرى الديباج ، ومنه حديث عمر أنه كان يسجد على عبقرى ، قيل هو الديباج ، وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الثخان . والعبقرى ضرب من البسط منسوب الى عبقر ، بلد باليمن . أو هو منسوب الى موضع بالبادية تسكنه الجن ، ينسبون اليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته . النجود جمع نجد (بفتح فسكون) وهو ما ينجد (أى يزين) به البيت من بسط وفرش ووسائد . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو من مراكب النساء كالهودج . احزألت ارتفعت ، الغداة من الفجر الى طلوع الشمس . ومجود مفعول من جاده الهوى شاقه وغلبه ، والمجود كذلك العطشان والمشرف على الهلاك .

١٩ — بالدنية يمكن أن يكون المقصود بها صاحبته أو ناقته . فعلى المعنى الأول الدنية القريبة . والشزر المعاداة ، أى أنها أصبحت عدوا وقد كانت صديقا . وعلى ذلك يقرأ الشطر الثانى (ما نريد) أى أننا مع ذلك لانقصد الا الى دارك . ويقرأ بعد ذلك (فما أجشمت) بضمير الفاعل . فان كان المقصود بها الناقة فالدنية التى دانى لها صاحبها القيد وضيقه عليها ، يصفها بقصر الخطو بعد أن تعبت لبعد الطريق . والشزر هنا الشدة والصعوبة .

(٢٠ — ٢٢) اجشمت (على البناء للمجهول) من أجشمه الامر اذا كلفه اياه فتحمله بمشقة . اتيان قوم يقصد قوم صاحبته التى انصرفت عنه . عدو أسود الكبد أحرقت كبده العداوة . الجزيل الكثير . يستفيد المال يكسبه . مهامه جمع مهمه (بفتح الميمين) وهى الصحراء . المجيد (اسم فاعل) من أجاد الرجل اذا كان ذا دابة جواد وفرس جواد .

(٢٣ — ٢٤) ناقة سرح (بضمتين) سريعة منبعثة سهلة السير . كناز ضخمة . الرعن أنف الجبل . الذعلبة الناقة السريعة ، القصيد الناقة السمينة لها نقى ، والنقى (بكسر فسكون) كل عظم ذى مخ . المكره الذى أكره على الذبح . المعبوط من عبط الذبيحة (كضرب) نحرها من غير علة وهى سمينة . داف الدواء والزعفران يدوفه خلطه ، ودافه فى الماء أذابه وضربه فيه حتى يختر ويتماسك . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع فى اليمن ويصبغ به وتطلى به النساء وجوههن . الرب الطلاء الخاثر ، الرب كذلك دبس الرطب (بكسر الدال وسكون الباء) اذا طبخ . عقيد غليظ القوام ليس سائلا ، (وهو فعيل بمعنى مفعول) .

الفتيَّة الجَسُور . قطعتُه وحدى ، لا أُصاحب إلا ناقة ضخمة كأَنها قطعة من الجبل ، تسترسل مندفعة حين تمضى فى الصحراءِ . وتملأُ القُدُور حين تُنحر ، فيعلوها مَرَقٌ دسم غليظ ، كأَنه مسحوق (الوَرْس) الأَصفر المطبوخ ، أَو عسل البلح المعقود . كأَن الرَّحْل وقد أُثبِت فوقها فى (عُنَيْبِسَات) ، قد وُضِع فوق ثور مستوحش متوحد فى القفار .

ثم يستطرد الشاعر إلى تلك الصورة التقليدية المألوفة التى مرت بنا من قبل . فيصف صلابة هذا الثور فى كفاحه المرير .

(٢٦-٢٩) لجأَ هذا الثور ذات ليلة إلى رملة (البقَّار) ، يسفعه ما تقذف به السماءُ من صقيع بارد ، ويدس رأسه بين الأَشجار العالية كلما فاجأَته دفعة من المطر ، محتمياً بأَغصانها الكثيفة المتهدلة . وراح ينفض عن نفسه الماءَ حين أَصبح الصباح ، ويستعيد رباطه جأشه ، مطمئناً إلى قرونه الحادة الطويلة التى يدفع بها عن نفسه ، وإلى أَظلافه المنبسطة الوثيقة التى تعينه على الكر والفر فى القتال .

وينتقل الشاعر من هذه الصورة إلى صورة أُخرى من تلك الصور المأْلوفة فى الشعر الجاهلى ، مشبها ناقته بحمار من حمر الوحش[١] ، فيقول :

(٣٠-٣٣) وشبيه آخر لناقتى فيما نالها من إعياءٍ ، ذلك الحمارُ الغليظ ، قد أَضمره الجرى وطوى لحمه ، فهو مكتنز خَمِيصُ البطن . يمرح فى الوديان ، ويأْكل ما أَنبتت من عشب ، وقد اتسع أَمامه المرعى وانفسح . يلاحق أَتانا طويلة الظهر ، تنفر منه ممتنعة عليه ، ولكنها تنزل على حكمه آخر الأَمر . ظل هذا الحمار صيفا طويلا يرقبها منتظرا ، وقد تساقط شعره من الهزال لجفاف العشب والماءِ ، فاشتد شوقه إليها وشهوته لِضِرَابها . ولكن الأَتان تنفر منه ، وترفسه برجليها كلما عاد إليها فتصيب أَنفه وجبهته .

(١) راجع القصائد ١ : ٢٧ - ٣١ ، ٢١ : ١٥ - ٢٠ ، ١٥ : ٩ - ٢٣ وراجع كذلك فى نفس الصورة : ديوان النابغة (ط. الهلال ١٩١١) ص ٨٤ - ٨٥ ، ديوان زهير (ط. دار الكتب) ص ٦٥ - ٧٢ ، مطولة لبيد الأبيات ٢٤ - ٣٥ ، ديوان امرىء القيس (ط. السندوبى) ص ١٠٦ - ١٠٧ .

٢٥ - كَأَنَّ قُتُودَهَا بِعُنَيْبِسَاتٍ ... تَعَطَّفُهُنَّ ذُو جُدَدٍ فَرِيدُ
٢٦ - تَضَيَّفَ رَمْلَةَ ٱلْبَقَّارِ يَوْمًا ... فَبَاتَ بِتِلْكَ يَضْرِبُهُ ٱلْجَلِيدُ
٢٧ - يُكِبُّ إِذَا أَجَالَ ٱلْمَاءَ عَنْهُ ... غُصُونُ ٱلْفَرْعِ وَالسَّدَلُ ٱلْقَرِيدُ
٢٨ - فَأَصْبَحَ يَنْفُضُ ٱلْغَمَرَاتِ عَنْهُ ... وَيَرْبِطُ جَأْشَهُ سَلِبٌ حَدِيدُ
٢٩ - وَرُحٌّ كَٱلْمَحَارِ مُوَتَّدَاتٌ ... بِهَا يَنْضُو ٱلْوَغَى وَبِهِ يَذُودُ
٣٠ - أَذَلِكَ أَمْ خَمِيصُ ٱلْبَطْنِ جَأْبٌ ... أَطَاعَ لَهُ النَّوَاصِفُ وَالْكَدِيدُ
٣١ - يُقَلِّبُ سَمْحَجًا فِيهَا إِبَاءٌ ... عَلَى أَنْ سَوْفَ تَأْتِي مَا يَكِيدُ
٣٢ - بَقَى عَنْهَا ٱلْمَصِيفَ وَصَارَ صَعْلًا ... وَقَدْ كَثُرَ التَّذَكُّرُ وَالْفُقُودُ
٣٣ - إِذَا مَا رَدَّ تَضْرِبُ مَنْخَرَيْهِ ... وَجَبْهَتَهُ كَمَا ضُرِبَ ٱلْعَضِيدُ
٣٤ - فَتِلْكَ إِذَا ٱلْحُجُوزُ أَبَى عَلَيْهِ ... عِطَافَ ٱلْهَمِّ وَٱخْتَلَطَ ٱلْمَرِيدُ

---

٢٥ — القتود خشب الرحل وعيدانه ، جمع قتد . عنيبسات موضع ،كذلك جاء فى معجم البلدان ولم يحدده . وهى فى الأصل (عنيبسات) والتصحيح عن ياقوت . تعطفهن أى تردى بهن ولبسهن . والضمير يعود على القتود . الجدد جمع جدة (بضم الجيم وتشديد الدال) وهى الخطة فى ظهر الثور أو الحمار تخالف لونه . فريد واحد متفرد وصف للثور .

(٢٦ — ٢٨) البقار رمل بنجد أو بناحية اليمامة (موطن الاعشى) . تضيفهانزل بها . بتلك اى تلك الرملة . الجليد الصقيع الذى ينزل من السماء ليلا كأنه الثلج . يكب يطاطىء رأسه . اجال الماء عنه حوله . فرع كل شىء أعلاه . السدل المسترسل المتهدل . القريد الكثيف المجتمع بعضه فوق بعض ، من قرد الصوف اذا تلبد . الغمرات الشدائد ، والغمرة (بفتح فسكون) الماء الكثير . الجأش اضطراب القلب عند الفزع ؛ يربط جأشه اى يشجعه . سلب طويل يقصد قرنه . حديد حاد .

(٢٩ — ٣٠) رح صفة لاظلافه ، جمع أرح وهو الحافر الواسع والظلف المنبسط ، وهو محمود . موتدات ثابتة فى الارض متمكنة منها لانبساطها . بها الضمير يعود على الأظلاف . نضا الفرس الخيل سبقها وتقدمها . الوغى الحرب ، وأصلها الصوت والجلبة . وبه الضمير يعود على القرن فى آخر البيت السابق . يذود يدافع . خميص ضامر . جأب غليظ . النواصف جمع ناصفة ، وهى مجرى الماء ، وما اتسع من بطن الوادى . الكديد الوادى العظيم المتسع . اطاع له المرتع وطاع له اتسع وامكنه الرعى . وهو يصف بالبيت الاخير حمار الوحش . يقول : أذلك الثور شبيه ناقتى أم هذا الحمار .

(٣١ — ٣٢) السمحج الطويلة الظهر ، يقصد الأتان . يقلبها يوجهها حيث شاء . اباء امتناع ونفور ، اى أنها تنفر من الحمار ولا تنقاد له . ما يكيد ما يريد ويدبر . وهو شبيه بقول النابغة :

أضر بجرداء النسالة سمحج ... يقلبها اذ أعوزته الحلائل

بقاه يبقيه ويبقوه رصده وترقبه وانتظره . المصيف موضع الاقامة فى الصيف أو زمانه ، والمقصود هنا الزمان ، وهى منصوبة على الظرفية . صعل ذاهب الوبر قد تساقط شعره ليبس الكلأ فى الصيف . الفقود مصدر من فقده اذا غاب عنه وعدمه ، اى انه ظل ينتظرها طول الصيف وقد اشتد شوقه اليها ، يريد الضراب ولكنها تمتنع عليه وتأباه .

(٣٣ — ٣٤) رد عاد اليها . تضرب منخريه ترفسه برجليها الخلفيتين فى وجهه . العضيد أغصان الشجر يقطعونها ،فاذا جفت خبطوها بالعصى حتى يسقط ورقها فيتخذوه علفا لابلهم . عضد الشجر (كضرب) قطعه ، فهو معضود وعضيد . الحجوز والحجور (بالراء والزاى) من الحجز والحجر وهو المنع والحرمان . عطاف من العطف وهو الميل . الهم ما يشغل النفس وما تجيل الفكر فى تدبيره ، اختلط تشابك وتعقد . المريد المطلوب من راد الشىء اى طلبه .

ويتوالى على وجهه الضرب ، كما تَضرَب أغصان الشجر ليُنْفَض ما عليها من ورق .

ويعود الشاعر آخر الأَمر إلى ناقته ليقول :

(٣٤–٣٦) ذلك الحمار شبيه ناقتى إذا حالت الحوائل دون تحقيق ما أَهمُّ به من أَمر ، والتوى علىَّ ما أُريد . تبلِّغنى (قتيلةَ) حيث حلت فى حيِّها النائى البعيد ، الذى لا يصل إليه صوتى ولا يُنشَد فيه شعرى .

ويتجه الشاعر إلى صاحبته بعد هذا الحديث الطويل عن صلابة عوده ، وقدرته على اقتحام الصحراء ، وصبر ناقته على ما فيها من مشاق ، فيقول لها :

(٣٧–٣٨) إنكِ لو سأَلتِ يا (قَتْلُ) لعرفت موضعنا من المروءة ومكانَنا من القوم . سلى عن صنيعنا حين يتخلى الناس عن الأَسير ويسلمونه ، وقد ثوى فى قيوده سنين ، حتى أَضناه الهم والوجع الشديد .

(٣٩–٤٠) عند ذاك يقدم وفدنا على الملوك فيشفع له ويخلصه ، حين تُرَدُّ وفود الناس ولا تقبل شفاعتهم .

نفعل ذلك لا نريد من صاحبه جزاء ولا شكورا ، ولكنا ندع الحمد للذى يطلبه ويرتجيه .

(٤١–٤٢) كم من عدو يعضون على أنيابهم من شدة الغيظ ، ويتهددون متوعدين ، فلا تنالنا أَيديهم ، ولا يضيرنا وعيدهم . طلبوا ما فى أَيدينا فأَخذنا ما فى أَيديهم ، ومكر بنا سيدُهم فحاق بهم ما يمكرون .

٣٥ـ . . . . النشيد

٣٦ـ تُبَلِّغُنِى قُتَيْلَةَ حَيْثُ حَلَّتْ وَحَيًّا لَا يُطِيفُ به النَّشِيدُ

٣٧ـ فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيْلَ عَنَّا إِذَا صَفَحَتْ عَنِ ٱلْعَانِى ٱلْخُدُودُ

٣٨ـ تَنِيهِ وقَدْ أَحَالَ ٱلْقِدُّ فِيهِ وَشَفَّ فُؤَادَهُ وَجَعٌ شَدِيدُ

٣٩ـ فَخَلَّصَهُ ٱلَّذِى وَافَاهُ مِنَّا وَكُنَّا ٱلْوَفْدَ إِذْ حُبِسَ ٱلْوُفُودُ

٤٠ـ فَلَمْ نَطْلُبْ لَهُ شُكْرًا وَلٰكِنْ نُوَلِّى حَمْدَ ذٰلِكَ مَنْ يُرِيدُ

٤١ـ وَقَوْمٍ تَصْرِفُ ٱلْأَنْيَابُ مِنْهُمْ عَلَيْنَا ثُمَّ لَمْ يَصِدِ ٱلْوَعِيدُ

٤٢ـ بَغَوْنَا فَالْتَمَسْنَا مَا لَدَيْهِمْ وَكَادُونَا بِكَبْشِهِمُ فَكِيدُوا

(٣٥ — ٣٨) أكملت البيت ٣٦ من المتوكلية . وقد سقط فيها البيت ٣٥ . ويبدو أن الرواى خلط بينه وبين البيت التالى (٣٦) . فرواية الشطر الثانى فى الأوروبية (وحيا لا يطيب ولا يفيد) . وروايته فى المتوكلية (وحيا لا يطيف به النشيد) . و (النشيد) هى قافية البيت ٣٥ وهى الكلمة الوحيدة الباقية منه فى الأوروبية ، والنشيد رفع الصوت ، وهو كذلك الشعر المتناشد بين القوم . صفح عنه أعرض ، وأصله من صفح الوجه (بفتح فسكون) وهو عرضه ، أى ولاه صفح وجهه . العانى الأسير . الخدود جمع خد وهى الجماعة من الناس . تنيه تتخلى عنه وتتركه ، والضمير راجع على الخدود . القد (بكسر القاف) سير من جلد ، يعنى القيد الذى قيد به ذلك الأسير . أحال أتى عليه الحول أى العام ، أو مرت عليه أحوال أى سنون . شفه أضناه وأوهنه .

(٣٩ — ٤٠) وافاه أدركه . الوفد الذين يفدون على الملوك . حبس الوفود منعوا ولم تقبل شفاعتهم عند الملك الذى أمسك عنده ذلك الأسير . ولاه الأمر جعله وليا عليه . أى أنهم يدعون الشكر على هذا الصنيع للذى يطلبه ، فهم لم يفعلوا ما فعلوا طلبا لأن يشكروا ، ولكنهم فعلوه بدافع المروءة .

(٤١ ٤٢) صريف الأنياب صريرها حين يعض عليها المغيظ المحنق الحسود . الوعيد التهديد . لم يصد لم يصبنا بسوء ، من صاد يصيد . التمسنا ما لديهم طلبناه . كاده خدعه ومكر به . كبشهم سيدهم . كيدوا فعل ماض مبنى للمجهول من كاد يكيد .

رويت هذه القصيدة عن أبى عمرو الشيبانى . وعندى أنها لا تصح للأعشى ، لأسباب كثيرة :

(١) القصيدة ركيكة ضعيفة النظم ، تشبه فى بعض أبياتها نظم المتون والشعر التعليمى الغث .

(٢) وهى متأثرة بالقرآن فى كثير من أبياتها . فالبيت (٩) متأثر بالآية (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لا تشرك بالله) . والتعبير عن الثواب فى ذلك البيت بقوله (الباقيات) ، متأثر بتعبير القرآن (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) . والبيت (١٠) متأثر بقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) . وقد سمى الناظم تعاليم الدين وأوامر الله فى البيت (١١) « كلام الله » ، وهى تسمية القرآن . قال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه ..) . والتعبير عن الجارة المجاورة فى البيت (١٥)ب « جارة جنب البيت » متأثر بتعبير القرآن (والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل) . ثم هو متأثر فى عجز البيت بقوله تعالى (وما يخفى على الله من شىء فى الأرض ولا فى السماء) . والقصيدة فى جملتها نظم لتعاليم القرآن والاسلام .

(٣) وفى القصيدة ألفاظ غريبة على الأعشى ، وعلى العصر الجاهلى جملة . مثل (لطيف) بمعنى ظريف ، فى قوله (ولا تشتمن جارا لطيفا مصافيا) . ومثل تسمية الله جل وعلا ب (الرحمن) ، فهى تسمية لم تعرفها العرب فى الجاهلية . والأدلة على ذلك كثيرة فى القرآن وفى السيرة . قال تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا) وقال جل وعلا يخاطب الكفار (قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الأسماء الحسنى ٢) وجاء فى السيرة فى صلح الحديبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا فقال له اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . فقال له سهيل بن عمرو — ممثل قريش فى الصلح — : أنا لا أعرف هذا . ولكن اكتب باسمك اللهم (١) . ومع ذلك فقد ورد استعمال هذه اللفظة فى موضع آخر من شعر الأعشى ، فى البيت ٣٦ من القصيد ١٥ .

(٤) والقصيدة بعد كل هذا تخالف ما عرف عن الأعشى من فسق ومن دعارة ، وتناقض سائر شعره . فلم يكن الأعشى قط واعظا ولا صاحب دعوة خلقية أو دينية . بل ان سائر القصيدة يناقض صدرها . فهو يخاطب عاذلته فى البيت الأول قائلا (ذرينى لك الويلات آتى الغوانيا) ، ثم ينهى بعد ذلك عن الزنا فى البيت . (١٥) .

وكل هذه الأسباب مجتمعة ، ترجح أن القصيدة ليست للأعشى .

والقصيدة كما قلنا مروية عن أبى عمرو الشيبانى ، وهو رواية ثقة . وذلك يضطرنا — رغم كل ماقدمنا من أسباب — الى افتراض أنها ، هى والقصيدة ١٧) قد صنعهما الشاعر بعد أن بلغه شىء من مبادىء الاسلام وتعاليمه . وربما كان قد سمع شيئا من القرآن ، قبل أن يرحل الى النبى صلى الله عليه وسلم فى القصة المشهورة التى سبقت فى القصيدة ١٧ . وان صح ذلك فضعف النظم راجع الى أن الشاعر يعالج مواضيع ومعانى جديدة يروض الشعر فيها ، محاولا أن يطوع لها أساليبه ، فلا يسلس له القياد . وهذه ظاهرة عامة فى الشعر الذى عالج المواضيع الاسلامية الجديدة فى صدر الاسلام ، لاحظها قدماء النقاد فى شعر حسان نفسه ، رضى الله عنه .

---

١ — ذرينى — لك الويل — أُمتع نفسى من النساءِ ، فما أَنا بفلاح أَسوق الجمال التى تستخرج الماءَ من الآبار لرى الزروع .

٢ — ترجو الثراءَ من (سِيَاس) وأَضرابها ، ومِنْ قبل ذلك ما كنت تسعى وراءَ المال .

٣ — سأُوصى عاقلا إن دنا أَجلى — وكل امرىءٍ صائر إلى الفناءِ —

٤ — بأَن لا ترج الخير ممن ينأَى متباعدا ، ولا تنأَ عمن يدنو إليك متقربا .

٥ — وأَبغض من يبغضك ، واجز الصديق بمودته مودةً أَو زد عليه .

٦ — وشارك سادة الحى فيما ينوب من مغَارم ، غير مبطئٍ ولا متخاذ ل .

٧ — وإن صد عنك رجل من الناس فاصدد عنه ، كائنة ما كانت قرابته .

٨ — واتق الله فليس كتقواه شئ ، وواس الجائع الذى أَضنته الفاقة .

٩ — ولا تشرك بربك ، فالشرك ينقص من ثوابك فيما قدمت من خير .

١٠ — واعبد ربك غير مشرك به ، ليعينك على ما تسعى إليه ويرعاك .

١١ — ولا تأْكل الميتة . فبحسبك كلام الله ناهيا وزاجرا .

١٢ — ولا تقدم من الوعود ما لا تستطيع الوفاءَ به . ولا تشتم الجار المخلص اللطيف .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٢٢ .

وقال :

١ ـ ذَرِينِى لَكِ ٱلْوَيْلَاتُ آ تِى ٱلْغَوَانِيَا ‏ ‏ مَتَى كُنْتُ زَرَّاعًا أَسُوقُ السَّوَانِيَا (طويل)

٢ ـ تُرَجِّى ثَرَاءً مِنْ سِيَاسٍ وَمِثْلِهَا ‏ ‏ وَمِنْ قَبْلِهَا مَا كُنْتَ لِلْمَالِ رَاجِيَا

٣ ـ سَأُوصِى بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ ٱلْبِلَى ‏ ‏ وَكُلُّ آمْرِئٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فَانِيَا

٤ ـ بِأَنْ لَا تَأَنَّ ٱلْوُدَّ مِنْ مُتَبَاعِدٍ ‏ ‏ وَلَا تَنْأَ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ رَاضِيَا

٥ ـ فَذَا الشَّنْءِ فَاشْنَأْهُ وَذَا ٱلْوُدِّ فَٱجْزِهِ ‏ ‏ عَلَى وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ٱلْغَلَانِيَا

٦ ـ وَآسِ سَرَاةَ ٱلْحَيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ‏ ‏ وَلَا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّبَاعَةِ وَانِيَا

٧ ـ وَإِنْ بَشَرٌ يَوْمًا أَحَالَ بِوَجْهِهِ ‏ ‏ عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ دَانِيَا

٨ ـ وَإِنَّ تُقَى الرَّحْمٰنِ لَا شَىْءَ مِثْلُهُ ‏ ‏ فَصَبْرًا إِذَا تَلْقَى السِّحَاقَ ٱلْغَرَاثِيَا

٩ ـ وَرَبَّكَ لَا تُشْرِكْ بِهِ إِنَّ شِرْكَهُ ‏ ‏ يَحُطُّ مِنَ ٱلْخَيْرَاتِ تِلْكَ ٱلْبَوَاقِيَا

١٠ ـ بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ لَا شَرِيكَ لِوَجْهِهِ ‏ ‏ يَكُنْ لَكَ فِيمَا تَكْدَحُ ٱلْيَوْمَ رَاعِيَا

١١ ـ وَإِيَّاكَ وَٱلْمَيْتَاتِ لَا تَقْرَبَنَّهَا ‏ ‏ كَفَى بِكَلَامِ اللهِ عَنْ ذَاكَ نَاهِيَا

١٢ ـ وَلَا تَعِدَنَّ النَّاسَ مَالَسْتَ مُنْجِزًا ‏ ‏ وَلَا تَشْتِمَنْ جَارًا لَطِيفًا مُصَافِيَا

(١ — ٣) ذرينى اتركينى ، يخاطب عاذلته يقول لها دعينى وشأنى . الغوانى جمع غانية وهى المرأة الجميلة لأنها تستغنى بجمالها عن الزينة . السوانى جمع سانية وهى القليب الذى تعمل الناقة على استخراج الماء منه لرى الزروع . وتطلق السانية كذلك على الناقة التى يستقى عليها . البلى الموت . سيواس بلد بالروم، ولعله هو المقصود . البلى الموت والفناء . بصير عاقل فطن . والبيتان الثالث والرابع مكرران فى القصيدة (١٤) . فى البيتين (٥ ، ٦) منها .

(٤ — ٦) تأنى ترفق وتمهل وانتظر . أى لا تنتظر ودا ولا خيرا منه . شنأه شنأ كرهه وابغضه . الغلانية (بالغين المعجمة) الغلو والاسراف فعلها غلن (كفتح) . وروى العلانيا (بالعين المهملة) من علن الأمر (كنصر) علونا وعلانية شاع وظهر . السراة جمع سرى (كغنى) وهو الشريف والسيد . آسهم أى عاونهم يقصد المشاركة بالمال فى المغارم . الرباعة الحمالة يحتملها سيد القوم من ديات القتلى والمغارم ، ثم يسعى فى جمعها من قومه . وانيا بطيئا .

(٧ — ٨) أحال بوجهه ولاه وصرفه . عليك يقصد عنك . حل عنه انصرف . وان كان دانيا قريب القرابة . السحاق من السحق وهو البعد ، والسحيق البعيد . والأليق بما بعدها أن تكون من الضمور والهزال ، من قولهم أسحق الشىء اذا ضمر وانضم ، وأسحق الضرع ذهب لبنه وبلى ، ومنه كذلك السحق (بفتح فسكون) وهو الثوب البالى . الغراث (بكسر الغين) جمع غرثان وهو الجائع ، فعلها غرث (كعلم) . والصبر هنا الكفالة من قولهم صبر نفسه به صبرا أى كفله وعاله وقام بالانفاق عليه ، وأصله الحبس ، كأنه قد حبس نفسه عليه .

(٩ — ١٢) يحط من الخيرات ينقصها . البواقى يقصد ثواب الآخرة الذى يبقى ويدوم . تكدح تعمل وتشقى . راعيا حافظا . انجز الوعد أمضاه وانفذه ، مصافيا مخلصا . صدر البيت (١١) مكرر فى القصيدة ١٧ : ١٩ .

١٣ ـ ولا ترغب عن وصل ذوى القربى ، ولا تك ظلوما لقومك .

١٤ ـ وأدِّ الأَمانة التى اؤتمنت عليها ، يذكرك الناس بعد موتك بالخير والوفاء .

١٥ ـ ولا تسع لإفساد جارتك ، فالله يراك حين تظن أنه لا يراك .

١٦ ـ ولا تحسد صديقك إن استغنى ، ولا تنأ عنه إن واتاك المال .

١٧ ـ ولا تتخل عن قومك إن مسَّهم الضُّر ، فإنك لا تعدم بمشاركتك سبيلا إلى المجد .

١٨ ـ واشدد أزْر المستجير بك ، ودافع من دونه موقدا نار الحرب حاميةً تَسْفَع الوجوه .

(٦٧)

رووا فى قصة هذه الأبيات أن الاعشى اقبل من عند قيس بن معديكرب ، فمر بالطائف ، فنزل بعروة بن مسعود الثقفى فأكرمه وكساه .

والطائف قرية شرقى مكة ، على سفح جبل غزوان ، كانت ـ ولاتزال ـ كثيرة الفواكه والبساتين ، معتدلة الجو ، لارتفاعها ، وكثرة المياه والزروع فيها . وكانت (ثقيف) تنزلها ، وقد حصنتها بسور .

أما عروة بن مسعود بن معتب فهو أحد سادة ثقيف ، وكان متزوجا آمنة بنت أبى سفيان بن حرب (١) . وهو عم والد المغيرة بن شعبة . وقد أوفدته قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم عليهم فى الحديبية ، وكان له حديث (٢) . وأوفده قومه بعد ذلك الى النبى مرة أخرى ليهادنه ، بعد انصرافه عن حصارهم ، فأسلم (٣) ، ثم عاد الى قومه يدعوهم للاسلام فقتلوه سنة ٩ هـ . وقد ذهب بعض المفسرين الى انه احد المقصودين بقوله تعالى : ـ يحكى قول الكفار ـ (وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٤) .

---

١ ـ إذا أَتيت ديار ثقيف مادحًا تنشد الشعر ، أَلفيتَ قوما كراما يغمرونك بعطائهم الغزير .

٢ ـ إن الكريم إذا حللتَ ببابه وإذا سأَلته : هو (أَبو يَعْفور) .

(١) السيرة ٤ : ١٢٦ .
(٢) السيرة ٣ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ .
(٣) السيرة ٤ : ١٨٢ .
(٤) الاصابة ٢ : ٤٧٧ .

١٣ ـ وَلَا تَزْهَدَنْ فِى وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ   وَلَا تَكُ سَبْعًا فِى ٱلْعَشِيرَةِ عَادِيَا
١٤ ـ وَإِنْ ٱمْرُؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ أَمَانَةً   فَأَوفِ بِهَا إِنْ مِتَّ سُمِّيتَ وَافِيَا
١٥ ـ وَجَارَةَ جَنْبِ ٱلْبَيْتِ لَاتَبْغِ سِرَّهَا   فَإِنَّكَ لَا تَخْفَى عَلَى اللهِ خَافِيَا
١٦ ـ وَلَاتَحْسُدَنْ مَوْلَاكَ إِنْ كَانَ ذَا غِنًى   وَلَاتَجْفُهُ إِنْ كُنْتَ فِى ٱلْمَالِ غَانِيَا
١٧ ـ وَلَاتَخْذُلَنَّ ٱلْقَوْمَ إِنْ نَابَ مَغْرَمٌ   فَإِنَّكَ لَاتَعْدَمْ إِلَى ٱلْمَجْدِ دَاعِيَا
١٨ ـ وَكُنْ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجَارِ حِصْنًا مُمَنَّعًا   وَأَوْقِدْ شِهَابًا يَسْفَعُ ٱلْوَجْهَ حَامِيَا

(٦٧)

وقال يمدح عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِىّ :

١ ـ وَإِذَا أَتَيْتَ مُعَتِّبًا فِى دَارِهَا   أَلْفَيْتَ أَهْلَ نَدًى هُنَاكَ خَبِيرِ (كامل)
٢ ـ إِنَّ ٱلْجَوَادَ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ   وَإِذَا تَسَائِلُهُ أَبُو يَعْفُورِ
٣ ـ . . . . وَ

(١٣ — ١٥) زهد فيه (كفتح وعلم وكرم) رغب عنه وتركه . عادبا تعدو على الناس وتظلمهم . أسـدى ألقى . أوف بها أد اليه أمانته . جارة جنب البيت التى يلاصق بيتها بيتك . السر بمعنى الزنى، والسر كذلك الموضع نفسه من الأنثى . خافيا حال من الضمير المستتر فى (تخفى) أى لا تخفى حال تظن أنك خاف . وقد تكرر معنى البيت (١٥) فى القصيدة ١٧ : ١٤ ، التى تنسب له فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم .

(١٦ — ١٨) جفاه رغب عنه وتركه . غانيا غنيا . المغرم الغرامة ، وهى المشقة والضرر ، وأن يلتزم الانسان أداء ما ليس عليه . نابهم أصابهم وحل بهم . لا تعدم ، جزم الفعل هنا شاذ ، لأن لا النافية لا تجزم . داعيا سببا . الشهاب شعلة النار الساطعة ، يقصد بها الحرب فى سبيل حماية الجار اللاجىء . يسفع الوجه يلفحه ويحرقه فيغير لونه .

(٦٧)

(١ — ٢) معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن عوف بن ثقيف جد عروة (الممدوح) . خبير غزير ، من الخبر (بفتح فسكون) . والخبراء من الناقة الغزيرة اللبن ، ومنه خبرت الأرض اذا كثر شجرها . واظنه تصحيفا ولعل الصواب : ألفيت أهل ندى هناك وخير (بكسر الخاء) ، وهو الكرم والشرف . أبو يعفور كنية الممدوح ، واليعفور هو الظبى وولد البقرة الوحشية .

— ٦٨ —

يمدح الأعشى بهذه القصيدة قيس بن معد يكرب . وقد تقدمت فى مدحه اربع قصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) . وبقى للأعشى فى مدحه قصيدتان ، هما (٧٦) ، (٧٨) . والقصيدة الأخيرة كلها غزل وخمر ، ولكنه ختمها بأربعة ابيات فى مدحه .

يبدأُ الشاعر قصيدته متحدثا عن صاحبته المحببة (قتيلة) .

(١ ـ٢) فقد وقف الأَعشى على ديارها فى (هَضْب القَلِيب) ، ففاضت عيناه بالدموع ، فَيْضَ الدلاءِ بالماءِ . هنالك وعدته (قُتَيْلَة) اللقاءَ ، ثم أَخلفته الميعاد ، ولم تكن من قبل كذوبا تُخْلِف الوعود .

ويتذكر الأَعشى جَمالها متحسرا فيقول :

٣ ـ ظبية من ظباءِ (بَطْن خُسَاف) ، ترعى طفلا لها صغيرا فى الوادى الفسيح ، قد حظى بكل عنايتها فلم يَشغَلها عنه حليل .

ثم يقول :

٤ ـ أَطاعت الوشاة . وقد كنت أَوصَيتها أَلا تستمع إِلى ما يبلغونها عنى من أَكاذيب .

وينتقل الأَعشى من هذا الغزل إِلى الصحراءِ ، فى طريقه للممدوح ، فيقول :

(٥ ـ٧) كم قطعت من قَفْر مجدب عار من كل شئ ، كأَنه ظهر تُرس ، فوق ناقة صلبة ضامرة ، تمد عنقها فى انطلاقها حين تختال بالراكبَيْن فوق ظهرها ، وتمضى لوجهها لا يثنيها شئ ، كأَنها الفَحْل الأَبيض الكريم ، نذره صاحبه للمرعى فسيَّبه لايُركب ولا يُمَس . تختال فى الموكب إِذا خف ، وتتميز من بينه بأَيد سراع ، وسنام ضخم قد اكتنز بالشحم .

ثم يتخلص الأَعشى إِلى المدح فيقول :

(٨ ـ١١) يمَّمَتْ ناقتى هذه شَطر (بنى الحارث) ، أَهلِ الغناءِ والطرب والخمر . يلجأُ إِليهم المستجير ، فيسكن فى جوارهم ويطمئن ، حتى ما يجرؤُ صاحب الثأر على أَن يغتاله فى الخفاءِ . ويبذلون الطعام إِذا انقطع المطر ، وهبت ريح الشمال بالثلج والصقيع ، وأَمحلت نجوم (المَجَرَّة) ، حتى ما تَدِرُّ ريحُ الجنُوب ما يسقى وَعلّا ظمآن .

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

١ ـ مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ الْقَلِيبِ ‏ فَاضَ مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ الْغُرُوبِ (خفيف)

٢ ـ أَخْلَفَتْنِي بِهِ قُتَيْلَةُ مِيعَا ‏ دِي وَكَانَتْ لِلْوَعْدِ غَيْرَ كَذُوبِ

٣ ـ ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ بَطْنِ خُسَافٍ ‏ أُمُّ طِفْلٍ بِالْجَوِّ غَيْرِ رَبِيبِ

٤ ـ كُنْتُ أَوْصَيْتُهَا بِأَنْ لَا تُطِيعِي ‏ فِيَّ قَوْلَ الْوُشَاةِ وَالتَّخْبِيبِ

٥ ـ وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ ‏ قَدْ تَجَاوَزْتُهَا بِحَرْفٍ نَعُوبِ

٦ ـ عِرْمِسٍ بَازِلٍ تَخَيَّلُ بِالرِّدْ ‏ فِ عَسُوفٍ مِثْلِ الْهِيْجَانِ السُّيُوبِ

٧ ـ تَضْبِطُ الْمَوْكِبَ الرَّفِيعَ بِأَيْدٍ ‏ وَسَنَامٍ مُصَعَّدٍ مَكْثُوبِ

٨ ـ قَاصِدٌ وَجْهُهَا تَزُورُ بَنِي الْحَا ‏ رِثِ أَهْلَ الْغِنَاءِ عِنْدَ الشُّرُوبِ

٩ ـ الرَّفِيئِينَ بِالْجِوَارِ فَمَا يُغْ ‏ تَالُ جَارٌ لَهُمْ بِظَهْرِ الْمَغِيبِ

١٠ ـ وَهُمُ يُطْعِمُونَ إِذْ قَحَطَ الْقَطْ ‏ رُ وَهَبَّتْ بِشَمْأَلٍ وَضَرِيبِ

(١ ـ ٢) القليب البئر لأن ترابها قلب ، وقد تطلق على القديم العادى منها. وهضب القليب جبل الشربة (بضمتين ثم باء مشددة) أو هو جبل في ديار بنى عامر . الشئون مجارى الدمع ، جمع شأن . الغروب الدلاء ، جمع غرب (بفتح فسكون) . بطن الوادى الموضع الذى يجتمع فيه ماء السيل فيزهو نباته . بطن خساف برية بين بالس وحلب . الجو ما انخفض من الأرض ، وما اتسع من الوادى . الربيب ابن امرأة الرجل من غيره ، يقصد أن هذا الظبى كان موضع عناية أمه كلها ، لا يشاركه فى ذلك زوج لها .

(٤ ـ ٥) خببه تخبيبا خدعه وغشه وأفسده . فلاة صحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة يحملها المحارب للوقاية من السيف ونحوه . الحرف الناقة الصلبة ، على التشبيه بحرف الجبل . نعبت الإبل (كفتح) مدت أعناقها فى سيرها .

٦ ـ العرمس الناقة الصلبة ، على التشبيه بالصخرة . بازل قد تم خلقها ، فبزل نابها ، وذلك فى السنة التاسعة . تخيل أى تتخيل من الخيلاء (بضم ففتح) وهى الكبرياء والتبختر . الردف الراكب خلف راكب آخر . العسوف التى تركب رأسها فى السير ولا يثنيها شىء . الهجان من الابل البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . السيوب الذى سيبه صاحبه وأطلقه لا يمنع من كلأ أو ماء ولا يركب ولا ينتفع به ، وكانوا يفعلون ذلك لنذر أو نحوه .

٧ ـ الموكب بابة من السير ، وكب وكوبا ووكبانا مشى فى درجان ، ومنه اشتق اسم الموكب ، وهو الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة ، على الابل أو الخيل ، يسيرون برفق للزينة أو التنزه . تضبطه تغلبه وتقهره . والاضبط الذى يعمل بيديه جميعا ، والبعير الضابط هو القوى على عمله . الرفيع من الارتفاع الذى هو بمعنى العدو . رفعت ناقتى اذا كلفتها المرفوع من السير ، وهو فوق الموضوع ودون العدو . مصعد مرتفع لاكتنازه بالشحم . مكثوب ضخم مجتمع .

(٨ ـ ١٠) الشروب الذين يشربون الخمر ، جمع شارب . أهل منصوبة على الاختصاص ، مثل (وامرأته حمالة الحطب) رفأه (كفتح) سكنه من الرعب ورفق به . الجوار العهد ، وأن تعطى الرجل ذمة فيصبح بها جارك تجيره مما تجير منه نفسك وأهلك . اغتاله قتله على غرة ومن خفية . قحط القطـــر اى احتبس المطر . الشمال ريح الشمال وهى باردة . الضريب الثلج والصقيع .

(١٢–١٤) لهم مدحي وثنائي ، وإن لا منى فى ذلك اللائمون ، فليس للائمى فيهم إلا اللومُ والعصيان . لِلْموتِ مَنْ عاداك يا قيس ، يا رجل البر والخير ، يا أَبا الأَشْعَث . لى منه فى كل عام ناقة نجيب ، أَو فرس عتيق موفور النشاط ، لا يُخْرِج راكبه إلى شد العِنان .

ويمضى الأَعشى فى وصف هذا الفرس ، فهو .

(١٥–١٧) ضامر البطن عريض الصدر ، كأَنه وَعِل يرعى شجر (الرَّبْل) ، كريم الأَبوين ، مشهور النسب ، قد حُبِس فى مَرْبَطه على العَلَف حتى ترك القَيْدُ فى يديه آثارا . إذا وجَّهته بين الخيل فى حلبة السباق ، استخف بها حين يعدو مُفْتَنًّا فى ضروب العدو .

ويختم الأَعشى قصيدته بقوله :

١٨ – تلك خيلى منه ، وتلك إبلى فى لونها الأَصفر الأَدكن ، قد تناثر من حولها أَولادها كالزبيب .

١١ ـ وَخَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَا تَشْـ ... ـرَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ ٱلْجَنُوبِ
١٢ ـ مَنْ يَلُمْنِى عَلَى بَنِى ٱبْنَةِ حَسَّـا ... نَ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِى ٱلْخُطُوبِ
١٣ ـ إِنَّ قَيْسًا قَيْسَ ٱلْفَعَالِ أَبَا ٱلْأَشْـ ... ـعَثِ أَمْسَتْ أَعْدَاؤُهُ لِشَعُوبِ
١٤ ـ كُلَّ عَامٍ يَمُدُّنِى بِجَمُومٍ ... عِنْدَ وَضْعِ ٱلْعِنَانِ أَوْ بِنَجِيبِ
١٥ ـ قَافِلٍ جُرْشُعٍ تَرَاهُ كَتَيْسِ ٱلـ ... رَّبْلِ لَا مُقْرِفٍ وَلَا مَخْشُوبِ
١٦ ـ صَدَأُ ٱلْقَيْدِ فِى يَدَيْهِ فَلَا يُغْـ ... ـفَلُ عَنْهُ فِى مَرْبَطٍ مَكْرُوبِ
١٧ ـ مُسْتَخِفٍّ إِذَا تَوَجَّهَ فِى ٱلْخَيْـ ... ـلِ لِشَدِّ ٱلتَّفْنِينِ وَٱلتَّقْرِيبِ
١٨ ـ تِلْكَ خَيْلِى مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِى ... هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّبِيبِ

(١١ ـ ١٢) الجربة المزرعة والبقعة الحسنة النبات ، ويقال للمجرة جربة النجوم . والمجرة نجـــوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء . خوت النجوم أمحلت فلم تمطر ، وكانت العرب تنسب المطر للنجوم . الأروية الوعل ، تطلق على الذكر والأنثى . الجنوب ريح تقابل الشمال . مرى الجنوب استدرارها الغيث . واصله مرى الناقة ، وهو مسح ضرعها لتدر ، فعله مرى (كضرب) . أى أن الجدب شديد ، فما تمطر السماء ما يسقى وعلا واحدا . بنى ابنة حسان هم رهط قيس ، وابنة حسان هى كبشة بنت حسان أبى الحارث ، وهى جدة قيس لأمه . الخطوب الأمور الكبيرة .

(١٣ ـ ١٤) الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . الأشعث هو الأشعث بن قيس الذى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم ، وبه كان يكنى أبوه . والأشعث هـــذا هو ابو عبد الرحمن بن الأشعث صاحب فتنة العراق المشهورة فى أيام الحجاج . شعوب اسم للموت لأنه يشعب الناس أى يفرقهم . فرس جموم موفور النشاط . عند وضع العنان ، اى أنه يعطيك ما عنده عفوا عند تركك تحريكه . النجيب العتيق الكريم .

١٥ ـ قفل الفرس (كضرب) قفولا فهو قافل اذ ضمر وذهب شحمه . الجرشع العظيم الصدر او العظيم الجنبين . التيس ذكر الظباء والمعز والوعول . الربل جمع ربلة ، وهى ضرب من الشجر ، اذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . المقرف من كان أبوه دون أمه ، والهجين من كانت أمه دون أبيه . ويقصد بالمقرف فى الخيـــل من كانت أمه فرســا معروفة النسب أصيلا ، ولم يكن أبـــوه كذلك . وكانت العرب تحفظ انساب الخيل لشدة عنايتهم بها . المخشوب المختلط النسب . أى أن هذا الفرس مشهور النسب معروفه .

(١٦ ـ ١٨) المربط موضع ربط الدواب ، مكروب قد كرب قيده أى ضيق . يقال كرب وظيفى الفرس والجمل اذا دانى بينهما بحبل أو قيد . أى أن هذا الفرس قد حبس زمانا على العلف لا يكلف اى عمل . مستخف من الاستخفاف وهو الاستهانة بالشىء . الشد العدو . التفنين التفنن والتنويع فى ضروب العدو . التقريب من ضروب العدو . الركاب الابل ، والواحدة راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . صفر اى سود ، كذلك قال صاحب اللسان ، ثم اتبع ذلك معللا : ولا يرى أسود منها الا وهو مشوب بصـــفرة . وقد ذهبوا الى هذا التفسير لأن الزبيب الذى يشبهها به أسود . والواقع أن الزبيب ليس أسود ولكن لونه خليط من الصفرة والحمرة والسواد .

هذه القصيدة صورة من الخلاف الذى كان مستحكما بين بنى سعدبن ضبيعة (قوم الاعشى) ، وبين ابناء عمومتهم (بنى جحدر بن ضبيعة). وقد هجاهم الاعشى فى القصيدتين (٢٣) ، (٥٣) . وهجا سيدهم شيبان بن شهاب الجحدرى فى القصيدتين (١٠) ، (٢٠) . والاعشى يهاجمه فى هذه الابيات ، ويهاجم معه أبناء عمومته (تيم بن قيس بن ثعلبة) . وقد كان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة حليفين (وهما الحرقتان) . ولكن الأعشى كان يهاجم بنى سعد ، وقلما كان يتعرض لاخوتهم بنى تيم . ولذلك فهو هنا يشير فى البيتين (٨ ، ٩) الى أنهم كانوا يرعون حرمتهم ويمدون اليهم ايديهم بالمساعدة والعون ، ويعتب عليهم تسرعهم الى الانضمام لعدوهم . والاعشى يتجه الى قومه الذين يترفقون بهؤلاء الناس من ابناء عمومتهم ، ويؤملون فى استصلاحهم ، طالبا اليهم أن يتركوهم وشأنهم ، فليس فى موادعتهم فائدة ، وليس فى مخاصمتهم ضرر .

يقول الأعشى :

(١ ـ٢) وردت إلىّ الأنباءُ ـ وأنا بعيد عنكم ، تفصل بيننا قطعان الحمر الوحشية ، التى تأوى إلى مَكَامِنِهَا من شدة الحر ، فى جنبى (فِتَاق) و (أباق) ـ بأنكم تترفقون بقوم لا غَنَاءَ فيهم على الرهط ، ولا فائدة تعود عليه من موادعتهم .

ويتجه الأعشى بالحديث إلى ابنته التى رأيناه يتحدث إليها فى القصيدتين (٤) ، (١٣) فيقول :

(٣) قد كنتُ يا ابنتى طوعَ القوم ، يوجهوننى حيث شاءُوا ، وفى يدهم مِقْوَدى . ولكنهم تخلوا عنى ، وألقوا حبلى فى عنقى ، وتركونى وشأنى نافضين أيديهم منى .

ثم يقول لخصمه شيبان بن شهاب (جد المَسَامِعَةَ) :

(٤ ـ٥) فيم الخلاف ، وفيم هذا الضجيج ؟ أهو من أجل أولئك الفتية ، البيض الوجوه الكرام ، الذين لو التقوا بجماعتك يومًا لأوردوهم الهلاك؟ أولئك فتية يثبتون فى القتال حين يثور من تحت أرجلهم الغبار ، ولا يفرون حين تَزِلُّ الأقدام .

(٧ ـ٨) جزاك الله يا (شيخَ مِسْمَع) جزاءَ المسئ حين تمسى وحين تصبح . ويجزى الله (تَيْما) عن إخوة كانوا يرعون حرمتهم . ألا ما أسرعهم إلى ركوب الشر وغشيان المَحَارم !

(٩ ـ١١) يعدون علينا ظالمين وهم إخوتنا ، لو زلت قدمهم لتعلقنا بهم لانخذلهم ، ولانسلمهم لشئ . ولقد كنا أمددناهم من قبل حين تخلفوا متخاذلين ، وكنا على أعدائهم الموتَ الزؤام . ومن قبلُ ما أسرعنا برماحنا إلى (بنى رُهْم) ، حين لجأوا إلينا فرارًا من الشر .

وقال فيما كان بينه وبين بعض قومه :

١ ـ أَتَانِي وَعُونُ الْحُوشِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... كَوَانِسُ مِنْ جَنْبَيْ فِتَاقٍ فَأَبْلَقَا (طويل)

٢ ـ تَأَنِّيكُمُ أَحْلَامَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ ... عَلَى الرَّهْطِ مَغْنًى لَوْ تَنَالُونَ مَوْثِقَا

٣ ـ بُنَيَّةُ إِنَّ الْقَوْمَ كَانَ جَرِيرُهُمْ ... بِرَأْسِي لَوْ لَمْ يَجْعَلُوهُ مُعَلَّقَا

٤ ـ أَفِي فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ إِذَا لَقُوا ... قَبِيلَكَ يَوْمًا أَبْلَغُوهُ الْمُخَنَّقَا

٥ ـ إِذَا اعْتَفَرَتْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ مَعْرَكٍ ... ثَبَتْنَ بِهِ يَوْمًا فَإِنْ كَانَ مَزْلَقَا

٦ ـ ....

٧ ـ جَزَى اللهُ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ مِسْمَعٍ ... جَزَاءَ الْمُسِيءِ حَيْثُ أَمْسَى وَأَشْرَقَا

٨ ـ جَزَى اللهُ تَيْمًا مِنْ أَخٍ كَانَ يَتَّقِي ... مَحَارِمَ تَيْمٍ مَا أَخَفَّ وَأَرْهَقَا

٩ ـ أَخُونَا الَّذِي يَعْدُو عَلَيْنَا وَلَوْ هَوَتْ ... بِهِ قَدَمٌ كُنَّا بِهِ مُتَعَلِّقَا

١٠ ـ أَتَيْنَا لَهُمْ إِذْ لَمْ نَجِدْ غَيْرَ أَنْبِهِمْ ... وَكُنَّا صَفَائِحًا مِنَ الْمَوْتِ أَزْرَقَا

١١ ـ وَجُدْنَا إِلَى أَرْمَاحِنَا حِينَ عَوَّلَتْ ... عَلَيْنَا بَنُو رُهْمٍ مِنَ الشَّرِّ مَلْزَقَا

(١ ـ ٢) عون جمع عانة وهي الأتان أو القطيع من حمر الوحش . الحوش مثل الوحش . كوانس جمع كانس وهو الذى دخل كناسه اى بيته الذى يستكن فيه من الحر . فتاق وابلق موضعان . التأني التهيؤ والترفق والانتظار . تأنيكم فاعل (أتاني) في البيت السابق . مغنى اى غنـاء (بفتح الغين) وهو النفع . الموثق والميثاق العهد . يقول هؤلاء قوم لا ينفعوننا بشيء لو عاهدتموهم.

(٣ ـ ٥) الجرير ما يضم حبل الخطام الى راس البعير . علق اراحلته التي خطامها في عنقها . بيض الوجوه كناية من اليمن والكرم . القبيل الجماعة من الثلاثة فصاعدا . المخنق موضع الخنق من الرقبة . اعتفرت اقدامهم تتربت من تراب المعركة . المزلق الموضع الذى تزلق فيه القدم وتزل ، كناية عن الشدة .

(٧ ـ ٨) شيخ مسمع هو شيبان بن شهاب الجحدرى . ومسمع ولده وهو جد المسامعة الذى ينسبون اليه . وهو مسمع بن شيبان بن شهاب الجحدرى . وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم ارتد بعد موته وقتل بالبحرين . وقد كان والده مالك بن مسمع سيد ربيعة في فتنة ابن الزبير ، ومات في أول خلافة عبد الملك بن مروان ، وعقبه وعقب اخوته كثير . أمسى دخل في المساء . أشرق دخل في شروق الشمس صباحا . تيم من قيس بن ثعلبة ابناء عمومة الاعشى ، وهم كذلك ابناء عمومة المسامعة . من اخ يعني نفسه وقومه . محارم تيم حرمتهم وقرابتهم لانهم ابناء عمه . ما أخف تعجب من خلفتهم وطيشهم . ارهق من الرهق (بفتحتين) وهو السفه وركوب الشر وغشيان المحارم .

(٩ ـ ١١) أخونا يقصد بني تيم وهم ابناء عمه . هوت قدمه زلت ووقع في ضيق أو مكروه . كنا متعلقا اى اننا نتعلق به ولا نخذله . انبهم بطؤهم وتراجعهم ، من انى يأنى (كضرب وعلم) . صفائح جمع صفيحة وهي السيف العريض . أزرق حال من الموت وقد قبض الشاعر (مفاعيلن) في الشطر الثاني . وصرف (صفائح) . ورواية البيت في الديوان (اذ لم يجد غير آبيهم) وهو مكسور ومحرف ، ولم أعثر على تحقيقه ، وقد أصلحته على ما بدا لي من السياق . جدنا أى أسرعنا ، من قولهم فلان يجاد الى كذا (على البناء للمجهول) أى يساق . عولت علينا استغاثت بنا . ملزق من اللزوق وهو الالتصاق .

— ٧٠ —

مسروق بن وائل هو أحد أمراء اليمن وأشرافهم . وهو ينتسب الى حضرموت بن قحطان (١) . وقد وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى حضرموت فاسلم (٢) . وتتفق هذه القصيدة فى بحرها وفى قافيتها مع القصيدة (٧٦) ، التى رويت للأعشى فى مدح قيس بن معد يكرب . وهذا الاتفاق يدعو الى الخلط بين أبيات القصيدتين فى كثير من الأحيان . ويساعد على هذا الخلط أن الممدوحين كليهما من سادة اليمن وأشرافهم . والواقع أن كثيرا من أبيات هذه القصيدة يشبه ما ألفناه من شعر الأعشى الذى مدح به قيس بن معد يكرب . وليس للأعشى فى (مسروق بن وائل) غير هذه القصيدة .

يقول الأَعشى :

١ ـ قالت (سُمَيَّة) : من قصدت بمدحك ؟ فقلت : مسروق بن وائل .

٢ ـ عُدِّى لغيبتى أشهرًا ، فإنى سأُقيم عند خير الأَشراف والمَقَاول .

٣ ـ يتجمع الناس حول قبابه ، من طلاب الحاجات والمسائل .

٤ ـ يتسابقون إلى ساحته فى الصباح وفى المساء .

٥ ـ فإذا طلع عليهم فى سَمْتِه ووقاره ، سكنوا خاشعين لسيد ذى تاج .

٦ ـ ليس الفرات وقد أَضحى فى (عانة) جياشًا بالماءِ ، تنحدر إليه السيول مزبدة ، بما تحمل من أَوراق ومن عيدان .

٧ ـ يخشى الملاحون سطوته ، فيعتصمون بمؤخر سفنهم مذعورين .

٨ ـ ويمسى (النبيط) وقد رويت مزارعهم من روافده الحافلة بالماءِ

٩ ـ بأَجود عطاءً من (الحَضْرَمِىِّ) صاحب النعم والأفضال .

١٠ ـ يهب الجوارى فى حللهن المخملة كأَنهن الغزلان .

١١ ـ يرقصن كل عشية ، فتهتز من حركاتهن الثياب المزينة بصور الريش والرجال .

١٢ ـ ويترك خصمه المدجج بالسلاح وقد صرعه على الأَرض ، ترتعش أَنامله من شدة الخوف .

---

(١) العقد الفريد ٣ : ٣١٨ .

(٢) الاصابة ٣ : ٤٠٨ .

وقال يمدح مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلٍ :

(كامل مجزوء)

١ ـ قَالَتْ سُمَيَّةُ مَنْ مَدَحْـ ... ـتَ فَقُلْتُ مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلْ

٢ ـ عُدِّى لِغَيْبِى أَشْهُرًا ... إِنِّى لَدَى خَيْرِ ٱلْمَقَاوِلْ

٣ ـ النَّـــاسُ حَوْلَ قِبَابِهِ ... أَهْلُ ٱلْحَوَائِجِ وَٱلْمَسَائِلْ

٤ ـ يَتَبَادَرُونَ فِنَـــاءَهُ ... قَبْلَ الشُّرُوقِ وَبِٱلْأَصَائِلْ

٥ ـ فَإِذَا رَأَوْهُ خَاشِعًا ... خَشَعُوا لِذِى تَاجٍ حُلَاحِلْ

٦ ـ أَضْحَى بِعَانَةَ زَاخِرًا ... فِيهِ ٱلْغُثَاءُ مِنَ ٱلْمَسَايِلْ

٧ ـ خَشِىَ الصَّرَارِى صَوْلَةً ... مِنْهُ فَعَاذُوا بِٱلْكَوَاثِلْ

٨ ـ فَتَرَى النَّبِيطَ عَشِيَّةً ... رَاوِى ٱلْمَزَارِعِ بِٱلْحَوَافِلْ

٩ ـ يَوْمًا بِأَجْوَدَ نَائِلًا ... مِٱلْحَضْرَمِىِّ أَخِى ٱلْفَوَاضِلْ

١٠ ـ ٱلْوَاهِبُ ٱلْقَيْنَاتِ كَٱلْـ ... ـغِزْلَانِ فِى عَقِدِ ٱلْخَمَائِلْ

١١ ـ يَرْكُضْنَ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... عَصْبَ ٱلْمُرَيَّشِ وَٱلْمَرَاجِلْ

١٢ ـ وَالتَّارِكُ ٱلْقِرْنَ ٱلْكَمِـ ... ـىَّ مُجَدَّلًا رَعِشَ ٱلْأَنَامِلْ

(٢ ـ ٤) غاب يغيب غيبا وغيبة وغيابا . المقـــاول جمع مقول (كمنبر) وهو لقب لرؤساء حمير وأشرافهم . قالوا انه انما سمى بذلك لانه يقول ما يشاء فينفذ . قباب جمع قبة وهو الخباء الضخم ، وهو كذلك البناء الذى يكون سقفه مقعرا مستديرا معقودا بالحجارة او الآجر على هيئة الخيمة . يتبادرون يتسابقون اليه ويسرعون . الأصـائل جمع أصيل وهو من بعـد العصر الى غروب الشمس .

(٥ ـ ٦) خاشعا ساكنا . خشعوا هيبة منه أن يكلموه . التاج عند العرب هو الاكليل ، وهو شبه عصابة تزين بالجواهر . الحلاحل السيد المطاع فى عشيرته . بين البيت الخامس والبيت الســادس بيت ساقط لا يتم المعنى بغيره ، وخلاصته فيما نقدر (ما الفرات اذا جاش ماؤه) وخبر ما فى البيت التاسع (بأجود نائلا) . عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت مشرفة على الفرات ، وربما سموها فى الشعر (عانات) . زاخرا ممتلئا . الغثاء الزبد وما حمل السيل من أوراق الأشجار البالية وغصونها . المسـايل جمع مسيل ، ومسـيل الماء موضع سيله .

(٧ ـ ٩) الصرارى الملاحون جمع صار . صولته سطوته وبطشه . عاذ لجأ . كوثل السفينة مؤخرها . النبيط جيل من العجم كانوا ينزلون البطائح بين العراقيين ، سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . الحوافل جمع حافل . يقصد بها روافد النهر وفروعه الحافلة بالماء أى الممتلئة . النائل العطاء . الحضرمى نسبة الى حضرموت بن قحطان بن عابر توم المدوح . الفواضل النعم العظيمة ، جمع فاضلة .

(١٠ ـ ١٢) القينة الجارية ، وقد تطلق على المغنية خاصة . الخمائل جمع خميل ، وهى الثياب المخمله أى ذات الوبر ، وتطلق على القطيفة . العقد (ككتف) من العقد (بفتح فسكون) وهو الأحكام وشد الالتحام . والمعقد (بتشديد القاف) ضرب من برود هجر . الركض الدفع والحركة . يركضنها يحركنها فى الرقص . العصب ضرب من البرود . المريش البرد الموشى على أشكال الريش . المرجل (بتشديد الجيم وفتحها) الذى فيه صور الرجال . والتارك معطوف على (الواهب) . القرن النظير والكفء فى الشجاعة . الكمى المتكمى بالسلاح اى المتغطى به . مجدلا ومجندلا مصروعا . رعش الأنامل من الخوف .

١٣ ـ ويقود الجياد الضامرة وقد تحلَّبت أفخاذها بالعرق .

١٤ ـ ليس الأَسد أَبو الأَشبال ، فى جبينه الوردىّ ، وشِدقيه الواسعين ، ووجهه العابس .

١٥ ـ وقد لزم (القادسيَّة) بين الأَودية الملتفة الأَشجار .

١٦ ـ يستخف بآحاد الرجال ، ولا يهاجم إلَّا الكثيف من جموع الرجال .

١٧ ـ بأَكثر منه حماسة فى القتال ، حين يهاجم من ينازله من الأَبطال .

١٨ ـ طالت إقامتى فى (تَريم) ، بعيدًا عن أَهلى وقومى (بَكْر بن وائل) .

١٩ ـ قومى (بنو البَرْشَاءِ) (ثعلبة بن بَكْر) ، زَيْنُ المجالس والمحافل .

(٧١)

هذه ابيات فى مدح قيس بن معد يكرب ، ممدوح الاعشى المفضل ، يبدو أنه قد ارتجلها ارتجالا فى بعض المناسبات بين يدى قيس . وقد مدح الاعشى قيسا فى قصائد كثيرة ، وهى (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦٨) ، (٧٦) ، (٧٨) .

يقول الأَعشى :

١ ـ قالت (سُمَيَّة) إذ لاح لها البرق من فوق الجبال .

٢ ـ يا حبذا وادى (النُّجَيْر) ، وحبذا (قيس) رجل الخير والأَفضال .

٣ ـ القائد الخيل الجياد الضوامر ، تمضى فى عَدْوِهَا كالسهام .

٤ ـ والمتعفف عن الكسب الخبيث إذا تهيأَ للقتال .

١٣ ـ وَٱلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَا   قَ ضَوَامِرًا لُحْنَ ٱلْأَيَاطِلْ
١٤ ـ مَا مُشْبِلٌ وَرْدُ ٱلْجَبِيـ   نِ مُهَرَّتُ ٱلشِّدْقَيْنِ بَاسِلْ
١٥ ـ القَادِسِـــيَّةُ مَأْلَفٌ   مِنْهُ فَأَوْدِيَةُ ٱلْغَيَاطِلْ
١٦ ـ يَدَعُ ٱلْوِحَادَ مِنَ الرِّجَا   لِ وَيَعْتَمِى جَمْعَ ٱلْمَحَافِلْ
١٧ ـ يَوْمًا بِأَصْدَقَ حَمْـلَةً   مِنْهُ عَلَى ٱلْبَطَلِ ٱلْمُنَازِلْ
١٨ ـ طَالَ ٱلثَّوَاءُ لَدَى تَرِيـ   مَ وَقَدْ نَأَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلْ
١٩ ـ قَوْمِى بَنُو ٱلْبَرْشَاءِ ثَعْـ   لَبَةُ ٱلْمَجَالِسِ وَٱلْمَحَافِلْ

(٧١)

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

١ ـ قَالَتْ سُمَيَّةُ إِذْ رَأَتْ   بَرْقًا يَلُوحُ عَلَى ٱلْجِبَالِ (كامل مجزوء)
٢ ـ يَا حَبَّذَا وَادِى النُّجَيْـ   رِ وَحَبَّذَا قَيْسُ ٱلْفَعَالِ
٣ ـ ٱلْقَائِدُ ٱلْخَيْلَ ٱلْجِيَا   دَ ضَوَامِرًا مِثْلَ ٱلْمَغَالِى
٤ ـ التَّارِكُ ٱلْكَسْبُ ٱلْخَبِيـ   ثَ إِذَا تَهَيَّأَ لِلْقِتَالِ

(١٣ — ١٥) العتاق جمع عتيق ، وهو الكريم من الخيل . الاطل (بكسر الهمزة) والأيطل (بفتح الهمزة) الخاصرة . لخن جمع الخن ، واللخن (بالتحريك) نتن الريح تحت الابطين من العرق . مشبل اسد أبو شبال . ورد احمر ضارب للصفرة . مهرت الشدقين واسعهما . باسل كريه الوجه . القادسية قرية قرب الكوفة . مألف اسم مكان من ألف المكان اذا تعوده وانس به . الغياطل جمع غيطل (على وزن جعفر) ، والغيطل والغيطلة الاجمة والشجر الكثيف الملتف .

(١٦ — ١٩) اعتام الشىء اعتياما واعتماه اعتماء اختاره وقصده . المحافل جمع محفل وهو مجتمع القوم . اى انه يترفع عن مهاجمة الأفراد ولا يهاجم الا الجماعات . بأصدق خبر مافى البيت (١٤) . حمل حملة كر وهجم . المنازل الذى يجالده فى القتال . الثواء المكث والاقامة . تريم من حصون حضرموت . نأت بعدت . بكر بن وائل قبيلة الأعشى . البرشاء لقب أم ذهل وشيبان وقيس بن ثعلبة ، لقبت بذلك لبرش اصابها ، والبرش والبرص واحد . ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر هو الجد الأعلى لقوم الشاعر .

(٧١)

(٢ — ٤) النجير حصن فى حضرموت لبنى معديكرب . الفعال (بفتح الفاء) اسم للفعل الحسن والخير . المغالى جمع مغلاة (بكسر فسكون) وهو السهم الذى يغلى به ، وغلا الرامى بالسهم (كنصر) رمى به اقصى الغاية . الكسب الخبيث اى الحرام والقبيح الذى يلزم صاحبه العار كالرشوة .

معظم ابيات هذه القصيدة صورة مكررة من القصيدة (٦٠) . وقد مضى تعليقنا عليها . فليراجع فى موضعه .

يقول الأعشى :

١ ـ أتهجرك (رَيًّا) أم يدوم لك وصلها ؟ .. بل القطيعة والهجر ، فقد هيأت جمالها فى الليل للرحيل .

٢ ـ كأن هوادج صاحبتى (المالِكية) فى ألوانها الزاهية فى الصباح المبكر روضةٌ يجرى خلالها الماء فيبعث الخصب ويشيع البهاء .

٣ ـ ليست ظبية قد برز قَرْنها ولَمَّا يكد ، تنشُد طفلها الضائع فى جنبات وادى (تَثْليث) ،

٤ ـ بأجمل منها يوم قامت بين أترابها الناعمات ، فأنكرن حالها وقد لوَّحها الحزن للفراق .

٥ ـ فيم الخصام يا أخوينا من (عِبَاد) و(مالك) ؟ ألم تعلما أن كل ما على الأرض للفناء والزوال ؟

٦ ـ وأننا أخوكم ، وأننا حين تعرض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالها الحديد ، وتثير فى نفوسكم القلق .

٧ ـ نقيم لها سوق الحرب غير هيَّابين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزومًا مدحورًا .

٨ ـ كم من ملمة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، قد فككنا عنكم قيودها .

٩ ـ وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها .

١٠ ـ آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا ، فأضحت رخية البال ، وقد أزحنا عنها الكرب والهزال .

١١ ـ ومع كل هذا الإحسان ، فلكم فينا كلَّ عام قتيل أو أسير ، فبيضةٌ تفقؤونها ، وأخرى من ورائها تتركونها وحيدًا قد ذهبت عنها أختها .

وقال فيما كان بينه وبينَ بَنِى عِبَادٍ وَمَالِكٍ ٱبْنَىْ ضُبَيْعَةَ :

١ ـ أَتَصْرِمُ رَيَّا أَمْ تُدِيمُ وِصَالَهَا   بَلْ الصَّرْمَ إِذْ زَمَّتْ بِلَيْلٍ جِمَالَهَا (طويل)
٢ ـ كَأَنَّ حُدُوجَ ٱلْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً   نَوَاعِمُ يَجْرِى ٱلْمَاءُ رَفْهًا خِلَالَهَا
٣ ـ وَمَا أُمُّ خِشْفٍ جَابَةُ ٱلْقَرْنِ فَاقِدٌ   عَلَى جَانِبَىْ تَثْلِيثَ تَبْغِى غَزَالَهَا
٤ ـ بِأَحْسَنَ مِنْهَا يَوْمَ قَامَ نَوَاعِمٌ   فَأَنْكَرْنَ لَمَّا وَاجَهْتَهُنَّ حَالَهَا
٥ ـ فَيَا أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِينَا وَأُمِّنَا   أَلَمْ تَعْلَمَا أَنْ كُلُّ مَنْ فَوْقَهَا لَهَا
٦ ـ فَتَسْتَيْقِنَا أَنَّا أَخُوكُمْ وَأَنَّنَا   إِذَا نُتِجَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا
٧ ـ نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الضِّرَابِ وَنَعْتَصِى   بِأَسْيَافِنَا حَتَّى نُوَجِّهَ خَالَهَا
٨ ـ وَكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ عَظِيمَةٍ   وَكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا
٩ ـ وَأَرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا   وَإِيَّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا
١٠ ـ هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ   رَخِيَّةَ بَالٍ قد أَزَحنا هُزالَها
١١ ـ وفى كلِّ عامٍ بيضَةٌ تفقَهونَها   فتَغْنَى وتَبقَى بيضةٌ لا أخالَها

(١ — ٢) أتصرم أى هل تهجرك . صرم الحبل صرما قطعه . زم البعيـرخطمه . والخطام سير عريض يوضع فوق الانف ويشد اليه الرسن (بالتحريك) ، وهو الحبل الذى يقاد به البعير . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو مزكب للنساء كالهودج . المالكية نسبة الى مالك ، وهى قبيلة ، والمسمون بمالك كثير . غدوة فى الصباح المبكر . نواعم جمع ناعمة وهى الروضة . رفه عيشه رفها (بكسر الراء وفتحها) لان وأخصب . شبه الحدوج بالروضة فى ألوانها الزاهية .

(٣ — ٤) الخشف ولد الظبية أول مايولد . جاب قرن الظبى (بغيرهمز) ظهر ونتأ . جابة القرن الظبية أول مايظهر قرنها . أما الجأب (بالهمز) فهو الغليظ . وبعضهم يهمز الجاب بمعنى الناتىء ، لأن القرن أول مايبدو يكون غليظا ثم يدق . فاقد فقدت ولدها . تثليث موضع . تبغى غزالها تنشده وتبحث عنه . نواعم أى نساء نواعم مترفات . أنكرن حالها لم يعرفنها لشدة تغيرها من الحزن والهزال .

(٥ — ٦) كل من فوقها فوق الارض . لها أى يعود اليها حين يموت . نتجت (على البناء للمجهول) ولدت . نتجت الناقة ولدا (على البناء للمعلوم) ولدته . الأشهب الابيض . كتيبة شهباء لما عليها من الحديد وبياض السلاح . يخشون فالها أى ضررها وما يتوقعون منها . والأصل فى الفال انه ما يستبشر به الرجل اذا أقدم على حاجته ، ثم استعمل فى الشر بمعنى التشاؤم .

(٧ — ٨) الضراب القتال من ضارب ضرابا ومضاربة . نعتصى بأسيافنا نتخذها كالعصى . الخال لواء الجيش . نوجهه نسوقه . كائن دفعنا أى كم من مرة دفعنا . عظيمة أى كربة أو مصيبة . كربة موت أى تبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير حين يبرك حتى لايتحرك ولا يشرد .

(٩ — ١١) شعث أى أطفال صغار قد تشعث شعرهم وتلبد . ربداء نعامة فى لون الرماد . حثت ساقت . رئالها صغارها . هنأناها أطعمناها واحسنا اليها . المن التعيير بالنعمة . تفقهونها مثل تفقؤونها أى تكسرونها . تعنى تعلق فى الأسر . عنى (كعلم) نشب فى الاسار . ولا معنى لها هنا والانسب رواية البيت كما هو فى القصيدة (٦٠) فتؤذى . وربما كانت مصحفة عن (فتفنى) من الفناء وهو الموت .

هذه القصيدة صورة مما كان يقع من خلاف بين بطون (قيس بن ثعلبة) . فالأعشى يهاجم فيها (جهنام) ، شاعر (بنى عبدان) . وقد مضت للأعشى فى بنى عبدان القصيدتان (١٤) ، (٣٨) ، ومضى له فى هجاء جهنام القصيدة (١٥) . وقد اختلفوا فى اسم جهنام ونسبه . فقال الآمدى : هو عمرو بن قطن بن المنذر بن عبدان بن حدانة بن حبيب بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة (١) . وقال المرزبانى ان اسمه عمرو بن عبدالله بن المنذر (٢) . وقال الاصفهانى ان اسمه عمرو ولم ينسبه . (٣) اما ثعلب فلم يذكر اسمه ولم ينسبه ، ولكنه أشار الى رجل آخر اسمه عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان (وذكر بقية النسب مطابقا لما فى المؤتلف) وقال انه هو الذى جمع بين الاعشى وبين جهنام ليهاجيه . (٤)

يقول الأعشى :

(١ ـ٢) أتانى ما يقول لى ابن الأَمة البظراءِ . فمنذكم أَصبحَتْ أَعراض قيس ـ يا ابن الجبان الفَرَّار ـ مباحةً لرجل من (عَبْدَان) ، هو ابن عاهرة ، مختلط النسب ، مضطرب الأَصل ، مغمور من كل نواحيه ؟

(٤ ـ٥) لقد أعلَنَتْ بنو عبدان الفراق ، وأَسفرت عن الخلاف والعداءِ . فما سَمِنُوا ولا جنوا من شتمى وسبِّى خيرا . إليكم عنى ، قبل أن أبعث بالشعر فى كل مكان ، فيتسامع بهجائكم الناس ، إذ تسرى قصائدى فيكم إلى نجد مع الرياح .

(٦ ـ٧) ما ظنكم بى؟ أظننتم شتمى تَمْرا بزُبْد ؟ أَم ظننتموه عسلا ممزوجا بالخمر؟ إنما هو ماءُ (العلْقم) المرير ، و(السَّلْع) القاتل ، قد مزج بخلاصة (الذُّبَاح) السام المميت .

٨ ـ لقد كانت أُمك أَحق منا بالهجاءِ يا جهنام ، لما جنت عليك من الفضيحة والعار .

(٩ ـ١٠) أما نحن فمكاننا واضح معروف . إنا لنحمى إبل الحى حين نثور ، وحين يتبختر فرسان الكتيبة متمايلين قبل القتال ، حتى نحتازها فلا تصل إليها يد المغير ، حين تتعثر جياد الخيل فى الرماح .

(١١ـ١٣) وإنا لنحتفى بمن ينزل بنا حين يشتد الجدب ، وتضن النوقُ الغزيرة الدَّرِّ بالأَلبان . وإنا لنفرج كل كرب حين يستحكم ويضيق ، حتى ما يستطيع شارب الماء الصافى

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ٢٠٢

(٢) الموشح ص ٥٠ .

(٣) الأغانى ج ٩ ص ١٠٨

(٤) ديباجة القصيدة (١٥) بالديوان ص ٩١ ط . أوربا .

وقال لجهنَّام أحدِ بنى عَبْدَان :

١ ـ أَتَانِى مَا يَقُولُ لِىَ ٱبْنُ بُظْرَى أَقَيْسُ يَا ٱبْنَ ثَعْلَبَةِ الصَّبَاحِ (وافر)

٢ ـ لِعَبْدَانَ ٱبْنِ عَاهِرَةٍ وَخِلْطٍ رَجُوفِ ٱلْأَصْلِ مَدْخُولِ النَّوَاحِى

٣ ـ تَغَنَّى سَلـ.............. ....

٤ ـ لَقَدْ سَفَرَتْ بَنو عَبْدَانَ بَيْنًا فَمَا شَكَرُوا بِلَأْمِى وَٱلْقِدَاحِ

٥ ـ إِلَيْكُمْ قَبْلَ تَجْهِيزِ ٱلْقَوَافِى تَزُورُ ٱلْمُنْجِدِينَ مَعَ الرِّيَاحِ

٦ ـ فَمَا شَتْمِى بِسَنُّوتٍ بِزُبْدٍ وَلَا عَسَلٍ تُصَفِّقُهُ بِرَاحِ

٧ ـ وَلَكِنْ مَاءُ عَلْقَمَةٍ وَسَلْعٍ يُخَاضُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَقِ الذُّبَاحِ

٨ ـ لَأُمُّكَ بِٱلْهِجَاءِ أَحَقُّ مِنَّا لِمَا أَبَلَتْكَ مِنْ شَوْطِ ٱلْفِضَاحِ

٩ ـ أَلَسْنَا ٱلْمَانِعِينَ إِذَا فَزِعْنَا وَزَافَتْ فَيْلَقٌ قَبْلَ الصَّبَاحِ

١٠ ـ سَوَامَ ٱلْحَىِّ حَتَّى نَكْتَفِيهِ وَجُودُ ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ فِى الرِّمَاحِ

١١ ـ أَلَسْنَا ٱلْمُقْتَفِينَ بِمَنْ أَتَانَا إِذَا مَا حَارَدَتْ خُورُ اللِّقَاحِ

(١ — ٢) ابن بظرى اى ابن البظراء التى لم تختن كناية عن أنها أمة غيرعربية . الصباح الغارة . ثعلبة الصباح اى الذى يجبن ويفر فى القتال كما يفر الثعلب . (يا ابن ثعلبة الصباح) جملة اعتراضية . أقيس مبتدأ ، خبره (لعبدان) و (ابن عاهرة .. الخ) كلها صفات . اى أتباع أعراض قيس ـ ويعنى به قيس بن ثعلبة ، جدهم الذى يجمع قوم الأعشى وقوم جهنام ـ لهذا الرجل من بنى عبدان . خلط مختلط النسب ليس بثابته . وجوف الأصل مضطربه . المدخول الذى دخله عيب فى حسبه .

(٤ — ٥) سفر (كنصر) خرج الى السفر ، وسفر الشىء فرقة وسفر كذلك كشف عن وجهه . البين الفراق . لأمه لأما نسبه الى اللؤم . قادحه قداحا ومقادحة شاتمه وتبادل معه السباب . شكرت الدابة (كفرح) سمنت وامتلأ ضرعها باللبن ، وشكرت الشجرة كثر ظلها ، اى انهم لم يصيبوا خيرا من شتمى . اليكم اى تنحوا دنى وابعدوا (اسم فعل) . جهز المسافر هيأله أدواته ، شبه القوافى بالمسافر ، يقصد بالقوافى هجاءه الذى سيتناقله الناس . أنجد الرجل اتى نجدا ، والنجد المرتفع ، ونجد اسم للهضبة التى تتوسط جزيرة العرب .

(٦ — ٧) السنوت التمر . صفق الشراب حوله من اناء الى اناء ليصفو . الراح الخمر . العلقم شجر الحنظل ، والقطعة منه علقمة، وكل مرفهو علقم . والعلقم أشد الماء مرارة ، وذلك اذا تغير وخثر . السلع نبات مر سام . خاض الشراب خلطه . العلق الدم ، والعلق ما تتبلغ به الماشية من الشجر . والعلق (بضم ثم فتح) الداهية ، والعلق (بضمتين) المنايا . الذباح نبت سام يقتل آكله .

(٨ — ١٠) الفضاح الفضيحة والعار . الشوط الغاية ، والجرى الى الغاية مرة ، أو هو (سوط الفضاح) بالسين المهملة ، وهو مصدر ساطه يسوطه اذا ضربه بالسوط . والسوط كذلك النصيب والشدة . أبله أعطاه ابلا . ولم تعطه أمه ابلا ولكنها أعطته الفضيحة . فزع (كعلم) هب . زافت تبخترت وتمايلت . الفيلق الجيش . الصباح الغارة . السوام الابل السائمة اى الراعية ، وهى مفعول (المانعين) فى البيت السابق ، أى الذين نحمى ابل الحى . نكتفيها نردها ونحتازها فلا تصل اليها يد المغير . اكتفأ الاناء أماله وقلبه ، واكتفأ الابل أغار عليها فذهب بها . جود جمع جواد ، وهو السريع العتيق .

(١١ — ١٢) اقتفى به احتفى به واكرمه . حاردت انقطع لبنها . خور جمع خوارة وهى الناقة الغزيرة اللبن . اللقاح الابل ، واحدتها لقوح .

أَن يسيغه . وإنا لأَكرم إن بُحِث عن الأَنساب ، وأَشجع حين يُضْرَب بسيوف الهند العِراض .

— ٧٦ —

مضى للأعشى فى مدح قيس بن معديكرب خمس قصائد وهى (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦٨) .
وقد ترجمنا للممدوح فى القصيدة الاولى . وبقى للأعشى فيه قصيدة واحدة وهى (٧٨) . وليست هذه القصيدة الأخيرة فى الواقع مدحا ، فهى فى معظمها غزل وخمر ، لم يعرض فيها لقيس الا فى الأبيات الاربعة الأخيرة . وقد أشرنا فى القصيدة (٧٠) الى ما بينها وبين هذه القصيدة من تشابه لايستبعد معه أن يكون الرواة خلطوا بينهما . والواقع ان هذه القصيدة — كما هى مثبتة فى الديوان — ليست مدحا بالمعنى الصحيح. فالشاعر لايكاد يشير فيها الى قيس الا فى ثلاثة أبيات (٢ — ٤) ..ولكن الأعشى نظمها فيما يبدو وهو فى ضيافة قيس ، فى بعض أسفاره اليه . وهو يتحدث فى سائر القصيدة عن نفسه وعن قومه . .

يقول الأَعشى :

١ — هل أَنت راحل صباح غد أَيها الرجل الشجاع ؟

٢ — إنا لدى ملك بـ(شَبْوَة) لا تَفتُر عنا صِلاتُه ولا تنقطع .

٣ — تسيل كفاه بالعطاءِ ، كأَنه البدر إشراقًا وهيبة . إن قال تَمَّ على قوله وأَمضاه .

٤ — يهب المائة من النوق الغزيرة اللبن ، بين حائل لم تحمل ، ووَلُودٍ يتبعها ولدها .

وينتقل من ذلك إلى الحديث عن نفسه وعن قومه وعن ذكريات لهوه فيقول :

٥ — كم شربت الخمر ، ترقص من حولنا الجوارى البيض من تركيَّة وَكَابُلِيَّة .

٦ — حمراءَ كدم الذبيح مما حُمِل من بلاد بعيدة ، وعُتِّق فى (بابل) .

٧ — بادرتُ إليها فى الصباح ، حولى الأَشرافُ من قومى (بكرِ بن وائل) .

١٢ ـ أَلَسْنَا ٱلْفَارِجِينَ لِكُلِّ كَرْبٍ إِذَا مَا غُصَّ بِٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ
١٣ ـ أَلَسْنَا نَحْنُ أَكْرَمَ إِنْ نُسِبْنَا وَأَضْرَبَ بِٱلْمُهَنَّدَةِ ٱلصِّفَاحِ

وقال : (٧٤)

١ ـ رِيَاحًا لَا تُهِنْهُ إِنْ تَمَنَّى مَعَارِفَ مِنْ شِمَالِي فِي رِيَاحِ (وافر)
٢ ـ كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ ....ـاحِ

وقال : (٧٥)

١ ـ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْعِزَّ أَلْقَى بِرَحْلِهِ إِلَى ٱلْغُرِّ مِنْ أَوْلَادِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ (طويل)

وقال يمدح قَيْس بْن مَعْدِيكَرِب : (٧٦)

١ ـ هَلْ أَنْتَ يَا مِصْلَاتُ مُبْـ تَكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ فَرَاحِلْ (كامل مجزوء)
٢ ـ إِنَّا لَدَى مَلِك بِشَبْـ وَةَ مَا تَغِبُ لَهُ ٱلنَّوَافِلْ
٣ ـ مُتَحَلِّبِ ٱلْكَفَّيْنِ مِثْـ لِ ٱلْبَدْرِ قَوَّالٍ وَفَاعِلْ
٤ ـ ٱلْوَاهِبِ ٱلْمِائَةَ ٱلصَّفَا يَا بَيْنَ تَالِيَة وَحَائِلْ
٥ ـ وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ تَرْ كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ
٦ ـ كَدَمِ ٱلذَّبِيحِ غَرِيبَةً مِمَّا يُعَتِّقُ أَهْلُ بَابِلْ
٧ ـ بَاكَرْتُهَا حَوْلِي ذَوُو ٱلْ آكَالِ مِنْ بَكْرِ بنِ وَائِلْ

(١٢ — ١٣) غص بالطعام شرق واعترض فى حلقه فمنعه من التنفس . القراح الصافى . غص بالماء القراح كناية من الشدة . المهندة السيوف، نسبة للهند ، الصفاح جمع صفيح وهو العريض .

(٧٦)

(١ — ٣) المصلات والصلت (بفتح فسكون) الرجل الشجاع الماضى . ابتكر خرج بكرة فى أول الصباح . رحل (كفتح) تنحى وبعد . شبوة حصن بين بيجان وحضرموت . لاتغب أى لاتتأخر ولا تنقطع . النوافل الهبات . تحلب سال وجرى .

(٤ — ٥) الصفايا جمع صفية وهى الناقة الغزيرة اللبن . التالية التى يتبعها تلوها ، والتلو (بكسر فسكون) ولد الناقة يفطم فيتلوها أى يتبعها . الحائل التى لم تحمل . الترك او التركستان جيل من الناس كانوا يسكنون فى حوض نهر سيحون وجيحون شمال فارس . كابل بلد فى أطراف فارس الشرقية مما يلى الهند ، كان يسكنها قوم من الترك . الركض فى الأصل تحريك الرجل ، ويقصد به هنا الرقص .

(٦ — ٧) غريبة منقولة من موطنها . بابل مملكة قديمة ذات حضارة عظيمة ، وهى كذلك اسم مدينة من مدنها العظيمة كانت فى نواحى الكوفة ، والعرب ينسبون اليها الخمر والسحر . باكرتها بادرت اليها فى الصباح . ذوو الآكال ، سادة الاحياء الذين يأخذون المرباع من الغنائم ونحوه . والآكال كذلك قطائع كانت الملوك تطعمها الأشراف ، كالقرى ونحوها ، والمفرد أكل (بضم فسكون) . بكر بن وائل جد قبيلة الأعشى .

٨ ـ أهل الخيام الضخمة الحمراءِ وقطعان الإبل والخيل .

٩ ـ كم فيهم من فرس طويلة الظهر ، ومن جواد مرتفع القوائم عظيم الجوف .

١٠ ـ يعدو سابحًا بجسمه الضخم وقوائمه المتينة ، حين يجرى به القائم على خدمته لِيُضَمِّره فى الأَصيل .

١١ ـ يركبون الجياد الجُرْد السراع ، عليها سُرُج من جلود .

١٢ ـ قد اغبرَّ شعرها وانتفش ، حين تعدو كالنعام المذعور ، وكأَنها تسابق رماح راكبيها.

١٣ ـ وتخرج من خلال الغبار عابسة ضامرة الخصور .

١٤ ـ كم قد غادرت فى المعارك من صرعى بين محطَّم وهارب .

١٥ ـ ....

١٦ ـ تمايل ناقتى حين تعدو مسرعة ، وقد رميتُ بها فى الليل ، ميممة أَندية القوم ومحافلهم .

١٧ ـ وكأَنها وقد أَجهدتها الرحلة حمار مُعَضَّض من حُمُر (عاقل) .

١٨ ـ أَقام فى الربيع يرعى ما أَنبت المطر الغزير من كلإٍ وأَعشاب .

ويختم القصيدة بالفخر بنفسه قائلا :

٨ - أَهْلِ ٱلْقِبَابِ ٱلْحُمْرِ وَالـ ... نَّعَمِ ٱلْمُؤَبَّلِ وَٱلْقَنَابِلْ
٩ - كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ ... وَمُقَلِّصٍ نَهْدِ ٱلْمَرَاكِلْ
١٠ - ضَخْمِ ٱلْجُزَارَةِ سَـابِحٍ ... عَبْلٍ يُضَمَّرُ بِـٱلْأَصَائِلْ
١١ - وَهُمُ عَلَى جُرْدٍ مَغَـا ... وِيرٍ عَلَيْهِنَّ الرَّحَائِلْ
١٢ - شُعْثٍ يُبَارِينَ ٱلْأَسِنَّـ ... ـةَ كَالنَّعَـامَاتِ ٱلْجَوَافِلْ
١٣ - يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ ٱلْغُبَا ... رِ عَوَابِسًا لُحُقَ ٱلْأَيَاطِلْ
١٤ - كَمْ قَدْ تَرَكْنَ مُجَـدَّلًا ... مِنْ بَيْنِ مُنْقَصِفٍ وَجَافِلْ
١٥ - هَلْ بَعْدَ ....
١٦ - زَيَّافَةٌ أَرْمِي بِهَـا ... بِاللَّيْلِ مُعْرَضَةَ ٱلْمَحَافِلْ
١٧ - وَكَأَنَّهَـا بَعْدَ ٱلْكَلَا ... لِ مُكَدَّمٌ مِنْ حُمْرِ عَاقِلْ
١٨ - مُتَرَبِّعٌ مِنْهَـا رِيَا ... ضًا صَابَهَا وَدْقُ ٱلْهَوَاطِلْ

(٨ — ٩) القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الحمر كناية عن السيادة ، والحمرة زى الأشراف والسادة . النعم الابل . مؤبل قد جمل قطيعا قطيعا . القنابل جمع قنبلة ، وهى الجماعة من الخيل . . الشطبة الفرس السبطة اللحم . مقلص طويل القوائم . نهد المراكل واسع الجوف عظيمة . والنهـود البروز . والمركل (بصيغة اسم المكان) حيث تصيب رجل الراكب من الدابة اذا ركلها واستحثها برجله .

(١٠ — ١١) الجزارة اليدان والرجلان ، سميت بذلك لان الجزار كان يأخذها فهى جزارته اى أجرته على الجزر والذبح . سابح سريع . عبل ضخم . ضمر الخيل ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن ثم قلل ماءها وعلفها مدة وركضها فى الميدان حتى تهزل وتضمر . ومدة التضمير عند العرب أربعون يوما . الأصائل جمع أصيل ، وهو مابعد العصر الى المغرب . جرد جمع أجرد وهو القصير الشعر . مغاوير جمع مغوار وهو السريع من الأفراس . الرحائل جمع رحالة (بكسر الراء) وهو السرج من جلود لاخشب فيه ، يتخذ للركض الشديد .

(١٢ — ١٣) شعث جمع أشعث وهو المغبر المتنفش . الأسنة الرماح . تباريها كأنها لسرعتها تريد أن تسبق الرمح الذى يحمله راكبها . الجوافل التى جفلت أى فزعت فهربت مسرعة . الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . لحق الفرس (كعلم) ضمر .

(١٤ — ١٦) جدله وجندله صرعه . انقصف انكسر . وانقصف القوم عن الرجل تركوه وخذلوه . جافل هارب ، وجفله صرعه على الأرض . زاف البعير أسرع فى تمايل . رمى المكان قصده . المحافل جمع محفل (كمجلس) وهو مجتمع القوم . (معرضـة) الارجح عندى ان تكون مصحفة . ولعلها مغرضة (بالغين المعجمة وبصيغة اسم الفاعل) من اغرض الغرض اى أصابه . أو هى معرضة (بالعين المهملة وبصيغة اسم الفاعل) من قولهم : أعرض الرحل فى المكارم اذا ذهب عرضا وطولا ، وقولهم (طأ معرضا) أى ضع رجلك حيث وقعت .

(١٧ — ١٨) الكلال التعب . مكدم معضض . حمر جمع حمار . عاقل موضع . وهناك سبعة مواضع بهذا الاسم . تربع المكان رعى ماينبت فيه من عشب الربيع . الروضة المكان المنخفض الذى يستنقع فيه الماء فيزكو نبته . صاب المطر انصب ونزل . ودق المطر ودقا هطل . ديمة هطلاء عظيمة القطر . والجمع هواطل .

١٩ ـ رب جيش جرار ، يقوده ملك عظيم ، فينحَطُّ به مسرعا .

٢٠ ـ غادرته مجدَّلا فى قرارة الوادى ، تنهشه الضباع .

٢١ ـ يحاول أن يقوم فيتخاذل ، وقد نهلت من دمه السيوف والرماح .

(٧٧)

هذه احدى قصائد الأعشى فى صاحبته (قتيلة) ، وهى تفيض بالشهوة النهمة . ويبدو من وصفه لها فى زيها وزينتها انها ليست عربية ، وقد تكون احدى الجوارى من الراقصات أو المغنيات فى بيوت اللهو والخمر فى العراق أو فى الشام .

---

١ ـ يبدأُ الأَعشى قصيدته مستبشراً فرحا ، فقد استطاع أَن يتنفس بعد ضيق ، وأَن يتخلص من حب (قتيلة) ، ويفك عن قلبه قيود الذكرى التى كبلته بالأَغلال .

ولكنه مع ذلك لا يزال يحن إليها. ولا ينسى جسمها الطافح بالفتنة والإغراء

(٢ ـ ٥) قدمٌ بضَّة مسترسلة البنان ، وقامة معتدلة قد تم خلقها وحسن تناسقها ، وساقان ممتلئتان ، يترجرج ما عليهما من لحم حتى ينتهى إلى خلخالها الرّنان . إذا التمس صاحبها أَردافها ظل يصعد بيده فى ساقيها المديدتين الممتلئتين إلى هذا الكثيب البارز الذى يلقى على خَلْقِها المكمَّل ظلا من الحسن .

ولا تزال شهوات الشاعر العارمة تقود خياله فى تصوير صاحبته فى مختلف الأَوضاع .

(٦ ـ ٩) فيتصورها وقد انبطحت بجسمها المديد على الأَرض ، فجفا خصرها الدقيق عن الفراش ، وانحطت أَردافها الضخمة الثقيلة وكأَنها رأس القدح الخشبى الضخم .

ويتصورها وقد امتطاها فارسها المتبذل فيقول : يا لها من مطية وياله من فارس .

إذا خلت إلى نفسها متبذلة ناءت بها أَردافها التى تملأُ قميصها الواسع الفضفاض .

وإذا تردت فوق قميصها بالثياب تثنَّى رداؤها بارزًا كأَن تحته كثيبًا من الرمل الرَّجْراج يكاد ينهار .

١٩ ـ بَلْ رُبَّ مَجْرٍ جَحْفَـــلٍ   يَهْوِى بِهِ مَلِكٌ حُلَاحِلْ
٢٠ ـ غَادَرْتُهُ مُتَجَـــدِّلًا   بِٱلْقَاعِ تَنْهَسُهُ ٱلْفَرَاعِلْ
٢١ ـ وَلَقَدْ يُحَاوِلُ أَنْ يَقُو   مَ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ النَّوَاهِلْ

(٧٧)

وقال :

١ ـ صَحَا ٱلْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا   يَكُونُ لَهَا مِثْلَ ٱلْأَسِيرِ ٱلْمُكَبَّلِ (طويل)
٢ ـ لَهَا قَدَمٌ رَيَّا سِبَاطٌ بَنَانُهَـا   قَد ٱعْتَدَلَتْ فِى حُسْنِ خَلْقٍ مُبَتَّلِ
٣ ـ وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْرًا عَلَيْهِمَا   إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا ٱلْمُتَصَلْصِلِ
٤ ـ إِذَا ٱلْتُمِسَتْ أُرْبِيَّتَاهَا تَسَانَدَتْ   لَهَا ٱلْكَفُّ فِى رَابٍ مِنَ ٱلْخَلْقِ مُفْضِلِ
٥ ـ إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ٱرْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ   مِنَ ٱلْحُسْنِ ظِلًّا فَوْقَ خَلْقٍ مُكَمَّلِ
٦ ـ إِذَا انْبَطَحَتْ جَافَى عَنِ ٱلْأَرْضِ جَنْبُهَا   وَخَوَّى بِهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلِ
٧ ـ إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ مُتَبَذِّلٌ   فَنِعْمَ فِرَاشُ ٱلْفَارِسِ ٱلْمُتَبَذِّلِ
٨ ـ يَنُوءُ بِهَا بُوصٌ إِذَا مَا تَفَضَّلَتْ   تَوَعَّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِىِّ ٱلْمُغَيَّلِ
٩ ـ رَوَادِفُهُ تَثْنِى الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ   إِلَى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ ٱلْمُتَهَيِّلِ

(١٩ — ٢١) المجر والجحفل الجيش ، والثانية توكيد للاولى . يهوى يمضى مسرعاً . هوت العقاب انقضت ، وهوت الريح هبت . الحلاحل السيد الشجاع . جدله فتجدل صرعه فانصرع . القاع الارض السهلة المطمئنة . النهس والنهش الاكل والاخذ بمقدم الأسنان. الفراعل جمع فرعل (مثل هدهد) وهو ولد الضبع . النواهل يقصد بها السيوف والرماح التى نهلت من دمه أى شربت .

(٧٧)

(١ — ٤) ريا بضة طرية ، مونث ريان . سباط جمع سبط أى طويل مسترسل . مبتل تام الخلق متناسق . مار ترجرج . المتصلصل الذى تسمع صلصلته ورنينه حين تمشى . الأربية أصل الفخذ . تساند اليه اعتمد عليه ، أو هو من قولهم أسند فى الجبل أى صعد فيه . راب مرتفع بارز . مفضل من الفضل وهو الزيادة .

(٥ — ٦) الهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ، يقصد به أردافها الضخمة البارزة . تلقى ظلا على ما تحتها لبروزها . وقد تكون مصحفة عن (طل) والطل (بفتح الطاء) الحسن المعجب ، تقول ما أطله واحلاه . ويوم طل رطب طيب . انبطحت تمددت . جافى ارتفع عن الأرض . خوى مال وسقط . راب مرتفع . الجنبل القدح الضخم يتخذ من الخشب . هامته رأسه . يقول ان خصرها يجفو عن الأرض لدقته وينحط ردفها على الأرض لضخامته .

(٧ — ٨) متبذل يفعل ما يشاء وما يحلو له ، ولا يراقب الناس ولا يبالى بهم . يقصد بالفارس صاحبها ، أو هو يقصد نفسه فى الحقيقة . ينوء بها يثقلها . بوص ردف . تفضلت تبذلت ولبست الفضلة ، وهى الثياب التى تبتذل للنوم . توعبه واستوعبه استوفاه واستنفده . الشرعبى ضرب من البرود منسوب الى شرعب وهو مخلاف باليمن . المغيل الواسع من الثياب .

(١٠–١١) تهتز قامتها المديدة اللدنة اهتزاز غصن البان ، حين تمشى وكأنها القطاة تدب فى الوادى إلى منهل الماء . ويبرز ثدياها الناهدان فوق صدرها مستديرين كالرمانتين ويمتد جيدها الطويل وقد زانته الحلى كأنه جيد غزال . وتفترُّ شفتاها عن ثغرها الوضَّاء ، وكأنه نَوْر الأُقْحُوان ذو الأَوراق الصغيرة المفلَّجة البيضاء .

(١٣–١٤) تتلألأ بشرتها النقية الملساء تلألؤ الفضة ، وتبدو عيناها الكحيلتان من غير اكتحال كعينى الغزال . ساكنتين ، صافيتين ، يزينهما حاجب مستو جميل ، ويسترسل من تحتهما خدَّاها الأَملسان اللذان يفيضان بالبِشْر .

(١٥–١٦) بطنها ملساء ، تتكسر بشرتها متثنية من أثر السمن ، وصدرها كلوح المرمر المسنون ، قد جوَّده صانعه وبالغ فى صقله . يجول وشاحاها على جانبى خصرها النحيل حين تتثنى متخلعة فى حركة لا تستقر .

ويختم الأَعشى هذا الوصف بقوله :

١٧ – أَكمل الله خَلْقها فليس فوق جمالها جمال . وإن لى فيها لشِعْرًا مختارًا .

ويمضى متحدثًا عن تعلقه بها ، وعن قوة تأْثيرها وبالغ فتنتها فيقول :

(١٨–٢٠) لقد علمت (قُتَيْلَة) فى غيبتها أَنى أُحبها ، وأَنى إنما أَتكلف الصبر تكلفًا ، وأَصطنع الوقار اصطناعا . وما كنتُ أُتَّهَم من قبلُ بالحب ، فقد خدعتنى بشبابها الفتَّان ، وذهبت بى كل مذهب . وكنت من قبل مالكا لأَمرى ، إذا عزمتُ على أَمر أَمضيته لا أَتراجع فيه ولا أُبدِّل قولا بقول .

(٢١–٢٤) تتثنى فى مشيها متهالكة حتى تذهب بعقول الرجال ، وتفتن الرزين الوقور بقوامها اللعوب الميَّاس . إذا لبست قميصها المشقوق ، وأَلقته فى عنقها كاشفة عن ذراعيها ،

١٠ ـ نِيَافٌ كَغُصْنِ ٱلْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ   دَبِيبَ قَطَا ٱلْبَطْحَاءِ فِى كُلِّ مَنْهَلِ

١١ ـ وَثَدْيَانِ كَالرُّمَّانَتَيْنِ وَجِيدُهَا   كَجِيدِ غَزَالٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُعَطَّلِ

١٢ ـ وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ   ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ لَمْ يُفَلَّلِ

١٣ ـ تَلَأْلُؤُهَا مِثْلُ اللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا   تَرَى مُقْلَتَىْ رِئْمٍ وَلَوْ لَمْ تَكَحَّلِ

١٤ ـ سَجُوَّيْنِ بَرْجَاوَيْنِ فِى حُسْنِ حَاجِب   وَخَدٌّ أَسِيل وَاضِحٍ مُتَهَلِّلِ

١٥ ـ لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ   وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ الْمُمَثَّلِ

١٦ ـ يَجُولُ وِشَاحَاهَا عَلَى أَخْمَصَيْهِمَا   إِذَا ٱنْتَقَلَتْ جَالًا عَلَيْهَا يُجَلجِلُ

١٧ ـ فَقَدْ كَمُلَتْ حُسْنًا فَلَا شَىْءَ فَوْقَهَا   وَإِنِّى لَذُو قَوْلٍ بِهَا مُتَنَخَّلِ

١٨ ـ وَقَدْ عَلِمَتْ بِٱلْغَيْبِ أَنِّى أُحِبُّهَا   وَأَنِّى لِنَفْسِى مَالِكٌ فِى تَجَمُّل

١٩ ـ وَمَا كُنْتُ أُشْكَى قَبْلَ قَتْلَةَ بِالصِّبَى   وَقَدْ خَتَلَتْنِى بِالصِّبَى كُلَّ مَخْتَلِ

٢٠ ـ وَإِنِّى إِذَا مَا قُلْتُ قَوْلًا فَعَلْتُهُ   وَلَسْتُ بِمِخْلَافٍ لِقَوْلِى مُبَدِّلِ

٢١ ـ تَهَالَكُ حَتَّى تُبْطِرَ ٱلْمَرْءَ عَقْلَهُ   وَتُصْبِى ٱلْحَلِيمَ ذَا ٱلْحِجَى بِالتَّقَتُّلِ

(٩ ـ ١٠) الروادف جمع رادفة وهى طرائق الشحم . الرداء ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة . تثنبه أى إنها تظهر منه بارزة ناتئة . تساندت اعتمدت . الدعص القطعة المستديرة المجتمعة من الرمل . المتهيل الذى ينهال ولا يتماسك . نياف طويلة ، ناف الشىء ينوف أشرف وارتفع . القطاة طائر فى مثل حجم الحمام . البطحاء مسيل الماء من الوادى فيه حصى دقيق . المنهل مورد الماء .

(١١ ـ ١٢) لم يعطل لم يخل من الحلى . عطل المرأة (بالتشديد) نزع حليها . غر جمع أغر وهو الأبيض الوضاء . الثنايا الأسنان الأربع التى فى مقدم الفم . الأقحوان نبات زهره أبيض وأوراقه صغيرة مفلجة . ذراه أعلاه ، يقصد زهره . لم يفلل لم يتكسر أى أنه ناضر لم تعبث به يد .

(١٣ ـ ١٥) تلألؤها بريقها ووضاءتها . اللجين الفضة . الرئم الظبى وعينه سوداء . تكحل أى تتكحل (حذفت التاء للتخفيف) سجوين ساكنتين فاترتين . برجاوين واسعتين صافيتين . أسيل أملس مسترسل . واضح صاف . متهلل وضاء يفيض بالبشر . كبدها وسطها . الأسرة الخطوط التى تكون فى البطن من السمن . النحر أعلى الصدر . الفاثور الخوان من رخام أو فضة . الصريف الفضة . الممثل الجيد الصنعة . مثله (بالتشديد) صوره وصاغه .

(١٦ ـ ١٨) الوشاحان كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . أخمص البدن وسطه . انفتلت انثنت . وشاح جائل وجال يتحرك فوق لابسته لطولها ودقة خصرها وامتلاء صدرها . جالا أى جائلا ، حال من الوشاح . يجلجل يتحرك ، جلجل الشىء حركه بيده ، أو هو من جلجلة الجلاجل وهو الجرس الصغير . وفى هذا البيت اقواء لأن القافية مكسورة فى سائر القصيدة . متنخل مختار منتخب . تجمل صبر واصطنع الوقار .

(١٩ ـ ٢١) شكاه المرض أوجعه وآلمه ، وأشكاه فعل به ما يحوجه للشكوى ، وهو يشكى بكذا (على البناء للمجهول) يتهم به . الصبى الشوق . ختله خدعه . الصبى (الثانية) الشباب . مختل مصدر ميمى من ختله أى خدعه . تهالكت المرأة فى مشيها تمايلت . تهالك أى تتهالك . البطر هنا بمعنى الدهش والحيرة . عقله بدل من المرء . الحليم العاقل الرزين . تصبيه تفتنه . الحجى العقل . تقتلت المرأة فى مشيتها تقلبت وتثنت وتكسرت .

تُلوّح بهما فى ضوء الصباح الفاتر قبل أن ترتفع الشمس ، ولمع السوار فى معصمها حين تشير بكفها الرقيقة ، وقد استرسلت أناملها كأنها هُدَّاب الحرير الأبيض المفتول ، رأيت الوقور الرزين من الرجال وقد بُهِت ، فعلق طرفه بها ساكنًا لا يتحرك ، وطار قلبه حين استخفه جمالها الفتان ، حتى ما يُبالى لوم اللائمين .

وينصرف الأعشى آخر الأمر عن صاحبته إلى الصحراء ، ملتمسًا فى تيهها السلوى والعزاء فيقول :

(٢٥–٢٧) دع عنك ذكرها ، وسَلِّ همومك بناقة ضخمة جريئة على الأسفار ، تمضى مسترسلة فى سيرها وقد مدت عنقها مسرعة . كم طوَّفتُ فوقها من بلاد ، وكم قطعت من طرق ، أجوب الأرض رحّالا . وكم من موضع مخيف قد نزلناه فكنا نعم القوم فى الحَلِّ والترحال .

ثم يتحول الشاعر إلى أبناء عمومته (بنى عِجْل بن لُجَيْمٍ) يذكِّرهم بحسن صنيع قومه وما أسلفوا إليهم من إحسان مفاخرًا فيقول :

(٢٨–٣٠) أبلغ (بنى عِجْل) – وهم قريبو القرابة ماجدو الأصل – بأنا قد أدينا عنهم ديات القتلى لأهلهم ألفًا من الإبل ، وأنا نعجِّل لضيفنا القِرى مسرعين إليه بخمر المساء ، وأنا رددنا جيوش الفرس حين أغاروا علينا مدحورين ، وكسرنا فى صدورهم الرماح .

ويختم القصيدة بقوله :

(٣١–٣٢) فكيف يرجو سادتنا الفلاح إذا نحن لم نشارك فيما يحل بقومنا من نوائب وغرامات . فلقد اختبرتمونا يا قوم وجربتم سعينا فى مواطن الجد التى تكشف عن الرجال ، فلم يَضِع اختبار المختبر ؛ ولم يجدنا إلا أهل فضل على كل حال .

٢٢ — إِذَا لَبِسَتْ شَيْدَارَةً ثُمَّ أَبْرَقَتْ   بِمِعْصَمِهَا وَالشَّمْسُ لَمَّا تَرَجَّلِ
٢٣ — وَأَلْوَتْ بِكَفٍّ فِى سِوَارٍ يَزِينُهَا   بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ
٢٤ — رَأَيْتَ ٱلْكَرِيمَ ذَا ٱلْجَلَالَةِ رَانِيًا   وَقَدْ طَارَ قَلْبُ ٱلْمُسْتَخَفِّ ٱلْمُعَذَّلِ
٢٥ — فَدَعْهَا وَسَلِّ ٱلْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ   تَزَيَّدُ فِى فَضْلِ الزِّمَامِ وَتَغْتَلِى
٢٦ — فَأَيَّةَ أَرْضٍ لَا أَتَيْتُ سَرَاتَهَا   وَأَيَّةَ أَرْضٍ لَمْ أَجُبْهَا بِمِرْحَلِ
٢٧ — وَيَوْمِ حِمَامٍ قَدْ نَزَلْنَاهُ نَزْلَةً   فَنِعْمَ مُنَاخُ الضَّيْفِ وَٱلْمُتَحَوِّلِ
٢٨ — فَأَبْلِغْ بَنِى عِجْلٍ رَسُولًا وَأَنْتُمُ   ذَوُو نَسَبٍ دَانٍ وَمَجْدٍ مُؤَثَّلِ
٢٩ — فَنَحْنُ عَقَلْنَا ٱلْأَلْفَ عَنْكُم لِأَهْلِهِ   وَنَحْنُ وَرَدْنَا بِالْغَبُوقِ ٱلْمُعَجَّلِ
٣٠ — وَنَحْنُ رَدَدْنَا ٱلْفَارِسِيِّينَ عَنْوَةً   وَنَحْنُ كَسَرْنَا فِيهِمُ رُمْحَ عَبْدَلِ
٣١ — فَأَىَّ فَلَاحِ الدَّهْرِ يَرْجُو سَرَاتُنَا   إِذَا نَحْنُ فِيمَا نَابَ لَمْ نَتَفَضَّلِ
٣٢ — وَأَىَّ بَلَاءِ الصِّدْقِ لَاقَدْ بَلَوْتُمُ   فَمَا فُقِدَتْ كَانَتْ بَلِيَّةُ مُبْتَلِى

(٢٢ — ٢٣) الشيدارة الاتب ، وهو برد يشق ثم تلقيه المرأة فى عنقها من غير كمين ولا جيب ، وهو معرب عن الفارسية أصله هناك (شادربان) ابرقت بمعصمها كشفت عنه ولوحت به . ترجلت الشمس ارتفعت . الوى بيده وبثوبه أشار . الهداب ما استرسل من أطراف النسيج . الدمقس الحرير الابيض ، المفتل المفتول .

(٢٤ — ٢٥) رنا أدام النظر فى دهشة وقد غلبه الهوى . المستخف الذى استخفه الهوى فحمله على الخلاعة . المعذل الذى يكثر الناس من عذله أى لومه على ما يأتى من أفعال تتنافى مع الوقار . جسرة ناقة ضخمة جريئة على الأسفار . تزيد أى تتزيد . تزيدت الناقة مدت عنقها وسارت فوق العنق (بفتحتين) وهو المشى المديد الفسيح . الزمام الحبل الذى تقاد به . فضل الزمام طرفه . تغتلى تسرع فى سيرها .

(٢٦ — ٢٧) السراة الظهر ، وسراة الطريق وسطها . المرحل (بكسر الميم) القوى من الجمال ، ومرحل (بفتح الميم) مصدر ميمى من رحل . الحمام (بكسر الحاء) الموت . المناخ الذى تناخ فيه الابل أى تبرك . المتحول ، يمكن قراءتها بفتح الواو على انها مصدر ميمى من تحول ، أى نعم الاناخة ونعم التحول . ولا يمنع من ذلك الاان القافية مكسورة . والمتحول على هذا الوجه واجبة الرفع ،

(٢٨ — ٣٠) بنو عجل بن لجيم (بصيغة المصغر) بن بكر . دان قريب ، لانهم أبناء عمومته . مؤثل ثابت اصيل . عقل القتيل ادى دينه لأهله . الالف يقصد ألفا من الابل دفعوها دية للقتلى حقنا للدماء . وردنا بالغبوق المعجل أى عجلنا لضيفنا بالخمر فى المساء . والغبوق الخمر التى تشرب فى المساء ، وهى كذلك اللبن الذى يحلب بالعشى . رمح عبدل منسوب لعبد القيس .

(٣١ — ٣٢) سراتنا سادتنا . ناب نزل بالقوم من المصائب . تفضل اظهر الفضل . بلاه يبلوه بلاء وابتلاه اختبره وجربه . والبلاء والبلية الامتحان والاختبار ، يكون فى الخير والشر . كانت زائدة ، يعنى انهم جربوهم فى مواطن الصدق والفضل والجد ، فلم يجدهم المتحن فى كل اختبار الا فضلاء .

— ٧٨ —

هذه احدى قصائد الاعشى التى فرغ فيها لنفسه يصور لهوه ومجونه . ومثل هذا الشعر قليل فى الشعر الجاهلى جملة . فالشاعر الجاهلى جزء من قبيلته . يغنى نفسه فيها ، وينطق بلسانها ، وقلما يفرغ لتصوير عواطفه . وهو يتجه فى غزله الى صاحبة اسمها (هند) فى البيت الثانى ، ولكنه يشير الى أخرى اسمها (سلمى) فى البيت (١٢). والواقع أنه لا يقصد بحديثه امراة معينة ، ولكنه يتحدث عن النساء جملة ، وعن ذكرياته معهن . ويختم الاعشى قصيدته بأبيات فى مدح قيس بن معد يكرب . وقد مدحه فى القصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦٨) .

يقول الأعشى :

(١ ـ٣)خالط قلبي الهمومُ والأَحزان ، وهاجته الذكرى بعد أن ظننت وظن الناس أنه قد سلا واطمأَن . فهو مشغوف بهند ، هائم بحبها ، ينثنى عنها حينًا ، ويحن إليها فى معظم الأَحيان . مشغوف بهذه الفتاة اللعوب المعطرة الثياب . البضة الأَطراف ، وكأَنها الظبي الباغم الخالص البياض .

(٤ ـ٥)إذا قعدت برزت أردافها كأَنها كثيب من رمال (عالج) ، وإذا وقفت راعتك بقامة طويلة كالحَبْل . يزينها وشاحان قد استرسلا على صدرها وعلى ظهرها المديد ينتهيان بقطع الحلى .

(٦ ـ٨)خلقت هند بلاء لقلبي ومحنة ، وكذلك تعترض المحن طريق الناس من غير أن يقصدوا إليها . التمستها فى الخلوات فلم أَرها ، لأَن الحياء يمنعها أَن تضع نفسها فى موضع الشُّبه والظنون . فأَرسلت إليها أَشرح حبي ، وأَبين عذرى فى استجابتي لسلطان فتنتها الذى لا يرد ، طالبًا إليها أَن تجيب بما تشاءُ .

(٩ ـ١٠)ولما التقينا أَسرعت إلى فمي الكلمات فى اضطراب ، أَقول لها تارة (جُعِلَتُ فداك) وأُخرى (هَنَأَكِ الله) ، وأَنا فى اضطرابي مراقب لها ، أَتلطف بها ، كما يفعل السائس بالخيل حين يروضها ويصقلها ، أَخشى أَن يبدر منى ما يغضبها أَو ينفِّرها .

(١١ـ١٢) كم جدتِ علينا بالوصل ، ثم لم تكدرى إنعامك بالمن . أَنتِ يا سَلْمَى شغل نفسى ، فارفقى بنفس لاهَمَّ لها غيرك . ولا تعبثى بها فتتلفيها ، فالنفس لا تقدر بثمن .

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير ذكرياته فى لون آخر من أَلوان المتع التى تذوقها من خمر وغناء .

وقال :

١ ـ خَالَطَ ٱلْقَلْبَ هُمُومٌ وَحَزَنْ   وَادِّكَارٌ بَعْدَ مَا كَانَ ٱطْمَأَنّْ (رمل)
٢ ـ فَهْوَ مَشْغُوفٌ بِهِنْدٍ هَـــائِمٌ   يَرْعَوِى حِينًا وَأَحْيَانًا يَحِنّْ
٣ ـ بِلَعُوبٍ طَيِّبٍ أَرْدَانُهَـــــا   رَخْصَةِ ٱلْأَطْرَافِ كَالرِّئْمِ ٱلْأَغَنّْ
٤ ـ وَهْىَ إِنْ تَقْعُدْ نَقًا مِنْ عَالِجٍ   وَإِذَا قَامَتْ نِيَافًا كَالشَّطَنْ
٥ ـ يَنْتَهِى مِنْهَا ٱلْوِشَاحَانِ إِلَى   حُبْلَةٍ وَهْىَ بِمَتْنٍ كَالرَّسَنْ
٦ ـ خُلِقَتْ هِنْدٌ لِقَلْبِى فِتْنَةً   هٰكَذَا تَعْرِضُ لِلنَّاسِ ٱلْفِتَنْ
٧ ـ لَا أَرَاهَا فِى خَلَاءٍ مَرَّةً   وَهْىَ فِى ذَاكَ حَيَاءً لَمْ تُزَنّْ
٨ ـ ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا أَنَّنِى   مُعْذِرٌ عُذْرِى فَرُدِّيهِ بِأَنْ
٩ ـ وَبَدَرْتُ ٱلْقَوْلَ أَنْ حَيَّيْتُهَا   ثُمَّ أَنْشَأْتُ أُفَدِّى وَأُهَنّْ
١٠ ـ وَأُرَجِّيهَا وَأَخْشَى ذُعْرَهَا   مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بِٱلْقَوْدِ السُّنَنْ
١١ ـ رُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا   بِعَطَايَا لَمْ تُكَدِّرْهَا ٱلْمِنَنْ
١٢ ـ أَنْتِ سَلْمَى هَمُّ نَفْسِى فَاذْكُرِى   سَلْمُ لَا يُوجَدُ لِلنَّفْسِ ثَمَنْ
١٣ ـ وَعَلَالٍ وَظِـــلَالٍ بَارِدٍ   وَفَلِيجِ ٱلْمِسْكِ وَالشَّاهِسْفَرَنْ

(١ ـــ ٣) ادكار افتعال من الذكر أصلها اذدكار . اطمأن هدأ وسكن . الشغاف غشاء القلب ، والمشغوف الذى تمكن منه الحب فخبله. الهائم المتحير والذى ذهب الحب بعقـــله . يرعوى يكف وينثنى . امرأة لعوب حسنة الدل . والدل أن تظهر المرأة الجرأة فى تغنج كأنها تخالف صاحبها وليس بها خلاف . أردان جمع ردن (بضم فسكون) فهو مقدم الكم . رخصة بضة طرية . الرئم الظبى الخالص البياض . الأغن الذى يخرج صوته من خياشيمه .

(٤ ـــ ٦) النقا الكثيب . عالج موضع به رمل . امرأة نياف تامة الطول والحسن . الشطن الحبل . الوشاح نسيج عريض ينظم باللؤلؤ والجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، فاذا لبست وشاحين خالفت بينهما ، فأحدهما من العاتق الأيمن الى الكشح الأيسر ، والآخر من العاتق الأيسر الى الكشح الأيمن . الحبلة ضرب من الحلى يجعل فى القلائد . المتن الظهر . الرسن الحبل . يصف ظهرها بأنه مديد طويل ، فوشاحها اذن طويل ، وذلك يزيده بها . الفتنة البلاء والمحنة . تعرض لهم تعترض طريقهم وتصادفهم من غير أن يسعوا لها .

(٧ ـــ ٩) مكان خلاء ليس فيه أحد . زنه وازنه بشىء اتهمه به خيرا كان او شرا . اعذر أبدى عذرا فهو معـــذر . رديه بأن يعنى بأن تصلينى ، والحذف هنا غاية فى الجمال ، فهو يترك لها أن ترد بما تشاء وبما يحلو لها . بدره وبادر اليه أسرع وعاجله . فداه وافتداه قال له : جعلت فداك . اهن أى اهنىء وأقول : هنأك الله اى سرك .

(١ ـــ ١٣) رجى الشىء (بالتشديد) أمل به وارتقب خيرا . القود الخيل التى تقاد بمقاودها ولا تركب . السنن الشوط ، أو هى مصدر سنه سنا اذا أحسن رعايته حتى حسنت بشرته فكأنها قد صقلت صقلا ، فك الادغام لالتقاء الساكنين عند الوقف . المنن جمع منة (بكسر الميم وتشديد النون) وهى التعبير بالاحسان . هم نفسى شغلها . العلالى جمع علية (بضم العين وتشديد اللام المكسورة) وهى الغرفة المرتفعة . فليج اى مفتت . فلج الشىء شقه قسمين . الشاهسفرن نوع من الرياحين وهى فى الفارسية بالميم يعنى الريحان السلطانى .

(١٣–١٧) فى غرف عالية وظل ظليل ، وقد فُتَّ المسك ونُثِرَت الرياحين ، يُطاف علينا بخمر خُسْرُوَانِيَّة إذا ذاقها الشيخ الفانى ارتد إليه شبابه فمال متغنيًا واهتز . وغنى المغنى على ألحان الطنابير الحسان ، والصنج الرنان . فإذا فنى صوتُه وخفت ، انبعث الصَّنج يجيبه الوَنُّ ، يمهدان للغناء من جديد . فإذا أطاعت الألحان ، خفت رنين الأوتار ، وانطلق المغنى بصوته الصداح .

(١٨–٢٢) إذا استنزفنا مافى الدن من خالص الخمر ، نادينا الخمار طالبين سواه . بين فتية ينفقون فى سخاء ، ويهينون المال للغناء واللذة وسماع الألحان . لايزال إبريقهم يسيل بالخمر ، تُمْزج بالماء البارد من قربة خَلَقٍ رطيب . ويمضون فى الشراب منذ الصباح حتى تميل الشمس للمغيب ، وتميل رءُوسهم من نشوة الخمر كالنائمين. فإذا غربت الشمس انطلقوا إلى الجوارى الناعمات ، القصيرات الخطى الدائمات المرح ، المُذْهِبَاتِ الهَمَّ ، النافيات الأحزان .

ويمضى الأعشى فى التغنى بهذه الذكريات الناعمة ، مصورًا ما نال من الخطوة عند الملوك ، وما استمتع به من جليل عطاياهم ، ويخص قيسًا من بين هؤلاء الملوك بالذكر ، فيقول :

(٢٣–٢٤) جاوِزْ هذا الشعر إلى غيره ، مشيدًا بذكر دهقان اليمن ، أبى الأشعث قيس ، الذى يبذل فى شراء الحمد غالىَ الأثمان .

(٢٥–٢٧) جئته ذات يوم فأدنى مجلسى ، وحبانى بفرس كريم يمضى حيث توجهه فلا ينثنى عن القصد ، وثمانين ناقة عِشارًا ضخاما قد رعت الأراك فى (بَرِيم) و (حَضَنْ) ، وغلامٍ نشيط يقوم على خدمتها ، وناقةٍ ضخمة مذللَّة للراكبين ، كأنها القصر المَشِيد .

١٤ - وَطِلَاءٍ خُسْرُوَانِيٍّ إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَارْجَحَنّْ
١٥ - وَطَنَابِيرَ حِسَانٍ صَوْتُهَا عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرَنّْ
١٦ - وَإِذَا الْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ الصَّنْجُ فَنَادَى صَوْتُ وَنّْ
١٧ - وَإِذَا مَا غُضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللَّحْنُ غَنَّانَا مُغَنّْ
١٨ - وَإِذَا الدَّنُّ شَرِبْنَا صَفْوَهُ أَمَرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهُ بِدَنّْ
١٩ - بِمَتَالِيفَ أَهَانُوا مَالَهُمْ لِغِنَاءٍ وَلِلَعْبٍ وَأَذَنْ
٢٠ - فَتَرَى إِبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنّْ
٢١ - غُدْوَةً حَتَّى يَمِيلُوا أُصُلًا مِثْلَ مَا مِيلَ بِأَصْحَابِ الْوَسَنْ
٢٢ - ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطُفِ الْمَشْيِ قَلِيلَاتِ الْحَزَنْ
٢٣ - عَدِّ هٰذَا فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَاذْكُرَنْ فِي الشِّعْرِ دِهْقَانَ الْيَمَنْ
٢٤ - بِأَبِي الْأَشْعَثِ قَيْسٍ إِنَّهُ يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِمَنْفُوسِ الثَّمَنْ
٢٥ - جِئْتُهُ يَوْمًا فَأَدْنَى مَجْلِسِي وَحَبَانِي بِلَجُوجٍ فِي السُّنَنْ
٢٦ - وَثَمَانِينَ عِشَارٌ كُلُّهَا آرِكَاتٌ فِي بَرِيمٍ وَحَضَنْ
٢٧ - وَغُلَامٍ قَائِمٍ ذِي عَدْوَةٍ وَذَلُولٍ جَسْرَةٍ مِثْلِ الْفَدَنْ

(١٤ — ١٦) الطلاء الخمر . خسروانى نسبة الى خسروشاه . ارجحن مال واهتز . الطنبور آلة من آلات الطرب ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس (فارسى معرب) . الصنج من آلات الطرب ذات الأوتار (فارسى) وهو غير الصنج الذى تعرفه العرب . رن وأرن علا صوته فكان له رنين . المسمع المغنى . الون والصنج كالطنبور ، من آلات الطرب (فارسى معرب) .

(١٧ — ١٩) غض الصوت خفضه . الدن وعاء كبير للخمر من الفخار . صفوالشىء خالصه . عمرو اسم الساقى أو صاحب الحانة . اذن سماع ، فعله أذن (كعلم) . متاليف جمع متلاف وهو المبذر الذى يتلف ماله وينفقه . أهانوه بالانفاق ولم يصونوه .

(٢٠ — ٢٢) مسترعفا سائلا ، واصله من الرعاف وهو الدم الذى يسيل من الأنف . الشمول الخمر الباردة التى شملتها ريح الشمال أى ضربتها فبردت . صفق الخمر روقها أو مزجها بالماء . الشن القربة الناعمة التى أخلقها الاستعمال فهى تبرد الماء اذا حفظ فيها . الغدوة من بعد الفجر الى طلوع الشمس . الأصيل من بعد العصر الى غروب الشمس . الوسن النوم . قطف (كضرب) قصر خطوه وبطؤ . قطف المشى قصيرات الخطى ، يعنى النساء . يصف بيتا من بيوت الفسق .

(٢٣ — ٢٤) عد هذا دعه وتجاوزه الى غيره من الحديث . الدهقان كلمة فارسية معناها التاجر أو القوى على التصرف وحده ، ويعنى بدهقان اليمن قيس بن معديكرب . وهو لقب غريب لم يرد فى غير هذا الوضع من مدائح الأعشى . اما تكنيته بابى الأشعث فلم ترد الا فى هذه القصيدة وفى القصيدة (٦٨) فى البيت (١٣) . شىء منفوس ومنفوس فيه أى ثمين مرغوب فيه . منفوس الثمن غاليه .

(٢٥ — ٢٧) حبانى أعطانى والحباء العطاء . لجوج صفة لفرس أو ناقه ، وهو الذى يلج فى الامر أى يلازمه ويواظبه ويأبى الانصراف عنه . السنن جمع سنة وهى الطريقة . ثمانين اى ثمانين ناقة . عشار جمع عشراء (بضم ثم فتح) وهى الناقة التى مضى لحملها عشرة أشهر . أركت الابل (كنصر وضرب) رعت شجر الأراك فهى آركة ، والجمع آركات . بريم وحضن موضعان . العدوة المرة من العدو وهو الجرى . ناقة ذلول سهلة تنقاد لراكبها . جسرة جريئة على الأسفار وعلى اقتحام الصحراء . الفدن القصر .

هذه القصيدة تشبه القصيدة السابقة . يصور فيها الأعشى لهوه وذكريات شبابه ، ويختمها بأبيات فى مدح اياس بن قبيصة الطائى . وقد مدحه الأعشى قبل ذلك فى القصائد (٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥) .

(١ ــ٢) يتحدث الأَعشى عن صواحبه وقد هجرنه حين أَسن وفارقه الشباب . أما (سعاد) فقد نأَت وأَمسى ودها متَّهَما لا يوثق به ، وغادرته للشوق والأَوجاع . وأَما (سُعْدَى) فقد أَجمعت عزمها على هجره وقطيعته ، حين رأَت رأْسه وقد اشتمله الشيب .

ويرجع الأَعشى بخياله إلى أيام شبابه ، ليدفئ برد شيخوخته بالذكريات ، وليتصور جمالها وفتنتها فى مختلف حالاتها .

(٣ ــ٨) ثغر مستو رطيب ، كأَن مذاقه فى الليل ورائحته البلحُ الشَّهِى . وجيد أَملس مديد ، كأَنه جيد الغزالة حين تمده لتتناول لطفلها من ثمار الأَراك ما احلولى وما طاب . وعينان حالمتان كأَنهما عينا بقرة وحشية ، أَرَّقها عواءُ الذئاب فى الليل ، فحملقت فيما حولها تتتبع مصدر الصوت . وجسم ممتلئ مديد قد كساه الحسن . كأَن أَسفله كثيب من الرمال . وشعر لين غزير ، ترسله على متنيها ، فيفوح منه على الماشطة ريح المسك والطيب . وجسم ناعم بض ، دقيق الخصر ، ثقيل الوركين ، يترقرق بالشباب النضير ، كأَنما يجرى فيه ذَوْبُ الدُّر .

ويمضى الأَعشى فى هذه الأَحلام ، ليتصور نفسه فى شبابه ، حين كان يهجم على الصحراءِ فى عزم فَتِىٍّ ، ويمضى فيها غير هياب .

(٩ ــ١١) كم من صحراء بعيدة الآفاق ، مترامية الأَطراف ، مقفرة المسالك ، قد نهض لها بفحل أَشهب ، ينطلق تحت راكبه ، فتتموج رقبته الطويلة فى حركة لا تهدأُ . قدارتفعت أَخشاب الرحل فوق جسمه الضخم ، وكأَنه برج متماسك البنيان قد علق فى أَعلاه باب . وكأَننى حين كسوت الرحل بالوسائد والحشايا قد وضعتها فوق ثور وحش ضخم نشيط .

وينسى الأَعشى رحلته وناقته ، فيمضى مع هذا الثور الذى شبهها به ، ليصوره فيما قاسى من شدائد وأَهوال ، استطاع بجَلَده وقوة احتماله أَن يتخطاها ظافرًا .

(١٢ـ١٤) أَلجأَه المطر والريح البارد إلى كثيب من الرمال ينصب عليه المطر متواليًا غزيرًا .

وقال :

١ - بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا رَابَا ... وَأَحْدَثَ النَّأْىُ لِى شَوْقًا وَأَوْصَابَا (بسيط.)

٢ - وَأَجْمَعَتْ صُرْمَنَا سُعْدَى وَهِجْرَتَنَا ... لَمَّا رَأَتْ أَنَّ رَأْسِى ٱلْيَوْمَ قَدْ شَابَا

٣ - أَيَّامَ تَجْلُو لَنَا عَنْ بَارِدٍ رَتِلٍ ... تَخَالُ نَكْهَتَهُ بِاللَّيْلِ سُيَّابَا

٤ - وَجِيدِ مُغْزِلَةٍ تَقْرُو نَوَاجِذُهَا ... مِنْ يَانِعِ ٱلْمَرْدِ مَا ٱحْلَوْلَى وَمَا طَابَا

٥ - وَعَيْنِ وَحْشِيَّةٍ أَغْفَتْ فَأَرَّقَهَا ... صَوْتُ الذِّئَابِ فَأَوْفَتْ نَحْوَهُ دَابَا

٦ - هِرْكَوْلَةٌ مِثْلُ دِعْصِ الرَّمْلِ أَسْفَلُهَا ... مَكْسُوَّةٌ مِنْ جَمَالِ ٱلْحُسْنِ جِلْبَابَا

٧ - تُمِيلُ جَثْلًا عَلَى ٱلْمَتْنَيْنِ ذَا خُصَلٍ ... يَحْبُو مَوَاشِطَهُ مِسْكًا وَتَطْيَابَا

٨ - رُعْبُوبَةٌ فُنُقٌ خُمْصَانَةٌ رَدَحٌ ... قَدْ أُشْرِبَتْ مِثْلَ مَاءِ الدُّرِّ إِشْرَابَا

٩ - وَمَهْمَهٍ نَازِحٍ قَفْرٍ مَسَارِبُهُ ... كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابَا

١٠ - يُنْبِي ٱلْقُتُودَ بِمِثْلِ ٱلْبُرْجِ مُتَّصِلًا ... مُؤَيَّدًا قَدْ أَنَافُوا فَوْقَهُ بَابَا

١١ - كَأَنَّ كُورِى وَمِيسَادِى وَمِيثَرَتِى ... كَسَوْتُهَا أَسْفَعَ ٱلْخَدَّيْنِ عَبْعَابَا

١٢ - أَلْجَاهُ قَطْرٌ وَشَفَّانٌ لِمُرْتَكِمٍ ... مِنَ ٱلْأَمِيلِ عَلَيْهِ ٱلْبَغْرُ إِكْثَابَا

(١ — ٣) بانت بعدت . الحبل الوصال والعهد . راب من الريب وهو الشك والظنة والتهمة . اوصاب أوجاع . جمع وصب (بالتحريك) . اجمعت عزمت وقررت . الصرم القطيعة ، صرم الحبل قطعه . تجلو تكشف . بارد اى ثغر بارد رطيب . رتل مستوى الاسنان حسن التنضيد . النكهة رائحة الفم . السياب (بضم السين وتشديد الياء) البلح .

(٤ — ٦) مغزلة ظبية ذات غزال صغير . قرا الشيء تتبعه . النواجذ الانياب . يانع مشرق نضير . المرد ثمر الأراك الأخضر . وحشية اى بقرة وحشية . اوفت أتت نحوه اى نحو الصوت . دابا أى دابا من داب اى مضى واستمر . هركولة عظيمة الوركين ضخمة الخلق . الدعص الكثيب .

(٧ — ٩) شعر جثل غزير لين . متناها جانباها . يحبو من الحباء (بكسر الحاء) وهو العطاء ، اى يمنحه . مواشط جمع ماشطة وهى الجارية التى تمشط الشعر . رعبوبة ممتلئة الجسم . فنق شابة ناعمة . خمصانة خميصة البطن ، والخمص الجوع . ردح ورداح ثقيلة الاوراك . أشرب اللون أشبعه . مهمه صحراء . نازح بعيد . مساربه مسالكه . أعيس اى جملا أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة . الرحل الخشب الذى يشد على الجمل ليركب فوقه . نعبت الابل (كفتح) مدت أعناقها فى سيرها .

(١٠ — ١٢) ينبيها يدفعها ويرفعها . القتود خشب الرحل . بمثل البرج يقصد ظهره المتماسك الفقار . متصلا متماسكا . مؤيد قوى . أنافوا رفعوا . فوقه اى فوق الحصن . يشبه خشب الرحل فوق هذا الجمل بباب مرفوع فوق برج . الكور الرحل . الميساد الوساد الذى يتكأ عليه . الميثرة وطاء محشو يوضع فوق رحل البعير تحت الراكب . أسفع أحمر ضارب للسواد . أسفع الخدين يعنى ثور الوحش . العبعاب الطويل التام الخلق . القطر المطر . شفان ريح وبرد . مرتكم مجتمع . الاميل (على وزن كثيب) الحبل من الرمل مسيرة يوم طولا وميل عرضا ، أو المرتفع منه . البغر الدفعة الشديدة من المطر . اكثابا من الكثب وهو الجمع والصب ، كثب الماء (كنصر وضرب) صبه .

فلاذ إلى شجرة من أَشجار الأَرْطَى الضخام لاتكاد تحميه ، وراح المطر يجرى على جنبيه . ويلتمع البرق فى السماء ، فيكشف ضوؤه اللَّمَّاح عن هذا الثور الضامر وقد نَهَكَه الجوع ، كأَنه كوكب يلمع فى الأُفق البعيد .

(١٥–١٧) فلما نتأَ قرن الشمس أو كاد ، أَحس فى ضوء الفجر الخافت صيادًا من (بنى ثُعَل) ، يغرى به كلابه الخمسة (عَطَّافا) و (مجدولا) و (سَلْهَبَة) و (كَسَّابا) . وقد خلف هذا الصياد من ورائه صبية صغارًا حالفوا الفقر والضنك زمانا ، فهم ينتظرون ما يعود به من صيد .

(١٨–١٩) ومضى الثور مسرعا يلهبه الذعر فلا يأْلو جهدًا فى النجاة بنفسه . وتبعته الكلاب التى مرنت على الصيد فحذقته ، تكاد فى عدوها السريع تخرج من جلودها ، وكأَنها سهام أَطلقها الرامى فمضت لا تلوى على شئ .

(٢٠–٢١) وراح الثور يجاهدها وهى تلاحقه ولا تقصِّر فى طلبه ، حتى إذا نال منه التعب وأَدركه الكلال ، ثاب إلى نفسه وجَمع قواه وثبت للقتال . فكرَّ عليها بقرنه المحدد وكأَنه حربة يحمى بها جسده أَن تنال منه الكلاب مَقْتَلا . وراح يسدد ضرباته إليها فيصيبها فى الكُلَى .

وينصرف الأَعشى عن هذا الثور ، ليتحدث عما نال من حظوة عند (إياس بن قَبيصةَ الطائى) ، دون أَن يمهد لهذا الانتقال أَو يحتال فى التخلص له ، فيقول :

(٢٢–٢٣) لما رأَيت الزمان كالحًا لا يهب غير البرد والجوع ، قد ذل فيه رءُوس الناس حتى صاروا أَذنابًا ، قصدت إياسًا خير فتى فى الناس ، حاضرِهم وغائبهم .

(٢٤–٢٧) فلما رآنى فيما أَنا فيه من شدة وضَنْك ، رث الهيئة بالى الثياب ، وقد اختلط أَمرى وفسد حالى ، أَوسع لى ضيافته فِعْلَ الكريم ، ومتعنى فى يوم الجمعة ،

١٣ - وَبَاتَ فِى دَفِّ أَرْطَاةٍ يَلُوذُ بِهَا ... يَجْرِى الرِّبَابُ عَلَى مَتْنَيْهِ تَسْكَابَا

١٤ - تَجْلُو ٱلْبَوَارِقُ عَنْ طَيَّانَ مُضطَّمِرٍ ... تَخَالُهُ كَوْكَبًا فِى ٱلْأُفْقِ ثَقَّابَا

١٥ - حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْكَرَبَتْ ... أَحَسَّ مِنْ ثُعَلٍ بِٱلْفَجْرِ كَلَّابَا

١٦ - يُشْلِى عِطَافًا وَمَجْدُولًا وَسَلْهَبَةً ... وَذَا ٱلْقِلَادَةِ مَحْصُوفًا وَكَسَّابَا

١٧ - ذُو صِبْيَةٍ كَسْبُ تِلْكَ الضَّارِيَاتِ لَهُمْ ... قَدْ حَالَفُوا ٱلْفَقْرَ وَاللَّأْوَاءَ أَحْقَابَا

١٨ - فَٱنْصَاعَ لَا يَأْتَلِى شَدًّا بِخَذْرَفَةٍ ... تَرَى لَهُ مِن يَقِينِ ٱلْخَوْفِ إِهْذَابَا

١٩ - وَهُنَّ مُنْتَصِلَاتٌ كُلُّهَا ثَقِفٌ ... تَخَالُهُنَّ وَقَدْ أُرْهِقْنَ نُشَّابَا

٢٠ - لَأْيًا يُجَاهِدُهَا لَا يَأْتَلِى طَلَبًا ... حَتَّى إِذَا عَقْلُهُ بَعْدَ ٱلْوَنَى ثَابَا

٢١ - فَكَرَّ ذو حَرْبَةٍ تَحْمِى مَقَاتِلَه ... إِذَا نَحَا لِكُلَاهَا رَوْقَهُ صَابَا

٢٢ - لَمَّا رَأَيْتُ زَمَانًا كَالِحًا شَبِمًا ... قَدْ صَارَ فِيهِ رُءُوسُ النَّاسِ أَذْنَابَا

٢٣ - يَمَّمْتُ خَيْرَ فَتًى فِى النَّاسِ كُلِّهِمُ ... الشَّاهِدِينَ بِهِ أَعْنِى وَمَنْ غَابَا

٢٤ - لَمَّا رَآنِى إِيَاسٌ فِى مُرَجَّمَةٍ ... رَثَّ الشَّوَارِ قَلِيلَ ٱلْمَالِ مُنْشَابَا

(١٣ — ١٥) الدف الجنب من كل شيء أو صفحته . الأرطى شجر نـسخم ، واحدته أرطاة . الرباب السحاب الابيض ، يعنى به المطر . متناه جانباه . البوارق جمع بارقة وهى المسحابة الـكثيرة البروق . طيان جائع ، فعـلان من الطوى والجوع . **مضطمر** مفتعل من الضمور . ثقاب ثاقب مضيء . ذر طلع . قرن الشمس اول ما يطلع منها عند الشروق . كربت كادت وقربت . **ثعل حى** من طيء ، وهم مشهورون بالرماية . كلاب صاحب كلاب .

(١٦ — ١٨) أشلى الـكلب على الصيد اغراه . مجدول مفتول . السلهبة الطويل . محصوف مجدول محكم الفتل . عطاف ومجـدول وسلهبة ومحصوف وكساب أسماء كلاب هذا الصياد . ضرى الكلب بالصيد (كعلم) لزمه وتعوده وأولع به واجترأ عليه . اللأواء الشدة والمحنة . احقاب جمع حقبة (على وزن قطعة) وهى المدة من الزمن . انصـاع مضى مسرعا . الا فى الأمر يألو قصر فيه وأبطأ . الشد العـدو والجرى . خذرف أسرع . هذب وأهذب أسرع .

(١٩ — ٢١) منتصلات مسرعات تكاد تخرج من جلودها فى عدوها ، وأصـله انتصل السهم أى خرج من نصله وهو حديدته . ثقف حاذق خفيف فطن . أرهقه أعجله . اللأى الشـدة ، لأى بلاى أبطأ واحتبس . لا تأتلى لا تبطىء . الونى التعب والفتور . ثاب رجع . ذو حربة يعنى الثور ، حربته قرنه . مقاتله المواضـع التى تقتل الاصابة فيها . نحا قصد . كلى جمع كلية (على وزن لقمة) . روقه قرنه . صاب أصاب ولم يخطىء .

(٢٢ — ٢٤) كالح عابس . الشبم البردان الجائع . يممه قصده . الشاهد الحاضر . اياس بن قبيصة الطائى . المرجمة (بكسر الجيم وتشديدها) الشدة من الرجم وهو القتل والقذف بالحجـارة والطرد . والمرجمة (بفتح الجيم وتشديدها) يقصد بها القبر ، أى حفرة مرجمة . رجم القبر (بالتشديد) وضع عليه الحجارة . وفى الحديث (لا ترجموا قبرى) أى لا تضعوا عليـه الحجارة ليسنم . رث بال . الشوار (بفتح الشين) الهيئة الحسـنة واللباس . منشاب مختلط الأمر . انشاب على وزن انفعل ، من شاب الشيء يشوبه أى خلطه ، وشابه كذلك خانه وغشه .

حين لجأت إليه مودعا الصحب والخلان ، بناقة ضخمة فتيَّة ، لا هى بالبَكْرَة الصغيرة ، ولا هى بالمُسِنَّة العجوز ، قد أشرق لونها من السِّمَن ، فكأنما صُبِغَت بالزعفران الأصفر . وحبانى قطعانًا من الإبل تعلوها النضرة ، كأنها روضة زينها نبت الخريف يكلل ما فوقها من الأعشاب ، ويزيده رونقًا وبهاء .

ويختم الأعشى قصيدته بالدعاء لإياس فيقول :

(٢٨–٢٩) يجزيك الله يا إياس عن نعمتك خير الجزاء ، كما جزى نوحا بعد المشيب ، إذ أوحى إليه أن يصنع الفلك ليعصمه من الطوفان ، فراح ينشئها ويجمع الألواح والأبواب .

(٨٠)

هذه احدى قصائد الاعشى القليلة التى فرغ فيها للغزل . ومعانى القصيدة مألوفة ، واسلوبها ركيك مسف فى كثير من المواضع . وأطرف ما فيها القسم الاخير (٩ — ١٦) ، الذى يستطرد فيه الى وصف درة يعرض الغواص نفسه للمهالك فى سبيل الحصول عليها ، والأعشى متأثر فى هذا القسم بأبيات تنسب لخاله المسيب بن علس ، يشبه فيها صاحبته بجمانة ، ويصف ما يلقى الغواص من عناء فى سبيلها ، فى ثلاثة عشر بيتا ، يبدأها بقوله :

كجمانة البحرى جاء بها   غواصها من لجة البحر

وليس بغريب أن يتأثر الاعشى بخاله ، فقد بدأ حياته الشعرية راوية له ، وأشار النقاد القدماء الى تأثره به فى كثيرمن معانيه .

يقول الأعشى :

(١ –٢) نام من خلا قلبه من الهموم ، وبت ليلى ساهرًا لا أنام . أَرعى النجوم متكئًا على مرفقى وقد أضنانى الغرام . وظللت خاشع الطرف ، أنظر ساكنًا قد ثقلت علىَّ الهموم ، وعادنى الداءُ ... ذهبَتْ حبيبتى بقلبى ، فأمسى عندها رهينة ليس إلى استردادها من سبيل .

(٣ –٤) ليتها أحبتنى كما أَحببتها فيجمع الود بين قلبينا ! ... لا شئ يشفى النفس إلا رؤيتها ، فاللقاءُ وحده دواءُ المحبين .

(٥ –٨) صادت قلبى بعينين فاترتين ، كأنهما عينا غزالة قد انفرَدَتْ عن القطيع ، تنظر فى حنان إلى صغيرها الغضيض الطرف وقد لصق بالأرض . وثغرٍ بارد مُتَّسِق عذب

٢٥ - أَثْوَى ثَوَاءَ كَرِيمٍ ثُمَّ مَتَّعَنِى   يَوْمَ الْعَرُوبَةِ إِذْ وَدَّعْتُ أَصْحَابَا
٢٦ - بِعَنْتَرِيسٍ كَأَنَّ الْحُصَّ لِيطَ بِهَا   أَدْمَاءَ لَا بَكْرَةٌ تُدْعَى وَلَا نَابَا
٢٧ - وَالرِّجْلُ كَالرَّوْضَةِ الْمِحْلَالِ زَيَّنَهَا   نَبْتُ الْخَرِيفِ وَكَانَتْ قَبْلُ مِعْشَابَا
٢٨ - جَزَى الْإِلٰهُ إِيَاسًا خَيْرَ نِعْمَتِهِ   كَمَا جَزَى الْمَرْءَ نُوحًا بَعْدَ مَاشَابَا
٢٩ - فِى فُلْكِهِ إِذْ تَبَدَّاهَا لِيَصْنَعَهَا   وَظَلَّ يَجْمَعُ أَلْوَاحًا وَأَبْوَابَا

(٨٠)

وقال :

١ - نَامَ الْخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقَا   أَرْعَى النُّجُومَ عَمِيدًا مُثْبَتًا أَرِقَا (بسيط.)
٢ - أَسْهُو لِهَمِّى وَدَائِى فَهْىَ تُسْهِرُنِى   بَانَتْ بِقَلْبِى وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلِقَا
٣ - يَالَيْتَهَا وَجَدَتْ بِى مَا وَجَدْتُ بِهَا   وَكَانَ حُبٌّ وَوَجْدٌ دَامَ فَاتَّفَقَا
٤ - لَا شَىْءَ يَنْفَعُنِى مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا   هَلْ يَشْتَفِى وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقَا
٥ - صَادَتْ فُؤَادِى بِعَيْنَىْ مُغْزِلٍ خَذَلَتْ   تَرْعَى أَغَنَّ غَضِيضًا طَرْفُهُ خَرِقَا
٦ - وَبَارِدٍ رَتِلٍ عَذْبٍ مَذَاقَتُهُ   كَأَنَّمَا عُلَّ بِالْكَافُورِ وَاغْتَبَقَا

---

٢٥ — ثوى بالمكان ثواء أقام ، واثواه اضافه . يوم العروبة يوم الجمعة ، وهو من اسمائهم القديمة ، وهى تعريب أربا النبطية ، أو عروبتا السوريانية (والألف فيها بمكان ال فى العربية للتعريف).

(٢٦ — ٢٧) العنتريس الناقة الصلبة الضخمة الوثيقة . الحص الورس أوالزعفران ، وهو أصفر . ليط الصق . أدماء أشرب لونها بياضا او سوادا . البكرة الناقة الصغيرة التى لم يحمل عليها . الناب الناقة المسنة . الرجل القطعة العظيمة من الجراد ، وهى كذلك الطائفة من الشىء ، على التشبيه بالجراد . الروضة المكان الذى يستنقع فيه الماء فيكثر عشبه ويزكو نبته . المحلال التى يحل بها الناس كثيرا لخصبها وجمالها . معشاب كثيرة العشب .

(٢٨ — ٢٩) اياس هو اياس بن قبيصة الطائى . الفلك السفينة . تبداها بداها وانشاها .

(٨٠)

(١ — ٣) الخلى الذى خلا قلبه من الهموم . ارتفق اتكأ على مرفقه . العميد الذى أضناه الحب . أثبتته الجراح واثبته السقم ، لم يقدر على الحراك . سها اليه يسهو نظر ساكن الطرف ، والسهو السكون . بانت بعدت . غلق الرهن فى يد المرتهن استحقه ، وذلك اذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . وجدبه (كنصر وضرب) احبه .

(٤ — ٦) الوامق المحب ، فعله ومق (كحسب) . الرهق (بالتحريك) القرب . رهقه دنا منه ، والراهق الذى قارب الحلم . مغزل ام غزال صغير . خذلت تخلفت عن صواحبها وانفردت . ظبى أغن يخرج صوته من خياشيمه . غض طرفه خفضه وكفه وكسره ، فطرفه غضيض اى مغضوض . خرق الغزال خرقا (بالتحريك) اذا اطيف به فلزق فى الارض . بارد صفة لموصوف محذوف ، اى ثغر بارد . رتل مستو . عل اى سقى للمرة الأولى ، واغتبق اى سقى للمرة الثانية . الكافور نبت طيب الرائحة .

المذاق ، كأنما سُقِى الكافور كأْسًا بعد كأْس . وجيدٍ مستو طويل كأنه جيد الغزالة حين تمده فى هدوءٍ واطمئنان بين أشجار الأراك ، لتتناول من أوراقه وثماره . وردفٍ ضخم رَجْرَاج ، كأنه كثيب الرمال المُنْهَال ، قد استغنى بضخامته عن أن يشد بالنطاق ، لا يشينه هزال الوركين .

٩ ـ كأنها درة زهراءُ أخرجها غواصها من (دَارِين) ، معرضًا نفسه فى سبيلها للغرق والهلاك .

ويشرد خيال الأعشى وراءَ الدرة والغواص ـ على عادته فى كثير من المواضع ـ فيمضى متصورًا ما لقى من عناءٍ ، وما تعرض له من أهوال .

(١٠ـ١١) سعى وراءَها سنين ، وظل يرومها منذ نبت شاربه ، حتى أدركته الشيخوخة وارتعشت رجلاه ، فهو يمشى فى اضطراب ، لا ينثنى عن طلبها ، ولا يدب إلى قلبه اليأْس ، وقد تمثل له الأمل أمام عينيه مجسما فاحترق طمعًا .

(١٢ـ١٣) وقام من دون اللؤلؤة جن مارد جبار ، يحرسها مبالغًا فى حياطتها ، وقد جعل من دونها درجا . يدور من حولها ، لا تغفل عنها عينه خشية أن تمتد إليها يد السارقين والصائدين فى ظلام الليل .

(١٤ـ١٦) احترق الغواص الذى يرصد الدرة حرصًا عليها . ولو أن ضميره يطاوع نفسه لتحدى اليم أو هلك دون بغيته ، فطواه البحر ذو الأمواج المتراكبة . . .

صَيْدٌ بعيد المنال . . . من رامه علقته حبال المنية ، ومن ظفر به نال عز الخُلْد الذى لا ينقطع ، فأضحى ناعمًا مسرورًا راضى الآمال .

ويستيقظ الأعشى من حلمه الطويل وقد بلغ به نهايته ، فيثوب إلى نفسه ليقول :

١٧ ـ تلك هى صاحبتك . . كلفتك نفسُك السعى وراءَها ، تتعلل بالآمال ، وما تعلقت إلا الهلاك والنار .

٧ ـ وَجِيدِ أَدْمَاءَ لَمْ تُذْعَرْ فَرَائِصُهَا ... تَرْعَى ٱلْأَرَاكَ تَعَاطَى ٱلْمَرْدَ وَٱلْوَرَقَا
٨ ـ وَكَفَلٍ كَالنَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ ... لَيْسَتْ مِنَ الزُّلِّ أَوْرَاكًا وَمَا ٱنْتَطَقَا
٩ ـ كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أَخْرَجَهَا ... غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَى دُونَهَا ٱلْغَرَقَا
١٠ ـ قَدْ رَامَهَا حِجَجًا مُذْ طَرَّ شَارِبُهُ ... حَتَّى تَسَعْسَعَ يَرْجُوهَا وَقَدْ خَفَقَا
١١ ـ لَا النَّفْسُ تُوئِسُهُ مِنْهَا فَيَتْرُكُهَا ... وَقَدْ رَأَى الرَّغْبَ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ فَٱحْتَرَقَا
١٢ ـ وَمَارِدٌ مِنْ غُوَاةِ ٱلْجِنِّ يَحْرُسُهَا ... ذُو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرَقَا
١٣ ـ لَيْسَتْ لَهُ غَفْلَةٌ عَنْهَا يُطِيفُ بِهَا ... يَخْشَى عَلَيْهَا سُرَى السَّارِينَ وَالسَّرَقَا
١٤ ـ حِرْصًا عَلَيْهَا لَوَ ٱنَّ النَّفْسَ طَاوَعَهَا ... مِنْهُ ٱلضَّمِيرُ لَبَالَى ٱلْيَمَّ أَوْ غَرِقَا
١٥ ـ فِي حَوْمِ لُجَّةِ آذِيٍّ لَهُ حَدَبٌ ... مَنْ رَامَهَا فَارَقَتْهُ النَّفْسُ فَاعْتُلِقَا
١٦ ـ مَنْ نَالَهَا نَالَ خُلْدًا لَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ ... وَمَا تَمَنَّى فَأَضْحَى نَاعِمًا أَنِقَا
١٧ ـ تِلْكَ الَّتِي كَلَّفَتْكَ النَّفْسُ تَأْمُلُهَا ... وَمَا تَعَلَّقْتَ إِلَّا ٱلْحَيْنَ وَٱلْحَرَقَا

(٧ — ٨) أدماء بيضاء أى غزالة بيضاء . الفرائص جمع فريصة . وهى لحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد فى الدابة . الأراك شجر يتخذ من غصونه السواك . تعاطى تتناول ، تعاطى قام على أطراف أصابع الرجلين ثم رفع اليدين الى الشىء ليتناوله . المرد ثمر الأراك . الكفل (بالتحريك) العجز والمؤخرة . النقــا القطعة المحدودبة من الرمل . زل جمــع أزل وهو الخفيف الوركين . انتطق لبس النطاق وهو شقة تشدها المرأة على وسطها فترسل الأعلى على الأسـفل الى الأرض ، والضمير فى انتطق يعود على الكفل ، أى أنها لم تلبس عليه النطاق لتضخمه .

(٩ — ١٢) زهراء شقراء بيضاء مشرقة . دارين ثغر فى البحرين . دونها أى فى سبيل الحصول عليها . رامها طلبها . حججا أعـواما . طر شاربه نبت وظهر . تسعسع هرم واضطرب وهدج فى مشيه . خفق اضطرب . الرغب (بفتحتين) المرغوب ، سكنت العين لضرورة الشعر . والرغب (بفتح فسكون) مصدر رغب فى الشىء أى أراده . احترق أى شوقا وطمعا وحرصا على الدرة . مرد (كنصر) عتا وتجبر ، والمارد كذلك المرتفع . غواة جمع غاو وهو الضال المنهمك فى الجهل . النيقة اسم من التنوق . تنوق فى الأمر بالغ فيه وجوده . الترق شبيه بالدرج . فيكون المعنى ان هذا المارد من الجن يحرس هذه الدرة مستعدا لذلك بدرج يخفيها فيه .

(١٣ — ١٤) ليست له أى لهذا المارد من الجن . عنها اى عن الدرة . يطيف بها يدور حولها فى حراسته لها . السرى سير الليل . يقصد الذين يصيدون فى الليل . السرق والسرقة واحد ، مصدر سرق . حرصا عليها يمكن ان يكون متعلقا ب (يطيف) فى البيت السابق . ويمكن أن يكون متعلقا بقوله (احترق) فى آخـر البيت (١١) ، وهو أفضل عندى . لبالى اليم ، هى فى الديوان (ليالى الغيم) ولا معنى لها ، فهى محرفة بغير شك ، ولكنى لم اعثر على رواية أخرى ، ولم أطمئن الى تقويمها ، فأثبت هنـا اقرب الألفاظ الى اللفظ المحرف ، وقلت لعلها (لبالى اليم أوغرقا) بالاه فاخره ونافضه ، وقد يكون المقصود بها هنا تحداه . واليم البحر .

(١٥ — ١٧) الآذى موج البحر . الحدب الموج وتراكب الماء فى جريه . حومة الماء معظمه . رامها طلبها . اعتلق (على البنـاء للمجهـول) أى علقته المنية فمات . نالها أى الدرة . أنقا مسرورا ، أنق انقا كفرح وزنا ومعنى . كلفه امره بما يشق عليه ، والفـاعل نفسه ، كلفته هذه الدرة يسعى وراء الحصول عليها ، وهو يعنى بالدرة صاحبته التى أشار اليها فى أول القصيدة . الحين الهلاك . الحرق النار .

- ٨١ -

يعتذر الأعشى بهذه الأبيات الى علقمة بن علاثة ، بعد أن هجاه فى المنافرة التى كانت بينه وبين ابن عمه عامر بن الطفيل . وقد تقدمت القصة فى القصيدة (١٨) .

ويروى الرواة فى قصة هذه الأبيات أن علقمة نذر دم الأعشى منذ ذلك الحين . وبينما الأعشى فى بعض رحلاته ، اذ أخطأ به دليله فألقاه فى ديار بنى عامر بن صعصعة . فأخذه رهط علقمة ، فاعتذر اليه الأعشى بهذه الأبيات ، فعفا عنه .

يقول الأعشى :

١ – صيَّرَتنى الأُمور إليك يا عَلْقم ، فليس لى عنك مَحِيص .

٢ – ورثتَ المجد أبًا عن جد ، فكساك (عُلَاثَةُ) أثوابه ، وورثَّك (الأَحوصُ) مجدَه .

٣ – يتضاءل أمام فحلكم الكريم كلُّ فَحْل .

٤ – وينبش الناسُ عيوب كل سيد ، إلا سيدكم ، فقد خلا من العيوب .

٥ – وكيف تُنكَرُ الشمسُ المضيئة ، أو القمرُ الباهر ؟

٦ – فهب لى ذنوبى – فدتك النفوس – ولا زلت تَرْقَى فى العُلَى غيرَ منقوص .

وقال معتذرًا إلى عَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَة :

١ ـ أَعَلْقَمُ قَدْ صَيَّرَتْنِي ٱلْأُمُورْ   إِلَيْكَ وَمَا كَانَ لِي مَنْكَصُ (متقارب)
٢ ـ كَسَاكُمْ عُلَاثَةُ أَثْوَابَهُ   وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ ٱلْأَحْوَصُ
٣ ـ وَكُلُّ أُنَاسٍ وَإِنْ أَفْحَلُوا   إِذَا عَايَنُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا
٤ ـ وَإِنْ فَحَصَ النَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ   فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفْحَصُ
٥ ـ فَهَلْ تُنْكَرُ الشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا   أَوِ ٱلْقَمَرُ ٱلْبَاهِرُ ٱلْمُبْرِصُ
٦ ـ فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتْكَ النُّفُوسْ   وَلَا زِلْتَ تَنْمِي وَلَا تَنْقُصُ

(١ ــ ٣) منكص مصدر ميمى من نكص عن الأمر اى تراجـع واحجم . علاثةابو علقمة . الاحوص جده ، فهو علقمـة بن علاثة بن عوف بن الاحوص . افحلوا صار لهم فحل ، وهو الذكر من كل حيوان ، وقد يطلق على الضخم الـكريم . بصبص البعيـر حرك ذنبه . والبصبصة التملق .

(٤ ــ ٦) فحص عنه فتش عن عيوبه . بهر القمر (كفتح) اضاء حتى غلب ضوؤه على الـكواكب . البرص داء يصيب الجلد منه بقـع بيضاء ، وسموا القمر ابرص على التشبيه بمن يصيبه البرص . تنمى اى تزيد .

— ٨٢ —

اختلف الرواة فى نسبة هذه القصيدة ، فروى الجاحظ بعض أبياتها فى الحيوان منسوبة لعبيد بن الأبرص ، وروى بعض أبياتها فى موضع آخر لمضر بن زرارة بن لقيط . ونسب البغدادى بعض أبياتها فى الخزانة لمفرس بن ربيعة الأسدى . ونسب المفضل الضبى أبياتا منها لعوف بن الأحوص فى المفضليات . ومثل هذا الخلاف فى الشعر الجاهلى كثير . وهو يرجع فى بعض الأحيان الى خلط الرواة . ويرجع فى أحيان أخرى الى أخذ الشعراء بعضهم من بعض . ومحاولة تحقيق هذا الخلاف لترجيح نسبة الشعر الى شاعر دون آخر أمر صعب غير ميسور .

والقصيدة فى معظمها فخر . وهى من جيد الشعر ورائعه .

يتحدث الشاعر عن صاحبته (مَىّ) فيقول :

١ – حَىِّ (مَىّ) وقد نهضت للرحلة مبكرة . وعَرِّضْ لها بالقول (أما آن لأسيرها أن يُخَلَّى سبيلُه؟) . ثم يوجه إليها خطابه قائلا :

٢ – لا تخدعينى يا مَىّ ، ولا تمنينى بالباطل ، وتُدْلى إلىَّ بحبل واه ضعيف ، فشر حبال الواصلين الضعيف الغَرُور .

ويمتلئ الشاعر زهوًا بنفسه وفخرًا بقبيلته ، وكأنه يريد أن يظهرها على مبلغ شرفهم لترى أنه خليق بوصلها ، فيقول :

(٣ – ٥) إن شئت أن تعرفى حقيقة قومى فسلى عن العز والإحسان أين يصيران . فستعلمين حينذاك أن فيهم من ينهض بالأعباء ، ومن يدفع الهمَّ حين تَغَصُّ به الصدور ، ومن يشب الحرب الطويلة المريرة ويمسح ضرعها المدرار ، ومن ينهض بديات القتلى كبيرها والصغير .

(٦ – ٧) لا تصرمينى ، واسألى عن صنيعى حين يشتد الجدب ، وحين يحرص القوم على المَرَق فى القدر فيردُّون عنها المستعير ، وحين يجتمعون من حولها يرقبون نضجها ، وقد قامت فتاة الحى الكريمة تمدها بالحطب والوقود .

(٨ – ١٠) إذا احمرت آفاق السماء ، وهبت رياح الشتاء الباردة عاصفةً هوجاء ، واشتد ظلام الليل فى مستهل الشهور ، ضمنَتْ قِدْرى للسائل المقرور الدِفْء والطعام ، يغدو إليها ويروح كأنها أُمُّه الرَّءُوم ، وقد برزت للعُفاة ، لا تُجعَل من دونها الستور ، ولاحت نارُها حين تخمد النيران .

(١١ – ١٣) إذا عادت النوق من مراعيها آخرَ النهار ، ثم لم تدفع ألبانُها عن لحومها أن تكون طعامًا للضيفان ذاقت السِّنان ، وخُلِّىَ بينها وبين السيف حين يجول فيها ، ثم لا يلبث الذى نُذِر للذبح بعد إنذاره إلا قليلا .

وقال :

١ ـ أَلَا حَيِّ مَيًّا إِذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا ... وَعَرِّضْ بِقَوْلٍ هل يُفَادَى أَسِيرُهَا (طويل)

٢ ـ فَيَامَىُّ لَا تُدْلِى بِحَبْلٍ يَغُرُّنِى ... وَشَرُّ حِبَالِ الْوَاصِلِينَ غُرُورُهَا

٣ ـ فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تُهْدَىْ لِقَوْمِى فَاسْأَلِى ... عَنِ الْعِزِّ وَالْإِحْسَانِ أَيْنَ مَصِيرُهَا

٤ ـ تَرَىْ حَامِلَ الْأَثْقَالِ وَالدَّافِعَ الشَّجَا ... إِذَا غُصَّةٌ ضَاقَتْ بِأَمْرٍ صُدُورُهَا

٥ ـ بِهِمْ تُمْتَرَى الْحَرْبُ الْعَوَانُ وَمِنْهُمُ ... تُؤَدَّى الْفُرُوضُ حُلْوُهَا وَمَرِيرُهَا

٦ ـ فَلَا تَصْرِمِينِى وَاسْأَلِى مَا خَلِيقَتِى ... إِذَا رَدَّ عَافِى الْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا

٧ ـ وَكَانُوا قُعُودًا حَوْلَهَا يَرْقُبُونَهَا ... وَكَانَتْ فَتَاةُ الْحَىِّ مِمَّنْ يُنِيرُهَا

٨ ـ إِذَا احْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وَأَعْصَفَتْ ... رِيَاحُ الشِّتَاءِ وَاسْتَهَلَّتْ شُهُورُهَا

٩ ـ تَرَى أَنَّ قِدْرِى لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا ... لِذِى الْفَرْوَةِ الْمَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا

١٠ ـ مُبَرَّزَةٌ لَا يُجْعَلُ السِّتْرُ دُونَهَا ... إِذَا أُخْمِدَ النِّيرَانُ لَاحَ بَشِيرُهَا

١١ ـ إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَفْدِ لَحْمَهَا ... بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ السِّنَانَ عَقِيرُهَا

١٢ ـ يُخَلِّى سَبِيلُ السَّيْفِ إِنْ جَالَ دُونَهَا ... وَإِنْ أُنْذِرَتْ لَمْ يَغْنَ شَيْئًا نَذِيرُهَا

١٣ ـ كَأَنَّ مُجَاجَ الْعِرْقِ فِى مُسْتَدَارِهَا ... حَوَاشِى بُرُودٍ بَيْنَ أَيْدٍ تُطِيرُهَا

(١ ـ ٣) اجد فى الامر وجد اخذ فيه . بكورها ارتحالها فى البكرة اى فى اول النهار . عرض بالقول لمح واشار ولم يصرح . يغرنى يخدعنى . حبل غرور ضعيف لا يوثق به.

(٤ ـ ٦) الشجا الحزن والهم . غص بالطعام (كعلم) اعترض فى حلقه فمنعه من التنفس ، والغصة ما يغص به من طعام ، ويقصد به هنا الغيظ والهم . امترى الناقة مسح ضرعها لتدر . يمترون الحرب يشبونها ويلهبونها . العوان التى قوتل فيها مرة بعد مرة على التشبيه بالناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى ، فهى غير بكر . الفرض العطية التى يوجبها الرجل على نفسه غير ناظر لثواب ، وقد يقصد به هنا الديات . عافى القدر ما يتبقى فيها من مرق . يطلب المستعير القدر فيرده صاحبها لأن فيها بقية من مرق ، وذلك لشدة الجدب ، ولحرص صاحبها على هذه البقية .

(٧ ـ ٩) ينيرها يوقدها . فتاة الحى أى الشريفة . آفاق السماء جوانبها . أحمر أى أغبر وذلك فى القحط . والعرب تسمى السنة الشديدة حمراء . استهل الشهر ظهر هلاله ، والليل فى أول الشهر مظلم . الفروة الكيس الذى يجمع فيه السائل ما يتصدق عليه الناس به . المقرور البردان . يقول ان هذا السائل قد اعتاد زيارة هذه القدر . كأنها امه التى ترامه وترضعه .

(١٠ ـ ١٢) مبرزة ظاهرة أمام الدار بحيث يراها كل الناس فيقصدونها . بشيرها ضوؤها الذى يهتدى به الناس ؛ فكأنه يبشرهم بالطعام والدفء وحسن الضيافة . الشول الابل التى جفت ألبانها . راحت عادت من المرعى آخر النهار . عقير فعيل بمعنى مفعول اى المعقور المذبوح . يقول ان هذه الابل اذا عادت من المرعى فلم تدر للضيف لبنا اطعمه لحمها . جال دونها مضى فيها ذبحا . غنى بالمكان (كعلم) أقام . النذير المنذور كقتيل بمعنى مقتول . وقد نذرها للذبح ولاطعام الضيف .

(١٣) مجاج العرق الدم الذى يمجه العرق اى يرميه ويقذف به . مستدارها حيث تدور يقصد أعطانها ، وقد تكون (مسترادها) اى حيث ترود وترعى . الحواشى جمع حاشية وهو جانب الثوب . والبرد ثوب مخطط . يقصد الهداب الذى يكون فى أطراف النسيج . يشبه الدم المتدفق منها حين يندفع بهذا الهداب حين يتطاير ويخفق بين يدى رجل قد رفعه فى مهب الريح .

ويندفع الدم منها وقد تفرقت فى الفناء كأنه هُدَّاب برود حمراء ، يخفق متطايراً وقد رُفِع فى مهب الرياح .

(١٤–١٧) إننا لا نضيق بالأضياف ساخطين إن نزلوا بنا ، ولا يقوم فينا من ينتصر للناقة الضخمة حين تقاد للذبح . وإنى لأتغاضى عن حقد ذى القربى ، لا أستثيره وقد بدت آياته . وقور حين يُعجِب السَّفَهُ أصحابَه ، فالوقار من خير ما يتحلى به الرجال . ولقد يئس أعدائى أن يستخفنى وثب الأُسود وزئيرُها .

(١٨–٢٠) وكم من يوم شديد الحر ، تستكنُّ فيه الظباءُ تحت ظلال الأشجار ، كأنها الكواعب قد أُسدِلت من دونها الستور ، وقد تدلت الشمس من سمائها ، تلهب أحجار الصحراء السود فتشعُّ الهمود والجمود ، قد عصبتُ له رأسى ، أُكلف الرحلةَ ناقةً صلبةً ضامرةً لا يسرع إليها الضعف ولا ينتابها الفتور .

(٢١–٢٢) ولقد أَقطع القفر الموحش لا أَلقى فيه إلا الماءَ الراكد ، والقطا الرمادى النحور ذا الأَطواق ، وقد سفت الرياح الترابَ والرمالَ على مناهله ، فكأَن مياهه الآسنةَ لَبَنٌ حامض مَذِيق .

(٢٣–٢٥) وكم من ليلٍ مظلم مدلهم يستوى فيه الأَعمى والبصير ، كأَنى فيه تحت قبَّة نُسِج أعلاها من الشَّعر الأَسود الخشن ، وتدلت جوانبها من الطيلسان الأَخضر ، تجاوزته حتى انقشع ظلامه ، ولاح ضوءُ الشمس المنير .

١٤ - وَلَا نَلْعَنُ ٱلْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا ... وَلَا يَمْنَعُ ٱلْكَوْمَاءَ مِنَّا نَصِيرُهَا

١٥ - وَإِنِّى لَتَرَّاكُ ٱلضَّغِينَةِ قَدْ أَرَى ... قَذَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَى فَلَا أَسْتَثِيرُهَا

١٦ - وَقُورٌ إِذَا مَا ٱلْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ ... وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ ٱلرِّجَالِ وُقُورُهَا

١٧ - وَقَدْ يَئِسَ ٱلْأَعْدَاءُ أَنْ يَسْتَفِزَّنِى ... قِيَامُ ٱلْأُسُودِ وَثْبُهَا وَزَئِيرُهَا

١٨ - وَيَوْمٍ مِنَ ٱلشِّعْرَى كَأَنَّ ظِبَاءَهُ ... كَوَاعِبُ مَقْصُورٌ عَلَيْهَا سُتُورُهَا

١٩ - عَصَبْتُ لَهُ رَأْسِى وَكَلَّفْتُ قَطْعَهُ ... هُنَالِكَ حُرْجُوجًا بَطِيئًا فُتُورُهَا

٢٠ - تَدَلَّتْ عَلَيْهِ ٱلشَّمْسُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ ٱلْحَرِّ تَرْمِى بِٱلسَّكِينَةِ قُورُهَا

٢١ - وَمَاءٍ صَرٍ لَمْ أَلْقَ إِلَّا ٱلْقَطَا بِهِ ... وَمَشْهُورَةَ ٱلْأَطْوَاقِ وُرْقًا نُحُورُهَا

٢٢ - كَأَنَّ عَصِيرَ ٱلضَّيْحِ فِى سَدَيَانِهِ ... دَفُونًا وَأَسْدَامًا طَوِيلًا دُثُورُهَا

٢٣ - وَلَيْلٍ يَقُولُ ٱلْقَوْمُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ ... سَوَاءٌ بَصِيرَاتُ ٱلْعُيُونِ وَعُورُهَا

٢٤ - كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بُيُوتًا حَصِينَةً ... مُسُوحٌ أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كُسُورُهَا

٢٥ - تَجَاوَزْتُهُ حَتَّى مَضَى مُدْلَهِمُّهُ ... وَلَاحَ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُورُهَا

(١٤ — ١٥) الكوماء الناقة الضخمة . القذى القذر . المولى الصديق والقريب .

(١٦ — ١٨) وقور رزين . الوقور الرزانة ، مصدر وقر . يستفزنى يثيرنى ويستخفنى . الشعرى كوكب يطلع فى الجوزاء ، وطلوعه فى شدة الحر . الكواعب جمع كاعب وهى التى كعب ثديها اى نهد وبرز. يشبه هذه الظباء وقد استكنت من شدة الحر بأوانس قد قصرن (اى حبسن) خلف الستور .

(١٩ — ٢١) السكينة السكون والجمود . القور جمع قارة وهى الصخرة السوداء أو الأرض ذات الحجارة السود ، والحر فيها شديد. عصب راسه للأمر كناية عن التهيؤ له . حرجوج ناقة ضامرة . صرى الماء (كعلم) طال مكثه فتغير طعمه . القطا جمع قطاة وهو طائر يقرب من الحمام . مشهورة ظاهرة . الاطواق جمع طوق وهو دائرة بيضاء تطوق رقبة الحمام . ورق جمع أورق وهو الأبيض المشوب بسواد فى مثل لون الرماد .

(٢٢ — ٢٣) الضيح اللبن الرقيق الممزوج . السادى من الابل المهمل المسيب ، وسديت الليلة كثر نداها . دفون اى منهل مدفون مطموس. مياه سدم وأسدام متغيرة من طول المكث والركود . طال دثورها اى انطماسها لاهمالها ولقلة ورودها . ويغلب على ظنى ان الشطر الأول من البيت محرف ، ولكنى لم أهتد الى تقويمه . ولعل التشبيه مقلوب ، والمقصود تشبيه المياه الراكدة فى هذه المناهل المطموسة باللبن الممزوج بالماء وقد اهمل فتغير طعمه ورائحته .

(٢٤ — ٢٥) البيت يطلق على المسكن ، وقد يكون بناء وقد يكون من شعر . وهو هنا يقصد الثانى . مسوح جمع مسح (بكسر فسكون) وهو الثوب الخشن المنسوج من الشعر . الساج الطيلسان الأسود أو الأخضر . الكسر جانب البيت وجمعها كسور وهو ما تدلى من جوانب الخيمة لانه يثنى ويكسر عند الرفع . يشبه الليل وقد احاط به من كل جانب بقبة ضخمة قد ضربت عليه. نسج اعلاها من الشعر الاسود الخشن واسفلها من الطيلسان الاسود او الأخضر . تجاوزته ، الضمير يعود . على الليل . ادلهم الليل اشتد ظلامه .

فهارس الديوان

ملاحظة : الأرقام التى فى هذه الفهارس تشير إلى رقم القصيدة ثم إلى رقم البيت . فمثلا : ١٤/٤ تعنى : البيت ١٤ من القصيدة ٤ . و ٤/١٧ – ٨ تعنى : الأبيات ٤ – ٨ من القصيدة ١٧ .

فهرس القوافى

صدر القصيدة	رقمها	بحرها	عدد أبياتها
(ل)			
لميثاء دار قد تعفت طلولها ... فمسيلها	٢٣	طويل	٢٨
أتيس بن مسعود بن قيس بن خالد. وائل	٢٦	«	١٤
يلمن الفتى إن زلت النعل زلة .. خواذل	٤٧	«	٤
فيا أخوينا من عباد ومالك . . . . لها	٦٠	«	٩
صحا القلب من ذكرى قتيلة بعدما .. المكبل	٧٧	«	٣٢
أتصرم ريا أم تديم وصالها ... جمالها	٧٢	«	١١
ودع هريرة إن الركب مرتحل .. الرجل	٦	بسيط	٦٦
رحلت سمية غدوة أجمالها . . . بدالها	٣	كامل	٥٤
قالت سمية من مدحت ... ... وائل	٧٠	« (مجزوء)	١٩
قالت سمية إذ رأت ... ... الجبال	٧١	« «	٤
هل أنت يا مصلات ... ... فراحل	٧٦	« «	٢١
ألا قل لتياك مابالها ... .. أجمالها	٢١	متقارب	٤٧
مابكاء الكبير بالأطلال ... سؤالى	١	خفيف	٧٥
إن محلا وإن مرتحلا ... ... مهلا	٣٥	منسرح	٢٤
أقصر فكل طالب سيمل ...عول	٥٢	سريع	٤٣

صدر القصيدة	رقمها	بحرها	عدد أبياتها
(م)			
هريرة ودعها وإن لام لائم ... واجم	٩	طويل	٣٤
ألا قل لتيا قبل مرتها اسلمى .. متيم	١٥	«	٦٢
ألم خيال من قتيلة بعدما ... فتصرما	٥٥	«	٤١
بنى عمنا لا تبعثوا الحرب بيننا .. السلم	٥٨	«	٤
عرفت اليوم من تيا مقاما ... خياما	٢٩	وافر	٣٧
يظن الناس بالملكين ... ... التأما	٥٦	« (مجزوء)	٢٨
أتهجر غانية أم تلم ... ... منجذم	٤	متقارب .	٧٢
يالقيس لما لقينا العاما ... ... علاما	٣٨	خفيف	٢٦
(ن)			
لعمرك ما طول هذا الزمن .. معن	٢	متقارب	٨٣
ألا من مبلغ عنى حريثا ... ازدرانا	٢٧	وافر	١٩
خالط القلب هموم وحزن ... اطمأن	٧٨	رمل	٢٧
(ى)			
ذرينى لك الويلات اتى الغوانيا السوانيا	٦٦	طويل	١٨

فهرس الفنون الشعرية والمواضيع

غزل

خفر ومجون

فخر وحماسة

قصص وتاريخ

حكمة

وصف

(ا) الصحراء :

(ب) الناقة :

(ج) متفرقات :

الأسد — ثور الوحش ـ حمار الوحش ـ الخيل ـ الظبى ـ النعامة : راجع فى كل واحد منها فهرس المعانى والصور .

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والامم

فهرس الاماكن

فهرس الأيام

أطلقها الصائد بالنحل ٢٣/٥٥ . تشبيه الكلاب وقدنظمها على قرنه بالجراد المنظوم فى عود ٢٧/٥٥ قرنه طويل حاد ٢٨/٦٥ . تشبيهه بالنجم ٢٨/٥٥ ، ١٤/٧٩

(ج)

الجار :

مدح الرجل بحفظه وبالتعفف عن الجارة ٣٩/٢ ، ٣٢/٤ ، ٥٣/٥ ٥٤/٨ — ٥٥ ، ٤٣/١٣ — ٤٤ ، ٥١/١٨ ، ٦١/٣٣ ، ٩/٦٨ الحث على حفظه ١٨/٦٦ . وحسن معاشرته ١٢/٦٦ الحث على التعفف عن الجارة ٢٤/١٧ ، ١٥/٦٦ حماية المستجير ٥٣/٢ — ٥٤ ، ٣٥/١٢ ، ٢٧/٢١ — ٢٨ ، ٢١/٣٦ هجاء الرجل بسوء حال جاره ١١/١٩ — ١٢ ، ٣٨/٣٣ الغضب لانتهاك حرمة الجار ١٤/٢٣ — ١٥ ، ٢/٥٩ — ٤

الجبن :

تشبيه الجبان بالفرس الذى حبسه اللجام ٤/٤٧ الجبان يمسك بأعراف الخيل فى القتال خشية السقوط ٧/٦٢

الجدب :

الفخر بالميسر فى الجدب (راجع الميسر) الجود فى الجدب (راجع الجود) الابل تسقط من الجوع والأعياء ٤/٣٢ انقطاع لبنها ١١/٧٣ الكناية عن الجدب بهرير الكلاب ونباحها ٢٦/٣٦ . بمنع إعارة القدر بخلا بما فيها من بقية المرق ٦/٨٢ تشبيه دخان الطبخ وقت الجدب بالبخور ٢١/٣٨ الناس تعود حول القدر يرقبونها ٧/٨٢ احمرار افاق السماء وعصف الرياح ٨/٨٢

الجرى : راجع (العدو)

الجفنة :

تشبيهها بالحوض فى الضخامة ٥٧/٣٣ الناس من حولها شارعون أيديهم ٦٠/٣٣ راجع كذلك (القدر)

الجلد :

مدح الرجل بالصبر على مكاره الحروب ٤٥/٨ ، ١٦/٣٨ وعلى كوارث الدهر ٣٦/٢١ ، ٣٠/٢٩ ، ٣/٣٣ — ٤ وعلى الرحلة فى اليوم الشديد الحر ١٨/٨٢ — ٢٥ لا يفرح بالخير ولا يضيق بالنكبات ٣٠/٢٩

الجوارى : يحترفن البغاء ٤/٢٢ — ٩ ، ٢٢/٧٨

الجود :

الرجل يجود قبل السؤال ٢٥/١١ يجد لذة فى الجود ١٣/٧ يجود من غنائم الحرب ٦٦/٢ — ٦٨ ، ٤١/٣ و٣٩ — ٤١ و٤٩ ، ١٣/٤ — ١٤ ، ١١/٣١ ، ٤٢/٢١ — ٤٣ الجود فى الشتاء وفى القحط : ٥٣/٨ ، ١٠/٣٥ — ٣٦ ، ١٦/٢٩ — ٣٤ ، ٤٩/١٨ — ٥٠ ، ٣٧/٣٢ — ٤١ ، ٥٦/٣٣ — ٥٩ ، ٣٦/٢٦ ، ٣٨/٢١ و٥٣ ، ١٠/٦٨ — ١١ ، ١١/٧٣ ، ٦/٢٨ — ١٢ الجود على الفقراء ٣٥/١٢ على الأرامل والأيتام ٨/٦٠ — ٩ راجع كذلك (الكريم)

الجوارى :

يحترفن البغاء ٤/٢٢ — ٩ ، ٢٣/٢٩ ، ٢٧/٧٨

الجيد :

تشبيه جيد المرأة بجيد الغزال ٩/٢٠ ، ١١/٧٧ ، ٤/٧٩ ، ٧/٨٠ جيدها طويل تزينه الأطواق ٦/٣٢ طيب رائحته ١٣/٥٤

الجيش :

يحمى الحى ٦/٢٧ يحمى اللاجىء إليه ١/٦٥ يحمل الموت للاعداء ٢٨/٢٩ و٣٥ ، ١٧/٦٢ يشتت العدو ١١/٤٠ الموت ينصب على العدو كالمطر ١٤/٤٠ كاين الناقة الحلوب ٢١/٥٦ يشرد إبل الرعاة ١/٦٦ كثافته ١٥/٣ تضيق به الصحراء ٢٧/٢٩ يستنفذ الماء قبل أن يبلغه اخره ٢٧/٢٩ وصفه بالسواد لكثرة الاته ٥٢/٣ ، ١٢/٤٨ . تشبيه الخيل فيه بالنوى ٢٥/٤ وصفه بالارتجاج وكثرة الحركة ٣٠/٢١ ، ١٠/٢٦ ، ٦/٢٧ مجتمع ملموم ١٩/٢٨ يثير الغبار ٢/٢٩ ، ٢٦ تشبيه بالعقاب الذى ينقض من فوق برج عالى ١٣/٤٠ تشبيه فى كره على العدو بالرجل الذى يطوف حول حجارة القبر ٣٠/٤١ تشبيهه بالليل ٥/٢٥ ، ٢٢/٦٢ تشبيهه بالايوان ٦/٢٧ بريق أسلحته ١٢/٣٦ يعشى العيون ١٠/٢٦ ركوب الابل فى الغارات البعيدة وتعرية الخيل ١٠/٢٦ النساء من وراء المقاتلين فى ظعائنهن ٢٢/٢٣ راجع كذلك (الحرب) و (الفارس) و (الغارة) و (الراية)

(ح)

الحب :

تشبيه بولد الناقة الصغير لم يزل ينمو حتى اشتد ٢/١٤ لا يبلى ولا يبيد ١/٦٥

لحبيبة :

تشبيهها بالبيضة ٦/١٨ بالبردى ٦/١٢ ببقر الوحش ١٧/١٢ بالظبى ١٢/١ و١٤ ، ٦/٢١ ، ٩/٣٠ ، ١٠/٣٢ — ١٨ ، ٦/٥٢ — ١٢ ، ١٢/٥٤ ، ١٧/٦٥ ، ٣/٢٨ ، ٣/٧٢ — ٤ ، ٣/٧٨ بالدمية ٥/١٨ ، ٩/٣٢ ، ٥٢/٣٦ بالدرة ٦/١٨ ، ٩/٨٠ — ١٧ انصراف صاحبها عنها بسبب همومه ١٧/١ ، ٥/٢٣ وصدها ٣/٣ ، ٣/٨ ، ٢/٢٨ ، ٢٢/٣٢ ١/٥٢ و٢٦ — ٢٧ صدودها ٩/٦ ، ١/١٠ و٣ — ٤ ، ١/١٤ ، ١٢/١٦ — ١٣ ، ٤/٣١ ، ٢/٣٤ إنكارها صاحبها ٢/٢١ و٣٤ ، ٢٤/١٢ — ٢٦ ، ٢/١٣ ، ٢/٢٢ ، ١٠/٣٤ — ١٢

وصفها : امتلاء جسمها وسمنها ٦/١٢ ، ٩/١٨ طولها ٥/٢٠ ، ١٠/٧٧ تشبيه قوامها بالبان ١٠/٧٧ بالحبل ٤/٧٨ امتلاء ساقها ٣/٧٧ قدمها بضة مسترسلة البنان ٢/٧٧ دقة عظامها ١٣/٥٢ طيب رائحتها ١٣/٦ — ١٦ ، ٣/٧٨ باردة فى الصيف ساخنة فى الشتاء ١٨/١٢ — ١٩

مشيها : تشبيه بمشى الوجى الوحل ٢/٦ بمشى البهير ١٠/١٢ بسير السحابة ٣/٦ بمن يمشى على الشوك ١٢/٦ بمشى النشوان ٦/٢٠ بمشى القطا إلى الماء ١٠/٧٧ قصيرة الخطى ٢٢/٧٨ تهالكها وتثنيها ٢١/٧٧

خلقها : لا تتسمع للجار ٥/٦ طاهرة الخلق ٨/١٨ — ٩ لا تتهم بريبة ٧/٧٨ ساذجة ٢/٢٠ ، ٨/٣٢ وقور لا تعبس ولا تستغرق فى الضحك ٩/٣٢ حلوة الحديث ٧/٦٣ — ٨ فتورها وضعفها ٦/٦ — ٧ ، ٢/١٠ ، ٥/٢١ ذات دل لعوب ٢/٢٠ و١٤ — ١٦ ، ٢/٢١ ، ٨/٣٢ ، ٧/٦٣ ، ٣/٧٨ مفتونة بشبابها ١/٤٠ ، ٤/٦٤ — ٥ انزعاجها من الشيب ٩/٦٣ جحود للعهود ٣/٦٥ تخلف ميعادها ٨/٢ ، ١/٣٤ ، ٢/٦٨ تعد ثم تلتمس المعاذير ٢٤/٥٢ — ٢٥ تتساق مع صاحبها الخمر ٢/٢٠ — ٢١ ، ٣٣/٣٩ — ٣٥ متزوجة يحتال صاحبها للوصول إليها ١/١١ ، ٥/٣ — ٨ ، ٦/٣٥ ، ٤/٨ — ٦ ، ١١/١٢ — ١٥ ، ٣/١٩ — ٤ ممنعة ١٤/١٦ — ١٨

١٣/٣٩، ١٤ — ٩/٥٤، ١٤ — ١٢ قومها عدوه ٦٥/٢٠ تذهب بلب المحب ٣٠ / ١، ١ / ٣١ / ٤، ٧٧ / ١٩ و ٢١ و ٢٤ قتول للرجال ١١/١١ يشقى بحبها المحب ٦٥/٤ فتنة للناس ٧٨/٦ تصيد الرجال ولا يصيدونها ٥٢/١٥، ٦٥/٢ تحيى الميت ١٨/١٢ — ١٣ تشبيه قلبه بالرهن الذى غلق عند المرتهن ٨/٢٠ زيارتها فى الليل ٣٤/٧، ٥٤/٤ تلبس الحرير والقطيف ورقيق الثياب ٦٣/٤ — ٥ تصبغ القميص بالزعفران ومن فوقه برد (كساء مخطط) ٦٥ / ١٧ تاكل وبر القطيف من أثر تحاكه فوق الجبال حين تسير ٦٣/٥ رسول المحب إلى الحبيبة ٦٤/١٢، ٧٨/٨ بين الرسول وبين الحبيبة ٣٩/١٥ — ٢٥ معابثة الحبيبة ٣٩/٢٨ — ٣١ ملاطفتها وملاينتها فى الحديث ٣٩ / ٢٤ — ٢٥، ٧٨ / ٩ — ١٠ راجع كذلك (المرأة) ، وراجع الموضوعات الآتية كلا فى مادة :

أنامل المرأة ـ شعرها ـ عينها ـ ريقها ـ أسنانها ـ حليها ـ فراقها ـ بشرتها ـ أردافها ـ خصرها ـ طيفها ـ نهدها ـ جيدها ـ ذراعها ـ كفها .

الحرب :

تشبيهها بالناقة التى حملت بعد أن كانت حائلا ١/١، ٥/٣٧ بالناقة العوان ٢١/٣٥، ٤٠/٦، ٨٢/٥ بالفحل الهائج ٥٦/٣ — ٤ بالوحش المفترس ٨٢/١٥ بسقب نبت خلف أذنه الشعر ٤٦/٢ بالسوق ٦٠/٣، ٧٢ / ٧ بالرحى ٢٧ / ١٣، ٤٢ / ٤ تشبيه غبارها بالدخان ٢ / ٦٤ بالسحاب ٤٦/٣ تشبيه ثقل وطأتها بوطء البعير المقيد ٢٨/١٨ تشبيه المقاتل الرابط الجأش بالجواد الذى باض عليه النعام ٢٨/٢٠ تشبيه المقاتلين حين يسرعون إلى الحرب بالظباء يسرعون إلى الماء ٣٨/١٤ بالأسد قد استفزها مطارد ٣٨/١٥ تشبيه الذى يثير الحرب بالذى يحلب الناقة ٨٢/٥ بالذى يشعل النار ويمدها بالحطب ٢٩/٥، ٢٨/١٦، ٣٦/٢٨ تشبيه العدو المهزوم بالسحابة تزجيها الرياح ٣٨/١٩ تشبيه القتيل بالبيضة المفقوءة ٦٠/٥، ٧٢/١١ تشبيه صرخة المغلوب بصرخة الحبلى حين تلد ٢٣/١٧ تشبيه الحرب بين أبناء العم بالأرواث ٥٨/١ تشبيه الذى يقاتل ابن عمه بالذى يكسر رمحه فى صدره ٥٨/٤ التعبير عن التنكيل بالعدو بالقرى والتضييف ٢٧/١٥ الكناية عن شدة الحال فى القتال بكشف العذارى عن الساق والخلخال ٣٨/٢٦ الكناية عن الهزيمة بتقهقر اللواء ٦٠/٣ الكناية عن القتلى بأنهم ورم الكمرات ٥١/١، ٦١/٣ الحرب فى الصيف ١٢/١ اتصالها من الشتاء إلى الربيع ٧٠/١ طولها ٥٩/٢ — ٦٠، ٢١/٣٧ حنين الشيخ فيها للاياب ٦٠/٢ الحرب تقطع صلات القرابة ١٠/٣٢، ٢٠/٤٧ — ٤٨ ترمل الرجال ٧٠/٢ تبيل النساء دما ٤٧/٥ تشرد الابل الراعية ٣٠/٩، ١٦/٣٩ تشعث الخيل ٣٠/٤ كثافة الغبار ١٨/٦، ٢٣/١٢ الناس يقضون الصيف فى الصحراء لا يقربون الماء من خشيتها ٤٨/٣ الدليل يلوح بثوبه فتندفع الخيل للقتال ٤٤/٣ — ٤٥ جثث القتلى مبعثرة ٢٣/٩، ٢٦/١٣ تنهشها الذئاب والضباع ٢٦/٤، ٧٦/٢٠ دماء القتلى تملأ بئرا ٦٠/٦ الجريح يحاول النهوض فلا يستطيع ٥٨/٦، ٧٦/٢١ الخيل متحفزة تلوك اللجم ٢٧/٤ تتعثر فى الرماح ٧٣/١٠ تغير وجوه المقاتلين (تعبس الوجوه — تقلص الشفاه ـ جفاف الريق ـ التكشير عن الأنياب) ٥٤/١، ٢٠/٤٢، ٣٢/٤٤، ٣٦/٢٧ تلقى المحاربين وترقب الصباح ٩/١٣ ـ ١٤ المتحاربون يتساقون أبناءهم ٤٢/٨ الموت يسعى بين الجيشين ٤٠/٥ إحراق النخيل ١٥/٥٦ — ٥٧، ٣٨/٩ — ١١ تقطيع وضن النساء حتى لا يهربن ٤٠/٨ حبس الطعام والميرة عن العدو ٢٣/٢٢ — ٢٤ تدبير خطة الغزو فى الليل ٥٦/٨ المحارب يقسم ألا يذوق الخمر حتى ينتصر ٥٦/١٢ — ١٣ الكف عن الحرب فى شهر رجب ٣٠/٢ مدح الرجل باثارة الحروب ٣٩/٣، ٢٩/٥، ١١/٣٠، ١٨/١٦، ٢٨/١٦، ٢٨/٣٦، ٣/٤٩، ٥/٨٢

وراجع كذلك : الغارة ـ الجيش ـ الغنائم ـ الدرع ـ الرمح ـ السبية ـ السيف ـ الطعنة ـ الفارس ـ القوس ـ النبال ـ النشاب ـ

الحسود : (راجع الخصم)

الحصون : التحصن بجدران تبنى قرب الماء ١٢/٤١

الحق : وضوحه ، تشبيهه بالفرس البلقاء المحجلة ٢٣/٧

الحكام :

فى المنافرات ١٨/٢٢ وصفهم بالعدل ١٨/٣٢ لا يقبلون الرشوة ١٨/٢٣ وصفهم بنفاذ الحكم ١٨/٣٣ — ٣٤ بالعلم ١٨/٤٢، ١٩/٨ مدح القوم بأنهم من بيت الحكومة ٢٠/٣٦، ٢٣/١٠

الحلم :

مدح الرجل به ٣/٢٩ ، ٥/٥٣، ٧/١٥ ، ٣٢/٥٢ ، ٤٩/٢، ٨٢/١٦ — ١٨

الحلى :

وسوستها : تشبيهها بوسوسة حب العشرق ٦/٤ بريقها ١٨/١١ تزين الصدر والمعصم ٩/٤ ، ٥٤/١٣ السموط ١/١٤ الأساور ٧٧/٢٣ يارق (سوار) مفصل بالدر ١٢/٢١ سمدارة (نوع من الأساور) ٧٧/٢٢ الجبارة (سوار) ٢٠/١٣ الخلخال ٧٧/٣ الحبلة (ضرب من الحلى يعلق فى القلائد) ٧٨/٥ الوشاح (كرسان من لؤلؤ منظوم يخالف بينهما) ٧٧/١٦ ، ٧٨/٥ الزبرجد ١٢/٢٢ الياقوت ١٢/٢٢ اللؤلؤ فوق الصدر ٦٥/٨

حمار الوحش :

يحب أتانا وقد أنحله الحب ٢٨/١ عنيف يؤذى أتانه ١/٣٠، ١٥/١١، ٢١/٧ و ٢٠، ٦٥/٣٠ يسوق الأتان إلى مورد الماء ١/٣١ ، ١٥/١٦ يسوق أتانه أمامه وهى تعانده ٦٥/٣١ يبارى أتانه ١٥/١٣ — ١٤ يجمع حوله الأتن ويسوقها أمامه ٢١/١٥ — ١٧ يلصق رأسه بكفل الأتان ٢١/١٩ ترفسه حين يدنو منها ٦٥/٣٣ أهزله الصيف ١/٢٨ ، ٣٢/٢٨ تساقط شعره ٦٥ / ٣٢ أثر العضاض فى جلده ١٥/٩، ٣٢ / ٢٧ سمين من طيب المرعى ١٥ /١٠ الصياد وحمار الوحش ٥ / ١٦ — ٢٣

الحنكة :

مدح الرجل بالحنكة وسداد الرأى ونفاذ البصيرة ٢/٣٦ و٨٢ ، ٤/٤٨ ، ١٣/١ ، ٥ و٣٥ ، ٢١ / ٣١ — ٣٢ مدحه بالحنكة فى القتال ٢ / ٧١ ، ٣/٣٣ ، ٢١/٣٥ مدح الشباب بالشجاعة والشيوخ بالحنكة ١٨/٣٨

الحنين للأهل : ٤٧/٣٢ — ٤٨

(غ)

الخامل :

تشبيه بالرخم ٥/٤٣ كثير الضراط، شديد الجلبة فى غير طائل ٤٤/٤ ـ ٥

الخد (خد المرأة) :

أسيل مسترسل (أسيل) ١٢/٣٠ مسترسل متهلل ١٤/٧٧ .

الخصر :

دقة خصر المرأة ١٨/٢ ، ٨/٦ ، ٦/٧٧ الكناية عن دقته باضطراب الوشاح ١٦/٧٧

الخصم :

تشبيه بالوعل الذى ينطح الصخر ٩/٦٤ بمن قطعت أنفه ٢٣/١٤ براكب القنفد ٥٠/١٤ براكب الجمل العجوز ٦/١٤ بالأوساخ التى تتعلق بأصواف الغنم ٥٨/٣٦ بالخصى المتسلخة من آثار العرق ٦٠/٣٦ يثير العداوة ٧/٦ و٤٥ — ٥٢ ، ٩/٩٢ تصرف أنيابه ٤١/٦٥ يشرق بما أذاع من افترائه ٤١/٣٤ يعجز عن مجاراة الخصم ٣٣/١٥ يجبن عن مواجهته ويرميه من ظهره ٢٧/١٥ ترتعش أنامله وقد سقط فى حومة القتال ١٢/٧١ . خضوع عنقه من الذل ٨/٣٦ ٥ انقباض ما بين عينيه ٩/٢١ لا يرجع التحية ٢١/٤ ـ ٢٢ تغير لون وجهه ٣٠/٢ ، ٥٣/١٥ الأعداء فى طريق الشاعر للممدوح ٤٣٠/٢ ، ٢١ — ٢٢

الخمر :

لونها : حمراء كدكناء ٨ / ١٩ ، ١٠ / ١١ ، ٢٢ / ١٩ صافية تكشف عن القذى ٥/١٢ ، ٢/١٠ ، ٢٢/٩ ، ٣٣/١٩ ، ٢٣ تشبيهها بحدقة العين (الفصوص) وبعين الديك ٥/١٢ ، ٢/١٢ ، ٣٠/٩ ، ٣٠/١٣ ، ٦٤/١٣ تشبيه لونها بالدم ٣/٩ ، ١/١٠ ، ٧٦/٦ بنور الذبح الأحمر ٣٦/٣٣ بعصارة نبت البقم الأحمر ٥٥/٧ بالفضة والذهب ٥/١٦ بصبغ زعفران المخلوط بالعندم ١٤/٣٠ وهاجة كأشعة الشمس ٢٩/٢٢ زبدها ٢/١ ، ٨/٢ ، ١٩/٨ ، ٣٣/٢٢ ، ٣٦/٣٧

رائحتها : (فواحة ـ كالمسك والعنبر ـ تستل الزكام) ٢/١ ، ١/٢ ، ٢/١ ، ١/١ ، ٢٩/١٧ ، ٣٠/١٥ ، ٣٦/٣٤ ، ٥٥/٣ وه تسكر قبل أن تذاق ٦٤/١٥

طعمها : قوتها ولذعها ، تكاد تفرى المسك ١/١١ لذيذة الطعم ٣٣/٢٣ مرارتها ٦٤/١٤ عصرت من بكار القطاف ٨/١٢

أثرها فى الشارب : (فتور يتبعه انشراح ـ فتور المفاصل ودوار الرأس ـ تستخف الوقور ـ تسكن بعد إرعاد) ٨/١٨ ، ١٠/١٨ ، ١/١٣ — ١٥ ، ٢٠ / ٢٦/٢ ، ٢/١ ، ٩/٢ ، ٦٤/٦ ، ١٦/٧٨ ، ١٤/٧٨ تشبيه السكران بالوسنان ٧٨/١ ، ٢١

مجلسها : شربها فى الريف ٢/٥ ، ١٠/١٢ ، ١٢ فى مظلة ٨/١٦ فى خباء ٩/٣٣ فى الغرفات وسط الخضرة أو فوق سطوحها ٢٢/٩ ، ١٩ ، ١٣/٧٨ على شاطىء الفرات ١٢/١٠ و١٧ — ١٨ فى عيد الهنزمن ٩/٥٥ على ذق النواقيس ٣/١٣ يشربها وحده ١/١٠ يشربها غنيا وفقيرا ١٦/١٠ فى الحل والترحال ٤/٢ فى الصباح ١٢/٥ ، ١٣ ، ٨/١٠ ، ١١ ، ٢/٢٩ ، ١٦/٦٤ / ١٣ بعد الغروب ٢ / ١١ غناء وقيان والات طرب ورياحين ٦/٣٨ — ٤٤ ، ٢٢/٢٠ — ٢٢ ، ٣٣/٢٠ — ٢١ ، ٣٦/٤٤ — ٥٣ ، ٥٥/٨ ـ ١٢ ، ٦٤/٢٢ ـ ٢٤ ، ٧٦/٥ ، ٧٨/١٣ ـ ٢٠ ينطلقون من الحانات إلى بيوت الريبة فى المساء ٧٨/٢٢

الخمار : يهودى ٤/١٠ علج أزرق ٨/١١ بخله بها ٢٩/١٩ — ٢٠ يحرسها ٤/٥٥ يصلى على دنها مكبرا ٤/١١ ، ٤/٥٥ يقدم أجود الخمور ٣٦/٥٤ مساومة الخمار ١٣/٨ — ١٧ ، ١٨/٦٤ الشارب لا يضيع وقته بحساب الخمار ٣٨/٥٤ يدفع النوق ثمنا لها ١٣/٨ ، ٢٦/١٦ ، ٢١/٢٩ ، ٣٩/٥٤

الساقى : (يشد على فمه خرقة بيضاء ويحلى أذنيه باللؤلؤ (النطف) مقلص السربال) ٦/١ ، ٨/١ ، ٣٩/٢١ ، ٣٤/٣٠ ـ ٣٠ ، ٥٥/٦ ، ٦٤/٢٤

ساقية الخمر (الرباب) ١٥/٥

آنيتها : مختومة ١٠/٤ يحملها التجار فى القرب ٣٦/٣٥ فى دن أسود ١١/٨ ، ٢٣/١٦ ، ٣٣ / ٢٤ ، ٥٥ / ٣ ، ٧٨ / ١٨ فى زق (تشبيهه بالحبشى المنبطح على الأرض) ٣٦/٢٤ تشبيه اندفاع الخمر منه باندفاع الدم من الجرح ٣٦/٢٠ ، ٧٨/٤٤ تصب فى باطية كبيرة وتوضع وسط الشاربين فيغترفون منها ٣٦/٣٥ — ٤٠ تقدم فى قوارير كبيرة تسع الواحدة منها عشرين كأسا ٦٤/٢٥ شربها بالأقداح الكبيرة والصغيرة والأباريق ٥٤/٣٧ ، ٥٥/٧ ، ٧٨/٢٠ كئوس من فضة ٣٦/٣٨ من زجاج ٣٦/٣٩ مزجها بماء الشن (القربة الخلق) ٢/٢٢ ، ٣٣/٢٤ ، ٧٨/٢٠ تشبيهها فى قعر الدن بحوصلة النعام ٨/٢٠

نسبتها : إلى بابل ٣/٩ ، ٥٥/٥ ، ٧٦/٦ إلى عانات ٢٩ / ١٩ إلى الحيرة ٣٦/٣٥ إلى خسرو شاه ٧٨/١٤

النديم : أبيض الوجه ٨/١٨ ، ٢/١٢ ، ٣٢/٣٠ من الفتيان (لا ضغائن بينهم) ٦/٣٨ ، ٥٥/١٢ كريم ٨ / ٣٦ ، ٨ / ٤٨ ، ٦٤ / ١٩ حليم لا تخرجه الخمر عن حلمه إلى السفة ٣٦ / ٤٧ تشبيه الشاربين وقد تمددوا على الأرض بحبائل الصياد ٣٦/٤٩ — ٥٠ الشارب يتداوى من الخمر بالخمر ٢٢/١٧ لا يجف كأسها ٦ / ٣٩

الخيل :

تشبيهها بالقنا ٨/٢٤ ، ٣٤ بالهراوة ٥٥/٣٨ بقضب الشوحط ١/٤٨ بالنخل ٢/٤٠ ـ ٤١ ، ٤/٤١ ، ٤/٥٥ ، ٥ بالسهام ٧/١٣ بالثور ٢/٤٢ بالتيس ٦٨/٥ بالنعام المجفل ٧٦/٢ بالمجنون ٢ / ٤٣ بالسعالى (الغيلان) ٣٦/٢ ، ٩ بالباز والعقاب ٢/٤٧ ـ ٤٨ ، ٣ / ٢٧ ، ٤ / ٤٠ تشبيه كفلها بالترس ٢/٩ ٤ تشبيه صغارها بتيوس الظباء والغنم ٢/١٢ ، ٥ بالزبيب ٦٨/١٨

تشبيه تدفقها فى القتال بتدفق الماء ٢١/٤ تشبيه جماعاتها فى القتال بالجراد ١٢/٢٣ سرعة عدوها ٤٤/٢ تراقب رمح راكبها ٤١/٢ تبارى رمح راكبها ٦٤/٢، ٢٩/٢٩، ١٢/٧٦ ركضها، تشبيه الراكض بالحالب ٦٥/٢ افتنانها فى العدو ١٧/٦٨ تغير رائحة اباطها من العرق. ١٣/٧ تطارد قطيع بقر الوحش ٤٧/٢ — ٤٩، ٢٧/٣ — ٢٨ — ٤٣/٤، — ٤٥ طول عنقها ، تشبيهه بجذع النخلة ٤٥/٢ لا تنال يد الراكب رأسها ٢٦/٣ طول شعر عرفها ٤٥/٢ تبين العتق فى قذالها (مؤخر رأسها) ٤٥/٢ طول خدها ٦/٥٤ طول قوائمها ٩/٧٦ متانتها ١٠/٧٦ تشنجها ٤/٢٧ طول سنابكها ٤١/٤ — ٤٢ صلابتها (تفتت الصخور) ٣٦/٢٩ لمعان جلدها ٦٠/٥، ٢٧/٥ ، ٥٤/٥ من سلالة (الصريح) و (أعوج) ٢٥/٣٠ ضمورها ٤٧/٣ ، ٢٥/٣٠ ، ٤٥/٥ ، ١٣/٧٠ ، ٣/٧١ ، ١٣/٧٦ تضميرها فى الأصيل ١٠/٧٦ عليها الرحائل (سرج من جلود لا خشب فيها تتخذ للركض) ١١/٧٦ تصان بالجلال (الأكسية) ٤٩/١٢ تعلف الشعير ٤٩/١٢ تسقى اللبن ٤١/١٧ تحبس على العلف ١٦/٦٨ تحبس على المرعى الخصب البعيد عن الحى ٥٤/٧-٨ فى الحرب: تآكل حوافرها ٥٨/٢، ١٢/٥٠ تشعث شعرها ٤٠/٣ ، ١٢/٧٦ التباع يقومون على خدمتها وخدمة الفرسان ٤٥/٣ ، ٥٢/١٢، ٤٠/٢١ تحمل عدة القتال وأدواته ٤٥/٦ تغادر صغارها فى الطريق لبعد الشقة ٤٠/٣ زجرها فى القتال ٤٣/٣ ، ٣٩/٢١ إعلامها ١٧/٥٦ عابسة تلوك اللجم ١٧/٥٦

(د)

الدرع :

تشبيه تموجها بتموج الغدير ٧٤/٢، ٢٨/٣٠ نسبتها لداوود ٥٨/١، ٤٥/١٢ تشبيه صوتها حين تحتك بحفيف الحصاد حين تحركه الريح ٤٧/١٢ وصفها بالبياض ٧٤/٢ منسوجة حلقتين حلقتين ٧٤/٢ محكمة النسج ١٠/٥٦ اتصالها بغطاء الرأس ٧٤/٢ يشدفوقها الحزام ١٠/٥٦ خفيفة لاتعوق الحركة. ١٠/٤ القتير (رءوس المسامير) ٤٦/١٢ سابغة فضفاضة ٢٨/٣٠ ، ١٠/٤٠ ، ١٠/٥٦ يذر عليها البعر ليصونها من الصدأ ٥٩/١ الدروع تحمل فوق الجمال ٥٨/١، ٤٥/١٢، ١٢/٦٢

الدموع : تشبيهها بدلاء الماء ٣/٥ ، ١/٦٨ باللآلىء ٤/٥

الدن : راجع (الخمر) .

الدهر :

تقلبه ونكباته ١/٢ — ٤ ، ٣/١٣ ، ٣/١٧ — ٤ ، ١/٣٣ — ٢ ، ١/٥٣ — ١١، ٢٦/٥٤ — ٣٢ كالع بارد ٢٢/٧٩ يفرق الأحباب ٧/١٣ يحطم الرجال ٢٦/١٢ يرفع الوضيع ويخفض الشريف ٢٢/٧٩ اتخاذ العدة لنوائبه ٦١/١ تشبيه نكباته التى لا يستطاع دفعها بلبن الناقة العزيزة الذى لا يكفه الصرار ١٢/٥٣ تفاهة الدنيا ٥/٣٣

الدية : دية القتيل ٢٦/٩ دية الأسير ٥٠/٨ الدية ألف من الابل ٢٩/٧٧ الفخر بحمل الديات والمغارم ٢٩/٧٧ الحث على المساهمة فى حملها ٦/٦٦ و ١٧ ، ٣١/٧٧

(ذ)

الذراع :

ذراع المرأة بض ممتلىء يزينه الوشم ١٧/٥٢ تشبيه الذراع الموشوم بالجلد المزخرف المنقوش ١٧/٥٢

الذل :

تشبيه الرجل الذليل بالكلب فى عنقه الطوق . ٤/٥ راجع كذلك (الظلم)

الذم : راجع (الهجاء)

(ر)

الراية :

تخفق فوق المحاربين . ٤/٤ تشبيهها بالعقاب الكاسر وقد هوى متعلقا فى الفضاء . ٧/٤ الكناية عن الهزيمة يتقهقر اللواء . ٣/٦٠

الرجل :

تشبيهه بالسيف ١٣/٤ ، ٣٨/٦ ، ١٢/٧ ، ٣٧/٢٩ ، ٥٥/٣٣ ، ١٤/٦٣ بالحية القاتلة ١٣/٣١ ، بفرع النبع ٣٨/١، بالفحل المنعم ٥٠/٣٢ يستسقى به الغمام ٥١/١٣، مشرق الوجه يكشف الشدائد ٣٢/٢٩ ، وصفه بالنحول وعدم الترهل ٥٦/٢ — ٥٧ ، لايسعى للحرب طمعا فى الغنيمة ٥٥/٢ منعم يلبس الثياب الرقيقة ٥٣/٣٢، تشبيهه بالرهينة فى يد الموت : راجع (الموت) ، بالنهر وبالغيث وبالبحر : (الكريم) . بالأسد وبالسم (الشجاعة) وصفه بالقدرة ـ بالجمع بين الكرم والجبروت ـ بحمل الأعباء (القوة) ، بالصبر على مكاره الحروب (الجلد) . بالوفاء (الوفاء) . بالهيبة (الهيبة) بالجود على الفقراء ـ بالجود قبل السؤال ـ بالجود من غنائم الحرب ـ بالانفاق فى القحط والجدب ـ يجد لذة فى العطاء (الجود) . بعلو الهمة (الهمة) . باباء الظلم (الظلم) . بسداد الرأى ونفاذ البصيرة — بالحنكة فى القتال (الحنكة) . بحفظ الجار والجارة (الجار) . باثارة الحروب (الحرب) . بطول القامة (القوام) . بالحلم (الحلم) . بالوفاء للقبيلة (القبيلة) . بصلة الأرحام (الأرحام) . برعاية الأرامل والأيتام (اليتيم) . بفك الأسرى من الأغلال (الأسير) . بالمغامرة بنفسه لحسن الأحدوثة (الشجاعة) . بانفاق المال لحسن الأحدوثة (الكرم) . باتخاذ العدة لنوائب الدهر (الدهر) . بمصاحبة الكرماء (الكريم) بحماية اللاجىء والمستغيث (الشهامة) بتعرضه للنكبات (الدهر) . بقدرته على الانصراف عن الحبيبة (الحبيبة) . بامتناع نفسه من النساء (المرأة) . بمخالفة الناصحين (النصح) . بعدم الاستماع للوشاة (الوشاة) . وراجع كذلك (السادة) و (الملوك) .

العدو (بسكون الدال) : تشبيه بالحريق ١٣/١٥ بغليان القمقم ٢٣/١٥ الافتنان فيه ١٤/١٥ .

العشا : ١١/٦، ٨/٧ — ٩

العطاء :

هبات الملوك : الابل ٤٦/١ ، ٢٥/٣ ، ٤٠/٤ ، ٥٨/٥ — ٥٩ ، ٣٧/٥٥ ، ٢٦/٧٩ — ٢٧ الجياد ٤٨/١ ، ٤٠/٢ ، ٢٦/٣ ، ٤١/٤ ، ٦٠/٥، ٣٨/٥٥ ، ١٤/٦٨ ، ٢٥/٧٨ الجوارى والقيان ٤٧/١ ، ٥٢/٢، ٩/٧، ٤٠/٥٥، ١٠/٧٠ — ١١ أكاليل الياقوت والديباج ٤٨/١٣ — ٤٩ انية الفضة ٤٩/١ مائة ناقة ٢٥/٣، ٤٠/٤، ٥٩/٥، ٤/٧٦ ثمانون ناقة عشارا ٢٦/٧٨ قائد ٨/٧ غلام ٢٧/٧٨ استجداء الممدوح ٧٦/٢ — ٨٣، ١٤/١١ و١٩ العفاة ؛ تشبيه طوافهم ببيت الممدوح بطوف النصارى ببيت الوثن ٥١/٢

العمى : قائده ـ عكازته ـ تهيبه الطريق ٢٤/١٢ — ٢٩

العهد :

تشبيه بالحبل ١٨/٣ تشبيه الرجل بالأسد فى الدفاع عما أعطى من عهد ٤/٢٥ المحافظة على العهد ٤٣/١ ، ٥٤/٥ المسافر يأخذ العهود من القبائل التى يمر بها ١٨/٣، ٤٠/٢، ٣٣/٥٠

العين :

تشبيه عين الحبيبة بعين الظبى ٣/٩ ، ١٣/٧٧، ٨٠/٥ بعين بقر الوحش ٧/٧٩ نظرتها الفاترة بنظرة الظباء بين النخيل ٣/٦٣ حورها ١٢/٥٤ ، ٨/٦٥ فتورها ١٢/٦، ١٤/٧٧ قاتلة ٣/١٦ حسن الحاجب ١٤/٧٧

(غ)

الغارة :

الغارة الطويلة تركب فيها الأبل وتجنب الخيل ٢٠/١٩ تاكل حوافر الخيل لطول الطريق ٨/٢٥ الخيل تغادر صغارها فى الطريق ٤٠/٣ الغارة فى الصباح ٢٦/٤ ، ٩/٧٣ الغارة فى الصيف ٥١/١٢

الغريب : اضطهاده و إيذاؤه ٩/١٤ — ١٣ و١٩ — ٢١

الغزال : راجع (الظبى)

الغناء : راجع الخمر : (مجلسها)

الغنائم :

تغنى الفقير ٧٣/١ — ٧٤، ٣٣/٤ من الابل ٨/١ — ٥٢/٥١ ، ٤٢/٢ الفخر بالزهد فى الغنائم ٥٤/٤١ المقاتلون يسعون لحيازتها ٦٢/١٠

الغواص :

مغامرته فى سبيل استخراج الدر ٩/٨٠ — ١١ مارد من الجن يحرس الدرة فى أعماق البحر ١٢/٨٠ — ١٣

الغيبة : تشبيهها بنحت الأثلة (شجرة) ٤٦/٦

(ف)

الفارس : لصوقه بالسرج مكبا على وجهه خشية السقوط ٩/٢ ، بصره بمواضع الطعن ٧٥/٢ ، ٦٠/٦ يحارب غير مستتر بالدروع ٥٣/٣ يصيح صيحة الفرح حين يصيب الهدف ٢٨/١٦ يلبس الدرع والمغفر ٥٠/٢ البيضة فوق رأسه ٤/٤ .

الفتى : يمتع نفسه من اللذات ٣٨/٦، ١٢/٥٥ تشبيهه بالسيف ٣٨/٦ ، ١٢/٧ لو نادى الشمس أو القمر لأجاب ١١/٧

الفخر :

بمن قهروا من القبائل ٥٣/٦ — ٥٦، ٩/٩ — ١١، ٥٤/١٥ — ٥٧ باذلال الخصم ١٠/١ ، ٨/١٥، ٣٣ - ٣٤، ١٩ ، ١٠/١ بمآثر الأجداد ٢٠/١ - بسادة القبيلة وأشرافها ٢٤/١ — ٣٤ ببذل المال للأهل والأقرباء ٢٥/١٠ — ٢٧ بصحبة الملوك ١٣/٦٣ بقبول الملوك لشفاعتهم ٣٠/١ — ٣٣ ، ٦٧/١٣ ، ٣٩/٦٥ بثبات القبيلة فى المكان المجدب المخيف ٣٧/١٠، ٣٦/١٦ — ٣٩، ٢/٢٧ بكثرة العدد ٣٧/١٥، ٢٧/١٨ و٤٨ ، ٧/١٩ ، ٣٥/٢٠ و٦٩ بكثرة الأولاد ١٢/٢٥ بالثروة ٢٨/١٨ ، ١٢/٢٥ بالاسراع لنجدة المستغيث ٤٠/١٦ — ٤٢ بفك أغلال الأسرى ٣٧/٦٥ — ٣٩ بالسبق إلى ورود الماء ٦٢/٢٠ بوفرة الطعام ومادة الحياة ٢٤/٢٣ — ٢٦ بالصبر على مكاره الحروب ١٢/٢٧ بسكنى البادية وحياة الأعراب ٣٥/٣٤ بامتاع النفس من اللذات (المرأة) و(الخمر) . بالمنعة وحماية الحى ١٠/٧٣ بحمل الديات والمغارم ٢٣/٣٠ ، ٢٩/٧٧ بالتغاضى عن المولى والصديق ١٥/٨٢ بكثرة الترحال ٥٦/٤ — ٥٩ ، ٥/١٧ — ٦ ، ٢٦/٧٧

الفراق :

وداع الحبيبة ١/٦، ١/٩ رحيلها ١/٣، ١/٥ — ٢ ، ٤/١٣ ، ١/٢١ ، ٣٠/٢ — ٧، ١/٣٢ — ٥ حزنها للفراق ٤/٧٢ تشبيه أثر فراقها فى قلب المحب بصدع الزجاجة ٨/٤، ٢/١٢ — ٣، ٣٩/٤، ٩/٦٤ — ١٠

الفرس : راجع (الخيل)

الفقير : مدح الرجل باعانته ٣٥/١٢

(ق)

القبيلة :

مدح الرجل بالوفاء لها والبر بها والنجاد لها ٩/٣ و٤٢ ، ٣٦ — ٣٤/٤٦ ، ٢/٢١ ، ٦٩/٤٦ ، ٩/٩٩ و١٠ — ١١ رفق الشاعر فى عتاب قومه ومناقشتهم ٧/٢٣ — ٨ و١٤٩ — ١٥ انقسام القبيلة وتعصب بعضها ضد البعض الآخر ٩/٢٣ — ١٢ الحث على إلانة الجانب للاهل ١٣/٦٦ الرجل يلقى قياده إلى قبيلته ٣/٦٩ تشبيه الذى يحارب الأهل بالذى يكسر رمحه

النعامة : تبارى الظليم فى الصحراء ١٦/٣٤ — ١٨ و ٢١ — ٢٢
النهد : بروزه ١/١٨ ١١ تشبيهه بالرمان ١١/٧٧

(هـ)

الهجاء :

تشبيهه بالقدر التى تغلى وتفور ٤٩/٤ — ٥٠ بالعقارب ٢٤/٥٤ بماء العلقم ٧/٧٣ بالرقعة فى الثوب ١٨/١٩ بالابل الشاردة ٢٤/٣٤ بالكى فى الأنف ٧/٩ ، ٢٩/١٥ ، ٢٩/٢٠ ، ٥٧/٣٦ يداوى من داء الكشح ٥٥/٣٦ يقطع عروق العينين ٥٦/٣٦ يذكر الجانى بجنايته ٥٧/٣٦ يلطم الصديق وجهه مما أصاب المهجو من عار ٦١/٣٦ تخب به الركاب ١/٥٤ ٢ الهجاء بالبخل ٤/٧ بالانقياد للملوك وقبول الحياة فى ظلهم ونعمتهم ٢٧/٩ — ٢٨ ، ٢/٢٦ و ٥ بسرقة الابل فى الليل ١/١٠ ، ٢٠/٢١ ، ٧ بنبش القبور وسرقتها ٧/٥٠ — ١٠ بأكل دم الفصيد ٢٦/٢٣ بالاعتماد على الزراعة ٣٣/٣٤ — ٣٤ ، ١/٦٦ بسكنى المدن ٣٤/٣٤ هجاء الرجل بتفضيل بعض قومه عليه ٢٤/١ — ٢ نفى العروبة عن المهجو ونسبته إلى النبط ٢/٣٤ ٣ هجاء الرجل بأنه دعى ٢/٥٠ بأنه لا ولد له يقوم مقامه إن مات ١٥/٦٢ الهجاء بالأم ٢/٧٣ و ٨ أهل نخيل وتمر ١١/٦٢

الهم : ينتاب فى الليل ٤/١٤

الهمة :

مدح الرجل بعلو الهمة ١٩/٣ ، ٣٣/٥٥ — ٣٤ ينهض للحرب حين يلتذ غيره بالنوم ٣٣/٢٩ — ٣٤

الهودج :

يغطى بالفرش الملونة الحمراء ٣/٥٠ يفرش بالبسط الموشاة وتنثر عليه الوسائد ٢٦/٣٣ ، ١٦/٦٥ تشبيهه بالروضة المزهرة ٢/٧٢

الهيبة : مدح الرجل بأنه مهيب ١/٤٤ ، ٤٧/١٣

(و)

الود : تشبيهه بالحبل ١١/٤ ، ٣/١١ ، أ/٧٩ ، ٢/٨٢

الوشاة :

يفسدون على الرجل أصدقاءه ٣٧/١٤ ، ٢/١٥ الاعراض عنهم ٦/١٣

الوعل :

تشبيه الذى يحاول أمرا صعبا بوعل ينطح صخرة ٤٩/٦

الوفاء .

مدح الرجل به ٤٣/١ ، ٥٤/٥ ، ٢٦/٢١ ، ١٠/٢٥ و ١٩ — ٢١ ، ١٦/٣٥ الحث على إنجاز الوعد ٢/٦٦ على الوفاء بالأمانة ١٤/٦٦

الوقار :

مدح الرجل بأن الخمر واللهو لايخرجانه عن الوقار ٤٣/٣٢

(ى)

اليتيم :

مدح الرجل برعايته ٤٦/١٣ ، ٢٨/١١ ، ٨/٦٠ — ٩ ، ٩/٧٢ — ١٠

فهرس اللغة

فهرس

بمواضع الخلاف بين هذه النسخة وبين النسخة الأُوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية
١/٢٢	تَغَوَّلُ	تَخَيَّلُ
/٦٥	فخمةً . . ورعالا	فخمةٌ . . ورعالٌ
/٦٩	دودان	ذودان
/٧٠	حالة عن حال	آلة عن حال
٢/١٠	أفاد	وزال
/٢٦	الدجن	الضجن
/٣٩	اللَّجَن	الغَبَن
/٥٦	أثبتت رواية البيت عن الموشح للمرزباني	وهي بياض في النسخة الأُوربية
/٥٨	تحت . . حت	تحث . . حث
/٦٣	تكملة البيت من المتوكلية	. . . .
٣/٢٧	فتخاء	عجزاء
/٤٧	شزبا	قطبا
/٤٨	جزأ	جر
٤/١٧	بالسراب	بالسراة
/٢٤	والرجم	والعظم
/٢٥	كلفيظ.	كلقيط.
/٣٩	بماعونه	بما عنده
/٤١	الخصاب	الطريق
/٥٠	سورة	عورة
/٥٥	الطوف	الطرف
/٥٦	فأوريشلم	فأُوريسلم

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية
/٦١	تضرب	يضرب
٥/٧	عجز الشطر الثاني من المتوكلية	. . . . . .
/١١	المستراة	المشتراة
/١٥	فاستدارا	فاستزارا
/٢٥	بَيَّنَّ	أَبَنَّ
/٢٦	السليل	الشليل
/٣١	تقول ابنتى	أقول لها
/٣٢	وائلا قومنا	قومنا مالكا
/٣٧	الجمارا	الحمارا
/٥٨	العشار	الركاب
/٦٠	كميت	طويل
٦/٨	صفر . . . وملء	ملؤ . . وصفر
/١١	يصرعها	تصرعه
/٢٦	الأجزاع	أجزاع
/٥٦	حتى	ثمت
/٦٠	نخضب . . . من	نطعن . . . فى
/٦٢	خطت . . تخدى . . إليه	حطت . . يخذى . . إليها
/٦٥	العين ضاحية	الحنو صاحبة
٨/٦	تيا	نعم
/٢٤	تجور	تبخور
/٣٤	لفضاء .	لقضاء
٩/١١	صائغ	صانع

(تابع) فهرس مواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية
/٢٠	لهان	فهان	/٣٨	رام	دام
/٢٣	إن جد التقاطع بيننا	بالله الذى أنا عبده	/٤٣	لم يعل	لم يعلو
/٢٤	ونترك	ونترك	٨/١٥	خصبة	حصلة
/٢٥	أفصر	أقعد	/٩	ينقض	ينفض
/٢٦	ونتدى	ونتدى	/١٣	بشد كالهاب الحريق	بالهاب شد كالحريق
/٣٣	وتلقى . . يلقى	وتلقى . . يلقى	/٣٠	جاوزنه	جاوزنه
٢١/١٠	طحا	طها	/٤٤	والمضاض بن جرهم	وحده وابن جرهم
/٢٦	فقال له	فقال لها	/٥٠	وخلى	وخل
/٢٧	أثار له	أثار لها	١٩/٧	الشطر الثانى من المتوكلية	. . . .
/٢٨	عذراتها	عزراتها	١٠/٨	ضل	ظل
/٣٥	معجلا	معزبا	٧٩	فدعها لما يعنيك	. . . . . . يغنيك
٨/١١	الجبس . . يروم	الحبس . . . تروم	٥/١١	تحرج	تخرج
/٩	بوانى	تَرَاهُنَّ	٦/١٦	عذبا إذا (عن المتوكلية)	عَزْباءُ إذ
/١٢	كبيت الصيدلانى	كدور الصيدنانى	/٨	البيت كله من المتوكلية	. . . . فصاد
/٣٢	تخبرهن	تخيرهن	١١/١٦	دوننا	دونها
٩/١٢	ساق	شك	/١٨	أكمل الشطر الثانى من المتوكلية	. . . .
/٣٤	أزكى	أذكى	/٣٣	أكمل البيت من المتوكليه	وإذا . . . الأجماد
١٤/١٣	كمثل التى	كمثل الذى	/٣٤	عجز البيت من المتوكلية	. . . . الأفناد
/١٥	اغتراب	اغتراف	١١/١٧	احردا	أجردا
/٤٢	فزعا	فرعا	٧/١٨	تصبى	تسبى
٤٤/١٣	المحذورة القزعا	المحضورة الفزعا	/٨	تسارق الطرف	داعرة تدنو
/٥٨	قد كاد	قد كان	/١١	صدرها	نحرها
/٦٢	لما رآهم	لما أتوه	/٢١	تماريتما . . والناظر	تداريتما . . والآثر
/٦٩	الفصح	الفتح	/٢٥	وكم ساخر	ومن ساخر
٢٣/١٤	بالمغيب	بالمعيب	/٢٨	فى الأثرين	بالأثرين

(تابع) فهرس مواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية
٣٠/	فخره . . الفاخر	فجره . . الفاجر	٤١/	القرى	القوى
٣٨/	مستوسق	مستوثق	١٢/٢٢	أكل البيت من المتوكلية	وعنس . . . . وكاها
٣٩/	أمه	آمة	١٣/	الشطر الثانى من المتوكلية	إذا . . . .
٤٦/	ضائرى	صابرى	٢١/٢٢	ومزهرنا	ومزمرنا
٤٧/	إن شمرت	إذ شمرت	٢٥/	أعنابها	اغرابها
٥/١٩	نهيت	تهيب	٢٩/	بتعجابها	لاذهابها
١٠/	الناكو . . تأكلون	الناكى . . يأكلون	١٢/٢٣	بطئ	سريع
١١/	غرثى	جوعى	٢٦/	تفصدونها	تقصدونها
١٢/	الطالعات الشواخصا	العاتمات الغوامصا	٨/٢٥	خسف	خشف
١٤/	لكنتم . . لكنتم	لكنا . . لكنا	١٨/	كاللذع	كالذرع
١٥/	مرادصا	مراقصًا	٤/٢٦	تعيث ضباع	تغيث ضياع
١٦/	جديد . . واحجار	حديد . . وأعجار	٧/	لديه	لديك
٢١/	كنتم	أنتم	١٠/	تغشى النواظر فخمة . . أكنا فهن الرواحل	تَغْشَى النَّوَاضِرَ فَحمةُ أكنافهن الرحائل
٤/٢٠	الأَريكه	الأَراكة			
١٣/	ومعصما ملء	وساعدا مثل	١٤/٢٧	ليرمينا	ليرمونا
٢٢/	أنى لك	أتى لك	٢/٢٨	بغانية	بعانية
٢٦/	تغشتنى	تعشتنى	٥/	مروح	مريح
٣٣/	والصغارة	والصعارة	٦/	الرضيخ	الرضيح
٤٢/	للأسنة	بالأسنة	١٢/	كلالها	كلاهما
٤٣/	وتسير	ويسير	١٤/	يبعث	ينعث
٤٧/	يصدق	يكذب	١٥/	مرصد	مرقد
٥٨/	وتكون	ونكون	٢١/	يطان	يصان
٣/٢١	مضى	ذبا	٢٣/	إلى جنب	لدى جنب
١٦/	شتى . . مالها	حولا . . قالها	٢٨/	يلاق	تلاق
٣١/	العقم . . قوده . . يحتالها	العزم . . رأيه . . يحتالها	١٨/٢٩	صرحت	سرحت

(تابع) فهرس مواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الاوربية
٨/٣٠	تضمنها . . . بيان	تضمنه . . بنيان	/٣٥	فى باطية	من باطية
١١/٣١	تدمى	ترمى	/٣٧	الازباد	الازياد
١/٣٢	البيت كله من المتوكلية	. . . .	/٣٨	جانباها	جانباه
/٩	عابس	عانس	/٥٠	تليل	كريم
/١٧	مغلاق	مملاق	/٥٥	كل ما يحسم	كلما يحسمن
/٤٦	أكمل البيت من المتوكلية	أن تكونوا ودعتم و . .	١١/٣٨	كالخشن	كالحسن
٧/٣٣	وحصن	وورد	/١٢	تكسف	تكشف
/١٧	يعالى	تعالى	/١٧	لبونه إعتاما	لنوئه أغناما
/٣٠	بشباة	بشباه	/٢٦	المطاردون عن	المطاردون غى
/٣٥	أنجى	أدنى	٧/٣٩	وتصبير بعد	تصبر وبعد
/٣٦	طرفا	قوة	/١٢	تخباها	نخباها
/٤٣	أنساع المطى	أطراف الحبال	/٢٢	ائتلاق	ابتلاق
/٥٧	السيح	الشيخ	/٣٣	تامورة	نامورة
/٥٩	وسوداء	وسودان	٣/٤٠	السعاة	السقاة
١/٣٤	فمضت	ومضى	/٩	وأدلت	وأذلت
/٣٣	تنظر . . يحصدا	تمنع . . . تحصدا	٤/٤٢	أجلبت صهيون	احلبت صهبون
/٣٩	الشطر الثانى من المتوكلية	. . . .	١٠/٤٤	حضراء	خضرا
٥/٣٦	يا لقومى	يالقوم	٧/٤٦	وارجم	وارحم
١١/٣٦	وغزا	وعزا	٤/٤٧	الأعداء	الأحياء
/١٦	تكملة البيت من المتوكلية	ليت شعرى أى نعمى . واضطرح	١/٤٨	صدقت	صدفت
/١٧	الكلمة الأخيرة من المتوكلية	. . . .	/٢	لآتية . . موعود	لآتيه . . . موعودى
/٢٢	نشترى	يشترى	٣/٤٩	بمذرعة	بمزرعة
/٢٣	تبتنى . . وتجتاز . . نارك	يجتنى . . ويجتاز . . ناره	٣/٥٠	لشر	بشر
/٣٢	فتراه فلقا فرامنا	فَتَدَاهُ رَيْمَانُ خُفِّهَا	/٤	كلابِ عِقْد	كلابِ عُقْد

(تابع) فهرس بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأُوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
/٥	يعزون	يغزون	/٢٠	تنفك تطحنهم	ننفك نقتلهم
٢/٥١	بالسحيل	بالصعيد	/٢٤	غبرة	عبرة
٧/٥٢	المقلتين	المائقين	١/٦٣	بحفوف	بحفوف
/٨	ولا .. فجزل	لما .. وجذل	/٧	سمرت	سهرت
/٢٠	أهوى	هوى	/٩	مسدوف	مصدوف
/٢١	الوقود	القعود	/١١	ودعى (عن المتوكلية)	ودع
/٢٤	صدقته .. تقول .. عدات	صدفته .. يقول .. غدات	/١٢	البيت كله من المتوكلية	....
/٢٥	ماشئ فلا تعطى	مَعْ لاهِىَ تعطينى	/٢٥	الصريف	الصديف
/٣٦	غبا مثل القناة	ضئيلا كالمقيط.	/٢٦	ذاهباب	ذاهبات
١٤/٥٣	لاهه	اللهم	١٤/٦٤	نعالج	تعالج
/١٦	نضح	نصح	/٢٠	أبو مالك	أبو ملك
٤٢/٥٤	خبروا	خيروا	/٢٤	وقاقزة	وقى قزة
٤/٥٥	بيتها	بينها	/٢٥	نحسب	يحسب
/٣١	أبًا فأبًا	أبى فأبى	٣/٦٥	كنود	كبود
/٣٢	مأثما	مأثما	/٦	ومشربنا	ومشوتنا
٧/٥٦	منتحما	منتخما	/١٢	البيت كله من المتوكلية	....
/٩	يهد	يهذا	/١٦	العبقرية	القنقرية
/٢٦	الروع	الروح	/١٨	احزألت	اجزألت
٤/٥٨	أرماحكم	أرماحهم	/٢٧	القريد	الفريد
١/٥٩	تعبير	تعير	/٣٠	النواصف	المناصف
٣/٦٠	نوجه	توجه	/٣٢	والفقود	والقعود
/٦	دمائنا .. وكرت	ذمائنا .. وكدت	/٣٦	أكمل البيت من المتوكلية	....
٣/٦١	لوجههم	لرجههم	/٣٧	فانك	... حالك.
١/٦٢	لنا	لها	/٣٨	تنيه	تليه
/١٥	أبو شريح	أبو حريث	/٤٠	يريد	تريد.

(تابع) فهرس موضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٤٢/	بغونا	بعونا	٢١/	تَهَالَكُ	هُنَالِكَ
٥/٦٦	الغلانيا	العلانيا	٢٢/	شَيْدَارة	سِمْدَارَةً
١٥/	لاتبغ	لاتنع	٢٤/	رانيا	زائنا
١٦/	كنت	كان	٢٥/	وتغتلى	وتعتلى
١/٦٧	معتبا	مغنيا	١/٧٨	هموم .. وادكار	هموما .. وادكارا
١٣/٦٨	أعداؤه	أمداؤه	٣/٧٩	نكهته	نكهتها
٢/٦٩	تأنيكم .. لو تنالون	تأتيكم .. أو ينالون	٤/	تقرو	يقرو
٣/٦٩	يجعلوه	نجعلوه	٥/	الذئاب	الذباب
٤/	المخنقا	المحنقا	٢/٨٠	ودائى .. غلقا	ورائى .. علقا
٨/	ما أخف	أما خف	٨/	الزل	الذل
١٠/	نجد غير أنْبِهِمْ	يجد غير آبيهم	١٣/	يطيف	يطيق
٦/٧٠	المسايل	المسائل	١٤/	لَبَالَى	لَيَالِي
٧/	فعاذوا	فعادوا	٥/٨٢	تمترى .. تؤدى .. حلوها	تمترى .. يؤدى .. حولها
١٥/	الغياطل	العياطل	٧/	ينيرها	نعيرها
١٨/	تريم	بريم	١١/	السنان	السياف
٣/٧٢	جابة	جأبة	١٢/	جال	حال
٦/	تخشون	يخشون	١٣/	أيد تطيرها	أيدى نظيرها
٨/٧٣	لأُمكَ	لَأَمْرُكَ	١٤/	يمنع	نمنع
١٠/	نكتفيه	تكتفيه	٢١/	صَرِ	صَرّى
١٢/	الفارجين	القارحين	٢٤/	مسوح .. وساج	مسوجًا .. وساجاً
٤/٧٧	تساندت	تسابدت			

طبع بمطابع مؤسسة الاهرام